



صندوق دعم البحث العلمي
Scientific Research Support Fund

الرابعة في بلاد الشكر

مُنْدُؤُاْ أَحْمَرُ الْعَهْدِ الْبَيْتِي طِيْلِي إِلَى نَهَائِيْتِ الْعَهْدِ الْعَنَائِي



الوَمْرُ الدُّوْلِي التَّاسِعُ لِمَارِخِ بِلَادِ الشَّامِ

٩-١٣ جمادى الأولى ١٤٣٣ هـ / ١-٥ نيسان ٢٠١٢ م

المجلد الرابع

الرابعة ومشتاكلها: وَالتَّقِيَاتُ لِذُرِّيَةِ وَأَهْمِيَّتُهَا

وَالْمَنَافِعُ لِلْجَانِبِ وَوَزْنُهَا

محرر

عبد محمد الفهري

محمد عثمان بن محمد

منشور من مركز الوثائق والخطوط، دور النشر، بيروت - الطبعة الأولى

٥٠٠ ١٤٣٥ هـ / ٢٠١٤ م



صندوق دعم البحث العلمي
Scientific Research Support Fund

الزراعة في بلاد الشعلة

مُنْبِذًا وَأَخْرَجَ الْعِهْدَ الْبَيْتَاطِيَّ إِلَى نَهَائِيَتِهِ الْعَهْدَ الْغَثَائِيَّ



المؤتمر الدولي التاسع لتاريخ بلاد الشام

٩-١٣ جمادى الأولى ١٤٣٣ هـ / ١-٥ نيسان ٢٠١٢ م

المجلد الرابع

الزراعة ومشتاكلها: والتقنيات الزراعية وأهيتها

والمخاطر البيئية ودورها

تحرير

عبد محمد القهوي

محمد عزالدين

منشور من مركز الوثائق والتاريخ، دوراس، بيروت - امانة العاصمة

٥٥٥ ١٤٣٥ هـ / ٢٠١٤ م

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(٢٠٧٦/٧/٢٠١٣م)

٦٣٠

مركز الوثائق والمخطوطات ودراسات بلاد الشام . عمان
الزراعة في بلاد الشام من أواخر العهد البيزنطي إلى نهاية
العهد العثماني / تحرير محمد عدنان البخيت ، حسين محمد
القهواتي . - عمان : المركز ، ٢٠١٣م-٢٠١٤م .
(١-٤) . مجلدات
٤م (٨٦٨) ص .
ر . ا . : ٢٠٧٦/٧/٢٠١٣م .
الواصفات : / الزراعة // بلاد الشام // العصر العثماني /

يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبر هذا
المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى .

(*) جميع الحقوق محفوظة لمركز الوثائق والمخطوطات ودراسات بلاد الشام ، ولا يُسمح بإعادة
إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو نقله بأي شكل من الأشكال دون إذن خطي مُسبق من
مدير مركز الوثائق والمخطوطات ودراسات بلاد الشام .

* All rights are reserved for The Center For Documents & Manuscripts and Bilad al Sham
Studies. No part of these publications may be reproduced or transmitted in any form or by
any means without the prior written permission of the Director of the Center For
Documents & Manuscripts and Bilad al Sham Studies .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

والله اعلم

بِالْآخِرِ

مخبرين الوليد بن المغيرة

أخرفاة يهيمس المسكين في مسكن البرمك

النزير أسهم في وضع الله س الله في الحاضرة العربية لله سنة في بهو الشمام

محمد بن جعفر بن الجعفي

٩ جمادى الآخرة ١٤٣٥ هـ

٩ نيسان ٢٠١٤ م

فهرس المحتويات

التقديم : مدير مركز الوثائق والمخطوطات ودراسات بلاد الشام

- ٧ ————— محمد عدنان البخيت
- ١ . التقنيات الزراعية في بلاد الشام في العصر البيزنطي
٩ ————— مدوح عبد الحليم الخرابشة
- ٢ . تقنيات معاصر العنب في بلاد الشام في أواخر العصر البيزنطي
الأردن مثلاً
- ٦١ ————— إسماعيل أحمد ملحم
- ٣ . الزراعة في جند قنسرين حتى نهاية القرن الرابع الهجري ، العاشر
الميلادي
- ٨٣ ————— المهدي عيد الرواضية
- ٤ . الزراعة وأنواع الأراضي الزراعية في ساحل بلاد الشام ، منذ ما قبل
الفتح العربي الإسلامي حتى نهاية العصر الأموي
- ١٦٧ ————— شكران خربوطلي
- ٥ . نظام الخراج تطوره وأثره على الزراعة في بلاد الشام بين عصر صدر
الإسلام والعصر العباسي الأول
- ١٨٥ ————— محمد ضيف الله بطاينه
- ٦ . الخانات التجارية في مدن الشام ودورها في تسويق المحاصيل الزراعية
خلال العصر الإسلامي
- ٢١٣ ————— عادل محمد زيادة
- ٧ . الكوارث الطبيعية وأثرها على الحياة الزراعية في بلاد الشام في
العصر المملوكي الأول (٦٤٨-٧٨٤هـ/١٢٥٠-١٣٨٢م)
- ٢٤٧ ————— فوزي الطواهي

- ٨ . زراعة الزيتون ببلاد الشام والصناعات القائمة عليها في العهد المملوكي (٦٤٨هـ / ١٢٥٠م - ٩٢٣هـ / ١٥١٦م)
- ٢٧٧ _____ يوسف إبراهيم الزاملي
- ٩ . أراضي بلاد الشام في نظام الإيالت والولاية ، في العهد العثماني
- ٣٠٣ _____ الياس جريج
- ١٠ . الزراعة في عكار في العهد العثماني وأهميتها الاقتصادية
- ٣٧٩ _____ نافذ إبراهيم الأحمر
- ١١ . الاحساب في القدس في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي
- ٤٣٧ _____ خضر سلامة
- ١٢ . الزراعة ومشكلاتها في القرية الفلسطينية في ظل نظام التيمار
- ٤٧٧ _____ زهير غنaim عبد اللطيف غنaim ومحمود سعيد أشقر
- ١٣ . عوائد رسوم قباطية ، مصدر نزاع الحكام الإداريين في القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي / دراسة وتحليل حجج شرعية
- ٥٢٧ _____ إبراهيم ربابعة
- ١٤ . الزراعة في بيت لحم وقراها في القرن التاسع عشر الميلادي
- ٥٧٥ _____ إبراهيم أبو ارميس
- ١٥ . أثر التنظيمات العثمانية على واقع النشاط الزراعي في بلاد الشام منذ منتصف القرن التاسع عشر وحتى بداية القرن العشرين
- ٦٢١ _____ صلاح عربي عباس
- ١٦ . العقبات التي واجهت قطاع الزراعة في فلسطين خلال الحرب العالمية الأولى ١٩١٤-١٩١٨م
- ٦٦٩ _____ أمين أبو بكر
- ٧٠٣ _____ - اسماء المشاركين حسب الحروف الهجائية
- ٧٠٥ _____ - الفهارس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقديم

يسعدنا أن نضع بين أيدي الباحثين الكرام ، والقراء الأعزاء ، الذين يتابعون باهتمام صدور منشورات مركز الوثائق والمخطوطات ودراسات بلاد الشام-المجلد الرابع والأخير من أعمال المؤتمر الدولي التاسع عن الزراعة في بلاد الشام ، الذي عُقد في رحاب الجامعة الأردنية عام ٢٠١٢م ، وعنوانه :

«الزراعة ومشاكلها : والتقنيات الزراعية وأهميتها والخانات التجارية ودورها» .

ونشر هذا المجلد نكون قد وفينا بوعدنا ، ونشرنا معظم البحوث التي قدمت في مؤتمرنا عن الزراعة ، واجتازت تقويم المحكمين ، ونفذت شروط عمادة البحث العلمي في الجامعة الأردنية في الإحاطة والاستقصاء والالتزام بمنهج البحث العلمي . وكان جل همنا دائماً إخراج أعمال المؤتمر إخراجاً علمياً ومنهجياً وفتحاً يناسب جهد الباحثين ، قاصدين أن نجعل منها تقليداً معتمداً وركيزة علمية للدراسات المتعلقة بتاريخ بلاد الشام وحضارتها . ومن المفيد أن نشير هنا إلى أن محتويات هذا المجلد تدور حول موضوعات متنوعة تخص الزراعة ومشاكلها ومحاصيلها في بلاد الشام والبحوث في هذا المجلد ، كما في المجلدات الثلاثة السابقة مرتبة وفق تسلسل الحقب التاريخية ويمكن استعراض موضوعات هذا المجلد على النحو الآتي :

التقنيات الزراعية ، تقنيات معاصر العنب ، الزراعة في جند قنسرين ، أنواع الأراضي الزراعية في ساحل بلاد الشام ، نظام الخراج وتطوره ، الخانات التجارية في مدن بلاد الشام ، الكوارث الطبيعية ، زراع الزيتون والصناعات القائمة عليها ، وأراضي بلاد الشام في نظام الايالات العثمانية الزراعة في عكار ، الاحتماب في القدس ، الزراعة ومشكلاتها في القرية الفلسطينية ، عوائد رسوم قباطية ، الزراعة في بيت لحم ، وأثر التنظيمات العثمانية على واقع النشاط

الزراعي ، العقبات التي واجهت قطاع الزراعة في فلسطين .
أملين أن يفيد الباحثون المهتمون بدراسات بلاد الشام من معين هذه
المجلدات ما ينفعهم في صياغة بحوثهم المقبلة وذلك لتحقيق هدفنا العلمي
الذي نرجوه من اجل تجسيد تاريخ بلاد الشام وحضارتها بشكل موضوعي .
وبعد هذا يقتضي الوفاء أن أسجل تقديري وشعوري بالامتنان إلى الزملاء
في لجنة تاريخ بلاد الشام والى الباحثين جميعاً الذين أسهموا في أعمال مؤتمرننا
التاسع وساعدوا على نجاحه .

ولا يفوتني أن اشكر أيضاً جميع العاملين في مركز الوثائق والمخطوطات
ودراسات بلاد الشام الذين عملوا بكل جد ونشاط منذ عقد المؤتمر ولغاية صدور
هذا المجلد الأخير ، إدارة وطباعة وفهرسة ومتابعة .

والشكر الكبير أوجهه إلى جميع العاملين في مطبعة الجامعة الأردنية ،
لحسن تعاونهم في انجاز طباعة المجلدات الأربعة من أعمال مؤتمرننا التاسع .
وידعونني الواجب أن أقدم الشكر الجزيل إلى رئيس الجامعة الأردنية لدعمه
وتشجيعه المستمرين والشكر موصول إلى كل من رئيس جامعة اليرموك والى
مدير صندوق دعم البحث العلمي التابع لوزارة التعليم العالي .

وأخيراً يسعدنا أن نذكر الباحثين الكرام المهتمين بدراسات بلاد الشام أن
مؤتمرننا العاشر سوف يخصص لتاريخ الصناعة والتجارة والعمارة في بلاد الشام
منذ أواخر العهد البيزنطي والى نهاية العهد العثماني .

وختاماً استشهد بقول أبي العلاء المعري :

إِذَا مَا فَعَلْتَ الْخَيْرَ فَاجْعَلْهُ خَالِصاً لِرَبِّكَ وَأَزْجُرْ عَن مَدِيحِكَ أَلْسُنَا

راجياً التوفيق من الله لما فيه خير العلم وخير العمل

والله من وراء القصد وهو الهادي إلى الرشاد

مدير مركز الوثائق والمخطوطات

ودراسات بلاد الشام

(محمد عدنان البخيت)

٩ جمادى الآخرة ١٤٣٥هـ

٩ نيسان ٢٠١٤م

التقنيات الزراعية في بلاد الشام في العصر البيزنطي

مدوح عبد الحليم الخرابشة(*)

تعتبر بلاد الشام من المناطق القليلة في العالم التي إمتازت بتعدد المناطق المناخية ، ففي الجزء الشمالي منها تقع الجبال المرتفعة القريبة من المناطق الباردة والتي تبقى الثلوج معظم أشهر السنة على قمم جبالها كجبال لبنان الغربية ، وتجاورها السهول الواقعة في حوض نهر العاصي ، ثم إلى الجنوب نجد سهول فلسطين وحوارن التي اشتهرت بزراعة الحبوب وأشجار الفاكهة وغيرها من الزراعات التي تجود في تلك المناطق ، وإلى الشرق نجد منطقة حفرة الانهدام التي تمتاز بإرتفاع درجات حرارتها صيفاً وبمناخها الدافئ شتاءً فإشتهرت لذلك بزراعة المحاصيل التي تحتاج إلى المياه والحرارة معاً أو إلى أحدهما فقط ؛ وبسبب توفر المياه الصالحة للري من الأنهار والبحيرات والينابيع الدائمة أو الموسمية ، فقد وجدت في بلاد الشام أنواع كثيرة من المحاصيل الزراعية التي قامت عليها صناعات كثيرة منها الغذائي أو المعدني أو المنسوجات ، وقد اعتمدت هذه الصناعات في مجملها على ما توفره أراضي بلاد الشام من موارد طبيعية وما تنتج من محاصيل زراعية ، فقد اشتهرت فيها صناعة المنتجات الغذائية المطلوبة من قبل التجار الذين كانوا ينقلونها من بلاد الشام إلى الموانئ في حوض البحر المتوسط واسواقه الى خارجه ايضاً ، ومنها الخمور والفواكه المجففة

(*) كلية الأمير الحسين بن عبدالله الفنية العسكرية ، المملكة الاردنية الهاشمية .

والسكر^(١)، والفاكهة الطازجة وزيت الزيتون والزيتون على اختلاف أنواعه، والحبوب المختلفة وغيرها من الصناعات الغذائية.

انتشرت في بلاد الشام العديد من التقنيات الزراعية التي استخدمها المزارعون بهدف تحسين مستويات الانتاج وزيادة خصوبة الارض، وحماية المحاصيل، وحفظ المنتجات للإستخدام المنزلي والتجاري، ومن هذه التقنيات :-

١- زراعة الأشجار : اعتمد المزارعون في زراعتهم للأشجار المثمرة على تقنيات تهدف الى سهولة التعامل معها في مراحل النمو المختلفة ومن هذه التقنيات :-

أ - زراعة الاشجار على شكل خطوط على جانبي مسابيل المياه والجداول والسواقي .

ب - اتخاذ المعرشات (العريش) وخصوصاً لأشجار العنب .

ج - تسوية الأراضي المائلة والوعرة وجعلها على شكل مساطب أو مسطحات أو مدرجات وذلك تمهيداً لزراعتها، وفي هذه الحالة يمكن الإستفادة من ماء الأمطار في الري وخصوصاً على سفوح الجبال، ولا تزال هذه الاساليب الزراعية متبعة في جميع مناطق بلاد الشام عند زراعة الأشجار أو تأسيس المزارع^(٢).

٢- تسميد الأرض : وهذه التقنية استخدمت في تقوية الأرض وإعادة الحيوية إليها، ومن انواع السماد التي استخدمت، فضلات الإنسان والحيوانات والطيور.

(١) القزويني: زكريا بن محمد القزويني (ت ٦٨٢هـ / ١٢٨٣م)، آثار البلاد وأخبار العباد، د. ط، دار

صادر، بيروت، دت، ص ١٤٢؛ وسيشار له فيما بعد، القزويني، آثار البلاد.

(٢) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، ج٩، ط٢، د١، ١٩٩٣م، ج٧، ص ٢٩، ٣٦؛

وسيشار له فيما بعد، جواد علي، المفصل.

٣- حماية المزروعات من الطيور والحيوانات : استخدم المزارعون عدة وسائل لحماية المزروعات من هجمات الطيور والحيوانات ، ومن هذه الوسائل (اللعين : وهو ما يتخذ في المزارع كهيأة رجل ، أو الخيال) ، لإخافة الطيور والسباع والوحوش (١) .

الأدوات الزراعية في بلاد الشام

لا يمكن أن ينفرد عصر من العصور بأدوات زراعية عن غيره ، حيث أن إستخدام نوع معين من الأدوات لا يمكن أن ينقرض فجأة إلا إذا كان الشعب الذي يستخدمها معزولاً نهائياً عما يجاوره من شعوب ، ومع ذلك يمكن ان تنتقل تلك الأدوات الى المناطق المجاورة وبالتالي يستمر وجودها واستخدامها ، أما بلاد الشام فهي غير ذلك ؛ فهي منطقة أهلة بالسكان منذ أقدم العصور ولا زالت وهي عقدة اتصال وتجارة بين فارات العالم القديم ، وفيما يتعلق بالأدوات الزراعية التي إستخدمتها الشعوب التي سكنتها منذ أزمنة بعيدة فلا يزال أغلبها يستخدم حتى الآن - مع إجراء تعديلات طفيفة عليها ، فمثلاً أصبح المحراث اليدوي في أغلب أجزائه مصنوع من الحديد بدلاً من الخشب - خاصة في مناطق الريف ، وهو من أهم ما قام الإنسان باختراعه في سبيل تحسين الإنتاج الزراعي وتطويره واستصلاح الأراضي ، لذلك فقد تدرج الإنسان في إستخدام تلك الأدوات بحسب الفترة الزمنية التي عاشها ومكان عيشه ، ففي بلاد الشام استخدم المزارعون أدوات زراعية طوروا بها زراعاتهم على نحو مكنهم من إنتاج محاصيل تجارية ، وقد اعتبرت أدوات الحراثة من أهم الأدوات التي استخدمها المزارعون في بلاد الشام (٢) ، الى جانب الادوات الزراعية

(١) جواد علي ، الفصل ، ج٧ ، ص ٥٠ - ٥١ .

(2) Anthony Bryer, The Means of Agricultural Production: Muscle and Tools. Pp. 101-113 in

Angeliki Laiou, ed., *The Economic History of Byzantium: From the Seventh through the*

Fifteenth Century. Dumbarton Oaks Studies 39. Washington, 2002.

المختلفة التي كانت واسعة الانتشار في المنطقة :

١- المحراث الخشبي : استخدمه الفينيقيون ، وقد استعملوا في جره بدايةً الإنسان ، ويبدو أن ذلك كان قبل استئناس الحيوانات ، وفيما بعد استعمل في عملية الحراثة (الثيران (البقر أو الجاموس) ، الحمير ، الخيل^(١) ، والجمال التي كانت معروفة في بلاد الشام منذ فترات موعلة في القدم^(٢) ، حيث انه وحتى منتصف (الألف الثالث الى الألف الرابع قبل الميلاد) كانت الحيوانات تستخدم من اجل لحومها وجلودها فقط^(٣) ، وكان استخدام هذه الحيوانات يتم بحسب كثرة أي نوع منها في المنطقة ، وقد كان يستخدم في الحراثة حيوان واحد أو زوج من الحيوانات أو ثور وحمار معاً ، وفي هذه الحالة (استخدام حيوانين في الحراثة) يطلق عليه اسم « الفدان » ، ويتألف المحراث من قطع من الخشب مربوطة إلى بعضها البعض ، وله سكة من حديد أو خشب ، يتم من خلالها حراثة الأرض دون قلب التربة ، وتقوم التكنولوجيا البيزنطية في الحراثة على تراكم لخبرات مزارعي حوض البحر المتوسط لمدة امتدت لعدة قرون .

تقوم ميكانيكية عمل المحراث الخشبي على قيام المزارع بالضغط بقدمة على الجزء المثبت به سكة المحراث والتي ستغرز بالأرض بمجرد سير الحيوانات التي تسحب المحراث الى الامام ، اما عمق انغراز السكة في الارض فيعتمد

(١) ج . كونتو ، الحضارة الفينيقية ، ترجمة محمد عبد الهادي شعيرة ، دط ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ص ٣٤٢ ، ١٩٩٧م ؛ وسيشار له فيما بعد : كونتو ، الحضارة الفينيقية ؛ جواد علي ، الفصل ، ج ٧ ، ص ٤٨ .

(2) Richard Bulliet, *The Camel and the Wheel*, 2nd ed. New York, 1990, p. 87.

(3) Andrew Dalby, *Cheese. A Global History*. London, 2009, pp. 31-32.

على زاوية ميلان المحراث نحو الأمام^(١)، ويعتقد بأنه قد أُدخلَ إلى بلاد الشام من منطقتين من المناطق المجاورة لها، ففي جنوب بلاد الشام أُدخل من مصر وفي شرق بلاد الشام أُدخل من بلاد ما بين النهرين^(٢) اللوحة رقم (١).

٢- لوح الدرّاس/النورج: من الأدوات التي استعملها الفينيقيون ومن بعدهم الرومان والبيزنطيون في عزل الحب عن السنابل أو عن القشر^(٣)، فقد كان الأسلوب المتبع قبل ذلك بأن يداس المحصول بأرجل الخيل أو الثيران أو البغال، وفيما بعد أصبح يمرر فوقها لوح من الخشب مثبت في أسفله قطع من الحجارة أو أسنان من الحديد يتم من خلالها فصل الحب عن سنابله أو قشوره^(٤)، ويدوم الأمر حتى إذا انفصلت الحبوب عن القش يضاف فوقه طبقة من القش والسنابل التي لم تدرس، وتستمر العملية كما في السابق^(٥)، ويبلغ طول اللوح حوالي المترين وعرضه أقل من ذلك، وطرفه الأمامي مرفوع إلى أعلى كي لا يحتك بالأرض أثناء جره، وتثبت الأسنان الحجرية أو المعدنية على أسفله بشكل متبادل، ويجر هذا اللوح بغل أو

(1) Elizabeth Jeffreys, John Haldon and Robin Cormack, *The Oxford Handbook of Byzantine Studies*. Oxford, 2008, pp. 398-399.

(٢) فيليب حتي، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ج٢، دار الثقافة، بيروت ١٩٥٠م، ص ٩٢، ٣٢٣.

(٣) كونتنو: الحضارة الفينيقية، ص ٣٤٢؛ حتي: تاريخ سورية، ص ٩٣.

(4) Bryer, op. cit., pp. 109-110.

(٥) أحمد وصفي زكريا، المحاصيل الحقلية في بلاد الشام وأمثالها، ج٢، دار الطباعة العربية، دمشق، ١٩٥١م، ج١، ص ١٢٥ - ١٢٦، وسيشار له فيما بعد، زكريا، المحاصيل الزراعية.

حصان ، أو زوج من الثيران^(١) ، ولا تزال هذه الأداة مستخدمة في بلاد الشام حتى الآن ، اللوحة رقم (٢) .

٣- المنجل : وهو من أدوات الحصاد المتعددة الأشكال التي انتشرت في أراضي الإمبراطورية البيزنطية وخاصة لحصاد للقمح والشعير ، وكان في بداية استخدامه يتألف من نصل من الصوان ، يتصل بقبضة من العظم أو الخشب ، واستمر استخدامه حتى عام (١٠٠٠ ق . م) حين استبدل الصوان بالحديد ، فأصبح يتكون من قطعة حديدية مسننة أو غير مسننة على شكل نصف دائرة ، ولها يد خشبية ، وكان يستخدم إلى جانب الحصاد ، في قطع أغصان الأشجار الطرية^(٢) ، ويصل نصف قطر دائرته إلى ٣٠ سم ، وهو مصنوع من الحديد المقوى وأحياناً يكون مسنناً ، وله يد من الخشب ، وهو النوع الذي استخدم في بلاد الشام ، وهناك نوع آخر لازال مستخدماً في أوروبا يصل طول النصل فيه إلى ١ متر تقريباً ، وله ذراع طويلة ، ويستخدم بكلتا اليدين ، وقد عد المنجل رمزاً مهماً من رموز الفلاحة^(٣) ، وكان له أشكال وأحجام تختلف حسب البلد المستخدم بها ، ولا يزال منتشراً في بلاد الشرق والغرب لدى صغار المزارعين وهو مفيد في حصاد المزروعات الموجودة في المناطق الوعرة بشكل كبير^(٤) ، وقد وردت صور لاستخدام المنجل في الحصاد ، أو قطف العنب من خلال الرسوم الفسيفسائية الموجودة في كنيسة (سانت جورج / St. George) في خربة

(١) فالج حسين ، الحياة الزراعية في بلاد الشام في العصر الأموي ، د ط ، مطابع دار الشعب ، عمان ، ١٩٧٨ م ، ص ٨١ ، وسيشار له فيما بعد هكذا : حسين ، الحياة الزراعية ؛ زكريا ، المحاصيل الزراعية ، ص ١٣٩ - ١٤٠ .

(٢) حتى : تاريخ سورية ، ص ٩٢ - ٩٣ ؛ حسين : الحياة الزراعية ، ص ٨٠ .

(3) Bryer, op. cit., pp. 108-109.

(٤) زكريا ، المحاصيل الزراعية ج١ ، ص ١٢٥ - ١٢٦ .

المخيط ، وهذا دليل واضح على شيوع استخدام هذه الأداة في المنطقة (١)
اللوحة رقم (٣) .

٤- المذراة : أداة تستخدم لقلب الزرع أثناء عملية الدرس وتذريته بعد ذلك (٢) ،
وهي تتألف من عمود خشبي طويل ، يصل طوله إلى مترين ، يتصل بأحد
طرفيه عدة أصابع من الخشب مصفوفة بشكل أفقي على قطعة من الخشب
المتصلة بالذراع الطويل ، وملفوفة بالجلد ، ويتم إستخدامها حيث يقف
الفلاح بزاوية قائمة مع إتجاه الرياح ، ويقوم برفع الحبوب والتبن ورميها
بالهواء بشكل لطيف ، فيقوم الهواء بفصل التبن عن الحبوب ، ويجب على
الفلاح أن يتأكد بين فترة وأخرى من عدم تغير إتجاه الريح أثناء عملية
التذرية حيث يتوجب عليه عند ذلك أن يغير من وقفته (٣) اللوحة رقم
(٤) .

٥- المجرفة / المسحاة : هي فأس عريضة تستخدم في تنظيف القنوات ، وقلب
التراب بدلاً من حرثته (٤) ، وتستخدم أيضاً في سد المياه وفتحها في
السواقي لسقي المزارع والبساتين ولقلع الأعشاب والأشجار (٥) ، وهي تتكون
من الجزء القاطع الذي هو عبارة عن قطعة من الحديد تثبت بشكل زاوية مع
العصا وتأتي على عدة أشكال (٦) اللوحة رقم (٥) .

(1) Sylvester Saller and Bellarmino Bagatti, *The Town of Nebo*. 2nd ed. Jerusalem, 1982, pp.

71, 93, 114, 118.

(٢) حتي : تاريخ سورية ، ص ٩٣ .

(3) Bryer, op. cit., p. 110.

(٤) حسين ، الحياة الزراعية ، ص ٧٩ .

(٥) جواد علي ، المفصل ، ج ٧ ، ص ٤٧ .

(6) Bryer, op. cit., p. 108.

٦- الوتد : وهو عبارة عن قطعة من الخشب طولها حوالي نصف متر ، ولها رأس مدبب ، يوضع عليه أحيانا غطاء حديدي مدبب ؛ يستخدم لغرس الأشتال في الأرض^(١) .

٧- العربة الخشبية : مصنوعة في أغلب أجزائها وحتى العجلات من الخشب ، وتثبت بواسطة مسامير معدنية ، وفي العادة تسير على عجلتين يربطهما محور من الخشب^(٢) ، كما وجد أيضاً نوع من العربات له أربع عجلات ، وقد استخدمت لنقل التبن والمحاصيل و البضائع ، وقد بنى الرومان ومن بعدهم البيزنطيون الطرق بشكل يتلائم ومرور هذه الأنواع من العربات ، التي كانت تجر بواسطة الثيران^(٣) ، التي امتازت ببطئ الحركة ، مما جعل سرعة الحركة للعربات قليلة^(٤) اللوحة رقم (٦) .

٨- الغريال : وهو عبارة عن أداة تتكون من إطار خشبي مرتفع على شكل دائرة ، يوجد في أسفله شبك من الجلد متنوع اتساع الثقوب من (٥ - ٣ ملم) ؛ يستخدم في تنقية الحب بعد درسه من الشوائب كالحجارة وبقايا التراب والقش^(٥) اللوحة رقم (٧) .

٩- النواعير : من الأدوات الزراعية المهمة وهي تستخدم على وجهين هما :-

أ - ضخ المياه لغايات الشرب والاستعمالات اليومية والتي منها إدارة مطاحن الحبوب التي تستعمل القوة المتولدة عن الماء في ادارتها .

ب - رفع المياه لغايات سقي المزروعات .

تعتبر رافعات الماء من الاختراعات اليونانية القديمة التي تم اختراعها من

(١) حسين ، الحياة الزراعية ، ص ٨١ .

(2) Bryer, op. cit., p. 112.

(3) Jeffreys, et al., op. cit., p. 398.

(4) Bryer, op. cit., p. 112.

(٥) زكريا : المحاصيل الزراعية ، ص ١٥٣ - ١٥٤ .

قبل المخترع اليوناني (ستيسيبيوس / STESIBIUS / الاسكندردي ٢٨٥ ق م - ٢٢٢ ق م) ، إلا ان المضخات الرومانية كانت اكثر تعقيدا من سابقتها^(١) اللوحة رقم (٨) .

زراعة الأشجار : اعتمد المزارعون في زراعته للأشجار المثمرة على تقنيات تهدف الى سهولة التعامل معها في مراحل النمو المختلفة ومن هذه التقنيات :-
أ - زراعة الأشجار على شكل خطوط على جانبي مسابيل المياه والجداول والسواقي .

ب - اتخاذ المعرشات (العريش) وخصوصاً لأشجار العنب .

ج - تسوية الأراضي المائلة والوعرة وجعلها على شكل مساطب أو مسطحات أو مدرجات وذلك تمهيداً لزراعتها ، وفي هذه الحالة يمكن الإستفادة من مياء الأمطار في الريّ وخصوصاً على سفوح الجبال ، ولا تزال هذه الاساليب الزراعية متبعة في جميع مناطق بلاد الشام عند زراعة الأشجار أو تأسيس المزارع^(٢) .

تسميد الأرض :- وهذه التقنية استخدمت في تقوية الأرض وإعادة الحيوية اليها ، ومن انواع السماد التي استخدمت ، فضلات الإنسان والحيوانات .

حماية المزروعات من الطيور والحيوانات :- استخدم المزارعون عدة وسائل لحماية المزروعات من هجمات الطيور والحيوانات ، ومن هذه الوسائل (اللعين : وهو ما يتخذ في المزارع كهياًة رجل ، أو الخيال) ، لإخافة الطيور والسباع والوحوش^(٣) .

(1) Larry Mays, *Ancient Water Technologies*. Dordrecht, 2010, p. 132.

(٢) جواد علي ، ج٧ ، ص ٢٩ ، ٣٦ .

(٣) المرجع نفسه ، ج٧ ، ص ٥٠ - ٥١ .

الصناعات الغذائية:

إعتمدت الامبراطورية البيزنطية على أنواع مختلفة من المحاصيل الزراعية الأساسية ، كالحضروات ، وثمار الأشجار مثل الزيتون ، والبندق ، والتين ، والإجاص ، والتفاح ، والدراق ، والرمان ، والبرتقال ، والليمون) ، ومن أجل تحسين نوعيات الأشجار فقد انتشر تقنية تطعيم الاصناف المختلفة من الأشجار بهدف الحصول على نوعيات محسنة قادرة على مقاومة الامراض التي تصيب الأشجار إضافة الى تهجين انواع مختلفة من الثمار كالعنب وأشجار اللوزيات والفواكة ، وقد عُدَّ العنب والزيتون من أهم تلك الأشجار ، حيث يعصر العنب لصنع النبيذ ، ويعصر الزيتون لإستخراج الزيت منه ، ومن المحاصيل الأخرى الحبوب وأهمها القمح والشعير ونبات (الشيلم) وهو نبات يشبه القمح ويستخدم في صناعة الخبز ، ومن المحاصيل الأخرى انواع من المزروعات التي تدخل في صناعة النسيج القنب والقطن والكتان - الذي يستخرج منه زيت بذور الكتان⁽¹⁾ ، لذلك ومن اجل زراعة هذه المحاصيل والمحافظة عليها ونتاج ما يتعلق بها من صناعات كان لابد من ابتكار أساليب للزراعة وحماية المحصول وادوات للحرثة والري والحصاد والدرس والعصر فيما يسمى التقنيات الزراعية .

عصر العنب:-

انتشرت صناعة الخمر في مناطق كثيرة من بلاد الشام خلال الفترة البيزنطية ، و كانت بصرى من أشهر أماكن إنتاجها وبيعها ، فقد اكتشفت دائرة الآثار السورية معاصر للعنب وأخرى للزيتون ملحق بها خزائين لحفظ المواد الناتجة عن عمليات العصر على عمق ١,٥ متر تحت سطح الأرض يستوعب كل

(1) Jeffreys, et al., op. cit., p. 400.

منهما حوالي ١٠ متر مكعب من العصير السائل^(١)، ومن أماكن إنتاج وتصدير الخمر في فلسطين كانت غزة وعسقلان^(٢)، التي كانت تنتج نبيذ عالي الجودة كان يصدر إلى سوريا ومصر^(٣)، وإلى منطقة (غاليا / فرنسا حالياً)^(٤) ومدن بوردو ومرسيليا التي وجد فيها مراكز للتجار الشرقيين، ويقصد بهم هنا التجار من بلاد الشام^(٥)، وكذلك اكتشفت البعثات الأثرية في منطقة العوجا في النقب معاصر للخمور^(٦)، ومن مناطق إنتاج الخمر أيضاً، منطقة عانة^(٧) وبيسان التي اشتهرت بالخمر التي سميت باسمائها، ونوع آخر من الخمر سمي بالفلسطينية وخمر بيت راس^(٨)، كما كان المزارعون يقومون بحفر معاصر للعب إلى جوار مزارع العنب التي كانوا ينشؤونها^(٩) اللوحة رقم (٩).

(١) دائرة الآثار في محافظة درعا / الجمهورية العربية السورية

www.sana.sy/ara/9/2009/06/19/231879.html

(2) J. B. Bury, *The Later Roman Empire*, vol. 2. London: 1923, p. 316.

(3) J. B. Bury, *The Cambridge Medieval History*, vol. 1. New York, 1911, p. 548.

(4) Patricia Crone, *Quraysh and the Roman Army*. *Bulletin of the School of Oriental and African Studies* 70 (2007), p. 81.

(5) Bury, op. cit. vol. 2, p. 316.

(6) Yizhar Hirschfeld, *Settlement of the Negev in the Byzantine Period in the Light of a Survey at Horvat Sa'adon*. *Bulletin of the Anglo-Israel Archaeological Society* 24 (2006), pp. 38-39.

(٧) مدينة في العراق تقع على نهر الفرات شمال مدينة الرمادي جنوب مدينة البوكمال .

(٨) أبي بكر احمد بن محمد الهمذاني (ابن الفقيه)، مختصر كتاب البلدان، مطبعة بريل، ليدن، ١٨٨١ م، ص ٢٤٢-٢٤٣، وسيشار له فيما بعد: ابن الفقيه، مختصر البلدان .

(9) Benjamin Isaac, *The Limits of Empire. The Roman Army in the East*. 2nd ed. New York, 2000, p. 185.

وقد دلت الحفريات التي قامت بها دائرة الآثار العامة الأردنية على وجود الكثير من معاصر العنب في مناطق مختلفة من الأردن مثل زغر، ومآب^(١)، ومنطقة زرقاء ماعين، ومنطقة أم زويتينة إلى الشمال من عمان حالياً^(٢)، كذلك أظهرت المسوحات الأثرية التي أجريت في منطقة جبل نبو (صياغة) وجود معاصر للزيت والنبيد في القرنين الخامس والسادس الميلاديين، كما ظهرت على اللوحة الفسيفسائية في كنيسة لوط صورة لشابين يقومان بعصر العنب في إحدى المعاصر^(٣)، وفي إحدى مزارع العنب في مدينة السلط أكتشف سراج زيتي يعود للعهد البيزنطي عليه نقوش تمثل أشجار العنب، وهذا دليل آخر على اشتهاار المنطقة بزراعة العنب، وإلا لماذا ينقش رسم يمثل صورة شجرة العنب على فانوس فخاري يستخدم فيه زيت الزيتون في الإنارة؟^(٤)، وقد كانت معاصر العنب تتبع أحياناً للأديرة كما هو الحال في موقع خربة (صير الغنم) في فلسطين، حيث كانت هذه المعاصر تعد نوعاً من مصادر الدخل؛ لتأمين النفقات اللازمة للأديرة^(٥) كما اكتشفت معاصر نبيد ملحقة بمجمعات كنسية

(١) أصفر: الزراعة في سورية، ص(٧٢٢-٧٢٣).

(2) Claude Conder, *Seth and Moab: Explorations in Syria*. London, 1885, pp. 129, 225, 261.

(٣) فوزي محمد عبيدات: أهمية منطقة غور الأردن في صدر الاسلام، وزارة الثقافة، عمان، الأردن، ١٩٩٧م، ص ١٢٨؛ وسيشار له فيما بعد: عبيدات، غور الأردن.

(٤) مؤسسة إعمار السلط، السلط التاريخ المصور، إشراف أنيس المعشر و عبد الله النصور، السلط، ط ١، ١٩٨٩م، الصورة رقم ٣ في ملحق الصور.

(5) Nina Heiska, *The Economy and Livelihoods of Early Christian Monasteries in Palestine*.

MA Thesis, University of Helsinki, 2003, p. 91.

في منطقة (سوسيتا/Sussita) في فلسطين^(١)، و هناك إشارات الى انه كانت هناك سفن تتبع للأديرة كانت تقوم بنقل النبيذ بين موانئ الامبراطورية البيزنطية^(٢).

كان النبيذ وزيت الزيتون يصدران من موانئ الساحل الشرقي للبحر المتوسط إلى المناطق الواقعة إلى الغرب من بحر إيجه وإلى الساحل الجنوبي لبلاد البلقان، ومن هناك كان يعاد تصديرهما إلى إيطاليا وجنوب (بلاد الغال/فرنسا حالياً)^(٣)، كما صدرت كميات كبيرة من النبيذ الفلسطيني إلى مناطق حوض البحر المتوسط عبر مينائي عسقلان وغزة، وقد كان النبيذ يتم تصديره في جرار فخارية تصنع خصيصاً له، وكانت هذه الجرار تسمى (جرار غزة/Gaza amphorae)^(٤)، كما كان النبيذ يحفظ وينقل في براميل من الخشب أو قَرَب من جلود الحيوانات^(٥)، وكانت الامبراطورية البيزنطية تستوفي الضرائب على

(1) Bella Bordman, *The Hellenistic Compound (NNMP)*. In Arthur Segal, Jolanta Mlynarczyk, Mariusz Burdajewicz, Mark Schuler and Michael Eisenberg, *Hippos-Sussita, Fifth Season of Excavations (September-October 2004) and Summary of All Five Seasons (2000-2004)*. Haifa, 2004, pp. 20-23.

تقع مدينة «سوسيا» (هيبوس) شمال «كفر حارب» بحوالي ١ كم، وشرق بحيرة «طبريا» بحوالي ١,٥ كم، وغرب «فيق» بحوالي ٣,٥ كم. وهي مدينة «حصينة»، بنيت على أرض، لها شكل مثلث متساوي الساقين تقريباً، قاعدته في الشرق، تتصل مع سهول «الزوية»، ورأسه في الغرب، يشرف على بحيرة «طبريا» ،

(2) Paul Magdalion, *Justice and Finance in the Byzantine State, Ninth to Twelfth Centuries*. In D. Simon and A. Laiou, eds., *Law and Society in Byzantium: Ninth-Twelfth Centuries*. Washington, 1994, p. 112.

(3) Michael Maas, *The Age of Justinian*. Cambridge 2005, p. 35.

(4) Ruti Erez Edelson, *Sedentary Zone in the Negev During the Byzantine Period. Settlement Distribution and Runoff Farming*. Ph.D. Thesis, Bar-Ilan University, 2004, p. 5.

(5) Christopher Lightfoot, *Trade and Industry in Byzantine Anatolia - The Evidence from Amorium*. *Dumbarton Oaks Papers* 61 (2007), p. 274.

إنتاج النبيذ بشكل عيني حيث يتم إرساله الى الجنود في معسكراتهم^(١) ، وقد كشفت الحفريات الاثرية في جنوب فلسطين عن منطقة زراعية تقع على مسافة حوالي (٤٠) اربعين كيلو متراً) الى الجنوب من مدينة القدس عن معصرة عنب بحجم ضخم كانت تستخدم لإنتاج النبيذ بكميات تجارية ويظهر ذلك من خلال الابعاد الكبيرة لأجزاء المعصرة والتي بلغت ابعادها (٢١ × ٥٤ قدم)^(٢) .

معاصر النبيذ:-

يبدو ان طبيعة المنطقة التي يراد بناء معصرة العنب بها تتحكم بنوع المعصرة التي ستبنى ، وقد صنف علماء الآثار معاصر العنب الى أربعة أنواع رئيسة وهي :-

١- المعصرة التقليدية :- وهي تتألف من عدة أجران محفورة في الصخر تربط بينها مجاري محفورة بالصخر أيضا ، وقد كان العنب يوضع في الجرن العلوي ومن ثم يداس بأقدام العمال حيث تسيل العصارة منه إلى الجرن الذي يليه ثم الذي يليه^(٣) . وتختلف معاصر العنب عن معاصر الزيتون في أنه لا بد من وجود حجارة خاصة في معاصر الزيتون لضغط الزيتون المهروس واستخراج الزيت منه^(٤) ، في حين أن معاصر العنب تتألف من عدد من الأحواض المحفورة في الصخر وفي نهايتها جرن أو أنبوب يتم من

(1) Timothy Gregory, *A History of Byzantium*. Chichester, 2005, p. 30.

(2) Giant 1,400-year-old wine press discovered in southern Israel, 15 February 2010. <http://www.dailymail.co.uk/news/article-1251146/1,400-year-old-wine-press-discovered-southern-israel.html>.

(3) H. B. Tristram, *The Land of Moab*. New York, 1873, p. 116.

(4) Conder, op. cit, p. 262.

خلاله جمع عصير العنب ، فكان يتم اختيار موقع المعصرة على طبقة من الصخور الصلبة سماكتها حوالي (١,٤٠ متر) ، وقد كان البناءون يفضلون أن يكون السطح الصخري الذي ستبنى عليه المعصرة مائلاً^(١) ، أو يقع عند أقدام الجبال وهي نقطة التقاء سفوح الجبال مع الأراضي السهلية^(٢) ، من أجل تسهيل عملية تدفق عصارة العنب من الحوض الاعلى الى الذي يليه عن طريق فرق المنسوب بينهما . اللوحة رقم (١٠)

٢- المعاصر التي تستخدم تقنية الكبس ، حيث يتم الكبس بمساعدة عمود لولبي مثبت في حوض واسع يرتبط بحوض أو حوضين لتجميع العصارة . اللوحة رقم (١١)

٣- المعاصر التي تستخدم تقنية العارضة الخشبية الضاغطة في حوض واسع مرتبط مع حوض عميق للتجميع . اللوحة رقم (١٢)

٤- المعاصر التي تعتمد تقنية اللي لعصر العنب ، حيث توضع عناقيد العنب في كيس يتم تثبيت احد طرفية ومن ثم لي الطرف الآخر حتى تسيل منه العصارة ويستمر بلي الكيس حتى يتم عصر العناقيد تماماً^(٣) ، وكان يتوجب على المزارع ان يقوم بتنظيف المعصرة قبل استخدامها .

(1) Hirschfeld, op. cit., p. 38; Conder, op. cit., p. 225.

إسماعيل أحمد ملحم ، معاصر عنب اليصيلة / دراسة مقارنة ، اشرف زيدون المحيسن ، رسالة ماجستير ، معهد الآثار والانثروبولوجيا ، جامعة اليرموك ، ١٩٩٢م ، ص ٦٧ ، وسيشار له فيما بعد ملحم ، معاصر عنب اليصيلة .

(2) Marwan Abu Khalaf, Ibrahim Abu A'mar, Salah Al-Houdalileh and Robert Hoyland, The Byzantine and Early Islamic Settlement of Khirbat Shuwayka.

<http://www.webjournal.unior.it/> 2 (2006), p. 69.

(٣) صلاح الهودلية ، معصرة العنب المكتشفة في ربة شويكة ، مجلة جامعة النجاح للابحاث ، العلوم الإنسانية ، المجلد ١٩ ، ٤ ، ٢٠٠٥م ، ص ١٢٥٧ ، وسيشار له فيما بعد ؛ الهودلية ، معصرة العنب .

الأجزاء الهامة في معصرة العنب:-

- أ - أماكن استقبال وتجميع العنب حال وصوله من الكروم بعد القطف ، ويربط بينها وبين الحوض الثاني عدد من الأخاديد تسيل من خلالها العصارة^(١) ، ويحفر هذا الجزء في الصخر بأبعاد (٢,٤ × ٠,٩ متر) .
- ب - أرضية العصر/ الهرس ، ويتم حفرها في الصخر بأبعاد (٨٠ × ٨٠ سم) وبعمق حوالي ٣٥ سم ، وهناك من قدر العمق ما بين ٤٠ إلى ٥٠ سم .
- ج - وعاء الجمع : يأتي في المرحلة الأخيرة من مراحل العصر حيث تصل إليه العصارة بعد أن تكون قد تخلصت من معظم الأجزاء الصلبة^(٢) .
- د - أرضيات جميع الأحواض مرصوفة بفسيفساء ذات لون أبيض وحجم كبير ، في حين أن بعض الأحواض مرصوفة بفسيفساء ذات ألوان أخرى ، وكانت الجدران تغطي بطبقة سميكة من القصاره الكلسية .
- هـ - حوض خاص يوجد به تجهيزات خاصة لعصر العنب بعد هرسه وإستخراج أكبر قدر ممكن من العصارة منه ، وقد أرجع علماء الآثار المعاصر التي يوجد بها هذا النوع من الأحواض إلى القرن السادس الميلادي ، حيث وجدت عدة أمثله على هذا النوع في فلسطين .
- و- وجود أنظمة خاصة لتصريف المياه التي تستعمل في تنظيف الأحواض بعد انتهاء عمليات العصر فيها^(٣) .
- ز- كانت جدران بعض المعاصر تبني بأنواع من الحجارة قد يصل عرض البعض منها إلى ٩٥ سم على شكل مداмик قد يصل ارتفاع الواحد منها إلى ١ م^(٤) .

(1) Abu Khalaf, et al., op. cit., pp. 69-72.

(2) Hirschfeld, op. cit., p. 39.

(٣) الطعاني : معصرة عنب ، ص ٢٠-٢١ .

(4) Abu Khalaf, et al., op. cit., pp. 69-70.

ح- أماكن لتخزين العنب بعد عصره ، وهي عبارة عن أبراج بمواصفات خاصة يتم بنائها بالقرب من معاصر العنب وهي لا تقل أهميتها عن أهمية المعصرة ذاتها ، حيث كان يتم إنفاق الكثير من الجهد والمال في البناء ، وذلك نظراً لأهمية استخدامها في خزن جرار عصير العنب فيها إما لفترة مؤقتة أو لفترة طويلة ، وغالباً ما كان استخدامها يأتي في المرحلة الثانية من مراحل إنتاج النبيذ ، وقد انتشرت هذه الأبراج في مناطق (النقب ، وغرب نابلس)^(١) ، وبالإضافة إلى الأبراج فقد استخدمت غرف ملحقة بالمعاصر لتخزين عصير العنب بشكل مؤقت من قبل صاحب المحصول الذي يملك مساحات واسعة من الأرض المزروعة بأشجار الكرمة ، حيث كان يقوم بتخزين جرار العصير بشكل مؤقت في تلك الغرف حتى ينتهي من قطف المحصول وعصره ثم يقوم بنقل الناتج إلى موقع التخمير بعد أن يدفع أجرة العصر من المنتج نفسه^(٢) ؛ أي كان صاحب المعصرة يأخذ أجرة من المادة المعصورة اللوحة رقم (١٣) .

ط- ذراع المكبس ، هي الذراع التي يتم بواسطتها ضغط الأوعية المحتوية على العنب المهروس ، فقد استخدمت بعض المعاصر ذراعاً واحداً في حين يفضل البعض أن تحتوي المعصرة على ذراعين للعصر أو زيادة طول ذراع المعصرة ، وذلك من أجل الحصول على أكبر كمية من العصير من أول عصرة ، إلا أن زيادة سماكة الذراع تعتبر أفضل ، أي أنه يصبح ثقيلاً ، ويتم ضغط الذراع لإستخراج العصير بواسطة حجارة مثقوبة من احد اطرافها ويتم تعليقها بطرف الذراع بواسطة حبال ، ويوجد لدى الباحث عينة من تلك الحجارة اللوحة رقم (١٤) المرفق ، وهذه العملية تعوض استخدام الذراع المزدوج ، وقد تطور ذراع العصر فيما بعد بحيث أصبح يثبت الذراع

(1) Edelson, op. cit., p. 72.

(2) Abu Khalaf, et al., op. cit., p. 72.

في وسط سقف المعصرة ، ويتعامد مع قاعدة المعصرة عن طريق لولب خشبي^(١) ؛ أي مكبس عمودي ، ويبدو ان معاصر العنب التي كانت تستخدم الذراع الخشبية كانت اقل انتشاراً من المعاصر الحجرية ، حيث ان اغلب معاصر العنب المكتشفة هي معاصر حجرية في حين ان المعصرة ذات البرغي الضاغط كانت ابتكاراً تكنولوجياً قليل الانتشار^(٢) .

ط - وجود قنوات تربط بين حجرات المعصرة المختلفة وتقوم هذه القنوات بنقل العصارة من مرحلة إلى أخرى من مراحل العصر ، وكان يتم غلق هذه القنوات في حال امتلاء أوعية التجميع منعاً للعصير من الانسكاب والضياع^(٣) .

بعد ذلك يترك العصير في أوعية الجمع بهدف أن تترسب الشوائب الموجودة به ليصفى ، ويتم بعد ذلك تعبئته في جرار خاصة للتخمير ، لتصنع منه أنواع خاصة من الخمر ، وكان يطلق على هذه الأوعية إسم خزانات التصفية^(٤) .

من خلال دراسة الطرق التي تُتبع في استخراج العصير في معاصر النبيذ يمكن استخلاص أن هنالك ثلاثة أنواع من العصير تنتج عن عمليات العصر وهي :-

أ - النوع الأول ينتج عن طريق كبس العنب المهروس بواسطة ثقل يتم به ضغط العنب على المسطحات لينساب منه عصير حلو المذاق ، يجمع في أحواض صغيرة موجودة في نهاية كل مسطح ، حيث ينتج منه نبيذ ذو سعر عالٍ

(1) Pliny, *Natural History*, Loeb Classical Library, vol. 5, pp. 387-389.

(2) Jeffreys, et al., op. cit., p. 401.

(3) Abu Khalaf, et al., op. cit., pp. 72-73.

(4) P. S. P. Handcock, *The Archaeology of the Holy Land*, 1st ed., London, 1916, p. 64.

وجودة عالية وهذا يعد للتصدير إلى المستهلكين الأغنياء ، وهو مخصص للتصدير .

ب - النوع الثاني ويستخرج عن طريق هرس العنب بالأرجل ، ويتم تجميع عصيره في حوض منفصل عن حوض العصر بواسطة قنوات ، وهو أقل جودة من الأول وهو مخصص للتصدير .

ج - النوع الثالث يتم عن طريق عصر العنب المهروس بواسطة المعصرة التي تستخدم العمود الخشبي ، وتصفية العصير في نفس الحوض ، وهذا النوع ذو جودة رديئة وهو مخصص للاستخدام المحلي^(١) .

د- أما مخلفات العنب بعد مراحل العصر السابقة فيتم جمعها وإضافة الماء إليها ، وتركها لمدة يوم ، ثم يعاد عصرها ، وينتج عن هذه المرحلة عصير ذو نوعية رديئة ، ثم يتم نشر البقايا وتجفيفها لاستخدامها علفاً للحيوانات^(٢) .

ويذكر عالم الآثار (ميتمان / Mittmann) ، أنه قد سجل في شمال الأردن وجود (٣٦٤) موقعاً أثرياً من بينها (٢٤٠) موقعاً احتوت على مخلفات بيزنطية ، تشير الى كثافة سكانية عالية مما أدى إلى التوسع في زراعة كروم العنب ، مما جعل منتجاتها تشكل عنصراً مهماً في إقتصاد المنطقة^(٣) ، وقد كشفت التنقيبات الاثرية عن واحدة من اهم وأكبر معاصر العنب في بلاد الشام في موقع اليصيلة الأثري في محافظة إربد / شمال الاردن ، وهذا يدل على حالة الاستقرار الأمني والعناية التي أولاها البيزنطيون لأنظمة المياه والري والزراعة ، وشبكات الطرق ، رافق ذلك نشاط سكاني واضح^(٤) .

(١) الطعاني : معصرة عنب ، فيما أورده عن المصدر الأصلي ، ص ١٩ ؛

Edelson, op. cit., p. 5.

(2) Abu Khalaf, et al., op., cit., p. 73.

(٣) الطعاني : معصرة عنب ، ص ١٩ ، فيما أورده عن المصدر الأصلي .

(٤) ملحم ، معاصر عنب اليصيلة ، ص ٥٣ ، ٦٧ .

ويشترط فيمن يقوم بأعمال الهرس ان تكون قدماه عاريتين ونظيفتين ، وأن يكون مرتديا ملابس تمتص عرق جسده ، حتى لا يختلط عرقه مع العصير إضافة الى منع تناول المأكولات والمشروبات أثناء العمل ، وعلى العامل ان لا يدوس عناقيد العنب بشدة ، وتكون عملية هرس العنب مصحوبة بالموسيقى ، كما كان العمال يحافظون على توازنهم بوضع أيديهم على اكتاف بعضهم البعض أو الامساك بحبال متدلّية من السقف او استخدام عصي خشبية ليستندوا عليها ^(١) اللوحة رقم (١٥) ، وتتم عملية التخمر على مرحلتين هما :-

- ١- مرحلة تخمر سريعة تتم فترة من ثلاثة أيام وحتى عشرين يوماً على درجة حرارة تتراوح ما بين (١٥ - ٢٠) درجة مئوية .
- ٢- مرحلة التخمر البطيء وتستغرق مدة طويلة أقلها (٤٠) أربعون يوماً في مكان بارد وتحت درجة حرارة ما بين (٦ - ١٢) درجة مئوية^(٢) .

صناعة زيت الزيتون:

تعتبر شجرة الزيتون من اهم اشجار حوض البحر المتوسط ، والتي اشتهرت بمقدرتها على النمو في المناطق المعتدلة والمناطق الجافة ، في حين انها لا تستطيع ان تنمو في المناطق الشمالية الباردة في اوربا وبالتالي اصبح نموها محصوراً في المناطق الجبلية المحيطة بحوض البحر المتوسط ، حيث تشتهر المناطق الواقعة على سيف الصحراء بزراعته^(٣) ، حيث ان زراعته لا تنجح في المناطق التي يزيد

(١) اليهودية ، معصرة العنب ، ص ١٢٥٧ - ١٢٥٨ .

(٢) المرجع نفسه ، ص ١٢٥٩ .

(3) John Salmon and Graham Shipley, *Human Landscapes in Classical Antiquity: Environment and Culture*, 2nd ed., New York, 2003, pp. 213-218.

ارتفاعها عن (٨٠٠ متر عن سطح البحر) ، فعلى الساحل الشمالي للبحر المتوسط نجد ان حزام زراعة الزيتون يحاذي ساحل البحر مع بعض التوغل القليل الى الداخل باستثناء ايطاليا حيث تمتد مناطق زراعة الزيتون حتى تصل الى سفوح جبال (الابينين / Apennines) ولا تتجاوزها شمالاً ، أما في اسبانيا فتتعمق زراعة حتى تصل الى منطقة (وادي إبرو / Ebro valley) ، وفي منطقة البلقان نجد ان الزيتون لا يتجاوز المناطق الواقعة شمال سهول مقدونيا (١) ، وبسبب ملائمتها لمناخ حوض البحر المتوسط فقد انتشرت زراعة الزيتون في المناطق الغربية للبحر المتوسط في المنطقة بشكل كبير ، ويمكن ارجاع الدور في انتشار الزيتون وثقافته في غرب البحر المتوسط الى المستعمرات اليونانية والفينيقية^(٢) اللوحة رقم (١٦) .

عرف في الاراضي البيزنطية انواع مختلفة من الزيوت التي استخدمت في الحياة اليومية للسكان ومن هذه الزيوت بل وأهمها على الاطلاق كان ولا يزال زيت الزيتون ، والذي تعد شجرة الزيتون المصدر الوحيد لإنتاجه ، ومن الأنواع الأخرى من الزيوت الى جانب زيت الزيتون هناك زيت بذور الكتان الذي عُرف في المناطق الباردة من الاراضي البيزنطية وكذلك زيت السمسم وجميع هذه الزيوت كانت تستخرج بعد هرس البذور وعصرها في معاصر خاصة^(٣) .

يعد الزيتون وما يتفرع عنه من صناعات مختلفة من أهم المحاصيل الزراعية في بلاد الشام ومنطقة حوض البحر المتوسط^(٤) ، وليس أدل على ذلك

(1) Peter Gransey, *Food and Society in Classical Antiquity*. New York, 1999, p. 14.

(2) Salmon and Shipley, op.. cit., pp. 213-218.

(3) Jeffreys, et al., op. cit., p. 401.

(4) Simon Hornblower and Antony Spawforth, eds., *Olive. Oxford Classical Dictionary*, 4th ed, 2012, p. 1031.

من وجود بقايا لثمار الزيتون ومعاصرة في العديد من مناطق بلاد الشام وفي بلدان حوض البحر الأبيض المتوسط ، حتى انها اعتبرت شجرة مقدسة في الأديان الوثنية القديمة ، وخصوصاً اليونان اللذين ربطوا شجرة الزيتون بولادة الإلهين (أبولو و أرتميس) ، كما عُدَّ المسح به طقساً دينياً عند اليهود والمسيحيين ، وأورد القرآن الكريم ذكر شجرة الزيتون ووصفها بأنها شجرة مباركة^(١) ، وقد تراوحت أنواع الزيتون التي ذكرها المؤرخون ما بين ثلاثة الى خمسة عشر نوعاً^(٢) ، وقد بينت الحفريات الأثرية أنه كانت هنالك معاصر زيتون تتبع للجيش الروماني وهذا يبين بأنه كان للجيش منشآت خاصة به كما هو الحال بالنسبة لمعاصر النبيذ التي كانت تتبع الأديرة^(٣) .

تقنيات عصر الزيتون

انتشرت معاصر الزيتون في بلاد الشام في جميع المناطق التي زرعت فيها هذه الأشجار ، ففي المنطقة الواقعة الى الشرقي من مدينة حمص - شمال سوريا حالياً - وجدت معاصر زيتون مصنوعة من حجر البازلت والتي لاتزال بقاياها موجودة حتى الآن^(٤) ، كما اشتهرت الزيوت التي تنتج في مناطق الساحل اللبناني والفلسطيني برائحتها العطرة وهذا يعود الى نوع التربة

(١) القرآن الكريم ، سورة النور ، الآية ٢٣ .

(٢) حتي : تاريخ سورية ، ص ٣٢٢ . أبو الفرج العث ، معرض الزيتون في طرطوس عام ١٩٥٣ م ، الحوليات الأثرية السورية ، المجلد ٣ ، الجزء ٣+٢ ، ١٩٥٣ م ، ص ١٥٧ - ١٥٨ ، ١٥٩ - ١٦٠ ؛ وسيشار له فيما بعد : العث ، معرض الزيتون .

(3) Isaac, op. cit., p. 130.

(4) Edmund Bouchier, *Syria as a Roman Province*. Oxford, 1916, pp. 164-165.

والمناخ^(١)، ومن أنواع زيت الزيتون المشهورة في بلاد الشام الزيت الركابي^(٢). كشفت الحفريات الأثرية في الأردن عن أعداد كثيرة من معاصر الزيتون ففي خربة جلعاد إلى الشمال الشرقي من مدينة السلط - إحدى مدن محافظة البلقاء في وسط الأردن - كشفت التنقيبات الأثرية عن بقايا معصرة زيتون تمتاز بسعة مساحتها (حوالي ٤٠٠ متر مربع)، وهذا دليل على توفر وكثافة أشجار الزيتون في المنطقة في العصرين الروماني والبيزنطي، ويمكن اعتبار هذه المعصرة واحدة من أكبر معاصر الزيتون في الأردن، أي أنها كانت تنتج الزيت بكميات تجارية في حين كانت المعاصر ذات الإنتاج المتوسط تخدم قرية أو تجمع سكني محدود مثل معصرة (زقريط) في جرش، والتي يعود تاريخها إلى القرنين الخامس والسادس الميلاديين، كما وجدت معصرة في موقع (خربة السوق) في منطقة وادي شعيب جنوب غرب مدينة السلط وهي تشبه في تصميمها معصرة جلعاد^(٣) اللوحة رقم (١٧).

وصف معصرة الزيتون المكتشفة في جلعاد^(٤)

وصف المنقبون الاثريون معصرة الزيتون المكتشفة في جلعاد على النحو الآتي :-

أ - وحدة العصر، و يوجد في المعصرة أكثر من وحدة من وحدات عصر

(1) Bouchier, op. cit., p. 165.

(٢) القزويني: آثار البلاد، ص ٢٠٦.

(٣) سعد الحديدي وإسماعيل ملحم، معصرة زيتون في جلعاد / السلط، حولية دائرة الآثار العامة، المجلد ٤٢، دائرة الآثار العامة، عمان، الأردن، ١٩٩٨ م. ص ١٥، ١٨، وسيشار له فيما بعد، الحديدي، معصرة زيتون في جلعاد.

(٤) منطقة زراعية واسعة تقع الى الشمال من مدينة السلط وتشتهر بزراعة الزيتون وكروم العنب والعديد من المنتجات الزراعية الاخرى.

الزيتون ، ويتم الهرس بواسطة حجر القصعة ، وحجر البد حيث يوضع الزيتون في حوض حجر القصعة ، ويبدأ حجر البد الواقف بالدوران عليه لهرس الزيتون ، ويدور حجر البد بواسطة عمود خشبي مثبت في وسط حجر القصعة يتصل بذراع جانبي بحجر البد ، ويدور حجر البد عن طريق تدوير الحجر بواسطة ذراع خشبي هو امتداد للذراع المرتبط بطرفه الآخر حجر البد ، ويتم التدوير إما عن طريق شخص يقوم بالتدوير أو عن طريق حيوان^(١) .

ب - موضع العصر وهو عبارة عن بئر لتجميع الزيت يبلغ عمقه حوالي ١٤٠ سم .

ج - قاعدة تثبيت العارضة الخشبية التي تستخدم في عصر الزيتون .

د- الأثقال الحجرية التي تستخدم في تثقيب العارضة الخشبية أثناء عملية العصر ، وهي نفس الأثقال التي تستخدم في عصر العنب .

هـ - وحدة عصر مستقلة لعصر الزيتون الذي سبق عصره عن طريق إضافة الماء الساخن .

و- أحواض استقبال الزيت بعد عصره مباشرة ، حيث يستقبل الأول عصارة الزيتون المتدفقة من المكبس مباشرة ويرسب الشوائب ، في حين يستقبل الثاني الزيت الصافي .

ز- حجرات التخزين التي يبلغ عددها في المعصرة (٢٨) ثمانية وعشرون حجرة ، أبعاد كل حجرة منها ١٣٠ سم × ١٧٥ سم .

وقد استخلص خبراء الآثار من دراسة تركيب معصرة جلعاد بأن المنطقة

(١) الحديدي وملحم ، معصرة زيتون في جلعاد ، ص ١٥ ؛ موسى الصمادي / إسماعيل ملحم ،

١٩٩٧م ، معصرة زيتون (زقريط) جرش ، حولية دائرة الآثار العامة ، مجلد ٤١ ، عمان ، ص ١٠ ،

وسيشار له فيما بعد ، الصمادي وملحم ، معصرة زقريط .

كانت تحوي على كثافة شجرية كبيرة من أشجار الزيتون في العصرين الروماني والبيزنطي .

ويمكن تلخيص آلية عمل المعصرة على النحو الآتي :

- أ - بعد هرس الزيتون يتم وضعه في سلال خاصة .
- ب - يتم وضع صفيحة من الخشب فوق حوض العصر حيث يتم وضع السلال المملوءة بالزيتون المهروس فوقها .
- ج - بعد ترتيب السلال فوق بعضها البعض يتم وضع لوحة خشبية فوقها .
- د - بعد ذلك يتم ضغط السلال بواسطة عارضة طويلة مثبت أحد طرفيها داخل فتحة في جدار المعصرة ، أما الطرف الآخر فيحمل بأثقال من الحجارة ، لإستخراج أكبر قدر من الزيت .
- هـ - يتم تجميع الزيت في بئر مخصصة لذلك .

و- بعد تجميع الزيت في البئر يتم إضافة ماء إلى البئر ، لكي يرتفع الزيت إلى الأعلى ، ومن ثم ينقل الزيت إلى جرار التخزين التي تحفظ في حجرات التخزين الموجودة في المعصرة⁽¹⁾ ، وقد بين المؤرخون اللذين تخصصوا في تاريخ النبات بأن الماء الناتج عن عصر الزيتون له نتائج مدمرة على الاراضي في حال ترك يتدفق فيها دون ضوابط ، إضافة الى رائحته الكريهة⁽²⁾ ، والزيت الذي يتم عصره في هذه المرحلة من أجود أنواع زيت الزيتون ، وقد إكتشفت في منطقة (خربة زقريط) في جرش معصرة للزيتون تختلف في تفاصيلها عن معصرة جلعاد إلا أن مبدأ العمل في المعصرتين هو نفسه وإن كانت طبيعة الأرض في معصرة جرش تحتم وجود أدراج محفورة في الصخر؛ إضافة إلى وجود بئر ماء ملحق به أحواض لغسل الزيتون قبل

(1) الحديدي : معصرة زيتون في جلعاد ، ص ١٥ - ٢١ .

(2) Michael Niaounakis and Constantinos Halvadakis, *Olive Processing Waste Management*.

Amsterdam, 2006, p. 65.

عصره ، وفي هذه المعصرة نوعان من المعاصر الفرعية إحداهما معصرة بواسطة العارضة الضاغطة ، والأخرى معصرة بواسطة لولب ضاغط بشكل عمودي مباشر ، حيث يتم تثبيت العمود اللولب بواسطة خشبتين مثبتتين في كوتين جانبيتين لحجرة العصر الدائرية الشكل حيث يتم وضع سلال الزيتون المهروس فوق بعضها البعض تحت لوح خشبي دائري يتصل بالعمود الضاغط فعند تدوير الجزء العلوي من العمود يتم ضغط سلال الزيتون لينساب الزيت منها بشكل تدريجي عبر القنوات الشعاعية الموجودة في أسفل حجرة العصر لتتجمع وتنساب إلى حجرة الجمع^(١) اللوحة رقم (١٨) .

إمتدت استخدامات زيت الزيتون المنتج في بلاد الشام إلى إستخدامه في الإنارة ، لذلك إنتشرت صناعة قناديل الزيت ، والسُرج الفخارية التي إستخدمت في المنازل والقصور والأماكن العامة^(٢) ، كما كانت الزيوت المنتجة في المئات من معاصر الزيتون التي كانت منتشرة في مختلف مدن بلاد الشام تصدّر إلى مختلف مناطق الإمبراطورية البيزنطية وحتى إيطاليا^(٣) ، وكانت صادرات بلاد الشام تتألف إضافة الى زيت الزيتون من بعض أنواع الزيوت التي كانت تنتجها مدن بلاد الشام مثل زيت السمسم^(٤) ، الذي كان ينتج في المنطقة الواقعة الى الشمال من مدينة دمشق ، وفي سهل مرج بن عامر أشهر المناطق الزراعية في بلاد الشام عموماً ، وفلسطين بوجه خاص ، ومن الزيوت التي كانت تصدر أيضاً من بلاد الشام زيت الزنابق/الليلك الذي كان يستخدم

(١) الصمادي وملحم : معصرة زقريط ، ص ٥ - ١١ .

(٢) فوزي عبيدات : غور الأردن ، ص ١٢٨ .

(3) Bouchier, op. cit. p. 165.

(4) Dorothea Bedigian, History and Lore of Sesame in Southwest Asia. *Economic Botany* 58.3 (2004), pp. 334-335.

في صنع العطور ، وكان يسمى زيت سوريا ، وبعض أنواع الزيوت العطرية الاخرى^(١) ، ويجدر التنويه هنا بأن أسعار زيت الزيتون كانت أعلى من أسعار النبيذ بغض النظر عن زمن البيع أو نوعية الزيت^(٢) .

وجدت تقنيات أخرى لعصر الزيتون في بلاد الشام ويمكن اعتبار البعض منها تطوراً كبيراً في تقنية العصر واستخراج زيت الزيتون ، ومن أهم هذه التقنيات والتي وجدت في لبنان - والتي كان الفضل في تعريفها الى نايل ابو شقرا والذي زود الباحث بكتاب حديث ولكنه يعتبر نادر عن تقنيات عصر الزيتون في لبنان والمسمى (المطروف ، المدرس والباقوف حلو أو مر)^(٣) .

الفقش - حيث يدق الزيتون الموضوع في جرن بواسطة مدقة خشبية ، ثم يفرغ محتواه في وعاء صغير ويضاف عليه بعد ذلك ماء فاتر ويحرك الخليط بواسطة المدقة حيث يغرق النوى ويطفو اللب في الأعلى ليتم جمعه بواسطة اليد ، ويسكب السائل المكون من الماء والزيت في وعاء آخر ، أما اللب الموضوع في جرن آخر فيضاف فوقه ماء ويعاد دقه في الجرن ، ثم يجمع اللب ويعصر بواسطة قبضات الأيدي ، أما الأوعية التي تحوي الماء والزيت فيتم شطف الزيت العائم على سطح الماء بواسطة كف اليد ويسمى زيت الطفاح ، وهو عذب جداً .

المطروف - وهو عبارة عن آلة لهرس الزيتون ولكن بدون كسر النوى ، والتي يمكن ان تشبه اليوم بالخلاط الكهربائي ، ويوصف كمايلي « يتألف من قسمين ، قسم ثابت وهو جرن حجري يدور في وسطه شفتين متعاكستين على شكل سيوف متحركتين مثبتتين على محور عمودي يدار بقوة الماء وبالتالي فهي تشبه

(1) Bouchier, op. cit., pp. 163-165.

(2) Cécile Morrisson and Jean-Claude Cheynet, Prices and Wages in the Byzantine World. In

Laiou, ed., op. cit., p. 838.

(٣) محب نادر ، المطروف ، المدرس والباقوف حلو أو مر ، تقديم روبرير كريسيويل ، ط ١ ، دار الحدائنة ،

بيروت ، ٢٠٠٨م ، وسيشار له فيما بعد : محب شانه شاز ، المطروف .

من حيث مصدر القوة اية طاحونة مائية ، اما الجرن فهو مجوف وجوانبة الداخلية معقوفة ومجوفة تضيق عند الفوهة ، أما القعر فهو مستقيم غالباً أو قليل القعر وذلك تبعاً لشكل السيوف فيقوم تعقيب الجوانب بتوجيه اللب والنوى نحو وسط الجهاز أثناء الدوران والمعالجة ، حيث يساهم السيفان المتراكبين والمتصالبين في في خفق اللب والنوى في الاتجاهين الافقي والعمودي في نفس الوقت ، فيقوم السيف العلوي بتمزيق القشر واللب بضربات جانبية في حين يقوم السيف السفلي وسطح قعر الجرن بنزع اللب عن النوى ، اما عملية العصر فتتم من خلال وضع اللب المخلوط بالنوى السليم في قفاف ليتم عصرها اما من خلال الذراع الضاغط المثقل بالحجارة أو من خلال المكبس العمودي . اللوحة رقم (١٩) .

الدهس بواسطة الأرجل - وهي طريقة موجودة أصلاً في جزيرة كورسيكا الايطالية ، حيث يعبأ الزيتون في كيس كبير مصنوع من صوف الخراف أو وبر الماعز حيث يوضع الكيس داخل حوض محفور في جذع شجرة كستناء ، ثم يدهس بالأرجل ، ومن ثم يقوم رجلان بعصره فيما بينهما من خلال تمرير عصا خشبية في حاشية كل طرف من طرفي الكيس لتسهيا عملية العصر وتعاد هذه العملية مرة أخرى ثم يثقل الكيس بلوح ثقيل وحجارة وذلك لعصر ما تبقى من زيت ، فيسيل الزيت في الحوض وينتهي في وعاء من خلال ثقب مخصص لذلك ، وتتواصل هذه العملية حتى يصبح النوى عارياً تماماً^(١) .

٣- صناعة طحن الحبوب : تعتبر الحبوب من اهم مصادر الغذاء عند الانسان منذ أقدم العصور وحتى الآن خاصة لصناعة الخبز الذي يعتبر مصدر هام للغذاء , الا ان هذه الحبوب تحتاج الى الطحن لصناعة الدقيق الذي يصنع منه الخبز ، وقد كانت عملية الطحن تتم بداية بوضع الحبوب على سطح صلب وطحنها بواسطة حجر آخر يتحرك فوقها الى الأمام والخلف او بوضعها داخل

(١) محب ، المطروف ، ص ١٤-١٧ ، ٤١ .

(رها حجري) لتطحن الحبوب بالدرف بواسطة يد خشبية او من الحجر^(١) .
نظراً لإشتهار أجزاء كثيرة من بلاد الشام بزراعة الحبوب ، فقد عرفت انواع
مختلفة من المطاحن في الامبراطورية الرومانية ، ومن هذه الأنواع :-
أ - المطحنة اليدوية :- وهي تتألف من قطعتين دائريتين من الحجارة البازلتية مع
وجود فتحة في منتصف الحجر السفلي لتثبيت قطعة خشبية تقوم مقام
المحور الذي يدور حوله الحجر العلوي ، وفتحتين في الحجر العلوي احدهما
على جانب الحجر لتثبيت قطعة خشبية تستخدم كيد لإدارة الحجر العلوي
فوق الحجر السفلي والأخرى في وسطه ولكنها اوسع من الفتحة الموجودة
في الحجر السفلي وذلك من أجل صب الحبوب المراد طحنها ، وبعد طحن
الحبوب بين الحجرين يخرج الدقيق المطون من جوانب المطحنة الشكل رقم
(٢٠) .

ب - مطحنة الساعة الرملية :- وقد اخذت اسمها من شكل الساعة الرملية
التي ينتقل فيها الرمل من الحجرة العلوية الى الحجرة السفلية ، ولكن في
هذا النوع من المطاحن تنتقل الحبوب المراد طحنها من الحجرة العلوية في
المطحنة الى الحجرة السفلية من خلال حجر المطحنة الذي يقوم بطحن
الحبوب ، ويتم تدوير هذا النوع من المطاحن بواسطة شخص أو حيوان يقوم
بإدارة حجر المطحنة ، وفي مراحل متأخرة استخدمت قوة الماء والرياح في
إدارة المطحنة^(٢) اللوحة رقم (٢١) .

ج- طواحين تدار بقوة الماء :- تعتبر طواحين الماء من الانظمة الهيدروليكية
الهامة - الى جانب مضخات الماء - التي تم اكتشافها من قبل اليونان ، وقد
كان هنالك نوعين من الطواحين وذلك تبعا لموقع عجلة الماء ، ظهرت هذه
الطواحين في بداية العصر البيزنطي في فلسطين ، في قيسارية ، كما كانت

(1) John Humphrey, *Ancient Technology*. Westport, 2006, pp. 25-26.

(2) Jeffreys, et al., op. cit., p. 402.

من المعالم المهمة في في المدن في الجزء الشرقي من الامبراطورية البيزنطية مثل (دارا وأمد) .

وتقسم طواحين الماء الى نوعين من الطواحين هما :-

أ - نوع ذو دولاب واحد وهذا النوع يتلقى الماء بطريقتين :-

(١) - نوع يدار بالماء من أعلى : وهي تدار بقوة الماء المتساقط على دولاب

المطحنة من الأعلى فتنتقل قوة الدوران بواسطة محور أفقي الى حجر

الطحن .

(٢) - نوع يدار بالماء من الأسفل : حيث يجري الماء أسفل دولاب المطحنة

لتنقل القوة عن طريق محور أفقي الى حجر الطحن .

ب - نوع متعدد الدواليب وقد تم اكتشافه في منطقة قيسارية شمال فلسطين ،

وقد اصبح هذا النوع من الطواحين منتشراً في نهاية العصر البيزنطي^(١) ،

اللوحة رقم (٢٢) .

٤ - تقطير ماء الورد : نظراً لاشتهار دمشق بالبساتين فقد اشتهرت بزراعة الورد

والرياحين على إختلاف أصنافها ، وقد زرع اليونان في فترات سابقة سفح

جبل قاسيون بالرياحين والأزهار ذلك أنه عند مرور الهواء فوق تلك

المناطق ، فإنه يقوي الأجسام ويريح النفوس بما يحمله منها من طيب الروائح

التي يستمتع بها من يسكن أسفل الجبل من سكان دمشق ، التي اشتهرت

بزراعة الورد ولاسيما الورد الجوري ؛ الذي يستخرج منه ماء الورد الذي

اشتهرت به منطقة الزبداني التي سميت بقلعة الورد لكثرة ما بها من

الجنائن والبساتين^(٢) .

٤- صناعة عصر قصب السكر : - يعد انتاج السكر من أهم النشاطات

الاقتصادية في منطقة وادي الأردن خلال العصور الوسطى ، وتدل الآثار

(1) Jeffreys, et al., op. cit., p. 403; Mays, op. cit., pp. 132-135.

(٢) البدرى , نزهة الأنام ، ص ١٠٢ - ١٠٥ ، ١١٨ .

المكتشفة في منطقة طواحين السكر الواقعة في غور الصافي إلى الشرق من البحر الميت دلالة واضحة على اشتهار المنطقة بزراعة وانتاج السكر ، وذلك من خلال بقايا المباني ومعاصر السكر الموجودة في المنطقة والمتمثلة بـ (قنوات جر المياه ، المعاصر ، مباني الطواحين ، المصافي ، الافران ، المطابخ ومستودعات التخزين)^(١) ، فعلى إمتداد هذه المناطق وجدت آثار واضحة تدل على معاصر قصب السكر ، وقد سميت بعض المناطق بأسماء تدل على إشتهارها بإنتاج السكر مثل : تل / وادي السكر الذي كان ينقل إنتاجه إلى مناطق كثيرة من بلاد الشرق^(٢) ، كما استمرت منطقة غور الاردن كإحدى المناطق القليلة في حوض البحر المتوسط كمصدر مهم لزراعة القصب وإنتاج السكر حتى عام ١٢٦٠م عندما اجتاح المغول المنطقة لتنتقل بعدها زراعة وصناعة السكر الى جزيرة صقلية واسبانيا^(٣) ، ولا يزال قصب السكر يزرع في منطقة غور الأردن حتى اليوم .

(1) HamdanTaha, Some Aspects of Sugar Production in Jericho, Jordan Valley. In: Eva Kap-
tijn and Lucas Petit, eds., *A Timeless vale: Archaeological and related Essays on the Jordan Valley in honour of Gerrit van der Kooij on the Occasion of this Sixty-fifth Birthday*.
Leiden, 2009, p. 181.

(٢) صالح الحمارنة ، زراعة قصب السكر وصناعته عند العرب والمسلمين ، حولية دائرة الآثار الأردنية ،
١٩٧٧ - ١٩٧٨م ، عمان ، العدد ٢٢ ، ص ١٢-١٩ ، وسيشار له فيما بعد ، حمارنة ، زراعة قصب
السكر ؛

Eric Meyers, *The Oxford Encyclopedia of Archaeology in the Near East*, 2nd ed. Ox-
ford: vol. 1, pp. 250, 294.

(3) Mauro Van Aken, Rémy Courcier and Jean-Philippe Venot, *Historical Trajectory of a River Basin in the Middle East. The Lower Jordan River Basin (in Jordan)*. Amman, 2007, p. 39.

وقد كشفت المسوحات والتنقيبات الأثرية في وادي الأردن عن مواقع عديدة قامت فيها صناعة السكر يوماً ، ومن أهم تلك المواقع تل السكر ، وفيه معصرتان للسكر ، الأولى في الجهة الشماليّة والثانية في الجهة الشماليّة الشرقيّة . وتتكون المعصرة التي كانت تدار بشلال ماء منحدر من طبقة فحل ينبع من وادي الجرم ، من بناء واسع معقود على ارتفاع يقارب مترين ، مبني من الحجارة بشكل منتظم ، وتقوم المعصرة الرئيسة في الوسط ، وتتكون من حجر العصر الدائري ، وفي جانبه ثقب ينساب منه السائل ، وآخر في الوسط لتحريك الدولاب ، أما بقايا مجرى المياه فقد وجدت داخل البناء المعقود من زاويته الشرقيّة ، حيث توجد ترسبات كلسية على الجدار الشرقي الملازم لمجرى المياه ، الأمر الذي يدل على مرور المياه من هذا الاتجاه ، هذا ، وقد عثر على العديد من الكسر الفخاريّة السميكة من أوان من النوع المسمى أواني السكر ، محتوية على شوائب متوسطة الحجم من البازلت والحجر الجيري^(١) .

مراحل إنتاج السكر :- تتشابه معاصر قصب السكر مع طواحين الحبوب بأنها كانت تبني مجاورة لمجاري المياه سواء كانت مياه الينابيع أو الأنهار وذلك للاستفادة من قوة الماء في تدوير دولاب المعصرة للمساعدة في هرس أعواد القصب لإستخراج العصارة منها ، ففي منطقة طواحين السكر تستمد المعصرة قوتها من الدولاب المائي الذي يدار بقوة تيار الماء الواصل اليه عبر القناة القادمة من كل من ينابيع (عين نعيممة وعين الديوك) ، وفي وصف لمنطقة طواحين السكر ، يبين المؤلف بأن المنطقة تنقسم الى ثلاثة اماكن هي :-

النظام المائي : وهو النظام الذي يوصل الماء عبر قنوات مائية من المنابع الى الدولاب الذي يعتبر مصدر القوة التي تدير المطحنة التي تطحن بواسطتها اعواد القصب تمهيدا لعصرها واستخراج العصارة التي يصنع منها السكر ، فحجر

(١) ربي أبو دلو ، معاصر السكر في وادي الأردن مقال ضمن كتاب - التواضع والصبر دراسات أثرية ،

كلية الآثار ، جامعة اليرموك ، ٢٠٠٩ م . وسيشار له فيما بعد : أبو دلو ، معاصر السكر .

الطحن أو العصر يحركه دولاب مياه مصنوع من الخشب الصلب والحديد الذي تحركه المياه الواصلة اليه بثلاث طرق :

أ- التدفق من فوهة قناة أفقيّة مرتفعة يختلف ارتفاعها باختلاف مستوى منسوب المياه الذي يأتيها من النبع أو الوادي . وتقع قوة المياه المتدفقة مباشرة على حجر الطحن أو العصر ، ويتناسب ارتفاع منسوب المياه تناسباً طردياً مع قوة دفع المياه .

ب- التدفق من مرتفع ليمر عبر قناة معلقة لتنزل من فوهة القناة مباشرة فوق دولاب المياه المثبت بشكل عمودي .

ج- المياه الجارية بقوة عالية في النهر أو الوادي من أسفل دولاب المياه المثبت بشكل عمودي .

أما قوة المياه المتدفقة في الحالة الأولى أو الثانية فهي قوة غير مباشرة ، حيث تحرك المياه الدولاب العمودي الذي يحرك بدوره الدولاب الأفقي الذي يحرك حجر العصر عن طريق الدواليب المسننة . وتعتمد سرعة حجر العصر على كمية المياه المتدفقة وقوة دفعها وسرعتها ، وعلى دواليب المياه ونوعها ، ووزن حجر العصر (١) .

ب - الارض الزراعية والتي تمثل مصدر انتاج القصب اللازم لإنتاج السكر .

ج- المصفاة / المعصرة : يتم بناء جدران المعصرة من حجارة مربعة ، اما في تصميمها فهي عبارة عن خمسة مصاطب ذات مساحات واسعة مبنية بشكل مائل اسفل الانبوب الذي يخرج منه العصير الناتج عن عملية العصر ، وتبلغ مساحة الفناء الذي يتبع للمعصرة ويستقبل فيه أحمال الحيوانات من القصب حوالي ١٨ × ٣٨ متر ، وكان القصب يقطع الى قطع

(١) ربي أحمد أبو دلو ، معاصر السكر في غور الأردن في القرنين الثاني عشر والرابع عشر الميلاديين في

ضوء المصادر التاريخية والمكتشفات الأثرية ، إشراف صالح ساري ، رسالة ماجستير غير منشورة ،

جامعة اليرموك ، إربد ، ١٩٩١ م .

صغيرة ثم يغسل قبل هرسه ، بعد عملية الهرس يوضع القصب في سلال شبكية ويتم نقله الى المكبس حيث يعصر حتى آخر قطرة ، وتتمثل اول عملية تصفية لعصير القصب بإزالة الاجزاء الكبيرة من أعواد القصب التي تطفو على سطح العصارة ، بعد ذلك وعندما يتدفق العصير عبر الثقب الواقع في اسفل المعصرة فإنه يتم ايضا التخلص من الاجزاء الصغيرة ال موجودة في العصارة .

د- غلي العصير الناتج لزيادة تركيزة .

هـ- تصفية العصارة الناتجة والتخلص من كمية الماء الموجوده فيها .

و- فصل وجمع بلورات السكر من الاوعية^(١) اللوحة رقم (٢١) .

وقد وصف النويري في كتابه نهاية الارب في فنون الأدب عملية عصر القصب واستخراج السكر منه وصفاً دقيقاً^(٢) اللوحة رقم (٢٣) .

٦- تقنية حفظ المواد الغذائية : نظراً لعدم توفر تقنيات حفظ الاطعمة كما هو الحال الآن وبسبب ان المنتجات الزراعية والحيوانية كانت تتوفر للناس بشكل موسمي ، فقد اتبعت اساليب مختلفة في حفظ الأطعمة ، وخاصة لفصل الشتاء و من هذه الاساليب والتي لاتزال متبعة حتى الآن (التمليح ، التجفيف ، التدخين ، التخليل ، صنع المربى ، الحفظ بالنبيذ ، الحفظ بالخل ، الحفظ بالعسل ، الحفظ بالزيت) وقد كان الزيتون وزيته على رأس هذه المنتجات^(٣) .

(1) Taha, op. cit. pp. 185-186.

(٢) شهاب الدين أحمد بن عبد الله النويري ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، ٣٣ ج ، تحقيق علي بو ملحم ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠٤ م ، ج٨ ، ص ١٩٢ - ١٩٧ ؛ وسيشار له فيما بعد : النويري ، فنون الأدب .

(3) Salmon and Shipley, op. cit. p. 222.

ومن طرق التي اتبعت في حفظ الاغذية صناعة الأجبان والزبدة والتي كانت تتبع من اجل المحافظة على كميات الحليب الزائدة عن الاستهلاك اليومي من الفساد بسبب عدم رغبة الرومان في شرب كميات كبيرة من الحليب الطازج ، ومن انواع الأجبان التي يتم صنعها (الجبنة الطازجة الطرية والجبنة الصلبة الجافة) والتي كانت تصنع بنكهات مختلفة كوضع (حبة من الصنوبر أو وضع الزعتر أو أي نكهة يرغبها الشخص في الحليب أثناء الغلي وكان يصنع ايضا ما يسمى الآن بالجميد ، ولم تكن جميع أوقات العام تصلح لصنع الاجبان ، فقد كان الوقت المناسب هو من بداية شهر أيار وحتى منتصف شهر تموز ويبدأ وقت التصنيع منذ الصباح الباكر وحتى فترة ما بعد الظهر⁽¹⁾ ، وكانت هذه المنتجات من السلع المهمة على قائمة التجارة البيزنطية حيث كانت تتداول في معظم الاسواق التجارية ضمن اراضي الامبراطورية البيزنطية⁽²⁾ ، كما أنها ضمن قائمة البضائع التي كانت تصدر من بلاد الشام الى أسواق مصر إضافة الى زيت الزيتون ، السمك المدخن - من طرق حفظ السمك - ، اللحم ، التين المجفف ، الفواكه ، التمور والعسل⁽³⁾ ، وكان سوق الجبن يعقد في آخر يوم من الشهر⁽⁴⁾ .

(1) Robert Curtis, *Ancient Food Technology*, Leiden, 2001 , pp. 235-238, 400-402.

(2) Magdalion op. cit., p. 114.

(3) Sean Freyne, *Galilee from Alexander the Great to Hadrian*. South Bend, 1980, pp. 105-106.

(4) Robert Garland, *Daily Life of the Ancient Greeks*. 2nd ed. Portsmouth, 2009, p. 42.

الخلاصة

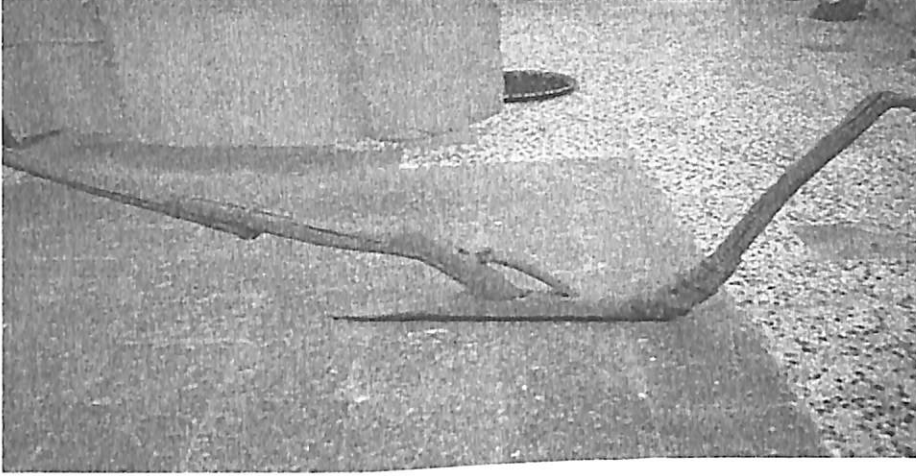
لا يمكن أن ينفرد عصر من العصور بأدوات زراعية عن غيره ، حيث أن إستخدام نوع معين من الأدوات لا يمكن أن ينقرض فجأة إلا إذا انقرض الشعب الذي يستخدمه ، أما بلاد الشام فهي غير ذلك ؛ فهي منطقة أهلة بالسكان منذ أقدم العصور ولا زالت ، وفيما يتعلق بالأدوات الزراعية التي إستخدمتها الشعوب التي سكنتها منذ أزمنه بعيدة فلا يزال أغلبها يستخدم حتى الآن - مع إجراء تعديلات طفيفة عليها ، فمثلاً أصبح المحراث اليدوي في أغلب أجزائه مصنوعاً من الحديد بدلاً من الخشب - خاصة في مناطق الريف ، وهو من أهم ما قام الإنسان باختراعه في سبيل تحسين الإنتاج الزراعي وتطويره واستصلاح الأراضي ، لذلك فقد تدرج الإنسان في إستخدام تلك الأدوات بحسب الفترة الزمنية التي عاشها ومكان عيشه ، اضافة الى استخدام ادوات ساعدت في تسهيل امور الحياة اليومية وخاصة ما يتعلق منها بتوفير الغذاء مثل معاصر العنب والزيتون ومطاحن الحبوب ، كما استخدم المزارعون أدوات زراعية جعلتهم يطوروا زراعاتهم بشكل مكنهم من إنتاج محاصيل بشكل تجاري ، وقد عدت أدوات الحراثة والري والعصر والطحن من أهم الأدوات التي استخدمها المزارعون في بلاد الشام على مر العصور ، فبالرغم من التطورات التي طرأت على تلك الادوات الا ان الكثير منها لا يزال مستخدماً حتى الآن مع بعض التعديلات التي طرأت عليها من حيث المكونات او مصدر القوة ، علماً بأن الاغلب منها احتفظ بنفس الشكل القديم ، فلا تزال نواعير المياه تستخدم وتصنع في حماه ومطاحن الحبوب اليدوية المصنوعة من البازلت تستخدم في أجزاء كثيرة من بلاد الشام خصوصاً في الريف والبادية .

من ذلك كله نخلص الى :

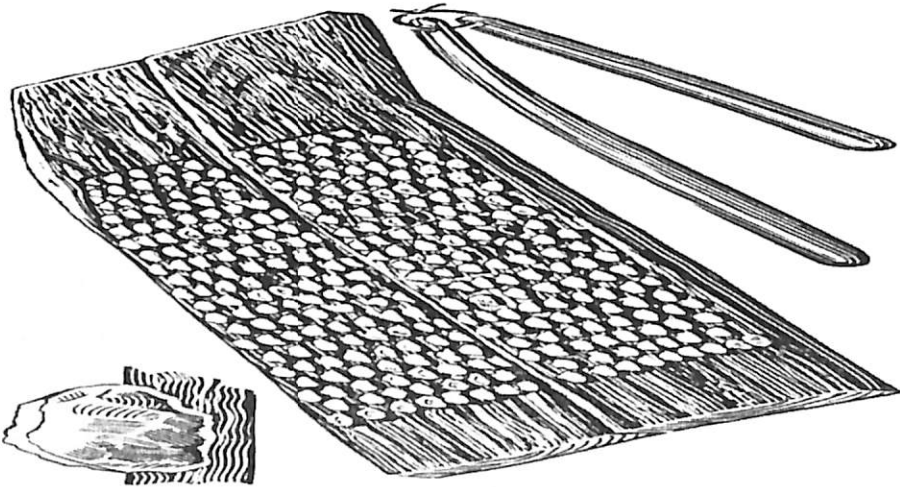
- ١- لعبت الادوات والتقنيات الزراعية دوراً هاماً في تحسين الحياة الاقتصادية في الإمبراطورية البيزنطية عامة ومنطقة بلاد الشام بشكل خاص .
- ٢- بينت الدراسات التاريخية والحفريات والاكتشافات الاثرية أن منطقة بلاد

- الشام كانت مزدهرة اقتصادياً في مجالات الزراعة وما ارتبط بها في مختلف العصور ويظهر ذلك بوضوح من خلال كثرة معاصر الزيتون والعنب .
- ٣- أدى التنوع المناخي إلى وجود أنواع مختلفة من الزراعات التي قامت عليها بعض الصناعات الهامة في بلاد الشام مثل صناعة النسيج ، انتاج زيت الزيتون ، وإنتاج النبيذ ، وصناعة السكر ، وطحن الحبوب .
- ٤- استخدم المزارعون تقنيات اسهمت في تحسين وزيادة الانتاج الزراعي تمثلت في تقنيات زراعة الاشجار وتسميدها وريها بكميات كافية من المياه .

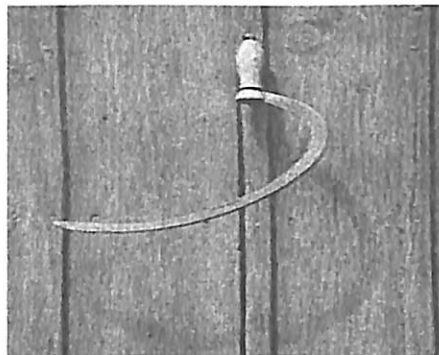
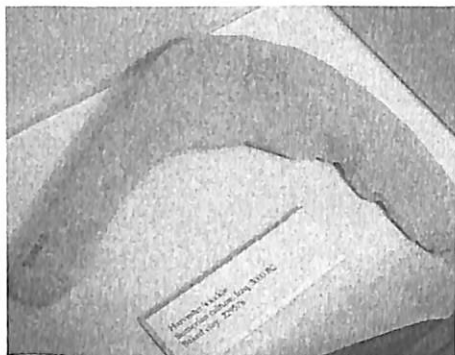
ملاحق البحث



اللوحة رقم (١) المخرات الخشبي التقليدي



اللوحة رقم (٢) لوح الدرّاس التقليدي



اللوحة رقم (٣) المنجل البدائي والمنجل المعدني



اللوحة رقم (٤) المذراة الخشبية

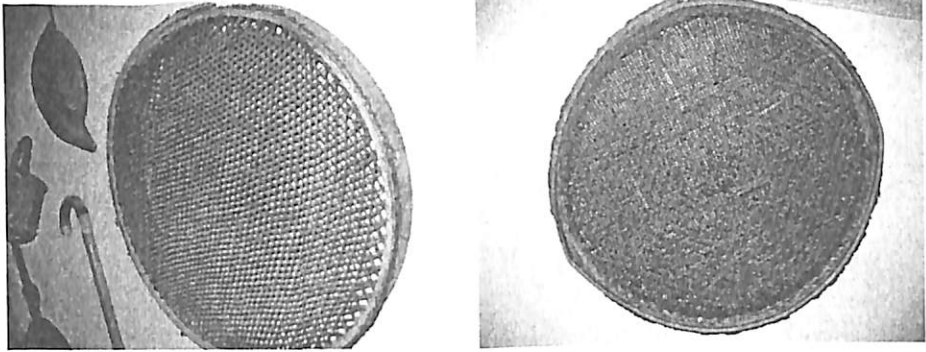


اللوحة رقم (٥) المسحاة ، المحرقة

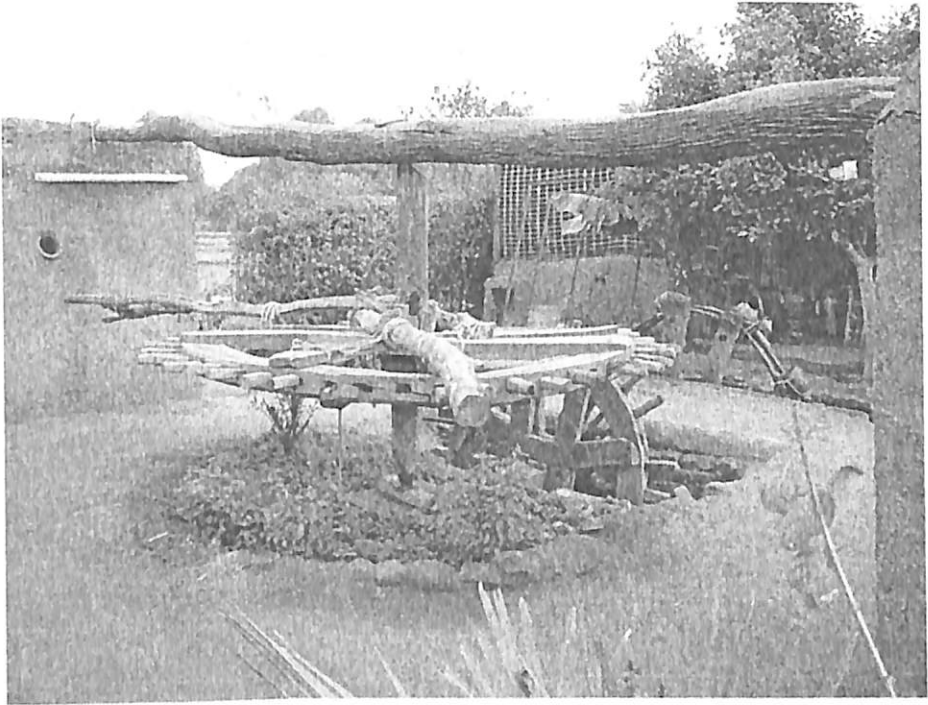


اللوحة رقم (٦)

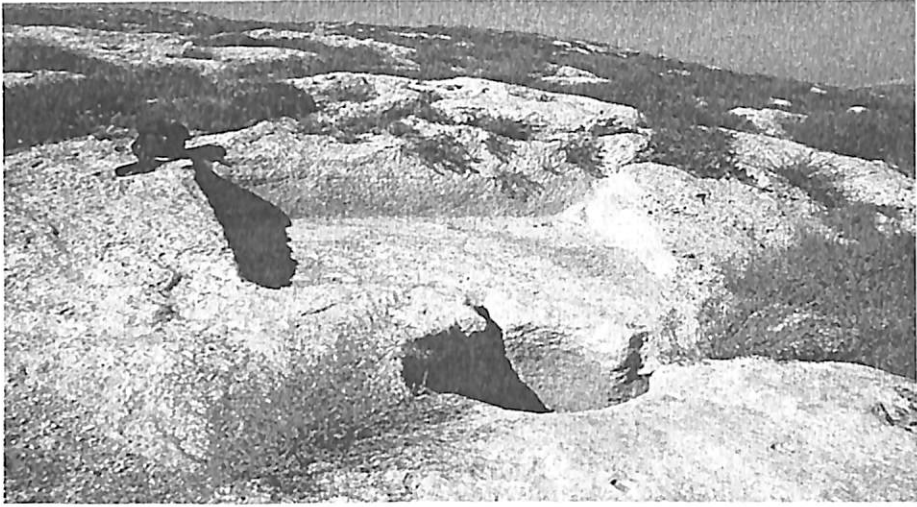
العربة الخشبية التي كانت تستخدم لنقل القمح بعد حصاده ولنقل البضائع



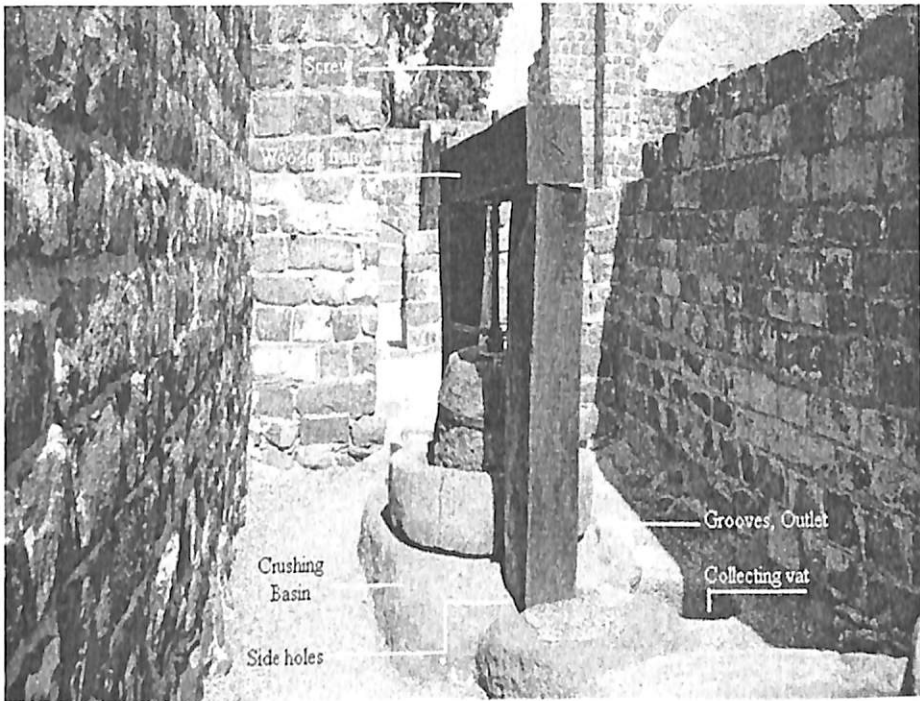
اللوحة رقم (٧) الغريال (اليمن) والمقطف (الشمال)



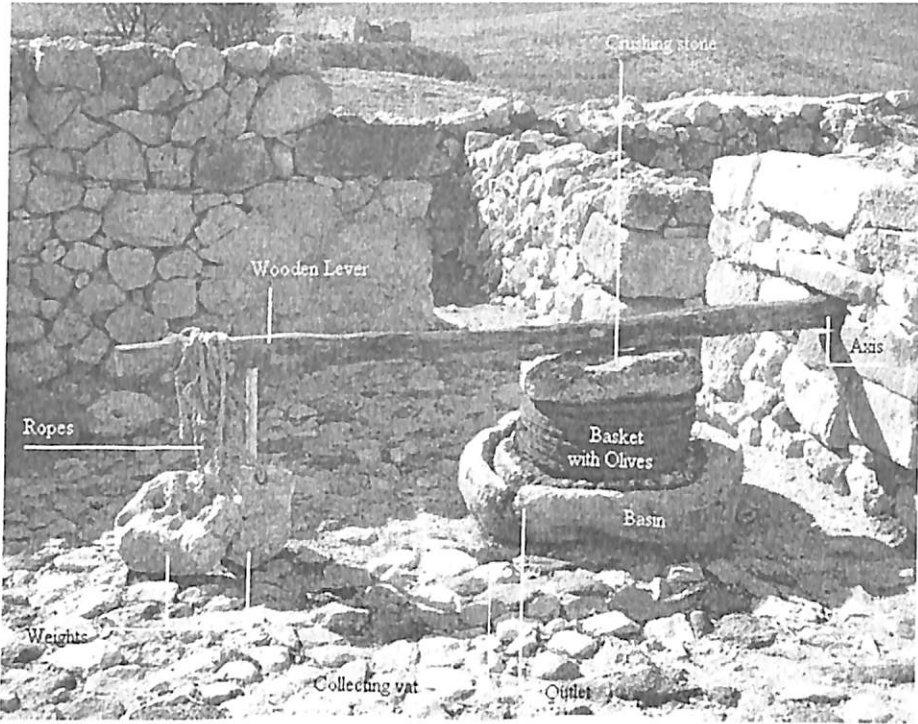
اللوحة رقم (٨) ساقية الماء التي تدار بواسطة الحيوانات



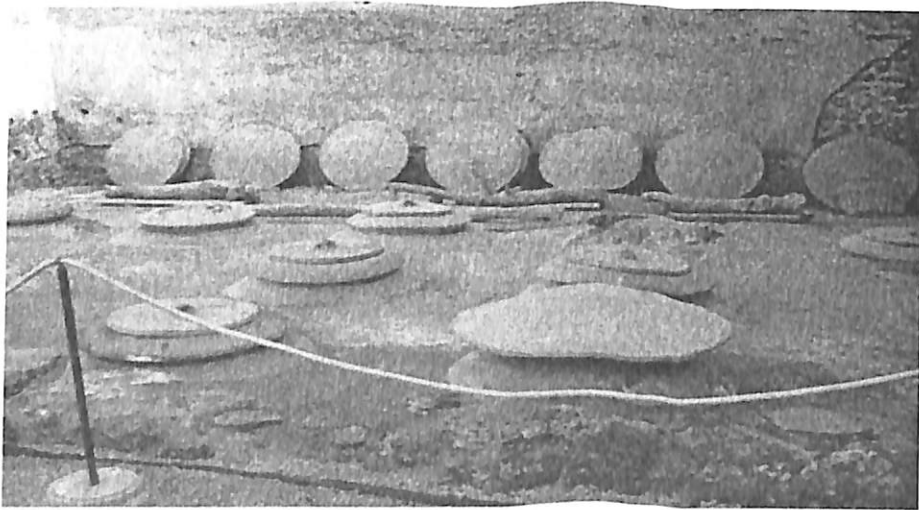
اللوحة رقم (١٠) معصرة عنب تقليدية ويظهر مكان جمع العصارة



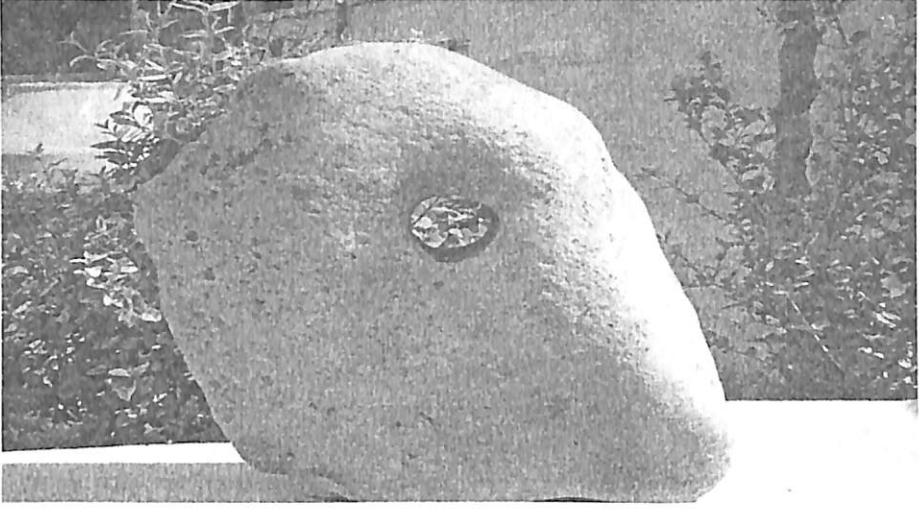
اللوحة رقم (١١) معصرة تستخدم تقنية المكبس العمودي



اللوحة رقم (١٢) معصرة تستخدم تقنية الذراع الضاغطة مع أثقال من الحجارة



اللوحة رقم (١٣) مكان تخزين عصير العنب وصنع النبيذ



اللوحة رقم (١٤) حجر كان يستخدم كثقل في معاصر النبيذ في الأردن وفلسطين وهو موجود لدى الباحث



اللوحة رقم (١٥) طريقة عصر العنب وكيفية تثبيت العمال لأنفسهم خلال ذلك

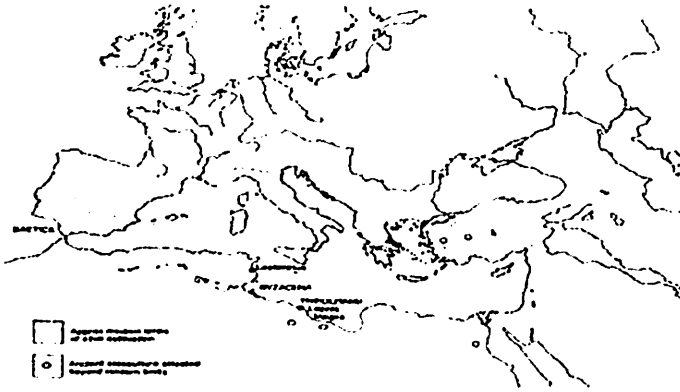
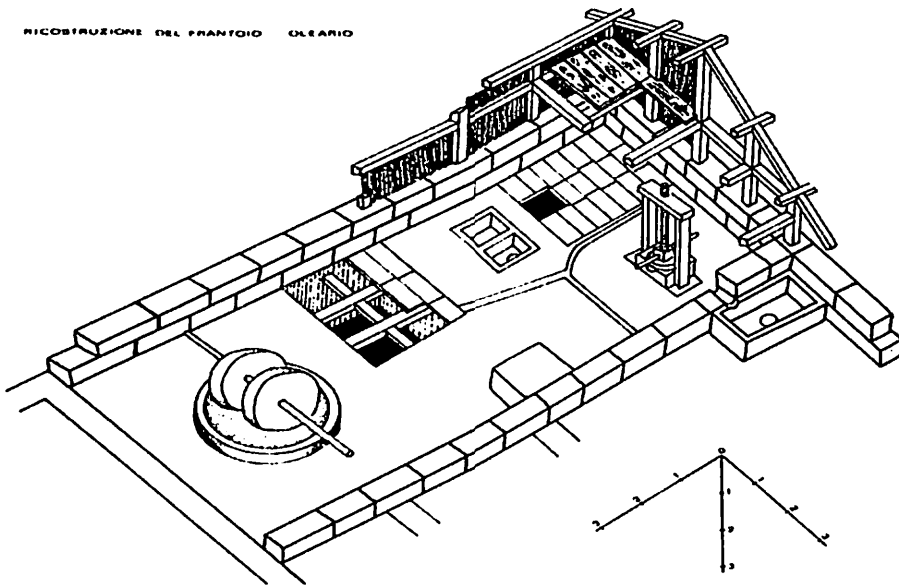


Figure 9.3. Modern limits of olive cultivation in the Mediterranean world. Note the locations of the principal Roman oil-producing regions of the W. Mediterranean: Baetica, Byzacena, and Tripolitania.

اللوحة رقم (١٦) خريطة تبين أماكن انتشار زراعة الزيتون في منطقة حوض البحر المتوسط



اللوحة رقم (١٧) خريطة تبين منخطط معصرة زيتون

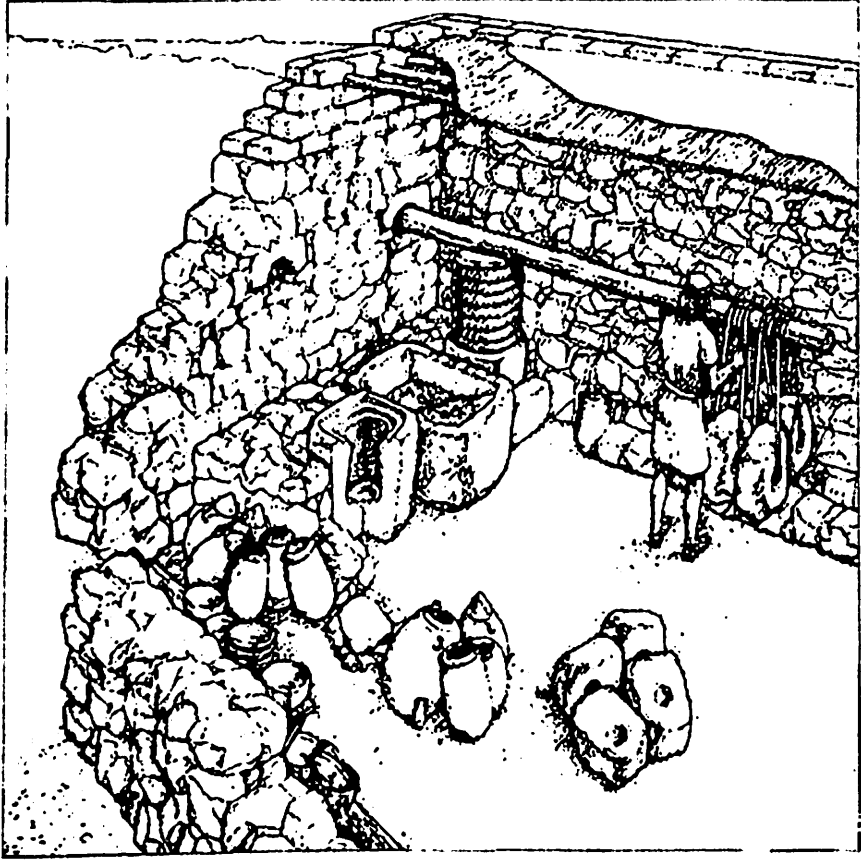
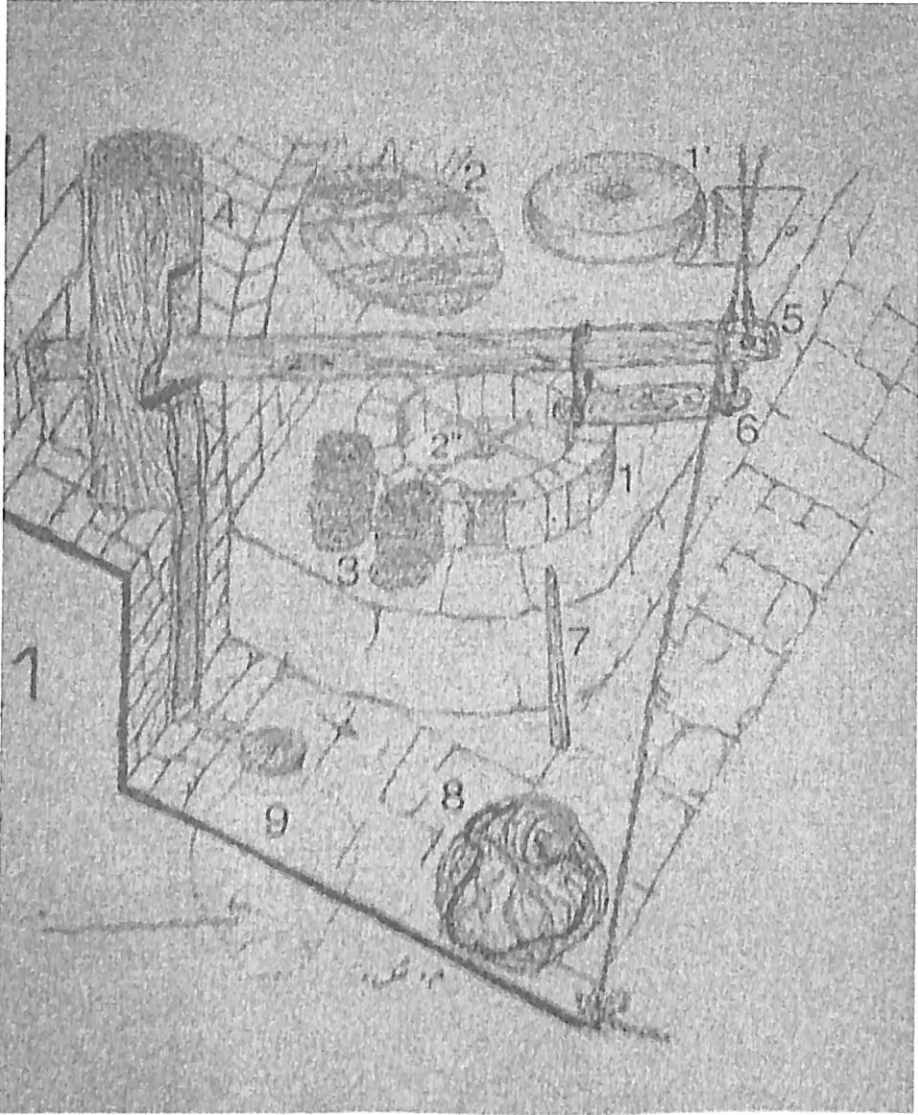
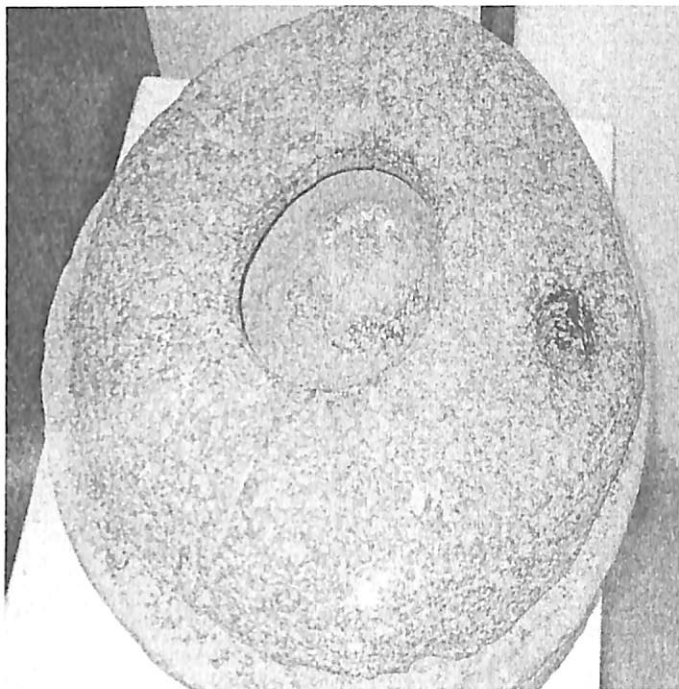


Fig. 16. Drawing of a lever-and-weight press to process olive oil, from Ekron, Israel. From Gitin, "Tel Mique-Ekron in the 7th Century B. C. E.," p. 61, Fig. 43. Courtesy of Seymour Gitin, W. F. Albright Institute of Archaeological Research, Israel, and the American Institute of Archaeology.

اللوحة رقم (١٨) معصرة زيتون تستخدم تقنية الذراع الضاغطة



اللوحه (١٩) المطروف وهو من تقنيات عصر الزيتون التي تستخدم السيوف المتقاطعة لهرس حب الزيتون دون كسر النوى



اللوحة رقم (٢٠) مطحنة تدار بقوة اليدين (اليمين) ومطحنة يدوية (الشمال)

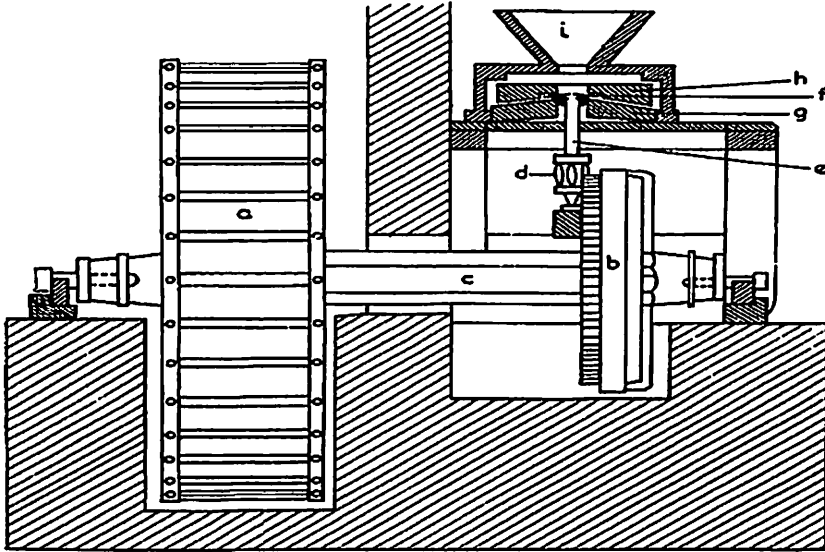


Fig. 27. Gearing arrangement for vertical undershot water mill according to Varroius *De arch.* 10.5.2: a. Water wheel. b. Vertical cogwheel (*trypaenum dentatum*). c. Horizontal axis. d. Horizontal cogwheel (shown here as a lantern pinion mounted on a bridge-tree). e. Vertical axis. f. Dovetail (yond). g. Lower millstone (*meta*). h. Upper millstone (*catillus*). i. Hopper. Based on illustration from *Saalburg Jahrbuch*, Vol. 3, p. 91, Fig. 45. Courtesy of the Saalburg Museum.

اللوحة رقم (٢١) مخطط بناء يبين مطحنة حبوب مائية (الساعة الرملية)

ذات الدولاب الواحد

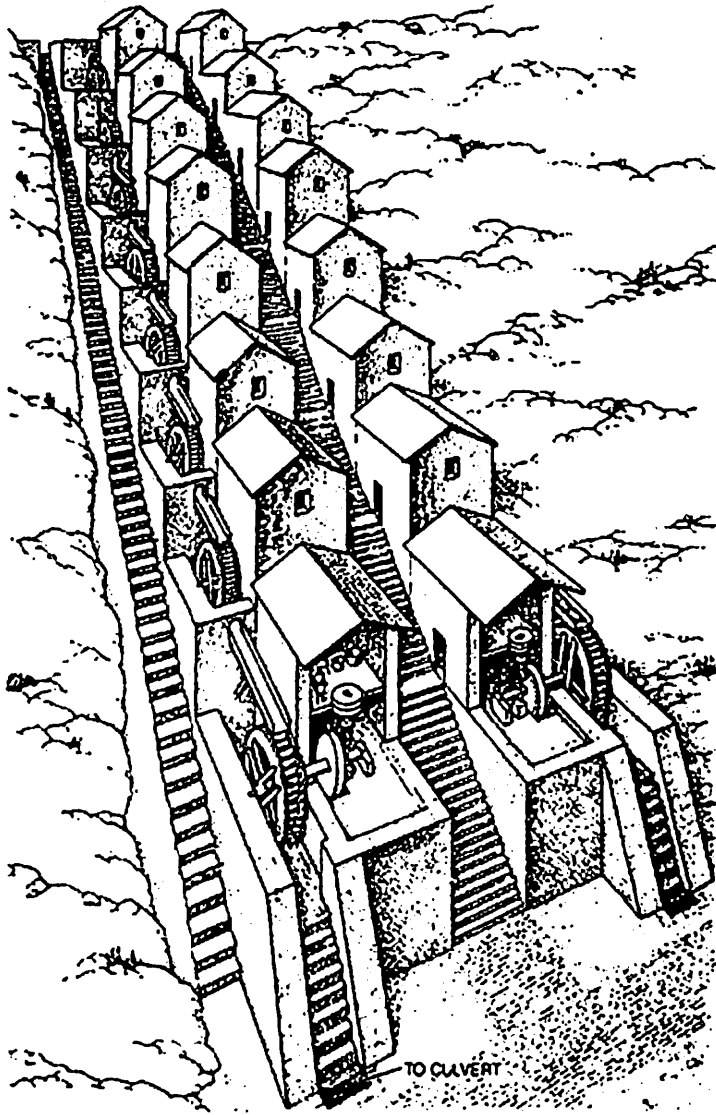
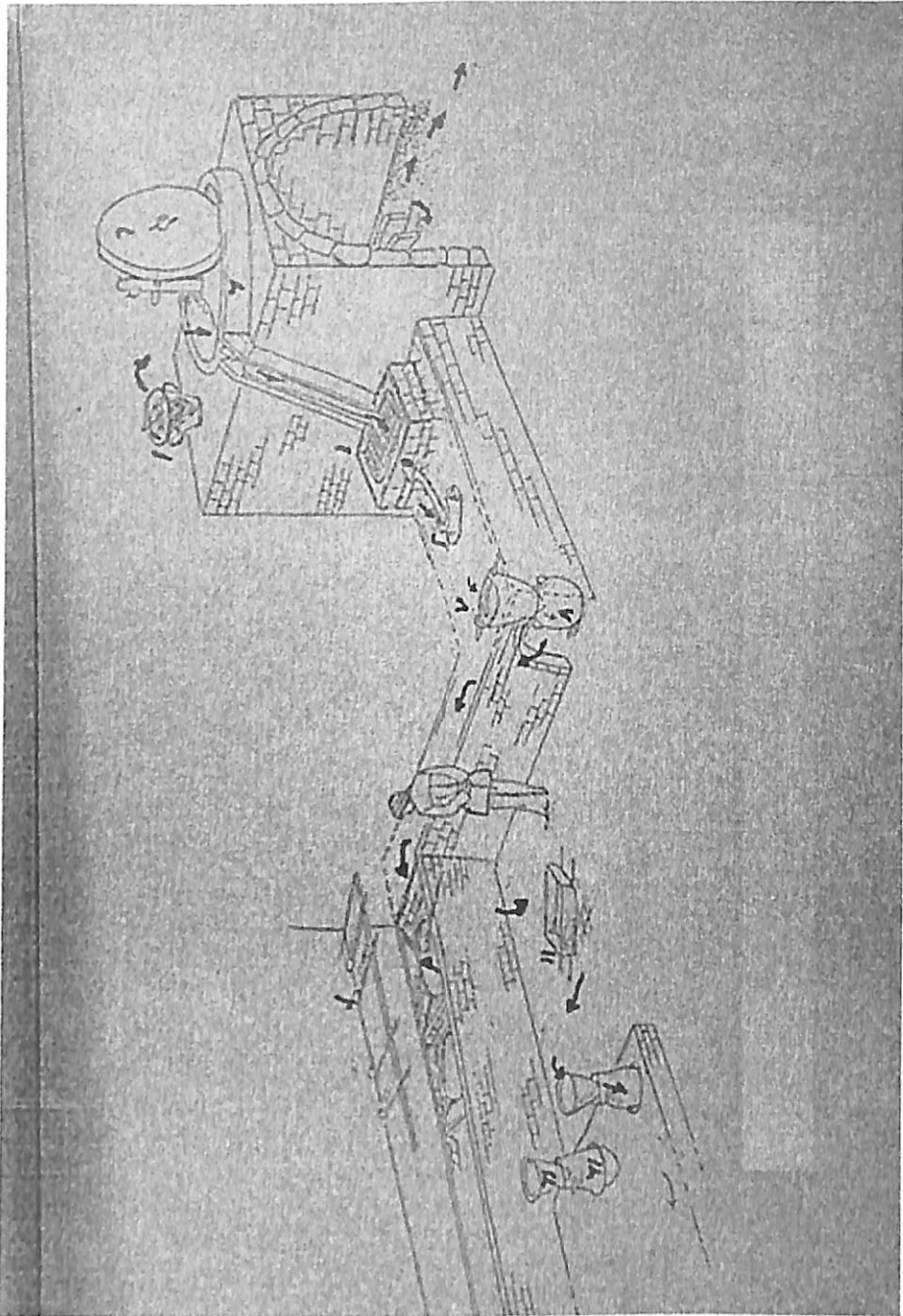


Fig. 26 Interpretative drawing of the Barbegal water mill. The slope was more gentle than shown, ca. 17°. From Hodge, "Roman Factory," p. 109. Courtesy of A. Trevor Hodge

اللوحة رقم (٢٢) مخطط بناء يبين مطحنة حبوب متعددة الدواليب



اللوحة رقم (٢٣) آلية عمل معصرة السكر كما أوردها النويري

تقنيات معاصر العنب في بلاد الشام في أواخر العصر البيزنطي الأردن مثلاً

إسماعيل أحمد ملحم (*)

أولاً: فلاحية العنب وأهميته الزراعية:

ما أن حل أواخر العهد البيزنطي في القرن السادس الميلادي حتى كانت الزراعة المرتكز الأساس لاقتصاد بلاد الشام، وكانت نتاج محاصيلها يؤمن الجزء الأكبر من الضرائب، ويمول معظم نفقات الدولة سواء العسكرية منها أو المدنية وصيانة نظام النقل^(١). وكان من أبرز هذه المحاصيل العنب إلى جانب القمح والزيتون، والتي أدت جميعاً دوراً هاماً في النشاط الزراعي والتصنيعي للفلاحين. حيث كانت غالبية القرى تنظم أمورها العامة ذاتياً، فيختار الفلاحون شيخاً للقرية وحارساً للكروم ومراقباً لتوزيع مياه الري حسب مساحة الأرض، وكانت مهمة شيخ القرية الإشراف على جمع الضرائب من الفلاحين وتسديدها إلى خزانة الدولة^(٢).

(*) دائرة الآثار العامة، إربد، المملكة الأردنية الهاشمية.

(١) عباس، إحسان، تاريخ بلاد الشام من ما قبل الإسلام حتى بداية العصر الأموي، لجنة تاريخ بلاد

الشام، الجامعة الأردنية، عمان، ١٩٩٠م، ص ١٦٩-١٧٠.

(٢) فرح، نعيم، «العلاقات الاقتصادية الاجتماعية في منطقة ما بين النهرين في القرنين الخامس

والسادس»، القسم الثاني، دراسات تاريخية، العددان ٢٥، ٢٦، جامعة دمشق، دمشق ١٩٨٧م،

ص ٨٣-٨٥.

كما عكف الرهبان في العديد من الأديرة على فلاحه الأرض ، وأنشأوا حول أديرتهم المزارع والكروم ، وبالغوا في هذا الأمر حتى جعلوا من أديرتهم حدائق مملوءة بالأشجار والزهور ، وقاموا بحفر الآبار في الصخور الطبيعية القريبة منها ليخزنوا فيها ماء المطر ، وكان أهم موارد الأديرة ما يباع ويصدر من الخمر ، كما كان لوقوعها على طريق القوافل أثر مهم في ازدهار إنتاجها^(١) .

يتمتع العنب بإمكانية زراعته في الأرض الصخرية والرملية وشديدة الانحدار ويبلغ متوسط عمر شجرة ما بين ٧٠-٨٠ عاماً^(٢) ، و يقطف العنب في العادة في شهر آب ، غير أن العنب الذي يطول قطافه إلى تشرين أول يكون شرابه أغزر وأطيب ، أما ما يقطف بعد هذا التاريخ فلا ينصح أن يتخذ منه شراب ، و للغبار تأثير ايجابي على نضوج العنب ، وبالإمكان اصطناع الغبار لكي يصل إلى الأعناب^(٣) . وتحتاج أشجار العنب سواء حديثه الغرس أو العتيقة إلى الرعاية والتلقيح والتسميد ويمكن لهذه الغاية عمل حفر حول الشجر وتزييله ببعر الغنم وخرو الحمام واختاء البقر ثم يطمر أصل النبات وهذا ما يفيد النبات ويزيد في نموه وإثماره^(٤) .

وللحفاظ على الأعناب لا بد من إقامة عريش على ارتفاع مناسب ، أما إذا كانت المنطقة باردة كثيرة الرياح فيقصر ارتفاع العريش ، كما أن الكروم ينبغي أن

(١) سعيد ، صالح ، تطور الخمريات في الشعر العربي من الجاهلية إلى أبي نواس ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٤٥م ، ص ١٧٨-١٩٧ .

(٢) الأشرم ، محمد وعبدول ، صالح ، الأسس العلمية والفسولوجية لنبات العنب ، الجزء الأول ، جامعة صلاح الدين ، ١٩٨٥م ، ص ١٦-٢٢ ، ٦٠-٨٧ ، ١٠١-١٥٠ .

(٣) ابن وحشية ، أبو بكر احمد بن علي بن قيس الكسداني ، الفلاحة النبطية ، الجزء الأول ، تحقيق : توفيق فهد ، المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية ، دمشق ، ١٩٩٣م ، ص ٢٣٠ ، ٢٣٣ .

(٤) ابن وحشية ، الفلاحة النبطية ، ص ٢٣٣ .

تسيج لمنع أية حية أو دابة من الدخول والإضرار بالثمار أو الزرع^(١) .
وللعنب أنواع عدة بناء على اختلاف الشكل واللون فمنها : الأبيض
والأسود والأحمر والرمادي ، ومنها ما صغر حبه أو كبير .

ثانياً: تقنيات عصر العنب

استهلك العنب بشكل رئيس كفاكهة على المائدة ، كما تم تناوله شراباً
طبيعياً أو دبساً وهو عنب مطبوخ أو زبيباً وهو عنب مجفف ، واتخذ من عصير
العنب المخمر مشروباً رائعاً هو الخمر .

تبدأ خطوات عصر العنب بعد إن تتم عملية جني الثمر التي تجري في
أواخر شهر آب وفي شهر أيلول حيث يحمل إلى المعاصر بالسلال ، وقد تم
تصوير مثل هذه النشاطات على الفسيفساء في أكثر من موقع من العصر
البيزنطي المتأخر^(٢) (شكل : ١ ، ٢) ، والأسلوب الشائع في العصر هو نشر العنب
في أحواض خاصة أو على الصخر ثم هرسه بواسطة دوسه بالأرجل أو بدرجة
اسطوانة حجرية عليه ، كما تستخدم حفر صغيرة المساحة يعصر فيها العنب
لدواعي الاستعجال في إنتاج كمية قليلة من الشراب^(٣) . وتستخدم طريقة
أخرى في عصر العنب تقوم على وضع العنب المراد عصره في كيس أو قماش
ويربط طرفيه إلى عمودين جانبيين ، ثم يبدأ الشخص بتقليب الكيس بطريقة
اللوي إلى أن يتم عصر العنب ، وهذه طريقة مصرية الأصل ووجدت صورها

(١) الاشبيلي ، أحمد بن محمد بن حجاج ، (ت ٢٧٥هـ / ٨٨٨م) ، المقنع في الفلاحة ، تحقيق : صلاح
جرار وجاسر صفية ، تدقيق وإشراف : عبد العزيز الدوري ، منشورات مجمع اللغة العربية الأردني ،
عمان ، ١٩٨٢م ، ص ٢٢-٢٣ ، ٥٢ .

(٢) ملحم ، إسماعيل وخصاونة ناصر ، «حفرية كنيسة الحصن ، خربة الجدة ١٩٩٢م ، «حولية دائرة الآثار
العامية ، المجلد الثامن والثلاثون ، ١٩٩٤م ، ص ٣١-٣٨ .

(3) Robert Forbes, *Studies in Ancient Technology*. Leiden, 1965, vol. 3, p. 72-78.

على جدران المقابر المصرية ، إضافة إلى مشاهد جني العنب و دوسه منذ ألفي سنة ق م^(١) ، (شكل : ٣) .

يتبع دوس العنب وعصره أن يسيل العصير من حوض الهرس إلى حوض التجميع عبر قناة أو مجرى ، ويترك العصير فترة كافية عدة ساعات لترسب الشوائب والقشور العالقة به ، وخلال هذه الفترة تبدأ عملية التخمير الأولية للعصير ، علما بان القشور نفسها تساعد على التخمير وتعطي للعصير لونه^(٢) .

أما الخطوة التالية فتكون بنقل العصير من حوض التجميع إلى جرار التخزين ، حيث يتم تصفية العصير بسكبه على قطعة قماش توضع على فوهة جرة ، وذلك لتحاشي دخول الشوائب ، بعد ذلك تغلق الجرة جيدا ويتم نقل الجرار إلى أماكن التخزين^(٣) . وتأخذ عملية التخمير التي يمر بها العصير داخل جرار التخزين فترة تتراوح بين يومين إلى عشرين يوماً ، ويمكن زيادة هذه المدة حسب المطلوب ، وقد تطول أحياناً لعدة سنوات بقصد التعتيق ، ويشترط في مواضع التخمير أن تكون درجة حرارتها معتدلة ونقع ما بين ٦-١٥ درجة مئوية ، وهي المثلى لمعظم أنواع الخمور^(٤) .

وبالإضافة إلى طريقتي العصر السابقتين فقد استخدمت في أواخر العصر البيزنطي طرق ميكانيكية رئيسة ، سبق أن استخدمت في العصر الروماني وهي :
١- استخدام العارضة الخشبية الضاغطة (الرافعة) : استخدمت هذه الطريقة بشكل واضح منذ العصر الحديدي على الأقل كما في موقع بيت صفافا

(١) لوكاس ، المواد والصناعات عند قدماء المصريين ، ترجمة : زكي اسكندر ومحمد غنيم ، مكتبة

مدبولي ، القاهرة ، ١٩٩١م ، ص ٣٤ .

(2) Glenn Considine, *Foods and Foods Production Encyclopedia*. New York, 1982, pp. 2152-2154.

(3) Forbes, op. cit., pp. 72-78.

(4) Considine, op. cit, pp. 2152-2154.

قرب القدس^(١)، (شكل :٤) ، ووجدت صورها في آثار الإغريق (اليونان) منذ القرن السادس ق. م. على إناء للزهور^(٢)، (شكل : ٥) . واستمر استخدامها لاحقاً في العصور التالية لفاعليتها، تثبت العارضة في احد طرفيها في كوة أسفل جدار قريب، بينما طرفها الآخر يربط إليه ثقل كحجارة مثلاً، لإعطاء ضغط قوي يمكن العارضة من عصر العنب المكوم أسفلها، علماً بان العنب في حالة عصره بواسطة العارضة الضاغطة يهرس أولاً بواسطة دوسه بالأرجل دوساً خفيفاً في الحوض المخصص، لكي يكون بالإمكان تجميعه ووضعها بشكل كوم أسفل العارضة، ويمكن أن تفصل طبقات العنب المهروس بواسطة حصير أو قماش أو سلال مسطحة، وان يوضع العنب المهروس وسط حلقات من حبال عريضة بحيث لا ينزلق الكوم لأية جهة نتيجة قوة الضغط، ومن ثم يسيل العصير إلى الحوض المخصص^(٣). (شكل : ٦) .

٢- استخدام عمود راسي ملولب: يثبت عمود راسي ملولب على قاعدة حجرية مخصصة له في أرضية حوض الهرس، وتكون بالعادة حفرة مضلعة، ويتصل برأس العمود ذراع خشبي متحرك، يمكن تحريكه بسهولة، ويبذل هذا الذراع ضغطاً في حركته اللولبية للأسفل على كوم العنب الموضوع أسفل منه، ويراعى في وضع كوم العنب المهروس ما ذكر في الطريقة من فصل طبقات العنب المهروس^(٤).

(1) Nurit Feig, New Discoveries in the Rephaim Valley, Jerusalem. *Palestine Exploration Quarterly* 1996, pp. 3-7.

(2) Forbes, op. cit., fig. 28.

(3) Forbes, op. cit., pp. 72-78.

(٤) ملحم، إسماعيل، زراعة العنب والزيتون والقمح وإنشاءاتها التصنيعية في جنوب بلاد الشام من العصر الهلينستي إلى العصر الأموي، أطروحة دكتوراه، غير منشورة، الجامعة اللبنانية، بيروت، ٢٠٠٠م، ص ٦٨، وسنشير إليه فيما بعد، ملحم، زراعة العنب.

ويمكن مشاهدة هذا الأسلوب في إحدى الأرضيات الفسيفسائية في موقع خربة الخيط (نيبو) الواقعة بالقرب من مدينة مادبا في وسط الأردن والتي تعود للقرن السادس الميلادي ، حيث يشاهد عاملان يدوسان العنب حول عمود ملولب يعلوه ذراع خشبي وفي هذا دلالة واضحة إلى أن العنب يهرس بالأرجل قبل عصره بالعمود الملولب^(١) (شكل : ٧) ، كما يمكن مشاهدة هذا الأسلوب في فسيفساء كنيسة القديس كريستوفر في شمال مدينة صور في لبنان ، ممثلا بعمود ملولب يتوسط حوض الهرس ، وحوله صبيان يمسان بحبال ، ويدوسان العنب بأرجلهم ، ويسيل العصير إلى حوض جانبي^(٢) .

وبالعودة إلى ما كتبه المؤلفون القدماء المهتمون بالزراعة وتقنيات صنع الخمر من عصير العنب نجد أن عصير العنب وتصنيع الخمر يحتاجان إلى مهارة ودقة في العديد من الأمور ، ولعل كتاب «الفلاحة الرومية» لقسطوس بن لوقا البعلبكي (توفي سنة ٣١١هـ / ٩١٢م) هو من أفضل المصادر في هذا الموضوع لا سيما وأنه مترجم من اليونانية إلى العربية وقام بترجمته سرجس بن هلبا الرومي ، ويتألف من اثني عشر جزءاً^(٣) :

- المعاصر وشروطها الصحية : أوصى البعلبكي بان تكون المعاصر ذات اتساع لكي تستوعب الكميات الجنية من العنب المراد عصره ، وتستوعب أيضا عدد العمال بالمعصرة وحركتهم ، كما ينبغي قصارة الجدران والأرضيات بالحص لإبعاد الحشرات ، وعمل كوات للتهوية والإضاءة ، وان تكون آبار أو أحواض تجميع العصير متسعة قليلا لتسهيل دخول الشخص الذي يريد تنظيفها أو وضع الخابية المجمعدة للعصير ، ومن المستحسن غسل مرافق المعصرة بالماء

(١) ملحم ، زراعة العنب ، ص ٦٨-٦٩ .

(2) Nina Jidejian, *Tyre Through the Ages*. Beirut, 1969.

(٣) البعلبكي ، قسطوس بن لوقا (ت نحو ٣٠٠هـ / ٩١٢م) ، الفلاحة الرومية ، ١٢ج ، ترجمة : سرجس

بن هلبا الرومي ، المطبعة الوهيبية ، مصر ، ١٢٩٣هـ / ١٨٧٦م ، وسنشير إليه فيما بعد ، البعلبكي ،

الفلاحة الرومية .

الساخن والملح قبل مباشرة أعمال العصر وبعدها في كل موسم قطف (١) .
- مخازن العصير : أوصى البعلبكي بعمل باين للمخازن ، احدهما شتوي والآخر صيفي وكوتين إحداهما شتوية والأخرى صيفية ، فأما الباب والكوة الشتويان فمن جهة الجنوب ، وأما الباب والكوة الصيفيان ، فمن جهة الشمال ، وان يتم إبعاد المخازن عن كل ريح قذرة أو مواضع عفنة حرصا على سلامة العصير من الفساد ، مع ضرورة إبعاد كل وعاء عن الآخر مسافة كافية (٢) . وينبغي مداومة الحفاظ على النظافة فتغسل الأواني بالماء والملح قبل استخدامها ، و يطرح الزبد أو الرغوة التي تغلي في الأواني بعيدا عن مكان المخزن منعا لأي فساد ، وإبعادا للحشرات ، كما تطلى الخوابي من باطنها وتصلح قبل استخدامها (٣) .

- العصارون : يذكر البعلبكي بصريح العبارة صفات العصارين وأهمها أن يغسلوا أرجلهم جيدا ، وألا يأكلوا ما داموا يعصرون شيئا وان يرتدوا ملابس تنشف عرق أجسادهم وتمنعه من أن يقطر على العصير ، وتكون بداية وطئهم العنب المراد عصره بطيئا حتى إذا سخنت إقدامهم وطأوه وطأ شديدا مع ضرورة الالتفات إلى أهمية إبعاد أي عنب فج أو متعفن حرصا على جودة ونظافة العصير (٤) .

- معالجة عصارة العنب : ذكر البعلبكي عدداً من أساليب معالجة العصير أثناء خزنه وإعداده مثل : كيفية تجهيز العصير لكي يشرب في يومه الذي يعصر فيه ، وكيفية جعل العصير حلوا وهو في وعائه طيلة السنة ، وضرب لذلك أمثلة ، كأن يضاف من الخل الحلو دورق من العصير ، ويقر على هيئته يوماً ،

(١) البعلبكي ، الفلاحة الرومية ، ص ٤٦-٤٧ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٤٧ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٤٧ ، ٣٥ ، ٥١ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٤٩ .

فانه يشرب عند المساء شراباً طيباً ، أو أن يجمع عصير العنب الذي يسيل عفويا ويجعل في وعاء مطلي بالقار حتى يبلغ مستوى العصير نصف الوعاء ثم يسد فم الوعاء بجص سداً محكماً وبذلك فان العصير يبقى زمناً طويلاً حلواً^(١) . وتكلم عن أوقات فتح الخوابي التي يحفظ فيها العصير ، وذوقها وفحصها ، وحدد الأوقات التي يخشى فيها على العصير التغير والفساد ، محذراً من فتحها في الأوقات غير المناسبة خاصة عند طلوع النجوم المغيرة لطعم الشراب أو عند كثرة الريح والأمطار ، كما أعطى أمثلة على طرق الغش التي يتبعها البعض لتسويق الأشربة المعتقة محذراً من الانخداع بها ، فمما يغش به بائع الشراب مشتريه أن يعمد البائع إلى جرة جديدة فيجعل فيها شراباً طيباً عتيقاً عطر الرائحة ، ويقره فيها يومين وليلتين حتى تشرب منه الجرة ثم يستبدل هذا الشراب الطيب بشراب رديء يكتسب شيئاً من رائحة الشراب الطيب^(٢) وتناول موضوع تحويل الشراب من وعاء إلى وعاء رابطاً ظروف التحويل بالريح والقمر والطقس ، وموضحاً علامات الشراب الذي يتغير وطرق فحص ذلك ، وتجنب فساد الشراب وحموضته ، فمثلاً : لا ينبغي للشراب أن يحول من وعاء إلى وعاء دون أن تهب ريح الشمال ولا يحول عند هبوب ريح الجنوب ، وإذا حول شراب من وعاء لوعاء في نصف الشهر القمري حمض وصار خلا ، كما ينبغي تجنب المواضع الباردة جداً والحارة جداً ، لان اعتدال الحرارة هو الشكل المناسب لاماكن حفظ الأوعية^(٣) . كما تكلم البعلبكي عما يسلم به الشراب من الفساد كأن يضاف مثلاً كف ملح محرق للعصير ، وعن طريق تعتيق الشراب الحديد ليوازي الاشربة الأقدم ، وتكلم عن إضافة الأودية إلى الخمر ، وعن تحويل

(١) البعلبكي ، الفلاحة الرومية ، ص ٤٩ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٥٥ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٥٧-٥٨ .

الخمير إلى خل طيب ، وعمما ما يمكن مراعاته في حال حمل الشراب في البحر لثلا يفسد ، خاصة إذا طالت مدة إقامته في البحر^(١) .
ويبدو من خلال ما أورده البعلبكي بشأن معالجات العصير والخمور مدى الخبرة الكبيرة والمهارة التي تجلت في توصياته وخاصة ربط المعالجات الوقائية والتحسينية بمواعيد دقيقة لحركة النجوم والقمر وهبوب الريح ، وتغيرات حرارة المكان ، وطرق الوقاية والنظافة والفحص ، وهي جميعها مبنية على ما يبدو على أساس تجريبي .

ثالثاً: الخمر قبل الإسلام

شاعت الخمور بين العرب قبل الإسلام وكان أكثر من يتجر بها اليهود والنصارى وكانوا يجلبونها لهم من بصرى وبلاد الشام ومن الحيرة وبلاد العراق^(٢) . ووردت خمور الشام في شعر العرب قبل الإسلام ، وهم يذكرونها إما منسوبة إلى الشام عامة كقول أبي ذؤيب الهذلي :

ولا الراح راح الشام جاءت سبيئة
لها غاية تهدي الكرام عقابها
عقار كماء النبي ليست بنخمة
ولا خلة يكون الشراب شابهها^(٣)
ويقول أبو ذؤيب الهذلي :
تزودها من أهل بصرى وغزة
على جسرة مرفوعة الذيل والكفل^(٤)

(١) البعلبكي ، الفلاحة الرومية ، ص ٥٥ ، ٥٧ ، ٦٣ ، ٦٧ ، ٥٨ .

(٢) ضيف ، شوقي ، العصر الجاهلي في تاريخ الأدب العربي ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٠م ، ص ٧٠ .

(٣) سعيد ، تطور الخمريات ، ص ٦٨-٦٩ .

(٤) المرجع نفسه ، ص ٦٨-٦٩ .

وقد عرف العرب قبل الإسلام الخمر المعتصرة من العنب والتمر والشعير ، وفي القرآن الكريم ذكر لشيء من ذلك ، مثل ﴿ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكراً ورزقاً حسناً﴾^(١) . وكانوا يسمون نبيذ الشعير الجعة ، ونبيذ العسل البتع ، ونبيذ الخنطة المزر ، والسكرة اسم معرب لخمر الحبشة^(٢) .

رابعاً: أمثلة على معاصر العنب المكتشفة أثرياً في الأردن

كشفت أعمال التنقيب والمسح الأثري عن عشرات معاصر العنب المنتشرة في أنحاء متفرقة في الأردن وغالبيتها تعود للعصرين الروماني والبيزنطي ، مما يؤكد الأهمية الزراعية والتصنيعية لنبات العنب ، أضف إلى أن غالبية معاصر العنب التي تؤرخ للعصر الروماني والمنحوتة في الصخر الطبيعي في القرى والأرياف أعيد استخدامها في العصر البيزنطي ، كما هو الحال في العديد من المواقع مثل : معصرة في «السامك» ومعصرتين في «رأس الطويلة» الواقعتين في إقليم حسان^(٣) . ومعصرة في موقع خربة الخيط (نيبو) وتعود للعصر البيزنطي^(٤) ومعصرة في سليخات في غور الأردن من العصر البيزنطي^(٥) . ومعصرة في حوفا وتعود للعصر البيزنطي^(٦) وعن معاصر قرب عمان في كل من

(١) القرآن الكريم ، سورة النحل ، آية ٦٧ .

(٢) نصر ، عاطف جودة ، الرمز الشعري عند الصوفية ، دار الأندلس ودار الكندي ، بيروت ، ١٩٧٨ ، ص ٣٢٨ .

(1) Robert Ibach, *Archaeological Survey of the Hesban Region*. Berrien Springs, 1987, pp. 10-36.

(4) Sylvester Saller and Bellarmino Bagatti, *The Town of Nebo*. Jerusalem, 1949, pp. 13-15.

(٥) كرم ، جمعة ، «تاريخ غور الأردن الشمالي من خلال المسوحات والحفريات الأثرية الأخيرة» ، دراسات تاريخية ، العددان : ٥١ ، ٥٢ ، دمشق ١٩٩٥ م ، ص ٨٥-١٣٨ .

(٦) أبو دلو ، ربي ، «التقرير النهائي لنتائج حفرة حوفا الوسطية ، ١٩٩٢ م ، «حولية دائرة الآثار العامة ، المجلد ٣٨ ، ١٩٩٤ م ، ص ٥-١٩ .

«أبو سربوط»^(١) ، وياجوز^(٢) وتعود للعصر البيزنطي . وعن معصرة في موقع «صعد» غرب المفرق وتعود للعصرين البيزنطي والأموي^(٣) ، وعن معصرة في «الصويفية» في عمان من العصر البيزنطي^(٤) ، وعن معصرة في «رجم الكرسي» في عمان من العصر البيزنطي^(٥) . كما كشف عن عدة معاصر للعنب في كل من : دير أبي سعيد ، كفر الماء ، بيت ايدس ، الاشرفية ، أبو الخنس / كفر راكب ، تقبل ، كفر أسد ، بركة الدير / عجلون ، الحصن ، بيت رأس ، ظهر السرو/ جرش ، وتعود جميعها للعصرين الروماني والبيزنطي^(٦) .

أنواع المعاصر وأنظمة عملها:

تعددت أنواع معاصر العنب المكتشفة في الأردن في أواخر العصر البيزنطي من حيث تقنية عملها ، وجاء هذا التعدد نتيجة لاعتبارات التطور التقني أو حجم وكمية المحصول المراد عصره ، فهناك معاصر بسيطة ذات إنتاج محدود خدمت أفرادا بعينهم كالأسر الصغيرة ، ومجموعة معاصر بسيطة التركيب

(1) Wael Rashdan, La fouille d'Umm Es-Summaq: Inventaire archéologique, notamment ceramique. PhD Thesis, Université Lumière, Lyon, 1989.

(2) Lutfi Khalil, University of Jordan Excavations at Khirbat Yajuz. *Annual of the Department of Antiquities of Jordan* 42 (1998), pp. 457-472.

(٣) ساري ، صالح وملحم ، إسماعيل ، «معصرة عنب موقع صعد الأثري ، دراسة في التقنية والنظام العام» ، دراسات ، المجلد : ٢٤ ، العلوم الإنسانية والاجتماعية ، العدد ١ ، الجامعة الأردنية ، عمان ، ١٩٩٧ ، ٢١١-١٩٦ .

(4) Fawzi Zayadine. Recent Excavations and Restorations of the Department of Antiquities (1979-1980). *Annual of the Department of Antiquities of Jordan* 25 (1981), pp. 341-355.

(5) Rashdan, op. cit.

(٦) ملحم ، زراعة العنب ، ص ٨٥-١٩١ .

مجموع إنتاجها كان يغطي القرية ، وهناك معاصر كبيرة ترقى إلى وصفها بالمنشآت التجارية ، وخدمت تجمعات سكانية كبيرة كالحقري أو المدن أو حتى على مستوى التصدير إلى خارج المنطقة الجغرافية المتواجدة بها المنشآت . لكن هنالك تشابهاً في تقنيات العمل بين منطقة جغرافية وأخرى ، مما يشير إلى علاقات اقتصادية وثقافية ذات اثر واضح بين السكان ، غير أن هذه المعاصر على كثرتها تكاد كل واحدة منها تكون مميزة من حيث الشكل أو التفاصيل الدقيقة ، ومع ذلك يمكن القول أن التقنية مشتركة بين المعاصر من كل نوع . ويمكن إجمال أنواع معاصر العنب وتقنياتها في الأردن في أواخر العصر البيزنطي على النحو التالي :

١ . معاصر بسيطة ذات أحواض هرس ، وترسيب ، وتجميع العصير :

يمثل هذا الصنف من المعاصر الصنف الأكثر انتشاراً وشيوعاً ، وبالعادة فإنها كانت تنشا في الكروم أو قريبة منها ، ويمكن عمل أكثر من معصرة في الكرم لكي تستوعب كميات العنب المراد عصرها ، غير أن هذه المعاصر على الرغم من بساطتها ، كانت تنتج كمية كبيرة بمجموعها ، فقرية صغيرة مثل دير أبي سعيد - على سبيل المثال - يوجد بها حوالي عشرين معصرة ضمن دائرة قطرها حوالي ٢ كم تمثل تجمعاً زراعياً تصنياً كبيراً إلى حد ما ، وتعادل كمية الإنتاج لمجموع هذه المعاصر إنتاج عدة معاصر كبيرة أو أكثر ، وقد تطورت هذه المعاصر البسيطة التركيب من حوض هرس واحد متصل بحوض واحد لتجميع العصير إلى عدة أحواض هرس وأحواض تجميع عصير ، و تتمثل معاصر العنب بسيطة التركيب في عدد من المواقع الأثرية في مواقع مثل : دير أبي سعيد ، كفر الماء ، تقبل ، كفر أسد ، بركة الدير ، الحصن ، بيت رأس ، وغيرها .

طريقة عمل هذه المعاصر بسيطة للغاية ، وتقوم على دوس العنب بالأرجل في حوض الهرس المخصص ، ومن ثم يسيل العصير إلى حوض تجميع العصير ، فيبقى عدة ساعات لأجل التخمير الأولي ثم يوضع في جرار ، ويلاحظ أن

غالبية المعاصر البسيطة سطحت من حولها الأرض الصخرية بشكل مستو بهدف استقبال أكوام العنب المقطوف المجلوب من الكروم وروعي أن يتم عمل اقنية فرعية صغيرة لإسالة عصارة العنب الناتجة عن ثقل ضغط أكوام العنب على بعضها البعض ، بحيث يسيل العصير إلى حفر صغيرة جانبية أو إلى حوض الهرس مباشرة (الأشكال : ٨ ، ١١ ، ١٠ ، ٩) .

٢. معاصر ذات اللولب الضاغط (العمود الملولب):

يعد هذا الصنف من معاصر العنب آخر مرحلة متطورة في تقنيات عصر العنب في أواخر العصر البيزنطي وأكثر الطرق الميكانيكية شيوعا ، حتى أن العديد من المعاصر بسيطة التركيب قد تم تطويرها لتعمل باللولب الضاغط ، وتقوم تقنية هذا الصنف من المعاصر أساسا على استخدام عمود ملولب ، عليه ذراع متحرك للضغط على كوم العنب أسفله ، ويثبت هذا العمود في العادة في وسط أرضية حوض الهرس في حفرة أو موضع ارتكاز . ومن أمثلة هذه المعاصر : معصرة الصوفية ، معصرة رجم الكرسي ، تقبل ودير أبي سعيد وغيرها . (الأشكال : ١٤ ، ١٣ ، ١٢) .

أما عن كميات الإنتاج المتوقعة من معاصر العنب ذات اللولب الضاغط فهي وفيرة فيما يبدو ، بدليل تعدد أحواض تجميع العصير وكبر حجمها .



(شكل : ١) : مشهد قطف العنب بالمنجل ، كنيسة القديسين لوط وبروكوبيوس ، خربة الخيط

(نيبو) / الأردن



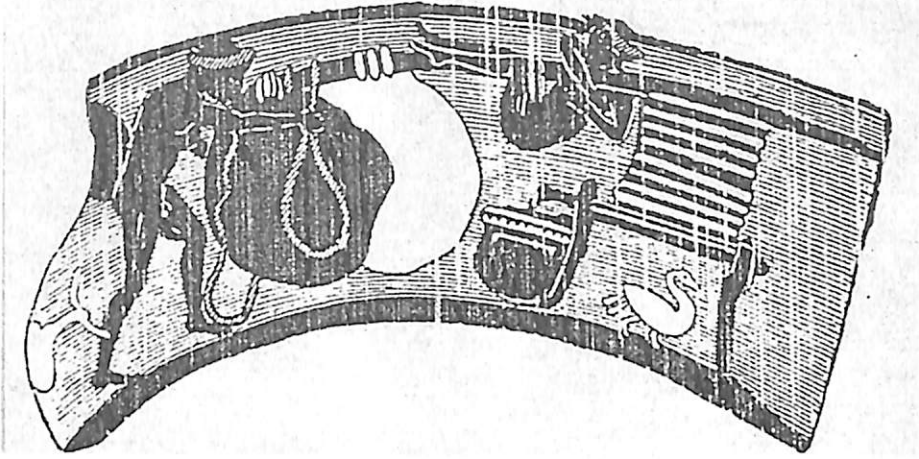
عن (ملحم وخصاونة ١٩٩٤)

(شكل ٢): مشهد قطف العنب بالمنجل كنيسة خربة الجدة، بلدة الحصن / إربد، الأردن



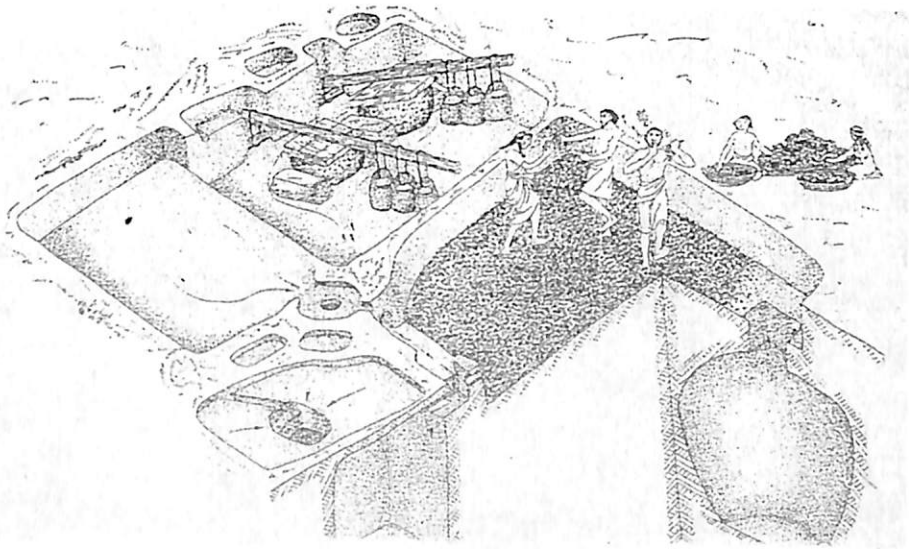
عن : (Forbes 1965: fig. 27)

(شكل ٣) معصرة الكيس المصرية بطريقة اللوي



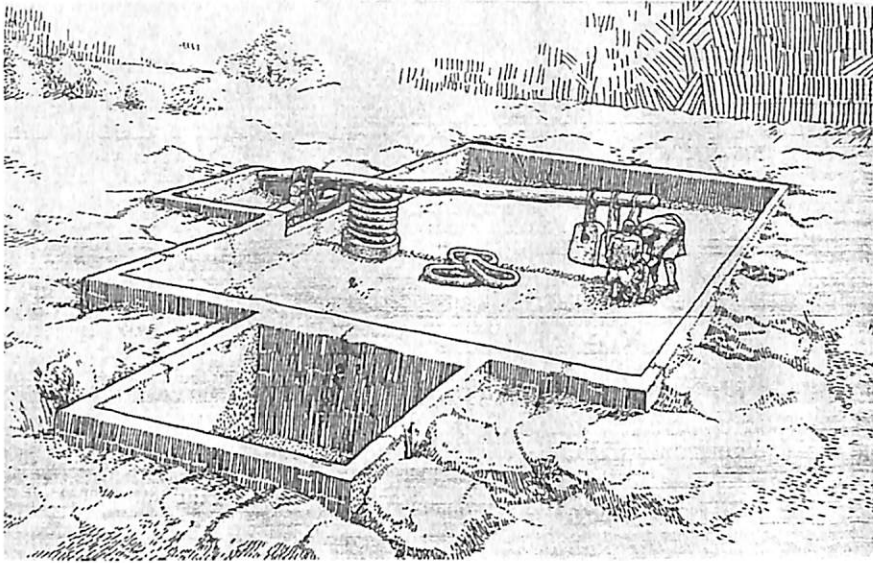
عن (Forbes 1965: fig. 28)

(شكل : ٤) : معصرة العارضة الضاغطة كما ظهرت في رسم إناء من القرن السادس ق . م



عن (Feig 1996: 6)

(شكل : ٥) : إعادة تصور لمعصرة عنب من العصر الحديدي ، بيت صفافا



(الشكل ٦) إعادة تصور لمعصرة عنب ، قيسارية في فلسطين

Yizhar Hirschfeld and R. Birger-Calderon, Early Roman and Byzantine Estates near Caesarea
Israel Exploration Journal 41 (1991), pp. 81-111.



(شكل ٧) : مشهد دوس العنب بالأرجل من قبل شابين يتوسطهما عمود ملولب ، كنيسة

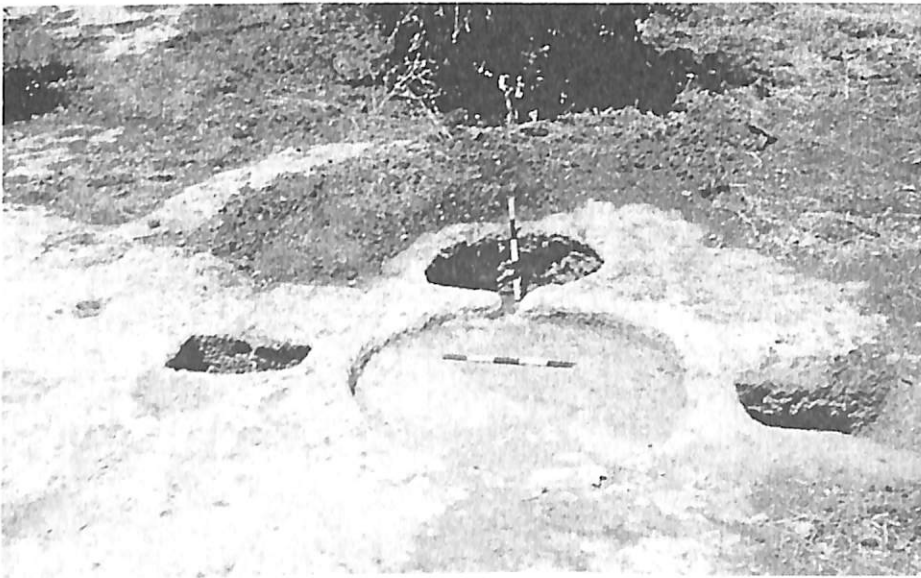
القديسين لوط وبروكويوس ، خربة الخيط (نيبو) / الأردن



(شكل ٨) : معصرة عنب ، دير أبي سعيد ، منطقة قلعة المتراكبة



(شكل : ٩) : معصرة عنب ، دير أبي سعيد ، منطقة البلد



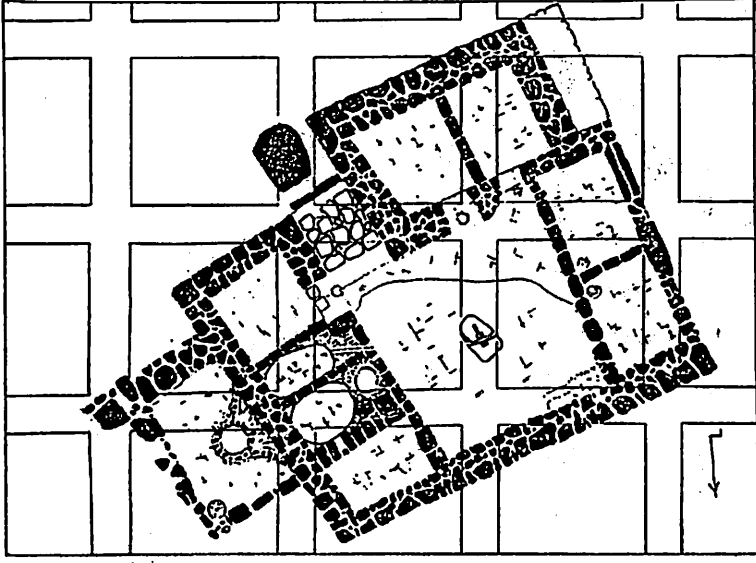
(شكل : ١٠) : معصرة عنب ، كفر اسد ، خربة زحر الغربية



(شكل ١١) : معصرة عنب ، دير أبي سعيد ، منطقة البلد

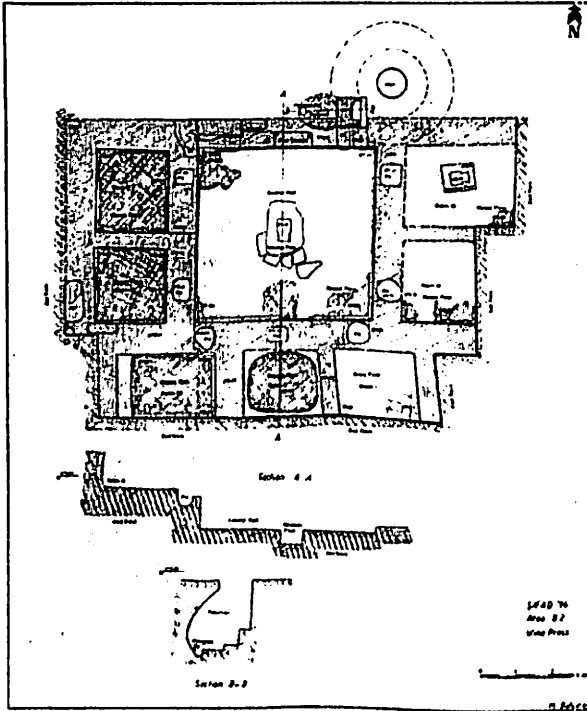


(شكل ١٢) : معصرة عنب ، عمان ، منطقة رجم الكرسي / الأردن

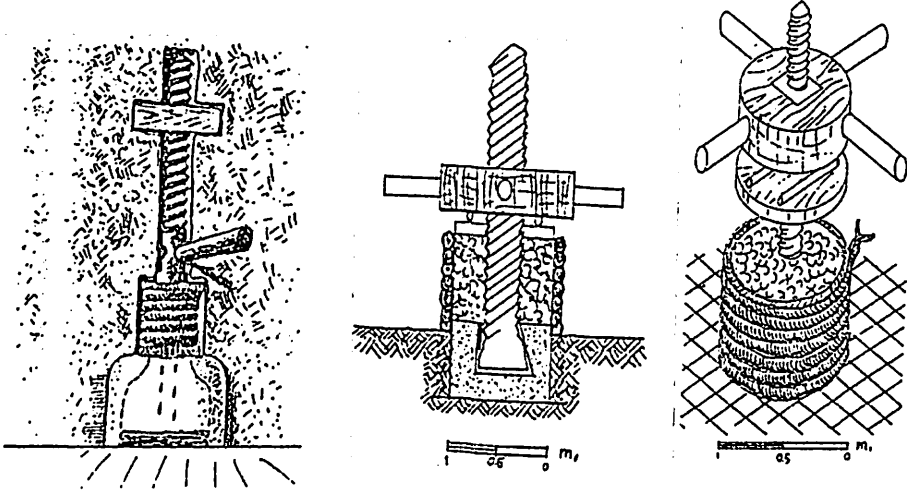


عن (Rashdan 1988)

(شكل: ١٣): مخطط معصرة عنب، عمان، منطقة رجم الكرسي



عن (ساري وملحم ١٩٩٧)
(شكل: ١٤): مخطط معصرة
عنب، المفرق، موقع صعد /
الأردن



(شكل ١٥): ثلاثة أشكال لمعصرة اللولب وتستخدم لمعاصر العنب والزيتون

عن :

Rafael Frankel, *Oil Presses in Western Galilee and Judaea - A Comparison*. Pp. 63-80 in *Olive Oil in Antiquity*, M. Heltzer and D. Eitam, eds., Haifa, 1987.

الزراعة في جند قنسرين حتى نهاية القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي

المهدي عيد الرواضية(*)

مدخل:

تحاول هذه الورقة رسم الخريطة الزراعية لجند قنسرين خلال القرون الأربعة الأولى من حكم المسلمين ، هذا الجند الذي لم يسبق أن دُرِس مفرداً في أي جانب من جوانبه ، والدراسة الوحيدة التي يمكن الإشارة إليها فيما يتعلق بالزراعة هي دراسة فالح حسين بعنوان «الحياة الزراعية في بلاد الشام في العصر الأموي»^(١) ، وتتناول - كما يدلّ عنوانها - بلاد الشام عامة خلال مدّة «قرن من الزمان» .

ولا يتأتى رسم الخريطة الزراعية لجند قنسرين دون تثبيت حدوده الإدارية ، ولعدم وجود دراسة سابقة تتناوله فيُحال عليها ، كان من اللازم أن تتعرّض هذه الورقة لهذه الحدود فتوسّعت قليلاً خارج عنوانها ، ثم يلي ذلك الكلام على جغرافية الجند التي أثرت على مستوى زراعته ، بما فيها من تضاريس ومناخ وموارد مائية ، ثم تناولت الورقة عقب هذا ملامح من عناية الدول الإسلامية بزراعة الجند ، وأخيراً بسطاً لأهم المزروعات والمحاصيل الزراعية التي اشتهر بها

(*) مؤسسة آل البيت ، عمان ، المملكة الأردنية الهاشمية .

(١) حسين ، فالح ، الحياة الزراعية في بلاد الشام في العصر الأموي ، الجامعة الأردنية ، عمان ، ١٩٧٨ م .

وسيشار لهذا المرجع فيما بعد : حسين ، الحياة الزراعية .

الجند ، وأبرز الكوارث والآفات التي طالت مزروعاته .
كانت المنطقة الشمالية من بلاد الشام جزءاً من الإمبراطورية الرومانية
عندما دخلها المسلمون سنة ١٧هـ / ٦٣٨م ، وكانت تسمى سورية الأولى من
أصل ثمان وحدات إدارية حسب التنظيمات والتقسيمات الرومانية أواسط
القرن السادس الميلادي ، وكانت قنسرين هي عاصمة سورية الأولى هذه (١) ،
وبلغت درجة عالية من الازدهار والتحسين في فترة ما قبل الإسلام ، واكتسبت
أهميتها وقوعها على ملتقى الطرق التجارية القديمة ، فكانت في القرن الرابع
الميلادي مركزاً تجارياً هاماً بأسواق مزدهرة (٢) .

وقُسمت الشام في العهد الراشدي إلى أربعة أقسام سميت أجناداً : الأردن
وفلسطين ودمشق وحمص (٣) ، وكانت قنسرين - وقتها - تتبع جند حمص
ومضافة إليه (٤) ، ورستاقاً من رساتيقها (٥) ، ثم انضوت الأجناد الأربعة تحت

(١) زيادة ، نقولا ، شاميات ، دراسات في الحضارة والتاريخ ، رياض الريس ، لندن ، ١٩٨٩م ص ٩٤ ،

(2) N. Eliseeff, Ḳinnasrīn, *Encyclopedia of Islam*, 2nd ed., 1986, vol. 5, p. 124.

(٣) ابن خياط ، خليفة العصفري (ت ٢٤٠هـ / ٨٥٤م) ، تاريخ خليفة بن خياط ، ٢ط ، تحقيق أكرم ضياء
العمرى ، دار القلم ودار الرسالة ، بيروت ، ١٩٧٧م . ص ١٥٥ ، وسيشار لهذا المصدر فيما بعد : ابن
خياط ، تاريخ .

(٤) الوطواط ، جمال الدين محمد بن إبراهيم بن يحيى الكتبي (ت ٧١٨هـ / ١٣١٨م) ، مناهج الفكر
ومباهج العبر ، مخطوط محفوظ بمكتبة السليمانية - إستانبول برقم ٤١١٦ مجموعة فاتح ، ٢ مج ،
نشره بالتصوير فؤاد سزكين ، معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية ، جامعة فرانكفورت بألمانيا ،
١٩٩٠م . ج ١ ، ص ٣٦١ ، وسيشار لهذا المصدر فيما بعد : الوطواط ، مناهج .

(٥) الطبري ، محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ / ٩٢٢م) ، تاريخ الرسل والملوك ، ١١ مج ، تحقيق محمد أبو
الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، مصر ١٩٧٦م . ج ٤ ، ص ١٦١ ، وسيشار لهذا المصدر فيما =

حكم بني أمية ، الذين اتخذوا من بلاد الشام قاعدة لهم ، ودمشق عاصمة لدولتهم ، ثم وقع فصل قنسرين عن حمص ، وإفرادها في جند مخصوص ، ويتفق المؤرخون والجغرافيون على أن هذا الإجراء تم في عهد بني أمية ، لكنهم يختلفون في تحديد اسم الخليفة الذي أمر به ؛ فبعضهم نسبته لمعاوية بن أبي سفيان (حكم ٤١ - ٦٠ هـ / ٦٦١ - ٦٧٩ م)^(١) ، والآخر نسبته لابنه يزيد بن معاوية (حكم ٦٠ - ٦٤ هـ / ٦٨٠ - ٦٨٤ م)^(٢) .

= بعد : الطبري ، تاريخ ، ابن شداد ، محمد بن علي بن إبراهيم (ت ٦٨٤ هـ / ١٢٨٥ م) ، الأعلام الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة ، تحقيق يحيى عبّارة ، وزارة الثقافة ، دمشق ، ١٩٩١ م ، ج ١ ، ق ١ ، ص ٢٨ ، وسيشار لهذا المصدر فيما بعد : ابن شداد ، الأعلام .

(١) اليعقوبي ، أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح (ت بعد ٢٩٢ هـ / ٩٠٥ م) ، تاريخ اليعقوبي ، تحقيق : خليل المنصور . ط ٢ ، (٢ ج في مجلد) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠٢ م . ج ٢ ، ص ١٦٣ ، وسيشار لهذا المصدر فيما بعد : اليعقوبي ، تاريخ ، الطبري ، تاريخ ج ٤ ، ص ١٦١ ، ابن عساكر ، علي بن الحسن بن هبة الله (ت ٥٧١ هـ / ١١٧٥ م) ، تاريخ مدينة دمشق ، تحقيق : محب الدين عمر بن غرامة العمروي ، ٨٠ مج ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٩٦ - ٢٠٠٠ م ، ج ١٨ ، ص ٦٦ ، وسيشار لهذا المصدر فيما بعد : ابن عساكر ، تاريخ .

(٢) ابن رسته ، أحمد بن عمر (ت نحو ٣٠٠ هـ / ٩١٣ م) ، الأعلام النفيسة ، مطبعة بريل ، ليدن ، ١٨٩٣ م . ص ١٠٧ ، وسيشار لهذا المصدر فيما بعد : ابن رسته ، الأعلام ، قدامة بن جعفر بن قدامة البغدادي (ت ٣٣٧ هـ / ٩٤٨ م) ، الخراج وصناعة الكتابة ، (شرح وتحقيق) محمد حسين الزبيدي ، دار الرشيد ، بغداد ، ١٩٨١ م . ص ٢٩٩ ، وسيشار له فيما بعد : قدامة ، الخراج ، البكري ، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي (ت ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ م) ، المسالك والممالك ، تحقيق : أدريان فان ليوفن ، أندري فيري ، ٢ مج ، الدار العربية للكتاب ، بيت الحكمة ، ١٩٩٢ م . ج ١ ، ص ٤٥٩ ، ٤٩٨ ، وسيشار له فيما بعد : البكري ، المسالك ، ابن العديم ، عمر بن أحمد (ت ٦٦٠ هـ / ١٢٦٢ م) ، زبدة الحلب من تاريخ حلب ، تحقيق : سهيل زكار ، ٢ مج ، دار الكتاب العربي ، دمشق - القاهرة ، ١٩٩٧ م . ج ١ ، ص ٤٨ ، ٥٥ ، وسيشار له فيما بعد : ابن العديم ، زبدة الحلب ، ابن =

وفي عهد بني العباس عمده الرشيد في أول سنة من خلافته (١٧٠هـ/ ٧٨٦م)، لجعل عدد من مدن جند قنسرين كخطوطٍ دفاعيةٍ خلفيةٍ للمقاتلة وسمّاها «العواصم»، لتعصم (تحفظ) المسلمين إذا طرّقه العدو فيتراجعون ويلجأون إليها^(١)، وكانت هذه المدن تشكّل في خلافة عمر وعثمان ثغور المسلمين يغزون من وراءها الروم^(٢). وهي على صورة القوس أو الهلال الذي يحتضن بلاد الشام الشمالية؛ يبتدئ من الرصافة في أقصى الجنوب الشرقي حتى أنطاكية في جهة الغرب، مروراً ببالس ومنبج وقُورُس وبوقا^(٣).

= شداد، الأعلام ج ١، ق ١، ص ٢٨ (نقلاً عن قدامة)، ابن الشحنة، محمد بن محمد الحلبي (ت ٨٩٠هـ/ ١٤٨٥م)، الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب، تحقيق: يوسف بن إليان سرركيس الدمشقي، بيروت، المطبعة الكاثوليكية للأباء اليسوعيين، ١٩٠٩م. ص ٩، وسيشار له فيما بعد: ابن الشحنة، الدر المنتخب.

(١) قدامة، الخراج ص ١٨٦، البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م)، فتوح البلدان، تحقيق: رضوان محمد رضوان، بيروت، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٨م، ص ١٣٨، وسيشار لهذا المصدر فيما بعد: البلاذري، فتوح، ياقوت بن عبد الله الحموي (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م)، معجم البلدان، ص ٥٥، دار صادر، بيروت (د.ت). مج ٤، ص ١٦٥، وسيشار له فيما بعد: ياقوت، معجم البلدان، ابن شداد، الأعلام ج ١، ق ١، ص ٢٨، ٨٤، الوطواط، مناهج ج ١، ص ٣٦٣.

(٢) البلاذري، فتوح ص ١٦٨، ابن الفقيه، أحمد بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن هَمْدَانِي (ت نحو ٣٤٠هـ/ ٩٥١م)، كتاب البلدان، تحقيق: يوسف الهادي، عالم الكتب، بيروت، ١٩٩٦م. ص ١٦١، وسيشار له فيما بعد: ابن الفقيه، البلدان، قدامة، الخراج ٣٠٧، ياقوت، معجم البلدان ج ٢، ص ٨٠.

(٣) انظر: ابن خردادبة، عميد الله بن عبد الله (ت نحو ٢٨٠هـ/ ٨٩٣م)، المسالك والممالك، مطبعة بريل، ليدن، ١٨٨٩م، ص ٧٥، وسيشار له فيما بعد: ابن خردادبة، المسالك، الإصطخري، إبراهيم بن محمد (ت نحو ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م)، مسالك الممالك، مطبعة بريل، ليدن ١٩٣٧م. ص ٦٥، وسيشار له فيما بعد: الإصطخري، مسالك.

الموقع الجغرافي والحدود:

يمثل نهر الفرات حد جند قنسرين من الشرق ، الذي يفصله عن أرض الجزيرة ، ابتداءً من المجرى الأدنى لنهر شمشاط (نهر أرسناس) ، أحد روافد نهر الفرات ، والذي يشكل حداً طبيعياً تلتقي عنده حدود الجزيرة مع حدود أرمينية وحدود الشام ، ثم يوالي نهر الفرات تحديده لجند قنسرين بالاتجاه نحو الجنوب ، مروراً بسميساط وقلعة الروم ثم جسر منبج (قلعة النجم) وبالس (مسكنة حالياً) وصولاً إلى رصافة هشام الواقعة على حدّ جند قنسرين^(١) ، وفي الجنوب يمكن اعتبار الخط المستقيم المار من الرصافة مروراً بعمرة النعمان وصولاً إلى اللاذقية هو الحد الفاصل بين جند قنسرين وجند حمص ، أما حده الغربي فيمثله ساحل البحر المتوسط^(٢) ، ويمتد هذا الساحل من شمال اللاذقية - وهي من جند حمص - حتى أنطاكية ، أما الجهة الشمالية فتفصل الثغور الجزرية والشامية بين الجند وبين بلاد الروم المتاخمة له .

الجغرافية الطبيعية والتضاريس والمناخ

الجبال والشعاب:

يقع جند قنسرين أسفل جبال طوروس ، التي تكتنف شماله بامتدادٍ من الغرب حيث نهر اللامس قرب مرسين على ساحل البحر المتوسط حتى شمشاط في جهة الشرق ، وهي جبال شاهقة شكلت حاجزاً عظيماً بين الروم

(١) الأزدي ، يزيد بن محمد بن إياس بن القاسم ، أبو زكرياء (ت ٣٣٤هـ / ٩٤٥م) ، تاريخ الموصل ،

تحقيق : علي حبيبة ، لجنة إحياء التراث ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، ١٩٦٧م . ص ٥٠ ،

وسيشار له فيما بعد : الأزدي ، تاريخ الموصل ، الطواط ، مناهج ج ١ ، ص ٢٩٥ .

(٢) ابن الشحنة ، الدر المنتخب ، ص ١٠ .

والمسلمين^(١)، وتقع أسفل هذه الجبال هضاب منحدره باتجاه الجنوب، يغلب عليها طابع الصخور الكلسية^(٢) تتخللها السهول الواسعة المناسبة للزراعة والتي تخرقها الأنهار المنحدرة من الجبال مثل نهري سيحان وجيحان فتسقي مزارعها.

ويخرج من جبال طوروس جبال متشعبة، منها جبال على هيئة القوس تحتضن خليج الإسكندرونة من جهة الشرق والجنوب، هي جبال الأمانوس (اللكام)^(٣)، يفصلها وادي نهر جيحان الأعلى عن سلسلة جبال طوروس^(٤) وهي جبال عالية طويلة؛ (نحو ٩٠ كم)^(٥) ممتدة من الشمال الشرقي نحو

-
- (١) لسترنج، كي، بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد، مؤسسة الرسالة، بيروت (د.ت)، ص ١٧، وسيشار له فيما بعد: لسترنج، بلدان الخلافة.
- (٢) نصري، كامل، وخذلون الكناني، وخالد علي، جغرافية سورية «سورية الشمالية»، مطبعة الترقى، دمشق، ١٩٣٤م. ص ١٩، وسيشار له فيما بعد: نصري وآخرون، جغرافية سورية.
- (٣) ابن خرداذبة، المسالك ص ١٧٣، ابن الفقيه، البلدان ص ٨٢، ٥٩١، الإصطخري، مسالك ص ٥٦، ابن حوقل، مُحَمَّد بن حوقل البغدادي (ت ٣٦٧هـ/ ٩٧٨م)، صورة الأرض، دار صادر، بيروت، ١٩٣٨-١٩٣٩م، ص ١٦٨، المقدسي، التقاسيم ص ١٨٨، الشريف الإدريسي، مُحَمَّد بن مُحَمَّد (ت ٥٦٠هـ/ ١١٦٥م)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٩م. ج ١، ص ٣٥٣، ج ٢، ص ٦٤٧، وسيشار له فيما بعد: الإدريسي، نزهة، ابن العديم، عمر بن أحمد بن أبي جرادة (ت ٦٦٠هـ/ ١٢٦٢م)، بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق: سهيل زكار، ج ١٢، دار الفكر، دمشق، (د.ت)، ج ١، ص ٤٣٩، الحميري، الروض، ص ٥١٠.
- (٤) ابن حوقل، صورة الأرض، ص ١٨٣، نصري وآخرون، جغرافية سورية، ص ٣٠.
- (٥) عبد السلام، عادل، الأقاليم الجغرافية السورية، مطبعة الاتحاد، دمشق، ١٩٩٠م. ص ٢٠٦، وسيشار له فيما بعد: عبد السلام، الأقاليم.

الجنوب الغربي ، على هيئة جدار تضرسي شاقق^(١) . وتتكون هذه المرتفعات الجبلية من قطعتين هما : جبل الكافر (كاور داغ) أو جبل النور (نور داغ) في الشمال ، وإلى الجنوب منه الجبل الأحمر (قيزيل داغ) الذي يرتفع إلى ١٧٩٥ م فوق سطح البحر . وبآخر الجبل الأحمر من ناحية البحر جبل موسى الذي تشكل نهايته رأس الخنزير^(٢) .

وإلى جهة الشرق من جبال الأمانوس (اللكام) تقع سلسلتين جبليتين هما امتداد لمرتفعات عينتاب من جبال طوروس ، يسمى الغربي منهما جبل الكرد (كرد داغ) ويسمى الآخر جبل سمعان (جبل لَيْلُون) ، ويجري بينهما نهر عفرين ، ويبلغ أقصى ارتفاع لجبل الكرد ١٢٠٠ م^(٣) ، ومن مرتفعاته جبل اسمه هاوار ، وأورده البلاذري بلفظ «حوار»^(٤) ، أما جبل سمعان فيقع إلى الجنوب من جبل الكرد ، غربي هضبة حلب ، وينحدر سفحه الغربي بشدة نحو مجرى نهر عفرين^(٥) . ويتصل

(١) موستراس ، س ، المعجم الجغرافي للإمبراطورية العثمانية ، ترجمة عصام الشحادات ، دار ابن حزم ، بيروت ، ٢٠٠٢ م ، ص ٣٩٤ ، وسيشار له فيما بعد : موستراس ، المعجم الجغرافي ، عبد السلام ، الأقاليم ص ٢٠٣ .

(٢) الإدريسي ، نزهة ، ج ٢ ، ص ٦٤٦ ، موستراس ، المعجم الجغرافي ص ٢٧٦ ، نصري وآخرون ، جغرافية سورية ص ٣١ ، دويدري ، رجاء وحيد ، جغرافية سورية والوطن العربي ، مطبعة طربين ، دمشق ، ١٩٨٢ م . ص ٤٠٩ ، وسيشار له فيما بعد : دويدري ، جغرافية سورية ، عبد السلام ، الأقاليم ص ٢٠٥ ، طلاس ، مصطفى طلاس ، (مشرف) المعجم الجغرافي للقطر العربي السوري ، مركز الدراسات العسكرية ، دمشق ، ١٩٩٢ م ، ج ٥٧٢ ، ج ٢ ، ص ٥٧ .

(٣) دويدري ، جغرافية سورية ص ٤١٠ ، عبد السلام ، الأقاليم ص ١٣٠ ، ٤١٧ ، طلاس ، المعجم الجغرافي ج ١ ، ص ٥٤٤ .

(٤) البلاذري ، فتوح ص ١٦٦ ، طلاس ، المعجم الجغرافي ج ١ ، ص ٥٤٤

(٥) نصري وآخرون ، جغرافية سورية ص ٣٥ ، طلاس ، المعجم الجغرافي ج ١ ، ص ٥٤٥ ، وانظر : ياقوت ، معجم البلدان ج ٤ ، ص ١٣٢ .

بجبل سمعان من جهة الشمال الجبل الأعلى^(١) .

وتغطي هضبة حلب المنطقة الممتدة من جبل سمعان حتى نهر الفرات شرقاً عند بلدة جرابلس (كركميش) وتنتهي جنوباً بنهايات جبل البشري والجبال الوسطى ، وتتخللها سهول واسعة وجبال وتلال كثيرة^(٢) ؛ أهمها : جبل الحص شرقي حلب وقبليها ، وجبل شُبَيْث إلى الجنوب الشرقي من جبل الحص^(٣) . وإلى الجنوب من جبال الأمانوس (اللكام) تقع كتلة البايير والبسيط (الباير في الشرق والبسيط في الغرب) ، وهي امتداد لكتلة جبال الساحل السوري ،

(١) ابن العديم ، بغية ، ج ١ ، ص ٤٢٢ ، ابن شداد ، الأعلام ، ج ١ ، ق ١ ، ص ٣٢ ، زكرياء ، أحمد وصفي ، جولة أثرية في بعض البلاد الشامية «وصف طبغرافي تاريخي أثري عمراني» ، ط ٢ ، دار الفكر ، دمشق ، ١٩٨٤ م . ص ٨٤ ، طلاس ، المعجم الجغرافي ، ج ٢ ، ص ٧٥ .

(٢) موستراس ، المعجم الجغرافي ، ص ٢٢٧ ، طلاس ، المعجم الجغرافي ، ج ١ ، ص ١٩٤ ، ج ٢ ، ص ١١٣ ، وانظر عن الجبال الواقعة في هضبة حلب : المسعودي ، علي بن الحسين (ت ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م) ، مروج الذهب ومعادن الجواهر ، ص ٧ ، تحقيق : بربيه دي مينار وبافيه دي كرتاي ، الجامعة اللبنانية ، بيروت ، ١٩٦٥ - ١٩٧٩م ، ج ١ ، ص ١٠٧ ، ١٤٢ ، وسيشارله فيما بعد : المسعودي ، مروج ، الإسكندري ، نصر بن عبد الرحمن (ت ٥٦١هـ/ ١١٦٦م) ، الأمكنة والمياه والجبال والأنهار ونحوها المذكورة في الأخبار والأشعار ، تحقيق : حمد الجاسر ، ص ٢ ، مركز الملك فيصل ، الرياض ، ٢٠٠٤ م . ج ١ ، ص ٤٥٧ ، وسيشارله فيما بعد : الإسكندري ، الأمكنة . البكري ، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي ، (ت ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م) ، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواقع ، تحقيق : مصطفى السقا ، ص ٢ ، عالم الكتب ، بيروت (د .ت) ، ج ١ ، ص ٢٥١- ، ابن العديم ، بغية ج ١ ، ص ٤١١ ، ٤١٥ ، ٤٢٣ ، ٤٣١ ، ٤٣٧ ، ٤٤١ ، ياقوت ، معجم البلدان ج ١ ، ص ٣٣١ ، ٤٢٦ ، ج ٢ ، ص ١٨٦ ، ج ٤ ، ص ١٦٧ .

(٣) ياقوت ، معجم البلدان ، ج ١ ، ص ١١٤ ، ج ٣ ، ص ٣٢٣ ، ابن العديم ، بغية ، ج ١ ، ص ١١٥ ، ٤٢٨ ، أبو الفداء ، تقويم ص ٢٣٣ ، طلاس ، المعجم الجغرافي ، ج ١ ، ص ٢٠٥ ، عبد السلام ، الأقاليم ص ٨١ ، ٢٣٣ .

يفصلها عن جبال اللكام مجرى نهر العاصي ، بينما يشكل ساحل البحر حدّها من جهة الغرب^(١) .

ويقع جبل بهراء وتنوخ (جبل العلويين أو النصيرية) أسفل جبال البايير والبسيط ، وهو من الجبال الساحلية التي تمتد بطول ١٣٥ كم من الشمال إلى الجنوب^(٢) . وربما يدخل جزء منه ضمن جند قنسرين ، إذ يبتدئ من ناحية الشمال من نواحي اللاذقية^(٣) . وإلى الشرق منه يقع جبل السَّمَّاق (جبل بني عليم) المعروف الآن بجبل الزاوية ، وهو يشتمل على مدن كثيرة وقرى وقلاع ، ويشرف على سهول حلب الغربية^(٤) ، وهو من أشد جبال الشمال السوري وعورة نتيجة لانتشار الصخور الكلسية والبركانية^(٥) المتباينة في الارتفاع والانخفاض ، ويفصله عن جبل بهراء وتنوخ وادي نهر العاصي وسهل الغاب^(٦) .

السهول:

تشكل السهول مظهراً طبيعياً من تضاريس جند قنسرين ، ويمكن - لسهولة

(١) طلاس ، المعجم الجغرافي ، ج ١ ، ص ١٩٤ ، عبد السلام ، الأقاليم ، ص ٢٠٧ ، الشيخ ، محمد إسماعيل ، البايير والبسيط ، مقالة في الموسوعة العربية ، هيئة الموسوعة العربية ، ط ١ ، دمشق ، ٢٠٠١م ، ج ٤ ، ص ٦٨٥ .

(٢) موستراس ، المعجم الجغرافي ، ص ٢٢٩ ، عبد السلام ، الأقاليم ، ص ٢٠٨ - ٢٠٩ .

(٣) الإصطخري ، مسالك ، ص ٥٦ ، ابن حوقل ، صورة الأرض ص ١٦٨ ، الإدريسي ، نزهة ج ١ ، ص ٣٥٣ .

(٤) ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ١٠٢ ، نصري وآخرون ، جغرافية سورية ، ص ٣٥ .

(٥) نصري وآخرون ، جغرافية سورية ، ص ٢٠ ، عبد السلام ، الأقاليم ، ص ١٢٨ ، طلاس ، المعجم الجغرافي ج ١ ، ص ١٩٦ ، ٥٤٦ .

(٦) عبد السلام ، الأقاليم ، ص ١٢٩ ، دويدري ، جغرافية سورية ، ص ٤١١-٤١٢ ، نصري وآخرون ، جغرافية سورية ، ص ٣٦ .

تناولها - قسمتها إلى سهول ساحلية وسهول داخلية :

فالسهول الساحلية تمتد من أقصى حدود الجند في جهة الغرب ، من عند نهر اللامس غرب مرسين في إقليم قليقية (كليكية) حتى انتهاء أراضي الجند في الجنوب عند ساحل اللاذقية ، وهذا الشريط السهلي الساحلي متباين في عرضه تبعاً لقرب الجبال والتلال أو بعدها ، ويشكل أكبر عرض له في الشمال حيث سهول طرسوس وأذنة التي تخترقها أنهار جيحان وسيحان^(١) ، وتوصف سهول إسكندرونة وأنطاكية بأنها صغيرة لكنها تمتاز بخصوبة التربة ووفرة المياه ، ولذا فهي تشتهر بكثرة المزروعات وبالأشجار المثمرة^(٢) .

ويتسع عرض السهل الساحلي بين رأس الخنزير واللاذقية ، فهو يبتدئ شمالاً من جنوب جبل الأقرع بعرض قليل ثم يأخذ بالاتساع كلما اتجهنا جنوباً حتى يصل إلى غاية اتساعه عند مجرى النهر الكبير الشمالي قرب اللاذقية . وقد تعرّضت أجزاء من الجبال إلى الحتّ بفعل العوامل الطبيعية ، وساعدت الزلازل في اتساع السهل الساحلي بين الجبال والبحر ، إذ ضرب أنطاكية زلزال في شهر شوال سنة ٢٤٥هـ / ٨٥٩م ، فتقطع جبل الأقرع وسقط في البحر^(٣) .

(١) موستراس ، المعجم الجغرافي ، ص ٣٤٠ ، نصري وآخرون ، جغرافية سورية ، ص ٤٠ ، طلاس ،

المعجم الجغرافي ، ج ١ ، ص ١٩٠ ، حسين ، الحياة الزراعية ، ص ١٧ .

(٢) الحميري ، الروض ، ص ٢٨ ، نصري وآخرون ، جغرافية سورية ، ص ٤١ ، طلاس ، المعجم الجغرافي

ج ٢ ، ص ٩٩ .

(٣) الطبري ، تاريخ ج ٩ ، ص ٢١٣ ، ابن العبري ، غريغوريوس بن الشماس هارون بن توما المظني (ت

٦٨٥هـ / ١٢٨٦م) ، تاريخ مختصر الدول ، دار المسيرة ، بيروت ، (د.ت) . ص ١٤٣ وأرخه في سنة

٢٤٢هـ / ٨٥٦م ، وسيشار له فيما بعد : ابن العبري ، تاريخ مختصر ، الذهبي ، محمد بن أحمد بن

عثمان (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م) ، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، ١٧م ، تحقيق : بشار

عواد ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ٢٠٠٣م . ج ٥ ، ص ٩٨٨ ، وانظر عن السهل الساحلي :

نصري وآخرون ، جغرافية سورية ص ٩٠ ، طلاس ، المعجم الجغرافي ، ج ١ ، ص ١٩٢ .

أما السهول الداخلية فهي أقرب - نتيجة ارتفاعها النسبي - للهضاب منها للسهول، وهي ذات تربة مختلفة من مكان لآخر، وتمتاز بقلة مياهها، فأنهارها لا تكفي لسقيها، وأمطارها لا تسدّ حاجة أراضيها من الري اللازم، بعكس السهول الساحلية التي تمتاز بوفرة مياهها وغزارة أمطارها وكثرة أنهارها، كما أن أراضي السهول الساحلية متجانسة بشكل عام إذ هي أراضٍ طينية رملية^(١).

فإلى الشمال الغربي من حماة يبدو سهل الغاب، الممتد من تل سلحب حتى قرقور بين جبل بهراء وتنوخ (النصيرية) غرباً وجبل الزاوية وهضاب إدلب شرقاً، وكان في القديم بحيرة قبل أن يطالها الغمر^(٢)، ويمتد باتجاه الشمال بطول ٦٠ كم وعرض يزيد عن ١٤ كم، وترتبه بازلتية في منتهى الخصوبة، وكانت مياه نهر العاصي والينابيع الأخرى التي ترفده تفيض فيه في فصل الشتاء^(٣). وإلى الشمال الشرقي من سهل الغاب، توجد انخفاضات تتصل بوادي العاصي بعتبات قليلة الارتفاع؛ منها سهل وادي الروج، ويسمى أيضاً سهل أدلب، ويقع غرب حوض قويق ويشتهر بمحاصيله الزراعية^(٤). وإلى الجنوب من حلب يوجد سهل فيه عدد من القرى منها قرية تل ماسح^(٥).

وشمال سهل الغاب يوجد سهل العمق، بينهما نحو ٣٠ كم^(٦)، وموضعه بين جبل الكافر وجبل الأحمر من جهة وجبل الكرد من جهة أخرى، ويستمر صعوده باتجاه الشمال مع مجرى نهر الأسود، وتتراكم فيه المياه الغائضة فتؤلف بحيرة مستغدره هي بحيرة العمق، وبين سهلي العمق والغاب يجتاز نهر

(١) نصري وآخرون، جغرافية سورية، ص ٤٠.

(٢) المرجع نفسه، ص ١٢٥.

(٣) المرجع نفسه، ص ٤٢.

(٤) دويدري، جغرافية سورية، ص ٤٢٩.

(٥) ياقوت، معجم البلدان ج ١، ص ٣٧١.

(٦) انظر: نصري وآخرون، جغرافية سورية، ص ١٢٥.

العاصي^(١) ، وكانت أكثر ميرة أنطاكية تأتي من سهل العمق^(٢) .
أما السهول الشرقية فهي تبدأ بسهل حلب الواسع الممتد حتى شاطئ
الفرات ، وترتبه حمراء تصلح للزراعة^(٣) ، ويتصل في الجنوب بسهول حماة
وحمص الفسيحة الخصبة التي ينساب فيها نهر العاصي^(٤) .

الأنهار:

يشتمل جند قنسرين على مجموعة من الأنهار ، وهي تكثر كلما اتجهنا
شمالاً^(٥) ، وتتنوع في خصائصها بحسب الإقليم الذي تقع فيه ، فأنهار السهول
الساحلية ليست أكثر من أنهار سيلية^(٦) ، تتصف بقصرها وسرعة جريانها ،
وهي تتجه من الشرق إلى الغرب فتتصب في البحر ، وتتصف أيضاً بكونها
عُرْضة للجفاف في فصل الصيف عندما تنحبس الأمطار عن تغذيتها . أما أنهار
حفرة الانهدام فهي تمتاز بطولها وانتظام خط مياهها وباتتهاء مصبها في البحر .
ونجد الأنهار في السهول الداخلية عكس ذلك ، باستثناء نهر الفرات ، فهي
متوسطة الطول ، مستهلكة المياه بالسقي ، وجميعها تفيض في بحيرات
مستنقعة^(٧) .

(١) نصري وآخرون ، جغرافية سورية ، ص ٤٣ ، زكرياء ، جولة أثرية ص ٦٤ ، وانظر : طلاس ، المعجم

الجغرافي ، ج ١ ، ص ١٩٦ .

(٢) ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ١٥٦ .

(٣) نصري وآخرون ، جغرافية سورية ص ٤٣ .

(٤) نصري وآخرون ، جغرافية سورية ، ص ٤٣ ، وانظر عن السهل في غربي جبل الحص : ابن العديم ،

بغية ج ١ ، ص ٤٢٨ .

(٥) المقدسي ، التقاسيم ، ص ١٧٩ .

(٦) طلاس ، المعجم الجغرافي ، ج ١ ، ص ٢٤٦ .

(٧) نصري وآخرون ، جغرافية سورية ، ص ٤٥ ، طلاس ، المعجم الجغرافي ، ج ١ ، ص ٢٤٧ .

فأنهار السهول الساحلية:

* نهر جيحان : ويسمى نهر المصيصة^(١) ، منخرجه من بلاد الروم ، ويرفده بعد مجاوزته مدينة الحدث نهر حُورِيث ، وينتهي في البحر الشامي (البحر المتوسط)^(٢) .

* نهر سيحان : ويسمى نهر أذنة لمروره منها ، منخرجه من بلاد الروم ، وينتهي مصبه في البحر الشامي ، وهو أصغر من نهر جيحان^(٣) .

* نهر البردآن : ويسمى نهر الغضبان ونهر طرسوس لمروره منها ، منخرجه من

(١) ابن خرداذبة ، المسالك ص ١٧٧ ، ابن الفقيه ، البلدان ص ١٦٥ ، المسعودي ، علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦هـ / ٩٥٧م) ، التنبيه والإشراف (باعثناء) م ج دي غويه ، بريل ، ليدن ، ١٨٩٣م ، ص ٥٨ ، الإسكندري ، الأمكنة ، ج ١ ، ص ٣٢٠ ، ابن العديم ، بغية ج ١ ، ص ٣٧٣ ، أبو الفداء ، تقويم ص ٢٣٣ ، لسترنج ، بلدان الخلافة ، ص ١٦٤ .

(٢) ابن خرداذبة ، المسالك ، ص ١٧٧ ، ابن رسته ، الأعلام ، ص ٩١ ، قدامة ، الخراج ، ص ١٥٦ ، الإصطخري ، مسالك ، ص ٦٣ ، ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ١٨٣ ، المقدسي ، التقاسيم ، ص ٢٢ ، الإدريسي ، نزهة ، ج ٢ ، ص ٦٤٦ ، ابن سعيد ، علي بن موسى بن محمد المغربي (ت ٦٨٥هـ / ١٢٨٦م) ، بسط الأرض في الطول والعرض ، تحقيق : خوان فرنيط خينيس ، معهد مولاي الحسن ، تطوان ، المغرب ، ١٩٥٨م . ص ٨٣ ، ياقوت ، معجم البلدان ج ٢ ، ص ١٩٦ ، ج ٥ ، ص ٣٢٠ ، ابن العديم ، بغية ، ج ١ ، ص ١٦٠ ، ٣٧٣ ، الوطواط ، مناهج ج ١ ، ص ٣٦٢ ، الحميري ، الروض ، ص ١٨٥ ، موستراس ، المعجم الجغرافي ، ص ٢٣٦ ، زكرياء ، جولة أثرية ، ص ٣١ .

(٣) ابن خرداذبة ، المسالك ، ص ١٧٧ ، ابن رسته ، الأعلام ، ص ٩١ ، ابن الفقيه ، البلدان ، ص ١٤٣ ، ١٦٥ ، ٥١٧ ، المسعودي ، التنبيه ، ص ٥٨ ، ١٨٣ ، الإصطخري ، مسالك ، ص ٦٣-٦٤ ، ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ١٨٣ ، المقدسي ، التقاسيم ، ص ٢٢ ، الإدريسي ، نزهة ، ج ٢ ، ص ٦٤٧ ، ياقوت ، معجم البلدان ، ج ١ ، ص ١٣٣ ، ج ٣ ، ص ٢٩٣ ، ابن العديم ، بغية ، ج ١ ، ص ١٧١ ، ٣٧٩-٣٨٠ ، أبو الفداء ، تقويم ، ص ٢٤٩ ، الوطواط ، مناهج ، ج ١ ، ص ٣٦٢ ، الحميري ، الروض ، ص ٢٠ ، ٣٣٣ ، لسترنج ، بلدان الخلافة ، ص ١٦٤ ، موستراس ، المعجم الجغرافي ، ص ٣١٢ .

ثلاثة فروع رئيسة تنبع من قمة جبل بولقار داغ ويصب في البحر الشامي^(١) ، وقبل أن يصل طرسوس يرفده نهر غزير اسمه نهر الفاتر^(٢) .
 * نهر اللامس : يقع غرب طرسوس^(٣) ، وعلى ضفتيه كانت تتم عملية الفداء بين المسلمين والروم .
 * النهر الكبير الشمالي : منبعه من الجبل الأقرع ويبلغ طوله ٨٠ كم ، وينتهي في البحر جنوب اللاذقية^(٤) .

أنهار حضرة الانهدام:

* نهر العاصي : وهو نهر طويل يمتد مسافة ٤٥٠ كم ، مخرجه من نبعي : اللبوة شمال غربي بعلبك ، ونبع مغارة الراهب قرب الهرمل ، ويجتمع هذان النبعان ليؤلفا النهر ، ويسير من الجنوب إلى الشمال ولهذا سمي بالنهر المقلوب أو العاصي ، فيصل إلى سهل الغاب ، وينعطف شمالاً بين جبال بهراء وتنوخ (النصيرية) غرباً وجبلي الوسطاني والزاوية شرقاً ، فيوالي سيره باستقامة حتى جسر الحديد ويدخل بعدها في سهل العمق ، فينحرف منه إلى ناحية الشمال الغربي حيث يرفده نهر العمق القادم من بحيرة العمق (بحيرة أنطاكية) ، ثم ينعطف نحو الجنوب الغربي ماراً بين جبل الأحمر وجبل الأقرع ، ثم يندفع نحو

(١) اليعقوبي ، تاريخ ، ج ٢ ، ص ٢٨٧ ، ابن الفقيه ، البلدان ، ص ١٦٥ ، المسعودي ، مروج ، ج ١ ، ص

١٤٢ ، المقدسي ، التقياسيم ، ص ٢٢ ، ياقوت ، معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٣٧٦ ، ج ٤ ، ص ٢٨ ، ابن

العديم ، بغية ، ج ١ ، ص ١٧٧ ، ٣٨٩ ، موستراس ، المعجم الجغرافي ، ص ٣٥٠ ، لسترنج ، بلدان

الخلافة ص ١٦٥ ، واسمه الرومي «نهر كودنس Cydnus» .

(٢) المسعودي ، التنبيه ، ص ٥٨ .

(٣) اليعقوبي ، تاريخ ج ٢ ، ص ٣٣٩ ، الطبري ، تاريخ ج ٩ ، ص ٥٧ .

(٤) نصري وآخرون ، جغرافية سورية ، ص ٤٥ ، دويدري ، جغرافية سورية ، ص ٤٣١ ، طلاس ، المعجم

الجغرافي ج ١ ، ص ٢٤٧ .

البحر الشامي جنوب السويدية^(١) . ويرفده عدد من الأنهر بعضها عبارة عن سيول تتجمع من الجبال والهضاب منها : نهر العاصي الصغير ، ونهر الميداني ، ونهر الكافات ، ونهر الأبيض^(٢) ، ونهر الرقيا (الرقية) الخارج من بحيرة جندارس^(٣) .

ومن الأنهار التي تنتهي في بحيرة العمق (بحيرة أنطاكية) : نهر عفرين ، وهو ينحدر من موضع يقع في الشمال الغربي من عينتاب ، ويستمر سيره نحو بلدة عفرين ويتجاوزها إلى سهل ومستنقعات بحيرة العمق^(٤) ، وينصب في بحيرة العمق أيضاً نهر يغرا^(٥) ، ونهر البراك^(٦) ، والنهر الأسود الجاري بين جبل الكرد وجبل الأحمر^(٧) .

(١) ابن رسته ، الأعلام ، ص ٩١ ، الإدريسي ، نزهة ، ج٢ ، ص ٦٤٥ ، أبو الفداء ، تقويم ، ص ٢٣٣ ، موستراس ، المعجم الجغرافي ، ص ٤٨٢ ، نصري وآخرون ، جغرافية سورية ، ص ٤٨ - ٤٩ ، طلاس ، المعجم الجغرافي ، ج١ ، ص ٢٤٨ - ٢٥٠ .

(٢) زكرياء ، جولة أثرية ، ص ١١٦ ، دويدري ، جغرافية سورية ، ص ٤٣٤ ، طلاس ، المعجم الجغرافي ، ج٢ ، ص ٤٩ .

(٣) المسعودي ، التنبيه ، ص ٥٩ .

(٤) عبد السلام ، الأقاليم ، ص ١٣٠ ، طلاس ، المعجم الجغرافي ، ج١ ، ص ٢٥٠ ، ج٤ ، ص ٣١٦ .

(٥) نصري وآخرون ، جغرافية سورية ، ص ١٢٤ ، طلاس ، المعجم الجغرافي ، ج٥ ، ص ٥٠٩ .

(٦) نصري وآخرون ، جغرافية سورية ، ص ١٢٥ .

(٧) أبو الفداء ، تقويم ، ص ٢٥٧ ، ٢٦١ ، نصري وآخرون ، جغرافية سورية ، ص ٤٣ ، ١٢٥ ، طلاس ،

المعجم الجغرافي ، ج١ ، ص ٢٥٠ ، ج٢ ، ص ١٠١ .

الأنهار الداخلية:

نهر الفرات : من أكبر أنهار المنطقة مساحة وأكثرها طولاً حيث يبلغ طوله من منابعه وحتى التقائه بنهر دجلة جنوب العراق نحو ٢٣٣٥ كم^(١) ، وهو ينبع من قاليقلا في الشمال الشرقي للأناضول من الهضبة الأرمينية المغطاة بالثلوج ، ثم ينحدر ماراً بسهل ملطية نحو الجنوب الغربي على هيئة قوس ، ويتجه نحو الجنوب الشرقي مخترقاً جبال طوروس الجنوبية الشرقية ، وبعدها يتجه جنوباً نحو الرقة فاصلاً أرض الجزيرة عن الشام^(٢) ، ثم يوالي جريانه باتجاه العراق . وترفده خلال مروره العديد من الأنهار وما يخرج من العيون ، فينصب فيه :

- نهر أرسناس (شمشاط) : ويأتي من جبال تقع شمال بحيرة وان (شرق الأناضول) ، ويصب فيه نهر الذئب^(٣) ، ويمر قريباً من ملطية^(٤) ، ويسمى اليوم باسم مراد صو^(٥) .

(١) موستراس ، المعجم الجغرافي ، ص ٤٨٢ ، طلاس ، المعجم الجغرافي ، ج ٤ ، ص ٤٦٦ .

(٢) ابن خردادبة ، المسالك ، ص ١٧٤ ، ابن الفقيه ، البلدان ، ص ٢١١ ، البلاذري ، فتوح ، ص ١٩١ ، ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ٢٠٨ ، البكري ، المسالك ، ج ١ ، ص ٢٣٣ ، سهراب بن ساريان ، عجائب الأقاليم السبعة ، (ت ق ١٠/هـ ١٠) تحقيق هانس فون مزيك ، مطبعة ادولف هولز هوزن ، فينا ، ١٩٢٩م ، ص ١١٩ ، قدامة ، الخراج ص ١٥٥ ، ٣١٩ ، المسعودي ، مروج ، ج ١ ، ص ١١٧ ، الإدريسي ، نزهة ، ج ٢ ، ص ٦٥٠ ، ابن العديم ، بغية ، ج ١ ، ص ٣٥٩ ، الوطواط ، مناهج ، ج ١ ، ص ٢٩٥ ، الحميري ، الروض ص ٤٣٩ ، لسترنج ، بلدان الخلافة ص ١٥٢ ، نصري وآخرون ، جغرافية سورية ، ص ٥٠ ، طلاس ، المعجم الجغرافي ، ج ١ ، ص ٢٥٥ ، ج ٤ ، ص ٤٦٦ .

(٣) سهراب ، عجائب الأقاليم ، ص ١٣٧ ، لسترنج ، بلدان الخلافة ، ص ١٤٨ .

(٤) ابن خردادبة ، المسالك ، ص ١٧٤ ، ابن الفقيه ، البلدان ، ص ٢١١ ، سهراب ، عجائب الأقاليم ، ص ١٢٠ ، ١٣٧ ، الإدريسي ، نزهة ، ج ٢ ، ص ٦٥٠ ، ٨١٥ ، ابن العديم ، بغية ، ج ١ ، ص ١٥ ، ٣٥٩ ، موستراس ، المعجم الجغرافي ، ص ٤٢٦ .

(٥) لسترنج ، بلدان الخلافة ، ص ١٤٧ وفيه : نسبة للسلطان مراد الرابع (١٦٢٣-١٦٦٤م) .

- ويتلقى نهر الفرات في مجراه الطويل مياه العديد من الروافد في حوضه ، منها : نهر توخمة صو الذي ينبع من جبال طوروس ، ويلتقي الفرات عند مدينة ملاطية في الأراضي التركية الجبلية . وتنتهي باقي الروافد في الفرات بالأراضي السورية ، منها : نهر الساجور وهو رافد يميني ينبع من منطقة عنتاب في «تركيا» ، ويعبر الأراضي السورية ليصب في نهر الفرات جنوب جرابلس بنحو ٢٠ كم ، بطول ١٠٨ كم (٦٠ كم في سورية) . ونهر البليخ ، وهو رافد يساري للفرات ، وتشكل عين عروس منابعه الحالية القريبة من مدينة تل أبيض السورية ، ويلتقي الفرات إلى الشرق من الرقة بنحو ٤ كم وطوله ١٠٥ كم ، ويمكن لمياهه أن تصل الفرات شتاءً ، أما صيفاً فتجف مياهه وتزرع جوانبه . وأطول الروافد نهر الخابور السوري الذي ينبع من ينابيع رأس العين ويعبر مدينة الحسكة جنوباً لينتهي بالفرات عند الطرف الشرقي من بلدة البصيرة ، بعد أن يقطع مسافة نحو ٤٦ كم . أما في العراق فلا يتلقى الفرات أي روافد ويتلقى نهر الفرات في مجراه الطويل مياه العديد من الروافد في حوضه ، منها : نهر توخمة صو الذي ينبع من جبال طوروس ، ويلتقي الفرات عند مدينة ملاطية في الأراضي التركية الجبلية . وتنتهي باقي الروافد في الفرات بالأراضي السورية ، منها : نهر الساجور وهو رافد يميني ينبع من منطقة عنتاب في تركيا ، ويعبر الأراضي السورية ليصب في نهر الفرات جنوب جرابلس بنحو ٢٠ كم ، بطول ١٠٨ كم (٦٠ كم في سورية) . ونهر البليخ ، وهو رافد يساري للفرات ، وتشكل عين عروس منابعه الحالية القريبة من مدينة تل أبيض السورية ، ويلتقي الفرات إلى الشرق من الرقة بنحو ٤ كم وطوله ١٠٥ كم ، ويمكن لمياهه أن تصل الفرات شتاءً ، أما صيفاً فتجف مياهه وتزرع جوانبه . وأطول الروافد نهر الخابور السوري الذي ينبع من ينابيع رأس العين ويعبر مدينة الحسكة جنوباً لينتهي بالفرات عند الطرف الشرقي من بلدة البصيرة ، بعد أن يقطع مسافة نحو ٤٦ كم . أما في العراق فلا يتلقى الفرات أي روافد نهر القُباقب : مخرجه من بلاد الروم ، من شرقي مدينة

عمورية^(١) ، وغربي ملطية ، ويمر بين جبال وحصون وصحارى^(٢) ، وينتهي في الفرات^(٣) ، وهو أهم روافده بعد نهر أرسناس ، وكان اسمه قديماً نهر ملاس ، ويسمى اليوم طوخمه صو^(٤) .

- نهر سَنَجَة : نهر صغير قرب قرية سنجة^(٥) ، ويسمى نهر كيسوم لمروره قريباً منها^(٦) ، ما بينها وبين حصن منصور^(٧) ، ويصب في الفرات شمال مدينة سميساط على مسافة قليلة ، ويسمى الآن نهر بُلْم صو^(٨) .

- نهر الساجور : أحد روافد الفرات من ناحية جند قنسرين^(٩) ، منبعه من جبال طوروس ، وتجتمع إليه مياه من عدة عيون في عينتاب ، ثم يمر بقرية

(١) الإدريسي ، نزهة ، ج٢ ، ص ٨٠٩ ، ٨١٥ ، ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م) ، العبر وديوان المبتدأ والخير ، في أيام العرب والعجم والبربر ، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، ١٤م ، تحقيق : مجموعة من الباحثين بإشراف الأستاذ إبراهيم شيوخ . ١٤م ، القيروان للنشر ، تونس ٢٠٠٦-٢٠١٢م ، ج١ ، ص ١٣١ ، وسيشار له فيما بعد : ابن خلدون ، العبر .

(٢) سهراب ، عجائب الأقاليم ، ص ١٢١ ، لسترنج ، بلدان الخلافة ، ص ١٥٢ .

(٣) البلاذري ، فتوح ، ص ١٩١ ، ابن الفقيه ، البلدان ، ص ١٦٣ ، سهراب ، عجائب الأقاليم ، ص ١٢١ ، ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٣٠٣ ، لسترنج ، بلدان الخلافة ، ص ١٥٢ .

(٤) لسترنج ، بلدان الخلافة ، ص ١٥٢ .

(٥) ابن الفقيه ، البلدان ، ص ٢١١ ، لسترنج ، بلدان الخلافة ، ص ١٥٦ .

(٦) ابن الفقيه ، البلدان ، ص ٢١١ ، وظن ابن الفقيه أن نهر سنجة غير نهر كيسوم .

(٧) الوطواط ، مناهج ، ج١ ، ص ٤١٢ .

(٨) لسترنج ، بلدان الخلافة ، ص ١٥٦ .

(٩) ابن العديم ، بغية ، ج١ ، ص ٣٥٨ ، ابن شداد ، الأعلام ج١ ، ق١ ، ص ٢٣ ، طلاس ، المعجم

الجغرافي ، ج٤ ، ص ٤٦٦ .

النفاخ وتجتمع إليه عيون أخرى من بلدة تل باشر^(١)، ويجري في أراضي جند قنسرين ليصب في الفرات جنوب جرابلس (كركميش)، وطوله ١٠٨ كم^(٢).

- نهر المرزبان: يأتي من الجبال، ويصب في نهر الفرات تحت قلعة الروم^(٣).
- نهر بهنسى ونهر رعبان: وهما من الأنهار الصغيرة التي ترفد نهر الفرات^(٤).
- ومن الأنهار الداخلية أيضاً:
- نهر الجوز: يقع شمال مدينة الباب^(٥)، بين حلب والبيرة (في الجزيرة)^(٦).
- النهر الأزرق: بالثغور الشامية، بين بهنسى وحصن منصور في طرف بلاد الروم من جهة حلب^(٧)، وينحدر إلى الشمال الغربي من حصن منصور^(٨).
- نهر قويق: ويسمى نهر حلب، لأنه يعبر بها من الشمال إلى الجنوب^(٩).

(١) شداد، الأعلام، ج١، ق١، ص ٢٣، الوطواط، مناهج، ج١، ص ٣٦٣، تلاس، المعجم الجغرافي ج١، ص ٢٥٦.

(٢) تلاس، المعجم الجغرافي، ج٣، ص ٥٨٧.

(٣) ابن العديم، بغية، ج١، ص ٣٥٨، وسماه «نهر البرسمان»، أبو الفداء، تقويم ص ٢٦٩.

(٤) ابن العديم، بغية، ج١، ص ٣٥٨.

(٥) ابن سعيد، بسط الأرض، ص ٨٧.

(٦) ابن سعيد، بسط الأرض، ص ٨٧، ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص ١٨٣.

(٧) ياقوت، المعجم الجغرافي، ج٥، ص ٣١٧، ابن العديم، بغية، ج١، ص ٣٥٨.

(٨) لسترنج، بلدان الخلافة، ص ١٥٦.

(٩) ابن خرداذبة، المسالك، ص ١٧٧، ابن رسته، الأعلام، ص ٩١، سهراب، عجائب الأقاليم، ص

١٤٤، الإدريسي، نزهة، ج٢، ص ٦٤٨، الإسكندري، الأمكنة، ج٢، ص ٣٨٤، ابن جبّير،

محمّد بن أحمد الأندلسي (ت ٦١٤هـ/١٢١٧م)، رحلة ابن جبّير، دار صادر، بيروت،

١٩٩٥م. ص ٢٢٨، وسيشار له فيما بعد: ابن جبّير، الرحلة، أبو الفداء، تقويم ص ٢٦٧،

الحميري، الروض، ص ٣٥٧، ٤٨٦، موستراس، المعجم الجغرافي، ص ٢٥١.

منبعه من قرية سُنْيَاب قرب عينتاب ، ويسير باتجاه الجنوب فيمر على حلب ثم على قنسرين ، وينتهي إلى مرج الأحمر (تل السلطان) وبحيرة المطخ (المتخ)^(١) ، ويبلغ طوله ١٥٠ كم^(٢) ، وهو كبير في الشتاء ، صغير في الصيف^(٣) ، وكان شرب أهل حلب منه^(٤) .

- نهر الذهب : ينبع من عيون في بزاعة شرقي بلدة الباب وينصب في بحيرة (سبخة) الجبُول^(٥) ، بعد أن يمر بالعديد من القرى فيسقيها^(٦) .

الينابيع والعيون:

يحتوي جند قنسرين على العديد من العيون والينابيع والبرك التي تتشكل بفعل الأمطار ، حيث توجد عدة عيون شمال حلب تجتمع مياهها فترفد نهر

(١) ابن خرداذبة ، المسالك ، ص ١٧٧ ، ابن رسته ، الأعلام ، ص ٩١ ، سهراب ، عجائب الأقاليم ص ١٤٤ ، الإدريسي ، نزهة ، ج ٢ ، ص ٦٤٨ ، ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٤١٧ ، ابن العديم ، بغية ج ١ ، ص ٣٤٧ ، ابن سعيد ، بسط الأرض ، ص ٨٧ ، ابن شداد ، الأعلام ، ج ١ ، ص ٣٢ ، الوطواط ، مناهج ج ١ ، ص ٣٦٢ ، أبو الفداء ، تقويم ص ٢٦٧ ، الحميري ، الروض ص ٤٧٤ ، ٤٨٦ ، ابن الشحنة ، الدر المنتخب ، ص ١٣٥ ، زكرياء ، جولة أثرية ص ١٧٨ ،

Eliseeff, Kinnasrīn, *El²*, vol. 5, p. 124.

(٢) نصري وآخرون ، جغرافية سورية ، ص ٥٢ ، دويدري ، جغرافية سورية ص ٤٢٨ ، طلاس ، المعجم الجغرافي ، ج ٤ ، ص ٦٢٥ .

(٣) ابن بطران ، الرحلة ، ص ٧٦ .

(٤) ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ١٧٨ ، المقدسي ، التقاسيم ، ص ١٥٥ ، المهليبي ، الكتاب العزيزي ، ص ٨٤ ، الإدريسي ، نزهة ، ج ٢ ، ص ٦٤٩ ، ابن العديم ، بغية ، ج ١ ، ص ٥٩ .

(٥) ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ١٠٧ ، نصري وآخرون ، جغرافية سورية ، ص ٥٣ ، زكرياء ، جولة أثرية ، ص ٢١٤ ، طلاس ، المعجم الجغرافي ، ج ١ ، ص ٢٥٢ .

(٦) ابن العديم ، بغية ، ج ١ ، ص ٢٧٢ .

قويق قبل وصوله إلى حلب^(١)، وفي قرية حَيْلان - شمالي حلب - أعين ماء فوارة كثيرة الماء^(٢)، يجتمع ماؤها ثم يساق إلى المدينة عبر قناة تمر تحت المدينة إلى أن تدخل من باب الأربعين وتنقسم منه في طرق متعددة إلى البلد^(٣)، فتسقي بساقيها^(٤). «ولحلب في قصبها عين ماء حسنة»^(٥). وفي قبلي المدينة عين تدعى «أشمونيت»، تسقي بستاناً وما يزيد عنه يصب في نهر قويق^(٦)، ويوجد بناوحي الجبل الأعلى (غربي حلب) قرى فيها أعين ماء^(٧)، وفي شرق تل أعزاز ينبع ماء في قرية إلبل^(٨)، وترفد نهر عفرين بعض الينابيع المنبجسة شمال حلب كنبع قطمة ونبع الباسوطة^(٩)، وكانت العرب تنزل عين سيّلم بناوحي حلب^(١٠)، وفي جنوب حلب تقع عين المباركة التي تمدّ نهر قويق بعد خروجه من حلب فيقوى وتدور عليه الأرحاء^(١١).
وتكثر ينابيع المياه والعيون أيضاً في قرى جبل السماق (بني عليم)^(١٢)،

(١) ابن العديم، بغية، ج١، ص ٣٤٧.

(٢) ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص ٣٣٢، ابن العديم، بغية، ج١، ص ٥٧، زبدة الحلب، ج١، ص ٤٠، طلاس، المعجم الجغرافي، ج١، ص ٢٦١.

(٣) ابن العديم، بغية، ج١، ص ٥٧.

(٤) ابن الطيب السرخسي، رحلة المعتضد (ضمن كتاب بغية الطلب لابن العديم) ج١، ص ٦٦.

(٥) الإدريسي، نزهة، ج٢، ص ٦٤٩.

(٦) ياقوت، معجم البلدان، ج١، ص ٢٠٠.

(٧) ابن العديم، بغية، ج١، ص ٤٢٢.

(٨) طلاس، المعجم الجغرافي، ج٢، ص ١٢٦.

(٩) المرجع نفسه، ج١، ص ٢٥١، ٢٦١، ج٢، ص ٢١٧، ج٤، ص ٣١٦.

(١٠) ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص ١٧٨.

(١١) ابن العديم، بغية، ج١، ص ٣٤٧، أبو الفداء، تقويم، ص ٣٨٥.

(١٢) طلاس، المعجم الجغرافي، ج١، ص ٥٤٦.

ففي قرية من قرأه تسمى إصطمك خزان (صهريج) كبير لجمع الماء من بناء الروم^(١)، وفي أعلى الجبل عين ماء تنحدر إلى قرية ريحا (أريحا) فينتفعون بمائها^(٢)، وفيه شعابه (في قرية كفر لاثا) عين ماء تسقي ما تحتها من بساتين^(٣).

وتكثر في جند قنسرين عيون المياه المتفجرة خصوصاً فيما بين حلب وأنطاكية^(٤)، فهناك خمسة عيون بالسحنة من نواحي قنسرين مأوها في غاية الحرارة ينتفع السكان بها من البلغم والريح والجرب^(٥)، ومنها «عيون ماء في الجبل المطل على أنطاكية من شرقيها، عُملت لها قنوات لتصل إلى المدينة والأسواق والمنازل^(٦)، وعين السلور بقرب أنطاكية^(٧)، وفي كورة الجومة - من كور أنطاكية - عيون ماء كبريتية تجري إلى الحمة^(٨)، وفي بغراس أعين ماء^(٩)، وحارم بلدة صغيرة ذات أعين ونهر صغير^(١٠)، وأيضاً دربساك مدينة فيها

(١) ابن العديم، بغية، ج ١، ص ٢٣.

(٢) ياقوت، معجم البلدان، ج ٣، ص ١١١، ابن العديم، بغية، ج ١، ص ٤٢٦.

(٣) ياقوت، معجم البلدان، ج ٤، ص ٤٧٠، ابن العديم، بغية، ج ١، ص ٤٢٦.

(٤) ابن بطلان، الرحلة ٧٧، أبو الفداء، تقويم، ص ٢٥٧، الحميري، الروض، ص ٣٨، وانظر: طلاس، المعجم الجغرافي، ج ١، ص ٢٦٢.

(٥) ابن الشحنة، الدر المنتخب، ص ١٣١.

(٦) المهلي، الكتاب العزيزي، ص ٦٥، الإدريسي، نزهة، ج ٢، ص ٦٤٥، ابن العديم، بغية، ج ١، ص ٨٨، أبو الفداء، تقويم، ص ٢٥٧، الحميري، الروض ص ٣٨.

(٧) البلاذري، فتوح، ص ١٥٣، ابن العديم، بغية، ج ١، ص ١٥١.

(٨) المهلي، الكتاب العزيزي، ص ٦٦، ابن الشحنة، الدر المنتخب، ص ١٣١.

(٩) أبو الفداء، تقويم، ص ٢٥٩.

(١٠) ياقوت، معجم البلدان، ج ٢، ص ٢٠٥، أبو الفداء، تقويم، ص ٢٥٩، طلاس، المعجم الجغرافي، ج ١، ص ٢٤٤.

أعين^(١)، وفي قرية عمّ بين حلب وأنطاكية عين ماء جارية^(٢)، يدور عليها رحا، وفيها بركة ماء تعرف باسم بركة عم^(٣)، وعين ماء تخرج من تحت بكّاس^(٤).

وتوجد عدد من عيون الماء في وادي بُطنان فتمدّ نهر الذهب في انحداره نحو سبخة الجبُول^(٥)، بل إن معنى بُطنان هي تلك المواضع التي يستقر فيها الماء من سيول وغيرها^(٦)، وبلدة بزاعة في وادي بُطنان ذات عيون ومياه جارية^(٧)، منها «عين مَعِينة يخترق ماؤها بسيط بطحاء ترف بساتينها خضرة ونضارة»^(٨)، وبقرّب بطنان قرى عامرة فيها مياه جارية^(٩)، وأيضاً عيون أخرى في قرى نقرة بني أسد من نواحي سبخة الجبُول^(١٠). وإلى الجنوب منها فيما بين حلب وسلمية أو تدمر عدة عيون وينابيع منها: ماء البَدِيَّة^(١١) وِعَوِير^(١٢)

(١) أبو الفداء، تقويم، ص ٢٦١.

(٢) ياقوت، معجم البلدان، ج ٤، ص ١٥٧، ابن بطلان، الرحلة، ص ٧٧.

(٣) زكرياء، جولة أثرية، ص ٧٠، طلاس، المعجم الجغرافي، ج ٤، ص ٣٣٦.

(٤) ياقوت، معجم البلدان، ج ١، ص ٤٧٤.

(٥) ابن العديم، بغية، ج ١، ص ٢٧٢، وانظر: ياقوت، معجم البلدان، ج ١، ص ٤٤٧.

(٦) ياقوت، معجم البلدان، ج ١، ص ٤٤٧.

(٧) المصدر نفسه، ج ١، ص ٤٠٩.

(٨) ابن جبّير، الرحلة، ص ٢٢٤.

(٩) ياقوت، معجم البلدان، ج ٤، ص ٢٣٤.

(١٠) ابن العديم، بغية، ج ١، ص ٢٧٢.

(١١) ياقوت، معجم البلدان، ج ١، ص ٣٦٠.

(١٢) المصدر نفسه، ج ٤، ص ١٧٠.

والبييض (١) والجباه (٢) ، وكان شرب أهل الناعورة (قصر مسلمة بن عبد الملك) من ماء العيون (٣) .

وفي الشغور شمال الجند تكثر المياه والعيون في عينتاب (٤) ودلوك (٥) ، وإلى الشمال منهما تقع مرعش والحدث وهما مدينتان ثغريتان فيهما مياه كثيرة (٦) ، وأيضاً عيون تل باشر التي تدفع في نهر الساجور (٧) .

وبالرغم مما تقدّم ذكره من عيون الماء والعديد من الأنهار ، فإن الإصطخري وابن حوقل (٨) يذكران أن جميع ما بجند قنسرين أعداء (أي لا تسقى إلا بماء المطر) ، وأنه ليس فيه ماء جار ولا عيون ، وأن معتمد الأهالي على ما يرد من الأمطار فقط ، وهو مخالف لما تقدم ذكره ، بل ومخالف لما ذكره الإصطخري في الكلام على سميساط وأن زروعها سقي (٩) ، ومخالف أيضاً لكلام ابن حوقل على حلب من أن شربهم من نهر قويق ، وأيضاً كلامه على مدينة قنسرين -

(١) ياقوت ، معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٥٣٨ .

(٢) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ١٠٠ .

(٣) المصدر نفسه ، ج ٥ ، ص ٢٥٣ .

(٤) أبو الفداء ، تقويم ، ص ٢٦٩ .

(٥) اليعقوبي ، أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح (ت بعد ٢٩٢ هـ / ٩٠٥ م) ، البلدان ، مطبعة بريل ، ليدن ، ١٨٨٩ م . ص ٣٦٣ ، ابن العديم ، بغية ، ج ١ ، ص ٢٦١ ، ابن شداد ، الأعلام ، ج ١ ، ق ١ ، ص ١٠٢ .

(٦) الإصطخري ، مسالك ، ص ٦٢ ، مجهول (مؤلف من أهل ق ٤هـ / ١٠م) ، حدود العالم من المشرق إلى المغرب ، طبعة مزيدة ، تحقيق : يوسف الهادي ، الدار الثقافية للنشر ، القاهرة ، ٢٠٠٢ م . ص ١٧٥ ، ابن العديم ، بغية ، ج ١ ، ص ٢٣٥ ، أبو الفداء ، تقويم ، ص ٢٦٣ .

(٧) أبو الفداء ، تقويم ، ص ٢٣٢ .

(٨) الإصطخري ، مسالك ، ص ٦١ ، ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ١٧٨ .

(٩) الإصطخري ، مسالك ، ص ٦٢ .

مركز الجند - من أنها كثيرة المياه^(١) . وربما مقصدهما إلى بعض مدن الجند التي ليس فيها ماء مثل معرة النعمان التي ليس بأرضها ولا في شيء من نواحيها ماء جار ولا عين ، فيعتمد أهلها في شربهم على ماء المطر يجمعونه في الآبار^(٢) ، وكذلك الرصافة التي ليس لأهلها ماء إلا من ماء صهريج كبير داخل سور المدينة^(٣) ، وفسّر ابن العديم نص ابن حوقل بأن المراد : «ضواحي قنسرين وقراها»^(٤) .

البحيرات:

يوجد في جند قنسرين عدد من البحيرات والتجمعات المائية ، تجعله من أكثر أجناد الشام احتواءً لها ، ومنها :

* بحيرة العمق أو بحيرة أنطاكية : تشبه المستنقع ، ويصب فيها نهرا عفرين والأسود ، وتتصل بمجرى نهر العاصي الأسفل^(٥) ، والبحيرة ذات مياه عذبة^(٦) .

* بحيرة يَغْرًا : وتسمى أيضاً بحيرة بغراس ، وهي بحيرة كبيرة مستطيلة^(٧) ،

(١) ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ١٧٨ .

(٢) ناصر خسرو (كان حياً ٤٥٥هـ/ ١٠٦٣م) ، سفرنامه ، ترجمة يحيى الخشاب ، ط٢ ، الهيئة المصرية ،

القاهرة ، ١٩٩٣م ، ص ٥٦ ، وسيشار له فيما بعد : ناصر خسرو ، سفرنامه ، الإدريسي ، نزهة ج٢ ،

ص ٦٥٢ ، ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ١٥٦ ، الحميري ، الروض ، ص ٥٥٥ .

(٣) ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٤٧ ، ابن العديم ، بغية ، ج ١ ، ص ١١٣ .

(٤) ابن العديم ، بغية ، ج ١ ، ص ٧٢ - ٧٣ .

(٥) نصري وآخرون ، جغرافية سورية ، ص ٥٣ .

(٦) ياقوت ، معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٣٥١ .

(٧) ابن العديم ، بغية ، ج ١ ، ص ٤٠٩ .

بقرب أنطاكية من عمل حارم وناحية العمق^(١)، تتشكل من مياه عين السلور^(٢)، وذكر ياقوت أن عين السلور هي ذاتها بحيرة يغرا، بعد أن تجتمع إليها مياه العاصي ونهر عفرين والنهر الأسود^(٣).

* بحيرة المطخ (المتخ أو المرج الأحمر قديماً): مستنقع يقع إلى الجنوب من حلب وقنسرين، يكون أوطأ منخفض في شمال الشام، وهو مستوى أساس نهر قويق عندما كان نهراً^(٤)، إذ كان يمر على قنسرين ثم إلى المرج الأحمر ثم يفيض في أجمة هناك^(٥).

* بحيرة (سبخة) الجبُول: تقع جنوب شرق حلب على بعد ٤٠ كم^(٦)، عند نهاية نهر الذهب^(٧)، فبعد جريان نهر الذهب في وادي بطنان تمدّه بعض عيون الوادي حتى يصل إلى الجبُول^(٨)، وتبلغ مساحتها ١٥٠ كم^(٩).

(١) ابن العديم، بغية، ج١، ص ١٥١، ٤٠٩، ج٤، ص ١٧٨.

(٢) البلاذري، فتوح، ص ١٥٣، ابن شداد، الأعلام، ج١، ق١، ص ٩٨.

(٣) ياقوت، معجم البلدان، ج١، ص ٣٥٢.

(٤) نصري وآخرون، جغرافية سورية، ص ٥٣، زكرياء، جولة أثرية، ص ١٧٨، عبد السلام، الأقاليم،

ص ٧٩، ٨١، طلاس، المعجم الجغرافي، ج١، ص ٥٤٩.

(٥) ابن خردادبة، المسالك، ص ١٧٧، ابن رسته، الأعلام، ص ٩١، الإدريسي، نزهة، ج٢، ص

٦٤٩، ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص ٤١٧، ابن العديم، بغية، ج١، ص ٣٤٧، ابن سعيد،

بسط الأرض، ص ٨٧.

(٦) طلاس، المعجم الجغرافي، ج١، ص ١٨٠.

(٧) ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص ١٠٧، موستراس، المعجم الجغرافي ٢٣٠، طلاس، المعجم

الجغرافي، ج٢، ص ٦٣٤.

(٨) ابن العديم، بغية، ج١، ص ٢٧٢.

(٩) دويدري، جغرافية سورية، ص ٤٣٥، طلاس، المعجم الجغرافي، ج١، ص ٢٠٤، وذكر في موضع

آخر من كتابه (ج١، ص ٢٥٢) أن مساحتها تبلغ ٢٣٩ كم، وفي موضع ثالث (ج١، ص ٥٥١):

١٥٠٠ كم؟!

✽ بحيرة الحدث : وتسمى عين زَيْثًا ، ومنها منبع نهر حُورِيث الذي يمرّ بالقرب من مدينة الحدث في أقصى ثغور الشام ، ويجري حتى يرفد نهر جيحان^(١) ، وجعل ياقوت موضع البحيرة بقرب مرعش^(٢) .

المناخ؛

يظهر مما سبق مقدار التنوع الكبير في طبيعة وتضاريس جند قنسرين ، ففيه من الجبال الشاهقة التي تكتنف شماله إلى الألسن المتفرعة منه في الجنوب كجبال الأمانوس (اللكام) وجبل الكرد وجبل سمعان إلى جبال وهضاب داخلية تتوزع في جهاته وأنحائه ، ويتخلل هذه الجبال أودية على هيئة الممرات أو المنافذ ، تكثر فيها السهول والأنهار العديدة التي تخترق أنحائه وتغذيها هذه الأودية بانحدار المياه ، وتوزعت فيه أيضاً السباخ والمستنقعات والبحيرات .

ويقع الجند ضمن المنطقة المعتدلة الشمالية الحارة ، وتتناوب فيها الجبال والسهول والتلال والسباخ فيختلف جوّها تبعاً لذلك ؛ فكلما اتجهنا من الغرب نحو الشرق يأخذ الجوُّ بالاشتداد وتتناقص الرطوبة ، بينما تزداد البرودة والرطوبة كلما اتجهنا من الجنوب نحو الشمال^(٣) ؛ وعلى هذا كانت حلب طيبة الهواء^(٤) ، وأنطاكية موصوفة بالنزاهة والحسن وطيب الهواء^(٥) ، وبلدة تل أعزاز في سهول حلب الغربية «طيبة الهواء صحيحة»^(٦) ، وملطية - في أقصى شمال

(١) ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ٣٢٠ ، وقد وهم سهراب ، عجائب الأقاليم ، ١٢٣ ، في جعل

مصبه إلى نهر قبايق الذي يرفد الفرات .

(٢) ياقوت ، معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٣٥١ .

(٣) المقدسي ، التقاسيم ، ص ١٧٩ ، نصري وآخرون ، جغرافية سورية ، ص ٢٢ - ٢٣ .

(٤) ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٢٨٢ .

(٥) ياقوت ، معجم البلدان ، ج ١ ، ص ١٣٣ ، الحميري ، الروض ، ص ٣٨ .

(٦) ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ١١٨ .

الجند - شديدة البرد^(١) ، وامتازت المناطق الشرقية من الفرات من نواحي البادية بطيب الهواء وخلوها من الأوبئة والأمراض ، ولذا كانت مقصودة من الخلفاء والأمراء للسكنى ، كالرصافة ومنج التي وصفت بأنها صحيحة الهواء^(٢) .

ومناخ السهل الساحلي الممتد من إسكندرونة حتى اللاذقية يتمتع بجو البحر المتوسط الرطب ، ذي الشتاء المعتدل والصيف الحار ، لقربه من البحر ولكون الجبال تشكل حاجزاً بينها وبين مناخ الداخل ، فيتراوح معدل الحرارة صيفاً بين ٢٨ - ٤٠ ، وشتاءً بين ١٠ - ١٥ ، والمعدل السنوي لحرارتها ٢٠^(٣) . وقد عبّر الفاتحون الأوائل عن اعتدال مناخ المنطقة المحيطة بأنطاكية ، يقول ميسرة بن مسروق العبسي بعد دخولهم أنطاكية صلحاً : «نظرنا إلى بلد رطب طيب الهواء ، كثير الماء والخيرات ، فاستطابه المسلمون ، ووددنا لو أقمنا فيه شهراً لنستريح ، فما تركنا أبو عبيدة فيه غير ثلاثة أيام»^(٤) .

وتهبُّ على السهول الساحلية رياح شمالية باردة ، ورياح غربية وجنوبية غربية تجلب الأمطار الغزيرة ، إذ يتراوح المعدل السنوي للأمطار في هذه السهول بين ٧٠٠ - ٩٠٠ ملم ، وتشكل سلسلة الجبال الممتدة والمسيرة للساحل حاجزاً أمام الرياح الشرقية ، إلا ما ينفذ منها بين الممرات والشعاب الجبلية فيؤثر في مناخ تلك المنطقة^(٥) .

وتشتهر المنطقة الشمالية - خصوصاً الثغور - بشدة البرد وكثرة الثلوج وغزارتها ، وقد عانى المسلمون الأوائل من برودة الشتاء ، خاصة أثناء تتبعهم

(١) أبو الفداء ، تقويم ، ص ٣٨٥ .

(٢) المسعودي ، مروج ، ج ٤ ، ص ٢٧١ ، ابن جبير ، الرحلة ، ص ٢٢٣ .

(٣) نصري وآخرون ، جغرافية سورية ، ص ٩٠ .

(٤) الواقدي ، محمد بن عمر السلمي ، أبو عبد الله (ت ٥٢٠٧هـ / ٨٢٢م) ، فتوح الشام ، ج ٢ في مج ، دار

الجيل ، بيروت ، (د. ت. ج. ١) ، ص ٣٠٩ ، وسيشار له فيما بعد : الواقدي : فتوح الشام .

(٥) نصري وآخرون ، جغرافية سورية ، ص ٩١ .

فلول القوات الرومية في جبال الأمانوس (اللكام) بعد فتح الشام في خلافة عمر رضي الله عنه ، كما شكلت برودة المنطقة عائقاً أمام تقدم المسلمين شمالاً في بعض غزواتهم لبلاد الروم ، حتى في فصل الصيف ، إذ تسبب البرد في تعثر بعض الصوائف وعدم خروجها (تخرج الصائفة عادة في العاشر من تموز) ^(١) ، ففي سنة ١٧٢هـ / ٧٨٨م خرجت صائفة ولم يستطع المقاتلة المسير أبعد من نهر جيحان لشدة البرد فعادوا ^(٢) ، وفي سنة ١٧٥هـ / ٧٩١م خرجت صائفة وحقت أهدافها لكن المقاتلة «أصابهم برد شديد قطع أيديهم وأرجلهم» ^(٣) .

الحياة الزراعية في الجند

لا تكاد المصادر الجغرافية - وبعض التاريخية - تتعرض لمدن ومواقع جند قنسرين إلا وتصفها بالخصوبة وكثرة الأشجار والزرور والفواكه والثمار ، وكثرة ما فيها من مياه وأنهار ، وقد تقدم الكلام على الجغرافية الطبيعية للجند ، وتضاريسه ومناخه وما فيه من تنوع في كافة أحواله ، بما ساهم في تنوع الحياة الزراعية ؛ وهذا التنوع يكاد يغلب على أجناد الشام جميعها .

عناية الدول الإسلامية بزراعة الجند

كانت قنسرين مزدهرة زراعياً وتجارياً في القرن الرابع الميلادي ^(٤) ، وساهمت هجرة القبائل العربية أثناء الفتوح وبعدها في عملية الاستقرار ، ومن ثم ممارسة الزراعة فيها ، ونجد بعد نحو عقدين من فتح الشام أن الأجناد أصبحت ملأى

(١) قدامة ، الخراج ، ص ١٩٣ .

(٢) ابن خياط ، تاريخ ، ص ٤٤٨ .

(٣) الطبري ، تاريخ ، ج ٨ ، ص ٢٤١ ، ابن الأثير ، علي بن محمد الجزري (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٣م) ،

الكامل في التاريخ ، ط ٧ ، ج ١٣ ، بيروت ، دار صادر ، ٢٠٠٥م ، ج ٦ ، ص ١٢٢ .

(4) Eliseeff, *Qinnasrīn, EI²*, vol. 5, p. 124.

ولم تعد تحتل هجرات أخرى فاتّجعت الخلافة إلى إسكان المهاجرين الجدد في الجزيرة^(١).

واقترنت عناية بني أمية في زراعة الجند على بعض المدن الثغرية التي تم السيطرة عليها ، فأرسلوا إليها من يقوم بإعمارها ورتبوا فيها من يتولى حفظها ، والإعمار يقتضي توفير المراعي المناسبة وزرع الثمار والأشجار ، فمن هذه المدن الثغرية حصن ثابت ، وكان موقعه في الموضع الذي بُنيت عليه مدينة المصيصة^(٢) ، وحصن منصور^(٣) ، ومرعش التي تولى إعمارها الخليفة معاوية وأسكن فيها جنداً ثم تولى تحصينها العباس بن الوليد بن عبد الملك ونقل إليها الناس ، وبني فيها مسجداً جامعاً ، وأثناء محاربة مروان الثاني لأهل حمص تعرّضت لاعتداء الروم ، فأعاد مروان بنائها وإعمارها^(٤).

ولم يكن لدولة بني أمية اهتمامٌ في مجال حفر الأنهار وإقامة القنوات أو استصلاح الأراضي في جند قنسرين ، مثلما فعلوا في مواضع أخرى من الشام والعراق ، كاحتفارهم الأنهار بدمشق مثل نهر يزيد وغيره^(٥) ، وينفرد من بينهم الخليفة هشام بن عبد الملك الذي حكم مدة ١٩ سنة منذ عام ١٠٥هـ/ ٧٢٣م فقد «اتخذ مستغلات كثيرة في أكثر المدن التي في سلطانه والخانات والحوانيت والضياع والمزارع ، وهو أول من اتخذ الضياع من العرب واشتق أنهاراً كثيرة غزيرة ، واستخرج النهر الذي فوق الرقة وغرس غرساً كثيراً بالجزيرة والشامات

(١) ابن عساكر، تاريخ، ج ١٨ ، ص ٦٦ .

(٢) ابن العديم ، بغية ، ج ١ ، ص ٢٠٧ .

(٣) ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٢٦٦ ، ابن العديم ، بغية ، ج ١ ، ص ٢٤٩ ، الحميري ، الروض ،

ص ٢٠٣ ، لسترج ، بلدان الخلافة ، ١٥٥ ، وسمي بهذا الاسم نسبة لبانيه منصور بن جعونة العامري

في خلافة مروان الثاني .

(٤) ابن عساكر ، تاريخ ، ج ١٩ ، ص ٢٤٧ ، الحميري ، الروض ، ص ٥٤١

(٥) ابن عساكر ، تاريخ ، ج ٢ ، ص ٣٦٩ - ٣٨٩ ، ج ١٥ ، ص ١٣٢ .

فبلغت غلته أكثر من خراج مملكته»^(١)، واقتصرت جهودهم بإقامة بعض الجسور على الأنهار، كالجسر الذي أقامه الخليفة هشام بن عبد الملك على الفرات مقابل الرقة سنة ١٢٣هـ/ ٧٤١م^(٢). وقنطرة أذنة (جسر الوليد) وهي قنطرة رومية قديمة، أعاد الخليفة الأموي الوليد بن يزيد ترميمها وسميت جسر الوليد^(٣). وبالرغم من قلة عناية بني أمية بزراعة الجند فقد كانت قنسرين - عندما كانت جزءاً من جند حمص وبعد وقوع الفصل - عاصمة الدولة الأموية الزراعية الغنية بالمنتجات^(٤).

وفي دولة بني العباس بدأ الاهتمام في الجانب الزراعي لجند قنسرين أفضل حالاً، وظهرت أعمالهم في المدن الثغرية من الجند، مثل ملطية التي عمّرها المنصور سنة ١٣٩هـ/ ٧٥٦م وزُرعت^(٥)؛ وأسكنها أربعة آلاف مقاتل من الجزيرة، وأقطعهم المزارع^(٦). وأوصى أبو جعفر المنصور ابنه المهدي واستحثه على عمارة البلاد^(٧)، وأبدى الرشيد اهتماماً واضحاً بالزراعة، وكانت المواضع

(١) المنبجي، أغاببوس بن قسطنطين (من أهل ق ٤هـ/ ١٠م)، المنتخب من تاريخ المنبجي، تحقيق: عمر

عبد السلام تدمري، دار المنصور، طرابلس، لبنان، ١٩٨٦م. ص ٨٨، وسيشار له فيما بعد:

المنبجي، المنتخب.

(٢) الزوقيني، الراهب السرياني (كان حياً سنة ١٥٧هـ/ ٧٧٤م)، تاريخ الزوقيني، (ترجمه من

السريانية) بطرس قاشا، المكتبة البولسية، بيروت، ٢٠٠٦م، ص ٨٨، وسيشار له فيما بعد:

الزوقيني، تاريخ.

(٣) البلاذري، فتوح ١٧٢، ياقوت، معجم البلدان ج ٢، ص ١٤٠، ابن العديم، بغية ج ١، ص ١٥٩،

لسترنج، بلدان الخلافة ص ١٦٣.

(4) Eliseeff, Kinnasrīn, *Et*², vol. 5, p. 124.

(٥) الأزدي، تاريخ الموصل، ص ١٧١.

(٦) ابن العديم، بغية، ج ١، ص ٢٥٦.

(٧) اليعقوبي، تاريخ، ج ٢، ص ٢٧٥.

النزهة والعامرة بالمزروعات تُلفت نظره ، وعندما اتخذ مدينة الرافقة - بجانب الرقة وهي جزرية - لسكناه مدَّ إليها قناتين الأولى من الفرات والأخرى من سروج واشترى مياه القرى من أصحابها ، وحفر لهم نهراً جديداً وغرس عدّة بساتين^(١) . وفي أيامه تم زراعة مرج عبد الواحد - قرب حصن منصور - وكان قبل ذلك حمى لخيل المسلمين^(٢) . وأهدى إليه عبد الله بن صالح بن علي الهاشمي - وكان مسكنه بقنسرين - شيئاً من ثمار بستانه ، «أطباق بعضها فوق بعض : فستق وبنديق ، إلى غير ذلك من الفاكهة الرطبة»^(٣) . ولعبد الله هذا اعتناء بالزراعة وامتدت أعماله إلى سلمية في جند حمص ، «فأجرى لها نهراً واستنبط أرضها حتى زرع فيها الزعفران»^(٤) .

وفي خلافة المأمون تم استحداث البساتين وتوفير المياه في حصن كيسوم بأمر عبد الله بن طاهر ، وكان ذلك سنة ٢١٠هـ بعد القبض على نصر بن شبث الذي عصى به^(٥) ، ونقدر أن لابن طاهر جهوداً في زراعة مواضع أخرى من الجند خصوصاً وأنه أقام بقنسرين مدة أربع سنوات والياً عليها ومحارباً للمتغلبين فيها ، ويدلل على هذا أنه عندما توجه إلى مصر بعد القضاء على ثورة نصر نقل

(١) مارميخائيل السرياني ، مار ميخائيل «بطريك أنطاكية» (ت ٥٩٥هـ / ١١٩٩م) ، تاريخ مار ميخائيل السرياني الكبير ، ج٣ ، ترجمة مار غريغوريوس صليبا شمعون ، تقديم : مار غريغوريوس يوحنا إبراهيم ، دار ماردين ، حلب ، ١٩٩٦م . ج٢ ، ص ٤٣٣ ، ابن العبري ، غريغوريوس جمال الدين بن الشماس هارون بن توما الملطي (ت ٦٨٥هـ / ١٢٨٦م) ، تاريخ الزمان ، (ترجمه عن السريانية) الأب إسحق أرملة ، تقديم : الأب جان موريس فييه ، دار المشرق ، بيروت ، ١٩٨٦م . ص ١٣ ، وسيشار له فيما بعد : ابن العبري ، تاريخ الزمان .

(٢) البلاذري ، فتوح ، ص ١٩٥ ، قدامة ، الحراج ، ص ٣٢١ ، ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ١٠٢ .

(٣) المسعودي ، مروج ، ج ٤ ، ص ٢٢٨ - ٢٢٩ .

(٤) اليعقوبي : البلدان ، ٣٢٤ .

(٥) ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٤٩٧ .

إليها نوعاً من البطيخ فُنسب إليه وسمي «البطيخ العبدلي أو العبدلاوي»^(١). وتُظهر سيرة المعتصم اهتماماً بالزراعة في كافة أقاليم الدولة، وكان يحبّ العمارة (الزراعة)؛ يقول: «إن فيها أموراً محمودة، أولها عمران الأرض التي يحيى بها العالم، وعليها يزكو الخراج، وتكثر الأموال، وتعيش البهائم، وترخص الأسعار، ويكثر الكسب، ويتسع المعاش»، وأعطى لوزيره محمد بن عبد الملك الصلاحية المطلقة في زراعة أي موضع يراه مناسباً واستصلاحه دون استشارة الخليفة أو مراجعته: «إذا وجدت موضعاً متى أنفقت فيه عشرة دراهم جاءني بعد سنة أحد عشر درهماً فلا تؤامرني فيه»^(٢). ولما بنى سامراء سنة ٢٢١هـ / ٨٣٦م وأنشأ فيها البساتين حُمِلت إليها النخيل والأشجار وأنواع الغروس والأشجار من الشام وسائر البلدان والبقاع^(٣)، وربما أعجبه شيء من مزروعات جند قنسرين فاحتمله إلى سامراء، خصوصاً وأنه كان والياً على الشام في خلافة أخيه المأمون عدّة سنين (٢١٣ - ٢١٨هـ / ٨٢٨ - ٨٣٣م).

أهم المزروعات والمحاصيل الزراعية التي اشتهر بها الجند:

أكثر المصادر التراثية - خصوصاً مدونات الجغرافيين - من الإشادة بكثرة المزروعات وانتشار البساتين في أغلب مدن جند قنسرين، خصوصاً في مدينة حلب^(٤)، التي أطلق على أحد أبوابها باب الجنان لأنه يخرج منه إلى

(١) ابن خلكان، أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت ٦٨١هـ / ١٢٨٢م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ٨م، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٠م، ج ٣، ص ٨٨، الوطواط، مناهج ج ٢، ص ٣٠٨.

(٢) المسعودي، مروج، ج ٤، ص ٣٤٤-٣٤٥، ابن عساكر، تاريخ، ج ٧٣، ص ٢٤٥.

(٣) اليعقوبي، البلدان، ص ٢٥٨، ٢٦٣، وتاريخه ج ٢، ص ٣٣٢، المسعودي، مروج، ج ٤، ص ٣٥٢، الحميري، الروض، ص ٣٠١.

(٤) مجهول، حدود العالم، ص ١٧٦، ابن جبير، الرحلة، ص ٢٢٨، ابن العديم، بغية، ج ١، ص ٤١٥، ابن الشحنة، الدر المنتخب، ص ٢٥.

البساتين^(١)، وذكر ابن الطيب السرخسي أن أهل حلب يعتمدون في سقي بساتينهم التي بداخل المدينة من عيون بأعلى حلب تجري مياهها على وجه الأرض مقدار أربعة فراسخ حتى تدخل المدينة فتسقي بساتين الدور هناك سيحاً^(٢). وعلق ابن العديم على قول السرخسي بأن العيون المذكورة هي قناة حلب الآتية من حيلان، وهي تسقي داخل باب الأربعين بستاناً بطل وتحول إلى منازل للسكنى، وتسقي بستان اليهود بباب اليهود الذي هو وقف على الكنيسة^(٣). كما تنتشر بربرض المدينة الواسع بساتين تتصل بطوله^(٤). ويؤكد ما ذهب إليه ابن العديم من بطلان بعض البساتين في زمنه (ق ٥٧/ ١٣م) قول أبو الفداء (بعد قرن من الزمان) أن حلب لها بساتين قلائل^(٥).

وكانت مدينة قنسرين - مركز الجند - نزهة عامرة^(٦)، واشتهرت أنطاكية بكثرة بساتينها المحتفة بالأنهار^(٧)؛ المدينة وما يتبع لها من ضياع وقرى ونواح خصبة جداً^(٨)، حتى قيل ليس بعد دمشق أنزه منها داخلياً وخارجياً^(٩)، وساهمت وفرة المياه في إقبال الناس على اتخاذ المزارع والبساتين، بعضها في داخل المدينة^(١٠)، وأخرى خارجها، ممتدة ستة فراسخ في جبال فيها مزارع

(١) ابن العديم، بغية، ج ١، ص ٥٥.

(٢) ابن الطيب السرخسي، رحلة المعتضد (ضمن بغية الطلب لابن العديم) ج ١، ص ٦٦.

(٣) ابن العديم، بغية، ج ١، ص ٦٦.

(٤) ابن جبير، الرحلة، ص ٢٢٨.

(٥) أبو الفداء، تقويم، ص ٢٦٧.

(٦) مجهول، حدود العالم، ص ١٧٦.

(٧) المهلب، الكتاب العزيزي، ص ٦٥، الوطواط، مناهج، ج ١، ص ٣٦٣.

(٨) الإصطخري، مسالك، ص ٦٢.

(٩) الإصطخري، مسالك، ص ٦٢، الإدريسي، نزهة، ج ٢، ص ٦٤٥.

(١٠) البكري، المسالك، ج ١، ص ٤٦١، الإدريسي، نزهة، ج ٢، ص ٦٤٥، ونقله عنه: الحميري،

الروض، ص ٣٨.

وأشجار البلوط^(١) . ويمر بظاهرها نهر العاصي فيسقي بساتينها وأراضيها^(٢) .
 وبجبل اللكام المطل عليها مزارع ومراع وأشجار^(٣) ، وهو «أعمر جبال الشام
 وأكبرها وأكثرها ثماراً»^(٤) . ووصف ابن بطلان مرأى «البساتين فيه والمياه
 المتفجرة والأنهار الجارية ما يتصور الإنسان أنه في الجنة»^(٥) ، وأشار أيضاً لكثرة
 الأديرة في هذا الجبل ، وربما كانت هذه المزارع في يد الرهبان يعتاشون منها
 وينفقون ما يفيض عنهم في نفقات الدير ومن يلجأ إليه ، ويذكر ياقوت ديراً
 قديماً اسمه دير بلاض من أعمال حلب مشرف على عمّ فيه رهبان لهم
 مزارع^(٦) .

وفيما بين أنطاكية وحلب تنتشر المزارع والبساتين ، في قرية حارم^(٧)
 وأرتاح^(٨) ، ودير مارت مَروثا ويسمى أيضاً دير البيعتين (غرب حلب)^(٩) ،
 وبساتين جبل السماق التي تعتمد في الري على الأمطار سوى بعض المناطق
 التي توجد فيها عيون ماء^(١٠) ، كتلك التي في رأس جبل السماق حيث عين
 ماء تكثر حولها الأشجار ، وفي شعب من شعابه تقع بلدة كفر لاثا وهي ذات

(١) الحميري ، الروض ، ص ٣٨ - ٣٩ .

(٢) ابن بطلان ، الرحلة ، ص ٨٦ ، ياقوت ، معجم البلدان ج ١ ، ص ٢٦٨ .

(٣) الإصطخري ، مسالك ، ص ٦٢ .

(٤) المقدسي ، التقاسيم ، ص ١٨٩ .

(٥) ابن بطلان ، الرحلة ، ص ٧٩ .

(٦) ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٥٠١ .

(٧) ابن العديم ، بغية ، ج ١ ، ص ٩٠ .

(٨) ابن شداد ، الأعلام ، ج ١ ، ق ١ ، ص ١٠٠ .

(٩) ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٥٣١ .

(١٠) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ١٠٢ .

بساتين ومياه جارية نزهة طيبة^(١) وهي من أنزه البقاع المشرفة على قنسرين وحلب^(٢)، وقرية كفر نجد من قرى جبل السماق كبيرة كثيرة الأشجار^(٣)، وإلى الشمال من أنطاكية تقع الإسكندرونة وهي خصبة ذات زروع كثيرة وغللات متنوعة^(٤).

وتنتشر في شمال الجند بعض البساتين، في تل باشر (شمال حلب) المشهورة بوفرة مياهها^(٥)، وقرية مشحلا من قرى عزاز وبها نهر جار وبساتين^(٦)، وفي بغراس (شمال أنطاكية) أعين وواد وبساتين^(٧)، ودر بساك لها أعين وبساتين، ومن شرقيها مروج متسعة يمر فيها النهر الأسود^(٨).

وفي غرب الجند تنتشر الأشجار والبساتين والمزروعات في بلدتي سمرين ومعرة مصرين، وأرضهما خصبة تعتمد في الري على الأمطار^(٩).

كما تكثر المزارع والبساتين في الجنوب الغربي من الجند في مواضع عديدة مثل: الشجر وبكاس وتحتها نهر يجري ولهما بساتين وفواكه كثيرة^(١٠)، ووصفت قرية ريحا بأنها من أنزه بلاد الله وأطيبها ذات بساتين وأشجار

(١) ياقوت، معجم البلدان ج ٤، ص ٤٧٠.

(٢) ابن العديم، بغية، ج ١، ص ٤٢٦.

(٣) المصدر نفسه، ج ١، ص ٤٧٧.

(٤) ابن حوقل، صورة الأرض، ص ١٨٢، الإدريسي، نزهة، ج ٢، ص ٦٤٦.

(٥) ابن سعيد، بسط الأرض، ص ٨٧، أبو الفداء، تقويم، ص ٢٣٢.

(٦) ابن العديم، بغية، ج ١، ص ٤٦٦، ابن الشحنة، الدر المنتخب، ص ٩٧.

(٧) أبو الفداء، تقويم، ص ٢٥٩.

(٨) المصدر نفسه، ص ٢٦١.

(٩) مجهول، حدود العالم، ص ١٧٦، أبو الفداء، تقويم، ص ٢٣١، ٢٦٥.

(١٠) أبو الفداء، تقويم، ص ٢٦١.

وأُنهار^(١)، وبلدة البارة (زاوية البارة) وهي ذات بساتين ومزارع^(٢). وجنوباً منها تكثر البساتين في معرة النعمان وهي سواد كلها بشجر الزيتون والتين والفسق وأنواع الفواكه، ويتصل التفاف بساتينها وانتظام قراها مسيرة يومين، وهي من أخصب بلاد الله وأكثرها أرزاقاً^(٣).

وفي الناحية الشرقية من الجند ترد إشارات لكثرة بساتين مدينتي الباب^(٤) وبزاعة التي غطت «بطحاءها بساتين ترف خضرة ونضارة»^(٥)، وبوادي بطنان مواضع نزهة كثيرة المياه والأشجار مثل تاذف وطرطر (أو: طلطل)^(٦)، وإلى الشمال من مدينة الباب يجري نهر الجوز بين حلب والبيرة وهي ناحية ذات قرى وبساتين ومياه^(٧). وتوجد الكروم والبساتين والمزارع في بلدة تل أعرن^(٨). وفي أقصى الشرق قرب الفرات تبدو منبج كنموذج زراعي متميز، بالرغم من كونها برية تعتمد في الغالب على مياه الأمطار^(٩)، إذ «تحف بغربها وشرقيها

(١) ياقوت، معجم البلدان، ج ٣، ص ١١١.

(٢) المصدر نفسه، ج ١، ص ٣٢٠.

(٣) ناصر خسرو، سفرنامه، ص ٥٦، ابن جبیر، الرحلة، ص ٢٢٩، ونقله الحميري، الروض، ص

. ٥٥٥

(٤) أبو الفداء، تقويم، ص ٢٦٧.

(٥) ابن جبیر، الرحلة، ص ٢٢٤، أبو الفداء، تقويم، ص ٢٦٧.

(٦) ياقوت، معجم البلدان، ج ٤، ص ٢٩، ابن العديم، بغية، ج ١، ص ٢٧١، زكرياء، جولة أثرية،

ص ٢١٤، طلاس، المعجم الجغرافي، ج ٢، ص ٣٢.

(٧) ياقوت، معجم البلدان، ج ٢، ص ١٨٣.

(٨) المصدر نفسه ج ٢، ص ٣٩، وتقع بلدة تل أعرن على بعد ٢٠ كم جنوب شرق حلب.

(٩) الإصطخري، مسالك، ص ٦٢، أبو الفداء، تقويم، ص ٢٧١.

بساتين ملتفة الأشجار مختلفة الثمار»^(١)، وأرضها خصبة^(٢) حمراء، والثمار والغلال تحمل منها إلى حلب^(٣). وقد لفتت مزروعاتها نظر الخليفة الرشيد لما اجتاز بها وشاهد بستاناً مُعْتَمَّاً بالأشجار كثير الثمار، فقال لعبد الملك بن صالح والي قنسرين: «كيف مدينتك. قال: عَذْبُه الماء، باردة الهواء، صلبة الموطأ، قليلة الأدوية، وقال له يوماً: ما أحسن بلادكم، قال: فكيف لا تكون كذلك وهي تربة حمراء، وسنبلة صفراء، وشجرة خضراء، فَيَافٍ فيح، وجبال وضح، بين قيصوم وشيخ»^(٤). فاستهوته المدينة وبساتينها. وقريباً من منبج يصل نهر الساجور وتكثر على ضفتيه البساتين والكروم^(٥)، وتكثر كذلك في جسر منبج^(٦) (قلعة نجم) الواقعة على الفرات، وجنوباً من منبج توجد كورة فايا قرب وادي بطنان، وهي تشتمل على قرى عامرة فيها بساتين ومياه جارية^(٧)، وفي بالس (مسكنة حالياً) تنتشر البساتين فيما بينها وبين الفرات^(٨).

(١) ابن جبير، الرحلة، ص ٢٢٣، الحميري، الروض، ص ٥٤٧.

(٢) الإصطخري، مسالك، ص ٦٢، مجهول، حدود العالم، ص ١٧٥.

(٣) ابن حوقل، صورة الأرض، ص ١٨١.

(٤) المسعودي، مروج ج٤، ص ٢٧١، الأبي، منصور بن الحسين (ت ٤٢١هـ/١٠٣٠م)، نشر الدر

تحقيق: مجموعة من الأساتذة، (٧مج)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٨-١٩٩٠م. ج١، ص

٤٤٦، ياقوت، معجم البلدان، ج٥، ص ٢٠٦، ابن العديم، بغية، ج١، ص ١٠٩، زبدة الحلب،

ج١، ص ٧١، أبو الفداء، إسماعيل بن محمد (ت ٧٣٢هـ/١٣٣١م)، اليواقيت والضرب في تاريخ

حلب، تحقيق: محمد كمال، فالح البكور، دار القلم، حلب، ١٩٨٩م. ص ٥١، ابن شداد،

الأعلاق ج١، ق١، ص ١٠٥.

(٥) الإسكندري، الأمكنة، ج٢، ص ٣٧.

(٦) الإصطخري، مسالك، ص ٧٦.

(٧) ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص ٢٣٤، ابن العديم، بغية، ج١، ص ٢٧١.

(٨) ابن حوقل، صورة الأرض، ص ١٨٠، ابن العديم، بغية، ج١، ص ١٢٣.

أما في المناطق الثغرية فيشار إلى مدينة عينتاب وأنها كثيرة المياه والبساتين^(١)، وإلى الشمال منها دير سليمان على جبل من جبال دلوك من أحسن البلاد وأنزهها^(٢)، وتحيط بدلوك المياه والبساتين الكثيرة العامرة بالفواكه والكروم^(٣). ويشار أيضاً إلى بساتين سُميساط التي تعتمد في ري مزروعاتها على نهر الفرات^(٤). وقريباً منها تقع مدينة كيسوم، وأرجع ياقوت تسميتها لأصل عربي، معناه: الموضع كثير العشب والحشائش^(٥)، ويقع إلى الشمال منها حصن منصور، وهو - وما يتبعه من قرى وضياح - مشهور بالخصب وكثرة الغلات والزروع التي تعتمد على ماء المطر في السقي^(٦)، وكذا قرية سنجة نزهة^(٧).

وفي الثغور الشامية تبرز طرسوس في سعة بساتينها وكرومها^(٨) وأغلبها مباح لا مالك له، ولهذا كانت أغلب جبال اللكام والمدن الثغرية مسكناً للعباد والزهاد، يقاتون من ثمارها ويأكلون من حلالها، فاستقطبت الصوفية للمقام

(١) أبو الفداء، تقويم، ص ٢٦٩.

(٢) ياقوت، معجم البلدان، ج ٢، ص ٥١٦.

(٣) اليعقوبي، البلدان، ص ٣٦٣، ابن العديم، بغية، ج ١، ص ٢٦١، ابن شداد، الأعلام، ج ١، ص ١٠٢.

(٤) الإصطخري، مسالك، ص ٧٦، ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٨١، ٢٢٧، مجهول، حدود العالم ص ١٧٥، الإدريسي، نزهة، ج ٢، ص ٦٥١، الحميري، الروض، ص ٤٥٣ وفيه: شمشاط.

(٥) ياقوت، معجم البلدان، ج ٤، ص ٤٩٧.

(٦) الإصطخري، مسالك، ص ٦٢، ابن حوقل، صورة الأرض، ص ١٨١، الإدريسي، نزهة، ج ٢، ص ٦٥١، أبو الفداء، تقويم، ص ٢٦٩.

(٧) مجهول، حدود العالم، ص ١٧٥.

(٨) الإصطخري، مسالك، ص ٦٤، مجهول، حدود العالم، ص ١٧٦، الإدريسي، نزهة، ج ٢، ص ٦٤٧، ابن العديم، بغية، ج ١، ص ١٧٧، الحميري، الروض، ص ٣٨٨.

بها^(١). فهي «تتشمّل من العمارة والخصب والغلات والأموال والسعة في جميع الأحوال على حال لم يتصل بمثله ثغر من ثغور المسلمين لكافر ولا مسلم»^(٢). وكذلك المصيصة وكفر بيا على نهر جيحان لهما بساتين وزروع متصلة^(٣)، تُسقى من نهر جيحان^(٤). وإلى الغرب منها مدينة أذنة وهي خصبة عامرة^(٥)، «حسنة المحل في كل أصل وفصل»^(٦)، وسيسية (سيس) لها بساتين ونهر صغير^(٧). والحلث ومرعش مدينتان فيهما فواكه وزروع وأشجار كثيرة^(٨)، وعين زربة خصبة واسعة الثمار والزروع^(٩)، وملطية في أقصى الشمال ذات أشجار وفواكه وأنهار تسقي بساتينها الكثيرة^(١٠)، وجميع فواكهها مباحة ليس لها صاحب^(١١). ويقول المقدسي في كلامه على إقليم الشام بأن كل ما علا منه

(١) ابن عساكر، تاريخ، ج ٦، ص ٢٨٤. ابن العديم، بغية، ج ١، ص ٤٣٩، الذهبي، تاريخ

الإسلام، ج ٤، ص ٢٩٥.

(٢) ابن حوقل، صورة الأرض، ص ١٨٣.

(٣) ابن حوقل، صورة الأرض، ص ١٨٣، مجهول، حدود العالم، ١٧٥، الإدريسي، نزهة، ج ٢، ص

٦٤٦، ياقوت، معجم البلدان، ج ٥، ص ١٤٥.

(٤) ياقوت، معجم البلدان، ج ٥، ص ١٤٥.

(٥) الإصطخري، مسالك، ص ٦٣، مجهول، حدود العالم، ص ١٧٥.

(٦) ابن حوقل، صورة الأرض، ص ١٨٣.

(٧) أبو الفداء، تقويم، ص ٢٥٧.

(٨) الإصطخري، مسالك، ص ٦٢-٦٣، ابن حوقل، صورة الأرض، ص ١٨٢، مجهول، حدود

العالم، ص ١٧٥، ابن العديم، بغية، ج ١، ص ٢٣٥، أبو الفداء، تقويم، ص ٢٦٣.

(٩) الإصطخري، مسالك، ص ٦٣، ابن حوقل، صورة الأرض، ص ١٨٢، مجهول، حدود العالم،

ص ١٧٥، الإدريسي، ج ٢، ص ٦٤٧، ابن العديم، بغية، ج ١، ص ١٦٧.

(١٠) ابن العديم، بغية، ج ١، ص ٢٥٢، أبو الفداء، تقويم، ص ٣٨٥.

(١١) الإصطخري، مسالك، ص ٦٢، ابن حوقل، صورة الأرض، ص ١٨١، مجهول، حدود العالم،

ص ١٧٥.

نحو الروم كان أكثر أنهاراً وثماراً وأبرد هواءً^(١) .

الأشجار المثمرة والفواكه والأشجار الحرجية:

لا تكاد المصادر الجغرافية تستثني أي مدينة أو قرية أو حصن في جند قنسرين من الإشادة بثماره ومزروعاته وأشجاره ، ومن أهم الأشجار المذكورة : الزيتون : وشهرة عموم بلاد الشام بكثرة أشجار الزيتون وجودته معلومة متداولة ، فهي أكثر بلاد الله زيتوناً ، وخصها الله «من بركة الزيتون وأنواع الفواكه بما يتهالك في أصغره النخل ، ويُستبشع معه الرطب والتمر»^(٢) ، ويكثر وجود شجر الزيتون في جند قنسرين - كغيره من أجناد الشام - حتى قيل «ريف الدنيا من الزيتون فلسطين إلى قنسرين»^(٣) ؛ بل يدل على شهرتها بالزيتون أن من جُملة ما صالحَ عليه أهل قنسرين أبا عبيدة : خمسمائة وسق من التين والزيت^(٤) .

واشتهرت حلب وبعض القرى التابعة لها بزراعة الزيتون^(٥) . ويشير الشاعر أبو بكر الصنوبري إلى الزيتون المزروع بقرية بطياس قرب حلب^(٦) . وتزداد زراعة الزيتون كلما اتجهنا غرباً من حلب وصولاً إلى أنطاكية قريباً من ساحل البحر ، فالمنطقة الغربية من حلب مشهورة بكثرة الأشجار خصوصاً الزيتون ، الذي تنتشر

(١) المقدسي ، التقاسيم ، ص ١٧٩ .

(٢) ابن الفقيه ، البلدان ، ص ١٦٨ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ١٦٤ .

(٤) الواقدي ، فتوح الشام ، ج ١ ، ص ٢٤٥ .

(٥) الصنوبري ، أحمد بن محمد بن الحسن الضبي الحلبي (ت ٣٣٤هـ / ٩٤٥م) ، ديوانه ، تحقيق :

إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٩٨م ، ص ٤٥٩ ، وسيشار له فيما بعد : الصنوبري ، ديوانه ،

ابن العديم ، بغية ، ج ١ ، ص ٦٨ .

(٦) الصنوبري ، ديوانه ، ص ١٦٢ .

زراعته امتداداً من بلدة الأثارب وأرتاح حتى جبل السماق (جبل الزاوية الآن) ، ويصف المهلبي هذه المنطقة بأنها «مثل فلسطين في كثرة الزيتون ، وأن لها ارتفاع جليل من الزيت ، يُحمل إلى الرقة ومنها بواسطة نهر الفرات إلى العراق ، ويُنقل من العراق إلى كل بلد»^(١) . وكذا جبل سمعان (ليلون) الممتدّ غربي حلب فهو جبل نزه كثير الشجر من زيتون وغيره^(٢) ، ويتّصل بجبل سمعان والجبل الأعلى مليئاً بالأشجار الكثيرة ومنها شجر الزيتون^(٣) ، وأيضاً في بلدتي سرمين ومعرة مصرين اللتين تتصفان بكثرة ما فيهما من أشجار الزيتون^(٤) ، بالرغم من اعتمادهما في الري على مياه الأمطار^(٥) ، وكان زيت معرة مصرين من الكثرة بحيث يُحمل ويُباع خارجها^(٦) ، ويوجد الزيتون في قرية عمّ الواقعة بين حلب وأنطاكية^(٧) .

أما المنطقة الشرقية من الجند ، فينقل ابن العديم عن بعضهم قوله إن الناس كانوا يمشون من مقام إبراهيم عليه السلام (بظاهر حلب) إلى قرية زبيدة الواقعة على طرف جبل الأحص والمشرفة على نقرة بني أسد ، في ظلال شجر الزيتون ، ودلّل ابن العديم على صحّة ما ذكر أنه ما من قرية في نقرة بني أسد إلا وفيها

(١) المهلبي ، الكتاب العزيزي ، ص ٨٥ ، ونقله عنه ابن العديم ، بغية ، ج ١ ، ص ٦٠ .

(٢) ابن العديم ، بغية ، ج ١ ، ص ٤١٧ .

(٣) ابن العديم ، بغية ، ج ١ ، ص ٤٢٢ .

(٤) شيخ الربوة ، محمد بن أبي طالب الدمشقي (ت ٧٢٧هـ / ١٣٢٧م) ، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، بغداد ، مكتبة المثنى (د.ت) . ص ٢٦٥ ، وسيشار له فيما بعد : شيخ الربوة ، نخبة الدهر ،

أبو الفداء ، تقويم ، ص ٢٣١ .

(٥) أبو الفداء ، تقويم ، ص ٢٦٥ .

(٦) ابن العديم ، بغية ، ج ١ ، ص ١٣٣ - ١٣٤ .

(٧) ناصر خسرو ، سفر نامه ، ص ٥٦ ، ابن بطلان ، الرحلة ص ٧٧ ، ٨٥ ونقل عنه ياقوت ، معجم

البلدان ، ج ١ ، ص ٢٦٦ .

أثر معصرة للزيت والحجر الذي كان يُعصر بها^(١) .
 وفي أقصى جنوب الجند تكثر زراعة الزيتون في معرة النعمان^(٢) ، وصفها الرحالة ابن جبير بأنها من أخصب بلاد الله وأكثرها أرزاقاً حتى بدت له سواداً كلها بشجر الزيتون وغيره من الأشجار ، ويتصل التفافُ بساتينها وانتظام قراها مسيرة يومين^(٣) . وهي تعتمد في زراعته - وزراعة أصناف أخرى من الأشجار - على ماء المطر لانعدام المياه الجارية والعيون فيها^(٤) .
 وزُرعت بعض مدن الثغور بأشجار الزيتون إذ عدّد الطرسوسيّ (ت ٤٠١هـ / ١٠١١م) جملة من الغلات المتحصّلة من ضياع طرسوس التي كانت تمثل مصدر غذاء للمقيمين فيها وتلك التي كانت تُباع بحسب سعرها في وقته ثم يُصرف ثمنها في مهمّات الثغر وكان الزيتون من جملة ما ذكر^(٥) . كما اشتهرت قلز (كلس) بكثرة زيتونها^(٦) .
 التين : وغالباً ما يتلازم وجوده في الجند مع الزيتون ، وكانا من جملة ما صالحَ عليه أهل قنسرين لأوّل الفتح^(٧) . ويكثر شجره في حلب

(١) ابن العديم ، بغية ، ج ١ ، ص ٦٨ .

(٢) الإدريسي ، نزهة ، ج ٢ ، ص ٦٥٢ ، ابن سعيد ، بسط الأرض ، ص ٨٦ ، ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ١٥٦ ، ابن العديم ، بغية ، ج ١ ، ص ١٢٧ ، شيخ الربوة ، نخبة الدهر ، ص ٢٠٥ ، أبو الفداء ، تقويم ، ص ٢٣١ ، الحميري ، الروض ، ص ٥٥٥ .

(٣) ابن جبير ، الرحلة ، ص ٢٢٩ ، ونقله الحميري ، الروض ، ص ٥٥٥

(٤) الإدريسي ، نزهة ، ج ٢ ، ص ٦٥٢ ، أبو الفداء ، تقويم ، ص ٢٣١ ، الحميري ، الروض ، ص ٥٥٥ .

(٥) الطرسوسي ، أبو عمرو عثمان بن عبد الله الكرجي (ت ٤٠١هـ / ١٠١١م) ، كتاب سير الثغور ، تحقيق : شاكر مصطفى ، دار طلاس ، دمشق ، ١٩٩٨م . ص ٣٧ ، وسيشار له فيما بعد : الطرسوسي ، سير الثغور ، ابن العديم ، بغية ، ج ١ ، ص ١٨١ - ١٨٢ .

(٦) ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٤٧٦ .

(٧) الواقي ، فتوح الشام ، ج ١ ، ص ٢٤٥ .

وأعمالها^(١) وجبل سمعان^(٢) والجبل الأعلى^(٣) ، وجبل السماق المشتمل على جبال وقرى من أنزه البقاع ، وأحسنها وأطيبها ، وفيه من والفواكه الحسنة ، والثمار ما يتجاوز الوصف ، وأشجاره قد عمّت الجبال والأودية من التين وغيره من الأشجار^(٤) . ويكثر في بلدتي سرمين ومعرة مصرين^(٥) ، وقد وصفت المنطقة الممتدة من معرة مصرين حتى جبل السماق بأنها بلد التين وغيره من الثمار التي «تخرج عن الحد في الرخص ، ويُحمل إلى مصر والعراق ، ويُجهز إلى كل بلد»^(٦) .

وكما هي شهرة معرة النعمان بأشجار الزيتون كانت شهرتها بالتين الذي تنتشر زراعته فيها^(٧) ، وفي أنطاكية ، وأورد ابن العديم أرجوزة لأبي عمرو القاسم بن أبي داود الطرسوسي يذكر فيها خروجه من طرسوس سنة ٣٠٨هـ/ ٩٢٠م ، ويصف فيها المنازل التي نزلها فذكر أنطاكية وفضلها ، ومنها قوله :

كثيرة الخيرات والثمار
وتينها القلار في الأشجار

(١) ابن الفقيه ، البلدان ، ص ١٦٨ ، ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٢٨٤ - ٢٨٥ .

(٢) ابن العديم ، بغية ، ج ١ ، ص ٤١٧ .

(٣) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٤٢٢ .

(٤) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٤٢٣ .

(٥) أبو الفداء ، تقويم ، ص ٢٣١ .

(٦) المهلب ، الكتاب العزيزي ، ص ٨٥ ، ونقله عنه ابن العديم ، بغية ، ج ١ ، ص ٦٠ .

(٧) ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ١٧٨ ، ناصر خسرو ، سفرنامه ، ص ٥٦ ، الإدريسي ، نزهة ، ج ٢ ،

ص ٦٥٢ ، ابن سعيد ، بسط الأرض ، ص ٨٦ ، ابن جببير ، الرحلة ، ص ٢٢٩ ، ياقوت ، معجم

البلدان ، ج ٥ ، ص ١٥٦ ، ابن العديم ، بغية ، ج ١ ، ص ١٢٧ ، شيخ الربوة ، نخبة الدهر ، ص

٢٠٥ ، أبو الفداء ، تقويم ، ص ٢٣١ ، الحميري ، الروض ، ص ٥٥٥ .

وأضاف ابن العديم : التين القلاري لا يكون إلا بها ، ويعرف في العراق بالشامي (١) .

الرمّان : وهو من مشهور زراعات الجند ، لكن الإشارة إليه اقتصر على مواضع معدودة منه ، خصوصاً الجبل الأعلى (٢) ، وأيضاً في بلدة حارم المشهورة «بالرمان الذي يظهر باطنه من ظاهره مع عدم العجم (دون بذر) وكثرة المياه» (٣) ، وفي معرة النعمان (٤) ، كما ترد إشارات لزراعته في بعض مدن الثغور ، خصوصاً في طرسوس المشهورة بثمر الرمان الكبار ، الخلو والحامض (٥) . وأيضاً في الجبال المحيطة بملطية وهي أشجارٌ مباحة لا مالك لها (٦) .

المشمش : ويزرع في حلب وأعمالها عذياً لا يسقى إلا بماء المطر (٧) ، وأيضاً في معرة النعمان (٨) ، وكانت أشجاره تنتشر في جبل السماق وفي القرى والتلال التابعة له (٩) .

الحمضيّات : لم ترد إشارات مبكرة لزراعة أشجار الحمضيّات في الجند بالرغم من كثرتها في القرن الرابع الهجري وما بعده ، ويذكر المسعودي أن النارج والأترنج لم يكن «يُعهد ولا يُعرف» في الشام ولا مصر قبل سنة ٣٠٠هـ / ٩١٣م

(١) ابن العديم ، بغية ، ج ١ ، ص ٩٢ - ٩٣ .

(٢) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٤٢٢ .

(٣) ابن سعيد ، بسط الأرض ، ص ٨٧ ، أبو الفداء ، تقويم ، ص ٢٥٩ .

(٤) شيخ الربوة ، نخبة الدهر ، ص ٢٠٥ .

(٥) ابن عساكر ، تاريخ ، ج ٦ ، ص ٢٨٤ - ، الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج ٤ ، ص ٢٩٥ .

(٦) ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ١٨١ .

(٧) ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٢٨٤ - ٢٨٥ .

(٨) شيخ الربوة ، نخبة الدهر ، ص ٢٠٥ .

(٩) ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ١٠٢ ، ابن العديم ، بغية ، ج ١ ، ص ٤٢٣ .

عندما جُلبت أشجاره من الهند^(١). وبينما يذكر الشاعر الحلبي الصنوبري شجر الأترنج وثمره الكبير^(٢) وشجر الخوخ^(٣)، نجد الرحالة ناصر خسرو أثناء اجتيازه بالشام سنة ٤٣٨هـ/١٠٤٦م لا يذكر شيئاً من هذا في حلب ونواحيها، لكنه يعدّد بعض أصناف الحمضيات كالنارنج والأترنج (بوملي) والليمون في طرابلس^(٤)، وقد اشتهرت - فيما بعد - بياس (شمال الإسكندرونة) بصنف من البرتقال الجيد المسمّى «البرتقال البياسي»^(٥).

التفاح: وعند ذكر خصائص البلدان في الثمار وما تتميز به، يُشار إلى تفاح الشام وتفردّه^(٦)، الذي يُنقل إلى بغداد^(٧) وإلى غيرها من البلدان، وهو يُزرع في جند قنسرين في مدينة حلب وما يتبع لها من قرى وبلدات، وسقيه فيها من ماء المطر^(٨). ويكثر شجر التفاح في جبل السماق والقرى التي تلتحفه^(٩)، منها قرية تسمّى نواز فيها «تفاح كبير مليح اللون أحمر»^(١٠)، وكذلك في معرة النعمان^(١١).

(١) المسعودي، مروج، ج٢، ص ١٠٨، وانظر: حسين، الحياة الزراعية، ص ١٠٦.

(٢) الصنوبري، ديوانه، ص ٨٢، ٢٢٤.

(٣) الصنوبري، المصدر نفسه، ص ١٣٩، ٣٦٠، الزوقيني، تاريخ، ص ١١٣ - ١١٤.

(٤) ناصر خسرو، سفر نامه، ص ٥٧.

(٥) زكرياء، جولة أثرية، ص ٤١.

(٦) الصنوبري، ديوانه، ص ٤٠٦، ابن الورد، عمر بن مظفر (ت ٨٦١هـ/١٤٥٦م)، خريدة العجائب

وفريدة الغرائب، بيروت، المكتبة الشعبية، ١٩٣٩م. ص ٢٠٩، الوطواط، مناهج، ج١، ص ٣٩٧.

(٧) المسعودي، مروج، ج٥، ص ٢٠٢.

(٨) ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص ٢٨٤ - ٢٨٥، ووصف الشاعر الصنوبري طيب تفاح حلب وتنوع

ألوانه. انظر: ديوانه، ص ٨٢.

(٩) ابن العديم، بغية، ج١، ص ٤٢٣.

(١٠) ياقوت، معجم البلدان، ج٥، ص ٣٠٦.

(١١) شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص ٢٠٥.

السفرجل: لم ترد أي إشارة لزراعته في الجند سوى في قصيدة للصنوبري يصفُ فيها منظره وجمال ثمرته^(١).

الكمثرى (الإجاص): وهي تنمو في المناطق الباردة وبعض أصنافها ينمو في المناطق الدافئة الجافة، وكانت أشجاره تنتشر في جبل سمعان^(٢)، وجبل السماق وقراه^(٣)، وبلدة تل باشر المخصوصة بنوع منه «ما له نظير» ويصعب نقله إلى حلب لأنه يتحوّل في الطريق إلى ماء^(٤). وبالرغم من أن موسم نضجه يكون في شهر آب إلا أن الزوقيني يذكّر حادثة وقعت في سنة ١٣٨هـ/ ٧٥٥م عندما أثمرت أشجار الكمثرى والتفاح الخوخ وسائر الفواكه في شهري تشرين الأول والثاني (أكتوبر ونوفمبر) وأخرجت كل الأراضي محصولاً وفيراً وخصباً في ذلك العام^(٥).

الجوز: وهو من الأشجار المعمّرة وتتأقلم مع مختلف البيئات، في أحواض الأنهار والهضاب والمناطق المرتفعة، ويشتمل جبل السماق (بني سليم) بقراه وتلاله على أشجار الجوز التي تنتشر في نواحيه وأوديته^(٦). وأيضاً تنتشر أشجار الجوز في الجبل الأعلى^(٧). ويزرع بعلاً في معرة النعمان^(٨).

(١) الصنوبري، ديوانه، ص ٤٣١.

(٢) ابن العديم، بغية، ج ١، ص ٤١٧.

(٣) المصدر نفسه ج ١، ص ٤٢٣.

(٤) ابن سعيد، بسط الأرض، ص ٨٧، والإجاص التلباشري أصغر وأحلى من الذي ينبت في غيرها.
ابن الورد، خريدة العجائب، ١٧٧.

(٥) الزوقيني، تاريخ، ص ١١٣ - ١١٤.

(٦) ابن العديم، بغية، ج ١، ص ٤٢٣، ٤٢٦.

(٧) المصدر نفسه، ج ١، ص ٤٢٢.

(٨) الإدريسي، نزهة، ج ٢، ص ٦٥٢، ابن العديم، بغية، ج ١، ص ١٢٧، أبو الفداء، تقويم، ص ٢٣١، الحميري، الروض، ص ٥٥٥.

كما انتشرت أشجاره في الثغور الجزرية والشامية ، فهي تكثر في ملطية ، أقصى شمال الثغور ، وفي الجبال التي تحتفّ بها ، وهي مباحة لا مالك لها^(١) . وكذلك في الجبال المحيطة بسُميساط وهي أيضاً مباحة لا مالك لها^(٢) . ويكثر شجر الجوز بنواحي طرسوس ، وسمي أحد الحصون القريبة منها بـ «حصن الجوزات» ، نسبة لشجر الجوز ، ويذكر الطرسوسي المساحة التي تغطيها أشجار الجوز وكيفية جني محصوله ثم قسمته في القرن الرابع الهجري وما سبقه ، يقول : «في جبل هذا الحصن (الجوزات) شجر جوز مثمر مسافته ثلاثة أميال في عرض ميل ، فإذا حان إدراكه ، خرج والي الجوزات وجميع رجالته ، إلا من يضبط الحصن من الثقات ، فينفضون الجوز أياماً ، ويضمّ كل واحد ما نفضه ، وعدّ بالإحصاء ما حصّل ، فدفع إلى الوالي من كل عشرة آلاف جوزة ألف جوزة ، وأمسك لنفسه تسعة آلاف ، فيجتمع للوالي من ذلك خمسمائة ألف جوزة وأكثر ، وما ينمحق من ذلك بالمسامحة فيه عند ضمّه مع ما تعذر نفضه ، لبعده فروع أشجاره وتعذر وصول الناس إليه ، أكثر مما وصفت ، فتمتلئ بيوت الجوزانيين كلهم من الجوز يرتفقون مدة أيام الشتاء ، ويتهادونه إلى طرسوس ، إلى ذي موداتهم وقراباتهم»^(٤) .

الفسق : وشجرته معمّرة من الفصيلة البطميّة ، وهي من أقدم مزروعات البحر المتوسط ، وتشتهر حلب بزراعته ولهذا يُنسب إليها فيسمى «الفسق الحلبي» ، ويُزرع في المناطق التي تقع غرب حلب حتى جبل السماق^(٥) ، وفي

(١) ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ١٨١ ، الإصطخري ، مسالك ، ص ٦٢ ، ابن العديم ، بغية ، ج ١ ، ص

٢٥٢ ، أبو الفداء ، تقويم ، ص ٣٨٥ .

(٢) الإدريسي ، نزهة ، ج ٢ ، ص ٦٥١ ، ونقل عنه الحميري ، الروض ، ص ٣٤٥ ، وجاءت عنده : شمشاط .

(٣) الطرسوسي ، سير الثغور ، ص ٥٦ - ٥٧ .

(٤) المهلب ، الكتاب العزيزي ، ص ٨٥ ، ونقل عنه ابن العديم ، بغية ، ج ١ ، ص ٦٠ ، الصنوبري ، ديوانه ،

القرى المتناثرة عليه^(١)، ولكثرة إنتاجه كان يُباع رخيصاً، ويُحمل إلى مصر والعراق^(٢). وخصّت عزاز بالفستق الكبير^(٣)، واشتهرت معرة النعمان بكثرة مزروعاتها منه^(٤).

اللوز: يزرع اللوز في جبل السماق^(٥) وفي قلز (كلس) قرب سُميساط^(٦)، وكذلك في الجبال المحيطة بمدينة ملطية، وهو من الثمار المباحة التي لا مالك لها^(٧)، كما تكثر أشجاره في معرة النعمان^(٨).

العنب: بالرغم من كثرة مزروعات الشام من العنب إلا إن الإشارات التي تناولته كانت قليلة، فلم يرد ذكر زراعته إلا في قرية تل أعرن التي يُنسب إليها صنف من العنب الأحمر المدور^(٩). وفي القرى المتناثرة بجبل السماق التي عمّت نواحيه أشجار التين والعنب^(١٠)، وأيضاً في معرة النعمان^(١١). وبرغم

(١) ابن العديم، بغية، ج ١، ص ٤٢٣.

(٢) المهلب، الكتاب العزيز، ص ٨٥، ابن العديم، بغية، ج ١، ص ٦٠.

(٣) ابن سعيد، بسط الأرض، ص ٨٧.

(٤) ابن حوقل، صورة الأرض، ص ١٧٨، ناصر خسرو، سفر نامه، ص ٥٦، الإدريسي، نزهة، ج ٢،

ص ٦٥٢، ابن سعيد، بسط الأرض، ص ٨٦، ابن جبير، الرحلة، ص ٢٢٩، ابن العديم، بغية،

ج ١، ص ١٢٧، شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص ٢٠٥، أبو الفداء، تقويم، ص ٢٣١، الحميري،

الروض، ص ٥٥٥.

(٥) ابن العديم، بغية، ج ١، ص ٤٢٣.

(٦) ياقوت، معجم البلدان، ج ٤، ص ٤٧٦.

(٧) ابن حوقل، صورة الأرض، ص ١٨١.

(٨) ناصر خسرو، سفر نامه، ص ٥٦، شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص ٢٠٥.

(٩) ياقوت، معجم البلدان، ج ٢، ص ٣٩.

(١٠) ابن العديم، بغية، ج ١، ص ٤٢٣.

(١١) ناصر خسرو، سفر نامه، ص ٥٦.

هذا الإغفال فيمكن اعتبار ما تشير إليه المصادر من انتشار الكروم في مدن جند قنسرين يُقصد به أشجار العنب، وشجرة الكرم هي الدالية^(١)؛ خصوصاً مع ما يرد ذكره من وفرة الزبيب (العنب الميس) في حلب والمنطقة الممتدة من معرة مصرين حتى جبل السماق^(٢)، وفي طرسوس والشغور وهو «زبيب لا عجم (بذر) فيه كالقشمش»^(٣)، وأيضاً يمكن التماس كثرة زراعته من خلال الإشارات العديدة إلى وفرة الخمر المتخذ من العنب، فقرية الأندرين في طرف الجند من ناحية جبل الأحص كانت مشهورة بالخمر منذ القديم، ونُسب إليها أجوده^(٤)، وفي منتصف القرن الثاني الهجري بحدود سنة ١٥٠هـ/ ٧٦٧م مرّت الجزيرة والمنطقة الشمالية من سوريا بفترة خصب فتوفرت الزروع والغلال والثروة لدى السكان، «فخزن الناس الغلات الكثيرة التي كان إنتاجها أضعافاً ومنها من الخمر»^(٥). وكثيراً ما يستشهد ديونيسيوس التلمحري (ت ٢٣٠هـ/ ٨٤٥م) بالخمر عند ذكره للكوارث الطبيعية التي تحدث خصوصاً الجليد أو مواسم القحط، فقد حدث في بعض السنين في العهد الأموي أن «مرّ شتاء قارص جداً، كثر فيه الثلج والجليد، فجمد نهر الفرات والبحيرات وجمد الخمر في الجرار...»^(٦)، وفي سنة ١٦٦هـ/ ٧٨٣م اجتاح المنطقة جراد غطى الجزيرة والمنطقة الشمالية من الشام، فأتلف الكروم والمزروعات واستمرت معاناة الأهالي

(١) الوطواط، مناهج، ج٢، ص ٣٨٤.

(٢) المهلبي، الكتاب العزيمي، ص ٨٥، ونقله عنه ابن العديم، بغية، ج١، ص ٦٠.

(٣) المهلبي، الكتاب العزيمي، ٩٩، ابن العديم، بغية، ج١، ص ١٨٠، والقشمش أو القشمش: نوع

من الزبيب صغير وطعمه حلو. ابن الورد، خريدة العجائب، ص ١٨٧.

(٤) ذكرها عمرو بن كلثوم (ت ٣٩ ق. هـ/ ٥٨٤م) في معلقته: «ولا تبقي خمور الأندرينا»، انظر:

ديوانه، ص ٦٤، ياقوت، معجم البلدان، ج١، ص ٢٦٠، ابن العديم، بغية، ج١، ص ٤٢٨.

(٥) الزوقيني، تاريخ، ص ١٥٣.

(٦) مار ميخائيل، تاريخ، ج٢، ص ٣٦٧.

مدّة ثلاث سنوات أعقبتها وفرة في الخمر وغيره^(١). واحتبس نزول المطر في حدود سنة ٢٠٤هـ / ٨١٩م فلم تثمر الغلال فشح القمح والخمر والزيت^(٢). وفي نحو سنة ٢١٥هـ / ٨٣٠م سقط برد كثيف ودمر الزرع، عقبه جراد أتى على الكروم والزيتون واستقرّ وغرز، وفي السنة التالية قضى على كافة الزروع والكروم والأشجار، وفي السنة الثالثة سقط ثلج واشتد البرد كثيراً فجمدت الخمر في الجرار^(٣). كما تغنى الشاعر الحلبي الصنوبري (ت ٣٣٤هـ / ٩٤٦م) بالخمر ومجالسه في مدينة حلب وفي بعض قصورها ومنتزهاتها وبساتينها^(٤)، لكن ابن بطلان بعد قرن من الزمان يذكر قلة النبيذ بحلب أثناء اجتيازه بها سنة ٤٤٤هـ / ١٠٥٢م^(٥).

شجر السماق: وهو من الأشجار الصغيرة الحجم، من الفصيلة البطمية، وأنواعه كثيرة، يستخدم في الطبخ وفي الأدوية كمانع للإسهال، وقد عمّت زراعته مواضع عديدة من جند قنسرين حتى أن جبل السماق سُمي بذلك لكثرة ما ينبت فيه من السماق^(٦)، وتنتشر زراعته من هذا الجبل حتى معرة مصرين^(٧)، كما يكثر نبتته في الجبل الأعلى^(٨)؛ وذكر أبو حنيفة الدينوري (ت

(١) مار ميخائيل، تاريخ، ج ٢، ص ٤٢٥، ابن العبري، تاريخ الزمان، ص ١٣.

(٢) مار ميخائيل، تاريخ، ج ٣، ص ٧.

(٣) المصدر نفسه، ج ٣، ص ٤٣.

(٤) الصنوبري، ديوانه، ص ٤٠، ٤٤، ٤٥، ٤٧، ٥٧، ٦٨، ٧٢، ٧٥، ١١٤، ١٢٦، ١٣٩، ١٥٥،

١٥٩، ١٨٦، ٢٢٣، ٢٧٦، ٣٢٥، ٣٤٣، ٣٨١، ٤٠٨، ٤١١، ٤١٩، ٤٣٧، ٤٣٩، ٤٥٠.

(٥) ابن بطلان، الرحلة، ص ٧٦.

(٦) ياقوت، معجم البلدان، ج ٢، ص ١٠٢، ابن العديم، بغية، ج ١، ص ٤٢٣.

(٧) المهلب، الكتاب العزيزي، ص ٨٥، ونقله عنه ابن العديم، بغية، ج ١، ص ٦٠.

(٨) ابن العديم، بغية ج ١، ص ٤٢٢.

٢٨٢هـ / ٨٩٥م) أنه لا يعلم وجود السماق بمكان من الأرض سوى ما كان منه بالشام^(١).

شجرة السقمونيا : وهي شجرة لها أغصان كبيرة طولها نحو ثلاثة أو أربعة أذرع ، تستخدم كدواء مسهل أو كضماد لعرق النسا وغيره من العوارض^(٢) ، ومنبتها بجند قنسرين ، ويذكر السمعاني أن منبت السقمونيا بأنطاكية ، وتنسب لها فيسمى دواء السقمونيا «الأنطاكي» ، وذكر أنه لا يوجد بغير أنطاكية^(٣) مع أن ابن البيطار يعدّ مواطن أخرى تنتشر فيها زراعتها ، بل ويضيف بأن أرداً أصنافها هي تلك التي بالشام وفلسطين^(٤).

التوت : لم ترد إشارات لزراعته في الجند سوى في منبج التي يغلب على شجرها التوت لتربية دود الحرير (القز)^(٥) ، وإلى ذلك يشير ابن الوردي : [من الخفيف]

منبجٌ أهلها حَكَوا دودَ قَزٍ
عندهم تُجعلُ البيوتُ القبورا

(١) نقله عنه ابن منظور : لسان العرب ، مادة : سق ، ولم أجد كلام أبي حنيفة في المتبقي من كتابه :

النبات . انظر : أبو حنيفة الدينوري ، أحمد بن داود (ت ٢٨٢هـ / ٨٩٥م) ، كتاب النبات تحقيق : برنهارد لفين ، فرانز شتاينر ، فيسبادن ، ١٩٧٤م .

(٢) ابن البيطار ، عبد الله بن أحمد الأندلسي (ت ٦٤٦هـ / ١٢٤٨م) ، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية ، ٤ج في ٢مج ، دار المدينة ، بيروت ، (د.ت) ، ج ٣ ، ص ١٨ ، وسيشار له فيما بعد : ابن البيطار ، الجامع .

(٣) السمعاني ، عبد الكريم بن محمد (ت ٥٦٢هـ / ١١٦٧م) ، الأنساب ، ١٣مج ، باعتناء عبد الرحمن بن يحيى العلمي ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدرآباد الدكن ، الهند ، ١٩٦٢م ، ج ١ ، ص ٢٧١ .

(٤) ابن البيطار ، الجامع ، ج ٣ ، ص ١٨ .

(٥) ابن سعيد ، بسط الأرض ، ص ٨٨ ، أبو الفداء ، تقويم ، ص ٢٧١ .

رَبِّ نَعْمَهُمْ فَقَدْ أَلْفُوا مِنْ
شَجَرِ التَّوْتِ جَنَّةً وَحَرِيرًا^(١)

النخيل : ورد ذكر شجر النخيل في جند قنسرين لكن تظهر محدودية زراعته سوى من مواضع مخصوصة كالإسكندرونة التي وصفت بكثرة غلاتها وزروعها ومن ضمنها شجر النخيل^(٢) ، ويوجد كذلك في بياس شمال الإسكندرونة ، وهي على ساحل البحر موصوفة بالخصب وبنخيلها الكثير^(٣) . ويذكر الصنوبري وجود النخل بحلب^(٤) ، وأخيراً يرد ذكر وجود النخيل بعين زربة إلى الشمال من طرسوس ، ووصفت بأنها تشبه في مناخها الغور^(٥) ، وربما كان ذلك بسبب وقوعها بين شعبتين منحدرتين من جبال طوروس ، وقد تعرضت ٤٠ ألف شجرة من نخلها للقطع والحريق على يد الروم سنة ٣٥١هـ / ٩٦٢م^(٦) . ولعل قرية الأندرين الواقعة في نواحي جبل الأحص كان فيها نخيل ، الذي يصنع من ليفه الحبال ، لشهرة القرية بصناعة الحبال في العصر الجاهلي ، استمداداً من قول النابغة الذبياني (ت ١٨ ق . هـ / ٦٠٥م) : [من الطويل]

(١) ابن الوردي ، عمر بن مظفر (ت ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م) ، تنمة المختصر في أخبار البشر تاريخ ابن الوردي ،

تحقيق : أحمد رفعت البداروي ، (٢ميج) ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٩٧٠م ، ج ٢ ، ص ٤٨١ .

(٢) ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ١٨٢ ، الإصطخري ، مسالك ، ص ٦٣ ، الإدريسي ، نزهة ، ج ٢ ،

ص ٦٤٦ ، ابن العديم ، بغية ، ج ١ ، ص ٢٢٠ ، الحميري ، الروض ، ص ٥٦ .

(٣) الإصطخري ، مسالك ، ص ٦٣ ، مجهول ، حدود العالم ، ص ١٧٥ ، ابن العديم ، بغية ، ج ١ ، ص ٢٢١ .

(٤) الصنوبري ، ديوانه ، ص ٤٥٩ .

(٥) الإصطخري ، مسالك ، ص ٦٣ ، ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ١٨٢ ، ابن العديم ، بغية ، ج ١ ،

ص ١٦٧ .

(٦) ابن العبري ، تاريخ الزمان ، ص ٦٢ .

أَقْبَ كَعَقَدَ الْأَنْدَرِيَّ مُسَحَّجٍ
حُزْرَائِيَّةٍ قَدْ كَدَمَتْهُ الْمَسَاحِلُ^(١)

الأشجار الحرجية:

تكثر الغابات الكثيفة في الجهة الغربية والشمالية الغربية من جند قنسرين ، وتغطيها أشجار الصنوبر والبلوط^(٢) ، وهي تمتد من أنطاكية لمسافة ستة فراسخ في جبال مليئة بأشجار البلوط^(٣) . وتغطي الجبل الأحمر غابات السنديان والبلوط والصنوبر ، خاصة في واجهته المطل على البحر^(٤) . ولهذا يطلق عليها اسم الجبل الأسود لكثرة غاباتها^(٥) ، بينما ذكر سهراب أن الجبل الأسود هو جبل السماق^(٦) . ويكثر في حلب ونواحيها شجر السرو ، ويسمونه : الشربين^(٧) . ولما بنى المعتصم سامراء سيق إليه الساج وسائر الخشب والجدوع من البصرة وما والاها من بغداد ، ومن أنطاكية وسواحل الشام^(٨) . كما توجد أشجار البلوط بزبطرة^(٩) في أقصى شمال الثغور قرب ملطية ، ويكثر شجر

(١) النابغة الذبياني ، زياد بن معاوية (ت ١٨ ق. هـ/ ٦٠٥ م) ، ديوانه ، مطبعة الفجالة ، القاهرة ،

١٩١١ م ، ص ٨٤ ، ابن العديم ، بغية ، ج ١ ، ص ٤٢٩

(٢) موستراس ، المعجم الجغرافي ، ص ٣٤٠ .

(٣) الحميري ، الروض ، ص ٣٩ .

(٤) عبد السلام ، الأقاليم ، ص ٢٠٤ .

(٥) نصري وآخرون ، جغرافية سورية ، ص ٣١ ، زكرياء ، جولة أثرية ، ص ٤٢ ، وانظر عنه : ابن العديم ،

بغية ، ج ١ ، ص ٤٣٨ .

(٦) سهراب ، عجائب الأقاليم ، ص ٩٦ .

(٧) الصنوبري ، ديوانه ، ص ١٦٢ ، ٣١٣ ، ٣٩٠ ، ابن العديم ، بغية ، ج ١ ، ص ٤١٥ .

(٨) اليعقوبي ، البلدان ، ص ٢٥٨ ، الحميري ، الروض ، ص ٣٠١ .

(٩) أبو الفداء ، تقويم ، ص ٢٣٤ .

الصنوبر بالثغور - خصوصاً الشامية منها - وهو من مأكول الصوفية من المباحات التي لا مالك لها ؛ يكسرونه ويأكلونه^(١) ، ويأكلون أيضاً ثمر شجر الزعرور الذي ينتشر بجبل اللكام من الثغور^(٢) . واشتهر من بينها حصن التينات (قرب المصيصة بينها وبين بياس) ، وفيه مجمع لخشب الصنوبر الذي ينقل إلى سائر أنحاء الشام ومصر^(٣) .

ولعل خشب الصنوبر والبلوط والجوز كان يُستخدم في صناعة المراكب والسفن ، خصوصاً مع ما يذكره البلاذري لهارون الرشيد من الفضل في الجهاد ، وينسب له إقامة الصناعة المرتبطة بالغزو وجهاد الروم ، ولم يُفصل نوع هذه الصناعة^(٤) ، نقدّر أنها مرتبطة بصناعة المراكب البحرية والسفن . كما استخدمت أخشاب هذه المنطقة في صناعة المنجنيقات ، إذ قام العباس بن محمد (أخو أبي جعفر المنصور) في غزوه بلاد الروم سنة ١٤٩هـ / ٧٦٦م بجلب عجلات من أرمينيا ونقل بها كثيراً من خشب الصنوبر فصنع النجارون منها المنجنيقات^(٥) .

ويُصنع من شجر الصنوبر أيضاً القطران^(٦) . ويذكر أبو حنيفة الدينوري شجراً يسمّى التُّنُّوب لا ينبت إلا في مدينتي مرعش والحدث من الثغور ، ومنه يتخذ أجود وأفضل أنواع القطران وأرقها ، ويسمّى قطرانها : الخَضْخاض^(٧) .

(١) الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج ٤ ، ص ٢٩٦ .

(٢) المصدر نفسه ، ج ٧ ، ص ٩١٧ .

(٣) الإصطخري ، مسالك ، ص ٦٣ ، ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ١٨٢ ، الإدريسي ، نزهة ، ج ٢ ،

ص ٦٤٦ ، ابن العديم ، بغية ، ج ١ ، ص ٢٢٣ .

(٤) البلاذري ، فتوح ، ص ١٦٧ .

(٥) الزوقنيني ، تاريخ ، ص ١٢٥ .

(٦) أبو حنيفة الدينوري ، كتاب النبات ، ص ١٠٢ .

(٧) المصدر نفسه ، ص ٩٩ ، ١٠٢ .

كما تنبت في حلب شجرة الدلب ، أو «الصنار» وهي شجرة كبيرة معمّرة غير مثمرة يستظلّ بها ، وللشاعر الصنوبري قصيدة في دُلبتين استظل تحتهما في بستان غربي نهر قويق^(١) ، كما ذكر سبط ابن العجمي أن درب الدلبة في حلب سمّي نسبة لشجرة دلب فيه^(٢) .

المحاصيل الزراعية الحقلية:

القطن : وهو من المحاصيل الحقلية التي تزرع لأكثر من دورة ، وتحكم زراعته وجود تربة خصبة ومناسبة ، وتوفر المياه إضافة إلى درجة حرارة معتدلة ، وتمت زراعته قديماً في عدّة مواضع من جند قنسرين : في حلب وبعض قرأها^(٣) وفي جبل السماق^(٤) . كما زُرِع في المنطقة الشرقية من الجند ، على أوائل مجرى نهر الذهب شرق مدينة الباب مروراً بوادي بطنان ، وهو من مزروعاته التي توزن بالميزان «سمي نهر الذهب لأن أوله بالقَبان (الميزان الكبير) وآخره بالكيل ، وكان القطن من المحاصيل التي تزرع على مائه ، ويُباع بالقبان وآخره يجمد فيصير ملحاً فيباع بالكيل^(٥) . واستغلّ أهل الباب وفرة القطن وجودته لديهم في صناعة الكُرّباس بكثرة^(٦) ، ويُحمل من الباب إلى مصر ودمشق ويُنسب

(١) الصنوبري ، ديوانه ، ص ٧٦ - ٧٧ .

(٢) سبط ابن العجمي ، أحمد بن إبراهيم الحلبي (ت ٨٨٤هـ / ١٤٧٩م) ، كنوز الذهب في تاريخ حلب ،

تحقيق : شوقي شعث وفالح البكور ، (٢مج) ، دار القلم العربي ، حلب ، ١٩٩٦م ، ج ١ ، ص ٤٥٥ .

(٣) ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٢٨٤ - ٢٨٥ .

(٤) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ١٠٢ .

(٥) ابن العديم ، بغية ، ج ١ ، ص ٢٧٢ - ٢٧٣ .

(٦) ياقوت ، معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٣٠٣ . والكرباس : فارسي معرب ، ضربٌ من الثياب المنسوجة من

القطن . ابن منظور : لسان العرب ، مادة : كريس .

إليها^(١). وإلى جهة الغرب من الباب وبزراعة حيث يزرع القطن على نهر الذهب يزرع أيضاً في عزاز (تل عزاز) وهي ذات تربة حمراء ، وأكثر ما يُزرع فيها القطن الذي يُحمل في المراكب إلى سبتة فيعم بلاد المغرب ، ولأجل هذا كثر في عزاز البزازون (بائعى الثياب)^(٢) ، وذكر المقدسي نظير هذا من تجارات حلب ؛ فمنها يُتاجر بالقطن والثياب والمغرة^(٣) .

القمح والشعير:

تُزرع الحنطة والشعير في جند قنسرين وإقليم الجزيرة المجاور للجند ، وهما من المحاصيل التي يعتمد عليهما الأهالي اعتماداً مباشراً في غذائهم وعلوفه دوابهم ، ولرعي أغنامهم ومواشيهم وقت الحصاد . ولكن المصادر لا تشير إلى مواطن زراعته من الجند سوى مواضع قليلة ، ويبدو أن زراعته كانت بالقدر الذي يكفي معاشهم السنوي وما يدخرونه في الأهراء لقابل السنة تحسباً للقطط والمجاعة ، وليس كشهرة حوران بزراعة القمح والشعير التي قيل فيها : [من الطويل]

وَمُغِلُّ حوران كَسِيلِ دافق
يَأْتُمُّ من أرجاء جَلَقٍ مَوْجِلًا^(٤)

ويؤكد ذلك أن الثغور ، وفيها أعداد كبيرة من المقاتلة ، كان الدقيق يأتيها من المشرق ، كما وقع في عهد المهدي لما وردت خيل خراسان إلى طرسوس في أربعة آلاف راحلة محمّلة بالدقيق ، مكتوب عليها : بلخ ، خوارزم ، هراة ،

(١) ياقوت ، معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٣٠٣ .

(٢) ابن سعيد ، بسط الأرض ، ص ٨٧ .

(٣) المقدسي ، التقاسيم ، ص ١٨١ ، ١٨٤ والمغرة : طين أحمر يُصبغ به . لسان العرب ، مادة : مغر .

(٤) ابن عساكر ، تاريخ ، ج ٢ ، ص ٤٠٢ .

سمرقند ، فرغانه ، أسبيجاب ؛ حُمِل كل ذلك من خراسان على البيخاتي (١) .
 فمن المواضيع القنسرينية التي اشتهرت بزراعة الحنطة والشعير بالس
 (مسكنة) ، وكان أكثر غلاتها من هذين الصنفين (٢) ، ولعلهما يُزرعان في جبل
 الأحص (الحص الآن) للإشارة التي أوردها ابن العديم من أن قرأه كثيرة
 الغلة (٣) ، كما يُزرعان في المناطق الغربية من حلب ، إذ شاهد ابن بطلان على
 امتداد الطريق من حلب إلى أنطاكية الأراضي المزروعة بحقول الحنطة والشعير
 تحت شجر الزيتون (٤) ، كما زرع القمح والشعير في طرسوس والنواحي التي تحيط
 بها (٥) .

ويمكن تلمُّس انتشار زراعة القمح والشعير في الجند من خلال كلام المؤرخ
 الزوقيني على أحوال سكان الجزيرة وقنسرين وما علاها من أرمينية ، وما عانته
 محصولاتهم نتيجة بعض الكوارث كالصقيع وغزارة الثلوج والانجماد الذي حلَّ
 بالمنطقة سنة ١٣٢هـ / ٧٥٠م فأتلف المحاصيل وبالتالي نفقت المواشي ، وتلا هذه
 الحادثة غزو للحشرات ولما أسماه «سوس القمح» والأرقة ؛ «كانت تلك الحشرات
 تتسلق سيقان القمح والشعير ، وتلتهم كل ما يصادفها من الأوراق بدءاً من
 الجذر حتى السنبل» ، فنقص القمح عند السكان وغلا ثمنه (٦) . وأشار
 ديونيسيوس التلمحري إلى إفساد الجراد لحقول القمح والشعير في كامل الجزيرة
 سنة ١٦٦هـ / ٧٨٣م وبعد أن أتلف محصولها اتجه نحو الغرب (أي جند

(١) الطرسوسي ، سير الثغور ، ص ٤٠ .

(٢) ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ١٨٠ ، ابن العديم ، بغية ، ج ١ ، ص ١٢٣ .

(٣) ابن العديم ، بغية ، ج ١ ، ص ٤٢٨ .

(٤) ابن بطلان ، الرحلة ، ص ٧٧ ، ٨٥ ، ونقله عنه ياقوت ، معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٢٦٦ .

(٥) الطرسوسي ، سير الثغور ، ص ٣٧ ، ابن العديم ، بغية ، ج ١ ، ص ١٨١ - ١٨٢ .

(٦) الزوقيني ، تاريخ ، ص ١٠١ - ١٠٤ .

قنسرين) فأتلف كل غلاتها^(١). وذكر أيضاً ما عانتها المنطقة الشمالية نتيجة قلة المطر في حدود سنة ٢٠٤هـ / ٨١٩م «فلم تثمر الغلال وشح القمح وغيره»^(٢). وتكررت حادثة انحباس المطر في سنة ٢٢٧هـ / ٨٤٢م مما انعكس على إنتاج القمح^(٣).

ولتوفر القمح بالجند فقد كثرت الإشارة إلى الأرحاء التي تتخذ لطحن الحبوب، بعضها تدور باستخدام الدواب كتلك التي في داخل مدينة أنطاكية^(٤) وخارجها في الجبل المطل عليها^(٥)، والأخرى تقوم على الأنهار وسواقي العيون كالأرحاء المقامة جنوب حلب على نهر قويق^(٦)، وعلى نهر العاصي بظاهر أنطاكية^(٧)، وعلى العين الجارية التي بقرية عمّ بين حلب وأنطاكية^(٨)، وعلى عيون بلدة أرتاح^(٩).

مزروعات أخرى:

تُزرع أنواع من الحبوب على نهر الذهب كالحبة السوداء والأنيسون والكرأويا^(١٠)، والخشخاش، والحبة الخضراء، وبزر البقلة وغير ذلك^(١١). كما

(١) مار ميخائيل، تاريخ، ج٢، ص ٤٢٥، ابن العبري، تاريخ الزمان، ص ١٣.

(٢) مار ميخائيل، تاريخ، ج٣، ص ٧.

(٣) المصدر نفسه، ج٣، ص ٧٧ - ٧٨ نقلاً عن ديونيسيوس.

(٤) الإدريسي، نزهة، ج٢، ص ٦٤٥، ونقله الحميري، الروض، ص ٢٨.

(٥) الإصطخري، مسالك، ص ٦٢، ابن حوقل، صورة الأرض، ص ١٧٩ - ١٨٠.

(٦) الصنوبري، ديوانه، ص ٣٥٨، ابن جببير، الرحلة، ص ٢٢٨، ابن العديم، بغية، ج١، ص ٣٤٧.

(٧) ابن بطران، الرحلة، ص ٨٦، ياقوت، معجم البلدان، ج١، ص ٢٦٨.

(٨) ابن بطران، الرحلة، ص ٧٧، ٨٥.

(٩) ابن شداد، الأعلام، ج١، ق١، ص ١٠٠.

(١٠) ابن الشحنة، الدر المنتخب، ص ٤٨.

(١١) ابن العديم، بغية، ج١، ص ٢٧٢ - ٢٧٣.

تثبت في منبج عدة أصناف من البقول اليانعة^(١) . ويشيرُ الزوقيني أثناء بسطه لحال السكان في كارثة سنة ١٣٢هـ / ٧٥٠م إلى عدد من المحاصيل التي تأثرت بما حدث ، فيذكر محاصيل : الفول والعدس والحمص^(٢) ، كما عدّد الطرسوسي أصنافاً من غلات طرسوس مثل : القطاني والكمون وبزر الفجل وبزر الكتان والترمس والأرز^(٣) .

وكان السمسم يزرع في حلب^(٤) وجبل السماق^(٥) ، وضياع طرسوس^(٦) ، ومن مشهور مزروعات حلب الحقلية الأخرى البطيخ والخيار والدخن والذرة ؛ كلها تزرع بعلاً دون سقي ومع ذلك فيأتي محصولها وفيراً يفوق ما يسقى بالمياه والسيح^(٧) ، ولكن ابن بطلان يذكر قلة ما بحلب من البقول^(٨) . كما يزرع بعلاً في معرة مصرين البصل والثوم والكسفرة ، فتأتي على أكمل مل يكون من غير سقي^(٩) ، وهذه الأصناف الثلاثة مما يُزرع على نهر الذهب^(١٠) ، وتثبت الحبة الخضراء في المنطقة الممتدة من جبل السماق حتى معرة مصرين^(١١) . ويزرع

(١) ابن العديم ، بغية ، ج ١ ، ص ١٠٥ .

(٢) الزوقيني ، تاريخ ، ص ١٠١ - ١٠٤ .

(٣) الطرسوسي ، سير الثغور ، ص ٣٧ ، ابن العديم ، بغية ، ج ١ ، ص ١٨١ - ١٨٢ .

(٤) ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٢٨٤ - ٢٨٥ .

(٥) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ١٠٢ .

(٦) الطرسوسي ، سير الثغور ، ص ٣٧ ، ابن العديم ، بغية ، ج ١ ، ص ١٨١ - ١٨٢ .

(٧) ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٢٨٤ - ٢٨٥ .

(٨) ابن بطلان ، الرحلة ، ص ٧٦ .

(٩) ابن العديم ، بغية ، ج ١ ، ص ١٣٣ - ١٣٤ .

(١٠) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٢٧٢ .

(١١) المهلب ، الكتاب العزيزي ، ص ٨٥ ، ونقله عنه ابن العديم ، بغية ، ج ١ ، ص ٦٠ ، ١٣٣ .

الزعفران في نواحي حلب^(١) وفي دير مارت مَروثا أو : دير البيعتين^(٢) ، وهو من التوابل التي تُستخدم في تطيب الأكل وفي الأدوية أيضاً .
وعدّد المقدسي من تجارات حلب الأشنان^(٣) ومنه نوع يسمّى القلي^(٤) السورياني نسبة إلى قرية سورية القديمة في جبل الأحص^(٥) ، وذكر الطرسوسي أن الأشنان الزبطري (نسبة لزبطرة في الثغور الجزرية) ينبت قرب حصن الجوزات ، «فإذا تناهى إدراكه ضمّوه وارتفقوا به من هدية وبيع واستعمال» ، ويوجد «في جبل الجوزات عقار يُعرف بالغاريقون يُحمل منه إلى أكثر الأقاليم»^(٦) ، وهو عبارة عن نوع من الفطر يظهر على بعض أشجار المنطقة خصوصاً السرو (الشربين) ، ويستخدم كدواء مُسهل ، نافع لأعراض عديدة كوجع الكبد والكلبي والمغص والصرع والربو وعسر البول^(٧) .
ومن البقول التي تنبت في الجند الباقلاء^(٨) والصعتر^(٩) ومنه السهلي

(١) الصنوبري ، ديوانه ، ص ١٦١ ، ٢٧٦ ، ٣٩١ ، ٤٤٦ .

(٢) ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٥٣١ .

(٣) الأشنان : يتخذ من نبات الحمض وقيل : الحرض ؛ تغسل به الأيدي والثياب لإزالة الدهن والمرق والودك وما أشبهه . لسان العرب ، مادتي : أشن ، حرض .

(٤) القلي : يتخذ من شجر الحمض وشجر الحُرّض بعد أن يصفر آخر الصيف فيعالج ويستخدم لغسل الثياب ، كما يستعمله الصباغون ، وله منافع طبية . انظر : ابن البيطار ، الجامع ج ٤ ، ص ٣١ ، ابن منظور : لسان العرب ، مادة : قلا .

(٥) ابن العديم ، بغية ، ج ١ ، ص ٤٢٩ .

(٦) الطرسوسي ، سير الثغور ، ص ٥٧ .

(٧) ابن البيطار ، الجامع ، ج ٣ ، ص ١٤٦ - ١٤٧ .

(٨) الصنوبري ، ديوانه ، ص ٣٦٤ ، ٣٨٩ ، ٤٣٥ ، والصنوبري يشير دائماً إلى جمال زهر الباقلاء .

(٩) المصدر نفسه ، ص ٨١ ، ١٠٣ .

والجبلي والبري ، ونبت فيه الشيح (١) والقيصوم (٢) خصوصاً بمنبج (٣) .

الأزهار والورود:

لا تعيرُ المصادر الجغرافية والتاريخية زراعة الأزهار والورود الأهمية الكافية ، مع أن في ذكرها والإشارة لها دلائل اقتصادية واجتماعية تؤشّرُ على مدى الرفاه والرخاء لدى الناس وقلة الاضطرابات والفتن ، إذ أن الاعتناء بالزهور والورود وزراعتها لا يكون إلا في أوقات السلم والهدوء وانعدام الحروب والفتن ، وهي ترتبط أيضاً بالعمارة والتأثّق فيها وإنشاء البساتين التي تحيط بالقصور . ولم يرد ذكر الأزهار في جند قنسرين باستثناء إشارة عابرة عند المهلبي ، في معرض كلامه على أنطاكية وأنها كثيرة الجنان والأزهار (٤) .

ونجد أوفى الإشارات عن الورود والأزهار والرياض في جند قنسرين لدى الشاعر أحمد بن محمد الضبي الحلبي المشهور بالصنوبري (ت ٣٣٤هـ/ ٩٤٦م) ، الذي تغنّى بجمال الطبيعة في الجند وقدم - من خلال أشعاره - وصفاً بديعاً لوروده ، وعدّد أصنافها وأنواعها ؛ ذكرها تصريحاً وكنى بها أحياناً عن أغراض أخرى ، ولم تقتصر إشاراتهِ للورود على أغراض مجالس الأُنس والتسلية بل امتدّت لتشمل كافة الأغراض التي تناولها ؛ في المديح والهجاء والرثاء والاستعتاب . . إلخ ، وكتب قصائد مفردة في ذكر الرياض والجنان ، ولم

(١) الصنوبري ، ديوانه ، ص ٢٧٨ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ، ٤٤٥ ، ٤٤٩ .

(٣) المسعودي ، مروج ج٤ ، ص ٢٧١ ، الأبي ، نثر الدر ، ج١ ، ص ٤٤٦ ، ياقوت ، معجم البلدان ، ج٥ ،

ص ٢٠٦ ، ابن العديم ، بغية ، ج١ ، ص ١٠٩ ، زبدة الحلب ، ج١ ، ص ٧١ ، أبو الفداء ، اليواقيت

ص ٥١ ، ابن شداد ، الأعلاق ، ج١ ، ق١ ، ص ١٠٥ .

(٤) المهلبي ، الكتاب العزيزي ، ص ٦٥ .

يقصرها أيضاً على مدينته حلب وما يجاورها ، بل وصف متنزهات الرقة ودمشق وغيرها .

ومن أنواع الأزهار التي تكرّر ذكره لها في ديوانه : ورد الجوري ، والنجس ، والخيري ويسمى المنثور وأزهاره مختلفة الألوان ، والبهار ، وشقائق النعمان ، والبنفسج ، والأس ، وورقه المسمّى الرامشن ، ومنه الرند ، والجلنار ، والحوذان ، وهو نبت له زهر أصفر وأحمر ورائحته طيبة ، والخزامى والأقحوان ومنه نوع يسمّى الأذريون ، والريحان ويسمّيه أيضاً : الحماحم ، وذكر منه أنواعاً : المراحوز والضيمران والنسرين : ضرب من الرياحين ، والياسمين ودهنه : «الزنبق» ، والسوسن ، ومنه البري ، والمَرْزجوش ، ويسمى العنقرض والمردقوش وهو نبت ينسبط على الأرض وله رائحة طيبة ، والعرار ، والخُرْم وهو نبات لونه بنفسجي وله رائحة طيبة ، والحبق ويسمى الفودنج ، رائحته طيبة ، والنيلوفر .

وإضافة لما ذكره الصنوبري من أزهار الجند ، فترد إشارات في شعر البحري عن ورود حلب^(١) وتغنى أبو العباس الصفري من شعراء سيف الدولة ابن حمدان بأزهار قرية بعاذين من قرى حلب^(٢) .

ويشير الصنوبري في إحدى قصائده إلى التهادي بالورد بينهم ، ويصف باقة ورد الجوري التي أهديت له في طبق من القضببان - ربما من الخيزران - وضُمت الورد فيها بمنديل «كأنه من نور»^(٣) .

المراعي : تنتشر في جند قنسرين المروج والمساحات الخضراء الملائمة لرعي المواشي ، يذكر منها دابق التي تضاف تسميتها للمرج فيقال «مرج دابق» لمرجها «المعشب النزه»^(٤) ، ووصفت الراوندان من نواحي حلب بأنها كورة طيبة معشبة

(١) البحري ، ديوانه ، ج ٢ ، ص ١١٣٥ ، ياقوت ، معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٤٥٠ .

(٢) ياقوت ، معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٤٥٢ .

(٣) الصنوبري ، ديوانه ، ص ٢٢ ، ٣٦٨ ، ٤٠٣ .

(٤) ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٤١٦ .

مشجرة^(١)، وكذلك مرج قَلَز (كَلْس) قرب سُميساط الذي ذكره أبو فراس الحمداني في شعره^(٢)، وكان مرج عبد الواحد - على باب مدينة حصن منصور - حمى لخليل المسلمين فلما بنيت الحدث وزبطرة استغنى عنه فازدع^(٣). وأيضاً من شرقي دريساك تنتشر المروج «المتسعة الحسنة الكثيرة العشب يخرقها النهر الأسود»^(٤). كما تكثر المراعي في أنطاكية وفي الجبل المطل عليها^(٥). وكذلك مرج الديباج (أو مرج المصيصة) إلى الشرق من نهر جيحان، وهو سهل شاسع تمتد قرب المصيصة بين الجبال^(٦)، وبقربه مرج الأَطْرَاخُون^(٧). ولتوفر المراعي الجيدة على ضفتي جيحان فقد كانت الضياع والقرى المحيطة به كثيرة المواشي^(٨)، وتنتشر الزروع والأعشاب المناسبة للرعي في المنطقة الممتدة بين المصيصة وكفر بيا على ضفتي جيحان حتى البحر المتوسط وهي بقعة خضرة نضرة^(٩).

(١) ياقوت، معجم البلدان، ج ٣، ص ١٩.

(٢) أبو فراس الحمداني، الحارث بن سعيد (٣٥٧هـ/٩٦٨م)، ديوانه، دار إحياء التراث، بيروت، (د. ت)، ص ٣٣، ياقوت، معجم البلدان، ج ٤، ص ٣٨٧.

(٣) البلاذري، فتوح، ص ١٩٥، وحدد كل من قدامة، الخراج ص ٣٢١، وياقوت، معجم البلدان، ج ٥، ص ١٠٢: موضعه في الجزيرة، وربما خلط عليهما لكونه من الشغور الجزرية.

(٤) ابن شداد، الأعلاق، ج ١، ق ١، ص ٩٩، أبو الفداء، تقويم، ص ٢٦١.

(٥) ابن حوقل، صورة الأرض، ص ١٧٩ - ١٨٠، الإصطخري، مسالك، ص ٦٢، المهلب، الكتاب العزيزي، ص ٦٥.

(٦) ياقوت، معجم البلدان، ج ٥، ص ١٠١.

(٧) ياقوت، معجم البلدان، ج ٥، ص ١٠٠.

(٨) ابن حوقل، صورة الأرض، ص ١٨٣.

(٩) ابن حوقل، صورة الأرض، ص ١٨٣، مجهول، حدود العالم، ص ١٧٥، الإدريسي، نزهة، ج ٢،

ص ٦٤٦، ياقوت، معجم البلدان، ج ٥، ص ١٤٥.

هذه الخريطة الزراعية التي قدّمتها المصادر عن الجند حتى القرن الرابع الهجري ، تختلف عما أصبح عليه الحال فيما بعد ، ومن ثمّ يجب علينا أن لا نُعطي الحالة الزراعية الحالية بُعداً تاريخياً ، فنهر الذهب الذي كان في اعتبارات الجغرافيين القدامى أحد عجائب الدنيا لم يعد موجوداً ، وسبخة الجبُول التي كان نهر الذهب ينتهي إليها انحصرت وتقلّصت مساحتها ، فالاختلاف يبدو كبيراً ، وقد لوحظ هذا الفارق في القرن السابع الهجري ، في زمن مؤرخ حلب ابن العديم عندما كانت الجهة الشرقية والجنوبية الشرقية من الجند تخلو من الأشجار باستثناء ما يُزرع من محاصيل حقلية ، لكنه سمع من بعضهم أن هذه المنطقة كانت عامرة بالأشجار والمزروعات ، وأن الناس كانوا يمشون من حلب إلى قرية زُبيدة على طرف جبل الأحص المشرف على سبخة الجبُول ، في ظلال شجر الزيتون ، ودلل ابن العديم على صحة ما ذكر أنه ما من قرية في هذه المنطقة إلا وفيها أثر لمعصرة زيتون وبقايا أحجارها . وهذا القول يتوافق مع ما خلّصت إليه نتائج الحفريات الأثرية التي أجرتها البعثة البلجيكية في المنطقة الواقعة بين حلب ونهر الفرات ، والتي كشفت عن حضارة زراعية تمتدّة منذ العصر الحجري (١) .

الثروة الحيوانية:

الإشارات المتوفرة في المصادر لا تكفي لإعطاء صورة مقبولة عن حجم الثروة الحيوانية في جند قنسرين وفي عموم بلاد الشام ، ويمكن افتراض كثرة الأصناف الحيوانية في الجند من خلال تنوع مزروعاته وتوفر مقومات التربية والتدجين ، وقد وجد المسلمون بقنسرين عند فتحها على يد أبو عبيدة بقرأ

(١) تفنان ، رولاند ، ذهب وملح «ملاح البيئة الطبيعية لمنطقة الجبول في سورية القديمة» ، مجلة عاديات

حلب ، الكتاب الرابع والخامس ، جامعة حلب ومعهد التراث العلمي العربي ، حلب ، ٧٨ -

١٩٧٩م ، ص ٢٤٠ وما بعدها .

وغنماً ، وكانت من الكثرة بحيث قُسم بعضها فيمن حضر وجُعل الباقي في المغنم^(١) ، وكانت بلدة حارم عبارة عن صيرة (حظيرة) لجمع المواشي قبل أن يتم سُكناها^(٢) ، وتكثر قطعان البهائم والغنم والضأن ويعمّ خيرها كلما كانت السنة مُخصبة خالية من الأمراض كما حدث في سنتي ١٥٠هـ/ ٧٦٧م^(٣) و١٥٣هـ/ ٧٧٠م^(٤) ، وتقلّ بخلاف ذلك كما وقع في سنة ٢٤١هـ/ ٨٥٥م عندما نفقت الدواب والبقر نتيجة مرض الصدام الذي يصيب رؤوس الدواب^(٥) . ويردُّ أن لأهل الرصافة - وأكثرهم نصارى - حذق في عمل الأكسية ، وكل رجل فيها - غنيهم وفقيرهم - يغزل الصوف ، ونسأؤهم ينسجن^(٦) ، بما يؤشر على كثرة امتلاكهم للضأن والماعز .

وكانت الصوائف والشواتي مصدر إمداد للجُند ولغيره من أقاليم الدولة من أصناف المواشي والدواب الروميّة التي يقع الاستيلاء عليها ، وبالرغم من أن المصادر عند ذكرها للصوائف والشواتي تشير لكثرة ما يصيبه المقاتلة من غنائم وافرة ، لكنها لا تفصّل نوعها باستثناء ذكرها - أحياناً - لعدد أسارى الروم ، ومن المرّات القليلة التي أُشير فيها للغنائم من الحيوانات : ما صالح عليه مسلمة بن عبد الملك بعد حصاره للقسطنطينية سنة ٩٩هـ/ ٧١٨م وكان من جُمَلته : خمسة آلاف رأس من البقر والغنم وألف رمكة (فَرس) بفتحها^(٧) ، وما غنمه الرشيد في صائفة سنة ١٦٥هـ/ ٧٨٢م التي قادها في عهد والده ، وأنه عاد بما

(١) البلاذري ، فتوح ، ص ١٥١ ، قدامة ، الخراج ، ص ٣٠٣ ، أبو الفداء ، اليواقيت والضرب ، ص ٣٣ .

(٢) ابن شداد ، الأعلاق ، ج ١ ، ق ١ ، ص ١٣ .

(٣) الزوقيني ، تاريخ ، ص ١٥٣ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ١٤٤ .

(٥) الطبري ، تاريخ ، ج ٩ ، ص ٢٠١ ، ابن الأثير ، الكامل ، ج ٧ ، ص ٨٠ .

(٦) ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٤٨ .

(٧) ابن الأعمش ، الفتوح ، ج ٧ ، ص ٣٠٣ .

لا يوصف من المواشي والدواب^(١). وفي عهد الواثق غزا أحمد بن سعيد بن سلم بن قتيبة الباهلي في الشتية سنة ٢٣١هـ / ٨٤٥م ، وبالرغم من أنه جبن عن ملاقاته أحد بطارقة الروم إلا أنه أخذ نحو ألف بقرة وعشرة آلاف شاة^(٢). وتمكّن علي بن يحيى الأرمني قائد إحدى صوائف المتوكل سنة ٢٤٦هـ / ٨٦٠م التي وجهها إلى بلاد الروم - برياً وبحرياً - من العودة سالماً بنحو عشرة آلاف رأس من الدواب والرمك والحمير^(٣). واعتاد ثمل الخادم الذي تولى ثغر طرسوس لمدة طويلة في عهد المقتدر (٣٠٩هـ / ٩٢١م حتى وفاته سنة ٣٢٦هـ / ٩٣٨م) الغزو والرجوع بغنائم وافرة، وكان «عظيم الهيبة في قلوب النصارى، كثير الإقدام عليهم لا يهوله أن يحمل على خمسة آلاف بخمسمائة من المسلمين»^(٤)؛ فغنم في غزوته سنة ٣١١هـ / ٩٢٣م ثمانية آلاف رأس من الدواب ومائتي ألف رأس من الغنم^(٥). واللافت للنظر أنها غزوة بحرية، فإذا ما أضيف لهذا العدد ألف رأس من السبي، فإن المتحصّل لا يمكن احتمالته إلى السواحل بمراكب المسلمين التي لم تكن في مطلع القرن الرابع بهذا المقدار والعدد. وغنم ثمل الخادم أيضاً في صائفة سنة ٣١٥هـ / ٩٢٧م ما لا يُحصى من الغنائم؛ كان من جملة ما غنموا أنّهم ذبحوا في بلاد الروم ثلاثمائة ألف رأس من الأغنام سوى ما عاد معهم إلى طرسوس^(٦). وعلى هذا فقد توفّرت المدن الثغرية على ثروة حيوانية

(١) الطبري، تاريخ، ج٨، ص ١٥٢، الأزدي، تاريخ الموصل، ص ٢٤٦، ٢٤٧، ابن الأثير، الكامل،

ج٦، ص ٦٦، ابن العبري، تاريخ مختصر، ص ١٢٦، الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٤، ص ٢٧٦.

(٢) الطبري، تاريخ، ج٩، ص ١٤٥، ابن الأثير، الكامل، ج٧، ص ٢٥.

(٣) الطبري، تاريخ، ج٩، ص ٢١٩، ابن الأثير، الكامل، ج٧، ص ٩٢.

(٤) مجهول، العيون والحدائق، ج٤، ق ٣، ص ٣١٨.

(٥) ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص ١٤٥.

(٦) المصدر نفسه، ج٨، ص ١٧٨.

جيدة ، وكانت القرى والضياح المنتشرة على نهر جيحان فيها الكثير من الماشية والكرع^(١) .

أما الجواميس ، وهي نوع من البقر ، فيرجع دخولها إلى جند قنسرين لعهد الوليد بن عبد الملك (حكم ٨٦ - ٩٦هـ / ٧٠٥ - ٧١٥م) ، إذ اشتكى إليه أهالي الجند من كون الطريق التي بين أنطاكية والمصيصة مسبعة تعترضهم فيها الأسود ، فأرسل إليهم أربعة آلاف جاموس وجاموسة مما أتاه من السند صحبة الزط ، فانتفع الناس بها^(٢) وزال عنهم خطر السباع ، ولما قبض يزيد بن عبد الملك سنة ١٠٢هـ / ٧٢١م أموال بني المهلب بعد خلع يزيد بن المهلب وقتله ، وجد عندهم أربعة آلاف جاموسة كانت بدجلة وكسكر ، فوجه بها أيضاً إلى المصيصة ليصبح مجموعها ثمانية آلاف رأس^(٣) . وتكرر إرسال الجواميس في عهد المعتصم ، عندما تمكن سنة ٢١٩هـ / ٨٣٤م من القبض على جماعات الزط التي أفسدت البطائح - بين واسط والبصرة - وأرسلهم إلى عين زربة من الثغور^(٤) ، وينفرد المسعودي بالإشارة إلى أن نقلهم للشام كان مع جواميسهم^(٥) . وقد تعرّض الزط المقيمين بعين زربة في سنة ٢٤١هـ / ٨٥٥م إلى هجوم من الروم فأسروهم مع نسائهم وذرائعهم وجواميسهم وبقرهم^(٦) . ولعل أهل الجند

(١) ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ١٨٣ .

(٢) البلاذري ، فتوح ، ص ١٧٢ ، قدامة ، الخراج ، ص ٣٠٩ .

(٣) البلاذري ، فتوح ، ص ١٧٢ ، المسعودي ، التنبيه ، ص ٣٥٥ .

(٤) ابن خياط ، تاريخ ، ص ٤٧٦ ، الطبري ، تاريخ ، ج ٩ ، ص ٩ ، الأزدي ، تاريخ الموصل ، ص ٤١٧ ، ابن

البطريق ، البطريك افتيشيوس المكنى «سعيد» (ت ٣٢٠هـ / ٩٣٢م) ، التاريخ المجموع على التحقيق

والتصديق . مطبعة الآباء اليسوعيين ، بيروت ، ١٩٠٩م . ص ٦٠ ، ابن الأثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص

٤٤٤ ، الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج ٥ ، ص ٢٥٤ ، ابن خلدون ، العبر ، ج ٥ ، ص ٦٣٠ .

(٥) المسعودي ، التنبيه ، ص ٣٥٥ .

(٦) الطبري ، تاريخ ، ج ٩ ، ص ٢٠١ ، ابن الأثير ، الكامل ، ج ٧ ، ص ٨٠ .

استفادوا من وجود الجواميس لديهم في استغلال ألبانها وجلودها ، كما استعانوا بها في النقل وربما في الحراثة ، إذ يذكر المسعودي أنها تجرّ بالشجر الشامي أكبر ما يكون من العَجَل ، وشاهد منها كذلك ببلاد إنطاكية^(١) .

واشتهرت بعض المدن الثغرية بتدجين طيور البازي المستخدم في الصيد والقنص ، يقول المهلبي : «يقطع إلى الثغور الجارح من بلد الروم ، فتؤخذ فيه البزاة الفره ، وقد كان في جبال الثغر أيضاً أوكار للجارح والكلاب السلوقية الموصوفة من بلاد سلوقية»^(٢) . وتشكل تربية البازي مصدر دخل لمن يتعاطى تضرّيته ، وتتم تربيته في الجبل الذي يقع فيه حصن الجوزات في أشجار مخصوصة بأوكار البزاة فيرتادها بعض أهل الحصن ، «فإذا فرخ البازي في وكره تعهده الطالب له بالتفقد وتردّد إليه ، حتى إذا صلح ، تلتف بحيلة في نقل الفراخ ، ودبر تربيتها ، وتكلف حملها إلى طرسوس ، وربما بيع الواحد بمائة وخمسين درهما ، فيستحيل إلى الفراهة إذا عُلم وضرّي ، فيبلغ خمسمائة درهم وأكثر»^(٣) . ويشير الصنوبري إلى أصناف من الدواجن في منازل حلب كالطيور والنعام والحمام ، وكان لديه حمام كثير فأهداه أحد الأمراء علفاً كثيراً لإطعامها^(٤) ، كما اشتهرت زبطرة بكثرة ما فيها من أرانب يقع صيدها بين أشجار البلوط ، وهي «أرانب كبار إلى الغاية لا يوجد في الشام أرانب تقاربهن في القدر»^(٥) .

ولكثرة النصارى في الجند ، فقد تواجدت الخنازير فيه ، وكان لهم اهتمام بتربيتها وتسمينها ، وكان أكثر تواجد الخنازير في نواحي أنطاكية ، مثل قرية عمّ

(١) المسعودي ، مروج ، ج٢ ، ص ١٢٤ .

(٢) الكتاب العزيزي ، ص٩٩ ، ابن العديم ، بغية ، ج١ ، ص ١٨٠ .

(٣) الطرسوسي ، سير الثغور ، ص ٥٧ .

(٤) الصنوبري ، ديوانه ، ص٢٧٩ ، ٣١٣ .

(٥) أبو الفداء ، تقويم ، ص ٢٣٤ .

أنطاكية وحلب التي كانت مشهورة بكثرة الخنازير فيها^(١) . ويذكر ديونيسيوس أن الخليفة عبد الملك بن مروان أصدر أمراً في سنة ٦٨هـ / ٦٨٨م بالقضاء على الخنازير^(٢) .

أما السمك فيرد ذكره في بحيرة يغرا (بحيرة بغراس) بجانب عمق أنطاكية ، وكان يُجلب منها السمك الكثير^(٣) ، فيعتاش منه الأهالي ، ويسمونه بلغتهم سمك السلور ، ولهذا سميت بحيرة يغرا ببحيرة السلور^(٤) ، وأيضاً يُصاد السمك من العين الجارية التي بقرية عم بين حلب وأنطاكية^(٥) .

الكوارث الطبيعية والبشرية

أثر الحروب على الزراعة والمياه:

يبرز الأثر البشري في جانبه السلبي على الأحوال الزراعية في جند قنسرين من خلال وقوع الفتن والثورات ، ولكون جند قنسرين من أقل الأجناد فتناً - باستثناء فترة التغلب على نواحيه خلال الفتنة بين الأخوين - فلم يكن أثرها كبيراً طيلة القرون الثلاثة الأولى ، فخلال الفتنة وحتى عام ٢١٠هـ / ٨٢٥م قامت عدة ثورات في قنسرين ، كانت أطولها مدة وأكثرها أثراً ثورة نصر بن شيبث ، ووجه المأمون - بعد أن استقرت الخلافة له - عدة حملات للقضاء عليها وعلى غيرها ، وخلال البعثة الثالثة التي أرسلت للقضاء على ابن شيبث سنة ٢٠٧هـ / ٨٢٢م تعرّض الفلاحون والحصادون في شمال الجند إلى القتل والنهب وتعرّضت غلاتهم ومحصولهم للحرق ، وعانى الفلاحون والأهالي أيضاً من

(١) ابن بطلان ، الرحلة ، ص ٧٧ ، ٨٥ .

(٢) مار ميخائيل ، تاريخ ، ج ٢ ، ص ٣٧٠ .

(٣) ابن العديم ، بغية ، ج ١ ، ص ٤٠٩ ، أبو الفداء ، تقويم ، ص ٢٦١ .

(٤) ياقوت ، معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٣٥٣ ، ج ٤ ، ص ١٧٨ .

(٥) ابن بطلان ، الرحلة ، ص ٧٧ ، ٨٥ .

الضيق والمجاعة نتيجة لما يحتاجه الجيش من غذاء وعلوفة للدواب فتأثرت محاصيل الحنطة والشعير ، إذ كان قادة الحملات يأمرّون السكان بجمع الغلات والتبن لتموين جيوشهم وعلف لدوابهم ، فيقع الأهالي في ضيق من ذلك ، وغالباً ما كانوا يضطرونّ لحصاد المحصول قبل أوانه لتوفير الغذاء^(١) . ووقعت في كيسوم وما يجاورها سنة ٢٠٩هـ / ٨٢٤م مجاعة بسبب إكراه الأهالي على إعداد الطعام للجيش الذي يقاّتل ابن شيبث ، فانتشر الجوع بينهم^(٢) .

وفي أثناء حكم بني طولون للجند ، تعرّضت المنتزعات حول حلب إلى الحريق والتخريب ، وأورد ابن العديم طالع قصيدة لأبي عيسى صالح بن محمد الهاشمي يذكر فيها ما وقع ، ورجّح ابن العديم أن المتسبّب فيها هو والي قنسرين سيما الطويل الذي عصى على ابن طولون فقتله سنة ٢٦٥هـ / ٨٧٩م^(٣) . وفي فترة لاحقة نقدّر أن محاربة القرامطة بعد سيطرتهم على أجزاء من بلاد الشام سنة ٢٨٩هـ / ٩٠٢م ، قد أثرت على زراعة الجند خلال السنوات الثلاث التالية ، وهي حروب اشتركت فيها عساكر الخليفة المكتفي وقوات من الطولونية بالشام ، وجرت بعض وقائعها في جند قنسرين خصوصاً وادي بطنان^(٤) .

ولعل أقصى ما تأثرت به زراعة الجند ذلك الصراع الذي وقع بين سيف الدولة والإخشيد^(٥) ، في الثلث الأول من القرن الرابع الهجري ، إذ «كانت

(١) مار ميخائيل ، تاريخ ، ج٣ ، ص ١٤ .

(٢) المصدر نفسه ، ج٣ ، ص ١٦ .

(٣) ابن العديم ، بغية ، ج١ ، ص ٤١٣ ، وصدر القصيدة : «عفا أثر من التنزّهات . . .» .

(٤) الطبري ، تاريخ ، ج١٠ ، ص ١٠٤ ، العظيمي ، محمد بن علي الحلبي (٥٥٦هـ / ١١٦١م) ، تاريخ

حلب ، تحقيق : إبراهيم زعرور ، دمشق ، (د.ن) ، ١٩٨٤م . ص ٢٧٤ ، ابن الأثير ، الكامل ، ج٧ ،

ص ٥٢٦ ، ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج١ ، ص ٩٤ ، أبو الفداء ، البيواتيت والضرب ، ص ٧٤ ،

الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج٦ ، ص ٦٦٦ .

(٥) ابن الأثير ، الكامل ، ج٨ ، ص ٤٤٥ .

حلب من أكثر المدن شجراً ، فأفنى شجرها وقوع الخلف بين سيف الدولة وبين الإخشيد أبي بكر محمد بن طعج ، فإن الإخشيد كان ينزل على حلب ويحاصرها ، ويقطع شجرها ، فإذا أخذها ورجع إلى مصر جاء سيف الدولة ابن حمدان وفعل بها مثل ذلك ، وتكرّر ذلك منهما حتى فني ما بها من الشجر»^(١) .

وعانت بعض المدن الشغرية القريبة من بلاد الروم من الهجمات الخاطفة التي قام بها الروم ؛ يحاولون فيها الرد على الصوائف بإرسال حملات لمناوشة أطراف الثغور خصوصاً ملطية والحدث ومرعش وعين زربة ، وكانوا يهدفون من ورائها إيقاع أكبر أثر في هذه المدن من التدمير والتخريب ، ويستاقون منها ما قدروا عليه من الدواب والخيول والجمال والمائمية ، لكن سرعان ما كانت الدولة - خصوصاً في عهد بني العباس - تقوم بإرسال من يتولى الإعمار وإنزال الجنود والقبائل ممن يتولى حفظها ، وكانت ملطية - الحدودية - من أكثر المناطق التي تأثرت بذلك ، فبعد أن عمرت وزرعت سنة ١٣٩هـ / ٧٥٦م أرسل ملك الروم من قام بحرق زروعها^(٢) ، ثم تكرّرت أذية الجند من الحروب في عهد الدولة الحمدانية ، وأصبح الجند مسرحاً لهجمات متكررة من الروم ، أصابت مدن الثغور ، وابتدأت منذ سنة ٣٣٧هـ / ٩٤٩م^(٣) ، فتمكنوا من الاستيلاء على عين زربة ثم دخلوا حلب سنة ٣٥١هـ / ٩٦٢م ونهبوا قصر سيف الدولة وأحرقوا

(١) ابن العديم ، بغية ، ج ١ ، ص ٦٨ ، ٤١٥ ، ابن الشحنة ، الدر المنتخب ، ص ٢٥ .

(٢) ابن خياط ، تاريخ ، ص ٤١٨ .

(٣) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٨ ، ص ٤٨٠ ، ٤٨٥ ، ٤٩٩ ، ٥١٧ ، ٥٢٧ ، الأنطاكي ، يحيى بن سعيد (ت

٤٥٨هـ / ١٠٦٦م) ، تاريخ الأنطاكي ، مطبعة الآباء اليسوعيين ، بيروت ، ١٩٠٩م . ص ٢٩٤ - ، ابن

العبري ، تاريخ الزمان ، ص ٥٩ .

مساجد المدينة ثم عادوا منها^(١) ووصلوا منبج قريباً من نهر الفرات^(٢) ، وقد تعرّضت الثغور خلال ذلك للحريق والتدمير ، وقطع الروم ٤٠ ألف شجرة نخل من عين زربة^(٣) ، وفني شجر الشربين (السرو) من حلب لذلك^(٤) ، وهرب أكثر أهل الثغور عنها إلى دمشق والرملة^(٥) ، ثم أدمن ملك الروم نقفور (حكم نحو ست سنوات حتى قتل سنة ٣٥٩هـ / ٩٧٠م) ترديد الغزو إليها ، «وكان بنى أمره على قصد المدن والقرى فيغزوها ويحرقها ويسبي أهلها ومواشيها وإذا بلغ وقت الحصاد للزرور خرج وأحرق جميع الغلات وترك أهل المدن يموتون جوعاً . . . يفعل ذلك بهم كل سنة حتى كانت غزواته قد صارت كالنزهة له ولأصحابه وينحرب من غير أن يلقاه من يمنعه»^(٦) ، فاختلت مزروعات الجند وأشجاره «ونهلكه الروم»^(٧) .

كما تعرّضت مصادر المياه للتخريب «التغوير» أثناء الحروب والثورات ، فعندما انتقض عبد الله بن علي على المنصور ، وتوجّه أبو مسلم الخراساني لمحاربتة ، كان أول ما قام به الخراساني في أرض المواجهة أن «غور ما حوله (أي عبد الله) من المياه وألقى فيها الجيف»^(٨) ، ولم تحدّد المصادر الموضع الذي وقعت

(١) ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص ٥٣٩ - ٥٤٠، ابن العديم، بغية، ج١، ص ٤١٥ .

(٢) الأنطاكي، تاريخ، ص ١١٨ .

(٣) ابن العبري، تاريخ الزمان، ص ٦٢ .

(٤) ابن العديم، بغية، ج١، ص ٤١٥ .

(٥) الأنطاكي، تاريخ، ص ١٢٢، ابن العبري، تاريخ الزمان، ص ٦٣ .

(٦) الأنطاكي، تاريخ، ص ١٣٥، ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص ٦٠٧، وقريب من هذا عند ابن

العبري، تاريخ الزمان، ص ٦٧ .

(٧) المهلب، الكتاب العزيزي، ص ٨٥، ونقله عنه ابن العديم، بغية، ج١، ص ٦٠ .

(٨) الطبري، تاريخ، ج٧، ص ٤٧٧، وفيه : «غور» أي ردم العيون، مجهول، العيون والحدائق ج٣،

ص ٢١٨، ابن خلدون، العبر، ج٥، ص ٤٥٠ .

فيه المواجهة ، سوى إشارة عابرة عند الطبري وابن عساكر تجعله في رصافة هشام^(١) ، وهي مدينة برية تعاني شحاً في الماء إلا ما يجمعونه في الصهاريج من مياه الأمطار^(٢) ، ولعل هذه المياه التي جرى تغويرها هي بنواحي الرصافة وليست فيها ، كما أن أمد الحرب التي امتدت لنحو ستة أشهر لا بد وأنها أثرت على الزراعة .

الكوارث الطبيعية والآفات والأوبئة:

عانت زراعة الجند من عدة كوارث طبيعية أصابته في سنوات متقطعة ، كالصقيع والانجماد المتأتي بكثرة الثلوج ، أو انحباس الأمطار فيحدث القحط كما وقع في سنة ٦٨هـ / ٦٨٨م حيث كان القحط شديداً بالشام حتى تعذر بسبب شدته إرسال الصوائف^(٣) ، أو موجات الجراد والأمراض التي تصيب الدواب والمواشي فتقضي عليها والطواعين التي تفتك بالناس وبضمنهم الفلاحين فتختل أحوال الزراعة ، ونجد أكثر تفصيل لهذه الكوارث وأخبارها عند ديونيسوس التلمحري (ت ٢٣٠هـ / ٨٤٥م) الذي وثق أحوال الجند وبعض المناطق المحيطة به حتى الثلث الأول من القرن الثالث الهجري .

وامتازت المنطقة الشمالية من الشام بكثرة الثلوج ، وهي ثلوج تغذي أغلب الأنهار التي تحترقها ، خصوصاً نهر الفرات ، لكن أثرها السيئ على الزراعة يتمثل في ازدياد مستواها في بعض السنين خصوصاً إذا أعقبها رياح شمالية جافة فيحدث الصقيع والانجماد ، فقد وقع في بعض السنين في العهد الأموي أن «مر شتاء قارص جداً ، كثر فيه الثلج والجليد ، فجمد نهر الفرات والبحيرات ، وبيست أشجار الزيتون والكروم في كافة المناطق ، فأصيب الأهالي

(١) الطبري ، تاريخ ، ج٧ ، ص ٤٧٦ ، ابن عساكر ، تاريخ ، ج٣١ ، ص ٦٠ .

(٢) ياقوت ، معجم البلدان ، ج٣ ، ص ٤٧ ، ابن العديم ، بغية ، ج١ ، ص ١١٣ .

(٣) الطبري ، تاريخ ، ج٦ ، ص ١٢٧ .

بالضيق والشدة ، وهلكت المواشي والحيوانات والطيور ، وتوفي العديد من الناس من البرد»^(١) ، «وفي نيسان سنة ٨٦٦هـ / ٧٠٥م حدث انجماد فيبست أشجار الزيتون والكروم»^(٢) ، «وفي أيار ٩٤هـ / ٧١٣م حدثت عاصفة شديدة قلعت الأشجار . . . وفي نيسان ٩٥هـ / ٧١٤م حدث انجماد فيبست أوراق الأشجار والكروم وتناثرت»^(٣) ، وأيضاً حدث «انجماد قاس في كانون الأول سنة ١٢٦هـ / ٧٤٤م حتى أن الأنهار الكبيرة جمدت وصار من الممكن العبور عليها ، وماتت الأسماك وتجمعت أكداً على الشواطئ»^(٤) .

وتسببت الثلوج الكثيفة سنة ١٣٢هـ / ٧٥٠م وما أعقبها من موجات الصقيع الشديد والانجماد إلى إبادة المواشي والحيوانات والطيور ، وأدت إلى إتلاف الأشجار والحقول ، ويذكر الزوقيني أن ارتفاع الثلوج وصل في بعض المناطق إلى خمسة أشبار ودام على أسطح المنازل نحو ثلاثة أشهر ، ففسدت الأشجار والكروم وأشجار الزيتون ، وتجمدت مياه الأنهار حتى إن الجياد كانت تعبر فوقها . . وهلكت جميع حيوانات الحقول وطيور السماء ، وكل ما كان مزروعاً تعفن وفسد تحت الثلج وتيبس من شدة الصقيع ، وعندما ذاب الثلج لم ينبت شيء فيما عدا الحشائش الفاسدة والأشواك»^(٥) . وكان شتاء سنة ١٥٢هـ / ٧٦٩م شديداً وصعباً على السكان لكثرة الثلوج التي سقطت وغطت الأرض ، فأهلكت البهائم والأغنام مع رعاتها ، ثم تزايد سقوط الثلج الهائل فهلك بسببه أناس كثيرون مع بهائم لا يُحصى عددهم»^(٦) . وفي أواخر كانون

(١) مار ميخائيل ، تاريخ ، ج ٢ ، ص ٣٦٧ .

(٢) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٣٧٣ .

(٣) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٣٧٤ .

(٤) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٤٠١ نقلاً عن ديونيسيوس .

(٥) الزوقيني ، تاريخ ، ص ١٠١ - ١٠٢ .

(٦) المصدر نفسه ، ص ١٤٩ .

الثاني سنة ١٩٦هـ/ ٨١٢م وبعد موسم شتاء جيد هبّت ريح شمالية (موجة صقيع) استمرت ثمانية أيام ، فاحترق كل شيء كأنه احترق بنار ، ولم يُجن في تلك السنة أي من الغلال والبقول والكروم والأشجار خصوصاً في الجزيرة^(١) .

وعانت المنطقة في حدود سنة ٢٠٤هـ/ ٨١٩م من احتباس المطر فلم تثمر الغلال وشح القمح والخمر والزيت^(٢) . وفي نحو سنة ٢١٥هـ/ ٨٣٠م سقط برّد كثيف دمرّ الزرع ، وبعدها بسنتين (نحو ٢١٧هـ/ ٨٣٢م) سقط ثلج واشتدّ البرد كثيراً وجمد نهر الفرات وغيره من الأنهار وعبره الناس مشياً وماتت الأسماك وقُذفت خارجاً وجمدت الخمر في الجرار^(٣) .

وفي سنة ٢٢٧هـ/ ٨٤٢م ، وبعد أن عانت المنطقة من احتباس المطر فلم تنبت فيها الزروع ، واستمر ذلك حتى شهر أيار من السنة ، توالى بعدها سقوط الثلج واشتدّ البرد ، فعانى الأهالي منه ومن شح القمح وتفشّى بينهم الجوع والمرض والموت ، ثم تحسّنت الأحوال في شهر نيسان حيث سقطت الأمطار ونمت الزروع ، ونزل معها برّد كثيف دمرّ عدّة قرى في الجزيرة والغرب (أي جند قنسرين) ، وهبّت عاصفة قلعت الأشجار من أصولها وقذفتها في الفضاء ، وشوهت الأتربة تنتقل إلى الحقول المزروعة وتغطيها فتبدو وكأنها بيادر حنطة^(٤) . ثم في السنة التالية (٢٢٨هـ/ ٨٤٣م) كثرت السيول وجرفت حجارة ضخمة ، واستحالت البقاع إلى بحيرات ، وفي بعض المناطق سقطت البيوت على الناس وأغرقتهم ، ووصل الفيضان إلى الرقة تاركاً وراءه دماراً وخراباً^(٥) .

وبتوقّف الأخبار التي دوّنها ديونيسيوس التلمحري عند سنة ٢٢٨هـ/ ٨٤٣م

(١) مار ميخائيل ، تاريخ ، ج٢ ، ص ٤٤٦ .

(٢) المصدر نفسه ، ج٣ ، ص ٧ .

(٣) المصدر نفسه ، تاريخ ، ج٣ ، ص ٤٣ .

(٤) المصدر نفسه ، ج٣ ، ص ٧٧ - ٧٨ .

(٥) المصدر نفسه ، ج٣ ، ص ٧٥ .

(قبل سنتين من وفاته سنة ٢٣٠هـ / ٨٤٥م) تكاد أخبار الكوارث التي حلت بهذه المنطقة تنقطع ، وانقطاعها لا يعني عدم وقوعها بل لأن أخبارها لم تصلنا ، ويمكن القياس في القرنين التاليين على ما مرّ ذكره . ويرد ذكر وقوع الانجماد سنة ٢٤٩هـ / ٨٦٣م حتى جمد الفرات أربعين يوماً ولقي الناس شدة من البرد في البلاد كلها وفي طريق مكة^(١) ، ووقع بالجزيرة سنة ٣٢٦هـ / ٩٣٨م برد أهلك الزرع والمواشي^(٢) .

أما الطاعون ؛ وشهرته بالشام معلومة ، فقد كان أثره على السكان والأهالي ، وبضمنهم الفلاحين الذين يُبيدهم المرض ويمنعهم من تعاطي الفلاحة ، وأشهر طواعين الشام «طاعون عمواس» ، وهو أول طاعون وقع في الإسلام في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة ١٨هـ / ٦٣٩م وقيل في التي تلتها^(٣) ، ومات فيه ما لا يُحصى ؛ وقيل : مات فيه ٢٥ ألفاً^(٤) ، ثم أصيب أهل الشام بطاعون شديد سنة ٨٠هـ / ٦٩٩م عاقهم عن إرسال الصائفة^(٥) ، ثم طاعون آخر سنة ١٠٧هـ / ٧٢٦م فأصاب الدواب والبقر^(٦) ، كما وقع طاعون سنة ١٢٦هـ / ٧٤٤م وسبقه انحباس للمطر فحدثت مجاعة كبرى «ثم تفشى الوباء حتى أن الفلاحين صاروا يطلبون عملاً لقاء خبزهم ولا يجدون من يستخدمهم . . . لقد تفشى الطاعون في كل مكان لا سيما في الجزيرة فراح ضحيته خمسة آلاف نفس أما في الغرب (أي قنسرين غرب الفرات) فلا يُحصى العدد»^(٧) ، وسمي

(١) العظيمي ، تاريخ حلب ، ص ٢٦٠ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٨٨ .

(٣) ابن خياط ، تاريخ ، ص ١٣٨ ، الطبري ، تاريخ ، ج ٤ ، ص ٩٦ .

(٤) الطبري ، تاريخ ، ج ٤ ، ص ١٠١ ، الحميري ، الروض ، ص ٤١٥ .

(٥) ابن خياط ، تاريخ ، ص ٢٧٩ .

(٦) ابن خياط ، تاريخ ، ص ٣٣٧ .

(٧) مار ميخائيل ، تاريخ ، ج ٢ ، ص ٤٠١ نقلاً عن ديونيسيوس .

بطاعون عُراب^(١) ، ثم تلاه الطاعون العظيم ، والذي تسبب - مع ما رافقه من جفاف ومجاعة حلّت منذ سنة ١٣٠هـ / ٧٤٨م واستمرت ثلاث سنوات متتالية - في إفناء عدد كبير من السكان ودوابهم ، وأفرد المؤرخ الزوقيني - الشاهد على هذه الأحوال - مساحةً كبيرة من تأليفه^(٢) للحدث عن هذه الكارثة التي عمّت الجند وأجزاء أخرى من بلاد الشام والجزيرة ، يقول : «في ذلك الوقت أنزل بنا الرب أشد الكوارث وأقساها ، وهي المجاعة والطاعون . . . المطر الذي اعتاد النزول في فصل الشتاء تخلى عن عادته ولم يسقط فجفت جميع المحاصيل ولم تعد تنبت ، لقد عمّت المنطقة كلها جفاف شديد ، وحدثت مجاعة عظيمة . . . ونفقت حيوانات الصحراء المتوحشة مثلها مثل الحيوانات البرية التي تعيش على الكلاء ، لأنه لم يكن هناك ثمرة نبات على وجه الأرض ؛ لقد تملك الناس حزن عميق وكذلك سائر المخلوقات بسبب تلك المجاعة التي لم يسبق لها مثيل في زماننا ولا في زمن آبائنا ، كما أن العيون والينابيع نضبت والأنهار جفت»^(٣) .

ثم تناول الزوقيني استئراء مرض الطاعون وتزايد عدد الوفيات حتى عجز الناس عن دفن الموتى الذين وصل عددهم أحياناً إلى ٥٠٠ نعش في اليوم الواحد ؛ واكتمل الضيق على سكان منطقة غرب الفرات بزلزال عنيف مدمر ضرب منطقتهم^(٤) فمات فيه خلق كثير ، ومات في طبرية وحدها أزيد من مائة ألف إنسان^(٥) ، ويذكر ديونيسيوس تفشى مرض الطاعون سنة ١٣٦هـ / ٧٥٤م في كل مكان^(٦) .

(١) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج ١ ، ص ٣٠٤ ، وأرخه في سنة ١٢٧هـ .

(٢) الزوقيني ، تاريخ ، ص ٩٠ ، ١٠١ - ١٠٦ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٩٠ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٩٥ .

(٥) المنبجي ، المنتخب ، ص ١٠٦ .

(٦) مار ميخائيل ، تاريخ ، ج ٢ ، ص ٤١١ .

الجراد:

ويعتبر الجراد من أكثر الآفات ضرراً على المزروعات والمحاصيل سواء في جند قنسرين أو في غيره من المواضع ، وقد تعرّض الجند ومواضع من الجزيرة إلى أسراب الجراد في فترات مختلفة ، ففي أيار ٩٤هـ / ٧١٣م «غزا جراد كثير لم يكن له نظير»^(١) ، «وفي سنة ١٠١هـ / ٧٢٠م اجتاح الجراد في موسم القطاف فأتى على الكروم والتين والزيتون حتى يبست أشجارها وأجهز الجراد على ثمارها» ، وتكرّر أيضاً في سنة ١٠٣هـ / ٧٢٢م فاجتاح المنطقة وأتى على الغلال فشح الغذاء مما زاد في محنة الناس والبهائم^(٢) .

وإضافة للتلوج والصقيع والأمراض التي أصابت المحاصيل والغلال ومنيت بها المنطقة في سنة ١٣٢هـ / ٧٥٠م فقد كان الجراد من ضمن الأوبئة التي لحقت بمزروعاتها ، فاجتاحت جموع الجنادب - وهو نوع من الجراد ، وقيل : ذكره - المنطقة وانتشرت في كل مكان ، مُفسدة الكروم والأشجار والثمار والزروع . ولو سقطت على هرى قمح فإنها تقضي عليه ، ولم تسلم من أذاه حتى مناطق جنوب سوريا^(٣) . وأجهز الجراد على الزروع والمحاصيل في سنة ١٤٤هـ / ٧٦١م^(٤) . وفي سنة ١٦٦هـ / ٧٨٣م غطى الجندب الجزيرة برمتها ، ويذكر ديونيسيوس الذي شاهده وعايينه أنه عاث فساداً في الحنطة والشعير والبقول ووضع بيضاً في الجبال والسهول ، وبعد بضعة أشهر غطت صغاره الأرض ، فكان يتسلق الجدران والأسوار ويدخل البيوت وملاً كل مكان حتى جرار الماء والفراش والموائد ، ملتهماً كل ما يلقاه من عشب وأشجار وأمتعة صوفية وثياب ، وبعد أن أتى على كل شيء في الجزيرة اتجه صوب الغرب (حيث جند قنسرين)

(١) مار مينخايل ، تاريخ ، ج٢ ، ص ٣٧٤ .

(٢) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص ٣٨٣ .

(٣) الزوقيني ، تاريخ ، ص ١٠١ - ١٠٢ .

(٤) مار مينخايل ، تاريخ ، ج٢ ، ص ٤١٥ .

فأتى على كل الغلات بعد أن قضى على الكروم والأشجار وكل أنواع الخشب^(١). وفي سنة ١٨٧هـ/ ٨٠٣م أفسد الجراد الكثيف كل صنوف الغلال في المنطقة ، واستمر وجوده ثلاث سنوات وتكاثر وعاث فساداً فانتشرت المجاعة واشتدّت بين الأهالي^(٢). وتكرّر انتشاره في المنطقة سنة ٢١٥هـ/ ٨٣٠م فأتى على الكروم والزيتون واستقرّ فيها وتكاثر ، وفي السنة التي تلتها قضى على كافة الزروع والكروم والأشجار^(٣). ومثله في سنة ٢٢٧هـ/ ٨٤٢م حيث أتلّف الزروع والمحاصيل ، وأعقب ذلك انتشار وباء استمر سنتين ، بدأ في ما بين النهرين واجتاز إلى الغرب ، حتى وصل فلسطين فأفنى ثلثي سكان فلسطين بهذا الوباء^(٤). وأخيراً يذكر ابن العبري في أحداث سنة ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م ظهور الجراد بكثرة وإفساده للزروع^(٥) ، ولم يحدد موضع ظهوره .

كما تعرّض الفلاحون أحياناً لمهاجمة الحيوانات والبهائم نتيجة الجوع وقلة الغذاء ، مثلما وقع في سنة ١٩٢هـ/ ٨٠٨م عندما تفاقم الجوع في البهائم وجعلت تنهش قبور الموتى وتأكلهم وتهاجم الأحياء فتفترس النساء والفتيان وهم يلتقطون الأعشاب خارجاً^(٦). أما الفئران فقد أورد المنبجي في سنة ٥٤هـ أنها كشرت في سورية حتى حدث جوع شديد^(٧) ، ولعل أثرها يقتصر على الغلال داخل البيوت والحوانيت ومخازن الغلال ولم يتعداه لما في الحقول . ومن الحشرات التي أصابت مزروعات الجند سوس القمح وحشرة الأرقعة ،

(١) مار ميخائيل ، تاريخ ، ج٢ ، ص ٤٢٥ ، ابن العبري ، تاريخ الزمان ص ١٣ .

(٢) مار ميخائيل ، تاريخ ، ج٢ ، ص ٤٤١ - ٤٤٢ .

(٣) المصدر نفسه ، ج٣ ، ص ٤٣ .

(٤) المصدر نفسه ، ج٣ ، ص ٧٧ - ٧٨ .

(٥) ابن العبري ، تاريخ الزمان ، ص ٦٠ .

(٦) المصدر نفسه ، ص ١٧ .

(٧) المنبجي ، المنتخب ، ص ٧٢ .

وقد ساهمتا إلى جانب حشرات أخرى - حسبما ذكر ديونيسيوس - في إتلاف الزروع والمحاصيل سنة ١٣٢هـ / ٧٥٠م، وخاصة المحاصيل الحقلية كالحنطة والشعير ، حتى أنه إذا أخذت عشر سنابل وسحقت فلا يوجد بها ولا حبة قمح واحدة ، وكثرت هذه الحشرات في وقت الحصاد ، فأتلقت القمح والشعير وكل الأعشاب ، فبيس القمح ولم يبق فيه شيء سوى القشرة ، كان يطلق على هذه الحشرات اسم سوس القمح والأرقه ، فسوس القمح كان مستديراً ومتعدد الألوان أما الأرقه فكانت مستديرة أيضاً ولكنها أصغر حجماً ، ولهما مبسم طويل مثل الذبابة ومنتك النعرة (ذبابة كبيرة) وبها بقع متعددة الألوان . كانت تلك الحشرات تتسلق سيقان القمح والشعير وتلتهم كل ما يصادفها من الأوراق بدءاً من الجذر حتى السنابل (١) .

وذكر الزوقيني حلول وباء عظيم في المنطقة قضى على الخيول كلها شيئاً فشيئاً؛ وقع في سنة ١٤٧هـ / ٧٦٤م وشمل كل المنطقة ، بدءاً من الأجزاء المحيطة بالجزيرة ، وأخذ ينتشر في سرعة مذهلة حتى انتشر في الأرض كلها ، لقد نفقت تلك الحيوانات في لمح البصر بصورة جماعية ، ووصلت شدة الوباء إلى درجة أنه عندما كان يصيب قافلة من الجياد تقدر بحوالي ٣٠٠ جواد ، وهي في طريقها إلى مورد الماء كان نحو عشرين أو ثلاثين منها تنفق قبل أن تغادره ، فاكتمت الأودية والجبال والسهول والطرق وتلوئت بجثث الجياد النافقة . ذلك الوباء اتخذ شكل الطاعون الذي يحل بالبشر ، كان يصيب حلوقها ولم يكن أي جواد يُطيق أن يتحمل ذلك الألم حتى ولو لساعة ، ولو تصادف أن أحدها تحمل الألم لمدة ساعتين أو لنصف يوم كان معنى ذلك نجاته من الموت ، لكن لم يكن لينجو من الموت أكثر من واحد في المائة من تلك التي هاجمها المرض ، إن الخيل والبغال والحمير كانت غالبيتها قد نفقت ، وانتشر هذا الوباء في كل المناطق وكل ممالك الأرض ، حتى أن البشر أصبحوا بلا جياد ، لقد كنس هذا

(١) الزوقيني ، تاريخ ، ص ١٠١ - ١٠٤ .

الوباء كما تكنس المكنسة المنزل^(١). وهذا المرض الذي ذكره الزوقيني ولم يفصل أعراضه ، أقرب ما يكون نتيجة علقّة تلتصق في حلق الفرس أو الدابة ، فيجري من فمها دمٌ ، وإذا نزل العلق إلى الجوف ماتت الدابة^(٢) .

الإخلاصة:

لقد أظهرت الإشارات المتناثرة - مما تقدم عرضه - مقدار المكانة التي احتلها جند قنسرين في الجانب الزراعي خلال القرون الأربعة الأولى ، وهي استمراراً لمكانته الزراعية الغنية في عصور ما قبل الإسلام ، ويؤكد ذلك إفادات الجغرافيين وإشاداتهم باتصال بساتينه وكرومه ، وكثرة ثماره وتنوع محاصيله ومزروعاته : الشجرية والحقلية ، اعتماداً على تنوع البيئة والمناخ فيه ، ووفرة موارده المائية ، خصوصاً في ناحيتي الشمال والغرب ، وتعدد مصادر المياه ووسائل الري من الأمطار والأنهار والبحيرات والعيون .

ولم تظهر عناية الخلفاء وولاتهم في تطوير زراعة الجند خلال تلك الفترة ، فلم نجد إشارات لإنشاء القنوات المائية وجرّ مياه الأنهار التي تتخلله لسقي المزروعات وري أكبر مساحة من أراضيه ، بخلاف ما تظهره سيرهم في أقاليم أخرى من الدولة كالعراق مثلاً ، ربّما اكتفاءً منهم بغنى الجند زراعياً أصلاً ، إلا ما بذله خلفاء بني العباس تجاه بعض المدن الثغرية التي اقتضت ظروف توطين الجند المقاتلة فيها إلى إعمارها وزراعتها لتوفير الأقوات لهم والعلوفة لدوابهم ، كما أدى لجوء الزهاد والعباد إلى المثاغرة بها والمرابطة ، نزوعاً إلى العزلة ورغبة في الجهاد ، إلى المساهمة في الارتقاء بمزروعاتها ، وأغلب هؤلاء المتصوفة هم ممن عانى الزراعة وعمل فيها ليكسب الحلال من جهده .

(١) الزوقيني ، تاريخ ، ص ١١٨ - ١١٩ .

(٢) ابن أخي حزام ، محمد بن يعقوب بن إسحاق الحنظلي (ت ٢٥٠هـ/٨٦٤م) ، الخيل والبيطرة ،

مخطوط في مكتبة تشستر بيتي - دبلن ، إيرلندا ، برقم ٣٨٨٩ ، [الورقة ٧٨ - ٧٨ ب] .

ومن خلال عرض جُملة مَّا تَأدَّى لنا معرفته من الكوارث والآفات التي تعرّضت لها زراعة الجند ، فقد أظهرت الدراسة جانباً من معاناة الأهالي خلال تلك الفترة ، وهي معاناة مؤقتة أصابتهم في سنين معينة ، نتيجة للحروب أو الأمراض والأوبئة والآفات ؛ كان أقساها - على مزرعاتهم - ما وقع في منتصف القرن الرابع الهجري عندما تعرّض الجند لهجمات قاسية من الروم ، وبالرغم من الآثار السلبية التي ألحقتها الحروب بزراعة الجند فسرعان ما استعاد مكانته المتقدّمة وبقيت زراعته ومحاصيله - فيما بعد - في مقدّمة ما يُشار إليه من منتوجات الشام ، على أنّ المصادر لم تقدّم لنا طرق الفلاحين وأساليبهم في مكافحة الأوبئة والحشرات ووسائلهم لدفع الضرر عن محاصيلهم ومزرعاتهم .

الزراعة وأنواع الأراضي الزراعية في ساحل بلاد الشام منذ ما قبل الفتح العربي الإسلامي حتى نهاية العصر الأموي

شكران خربوطلي (*)

مقدمة:

- الطبيعة الجغرافية لساحل بلاد الشام:

إن الموقع الجغرافي لبلاد الشام وطبيعة تضاريسه تفضي إلى تباين واضح في نماذج المناخ في هذا الإقليم ، ومع ذلك فإن مظاهر المناخ البحري تبقى هي السائدة فيه ، والجبال المطلة عليه بشكل عام^(١) حيث تتساقط الأمطار بغزارة على ساحله والمناطق الجبلية المقابلة له بفضل الرياح الغربية والشمالية^(٢) .

وبشكل عام تعتمد بلاد الشام على مياه الأمطار ، ويؤكد المقدسي البشاري ذلك بقوله : «إن الشام بلد يمطر في كل سنة فلا يتعطل الزرع إلا أنه ربما أجذب»^(٣) ، فعلى الرغم من انتشار الأنهار على طول الشريط الساحلي لبلاد

(*) قسم التاريخ ، كلية الآداب ، جامعة دمشق ، الجمهورية العربية السورية .

(١) كين : تطور الزراعة في الشرق الأوسط ، ترجمة أمين نظيف ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٤٩ م ، ص ١٢ ، وسيشار إليه فيما بعد : كين ، تطور .

(٢) الخير ، صفوح ، مدينة دمشق دراسة في جغرافية المدن ، وزارة الثقافة السورية ، دمشق ، ١٩٦٩ م ، ص ٥٨-٦٠ ، وسيشار إليه فيما بعد : الخير ، مدينة دمشق .

(٣) المقدسي ، محمد بن أحمد بن أبي بكر (ت ٣٨٧هـ/٩٩٧م) ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، مطبعة بريل ، ليدن ، ١٩٠٦ م ، ص ٢١٢-٢١٣ . سيشار إليه فيما بعد : المقدسي ، أحسن التقاسيم .

الشام إلا أنها أنهار قليلة الأهمية ، ومعظمها سيول مؤقتة تمتلئ بالمياه بعد سقوط الأمطار على الجبال الغربية واللكام ، وتحف صيفاً باستثناء النهر الكبير الشمالي جنوب مدينة اللاذقية ، ونهر السن جنوب بلنيس ، والنهر الكبير الجنوبي الذي يصب بالقرب من عكا ، ونهر الليطاني الذي يصب في بحر الشام (البحر المتوسط) شمال مدينة صور ، ويُعرف عند مصبه بنهر القاسمية^(١) .

وهناك نهر أبي فطرس «العوجا» الذي ينبع من جبال نابلس ويصب في بحر الشام شمال مدينة يافا ، وليس لهذا النهر فائدة كبيرة في الري^(٢) .

أما نهرا سيحان وجيحان اللذان يخرجان من بلاد الروم ويصبان في بحر الشام^(٣) ، فلم تكن لهما هذه الأهمية لأنهما يجريان في منطقة حدودية تتعرض بشكل دائم للمعارك ، وبذلك لم تكن الزراعة فيها مزدهرة في العصرين الراشدي والأموي .

أما نهرا «البارد» و«قاديشا» فهما يصبان في ساحل مدينة طرابلس ، وأنهار الجوز وإبراهيم والكلب وإنطلياس وبيروت والدامور والأولي والزهراني فكلها تصب ما بين مدينة طرابلس وصيدا ، وليس لها فائدة كبيرة في الري .

وهناك بعض الأنهار القصيرة في جند فلسطين ، أهمها : نهر المقطع وهو يبعد عن مدينة حيفا ثلاثة أميال ، ويعرف بنهر حيفا ، وهو نهر موسمي تجري فيه الأمطار في فصل الشتاء بشكل بطيء ومتقطع ، ولذلك عُرف هذا النهر بهذا

(١) عبد السلام ، عادل ، جغرافية سورية طبيعية ، اقتصادية ، ٢ ج ، دمشق ، ١٩٧٣ م ، ج ١ . ص ٢٩٤ .

سيشار إليه فيما بعد : عبد السلام ، جغرافية .

(٢) ابن عبد الحق : صفى الدين البغدادي (ت ٧٣٩هـ/١٣٣٨م) ، مرصد الإطلاع على أسماء الأمكنة

والبقاع ، ٥ ج ، تحقيق علي محمد الجاوي ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٩٥٤ م ، ج ٣ .

ص ١٣٩٩ ، سيشار إليه فيما بعد : ابن عبد الحق ، مرصد .

(٣) ابن خرداذبة ، عبید الله بن عبد الله (ت ٢٨٠هـ/٨٩٣م) ، المسالك والممالك ، دار صادر ، بيروت ،

١٨٨٩ م ، ص ١٧٦-١٧٧ . سيشار إليه فيما بعد : ابن خرداذبة ، المسالك .

الاسم ، ويصب هذا النهر في بحر الشام^(١) ، وما ينسحب على نهر المقطع ينسحب على باقي أنهر جند فلسطين الساحلية التي هي أشبه ما تكون بالوديان .

وبذلك تنتشر على طول السهل الساحلي لبلاد الشام أنهار قليلة الأهمية من ناحية استخدامها في الري ، وهي في الأغلب تسير من الشرق إلى الغرب وتنبع من سفوح الجبال الغربية وتخترق السهول الساحلية لساحل بلاد الشام لتصب في بحر الشام .

- أما الينابيع والعيون : فلها أهمية كبيرة في ساحل بلاد الشام لكونها مورداً مائياً مستقلاً بحد ذاتها ، وتروي قسماً كبيراً من أراضيها^(٢) ، وتكثر هذه الينابيع في سفوح الجبال الساحلية^(٣) ، وبذلك كانت غالبية الأراضي الزراعية في بلاد الشام تعتمد في ريها على مياه الأمطار التي كانت تتساقط عليها بين شهري تشرين الأول ونيسان ، حيث كان المناخ البحري والحرارة المعتدلة والأمطار الوفيرة سبباً قوياً في ازدهار الزراعة في السهول الساحلية للإقليم برغم قلة جدوى الأنهار والينابيع والعيون والقنوات والبحيرات في السهول الساحلية لها .

(١) الدباغ ، مصطفى ، بلادنا فلسطين ، ١٤ مج ، دار الهدى ، كفر قرع ، ١٩٩١ م ، ج ٥ ، ص ٢٩ ، ق ٢ ، ص ٢٩ ، سيشار إليه فيما بعد : الدباغ ، بلادنا ؛ صقلي ، مي إبراهيم ، حيفا العربية ، ١٩١٨-١٩٣٩ م ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، ط ١ ، بيروت ، ١٩٩٢ م ، ص ٢٧ . سيشار إليه فيما بعد : الصقلي ، حيفا .

(٢) الحموي ، ياقوت بن عبد الله (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م) ، معجم البلدان ، ج ٥ ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٩٥ م ، ط ١ ، ج ١ ، ص ٢٦٦-٢٦٧ . سيشار إليه فيما بعد : الحموي ، معجم ؛ القزويني ، زكريا بن محمد بن محمود (ت ٦٨٢هـ/١٢٨٣م) ، آثار البلاد وأخبار العباد ، دار صادر ، ط ١ ، بيروت ، د ت ، ص ١٥٠ . سيشار إليه فيما بعد : القزويني ، آثار .

(٣) عبد السلام ، عادل ، جغرافية سورية ، دمشق ، ١٩٧٣ م ، ج ١ . ص ٢٨٥ . سيشار إليه فيما بعد : عبد السلام ، جغرافية .

- الأراضي الزراعية وملكيته في ساحل بلاد الشام قبيل الفتح العربي الإسلامي:

تُعد بلاد الشام قبيل الفتح العربي الإسلامي إحدى الولايات المهمة التابعة للإمبراطورية البيزنطية ، وفي نهاية القرن الرابع الميلادي قسمها الروم البيزنطيون إلى عدة مقاطعات إدارية ، وعُد ساحل بلاد الشام وحدة إدارية قائمة بذاتها^(١) ، كما عدت الزراعة في سواحلها الركيزة الرئيسة ، ومصدراً رئيساً في الإنتاج^(٢) ، كما عُدت ملكية الأراضي الزراعية أسلم أنواع الاستثمارات المالية ، لذلك فقد اندفع أصحاب المال لتملك الأراضي الزراعية ، وكذلك فعلت الدولة ؛ لأن الأرض كانت أهم الضمانات لموارد دخلها^(٣) .

وقد كان الإمبراطور البيزنطي أكبر الملاكين على الإطلاق ، حيث كان يفرض سيطرته المطلقة على جميع الأراضي التي تعود إلى إمبراطوريته^(٤) ، وعلى الرغم من ذلك فقد كانت أراضي الإمبراطورية تتناقص باستمرار ؛ بسبب التوسع في منح الأراضي التي كانت تُمنح لأصحاب النفوذ ولرجال الجيش والكنيسة^(٥) .

(١) حتي ، فيليب ، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ، ج٢ ، دار الثقافة ، ط٢ ، بيروت ، ج١ ، ص٣٨٨-

٣٨٩ . سيشار إليه فيما بعد : حتي ، تاريخ .

(٢) الحسنی ، علي ، تاريخ سوريا الاقتصادي ، مطبعة بدائع الفنون ، دمشق ، ١٣٣٤هـ / ١٩١٥م ،

ص٤٩ . سيشار إليه فيما بعد : الحسنی ، تاريخ .

(٣) بينز ، نورمان ، الإمبراطورية البيزنطية ، تاريخها وحضارتها وعلاقتها بالإسلام ، ترجمة حسين

مؤنس ، ومحمود يوسف زايد ، منشورات لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ط٢ ، القاهرة ، ١٩٥٧م ،

ص١٢٩-١٣٠ . سيشار إليه فيما بعد : بينز ، الإمبراطورية البيزنطية .

(٤) بلباييف ، ي . أ. ، العرب والخلافة الإسلامية ، ترجمة أنيس فريحة ، الدار المتحدة للنشر ، بيروت ،

١٩٧٣م ، ص١٧ .

(٥) عثمان ، فتحي ، الحدود الإسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري ، ج٣ ، الدار

القومية للطباعة والنشر ، ط١ ، القاهرة ، ج٣ . ص١٠٧ . سيشار إليه فيما بعد : عثمان ، الحدود .

فقد اتبعت الإمبراطورية البيزنطية في بلاد الشام سياسة تقوم على منح الأراضي كإقطاعات لرجال الجيش ولاسيما في مناطق الحدود كبديل عن الرواتب ، هذا بالإضافة إلى إعفائهم من جميع الضرائب باستثناء ضريبة الأراضي^(١) ؛ أي أن الإقطاعات التي كانت الإمبراطورية البيزنطية تقدمها لرجال الجند هدفت إلى ربط هؤلاء بالأرض ، ومن ثم استماتة هؤلاء في الدفاع عنها ، وقد قيل إن المميز الزراعي في بلاد الشام في العصر البيزنطي قبل الفتح العربي الإسلامي ، كان وجود الضياع الواسعة التي تملكها الأسر النبيلة ذات النفوذ^(٢) .

أما بالنسبة إلى أساليب الإنتاج الزراعي التي كانت سائدة ، والتي كانت تحكم الاستفادة من الأراضي ، فكانت متنوعة ، حيث إن الملاكين الأحرار شغلوا دوراً بارزاً في هذا الإنتاج الزراعي الذي ارتكز على القنانة بشكل أساسي ومهم^(٣) .

وقد كان هذا النظام الزراعي يفرض على الفلاحين الأحرار ، والأقنان تأدية جزء كبير من المحصول للملكي الأرض ، وهذا الجزء يتراوح بين خمس الغلة ونصفها^(٤) ، في حين كان هؤلاء الملاكون يعيشون في المدن ، أما أراضيهم

(١) بينز ، الإمبراطورية ، ص ١٣٦ ؛ نصر الله ، محمد علي ، تطور نظام ملكية الأراضي في الإسلام ، دار الحداثة ، بيروت ، ١٩٨٢ م ، ص ٢٢ ؛ سيشار إليه فيما بعد : نصر الله ، تطور .

(٢) دينيت ، دانيال ، الجزية والإسلام ، ترجمة فوزي فهمي جاد الله ، مراجعة إحسان عباس ، منشورات دار ومكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٦٠ م ، ص ٩٧-٩٨ . سيشار إليه فيما بعد : دينيت ، الجزية والإسلام .

(٣) رحال ، عاطف ، تاريخ بلاد الشام الاقتصادي في العصر الأموي ، بيسان للنشر والتوزيع والإعلام ، ط ١ ، بيروت ، ٢٠٠٠ م ، ص ٤٠ . سيشار إليه فيما بعد : رحال ، تاريخ .

(٤) بلياييف ، العرب ، ص ١٨٣ .

فكانت موزعة في جهات مختلفة^(١).

وقد اهتمت الإمبراطورية البيزنطية ببناء مشروعات الري الكبرى ضمن سياستها الزراعية ، فكانت تبني السدود ، وتحفر الآبار والقنوات ، وتبني خزانات المياه التي تُعرف بالبرك ، وكل ذلك لتوفير المياه اللازمة للري في فصل الصيف^(٢).

وعلى الرغم من ذلك فإن سياسة الإمبراطورية البيزنطية الزراعية لم تكن مستقرة ، فهي في أغلب الأحيان كانت تتعلق باهتمامات الأباطرة وشخصياتهم ، ويظهر ذلك الاهتمام البيزنطي بالأحوال الزراعية بصورة خاصة في عهد الإمبراطور جستنيان (٥٢٧-٥٦٥م) الذي أرسل الأموال إلى حكام المقاطعات وحضهم على القيام بتنظيف أفنية المياه وحفر الآبار على جانبي الطرق لتأمين المياه للقوافل المارة بتجاريتها ، الأمر الذي دفع هؤلاء الحكام إلى الاهتمام وبذل الجهد^(٣) ، وبعد عهد الإمبراطور جستنيان وقبل الفتح العربي الإسلامي عادت الأمور إلى سابق عهدها من حيث عدم الاهتمام بأنظمة الري والعناية بها ، مما أدى إلى خراب العديد من أنظمة الري من أفنية المياه وخزاناتها^(٤).

(١) الدوري ، عبد العزيز ، نشأة الإقطاع في المجتمعات الإسلامية ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، العراق ،

بغداد ، ١٩٧٠م ، ص ٦ . سيشار إليه فيما بعد : الدوري ، نشأة .

(٢) ديسو ، رينية ، العرب في سوريا قبل الإسلام ، ترجمة عبد الحميد الدواخلي ، نشرته لجنة التأليف

والترجمة والنشر ، القاهرة ، د.ت ، ص ٤-٥ . سيشار إليه فيما بعد : ديسو ، العرب في سوريا ؛ بيتز ،

الإمبراطورية ، ص ١٣٥ .

(٣) رستم ، أسد ، الروم في سياستهم وحضارتهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب ، دار المكشوف ، ط ١ ،

بيروت ، ١٩٥٥م ، ج ١ ، ص ١٥١ ، سيشار إليه فيما بعد : رستم ، الروم .

(٤) بلباييف ، العرب ، ص ٢١١ ؛ رحال ، تاريخ ، ص ٤٤ .

- الأراضي الزراعية وملكيته في ساحل بلاد الشام بعد الفتح العربي الإسلامي.

عمل العرب المسلمون بعد فتح بلاد الشام (١٢-١٦هـ / ٦٣٤-٦٣٧م) ، على بناء أسس زراعية جديدة ، قد تكون قائمة على أسس موجودة سابقاً في هذه البلاد ولكنها بالطبع متوافقة مع الدين الإسلامي ، ولاسيما بعد أن استطاع والي الشام معاوية بن أبي سفيان (٦١هـ / ٦٨٠م) ، طوال مدة ولايته تأمين وضعه ، وتهيئة بلاد الشام لأن تكون مركزاً للعاصمة الجديدة ، حيث كان لاختيار مدينة دمشق عاصمة للخلافة قد أتاح لهذا الإقليم التمتع بامتيازات ومنافع كثيرة بصفتها المركز الرئيس للدولة العربية الإسلامية الجديدة .

وقد اشتهرت بلاد الشام وخاصة ساحلها بأراضيها الخصبة ، وبشروطها الزراعية والحراجية ؛ بسبب هطل كميات مناسبة من الأمطار تساعدها على إنجاح الزراعة البعلية ، على الرغم من استفادة بعض المناطق من مياه الري .

وقد امتدت السهول الساحلية على شريط طويل من الشمال إلى الجنوب ، وأطلقت أسماء المدن على بعض النقاط المهمة في هذه السهول الساحلية^(١) .

ويقسم السهل الساحلي من الشمال إلى الجنوب ، إلى : «سهل إسكندرونة-سهل أنطاكية-سهل اللاذقية ، ويشمل سهول كل من : بلنياس-أنطرسوس-طرابلس-بيروت-صيدا ، صور- ثم السهل الساحلي الفلسطيني ، ويشمل سهول : عكا وحيفا ويافا الذي يصل إلى جنوب غزة»^(٢) .

وقد تحدث الجغرافيون العرب عن خصوبة الأراضي الساحلية ، وكثرة الثمار

(١) كرد علي ، محمد ، خطط الشام ، ج٦ ، مكتبة النوري ، دمشق ، ١٩٨٩م ، ج٤ . ص١٥٦ . سيشار

إليه فيما بعد : كرد علي ، خطط ؛ زكريا ، أحمد وصفي ، المفكرة الزراعية ، مطبعة الترقى ، دمشق ،

١٩٣٠م ، ص٢١ . سيشار إليه فيما بعد : زكريا ، المفكرة الزراعية .

(٢) فرحات ، أديب ، سوريا ولبنان ، مطبعة العرفان ، صيدا ، ١٩٢٤م ، ص٤ . سيشار إليه فيما بعد :

فرحات ، سوريا .

التي كانت تنتجها وذلك في مجال حديثهم عن مدن الساحل ، ويتبين من خلال وصفهم للساحل في حقب متتابعة له أنه كان مُستغلاً بصورة حسنة^(١) . وقد ذكر قدامة بن جعفر أن ما بين مدينة غزة ومدينة رفح كانت عشرة فراسخ من البساتين^(٢) ، ويصف شيخ الربوة هذا السهل بأنه كثير الشجر^(٣) ، وأن مدينة قيسارية كانت محاطة بالأشجار^(٤) ، وكذلك كانت بساتين بلنياس من أعجب بساتين الساحل^(٥) ، وقد طرأت تبدلات كبيرة على أراضي ساحل بلاد الشام بعد الفتوحات العربية الإسلامية ، حيث صُنفت هذه الأراضي إلى أصناف أبرزها :

- الأراضي الخراجية:

عندما فتح العرب المسلمون بلاد الشام اختلف الصحابة في مصير أراضي بلاد الشام ، وأراد العرب المسلمون الفاتحون قسمتها فيما بينهم وكان هذا التيار

-
- (١) الإصطخري ، إبراهيم محمد الكرخيت (٢٣٤٦هـ/٩٥٦م) ، المسالك والممالك ، تحقيق محمد جابر عبد العالي الحسيني ، وزارة الثقافة ، ط١ ، القاهرة ، ١٩٦١م ، ص ٦١-٦٤ . سيشار إليه فيما بعد :
- الإصطخري ، مسالك ؛ ابن حوقل ، محمد بن علي الموصلي (ت ٣٦٧هـ/٩٧٧م) ، صورة الأرض ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٣٨م ، ص ١٧٧-١٨٣ . سيشار إليه فيما بعد : ابن حوقل ، صورة الأرض .
- (٢) قدامة بن جعفر ، أبو الفرج البغدادي (ت ٣٢٧هـ/١٩٣٨م) ، الخراج وصناعة الكتابة ، تحقيق محمد حسين الزبيدي ، دار الرشيد ، ط١ ، بغداد ، ١٩٨١م ، ص ١١٨ . سيشار إليه فيما بعد : قدامة بن جعفر ، الخراج .
- (٣) شيخ الربوة ، شمس الدين الدمشقي (ت ٧٢٧هـ/١٣٢٧م) ، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٩٨٨م ، ص ٢١٣ . سيشار إليه فيما بعد : شيخ الربوة ، نخبة .
- (٤) زيادة ، نقولا ، رواد الشرق العربي في العصور الوسطى ، مجلة المقتطف ، بيروت ، ١٩٤٣م ، ط١ . ص ٥١ .
- (٥) شيخ الربوة ، نخبة ، ص ٨ .

بزعامة «بلال بن رباح»^(١)، لكن الخليفة عمر بن الخطاب لم يوافق على ذلك، واتخذ قراراً بجعل ربيع هذه الأراضي وقفاً لصالح العرب المسلمين، ومن ثمّ بقاء هذه الأراضي بيد أهلها يدفعون عنها الخراج، إذ أراد الخليفة عمر من ذلك أن تكون مورداً دائماً دائماً للدولة تصرفه في مصالحها^(٢).

وبذلك قام الخليفة عمر بن الخطاب بتقرير مصير أرض بلاد الشام المفتوحة، فجعلها ملكاً عاماً للأمة، وقرر العطاء والرزق للجنود، بعد أن ضمن مورداً ثابتاً لبيت مال المسلمين، بدلاً من تقسيم الأرض نفسها كما فعل الرسول (ﷺ)، بغزوة خيبر، ووقف إلى جانبه بعض الصحابة كعلي بن أبي طالب^(٣).

وهناك أسباب أخرى دفعت الخليفة عمر لعدم تقسيم الأرض المفتوحة في بلاد الشام، وهي أن العرب المسلمين تحولوا إلى أمة مجاهدة، وكانت غنائم الفتوحات لا تزال تتدفق، لذلك كانوا مشغولين عن رعاية هذه الأراضي المفتوحة، بالإضافة إلى أن القبائل العربية المسلمة لم تكن بعد قد شعرت

(١) يبدو أن المطالبين بتقسيم الأرض المفتوحة كانوا يريدون العودة إلى ما فعله الرسول (ﷺ)، في غزوة خيبر، إذ إنه قسم أرضها بين من حضر الفتح وفق آية الغنائم. سورة الأنفال، آية ٤١؛ ابن قدامة، عبد الله بن أحمد بن محمد (ت ١٢٢٣/هـ-٦٢٠م)؛ المغني، ١٥ مج، تحقيق محمد رشيد رضا، ط ٢، دار المنار، القاهرة، ١٣٦٧هـ، ج ٢، ص ٧١٦. سيشار إليه فيما بعد: ابن قدامة، المغني.

(٢) الأزدي، أبو إسماعيل محمد بن عبد الله البصري (ت ١٦٥/هـ-٧٨٢م)، فتوح الشام، تحقيق عبد المنعم عبد الله عامر، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، ١٩٧٠م، ص ١٤٠. سيشار إليه فيما بعد: الأزدي، فتوح.

(٣) ابن سلام، القاسم بن عبد الله الهروي البغدادي (ت ٢٢٤/هـ-٨٣٧م)، الأموال، تحقيق: خليل محمد هراس، دار الفكر، بيروت، ص ٧٤. سيشار إليه فيما بعد: ابن سلام، الأموال.

بأهمية الأرض بوصفها مصدراً للثروة^(١)، أضف لذلك إن أهلها أعلم بطريقة استثمارها .

وفي هذه الحقبة ظهرت أقوال الفقهاء بأن أرض بلاد الشام فُتح بعضها صلحاً وبعضها الآخر عنوة، وهذه اصطلاحات تدل على الاختلاف في طريقة فرض الضرائب^(٢)، مع أنه لا فرق تاريخياً بينهما، إذ عُدت كل أراضي بلاد الشام المفتوحة ملكاً عاماً للعرب المسلمين، ووقفاً لهم، ويعمل بها أهلها ويدفعون لقاء ذلك الخراج^(٣). وعلى الرغم من أن الخليفة عمر بن الخطاب رفض الإقطاع^(٤) من أرض الخراج، إلا أن معاوية بن أبي سفيان كان يقطع

(١) أبو يوسف، القاضي يعقوب بن إبراهيم بن حبيب (ت ١٨٢هـ/٧٩٨م)، الخراج، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، سعد حسن محمد، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ١٩٩٥م، ص ٢٦-٢٧، ٣٥، ٦٣، ٦٩. سيشار إليه فيما بعد: أبو يوسف، الخراج؛ ابن عساكر، علي بن الحسن بن هبة الله (ت ٤٩٩هـ/١١٠٥م)، تاريخ دمشق، ٣٢ ج، تحقيق عمرو بن مخزومة العمروي، دار الفكر، ١٩٥٥م، ج ١، ص ١٨٨-١٩٣. سيشار إليه فيما بعد: ابن عساكر، تاريخ.

(٢) ابن قدامة، المغنى، ج ٢. ص ٥٧٦؛ ابن خياط، خليفة (ت ٢٤٠هـ/٨٥٤م)، تاريخ خليفة بن خياط، ج ٢، تحقيق: سهيل زكار، وزارة الثقافة والإرشاد القومي السوري، دمشق، ١٩٦٨، ج ١. ص ١٢٤. سيشار إليه فيما بعد: ابن خياط، تاريخ.

(٣) البلاذري، أحمد بن يحيى (ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م)، فتوح البلدان، مكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨٨م، ص ٢٠٤. سيشار إليه فيما بعد: البلاذري، فتوح؛ السمرقندي، نصر بن محمد (ت ٣٧٣هـ/٩٨٣م)، خزائن الفقه وعيون المسائل، تحقيق: صلاح الدين الناهي، شركة الطبع والنشر الأهلية، بغداد، ١٩٦٥م، مع ١. ص ١٣٢. سيشار إليه فيما بعد: السمرقندي، خزائن.

(٤) كان الرسول (ﷺ) أول من منح القطائع، وذلك عندما أقطع العقيق لبلال بن الحارث، وإقطاعه قريتي حبري وبيت عينون في بيت لحم لأبي رقية تميم الداري وأخيه نعيم بن أوس؛ فالإقطاع هو منح ولي الأمر قطعة من الأرض لأي شخص، فيكون له حق التصرف بها؛ الخوارزمي، محمد بن أحمد بن يوسف البلخي (ت ٣٨٧هـ/٩٩٨م)، مفاتيح العلوم، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار =

أرض الخراج بخراجها وفلاحيتها^(١)، على الرغم من أن الواقع التاريخي يتحدث بأن العرب المسلمين لا يدفعون إلا العشر إذا اشتروا الأرض الخراجية؛ لأن من يقر بالخراج يقر بالذل والصغار^(٢)، وهذا ما كان بالفعل في الحقبة العربية الإسلامية الأولى.

لذا بدأت الأراضي الخراجية تتقلص نتيجة انتقال قسم منها بالشراء إلى المسلمين الذين أخذوا يمتنعون عن دفع الخراج عنها، واكتفوا بالعشر، كما أن قسماً من هذه الأراضي وصل إلى المسلمين عن طريق الإقطاع من قبل الحاكم، حيث يذكر أنه لما أفضى الأمر إلى عبد الملك بن مروان (ت ٧٠٥هـ/٧٠٥م)، راح أشرف الناس يسألونه القطائع من أرض الصوافي ببلاد الشام ولما نفدت، ولم يبق منها شيء نظر إلى أرض خراج قد باد أهلها ولم يتركوا عقبا، فأقطعهم منها، ورفع ما كان عليها من خراج عن أهل الخراج، وجعلها عشرية، وعندما لم يجد من تلك الأرض شيئاً أذن عبد الملك أن يشتروا من أهل الذمة، وأذن لهم كذلك الوليد (ت ٧٩٦هـ/٧١٥م) وسليمان (ت ٧٩٩هـ/٧١٧م)، وجعلوا أثمان هذه الأرض في بيت المال، ويبدو أنه راقهم أول الأمر ذلك لما وفره بيع الأرض

= الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٩م، ط٢، ص٣٩. سيشار إليه فيما بعد: الخوارزمي، مفاتيح؛ ابن عبد الحديد، عبد الحميد بن هبة الله (ت ٦٥٦هـ/١٢٥٨م)، شرح نهج البلاغة، ج٣، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٥٩م، ج١، ص٢٦٩. سيشار إليه فيما بعد: ابن عبد الحديد، شرح نهج البلاغة.

(١) أبو عبيد، الأموال، ص٣٥٧؛ الصولي، محمد بن يحيى (ت ٣٣٥هـ/٩٤٦م)، أدب الكاتب، تحقيق محمد بهجة الأثري، المكتبة العربية، بغداد، ١٣٤١هـ/١٩٢٢م، ص٢١٧. سيشار إليه فيما بعد: الصولي، أدب الكاتب.

(٢) فقد ورد في حديث للرسول (ﷺ) أنه نهى بشدة عن هذا الأمر بقوله: ((من أقر بالخراج بعد أن أنقذه الله عز وجل منه، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين))؛ أبو عبيد، الأموال، ص٢٤١.

من توفير المال الذي ساهم في سداد الواجبات المفروضة على الدولة ، ولكن لما صيرت هذه الأرض عشرية ، ووضع خراجها عمن باعها لا من أهل قراها ، بدا ما ينخرسه بيت المال بانتقال هذه الأرض الخراجية إلى أرض عشرية واضحاً ، لذلك أوقفه الخليفة الأموي عمر عبد العزيز سنة ١٠٠ هـ حين أصدر قراراً يتضمن إبقاء هذه الأراضي في يد أصحابها وفي حال انتقالها من ذمي إلى مسلم تبقى خراجية^(١) .

والخراج مقدار من المال ، أو الحاصلات الزراعية يفرض على الأرض فحسب ، وهو ما يعرف ، الآن ، بضريبة الأرض الزراعية ، ويقدر الخراج بثلاث طرق ، إما بقيمة ما تحمله الأرض من محصول ، أو بمساحة الأرض الزراعية ، أو بمساحة الأرض المزروعة ، وكان عمر بن الخطاب يضع الخراج على مساحة الأرض ، وهذا المقياس هو الذي استخدم في بلاد الشام ، وقد أمر عمر بن الخطاب بأن يجعل الخراج على قدر ما يحتمل الفلاحون ، وألا يحمل أحداً فوق طاقته ، وأمر أن يرفع الخراج عن الأرض التي لا تصلها المياه^(٢) ، وكان إذا زرع فلاح أرضه الخراجية عدة مرات في السنة ، لا يؤخذ منه الخراج إلا مرة واحدة وإذا تعرضت المحصولات للآفات ، أو الغرق سقط الخراج عن صاحبها^(٣) ، وساوت الحكومة الإسلامية بين الأرض العاملة والأرض المعطلة في الخراج حتى يرغبوا صاحب الأرض المعطلة على إصلاحها وإحيائها ، كما أعفيت الخضراوات ، والأعلاف والبقول والنباتات التي تؤكل والقطن والكتان من

(١) ابن عساكر ، علي بن الحسن بن هبة الله (ت ٤٩٩ هـ / ١١٠٥ م) ، تهذيب تاريخ ابن عساكر ، ترتيب

عبد القادر أحمد بدران ، دار المسيرة ، ط ٢ ، بيروت ، ١٩٧٩ م ، ج ١ ، ص ١٨٤-١٨٥ . سيشار إليه

فيما بعد : ابن عساكر ، تهذيب .

(٢) اليعقوبي ، أحمد بن واضح بن أبي يعقوب ، (ت ٢٨٤ هـ / ٩٠٥ م) ، تاريخ اليعقوبي ، ج ٢ ، بيروت ،

دار صادر ، ١٩٦٠ م ، ج ٢ ، ص ١٢٩ . سيشار إليه فيما بعد : اليعقوبي ، تاريخ .

(٣) البلاذري ، فتوح ، ص ٤٥٢ .

الزكاة^(١) ولا شك أن هذا الإعفاء شجع الناس على الإقبال على الزراعة وتوفير الأوقات للناس، والخامات الزراعية اللازمة للصناعة، مما أدى إلى رخص الأسعار، وأعفت الحكومة الإسلامية ثمار الجبال والأودية من الخراج والعشر، وفي هذا تشجيع للناس على الزراعة في هذه الأماكن البعيدة غير المرغوب فيها مما يؤدي إلى زيادة الإنتاج الزراعي، ولم تساو الحكومة الإسلامية بين جميع الأرض في الخراج بل كان الخراج يزيد وينقص تبعاً لاختلاف جودة الأرض، وقيمة المحصولات الزراعية، واختلاف جودة أنواع كل المحصول، وتبعاً لنظام الري سواء كان من الأنهار، أو الآبار أو الأمطار^(٢). والمعلومات عن مقادير الخراج في بلاد الشام يعود بعضها إلى أيام معاوية بن أبي سفيان، وقد ذكر اليعقوبي: أن خراج فلسطين استقر في خلافة معاوية على أربعمئة وخمسين ألف دينار، واستقر خراج الأردن على مائة وثمانين ألف دينار، وخراج دمشق على أربعمئة وخمسين ألف دينار وخراج حمص على ثلاثمئة وخمسين ألف دينار، وخراج قنسرين والعواصم ثمان مائة ألف دينار، وقيل سبع مائة ألف دينار^(٣). وهذا يشير إلى أن خراج بلاد الشام كان في خلافة عبد الملك على ما كان عليه أيام معاوية أو أقل بقليل.

- الأراضي العشرية:

رأى العرب المسلمون أن الأراضي التي أسلم عليها أهلها عند الفتح العربي الإسلامي دون قتال هي أرض عشرية، وكذلك الأرض التي صولح أهلها ثم

(١) الماوردي، علي بن محمد بن حبيب (ت ٤٥٠هـ/١٠٥٨م)، الأحكام السلطانية، والولايات الدينية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥م، ص ١١٤-١٤٢. سيشار إليه فيما بعد: الأحكام السلطانية.

(٢) الماوردي، الأحكام السلطانية، ص ١١٤-١٤٢.

(٣) اليعقوبي، تاريخ، ج ٢، ص ٢٣٣-١٢٤.

أسلموا ، وكذلك الأرض المفتوحة عنوة إذا قُسمت صارت عشرية^(١) ، ويدفعون عنها ضريبة تسمى الصدقة ، وطُبق هذا النوع على أراضي بلاد الشام ، حيث يذكر قدامة بن جعفر عن أرض العشر ((ما جلى عنه العدو من أرضهم فجعل في يد من قطنه وأقام به من المسلمين من الثغور))^(٢) ، فأرض الثغور والأربطة الساحلية كانت عشرية إذا جلى عنها أهلها وأقطعت في الوقت نفسه للمقاتلة .

- أراضي الصوافي:

هي الأراضي التي أصبحت لا مالك لها نتيجة الفتح العربي الإسلامي ، وكانت قبل ذلك ملكاً للإمبراطور أو للدولة البيزنطية أو لأحد النبلاء ، وهذه الأراضي عدت ملكاً للدولة العربية الإسلامية ولبيت مالها^(٣) ، فهي إذن فيء أعطاه الله للمسلمين وهذه الأراضي تدخل طبعاً في النظام الذي وضعه عمر بن الخطاب ، لكن حكمها يختلف بعض الشيء ، فبما أنه لا أصحاب أصليين لها فللخليفة أن ينقل ملكها إلى أناس جديرين ليستثمروها ، ويؤدوا عنها الضريبة ، وحصل أن الخلفاء الراشدين كانوا يقطعون الصوافي لبعض الصحابة ، فتخرج إذن عن كونها أرض خراج وتصبح ملكاً لأفراد المسلمين يؤدون عنها العشر ، على أن الخلفاء الراشدين كانوا يضيفون في إقطاعها إلا الحاجة ملحّة ، ثم إن معاوية طلب من عثمان أن يقطعه وعائلته من الفقراء لمن يتألف قلوبهم بعض الصوافي من بلاد الشام فسمح له بذلك .

وتُعد الأرض الخراجية إذا توفى صاحبها دون وريث للملكيتها ، فتصير ملكيتها لبیت مال المسلمين يتصرف بها الخليفة كالصوافي^(٤) .

(١) البلاذري ، فتوح ، ص ٨٢ ؛ أبو يوسف ، الخراج ، ص ٢٠٧ .

(٢) قدامة بن جعفر ، الخراج ، ص ٢٠٤ .

(٣) أبو يوسف ، الخراج ، ص ٢٠٤ ، ٢١٧ .

(٤) الماوردي ، الأحكام ، ص ١٩٣ .

وفي بلاد الشام نشأت الصوافي من أراضي الإمبراطور والنبلاء وكبار الموظفين إضافة إلى من قتل منهم أو هرب^(١)، ويؤكد ذلك ابن عساكر بقوله: ((فلما هزم الله الروم هربت تلك البطارقة عما كان في أيديها من تلك المزارع فلحقت بأرض الروم ومن قتل منها في المعارك فصارت تلك المزارع والقرى صافية للمسلمين))^(٢). وقد كانت الأرض حول مدن جبلة وأنطرسوس وبلنياس أرضاً صافية للعرب المسلمين، لأنها مما جلى عنها أهلها^(٣)، تضاف إلى ذلك الأراضي ما بين مدينتي أنطاكية وطرسوس^(٤).

وبذلك دمرت حركة الفتوح العربية الإسلامية الإقطاع القديم بتملكها الصوافي ولاسيما في أراضي ساحل بلاد الشام، حيث انتقلت ملكيتها لبيت مال المسلمين يتصرف بها ولي الأمر، وهذا ما فعله الخليفة عمر بن الخطاب عندما أقطع منها القطنع للجنود المرابطين في الثغور البحرية^(٥)، ولكن الخليفة عثمان بن عفان رأى أن استغلالها لصالح العرب المسلمين أنفع لهم، لذلك أعطاها لمن يستغلها مقابل ما يؤدي عنها إلى بيت مال المسلمين.

وقد أدرك والي بلاد الشام معاوية بن أبي سفيان في عهد الخليفة عثمان

(١) البلاذري، فتوح، ص ٢٦٨.

(٢) ابن عساكر، تهذيب، ج ١. ص ١٨٢-١٨٣.

(٣) البلاذري، فتوح، ص ١٧٠. ١٣٥؛ ابن الأثير، علي بن محمد الجزري (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م)،

الكامل في التاريخ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٧م، ط ١.

ج ٢. ص ٣٢٣. ٣٢٥. سيشار إليه فيما بعد: ابن الأثير، الكامل.

(٤) البلاذري: فتوح، ص ١٦٥. ابن الأثير: الكامل، ج ٢. ص ٤٥٩.

(٥) وقد تحولت أراضي الصوافي إلى مصدر رئيس للإقطاع في ساحل بلاد الشام، وكانت تمنح بملكية

خالصة، وهذا ما عرف بالقطنع. الرئيس، عمر رضا الدين، الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية،

دار المعارف المصرية، القاهرة، ١٩٦٩م، ط ٣. ص ١٥٧. سيشار إليه فيما بعد: الرئيس، الخراج؛

البلاذري، فتوح، ص ١٢٩-١٣٥؛ ابن الأثير، الكامل، ج ٢. ص ٢٧١. ٣٢٣.

أهمية أراضي الصوافي فكتب إلى الخليفة عثمان يوصفها ، وسأله أن يقطعها له ليقوى بها ، بقوله : ((إنها ليست من قرى أهل الذمة ولا من الخراج فكتب إليه عثمان بذلك كتاباً))^(١) .

وكان معاوية أول من توسع بإقطاع أراضي الصوافي لأشراف العرب المسلمين^(٢) ، فأوجد بذلك ملكية من نوع جديد قوامها أمراء العرب المسلمين وأشرافهم .

وقد كان لعاتكة بنت يزيد بن معاوية وزوج عبد الملك بن مروان أرض خارج باب الجابية بدمشق ، وكان إبان بن مروان بن الحكم أميراً على البلقاء وله أرض بدمشق تنسب إليه ، وتسمى أرض إبان ، وكان لسعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان بن عفان دور بدمشق ، وهو صاحب الفدين قرية من أعمال دمشق ، وكان لإبان وسليمان بن عبد الملك أملاك بدمشق ، وينسب دير إبان الذي عند قرحتا إلى إبان بن حرب ، وينسب دير بشر الذي عند حجيرا إلى بشر بن مروان بن الحكم ، وكان لخالد بن عباد ابن زياد مزرعة بين دمشق وحمص (٥٥ مكرر) ، وهناك دلائل عديدة تظهر أن قصر القسطل جنوب عمان كان بلا ريب مركزاً لاستثمار أموي زراعي كبير فهناك سد كبير في الشرق - شرق القسطل - وخزان ماء في الغرب غرب القسطل تقنية بنائه قريبة من تقنية القصر .

وهناك أيضاً قنوات ، وعدد كبير من الخزانات ، وعلى غرار هذا المشروع الاستثماري الزراعي وجدت مشاريع زراعية أخرى ليس في بلاد الشام فحسب ، وإنما في بلاد الجزيرة والعراق وغيرها .

وقد ساهم اتجاه امتلاك الأرض ، والضياع في توسيع نطاق الأرض

(١) ابن عساكر ، تاريخ ، ج ٢ . ص ٢٠٦ .

(٢) ابن عساكر ، تهذيب ، ج ٣ . ص ١٨٤ ؛ ابن عساكر : تاريخ ، ج ٢ . ص ٢٠٦ ، (٥٥ مكرر) ؛ المنجد ،

صلاح الدين ، معجم بني أمية ، بيروت ، دار الكتاب الجديد ، ١٩٧٠ م ، ص ١٨٠ . ٦٠٥ . ٢٣٠ .

٣٨ . سيشار إليه فيما بعد : المنجد ، معجم بني أمية .

المزروعة ، وأعان في تحسين الوضع الاقتصادي العام ، ومن جهة أخرى عزز هذا الاتجاه وجود فئة تمتلك الأرض إزاء الذين يشتغلون في الأرض .

- أراضي الموات:

هي أراضي لم يجر عليها أي عمل إنساني ، ولا يستفيد منها أحد ، وقد حدد أبو يوسف في الخراج ذلك بقوله : ((إذا لم يكن في الأرض أثر بناء ولا زرع ، ولم تكن فيثاً لأهل القرية ولا مرجاً ولا موضع مقبرة ، ولا موضع محتطبهم ، ولا موضع مرعى دوابهم وأغنامهم ، وليست بملك أحد ، ولا في يد أحد ، فهي موات))^(١) .

ومن الموات أيضاً ما يملكه الناس فأحيوه ثم خربت وماتت ، وهذا لا يملكه أحد إلا بأذن الخليفة أو واليه في الأقاليم^(٢) ، فالأرض الموات تُمتلك بالإحياء لقول الرسول (ﷺ) : ((من أحيأ أرضاً مواتاً فهي له))^(٣) .

ولم يكن هناك في بلاد الشام أرض موات إلا فيما ندر ، وقد وردت في المصادر إشارات إلى الأرض التي تركها أصحابها فأصبحت متروكة وهي ليست مواتاً ، ومثل ذلك كل أراضي ساحل بلاد الشام التي أُقطعت للمقاتلة^(٤) .

والمفيد ذكره أنه لم تتوجه القبائل العربية الفاتحة لبلاد الشام نحو تملك الأراضي الزراعية المفتوحة ، بسبب خلفيتهم الاجتماعية وتركيزهم على الجهاد

(١) المنجد ، معجم بني أمية ، ص ٦٣ .

(٢) الصولي ، محمد بن يحيى (ت ٣٣٥هـ/٩٤٦م) ، أدب الكاتب ، تحقيق محمد بهجة الأثري ، المكتبة العربية ، بغداد ، ١٣٤١هـ ، ص ٢١٣ . سيشار إليه فيما بعد : الصولي ، أدب .

(٣) ابن رجب ، عبد الرحمن بن أحمد الحنبلي (ت ٧٩٥هـ/١٣٥٧م) ، الاستخراج لأحكام الخراج ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٥هـ ، ط ١ ، ص ٥٠ . سيشار إليه فيما بعد : ابن رجب ، الاستخراج .

(٤) فلهاوزن ، يوليوس ، تاريخ الدولة العربية وسقوطها ، ترجمة عبد الهادي أبو ريده ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٨م ، ص ٢٧٠ . سيشار إليه فيما بعد : فلهاوزن ، تاريخ .

والفتح ، كما أن واردهم من الغنائم لم يكن قليلاً (٦٠) .
لكن وفي الوقت نفسه أدرك رجال قريش وأشرف القبائل أهمية الأرض
كمصدراً للربح ، فاتجهوا إلى امتلاكها ، وأسهم إقطاع التوطين الذي أرسى مبادئه
الخلفاء الراشدون ومن بعدهم الأمويون في بلاد الشام في إيجاد ملكيات عربية
للأرض في بلاد الشام .

وبذلك كان العرب المسلمون من الإدراك بحيث إنهم لم يقدموا على تقسيم
الأرض المفتوحة في بلاد الشام ؛ لأنهم عدوا هذه الأراضي من المقومات
الأساسية لبناء المؤسسات الضرورية لقيام الدولة العربية الإسلامية واستمرارها ؛
أي توفير الموارد عن طريق الضرائب ، ومنها : ضريبة الأرض ، فلو قُسمت
الأراضي المفتوحة لتبددت الغنيمة ، وهذا يعني استحالة قيام نظام عام ونشوء
الدولة ، ونتج عن ذلك ظهور نوعين من الإقطاعات المستغلة ، هما : إقطاع
التمليك ، وإقطاع الاستغلال ، وقد ظهر هذان النوعان من أراضي ساحل الشام ،
هذا بالإضافة إلى ما تملكه الخليفة معاوية ومنها أرض البطانان في كورة عسقلان
التي تُعد من الأراضي الزراعية الخصبة^(١) .

الختام:

من كل ما تقدم يمكن القول أن بلاد الشام ، هذه المنطقة المتميزة بطبيعة
مناخها ، وتربتها ونوعية السكان المقيمين بها ، مثلت مركزاً حضارياً قوياً ، من
جملته الاهتمام بالزراعة ، حيث عدت الزراعة في بلاد الشام وسواحل الركيزة
الرئيسية ، ومصدر رئيسي في الإنتاج .

(١) الجهشياري ، محمد بن عبدوس (ت ٣٣١هـ/٩٣٣م) ، الوزراء والكتاب ، دار الفكر الحديث ، بيروت ،

١٩٨٨م ، ص ٢٣ . سيشار إليه فيما بعد : الجهشياري ، الوزراء .

نظام الخراج تطوره وأثره على الزراعة في بلاد الشام بين عصر صدر الإسلام والعصر العباسي الأول

محمد ضيف الله بطاينه (*)

الخراج، اللفظ والمعنى:

يميل الباحثون الغربيون بخاصة إلى التنقيب عن الأصل اللغوي للألفاظ المستخدمة في مجال الفكر والعلوم العربية الإسلامية ورددّها إلى أصول لغوية يونانية وفارسية في الأغلب، ولفظ «خراج» واحد من هذه الألفاظ، فقد جاء في دائرة المعارف الإسلامية أن كلمة خراج ليست عربية، وإنما اشتقت عبر اللغة السريانية من اللغة اليونانية^(١).

ورد لفظ «خرج» و«خراج» في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾^(٢). وقال تعالى: ﴿قَالُوا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ إِنَّ يَا جُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾^(٣).

(*) قسم التاريخ، جامعة اليرموك، المملكة الأردنية الهاشمية.

(1) Cl. Cahen, *Kharādj, Encyclopedia of Islam*, 2nd ed., 1978, vol. 4, pp. 1030-1034.

موجز دائرة المعارف الإسلامية، ط ١، مركز الشارقة للإبداع الفكري، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م، مادة

الخراج، ج ١٥، ص ٤٦٣١.

(٢) سورة «المؤمنون»، آية ٧٢.

(٣) سورة الكهف، آية ٩٤.

وقد قرئ لفظ «خرج» في الآيتين «خرجا» و«خراجاً»، وفسر عبد الله بن عباس اللفظ بـ«الأجر»^(١).

وكان أبو لؤلؤة المجوسي غلاماً للمغيرة بن شعبة، وكان المغيرة جعل عليه كل يوم درهمين، فشكا أبو لؤلؤة ثقل خراجه إلى عمر بن الخطاب، فقال له عمر، وما تحسن من الأعمال، قال أبو لؤلؤة، نقاش، نجار، حداد، فقال له عمر، ما خراجك بكثير في كنه ما تحسن من الأعمال^(٢).

وعندما تناول أبو عبيد موضوع الخراج قال:

معنى الخراج في كلام العرب، إنما هو الكراء والغلة، ألا تراهم يسمون غلة الأرض والدار والملوك خراجاً؟ وحجم أبو طيبة (أبو ظبية) الرسول (، فأمر له

(١) الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب (ت ١٠٥٨/٤٥٠م)، «الأحكام السلطانية، مكتبة البايي الحلبي، القاهرة، ط ٣، ١٩٧٣م، ص ١٤٦، وسيشار إليه فيما بعد، الماوردي: الأحكام السلطانية؛ ابن رجب الحنبلي، الإمام الحافظ أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب (ت ٧٩٥/١٣٩٣م). «الاستخراج لأحكام الخراج»، تصحيح عبد الله الصديق، دار المعرفة، بيروت، د.ت.، ص ٤-٥، وسيشار إليه فيما بعد: ابن رجب الحنبلي، الاستخراج لأحكام الخراج؛ الصولي، أبو بكر محمد بن يحيى (ت ٣٣٦/٩٤٧م)، «أدب الكتاب»، تصحيح محمد بهجة الأثري ومراجعة محمود شكري الألوسي، المطبعة السلفية، القاهرة، نشر المكتبة العربية، بغداد، ١٣٤١هـ/١٩٢٢م، ص ٢٢١، وسيشار إليه فيما بعد: الصولي، أدب الكتاب.

(٢) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ/٩٢٢م)، «تاريخ الرسل والملوك»، ج ١٠، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط ٤، ١٩٦٧م، ج ٤، ص ١٩٠-١٩١، وسيشار إليه فيما بعد: أبو جعفر الطبري، تاريخ الطبري؛ السعودي، علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦هـ/٩٥٧م)، «مروج الذهب ومعادن الجوهر»، ج ٤، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٨٧م، ج ٢، ص ٣٢٩، وسيشار إليه فيما بعد، السعودي، مروج الذهب.

الرسول (بصاعين من طعام، وكلّم أهله فوضعوا عنه من خراجه^(١))، وبذلك عبّرت الرواية عن الرسول (عن الغلّة أو الكراء بلفظ الخراج .

والشواهد السابقة من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، وأثار السلف وغيرها من الشواهد الكثيرة لتدل على عروبة اللفظ وأصالته .

هذا بالنسبة للفظ وانتمائه اللغوي، أما بالنسبة للخراج كمصطلح يدل على النظام الذي كان يحكم العلاقة بين أصحاب الأرض والذين يعملون الأرض ويستغلونها لقاء مال معلوم يؤدونه في أوقات محدودة ومعينة، فهو أي الخراج في هذا الجانب، أسلوب قديم وعالمي أتبعه كل من الفرس والرومان في البلاد التي كانت تخضع لهم، وعندما فتح المسلمون تلك البلاد أخذوا بهذا الأسلوب، وسمّوا المال المتحصل عن الأرض التي تركت بيد الذين كانوا يعملونها «خراجاً»، واستعانوا في إدارة شؤونه وتصريف أموره بالأجهزة الإدارية التي كان معمولاً بها في تلك البلاد .

وإذا كان هذا النظام، أي نظام الخراج، عُرفَ من قبَلِ الفرس والروم، وأن المسلمين أخذوا به في البلاد التي فتحوها، فإن الفارق بين هذا النظام في ظل المسلمين وبينه في ظل من سبقهم من الأمم والدول فارق موجود، وهو فارق يتمثل في طبيعة السياسة التي أدارت الدولة الإسلامية بها أمور الخراج ورعت أهله من معتملي الأرض وكونت العلاقة بين الجانبين .

فتح المسلمون بلاد الشام إضافة إلى بلاد العراق ومصر في خلافة عمر بن الخطاب، وقد ألفت مسألة الأرض في تلك البلاد المفتوحة عبئاً ثقيلاً على

(١) أبو عبيد، القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ/٨٣٨م)، «الأموال»، تحقيق محمد خليل هراس، مكتبة

الكلية الأزهرية، القاهرة، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م، ص ١٠٤، ١٠٥، ١٣٢. وسيشار إليه فيما بعد، أبو

عبيد: الأموال؛ قدامة، أبو الفرج قدامة بن جعفر (ت ٣٢٨هـ/٩٣٩م)، «الخراج وصناعة الكتابة»،

تحقيق محمد حسين الزبيدي، سلسلة كتب التراث، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ١٩٨١م،

ص ٢٠٧، وسيشار إليه فيما بعد، قدامة: الخراج .

عائق القيادة الإسلامية ، فقسمة الغنائم والأرض منها بين المقاتلين كانت هي الحاضرة في ذهن الجند الفاتحين ، وهو ما طلبه قادة الفتح في تلك البلاد من عمر بن الخطاب^(١) ، ولو كانت القسمة تقتصر على الغنائم المنقولة لكان الأمر سهلاً ، ولكن المشكلة ستتمثل بقسمة الأرض التي تتنوع بين السهل والجبل والوادي والنهر والنبع والساحل والداخل والخصب منها والجاف وغير ذلك من تضاريس البلاد .

ومهما حرص القائمون بالقسمة على إجراء العدل وتحريه ، فإن القسمة سوف لا تسلم من الاعتراضات والاحتجاجات ، وستكون الحيازة الفردية لتلك الأراضي الواسعة والمتنوعة في التضاريس مدعاة للخلاف والتنازع والفتنة بين الجند ، وإشغالهم عما خرجوا له من حمل الإسلام ونشره بين الناس وبقائهم أمة مجاهدة بما يتنافس الناس فيه من المصالح الخاصة والمنافع الفردية ، وقد أشار إلى ذلك كل من عمر بن الخطاب ومعاذ بن جبل وعلي بن أبي طالب في أثناء خلافته .

إذ لما قدم عمر بن الخطاب إلى الجابية بالشام عام ١٧هـ / ٣٦٨م ، وقبل وقوع الطاعون^(٢) ، وجرى الحديث عن قسمة الأرض في الشام بين الجند الغائمين ،

(١) أبو عبيد ، الأموال ، ص ٨٠ ، ٨١ ، ٨٤ . قدامة ، الخراج ، ص ٢٠٦ ؛ ابن عساكر ، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (ت ٥٧١هـ / ١١٧٥م) ، «تاريخ دمشق» ، ج ٤٠ ، تحقيق محب الدين أبي سعيد عمر العمري ، دار الفكر ، دمشق ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م ، ج ٢ ، ص ١٩١ ، ١٩٤ ، ١٩٧ ، وسيشار إليه فيما بعد : ابن عساكر ، تاريخ دمشق .

(٢) خليفة بن خياط ، أبو عمرو خليفة بن خياط بن أبي هبيرة العصفري (ت ٢٤٠هـ / ٨٥٤م) ، «تاريخ خليفة بن خياط» ، تحقيق أكرم العمري ، دار طيبة ، الرياض ، ط ٢ ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م ، ص ١٣٥ ، وسيشار إليه فيما بعد ، خليفة بن خياط : التاريخ ؛ البلاذري ، أحمد بن يحيى (ت ٢٧٩هـ / ٨٩٢م) ، فتوح البلدان ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٦م ، ص ١٦٥ ، وسيشار إليه فيما بعد ، البلاذري : فتوح البلدان ؛ أبو جعفر الطبري ، =

قال معاذ بن جبل الذي مات بالطاعون ، لعمر بن الخطاب «والله إذا ليكونن ما تكره»^(١) ، وكان عمر يرى ما يراه معاذ بن جبل ، ويخشى الفتنة أن تقع بين الجند بقسمة الأرضين بينهم ، قال عمر للجند : «أخاف أن قسمتني أي الأرض ، أن تفسدوا بينكم في المياه»^(٢) ، وجاء عنه أيضاً قوله : «أخاف أن تشاحنوا فيها وفي شربها»^(٣) ، وروى عن علي بن أبي طالب أنه قال عندما ولي الخلافة : لولا أن يضرب بعضكم وجوه بعض لقسمت السواد بينكم^(٤) .

كان عمر ينظر إلى المشكلة من خلال وحدة الأمة واتصالها حاضراً ومستقبلاً عبر العصور والأزمان ، ويحاول أن يوفر للأمة من أسباب القوة والمنعة ما يحفظ عليها وحدتها واستمراريتها ، فالعقيدة الركن الأساس في هذه الوحدة ، والمال ركن آخر في حماية وحدة الأمة واستمراريتها في حياة جهادية تتميز بمنعة الجانب ووفرة العيش ، قال معاذ بن جبل لعمر بن الخطاب ، «ثم يأتي من بعدهم ، أي من بعد الجند الفاتحين ، قوم يسدون من الإسلام مسداً ،

= تاريخ الطبري ، ج ٤ ، ص ٥٦-٦٠ ؛ ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج ٢ ، ص ١٦٨ ، ١٦٩ ؛ ابن الأثير ، علي بن محمد الشيباني (ت ١٢٣٠هـ/١٢٣٢م) ، «الكامل في التاريخ» ، ج ٩ ، ط ٢ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، (د.ت) ، ج ٢ ، ص ٣٤٨ ، وسيشار إليه فيما بعد ، ابن الأثير : الكامل في التاريخ .

(١) أبو عبيد ، الأموال ، ص ٨٣ ، ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج ٢ ، ص ١٩٤ ؛ ابن رجب الحنبلي ، الاستخراج لأحكام الخراج ، ص ٩-١٠ .

(٢) أبو عبيد ، الأموال ، ص ٨١ ، ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج ٢ ، ص ١٩١ .

(٣) ابن رجب الحنبلي ، الاستخراج لأحكام الخراج ، ص ١٤ .

(٤) أبو يوسف ، القاضي يعقوب بن إبراهيم (ت ١٨٢هـ/٧٩٨م) ، «كتاب الخراج» ، ط ٣ ، المكتبة السلفية ، القاهرة ، ١٢٨٢هـ/١٩٦٢م . وسيشار إليه فيما بعد ، أبو يوسف : الخراج .

ابن رجب الحنبلي ، الاستخراج لأحكام الخراج ، ص ٢٧ .

وهم لا يجدون شيئاً ، فانظر أمراً يسع أولهم وآخرهم»^(١) .

وجاء عن عمر بن الخطاب أنه قال : «تريدون أن يأتي آخر الناس ليس لهم شيء» ، ولذلك رأى أن تكون الأرض شيئاً موقوفاً للمسلمين ما تناسلوا ، يرثه قرن بعد قرن فتكون قوة لهم على عدوهم^(٢) .

وقد لا يكون عمر بن الخطاب ومن كان يرى رأيه كعماذ بن جبل وعلي بن أبي طالب وطلحة بن عبيد الله وعثمان بن عفان ، أغفلوا مقتضيات المرحلة المبكرة من الفتوح ، والأوضاع العامة المحيطة بهم في بلاد الشام والعراق ومصر ، إذ من الممكن أن يكون عدم قسمة الأرض ، وإبقائها بيد من كان يعملها على خراج يؤديه عنها ، من شأنه أن يعمل على تأليف أهل هذه البلاد المفتوحة ، ويقطع مظاهرهم للأعداء ، ويعين على إعمار الأرض ، في وقت كان المسلمون تعوزهم الخبرة بأمور الزراعة ، والعدد اللازم للقيام بذلك وعليهم أن يظلوا أمة مجاهدة^(٣) .

ومثلما كان الأولون من الأمة سبباً في هداية الذين جاؤوا من بعدهم إلى الإيمان بالله ، وأخوة الآخرين في الإسلام ، جاز أن يكون الأولون من الأمة بما فتح الله على أيديهم من البلاد ، والآخرين من الأمة أخوة شركاء في هذه البلاد أيضاً ، وبهذه الدعامة العقائدية والدعامة المادية تستمر وحدة الأمة عبر الزمان وتستقيم قوتها ومنعتها ، وقد صار عمر بن الخطاب إلى مشروعية الشراكة بين أول الأمة وآخرها عبر الزمان من خلال الفهم الذي أوتيته لدى مراجعة آية الفيء في سورة الحشر ، قال تعالى : ﴿مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً

(١) أبو عبيد ، الأموال ، ص ٨٤ ، ابن رجب الحنبلي ، الاستخراج لأحكام الخراج ، ص ٩ ، ٤٢ .

(٢) أبو عبيد ، الأموال ، ص ٨٢ .

(٣) بطاينه ، محمد ضيف الله ، الحياة الاقتصادية في العصور الإسلامية الأولى ، دار طارق ، عمان ، دار

الكندي ، اربد (د . ت) ، ص ٧٢ ، وسيشار إليه فيما بعد ، محمد بطاينه : الحياة الاقتصادية .

بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٧) لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (٨) وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْنَ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٩) وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ (١).

فقد رأى أن آية الفيء استوعبت الناس من الأمة أولها وآخرها فلم يبق أحد من المسلمين إلا وله فيها حق (٢) ، ففي الآية تأكيد على الوحدة بين أول الأمة وآخرها ، وهي وحدة أساسها العقيدة الإيمانية بالله التي تبعث مشاعر المحبة في نفوس الآخرين للأولين وطلب المغفرة لهم ، وتجعل اشتراك الآخرين من الأمة والأولين منها في الفتوح التي أنعم الله بها على الأولين من الأمة عملاً من أعمال البر والفلاح ، وصلة من صلوات القربى بين أبناء الأمة الواحدة في حاضرها ومستقبلها .

وإلى هذه الآية وما حملته من معاني الوحدة والمحبة والصلة بين أبناء الأمة الأولين منها والآخرين ، ذهب علي بن أبي طالب ومعاذ بن جبل حين أشار على عمر بن الخطاب بعدم قسمة الأرض بين الغائمين وجعلها فيئاً موقوفاً على المسلمين حتى آخر الزمان ، ووافقهم على ذلك عثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله (٣) .

(١) سورة الحشر ، الآيات ٧-١٠ .

(٢) أبو يوسف ، الخراج ، ص ٣٥ ، ٦٨ ، ٦٩ ، أبو عبيد ، الأموال ، ص ٢٣ ، ٢٤ ؛ ابن رجب الحنبلي ، الاستخراج لأحكام الخراج ، ص ١٧-٢٦ .

(٣) أبو يوسف ، الخراج ، ص ٣٥ ، أبو عبيد ، الأموال ، ص ٨٦ .

وبذلك انتهى الحوار والتشاور إلى عدم قسمة الأرض المفتوحة عنوة بين الغامنين في بلاد الشام ، والعراق ومصر أيضاً ، وتركها بيد من كان يعملها على خراج يؤدونه عنها^(١) .

نظام الخراج بين النظرية والتطبيق:

كان من شأن عدم قسمة الأرض العنوة بين الفاتحين وجعلها شيئاً موقوفاً على المسلمين الأولين والآخرين وتركها بيد من كان يعملها من قبل ، يؤدون الخراج عنها ، كان من شأن ذلك أن يوفر مورداً مالياً ثابتاً لبيت المال تصرف الدولة منه على الجند ، وتدفع العطاء والأرزاق وتشحن الثغور وتُجاهد الأعداء ، وتنفق منه على المصالح العامة كبناء المساجد والقناطر وكراء الأنهار وأرزاق من تعمّ بهم المصلحة من القضاة والفقهاء والأئمة وعلى المحتاجين ، وفي حج البيت وأمن السبيل^(٢) .

ولكن المسلمين لم تكن عندهم معرفة كافية في ذلك الوقت تكفيهم مؤونة تنظيم أمور الخراج من حيث تقديره وأوقات جبايته وحساباته وغير ذلك من التفاصيل المتعلقة بأمور الخراج ، ولذلك استعان عمر بن الخطاب بخبرات الذين كانوا يتولون أمور الخراج من قبل في ظل الفرس والروم ، وانتفع مما كانوا فعلوه في مجال الخراج^(٣) .

(١) ابن رجب الحنبلي ، الاستخراج لأحكام الخراج ، ص ٤٢ .

(٢) يحيى بن آدم ، أبو زكريا بن سليمان (ت ٢٠٣هـ/٨٣٦م) ، «الخراج» تصحيح أبو الأشبال أحمد محمد شاكر ، دار المعرفة ، بيروت ، (د.ت) . وسيشار إليه فيما بعد ، يحيى بن آدم : الخراج ؛ أبو يوسف ، الخراج ، ص ٢٥-٢٧ ، أبو عبيد ، الأموال ، ص ٨٠-٨٩ ؛ الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص ١٧٤ ؛ ابن عساکر ، تاريخ دمشق ، ج ٢ ، ص ١٩٧ ، ١٩٨ .

(٣) أبو يوسف ، الخراج ، ص ٣٨ ؛ الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص ١٤٨ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج ٢ ، ص ٢٦٨-٢٦٩ .

وعلى ضوء ذلك تمت عملية مسح الأرض ووضع الخراج عليها ، وهو الخراج الذي عرف باسم الخراج على المساحة أو خراج الوظيفة .
ونظراً لما كانت تتطلبه عملية الخراج من الخبرة والمعرفة الإدارية وضبط الحسابات ، استمرت أجهزة الخراج التي كانت تدير أمور الخراج من قبل قائمة تعتمد عليها الدولة الإسلامية في أمور الخراج من غير أن تتخلى هذه الأجهزة عن موظفيها واللغات التي كانت السجلات الخراجية تُكتبُ بها حتى كانت حركة تعريب الدواوين التي بدأت في خلافة عبد الملك بن مروان (٦٥هـ/٦٨٤م- ٨٦هـ/٧٠٥م) .

وأما بخصوص الوظيفة التي وضعت على الأراضي الخراجية ، فقد قدّمت الروايات بيانات عما وُظف على أرض السواد في العراق ، حيث ذكرت هذه الروايات أن عثمان بن حنيف الذي استعمله عمر بن الخطاب على مسح أرض السواد ، مسح السواد ، ووضع على كل نوع من أجربة الزروع والأشجار ما يحتمله (١) .

أما بالنسبة لما وُظف على الأرض في بلاد الشام ، فالروايات لا تتعرض إلى بيان تلك الوظائف ، قال الماوردي :

«استعمل عمر بن الخطاب عثمان بن حنيف على سواد العراق ، وأمره بالمساحة ووضع ما تحتمله الأرض من خراجها ، فمسح عثمان السواد ، ووضع على كل جريب من الكرم والشجر الملتف عشرة دراهم ، ومن النخل ثمانية دراهم ، ومن قصب السكر ستة دراهم ، ومن الرطوبة خمسة دراهم ، ومن البر أربعة دراهم ، ومن الشعير درهمين ، وكتب عثمان بذلك إلى عمر بن الخطاب فارضاه عمر ، وعمل عمر في نواحي الشام على غير هذا ، فعلم أن عمر راعى

(١) أبو يوسف ، الخراج ، ص ٣٨ ، أبو عبيد ، الأموال ، ص ٩٧ ، ٩٨ ، ابن رجب الحنبلي ، الاستخراج

لاحكام الخراج ، ص ٦٢-٦٥ .

في كل أرض ما تحتمله»^(١) .

ولكن الوظائف الخراجية التي وُظفت على أرض السواد في العراق تظل تعين على تقدير تقريبي للوظائف التي وضعت على أرض الخراج في الشام ، فمسح الأرض في الشام ، ووضع الوظائف الخراجية عليها جاءت متزامنة مع عملية مسح السواد في العراق ووضع الخراج عليه ، مثلما تزامنت حركة الفتوح في البلدين ، فضلاً عن أن الروايات التي تحدثت عن مسح الأرض وتقدير الوجائب الخراجية عليها في البلدين تتداخل في حديثها عن هذه المسألة وكأنها تتحدث عن قضية واحدة .

نظام الخراج على المساحة وأثره في الإنتاج الزراعي؛

يستدعي الحديث عن الإنتاج الزراعي من حيث تنوعه ووفرتة وزيادته ذكر العوامل التي تفعل فعلها فيه من مثل طبيعة الأرض والمناخ والمياه والقوى البشرية المنتجة وسياسة الدولة الراعية ، فهي عوامل على اختلاف بينها ذات تأثير كبير في عملية الإنتاج الزراعي ، ولا يقل نظام الخراج الذي تبنته الدولة أثراً في عملية الإنتاج الزراعي عن العوامل المذكورة .

ويمكننا أن نتعرف على آثار نظام الخراج على المساحة في الإنتاج الزراعي من خلال الوقوف على مضمون هذا النظام والسياسة التي تبنتها الدولة الراعية للنظام ، ووضع معتملي الأرض .

أما بالنسبة لمضمون نظام الخراج على المساحة من حيث تقدير الوظائف الخراجية على الأرض ، فقد استند النظام إلى اعتبارات عدة ، منها ما يختص بالأرض من حيث جودة التربة جودة يزكو بها الزرع ويزيد الخراج ، أو رداءة يقل بها الإنتاج وينقص الخراج .

ومنها ما يختص بالزرع واختلاف أنواعه من حيث قيمته وريعه الذي يكون

(١) الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص ١٤٨ ، ابن رجب الحنبلي ، الاستخراج لأحكام الخراج ، ص ٦٣ .

الخراج بحسبه . ومنها ما يختص بالسقي والشرب إن كان بغير آلة أو بألة أو سقي سماء ، وما يلزم ذلك من الجهد والكلفة في عملية الإنتاج الزراعي . ومنها ما يختص بقرب الأرض وبعدها عن الأسواق وكلفة النقل^(١) .

أما بالنسبة للدولة الراعية للنظام ، وهي الدولة الإسلامية في عصر صدر الإسلام فكانت سياستها الخراجية تتسم بسمات عدة منها : الرفق بأهل الخراج ، وعدم تحميلهم ما لا يطيقون ، ولذلك جاءت مقادير الخراج الموضوعة على الأراضين متفاوتة ، ولما أنهى عثمان بن حنيف وحذيفة بن اليمان مهمتهما في سواد العراق ، قال لهما عمر ، انظر ألا تكونا حملتما أهل الأرض ما لا يطيقون ، فقال عثمان ، وضعت عليهم شيئاً لو أضعفته عليهم لكانوا مطيقين له ، وقال حذيفة بن اليمان ، وضعت عليهم شيئاً ما فيه كثير فضل ، وكان ما وصفاه لا يشقّ عليهم ولا يجهدهم^(٢) .

وجاء عمر مال كثير من الجزية ، فقال عمر ، إني لأظنكم قد أهلكتم الناس فقالوا ، لا والله ، ما أخذنا إلا عفواً صفوفاً بلا سوط ولا نوط ، فحمد عمر الله^(٣) . ولم يغير عثمان بن عفان ولا علي بن أبي طالب شيئاً مما وضعه عمر على أهل الخراج^(٤) .

ومع أن الأمثلة السابقة كانت من أرض السواد بالعراق ، فإنها تشير إلى توجهات الدولة وسياستها في فرض الخراج ، فكان ما وضعه عمر بن الخطاب على الأرض من الخراج رضا لأهل الخراج ومحتملاً^(٥) .

(١) أبو يوسف ، الخراج ص ٤١ ، الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص ١٤٨-١٤٩ .

(٢) أبو يوسف ، الخراج ص ٣٧ ، ٤٨ ، أبو عبيد ، الأموال ص ٥٦ ، ٥٧ ، ابن رجب الحنبلي ، الاستخراج لأحكام الخراج ، ص ٤٣ ، ٦٢ .

(٣) أبو عبيد ، الأموال ص ٦١ .

(٤) أبو عبيد ، الأموال ص ٦٢ ، ابن رجب الحنبلي ، الاستخراج لأحكام الخراج ص ٤٥ ، ٦٥ ، ١١٣ .

(٥) أبو يوسف ، الخراج ص ٨٤ .

وفي خلافة معاوية بن أبي سفيان (٤١-٦٠هـ / ٦٦١-٦٧٩م) قال زياد بن أبيه لعمّال الخراج ، أحسنوا إلى المزارعين فإنكم لا تزالون سماناً ما سمنوا^(١) ، ولما استخلف عبد الملك بن مروان ، استقل ما كان يؤخذ من أرض الجزيرة ، وأعاد النظر في مقادير الخراج المفروضة عليها ، وجعلها والموصل وبلاد الشام في مقدار الخراج شيئاً واحداً ، فقرر الخراج على قدر قرب الأرض وبعدها ، وجعل على كل مائة جريب زرع مما قرب ديناراً ، وعلى كل ألف أصل كرم مما قرب ديناراً ، وعلى كل ألفي أصل مما بعد ديناراً ، وعلى الزيتون على كل مائة شجرة مما قرب ديناراً ، وعلى كل مائتي شجرة مما بعد ديناراً ، وكان غاية البعد عنده مسيرة اليوم واليومين وأكثر من ذلك ، وما دون اليوم في القرب^(٢) . ويبدو أن الخراج الذي وضعه عبد الملك لم يكن ثقيلاً وكان فريضة متواضعة ، فلا إشارة إلى تدمير أهل الخراج من إجراءات عبد الملك .

استمرت في بلاد الشام سياسة عدم تحميل أهل الخراج فوق طاقتهم ، وعدم تكليفهم بغير أموال الخراج^(٣) ، وعندما كتب الحجاج بن يوسف الثقفي إلى عبد الملك يستأذنه في أخذ الفضل من أموال السواد ، منعه عبد الملك وكتب إليه لا تكن على درهمك المأخوذ أحرص منك على درهمك المتروك ، وأبق لهم لحوماً يعقدون عليها شحوماً^(٤) ، مما يشير إلى أن عدم تحميل أهل الخراج فوق طاقتهم كانت سياسة ثابتة تنتهجها الدولة في التعامل مع أهل الخراج .

(١) ابن قتيبة الدينوري ، أبو محمد عبد الله بن ملم (ت ٢٧٦هـ / ٨٨٩م) ، «عيون الأخبار» ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٢٥م ، ج ١ ، ص ١٠ ، وسيشار إليه فيما بعد ، ابن قتيبة الدينوري : عيون الأخبار .

(٢) أبو يوسف ، الخراج ص ٤١ .

(٣) أبو عبيد ، الأموال ص ٦٥ ، ابن رجب الحنبلي ، الاستخراج لأحكام الخراج ص ٦٨ .

(٤) الماوردي ، الأحكام السلطانية ص ١٤٩ .

ومنها ، التيسير على أهل الخراج في الأداء ، فعندما قدم والي حمص سعيد بن عامر بن حذيم الجمحي (ت ١٩٠هـ / ٦٤٠م) على عمر بن الخطاب ، علاه بالدره ، وقال له ، مالك تبطن بالخراج؟ قال سعيد ، أمرتنا أن لا نزيد على الفلاحين ، وأن نؤخرهم إلى غلاتهم ، قال عمر ، لا عزلتك ما حييت^(١) .

وقال علي بن أبي طالب لمن ولاه على عكبرى من بلاد العراق ، لا تبيعن لأهل الخراج في الخراج حماراً ، ولا بقرة ، ولا كسوة شتاء ولا صيف ، وأرفق بهم ، وأفعل بهم ، وأفعل بهم ، (يعدّد أشياء في الرفق بهم في الأداء) ، فإن عصيتني نزعتك^(٢) ، وهو وإن كان هذا الشاهد من بلاد العراق ، فإن سياسة الدولة كانت في هذا الجانب تسير في طريق واحد ، وظل الرفق بأهل الخراج في الأداء مستمراً بين خلفاء الدولة في عصر صدر الإسلام^(٣) .

وبما كان يساعد على التيسير في الأداء أن الدولة كانت تراعي ما تتعرض له أرض الخراج من الجوائح والآفات^(٤) ومستوى أضرارها بالغللات ، فكانت تعيد النظر بما تأخذه من أموال الخراج عن الأرض المتضررة^(٥) .

وبما ساعد أيضاً على تيسير أداء الخراج عن الأرض الخراجية ، وإزاحة العلل التي كانت تحيط بجباية الخراج ، أن موعد جباية الخراج في بلاد الشام والجزيرة والموصل كان ثابتاً ، ويجري على الشهور الشمسية ويتوافق وإدراك الغلات ، خلافاً لبلاد العراق التي كان موعد جباية الخراج فيها يتقدم من سنة خراجية إلى أخرى عن موعد إدراك الغلات ، لجريان جباية الخراج في العراق على

(١) أبو عبيد ، الأموال ص ٦١ ، ابن رجب الحنبلي ، الاستخراج لأحكام الخراج ص ٤٣ ، ٦٢ ، ١١٣ .

(٢) أبو عبيد ، الأموال ص ٦٢ ، ابن رجب الحنبلي ، الاستخراج لأحكام الخراج ص ١٣ ، ١١٤ .

(٣) ابن قتيبة الدينوري ، عيون الأخبار ، ج ١ ، ص ١٠ ، الماوردي ، الأحكام السلطانية ص ١٤٩ .

(٤) فالح حسين ، الحياة الزراعية في بلاد الشام في العصر الأموي ، دار الشعب ، عمان ١٣٧٨هـ /

١٩٧٨م ، ص ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، وسيشار إليه فيما بعد ، فالح حسين : الحياة الزراعية في بلاد الشام .

(٥) ابن رجب الحنبلي ، الاستخراج لأحكام الخراج ص ٥٧ .

حساب شهور الفرس ، وظلت المشكلة في العراق قائمة ، حتى أصلح الخليفة المعتضد بالله العباسي (٢٧٩-٢٨٩هـ / ٨٩٢-٩٠١م) التقويم ونقل موعد الجباية عام (٢٨١هـ / ٨٩٤م) من نيروز العجم إلى الحادي عشر من حزيران موعداً ثابتاً سمي النيروز بالنيروز المعتضدي^(١) .

ومنها ، تشجيع الزراعة وتوسيع الرقعة الزراعية ، فقد كانت الزراعة من أعمدة الاقتصاد في الدولة الإسلامية ، ولذلك حظيت الزراعة باهتمام كبير ، وحظي القائمون بها بمثل ذلك ، فإحياء الأرض الموات وإقطاع الأرض^(٢) لاستغلالها دون تعطيلها أعمر للبلاد وأكثر خراجاً ومورداً لبيت المال ، وفي ذلك قوام عيش الأمة وقوة لها على أعدائها^(٣) .

ولذلك كان الرفق بأهل الخراج وعدم تحميلهم فوق طاقتهم ، وتألفهم ، وعدم تحميل الخراب على العامر في الخراج ، والعامر على الخراب ، وتخفيف الخراج أو إسقاطه عند إصابة الزراعة بالآفات ، وقيام الدولة بكري الأنهار وسد البثوق

(١) البيروني ، أبو الريحان محمد بن أحمد (ت في عشر الثلاثين وأربعماية للهجرة/ حول ١٠١٥م) «الآثار الباقية عن القرون الخالية» ، نشر ادوار سخاو ، ببيتزج ١٨٧٦م ، ص ٣٢ ، وسيشار إليه فيما بعد ، البيروني : الآثار الباقية ، المقرزي ، أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ / ١٤٤١م) ، «المواظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، المعروف بالخطط المقرزية» ، ج ٢ ، مكتبة المثنى ، بغداد ، (د.ت) ، ج ١ ، ص ٢٧٤ وسيشار إليه فيما بعد ، المقرزي : الخطط .

(٢) ابن حجر العسقلاني ، الإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ / ١٤٤٨م) ، «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» ، تحقيق عبد العزيز بن عبد الله بن باز ، دار المعرفة ، بيروت ، (د.ت) ، ج ٥ ، كتاب الحرث والمزارعة ، رقم الحديث ٢٣٣٥ . وسيشار إليه فيما بعد ، ابن حجر : فتح الباري .

أبو يوسف ، الخراج ، ص ٦١ ، ٦٢ ، ٦٤-٦٧ ، البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ١٥٠ ، ١٥٢ ، ١٧٨ ، ١٨٠ ، الماوردي ، الأحكام السلطانية ص ١٩٣ .

(٣) أبو يوسف ، الخراج ، ص ٦١ ، أبو عبيد ، الأموال ، ص ٦٤ .

وعمارة القناطر^(١)، كانت عوامل من شأنها أن تشدّ معتملي الأرض إلى الأرض وتجذبهم إلى الزراعة وتحول دون هجر الفلاحين الأرض وما يسببه من خراب البلاد وهلاك الرعية .

ومنها ، اختيار أفضل الرجال وأمثلهم للولاية على الخراج ، جباية الخراج من الأعمال المحفوفة بالإغراءات التي قد تؤثر على استقامة عمال الخراج ونزاهتهم نظراً لما جبلت النفوس عليه من حب المال ، جاء عن عمر بن الخطاب أنه ولّى النعمان بن مقرن على خراج كسكر ، فكتب النعمان إلى عمر ، يا أمير المؤمنين ، إن مثلي ومثل كسكر مثل رجل شاب عنده مومسة تتلون له وتتعطر ، وإني أنشدك الله لما عزلتني عن كسكر وبعثتني في جيش من جيوش المسلمين ، فوجهه عمر إلى المجاهدين في نهاوند^(٢) .

كانت الولاية على جباية الخراج مثار شكوك ولاة الأمر حيال أمانة عمال الخراج ونزاهتهم مثلما كانت مظنة أطماع هؤلاء العمال ، ولذلك كانت الولاية على الخراج تتردد في أذهان ولاة الأمر ونفوسهم بين تحري أمانة عمال الخراج والخوف من أطماعهم وتطلعاتهم ، وكان ولاة الأمر في استعراضهم مرشحي العمل على الخراج يتطلعون إلى ما عند هؤلاء من المعالم التي توحى بسُمْن الأمانة وعجف الطمع والخيانة ، وكانت خصال الصلاح والأمانة والعفاف والدين والفقه والتقوى والعدل والكفاية وغيرها من خصال الخير مما يتحراها ولاة الأمر عند اختيار عمال الخراج^(٣) .

فلما مات الوالي على خراج حمص ، استشار عمر بن الخطاب عبد الله بن عباس ، وبعد حوار بينهما ، قال ابن عباس لعمر ، استعمل صحيحاً منك

(١) أبو يوسف ، الخراج ، ص ٩٧ ، ١١٠ ، الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص ١٥٠ ، ابن رجب الحنبلي ،

الاستخراج لأحكام الخراج ، ص ١١٨ ، فالج حسين ، الحياة الزراعية ، ص ٨٧ .

(٢) أبو يوسف ، الخراج ، ص ١٠٦ ، ١٠٧ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ١٠٦ ، ١٠٧ .

صحيحاً عليك^(١) ، لأن ذلك ادعى للثقة وأنفى للشك .

وكتب عمر بن الخطاب إلى أهل الشام وغيرهم من أهل الأمصار ، أن يبعثوا إليه رجلاً من أخيرهم وأصلحهم يوليه خراج بلدهم ، ففعلوا ، واستعمل عمر كل واحد من سموه له على خراج بلده^(٢) .

وكان عمر بن الخطاب لا ينفك يستعين بالصحابة على الأعمال ، فقال له أبو عبيدة ، دنست أصحاب رسول الله ﷺ ، فأجابه عمر ، إذا لم استعن بأهل الدين على سلامة ديني فبمن استعين؟ فأشار أبو عبيدة عندها عليه أن يجزل لهم في العطاء والرزق فلا يحتاجون^(٣) .

ولكن بقاء الصحابة على قيد الحياة انتهى على التدرج ، وتزامنت نهايتهم مع أواخر القرن الأول الهجري^(٤) ، غير أن الخلفاء كانوا يتحررون الخصال التي وصف الصحابة بها فيمن يختارونهم عمالاً على الخراج ، قيل لعبد الملك بن مروان ، أمورك مستقيمة والأموال دارة ، والعمال محمودون ، وخراجك موفر^(٥) .

وجاء عن عمر بن عبد العزيز أنه كان يسأل عن سيرة عمر بن الخطاب ليسير بسيرته^(٦) ، وليس من شأن الخلفاء في هذا العصر أن يتخلوا عن سياسة

(١) أبو يوسف ، الخراج ، ص ١٠٦ ، ١٠٧ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٠٦ ، ١٠٧ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ١٠٦ ، ١٠٧ .

(٤) خليفة بن خياط ، التاريخ ، ص ٢٩٢ ، ٣٠٢ ، ٣٠٣ .

(٥) الجهشياري ، أبو عبد الله محمد بن عبدوس (ت ٣٣١هـ/٩٤٣م) ، «الوزراء والكتّاب» ، تحقيق مصطفى السقا ورفقاؤه ، مطبعة البابي الحلبي ، القاهرة ، ط ١ ، ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م ، ص ٤٣ ، وسيشار إليه فيما بعد ، الجهشياري : الوزراء والكتّاب .

(٦) ابن عبد الحكم ، أبو محمد بن عبد الله بن عبد الحكم (ت ٢١٤هـ/٨٢٨م) ، «سيرة عمر بن عبد العزيز» تحقيق أحمد عبيد ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط ٥ ، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م ، ص ١٢٢ ، وسيشار إليه فيما بعد ، ابن عبد الحكم في سيرة عمر بن عبد العزيز .

اختيار أهل الفضل والصلاح ولاة على الخراج ، لأن في تخليهم عن هذه السياسة سبيل إلى ظلم الفلاحين والتعدي على أموال الخراج وخراب عمارة الأرض ، والمعلوم أن الخراج مورد أساس لبيت المال ، ومن الأعمدة التي تقوم الدولة عليها ، فلا يسلم أحد من ولاة الأمر أن يغفل ذلك ولا يضرب على أيدي المفسدين ، ففساد عمال الخراج مأخوذ به ولاة أمر ومنسوب إليهم^(١) .

ولكن المشكلة في مسألة الخراج ، أنها ليست أحادية الجانب ، فهي ليست سياسة الخلفاء في اختيار عمال الخراج فحسب ، وإنما هناك الفلاحون ، وهم طرف عظيم الخطر في المشكلة ، وهم ليسوا سواء في الوفاء والالتزام في أداء ما عليهم من أموال الخراج ، فالتحايل والتشكي والأعذار والأساليب المختلفة للذهاب بقسم من أموال الخراج ثم المظل في الأداء كانت من أخلاق الفلاحين في التعامل مع عمال الخراج ، وعلى سبيل المثال ، قيل أن أهل جوخي في العراق كانوا قوماً مناكير ، فتلاعبوا بحذيفة بن اليمان في المساحة^(٢) .

وإزاء التحايل والمماطلة في الأداء ، كان عمال الخراج يضطرون إلى أن يركبوا الشدة مع أهل الخراج لتحصيل ما عليهم من أموال الخراج ، ولذلك كان عمال الخراج بين حالين ، أما أن يركبوا الشدة مع أهل الخراج فيلحقهم الدم ، وينكر الفقهاء شدتهم وعسفهم ، وأما أن يلينوا لأهل الخراج فينكسر الخراج ، ولذلك كره بعض علية القوم تقلد الخراج وخافوا أن احتاطوا وعسفوا أهل الخراج بالمطالبة تعرضوا للدم ، وأن رفقوا وقصروا في الشدة على أهل الخراج عُجزوا ونقص الخراج^(٣) .

= السيوطي ، الإمام الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م) ، «تاريخ

الخلفاء» ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، ط ١ ،

١٣٧١هـ/١٩٥٢م ، ص ٢٣١ ، وسيشار إليه فيما بعد ، السيوطي : تاريخ الخلفاء .

(١) أبو يوسف ، الخراج ، ص ١٠٨ ، الجهشياري ، الوزراء والكتاب ، ص ٥٠-٥٢ .

(٢) أبو يوسف ، الخراج ، ص ٣٨ .

(٣) الجهشياري ، الوزراء والكتاب ، ص ٣٤ ، ٣٧ ، ٤٩ .

أما بالنسبة لوضع معتملي الأرض أي الفلاحين ، فقد تم التعامل معهم على أنهم أحرار لا عبيد أرض واقنان ، فلما فتح المسلمون العراق ، جاء رؤساء السواد وفيهم ابن الرفيل إلى عمر بن الخطاب مستبشرين بقدوم المسلمين ، ثم شكوا إليه ما كان أهل فارس يفعلون بهم ، ولكنهم خافوا ما بلغهم عن نية المسلمين في استرقاقهم ، فقال لهم عمر ، إن شئتم فالإسلام ، وإن شئتم فالجزية ، فاختار الوفد الجزية (١) .

وباع بعضهم الأرض التي تركت بأيديهم يعملونها ، ولم يتوقف البيع حتى صدر الأمر من قبل عمر بن عبد العزيز بالنهي عن البيع ، وورد ذكرهم في الرواية كأهل ذمة وليسوا عبيداً أو أرقاء ، قال ابن عساكر ، «قال عمر بن عبد العزيز ، هل نهت الولاة قبلي عن شري الأرض من أهل الذمة (٢) .

وجاء وصفهم في الرواية التي ذكرها الجهشيارى ، بغرماء المسلمين ، قال محمد بن مسلم ، وكان خاصاً بالمهدي ، للخليفة المهدي «هم غرماء المسلمين ، فالواجب أن يطالبوا مطالبة الغرماء (٣) أي كمديونين للمسلمين .

وطبقة الأحرار أعلى من طبقة العبيد ، وشعور الأحرار بذاتهم واستقلالهم أقوى ، وقدراتهم على الاجتهاد والابتكار والتجديد أمضى وأنفذ ، ولا يبعد أن يكون لهذه الحالة النفسية لمعتملي الأرض أثر طيب على الإنتاج الزراعي .

وإضافة لما سبق من الكلام عن نظام الخراج على المساحة ، نشير إلى أمرين ، أولهما يتعلق بميزات هذا النظام ، وثانيهما يتعلق بالإصلاح الذي طال الإدارة والمكايل والأوزان والنقود .

أما بالنسبة لميزات نظام الخراج على المساحة ، فمنها ما عاد نفعه على الدولة ، إذ أن هذا النظام وفر دخلاً ثابتاً ومستمراً ونقداً حاضراً في خزائن

(١) ابن رجب الحنبلي ، الاستخراج لأحكام الخراج ، ص ١٠ .

(٢) ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج ٢ ص ١٩٩-٢٠٠ ، ٢٠٧-٢٠٨ .

(٣) الجهشيارى ، الوزراء والكتّاب ، ص ١٤٢-١٤٣ .

الدولة ، إذ أن الضرائب في هذا النظام نقدية في الأغلب ، وليست عينية تحتاج الدولة إلى بيعها^(١) .

ومنها ما عاد نفعه على الزراعة والمزارعين ، فقد شجّع النظام الزراعة والعمل لشعور المزارع بالاطمئنان ، فهو يجد نفسه يجني ثمار عمله واجتهاده ، وتعود إليه فائدته ، فالمحصول ملك له ، يتصرف فيه كما يشاء ولا يكون عرضة طوال الوقت لتهديد الدولة^(٢) .

ولا شك أن الاطمئنان والرضا يكون أكبر إذا لم يحمل المزارع فوق طاقته ، وهو ما حرص ولاة الأمر على تجنبه وتفاديه ، إذ كانوا لا يستقصون في وضع الخراج غاية ما تحتمله الأرض ، وإنما يجعلون للفلاحين بقية يجبرون بها النوائب والحوائج ، ولذلك قوي الناس في معاشهم وصارت يد كل إنسان تمتد إلى ما يملكه وقت حاجته^(٣) ، واندفع الفلاحون إلى استثمار كل أرضهم ، وإصلاح ما عطل منها ، لأن النظام يُلزم العامر المعطل مثل ما يلزم العامر المعتمل ، كما كان بإمكان المزارع أن يزرع تحت الأشجار المثمرة من غير أن يدفع خراجاً زائداً عنها^(٤) ، فالنظام في الظروف العادية من أرفق الأنظمة بالناس وادعائها إلى شعورهم بالحرية وإن كان أكثر الظلم يقع على أهل الحرث^(٥) .

أما بالنسبة لإصلاح الإدارة والموازن والمكايل والنقد ، فقد ساعد تعريب

(١) الرئيس ، محمد ضياء الدين ، «الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية» ، دار الأنصار ، القاهرة ، ط ٤ ،

١٩٧٧م ، ص ٧٦ . وسيشار إليه فيما بعد ، الرئيس : الخراج والنظم المالية .

(٢) الرئيس : الخراج والنظم المالية ، ص ٧٦ .

(٣) الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص ١٤٩ ، ١٧٥ .

(٤) الكبيسي ، حمدان عبد المجيد ، «الخراج : أحكامه ومقاديره» ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ،

بغداد ، ١٤١١هـ/١٩٩١م ، ص ١٥١ ، وسيشار إليه فيما بعد ، الكبيسي ، الخراج : أحكامه ومقاديره

ص ١٥١ .

(٥) ابن حجر ، فتح الباري ، كتاب الحرث والمزارعة ، ج ٥ ، رقم الحديث ٢٣ ، ص ٤-٥ .

الدواوين وبخاصة ديوان الخراج على رفع سوية الإشراف على أعمال الخراج والحسابات المالية ، كما ساعد إصلاح الموازين والمكاييل على ضبط أعمال الكيل والوزن ، وكان المكيال المعروف بالختوم الحجاجي وهو المكيال الذي يعادل الصاع النبوي تمّ تداوله بين الناس ، وعمل ذلك على ضبط المعاملات ومنع الغش ، كما تم سك الدرهم الشرعي والدينار الشرعي وهو المثقال ، وقد نالت هذه العملة الإسلامية درجة عالية من الدقة والضبط ، وأصبحت مدار المبادلات التجارية وأداء الحقوق المالية ، بعدما كانت النقود متفاوتة في المقدار وعرضة للغش والنقص والتزوير ، وكان ذلك من أسباب الخلاف في المعاملات .
وبذلك حلّ الإصلاح النقدي مشكلة الغش وميّزت النقود المغشوشة من الخالصة ، والناقصة من التامة في الوزن ، وعملت تلك الإصلاحات بمجملها على تقليل الخلاف بين أطراف التعامل^(١) .

وبعد هذا ، فإن الناظر فيما جاء في الصفحات السابقة عن نظام الخراج على المساحة ، وطبيعة هذا النظام ومضمونه ، والعوامل الفاعلة فيه والمتعلقة به ، وما صاحبه من الرعاية التي أولتها الدولة إياه ، ليحكم بانتفاع الزراعة به في ظل الأجواء التي عاشها النظام في فترة صدر الإسلام ، وهو انتفاع محمول على الزيادة في الإنتاج الزراعي ، وما يعزّز هذا التوجّه القاضي بزيادة الإنتاج الزراعي أمران :

الأول ، أن مساحة السواد الذي كان يزرع في أواخر أيام الفرس بلغ ١٥٠ مليون جريب ، وكان ارتفاع الخراج ١٥٠ مليون درهم بوزن المثقال وهو الدرهم الوافي .

وما كان يزرع بالمقابل من السواد في أيام عمر بن الخطاب ، كان يبلغ ما بين

(١) انظر : خليفة بن خياط ، التاريخ ص ٣٩٩ ، أبو عبيد ، الأموال ، ص ٦٦٣ ، ٧٠٠-٧٠٢ ، البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٣٣٠ ، الجهشيار ، الوزراء والكتّاب ، ص ٣٨-٤٠ ، ٦٧ ، الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص ١٥٤-١٥٦ ، المقرئ ، الخطط ، ج ١ ، ص ١٨١ .

٣٢ مليون جريب إلى ٣٦ مليون جريب ، وعليه يكون ارتفاع الخراج عن هذه المساحة المزروعة في أيام عمر وبمعيار ارتفاعه أيام الفرس يقع ما بين ٣٢ مليون درهم إلى ٣٦ مليون درهم .

ولكن الارتفاع الفعلي للخراج عن تلك المساحة المزروعة أيام عمر بن الخطاب بلغ ١٢٠ مليون درهم ، وبلغ الارتفاع الفعلي للخراج عن تلك المساحة ١٣٥ مليون درهم في ولاية عبید الله بن زياد والي العراق من قبل معاوية بن أبي سفيان ، وبلغ ١١٨ مليون درهم أيام الحجاج بن يوسف الثقفي والي العراق من قبل عبد الملك بن مروان وابنه الوليد ، وبلغ ١٢٠ مليون درهم أيام الخليفة عمر بن عبد العزيز ، وبلغ ١٠٠ مليون درهم سوى طعام الجند وأرزاق المقاتلة أيام عمر بن هبيرة الفزاري والي العراق من قبل يزيد بن عبد الملك ، وبلغ حوالي ١٠٠ مليون درهم أيام يوسف بن عمر الثقفي الوالي على العراق من قبل هشام بن عبد الملك^(١) ، وهي أرقام تشير إلى أن ارتفاع الخراج عن ارض السواد قد زاد في فترة صدر الإسلام عما كان عليه أيام الفرس ، ولا يمكن عزو هذه الزيادة إلى زيادة الضريبة المفروضة على الفلاحين ، فقد ورد أن عمر بن الخطاب اقتدى بالوضائع التي كان الفرس فرضوها على الفلاحين^(٢) ، وكان الرفق بالفلاحين وعدم تحميلهم فوق طاقتهم غاية عمر ومبتغاه عند فرض الخراج ، وعليه فإن الزيادة تكون معزوة إلى مستوى النشاط الزراعي وزيادة الإنتاج .

ومع أن الشاهد من سواد العراق ، فإن سياسة الدولة في البلدين ، العراق والشام كانت واحدة ، ولا تتخلف ثمار سياسة الدولة في الشام عنها في العراق إلا لأسباب ، ولكنها ، أي الأسباب ، لم تحصل .

والثاني ، أن الناس من ولاة أمر ، ورجال دولة ، وسُراة وأشراف ، وغير ذلك من أصناف الناس اقبلوا على امتلاك الأرض وشرائها ، فقد سأل معاوية بن أبي

(١) الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص ١٧٤-١٧٦ .

(٢) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج ١ ، ص ٢٦٨ .

سفيان ، الوالي على الشام ، الخليفة عثمان بن عفان أن يقطعه أرضاً ليست من قرى أهل الذمة ، ولا من أرض الخراج ، ففعل عثمان .
وسأل ناس من قریش وأشرف العرب معاوية بن أبي سفيان أن يقطعهم من بقايا تلك المزارع ففعل .

ونظر يزيد بن معاوية بن أبي سفيان إلى أرض واسعة في الغوطة ليس لها ماء وباد أهلها ، فأراد أن يوسّع النهر الذي يأخذ الماء من بردى ويمده إلى تلك الأرض ، ولكن أهل الغوطة منعه ، فلما ضمن لهم خراج سنتهم أجابوه ، فوسّع يزيد النهر ومدّه إلى تلك الأرض وهو النهر الذي عرف باسم نهر يزيد^(١) .

وفي خلافة عبد الملك بن مروان ، أقطع عبد الملك من تلك المزارع التي ليست من قرى أهل الذمة ولا من أرض الخراج ، ولما نفذت أقطع أرضاً من أرض الخراج باد أهلها ولم يتركوا عقبا ، وجعلها أرضاً عشرية .

وبلغ الحال أن الناس سألو عبد الملك وابنه الوليد أرضاً من أرض الخراج التي بأيدي أهل الذمة ، فلم يجابوا إلى سؤالهم ، فسأل الناس أن يؤذن لهم في شراء الأرض الخراجية ، فأذن لهم على إدخال أثمانها في بيت المال لتقوية أهل الخراج عند ضعفهم عن أداء عملهم ، وصيرت الأرض عشرية^(٢) .

وأوقف عمر بن عبد العزيز شراء الأرض الخراجية ، وجعل سنة مائة سنة المدة ، فمن اشترى قبلها أرضاً من أرض الخراج ، أجزى الشراء وصيرت الأرض عشرية ، ومن اشترى بعدها ردّ البيع ، ومع أن الخليفة يزيد بن عبد الملك والخليفة هشام بن عبد الملك التزما بذلك ، فإن الناس خرجوا على المنع ووقعت

(١) ابن عساکر ، تاریخ دمشق ، ج ٢ ، ص ٣٦٩ .

العطار ، محمد حسين العطار الدمشقي ، «علم المياه الجارية في مدينة دمشق أو رسالة في علم المياه» ، تحقيق أحمد غسان سبانو ، دار قتيبة ، دمشق ، ط ١ ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م ، ص ٩-١٠ ، وسيشار إليه فيما بعد ، العطار : علم المياه .

(٢) ابن عساکر ، تاریخ دمشق ، ج ٢ ، ص ٢٠٦-٢٠٧ .

بعض الأشرية ، فلما كانت خلافة أبي جعفر المنصور رفعت إليه تلك الأشرية ، فأرسل بعض المعدلين إلى كور الشام ١٤٠هـ أو ١٤١هـ ، فاضطر المعدلون إلى إجازة تلك الأشرية ، وجعلها أرضاً عشرية ، ووضع الخراج على ما بقي من أرض بأيدي النبط^(١) .

وهذا الإقبال من الناس على امتلاك الأرض وشرائها ليدل في بعض معانيه على أن الزراعة أصبحت من مجالات الاستثمار المرغوبة ، ومن ميادين الكسب الجاذبة ، ولا يكون ذلك إلا في ظل زراعة واسعة ، وإنتاج زراعي وفير . ولكن الأيام الأخيرة من سلطان بني أمية شهدت اضطرابات وثورات تركت آثاراً ضارة على الجانب الاقتصادي وألحقت الضرر بمالية الدولة ، ثم زال سلطان بني أمية في المشرق ، وحل العباسيون محلهم ، ولكن مسألة الخراج لم تظل على حالها في ظل الدولة الجديدة ، فقد طالها بعض التغيير ، وبما يلاحظ من معالم التغيير على موضوع الخراج في ظل العباسيين الأوائل كثرة المظالم التي كانت تقع على كاهل الفلاحين ، وقد أشار أبو يوسف إليها في الكتاب الذي قدّمه إلى الخليفة هارون الرشيد ، وهي مظالم وردت الإشارة إلى بعضها في الفترة السابقة ، ولكنها لم تبلغ في الاتساع والتنوع ما بلغت في فترة العباسيين ، ولا شك أن بلاد الشام لم تكن بمنجى عن تلك المظالم التي كان الفلاحون يتعرضون لها من قبل عمال الخراج ، وكان انتقال السلطان من بني أمية إلى بني العباس ، وانتقال حاضرة الخلافة من الشام إلى العراق ، وقيام المعارضة في الشام لسلطان بني العباس ، عوامل ساهمت في معاناة الفلاحين . ومن معالم التغيير على موضوع الخراج ، أن العمل بالخراج على المساحة لم يستمر في فترة العباسيين الأوائل ، فقد ورد أن الناس سألوا أبا جعفر المنصور في آخر خلافته أن يسير بهم في الخراج على أساس المقاسمة ، وقبض أبو جعفر المنصور قبل العمل بالمقاسمة ، فلما قام ابنه محمد المهدي (١٥٨-١٦٩هـ/

(١) ابن عساکر ، تاریخ دمشق ، ج ٢ ، ص ١٩٩-٢٠٠ .

٧٧٤-٧٨٥م) ، مقامه أمر بإتباع المقاسمة^(١) ، ولكن الرواية عن العمل بالمقاسمة ترتبط بالسواد في العراق ، ولا إشارة إلى ما جرى بشأنه في بلاد الشام .
وعن أسباب التحول من العمل بنظام المساحة في استيفاء الخراج إلى نظام المقاسمة ما ذكره الماوردي : قال ، أن السعر نقص فلم تف الغلات بخراجها وخرب السواد^(٢) .

وما يلاحظ أيضاً ما جاء في رسالة الصحابة ، أي صحابة الخليفة ، التي وجهها ابن المقفع إلى أبي جعفر المنصور ، وتضمنت العديد من النصائح ، وما تعلق بالخراج من هذه النصائح محذور تولية الجند أمور الخراج لما في ذلك من المفسدة للمقاتلة والإضرار بالخراج ، فالجند أهل قوة ودالة تمكنهم من الاجترار على الدراهم والدنانير والوقوع في الخيانة^(٣) ، ولكن تداول الأرض وأمر خراجها من قبل الجند ظهر بوضوح بعد عصر العباسيين الأوائل ، وكان من أكبر المفاسد التي أصابت مالية الدولة وأضررت بالفلاحين .

كانت الظروف التي حفلت برخص الأسعار وراء العمل بنظام المقاسمة في الخراج ، ولما وصلت الخلافة إلى هارون الرشيد وتوجه الرشيد إلى القاضي أبي يوسف يسأله عن المال ووجوهه المختلفة ، كان موضوع الخراج من أهم المسائل المالية التي تعرض لها أبو يوسف ، وقد نصح أبو يوسف الخليفة هارون الرشيد بإتباع نظام المقاسمة في استيفاء الخراج ، قال أبو يوسف :

«ولم أجد شيئاً أوفر على بيت المال ، ولا أعفى لأهل الخراج من التظالم فيما بينهم وعمل بعضهم على بعض ، ولا أعفى لهم من عذاب ولاتهم

(١) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٣٣٣ ، قدامة ، الخراج ، ص ٣٦٨ ، ابن رجب الحنبلي ، الاستخراج

لأحكام الخراج ، ص ١٨ ، ٧٢ .

(٢) الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص ١٧٦ .

(٣) محمد كرد علي ، «رسائل البلغاء» ، «رسالة الصحابة لابن المقفع» ، لجنة التأليف والنشر ، القاهرة

١٣٧٤هـ/١٩٥٤م ، ص ١٢٢-١٢٣ ، وسيشار إليه فيما بعد ، محمد كرد علي ، رسائل البلغاء .

وعمالهم من مقاسمة عادلة خفيفة فيها للسلطان رصاً ولأهل الخراج من التظام فيما بينهم وحمل بعضهم على بعض راحة وفضل»^(١) .

وإذا كان هذا الثناء من أبي يوسف على نظام المقاسمة ، فما هو أثر نظام المقاسمة على الإنتاج الزراعي؟ .

لا يعدّ نظام المقاسمة في استيفاء الخراج بأفضل من نظام المساحة ، ولكن الظروف الطارئة التي مر ذكرها هي التي اقتضته ، وإلاّ فإن المقارنة بين النظامين : المقاسمة والمساحة تظهر الملاحظات الآتية :

كان نظام الخراج على المساحة أو ما يعرف بخراج الوظيفة قد اتّبع رفقاً بأهل الخراج ، وحلّ نظام المقاسمة محله رفقاً بأهل الخراج أيضاً عندما وقع الرخص بالأسعار ، وبينما كان نظام الخراج يضمن دخلاً ثابتاً ومستمراً لبيت المال ، فإن نظام المقاسمة يقدّم مواد عينية لبيت المال يتذبذب مقدارها بحسب العوامل الطبيعية والسياسية .

ومن شأن التذبذب أن يعرّض موارد بيت المال من الخراج إلى الانخفاض الذي سيؤثر على مالية الدولة وقدرتها على مستوى القيام بالواجبات الملقاة عليها .

كما كان نظام الخراج على المساحة يدفع الفلاحين إلى استصلاح العامر المعطل واستثماره مثلما يدفعهم إلى استعمال العامل المعتمل ، وذلك لأداء ما عليهم من الخراج للدولة وتوفير ما يلزمهم لسداد حاجاتهم المعيشية والمتطلبات الحياتية الأخرى^(٢) . أما نظام المقاسمة فالدافع الذاتي عند الفلاحين نحو التوسع في الاستثمار ليس قوياً في ظله ، لأن الفلاحين والدولة شركاء في الإنتاج قلّ أو كثر ، وليسوا ملزمين بأداء مقدار محدود ومعين حسابياً ابتداءً . وعلى أية حال ، فلدينا قوائم بارتفاع الخراج في بلاد الشام أيام العباسيين

(١) أبو يوسف ، الخراج ، ص ٤٩-٥٠ .

(٢) انظر : الكبيسي ، الخراج أحكامه ومقاديره ، ص ١٢١ ، ١٥١ .

الأوائل ، ومنها قائمة ترد عند الجهشياري^(١) وتعود إلى أيام الخليفة هارون الرشيد ، وهي تقدم ارتفاع الخراج في بلاد الشام على النحو الآتي :

قنسرين والعواصم	٤٠٠ ألف دينار
حمص	٣٢٠ ألف دينار
دمشق	٤٢٠ ألف دينار
الأردن	٩٦ ألف دينار
فلسطين	٣٢٠ ألف دينار

ومجموع ارتفاع الخراج يساوي ١٦٤٦ ألف دينار أو مليون دينار وستماية وست وأربعين ألف دينار .

ومنها قائمة ترد عند قدامة بن جعفر^(٢) وتعود إلى سنة ٢٠٤ هـ من أيام الخليفة المأمون بن هارون الرشيد وتقدم ارتفاع الخراج في بلاد الشام على النحو الآتي :

قنسرين والعواصم	٣٦٠ ألف دينار
حمص	٢١٨ ألف دينار
دمشق	١١٠ ألف دينار وورد أيضاً ١٥٠ ألف دينار
الأردن	١٠٩ ألف دينار
فلسطين	١٩٥ ألف دينار

ويكون مجموع ارتفاع خراج الشام بحسب هذه القائمة بين ٩٢٢ تسعمائة واثنين وتسعين ألف دينار وبين مليون دينار واثنين وثلاثين ديناراً .

وبما يلاحظ ، أن الفرق واضح بين القائمتين في ارتفاع الخراج بين خلافة

(١) الجهشياري ، الوزراء والكتاب ، ص ٢٨١-٢٨٨ .

(٢) قدامة ، الخراج ، ص ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٨٤ .

الرشيد وولده المأمون ، فمقدار الخراج في خلافة المأمون أقل ، وذلك راجع في الأغلب إلى الاضطرابات السياسية التي شهدتها خلافة المأمون ، كما أن مقدار الخراج أيام الرشيد أقل منه أيام معاوية بن أبي سفيان وأيام مروانين من بعده ، وإذا كان نظام المقاسمة قد عمل به في بلاد الشام أيام العباسيين فيكون نظام المقاسمة شريكاً في المسؤولية عن هذا النقص ، وإذا لم يكن عمل به ، فإن الأوضاع السياسية والعوامل الأخرى تكون في المسؤولية عن النقص شركاء .

الخانات التجارية في مدن الشام ودورها في تسويق المحاصيل الزراعية خلال العصر الإسلامي

عادل محمد زيادة (*)

مقدمة:

اشتهرت مدن الشام بصفة عامة بنشاطها التجاري طوال العصر الإسلامي بسبب مواقعها المهمة على طرق القوافل التجارية وقوافل الحجاج الأمر الذي تطلب إنشاء منازل يلتقي فيها المسافرون والتجار- إضافة للأسواق العامة - وقد أطلق على هذه المنازل العديد من الأسماء منها الوكالات أو القيساريات وأحياناً الفنادق إلى أن غلب عليها اسم الخانات^(١)، ولعبت هذه الخانات التجارية دوراً هاماً ورئيساً في تجارة المحاصيل الزراعية التي كانت ترد إليها من القرى المحيطة بتلك المدن حيث كانت تمثل المنافذ الأساسية لتسويقها وتوزيعها، وقد أصبحت تلك الخانات ذات علاقة وطيدة بالمزارعين ومحاصيلهم التي ينتجونها بل وبما يحتاجونه في حياتهم الزراعية من أسمدة أو أدوات زراعية تعينهم على أداء أعمالهم فكانت سبباً من أسباب النهضة الزراعية في بلاد الشام بصفة عامة^(٢).

(*) المجلس الأعلى للأثار، جمهورية مصر العربية .

(١) حسن زكي الصواف، دمشق أقدم عاصمة في العالم، الطبعة الأولى، دار قتيبة للطباعة والنشر، دمشق ٢٠٠٤م، ص ٣١٣ .

(٢) عفيف بهنسي، عمران الفيحاء، دراسة في تكوين مدينة دمشق، الطبعة الأولى، دار الفكر، دمشق ١٩٩٩م، ص ٦٣ .

ونستدل من وجود تلك الأعداد الكبيرة للخانات التجارية بمدن الشام وحرص المسلمين على تشييدها طوال العصر الإسلامي على نشاط الحركة التجارية بشكل كبير والتي كانت مترتبة في المقام الأول على ازدهار الزراعة وما ينتج عنها من محاصيل وفيرة كان لا بد أن تتوفر لها أماكن لتسويقها .

ولأهمية العلاقة بين الخانات وتجارة المحاصيل الزراعية وعدم توافر مثل تلك الدراسات بالمكتبة العربية سيتناول البحث دراسة عمارة بعض الخانات الباقية بالمدن الشامية التي اختصت بتسويق المحاصيل الزراعية بصفة خاصة ومدى تأهيلها معمارياً وفنياً لأماكن تخزين البضائع وأماكن إقامة التجار المغتربين القادمين من القرى ، وتوضيح ما للفكر الإسلامي المعماري من دور رئيس في إيجاد التوافق بين العمارة والتجارة من ناحية وكيفية التعامل مع المحاصيل والغلال الزراعية من ناحية أخرى ومن خلال هذه المعطيات يمكننا التأكيد على اهتمام المجتمع الشامي بتشجيع الزراعة والمزارعين وتوفير سبيل من أهم سبل تسويق المحاصيل الزراعية مما ساهم في تقدم الحياة الاقتصادية بالبلاد منذ العصر الأموي والعباسي والفاطمي ومن بعده العصرين الزنكي والأيوبي مروراً بكل من العصرين المملوكي والعثماني بما يؤكد على حضارة بلاد الشام والارتباط الوثيق بين حياة المدن ورفقي وازدهار الحياة في القرى . ومن هنا سيركز البحث على محورين أساسيين ، أولهما أنواع الخانات وأهميتها في المجتمع الإسلامي في تيسير العمليات التجارية بين المدن وكذلك توفير المأوى للتجار ودوابهم ، بينما يتناول المحور الثاني عمارة تلك الخانات من خلال دراسة فنية معمارية أثرية لبعض النماذج المتبقية منها في المدن الشامية .

١- نشأة الخانات بمدن الشام وأهميتها:

عُرفت الخانات كمبان تجارية في بلاد الشام منذ مطلع العصر الإسلامي ، ولعل أقدمها ذلك الذي أنشأه الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك عام ١٠٩هـ/٧٢٨م ، على مقربة من قصر الحير الغربي في بادية الشام ليربط بين

مدن العراق والأناضول والشام ، ثم ازدهرت عمارة الخانات وانتشرت في معظم المدن الشامية منذ القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي ، حيث تطلب الاهتمام بالنواحي الاقتصادية الإقبال على تشييدها طوال العصر الإسلامي^(١) .

وكان الموقع المتميز لبعض المدن الشامية على طريق القوافل التجارية عامل هام في أن تلعب دوراً كبيراً كمحطات تجارية ، كما كان لقربها من القرى والمناطق الريفية دور في تسويق المحاصيل الزراعية التي تنتجها تلك القرى ، الأمر الذي تطلب إنشاء منازل يستريح فيها التجار ويعرضون من خلالها بضائعهم المتنوعة والتي كان من أهمها المنتجات الزراعية ، وقد أُطلق على هذه المنازل التي لعبت دوراً هاماً في النشاط الاقتصادي مُسمّيات مختلفة ، وتأصلت هذه المُسمّيات كمصطلحات أساسية شاعت على الألسن ، وتناقلتها كتب الرحلات والتراجم ، وأثبتتها النصوص والوثائق التاريخية ، ومن هذه المسميات : السوق والقيسارية والوكالة وأحياناً الفندق إلى أن غلب عليها اسم الخان .

والسوق مصطلح عربي قديم ويُعد من أول المؤسسات الاقتصادية التي عرفتها المجتمعات الحضرية ، وكان للعرب قبل الإسلام أسواق مشهورة في المدن وخارجها ، اشتهر بعضها كمنتديات ثقافية ، وقد أشارت بعض المعاجم أن السوق سُمّيت سوقاً لأن الناس يقفون فيها على سوقهم وهي كلمة يصح فيها التذكير والتأنيث . وقد نالت الأسواق في مدن بلاد الشام عناية كبيرة من حيث العمران والعمارة ، وتنوعت وظائفها بحسب السلع أو المهن التي اقتصت بها ، وتميز معظمها معمارياً بتغطيته بقباب مبنية بالحجر المنحوت ، ومزودة بفتحات للإضاءة والتهوية ، وتطورت الأسواق حتى أصبحت في العصر العثماني تضم عمائر خدمية أخرى كالمدرسة والمسجد والحمام ، وانتشر هذا النوع في دمشق

(١) أحمد بن أبي يعقوب بن واضح الكاتب اليعقوبي (ت ٢٨٤ هـ / ٨٩٧م) ، تاريخ اليعقوبي ، مطبعة دار

النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٧١م ، ص ١١٤ . سيشار إليه لاحقاً : اليعقوبي ، تاريخ .

مثل سوق البزورية والخياطين والحميدية^(١).

واستُخدمت لفظة القيسارية أيضاً وكانت تُجمع على قيساريات وهي معربة عن الكلمة اللاتينية Caesarum وتعني في الأصل البناء الملكي أو الإمبراطوري ، وهي مشتقة من كلمة Caesar (قيصر) لقب أباطرة الرومان ، وقد استخدم هذا المصطلح منذ العصر الفاطمي حيث ذكر ابن عساكر خبراً عن القيسارية الفخرية التي نسبها ابن تغري بردي إلى الشريف فخر الدين الذي تولي القضاء في دمشق عام ٤٣٤هـ/١٠٤٢م . كما أُطلق هذا المصطلح على المباني ذات الوظيفة الاقتصادية المخصصة للمهن والحرف ، وأحياناً المخصصة لسعة من السلع ، وقد استعملت هذه الكلمة للدلالة على المباني التجارية بصفة عامة في مناطق كانت تحت الحكم البيزنطي مثل بلاد الشام وشمال أفريقيا ثم انتقلت بعد ذلك إلى الأندلس مع الفتوحات الإسلامية ، وكان بعضها لنزول التجار أو لسكن الجاليات الأجنبية ، واختلط الأمر في القرون الأخيرة من العصر الإسلامي حيث أصبح من الصعب التمييز بين القيسارية والخان^(٢).

وشاع استعمال مصطلح «الوكالة» في مصر بصفة خاصة منذ العصر المملوكي ، فأطلق على المؤسسات ذات الصفة التجارية والمهنية كمرادف للخان والقيسارية ، ولم يرد ذكر لاستعماله في المدن الشامية ، إلا أن المحبي أورد ذكر لوكالة من العصر العثماني في دمشق كان يُطلق عليها دار . والوكالة اسم مرادف للخان في عرف المصريين ، بينما مرادفها عند أهل الشام هو القيسارية^(٣).

(١) عبد القادر الريحاوي ، المنشآت الاقتصادية التاريخية ببلاد الشام ، منشورات وزارة الثقافة السورية ، دمشق ١٩٧٩م ، ص ٣٦ . سيشار إلى هذا المرجع عند وروده فيما بعد : الريحاوي ، المنشآت الاقتصادية التاريخية ببلاد الشام .

(٢) صالح لمعي ، التراث المعماري الإسلامي في مصر ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨٤م ، ص ٦١ .

(٣) المحبي ، محمد أمين بن فضل الله المحبي ، (ت ١١١١هـ/١٦٩٩م) ، خلاصة الأثر في أعيان القرن

الحادي عشر ، ج ٤ ، ج ١ ، دار صادر بيروت ، د . ت . ، ص ١٤٧ .

وتعتبر وكالة الغوري في القاهرة أشهر الوكالات التي ترجع للعصر المملوكي ، وتنسب للسلطان قانصوه الغوري الذي شيدها عام ٩١٠هـ / ١٥٠٥م ، وتشبه في عمارتها عمارة الخانات والقيساريات ، وإن كانت تتألف من خمسة طوابق ، بدلاً من طابقين^(١) .

أما الفندق فهي لفظة معربة عن أصل لاتيني اقتبسها العرب خلال الحروب الصليبية ، وأطلق الفندق كمصطلح على المباني التجارية المنشأة داخل المدن ، وعلى محطات القوافل المقامة على الطرق العامة ، وشاع استعماله في بلاد الشام بشكل خاص منذ القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي^(٢) .

ثم يأتي الخان وهو مصطلح فارسي معرب ، ويعني القصر أو المنزل الكبير ، ويرجع ظهوره في المصادر التاريخية إلى القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي ، فقد ذكر البلاذري في حديثه عن أحد الثغور الشامية القريبة من أنطاكية ، أن منازلها كالخانات ، ولعله قصد بالمنازل المنشآت المخصصة لنزول الغرباء^(٣) . وهناك عمائر في بادية الشام من العصر الروماني تعرف بالخانات كخان الحلابات وخان التراب من المرجح أنه أطلق عليها اسم الخانات في وقت متأخر عن عصر بنائها^(٤) .

ومع اختلاف التسميات التي أطلقت على الخانات باختلاف الأزمنة والأقاليم فقد جاءت جميعها تعبيراً عن مبان ذات وظيفة واحدة تقوم بها وهي أن تكون مأوى للتجار الأجانب والقوافل ومخزناً للبضائع والتجارة سواء بالتجزئة

(١) سعاد ماهر ، العمارة الإسلامية عبر العصور ، جزآن ، ج ٢ ، ط ١ ، جدة ١٩٨٥م ، ص ١١٢ .

(٢) الريحاي ، المنشآت الاقتصادية التاريخية ببلاد الشام ، ص ٣٩ .

(٣) الريحاي ، المنشآت الاقتصادية التاريخية ببلاد الشام ، ص ٤٧ .

(٤) رفعت موسى محمد ، الوكالات والبيوت الإسلامية في مصر لعثمانية ، الدار المصرية اللبنانية بالقاهرة ١٩٩٣م ، ص ٢٥ . سيشار إليه عند وروده فيما بعد : محمد ، الوكالات والبيوت الإسلامية .

أو بالجملة ، فقد ذكر المقرئزي أن القبارصة الذين هاجموا مدينة الإسكندرية في عام ٧٨٣هـ/١٣٨١م ، قد أحرقوا كثيراً من الدور والحوانيت والفنادق ، وقال : «إن الملاعين أحرقوا فندق الكيتلانيين ، وفندق الجنويين ، وفندق الموزة ، وفندق المسلمين^(١) . بل حرصت الدولة على أن تُخصَّصَ لأصحاب كل مهنة فندقاً خاصاً بهم ؛ فقد كان هناك فندق لتجار الزيت الشاميين ، وهو فندق طنطاوي في مدينة القاهرة^(٢) . هذا بالإضافة إلى أنها كانت مكاناً لعقد الصفقات التجارية حيث يعرض تجار هذه القوافل بضائعهم في أفنية الخانات لممارسة البيع والشراء أو لتخزينها في حواصل الخان تمهيداً لبيعها لتجار التجزئة في الأسواق المتاخمة للخانات أو إعادة تصديرها إلى بلدان أخرى ، وهي لذلك كانت تمثل مؤسسات تجارية كبيرة خاصة للسلع التجارية^(٣) .

ونظراً للتعالم التي جاء بها الإسلام لينظم حياة الناس اليومية في المعاملات والتي كان من أهمها تشجيع التجارة الحلال والنهي عن الربا أن استدعى هذا الأمر اهتمام المسلمين ببناء المباني التجارية المتمثلة في تلك الخانات إلى جانب شق الطرق التجارية وبناء الجسور لتيسير رحلات التجار المسافرين ، ومن هنا جاء بناؤها لإيواء التجار ودوابهم ليجدوا فيها الراحة والأمان بعد طريق شاق طويل^(٤) .

وقد عُني كبار رجال الدولة ببناء الخانات لإيواء القوافل وأبناء السبيل ،

(١) المقرئزي ، تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي ، (ت ٨٤٥هـ / ١٤٤١م) ، السلوك لمعرفة دول الملوك ،

ج ٥ ، ق ٢ ، ج ٥ ، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور ، مطبعة دار الكتب ، القاهرة ، ١٩٧٠م ، ص ١١٤ .

سيشار إليه عند وروده فيما بعد : المقرئزي ، السلوك .

(٢) المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٤٤ .

(٣) محمد ، الوكالات والبيوت الإسلامية ، ص ٢٥ .

(4) George Michell, *Architecture of the Islamic World*. New York, 1987, p. 80.

سواء بداخل المدن أو على طرق التجارة التي تربط بين المدن وبعضها ، وقد اشتهر الخليفة المستنصر بالله العباسي ببناء الخانات التي خصصها لإيواء الفقراء وأبناء السبيل^(١) ، ومن اشتهر ببنائها أيضاً السلطان نور الدين محمود الذي يُذكر أنه بنى الخانات على الطرق ، فأمنَ الناس ، وحُفظت أموالهم ، ومن أجل ذلك حبسوا لها الأوقاف ضمناً لاستمرار صيانتها وبقائها^(٢) ، وقد بُني معظمها من الحجر على شكل أقرب إلى الحصون والقلاع منه إلى الدور ، خاصة تلك التي شيدت على طرق التجارة خارج محيط المدن ، وكان تخطيطها على هيئة صحن أوسط مكشوف على جوانبه غرف في طابقين وفي أحد جوانب الصحن إسطبلات للدواب ، كما بنيت على طول محيط الإسطبلات من الخارج معالف تُربط عليها الرواحل في الصيف . وقد خصصت غرف الطابق العلوي لمبيت التجار ، على حين كانت تترك الرواحل في الطابق الأرضي .

واللافت للنظر حقاً أن إنشاء الخانات منذ بداية العصر الإسلامي يؤكد على رُقي المدنية الإسلامية واهتمامها بأحوال المسافرين والغرباء ، كما تكمن أهمية هذه الخانات في أنه لما كان ابن السبيل من جملة المستحقين لأموال الزكاة فقد سعت المؤسسة الإدارية الإسلامية لتقديم كل ما يلزمه من طعام وشراب وسكنى ، فكانت الخانات من قبيل المصالح المرسلة التي ابتكرتها الشريعة الإسلامية ، وتطبيقاً رائعاً تميزت به الحضارة الإسلامية على مدار تاريخها الطويل^(٣) .

(١) عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (ت ٧٧٤ هـ / ١٣٧٢ م) ، البداية والنهاية ، ١٥ جزء ، ج ٥ ، الطبعة السابعة ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٨ م ، ص ١٨٦ . سيشار إليه فيما بعد : ابن كثير ، البداية والنهاية .

(٢) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٥ ، ص ٢١٤ .

(٣) فؤاد يحيى ، جرد أثري لخانات دمشق ، مقال بمجلة الحوليات الأثرية العربية السورية ، المجلد الحادي والثلاثون ، سنة ١٩٨١ م ، ص ٦٩ . سيشار إليه فيما بعد : يحيى ، جرد أثري لخانات دمشق .

ومن الخانات ما حمل اسم بانيتها مثل خان أسعد باشا بدمشق ، ومنها ما نُسب إلى جنسية النازلين فيها مثل خان الحماصنة ، الذي كان يفضلته تجار حمص للنزول فيه ، و خان اللاوند والدالاتية نسبة للجند الذين يكثرون في كل منهما ، ومن الخانات ما نُسب إلى السلعة أو الحرفة التي تختص به أو تكثر فيه ، كخان الزيت و خان الرز و خان التُّن و خان الدبس و البطيخ وغيرها .
ومن الواضح أن مصطلح خان قد توسع استخدامه منذ القرن ١٣هـ/١٣م ، ليحل محل كل المسميات التي أطلقت على استراحات المسافرين في الفترات السابقة مثل مصطلح «الدار» الذي شاع في سورية والعراق خلال القرن ١١هـ/١١م للدلالة على هذه الاستراحات ، وكذلك مصطلحا «دار الوكالة» و«سراي القوافل» اللذين كانا يستخدمان للدلالة على استراحات التجار داخل المدن في القرن ١٢هـ/١٢م ، ثم مصطلحا الفندق والقيسارية اللذان شاعا في القرن ١٣هـ/١٣م^(١) .

ولأهمية الخانات تطوّر أمرها في الحضارة الإسلامية ولم يقتصر روادها على التجار فقط أو طلاب العلم المغتربين ، بل وجدنا بعض الخلفاء ينزلون بها في أوقات سفرهم مثلما فعل الخليفة العباسي المعتضد عندما حل ضيفاً على خان الحسين قرب مدينة الإسكندرونة وذلك في عام ٢٨٧هـ/٩٠٠م أثناء تفقده لأحوال الثغور والمدن الشامية^(٢) ، بل اهتم كثير من الخلفاء بتشييد الخانات حتى أصبح الكثير منها تابعاً لإدارة الدولة يُنفق من خلالها على المسافرين والفقراء وطلاب العلم .

لم تكن الخانات متمركزة في عواصم الأقاليم الشامية الكبرى فقط ، بل

(١) أحمد الأبيش و قتيبة الشهابي ، معالم دمشق التاريخية ، دراسة تاريخية ولغوية عن أحيائها ومواقعها القديمة ، تراثها وأصولها واشتقاق أسمائها ، منشورات وزارة الثقافة السورية ، دمشق ١٩٩٦م ، ص ٦٣ .

(٢) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٣ ، ص ٦٣٥ .

وُجدت في كثير من القرى والأقاليم النائية ، وذلك لما شهده العصر الإسلامي من نشاط في الإقبال على تشييدها ، وكان من بين الدوافع إلى ذلك اتساع الرقعة الزراعية ببلاد الشام ومن ثمّ زيادة المحاصيل التي لم يكن هناك من بد في إيجاد منافذ لتسويقها ومن ثمّ وصولها إلى سكان المدن^(١) ، فمن المؤكد أن الخلفاء والأمراء وكبار رجال الدولة اهتموا بتنظيم سقاية الأرض وشق القنوات والأنهار لزيادة رقعة الأرض الزراعية مثلما فعل يزيد بن معاوية عندما أصدر أمراً بشق قناة تصل نهر بردى بالأراضي العالية الواقعة شمال وشرق مدينة دمشق ، وكما فعل هشام بن عبد الملك حينما شق أنهاراً وترعاً قرب الرقة والجزيرة ، حيث أنشأ مزارع كثيرة ، فبلغت غلته أكثر من خراج مملكته^(٢) كما لا يفوتنا التنويه على أن بعض الصناعات في بلاد الشام قد ارتبطت بوفرة الإنتاج الزراعي ، حيث أدت كثرة إنتاج الزهور والورود في الغوطة بدمشق وغيرها من المدن والقرى إلى ازدهار صناعة العطور في بلاد الشام ، كما أن وفرة إنتاج الزيتون أدّى إلى تنشيط صناعة الزيت ، وقد كانت هذه المنتجات تُحمل مع المحاصيل الأخرى إلى الأقاليم المجاورة التي كانت تصدره إلى العديد من الدول من خلال تلك الخانات^(٣) .

وقد أنيط بكل هذه الخانات القيام بدور كبير في تسويق المحاصيل والغلال الزراعية وما كان ينتج عنها من صناعات ، فاستقبلت الخانات محاصيل زراعية

(١) راضي عقدة ، خانات حماة ، الحوليات الأثرية العربية السورية ، مج ٣١ ، ١٩٨١ ، ص ١٢٩-١٤٤ ، ص ١٣٠ .

(٢) محمد بن أحمد بن جببير الكنانى الأندلسى البلسنى (ت ٦١٤هـ/١٢١٧م) ، رحلة ابن جببير ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ، ط ٢ ، ١٩٩٨ ، ص ٢١٦ . سيشار إليه فيما بعد : ابن جببير ، الرحلة .

(٣) أندريو واتسون ، الإبداع الزراعي في بدايات العالم الإسلامي ، ترجمة أحمد الأشقر ، جامعة حلب ، ١٩٨٥ م ، ص ٩٧ . سيشار إليه عند وروده فيما بعد : واتسون ، الإبداع الزراعي .

متنوعة كانت بمثابة الزاد لسكان المدن وغيرهم من الوافدين والمسافرين على طريق الحج الشامي ، في الوقت الذي اعتبرها المزارعون المنفذ الرئيس لتسويق منتجاتهم الزراعية ومن ثم رفع مستوى حياتهم الاقتصادية مما أسهم في الرقي الحضاري والاقتصادي لتلك المدن بصفة عامة^(١) .

١-٢ الخانات الباقية المتخصصة في المحاصيل الزراعية:

عرف الكثير من المدن الشامية تشييد الخانات منذ بداية العصر الإسلامي ، وتفاوتت أعدادها من مدينة لأخرى حسب موقعها وأهميتها سواء على طرق التجارة الدولية أو طرق الحج ، وقد شاركت جميعها في عملية تسويق المحاصيل والغلات الزراعية وكذلك المنتجات الصناعية المتعلقة بالإنتاج الزراعي ، ويؤكد ذلك تلك المسميات التي أطلقت على هذه الخانات والتي من خلالها نستطيع أن نتبين رواج الحركة التجارية نتيجة انتعاش الإنتاج الزراعي ببلاد الشام بصفة عامة . وتعرض الدراسة أهم المدن ببلاد الشام التي شُيدت بها الخانات المتخصصة في تجارة المحاصيل والمنتجات الزراعية .

١-٢ خانات مدينة دمشق

اشتهرت دمشق طوال العصر الإسلامي بنشاطها التجاري بسبب موقعها الهام على طريق القوافل التجارية وقوافل الحجاج وكان النشاط التجاري يتمركز إضافة للأسواق العامة في الخانات ، ويدل العدد الكبير من الخانات التي كانت في دمشق على مدى ازدهار الحياة الاقتصادية والتبادل التجاري بينها وبين المدن الشامية أو العواصم الإسلامية ، وقد أنشئت بها الخانات منذ العصر الأموي واستمر تشييدها خلال العصر العباسي ثم الفاطمي ، وقد أورد بعض المراجع أسماء خانات تعود إلى العصر الزنكي زادت عن العشرين خاناً ، وأسماء

(١) واتسون ، الإبداع الزراعي ، ص ١١٣ .

خانات تعود إلى العصر الأيوبي تزيد عن هذا العدد ، ولم يبق من هذه الخانات اليوم أي أثر . أما الخانات التي أنشئت في العصر المملوكي فقد بلغت مائة وخمسين خاناً بقي منها خان الدكة وخان جقمق فقط ، وشيّد في العصر العثماني الكثير من الخانات بسبب تزايد النشاط التجاري ، وكان عددها في أواخر القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي مائة وتسعة وثلاثين خاناً^(١) ، ومن أشهر خانات دمشق التي كان لها دور فاعل في تسويق المحاصيل والمنتجات الزراعية : خان الحرير الذي شيّده والي دمشق درويش باشا ، ١٥٧٣هـ/ ١٩٨١م ، وخان الزيت ويقع على الجانب الشمالي لسوق مدحت باشا ، وخان التُّن ، والتُّن كلمة تركية معناها التبغ ويبدو أنه خُصص لتجارة التبغ ، وخان الرز الذي يقع في سوق الورق ، وخان الصنوبر ويقع على سوق مدحت باشا ، وخان السلق وخان القطن وخان البطيخ في سوق العتيق^(٢) .

٢-٢ خانات مدينة حلب

ساهمت خانات مدينة حلب بشكل كبير في ازدهار التجارة وتطوير العلاقات التجارية للمدينة مع مختلف مدن الشام ، وقد شهدت مدينة حلب القديمة نمواً تجارياً كبيراً على مدار العصر الإسلامي ، ولم يتبق من خانات حلب القديمة سوى سبعة وعشرين خاناً^(٣) ، نذكر منهم خان الحرير الذي يقع في المنطقة التجارية بين الجامع الكبير والسبع بحرات ، ويعود بناؤه إلى النصف

(١) كارل ولتسينجر ، كارل واتسينجر ، الآثار الإسلامية في مدينة دمشق ، تعريب قاسم طوير ، دمشق

١٩٨٤م ، ص ١٣١ ، ١٣٢ .

(2) Abdul Qader Rihawi, *Damascus. Its History, Development and Artistic Heritage*. Damascus, 1977, pp. 133-135.

(3) Jean Sauvaget, *Esquisse d'une histoire de la ville de Damas. Revue des etudes islamiques*, 1934, p. 63.

الثاني من القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي ، وخان الشونة ويقع بمنطقة القلعة إلى جانب جامع الخسروية من ناحية الشمال وكان وقفاً عليه ، وخان الحبال ويقع في سوق الحبال ، وخان الكتان جنوب خان الوزير ، وكان يعرف بخان السيدة ، وخان البرغل الذي يجاور خان النحاسين ، وخان التُّن الصغير ، وخان التُّن الكبير ، وخان العسل^(١) .

٢-٣ خانات مدينة طرابلس

شهدت مدينة طرابلس بناء ما يقرب من خمسة عشر خاناً خلال العصر المملوكي ، وازدهرت عملية البناء في العصر العثماني حيث شُيد حوالي أربعين خاناً لم يتبق منها في الوقت الحاضر سوى عشرة خانات في حالة سيئة من الحفظ ، وتميزت كل هذه الخانات بنشاطها التجاري على نطاق واسع خلال العصرين المملوكي والعثماني حتى أن معظمها كانت تُصدر من خلاله البضائع إلى بعض المدن والدول الأوروبية^(٢) ، ومن أشهر خانات مدينة طرابلس خان البطيخ ، وخان العدس ، وخان الرز ، وخان الخشب ، وخان الصابون ، وخان العسكر الذي يرجع للقرن السابع أو الثامن الهجري/ الثالث عشر والرابع عشر الميلادي ، وخان الخياطين ويعود إلى القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي^(٣) .

(١) يحيى ، جرد أثري لخانات دمشق ، ص ٧٣ .

(2) Hyatt Salam-Liebich, *The Architecture of the Mamluk City of Tripoli*. Cambridge, MA, 1983, p. 71.

(٣) عمر عبد السلام تدمري ، آثار طرابلس الإسلامية دراسات في التاريخ والعمارة ، دار الإيمان ، طرابلس

١٩٩٤م ، ص ١١ .

٤-٢ خانات مدينة القدس

نظراً للمكانة المقدسة لمدينة القدس خلال العصر الإسلامي فقد استقطبت أفواجاً كثيرة من الناس على اختلاف أطيافهم مما يفسر بناء العديد من الخانات في كافة أنحاءها ، وكان من أهمها خان اللبن الذي يقع على مسافة ٤١ كم إلى الشمال من مدينة القدس في الطريق بينها وبين نابلس ، وخان الوكالة الغربية الذي يقع بالطرف الغربي لمدينة نابلس القديمة^(١) .

٥-٢ خانات مدينة نابلس

تعد مدينة نابلس إحدى أكبر المدن الفلسطينية سكاناً وأهمها موقعاً ونظراً لتميزها الاقتصادي خلال العصر الإسلامي فقد شُيد بها الكثير من الأسواق والخانات لاستقبال تجار القرى الكثيرة التي تحيط بها والتي تميزت بوفرة منتجاتها ومحاصيلها الزراعية مما ساعد على رواج الحركة التجارية بها^(٢) . ومن الخانات التي شيدت بها خان اليسر عرفات الذي بُني سنة ١٠٢٠هـ/١٦٢٠م ويقع في سوق الحدادين وقد اشتهر هذا الخان بتخصصه في تجارة المحاصيل والمنتجات الزراعية بصفة خاصة ، وخان الوكالة الذي يقع في الجزء الغربي من نابلس ويرجع للعصر العثماني وهو من أهم المعالم الأثرية الباقية بهذه المدينة ، والخان الجديد الكائن خلف ساحة المنارة (باب الساحة) وقد أنشأه وأوقفه مناصفة كل من آل طوقان وآل النمر سنة ١٣٢٤هـ/١٩٠٦م^(٣) .

(١) مروان أبو خلف ونظمي الجعبي ، طريق الخانات والصوفية ، دار الوفا ، غزة ، ١٩٩٧م ، ص ١٥٦ ،

. ١٧٨ ، ١٦٣

(٢) بشارة دوماني ، التجار والفلاحون في جبل نابلس ، بيركلي ، مطبعة جامعة كاليفورنيا ، ١٩٩٥م ،

ص ٢٦ .

(٣) محمد عزة دروزة ، مائة عام فلسطينية مذكرات وتسجيلات ، دمشق ، ١٩٩٥م ، ص ٥٦ .

٢- السمات المعمارية للخانات في بلاد الشام

عُرفت الخانات كمبان تجارية في بلاد الشام منذ مطلع العصر الإسلامي ، ولعل أقدمها ذلك الذي أنشأه الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك عام ١٠٩هـ/٧٢٨م ، على مقربة من قصر الحير الغربي في بادية الشام ليربط بين مدن العراق والأناضول والشام ، ثم ازدهرت عمارة الخانات وانتشرت في معظم مدن الشام منذ القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي ، فقد تطلب الاهتمام بالنواحي الاقتصادية الإقبال على تشييدها طوال العصر الإسلامي (١) .

وفي عصر الدولة المملوكية كان هناك الجديد الذي أضافته تلك الدولة في مسار الحضارة الإسلامية ، حيث شُيِّدت خانات خاصة للجاليات الأجنبية الموجودة في مصر والشام من التجار والرحالة مما يدل على اهتمام هذه الحضارة بغير المسلمين من تجار أوروبا وغيرها بل حرصت الدولة على أن تُخصَّصَ لأصحاب كل طائفة خاناً خاصاً بهم (٢) ، مما ساهم أيضاً في التوسع في تسويق المحاصيل والغلات والمنتجات الزراعية ، وتجدر الإشارة إلى أن معظم ما بقي من الخانات في المدن الشامية يرجع إلى العصرين المملوكي والعثماني (٣) .

انتشرت الخانات على طرق القوافل الممتدة بين مدن الشام وبحيث تكون سهلة الوصول لمزارعي القرى المنتشرة بالأرياف الشامية ، وكانت المسافات فيما بين الخانات تحدد بمسيرة يوم أو ما يقرب من ثلاثين كيلومتراً ، وتنقسم الخانات من حيث مواضعها إلى نوعين أساسيين : يختص النوع الأول بالخانات التي

(١) اليعقوبي ، تاريخ ، ص ١١٤ .

(٢) المقرئزي ، السلوك ، ص ١١٤ .

(٣) يحيى ، جرد أثري لخانات دمشق ، ص ٦٦ .

تُبنى على طرق التجارة خارج المدن وتسمى «خانات الطرق»^(١) وهي الخانات التي أقيمت على طرق السفر خارج المدن وكانت تبنى في بادئ الأمر على منابع المياه ومجاري الأنهار وكانت تقدم الخدمات للتجار والرحالة والمسافرين كافة وتوفر لهم الراحة وتجنبهم مشقة ومخاطر السفر ليلاً^(٢). ويعرف النوع الثاني باسم خانات المدن وهي التي تُبنى داخل المدن على شكل عمائر تشبه الأسواق وتكملها وترتبط بها وتقوم بوظائف مساعدة لها، وتشارك في الوقت ذاته مع خانات الطرق فيما تقدمه من خدمات^(٣). وهناك خانات بُنيت في السهول وأخرى شُيدت في الجبال وتميزت الأولى باتساع مساحاتها عن الثانية، كما اختلفت خانات المدن الباردة في تخطيطها عن تلك التي بُنيت في المدن

(١) يذكر ابن جبير في رحلته: «ونزلنا بقرية كبيرة للنصارى المعاهدين تعرف «بالقارة» وليس فيها من المسلمين أحد وبها خان كبير مشيد في وسطه صهريج كبير مملوء يتسرب له تحت الأرض من عين على البعد فهو لا يزال ملآن فأرحنا بالخان المذكور إلى الظهر ثم رحلنا منه إلى قرية تعرف (بالنبك) بها ماء جار ومحرث متسع فنزلنا بها للتعشية ثم رحلنا منه بعد اختلاس تهوية خفيفة وأسرينا الليل كله فوصلنا إلى (خان السلطان) مع الصباح وهو خان بناه صلاح الدين صاحب الشام وهو في نهاية الوثيقة والحسن بباب حديد على سبيلهم في بناء خانات هذه الطرق كلها واحتفالهم في تشييدها وفي هذا الخان ماء جار يتسرب إلى سقاية صغيرة مستديرة حول الصهريج ثم يغوص في سرب في الأرض والطريق من حمص إلى دمشق قليل العمارة إلا في ثلاثة مواضع أو أربعة منها هذه الخانات المذكورة فأقمنا يوم الأربعاء الثالث والعشرين لربيع المذكور بالخان المذكور مريحين ومستدركين للثوم إلى أول الظهر»، راجع: ابن جبير، الرحلة، ص ٢١٦.

(٢) محمد، الوكالات والبيوت الإسلامية، ص ٢٧.

(٣) غزوان ياغي، خانات الشام مقاصد التجار، مقال بمجلة الباحثون، العدد الحادي والثلاثون، كانون الثاني سنة ٢٠١٠م، دمشق، ص ٣٦، سيشار إليه عند وروده فيما بعد: ياغي، خانات الشام؛ محمد، الوكالات والبيوت الإسلامية، ص ٢٩.

الحارة^(١). وتضم الخانات الكثير من الفراغات الأساسية المشتركة بين النوعين المشار إليهما فهناك مستودعات لحفظ البضائع وغرف لإقامة النزلاء ، وإسطبلات مختلفة لإيواء العربات والحيوانات وإلى جانب ذلك هناك الفسقية في وسط الصحن بالإضافة إلى مشرب الدواب^(٢).

وقد انحصرت تخطيطات الخانات في العصر الإسلامي بمدن الشام في تصميمين رئيسين : الأول إيراني المنشأ ذوقاعات متطاولة متعامدة على الصحن المركزي تطورت بعد ذلك لتكون على هيئة الإيوانات ، والتصميم الثاني يرجع لبلاد الشام وهو عبارة عن صحن مركزي تحيط به أروقة تتقدم حجرات تخزين وعرض البضائع وكذلك الحجرات الخاصة بالنزلاء^(٣) ، وقد حرص الفكر الإسلامي المعماري في مختلف الطرز والتصميمات التي شُيدت على أساسها الخانات على تلبية احتياجات التجار وبضائعهم ودوابهم ، وكذلك راحة المسافرين من الفئات الأخرى ، وتسهيل قيامهم بعملية بيع سلعهم أو تخزينها^(٤).

تميزت معظم الخانات بالمدن الشامية بأنها ذات مسقط مربع أو مستطيل يتوسطه فناء واسع مكشوف تطل عليه أربعة أضلاع بطابقين أرضي وأول يصل ارتفاعهما إلى ثمانية أمتار ، وتجدر الإشارة إلى أن الخانات التي تعود إلى القرنين السابع عشر والثامن عشر قد غُطيت صحنونها بالقباب لاتقاء العوامل الجوية الأمر الذي ساعد على الإفادة في تخزين البضائع بشكل آمن . يحتوي الطابق

(1) Abdul Qader Rihawi, *Arabic Islamic Architecture. Its Characteristics and Traces in Syria*.

Damascus, 1979, p. 233.

(٢) محمد علام فوزي ، الخصائص المعمارية للخانات الإسلامية ، نابلس ٢٠٠٨م ، ص ٢٦ .

(3) Rihawi, *Damascus*, pp. 133-135.

(٤) ياغي ، خانات الشام ، ص ٣٧ .

الأرضي في الخان على غرف واسعة ومناسبة لتخزين البضائع ، إضافة إلى وجود مسجد صغير كان في العادة يتوسط صحن الخان أو في أحد أركانه ، إلى جانب إسطبل واسع ، بينما يحتوي الطابق الأول على غرف صغيرة تفتح على رواق يتقدمها ويلتف في الوقت ذاته حول الأضلاع الأربعة للخان ويطل على الصحن بعقود محمولة على دعائم ، وتستخدم هذه الغرف للنوم حيث أُعدت لنزول التجار والأغنياء والوجهاء ، وكذلك لإيواء المسافرين والناس العاديين ، وتميزت هذه الغرف في معظم الخانات الشامية بتغطيتها بقباب ضحلة ، وجاءت الواجهات الخارجية للخانات مرتفعة حصينة تؤمن حماية من فيها من اللصوص والشذاذ ، ولذلك بُنيت الخانات بمدخل وحيد ضخم ، يسمح بدخول القوافل يغلق عليه مصراع خشبي كبير مصفح بالواح النحاس وتتخلله خوخة ، وهو يشبه إلى حد كبير أبواب الحصون^(١) .

وكما سبقت الإشارة إلى أن معظم المدن الشامية قد احتفظت بالكثير من الخانات التي شُيدت في فترات مختلفة خلال العصر الإسلامي وتخصص عدد كبير منها في استقبال تجار القرى المحيطة بالمدن وبضائعهم من المحاصيل الزراعية ومنتجاتها فستتناول الدراسة نماذج لهذه الخانات بكل من دمشق وطرابلس والقدس ونابلس .

٣-١ خان الرزُّبدمشق

يقع خان الرز داخل أسوار مدينة دمشق القديمة في منتصف سوق مدحت باشا على يسار الداخل إلى جادة سوق الصقالين ، يحده شمالاً خان أسعد باشا العظم ويفصل بينهما جادة سوق الصقالين ، بينما تطل واجهته الرئيسة على سوق مدحت باشا من جهة الجنوب ، ويتاخمه شرقاً بعض البيوت والمحال

(١) عرفان سامي ، نظرية الوظيفية في العمارة الإسلامية ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، ١٩٦٦م ، ص ٥٤ -

التجارية القديمة ، وبجھته الغربية سوق البزورية^(١) (خريطة رقم ١ ، لوحة رقم ١) .
وخان الرز من خانات العصر العثماني المتأخر حيث يرجع تاريخ إنشائه حسب
بعض المصادر التاريخية إلى عام ١٣١٧هـ / ١٨٩٩م . وقد عُرف الخان باسم خان
الرز لاختصاصه بتجارة الأرز والبرغل وأنواع أخرى من الحبوب ، ولذلك أُعد
الخان لاستقبال تجار القرى يقيمون فيه ويعرضون بضائعهم لبيعها في أسواق
دمشق ، ثم فقد الخان أهميته في نهايات القرن العشرين عندما تحول نشاطه عن
ذلك لأمر أخرى^(٢) .

بُني الخان من الحجر الأبلق ، ويشغل واجهته الرئيسة بوابة ضخمة تقع في
دخلة معقودة بعقد نصف دائري ، ويغلق على البوابة مصراعان خشبيان
مصفحان ويفتح بأحدهما خوذة لدخول وخروج الأشخاص عند غلق
المصراعين (لوحة رقم ٢) ، يفضي الباب إلى دهليز مستطيل مغطى بقبو حجري
متقاطع يؤدي مباشرة إلى صحن الخان ، وهو مستطيل المسقط تعلوه قبتان
متماثلتان بُنيتا من الأجر ، وترتكز كل منهما على عقود حجرية ضخمة (لوحة
رقم ٣) تسمح بوجود ممر يتقدم غرف التجار بالطابق العلوي ، يفتح بنخوذة كل من
القبتين أربع نوافذ معقودة تسمح بالإضاءة والتهوية إلى جانب فانوس بقطب كل
منهما لنفس الغرض . وتتوزع حجرات ومستودعات خزن البضائع على جانبي
الصحن وهي عبارة عن حجرات مستطيلة متجاورة تفتح بها نوافذ معقودة مطلة
على الصحن . ويشغل الطابق الثاني عدة غرف متراسة على الجوانب الأربعة
لأعلى الصحن لكل منها باب معقود بعقد مدبب وهي حجرات مستطيلة
صغيرة المساحة كانت مجهزة لاستقبال التجار الوافدين .

(١) أكرم حسن العلي ، خطط دمشق ، دراسة تاريخية شاملة على مدى ألف عام ، الطبعة الأولى ، دار
الطباع للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق ، ١٩٨٩م ، ص ٤٨٧ . سيشار إليه عند وروده فيما بعد :
العلي ، الخطط .

(٢) عبد القادر الريحاوي ، روائع التراث في دمشق ، منشورات وزارة الثقافة ، ١٩٩٤م ، ص ٢١٤ .

٣-٢ خان الزيت بدمشق

يقع خان الزيت داخل أسوار دمشق القديمة في بداية الشارع المستقيم المعروف بسوق مدحت باشا، وهو على يسار الداخل بعد خان الدكة، يحده شرقاً خان جقمق، وغرباً خان الدكة، ويطل بواجهته الرئيسة جنوباً على سوق مدحت باشا^(١) (خريطة رقم ٢، لوحة رقم ٤). ويُعدُّ خان الزيت أقدم خانات العصر العثماني بمدينة دمشق القديمة، وقد بُني على يد حسن باشا الشوريزي بأمر من الوزير الأعظم سياغوش باشا ويعود تاريخ إنشائه إلى سنة ١٥٨٧م/٩٩٥هـ^(٢). وتعود تسمية هذا الخان بخان الزيت لكونه محط رحال تجار الزيتون والزيت ولتخصصه في بيع كافة أنواع الزيتون والزيتون، وهو يحتل مساحة كبيرة نظراً لاحتوائه على حواصل كثيرة لتخزين وعرض الزيتون وأخرى لزيت الزيتون وعصره، وروعت نظرية الوظيفية في تصميم الخان وتقسيم غرفه للملائمة النشاط التجاري الذي يقوم به حيث تتوافد عليه جميع أنواع الزيتون من عدة مناطق في بلاد الشام مثل المعصمية، وعرطوز، ومن منطقة سلقين والكناية في إدلب ومنطقة عفرين في حلب، وكذلك من القرى الشامية بفلسطين، ونظراً لضرورة سرعة عصر الزيتون بمجرد وصوله إلى الخان حرص المعمار على توفير قاعة للمعصرة بالخان للقيام بهذه المهمة^(٣).

تشرف واجهة الخان المبنية من الحجر الأبلق على سوق مدحت باشا ببوابة ضخمة يغلق عليها مصراعان خشبيان مصفحان بألواح الحديد يفتح بأحدهما خوخة (لوحة رقم ٥)، ويؤدي الباب إلى دهليز مستطيل مسقوف بقبوين مروحين، ويفتح ببدايته على الجانبين الشرقي والغربي بابان يؤدي كل منهما

(١) العلي، الخطط، ص ٤٨٢.

(٢) المحبي، خلاصة الأثر، ج ٢، ص ٢٥.

(٣) صلاح الدين المنجد، خطط دمشق، نصوص ودراسات في تاريخ دمشق الطبوغرافي وأثارها القديمة،

المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٤٩م، ص ٦٦.

إلى سلم صاعد للطابق الثاني من الخان (لوحة رقم ٦) ، وينتهي الدهليز المسقوف بقبوين مروحين (لوحة رقم ٧) جهة الشمال بفتحة متسعة معقودة بعقد مدبب تفضي مباشرة إلى صحن مربع مكشوف تتوسطه فسقية مربعة (لوحة رقم ٩) ، ويحيط بالصحن أربع بائكات محمولة على دعائم حجرية ترتكز عليها عقود مدببة وتمثل كل بائكة واجهة لرواق يطل على الصحن ويتقدم في الوقت ذاته صف من الحواصل لكل منها باب معقود يفتح على الرواق بالإضافة إلى نافذة معقودة أيضاً بعقد مدبب ، يسقف كل حاصل من هذه الحواصل سقف خشبي ، بينما قُسم سقف الرواق إلى مناطق مربعة يغطي كل منها قبو مروحي (لوحة رقم ٨) .

يتقدم كل جانب من الجوانب الأربعة المحيطة بالصحن للطابق العلوي رواق يطل على الصحن المكشوف ببائكة مكونة من أربعة عقود نصف دائرية محمولة على دعائم تقسم الرواق إلى أربع مناطق مربعة يغطي كل منها قبة ذات قطاع نصف دائري (لوحة رقم ١٠) ، أما الجانب الداخلي للرواق فيشتمل على أربع حجرات متشابهة تفتح كل منها على الرواق بباب معقود بجانبه نافذة معقودة هي الأخرى ويسقف كل حجرة قبة مشابهة لقباب الرواق .

٣-٣ خان الصابون بطرابلس

عُرف خان الصابون كأول مركز تجاري بمدينة طرابلس قرب نهاية القرن الخامس عشر الميلادي ، فقد بناه والي طرابلس يوسف بك سيفاً عام ١٤٨٠م في قلب سوق الذهب بمدينة طرابلس عاصمة الشمال اللبناني . وكان هذا الخان يستعمل في البداية كثكنة عسكرية للجيش العثماني مما يفسر بناءه في وسط المدينة لتسهيل عملية المراقبة وحماية الباشا والجيش ، ثم تحول نشاطه إلى مصنع للصابون مما استدعى إلى استقطابه لأنواع خاصة من النباتات العطرية والبذور التي يُستخرج منها الزيوت المستخدمة في صناعة الصابون والتي اشتهر الخان بتجاريتها ، وقد ذاع صيت هذا الخان في أنحاء كثيرة من أوروبا بسبب

رواج تجارة النباتات العطرية والصابون من خلال التجار الأوربيين^(١) .
يتبع الخان في تخطيطه وتصميمه المعماري والفني تصميم وتخطيط الخانات المنتشرة في مدن الشام والتي ترجع للعصر العثماني حيث بُني من الحجر ويشغل واجهته بوابة ضخمة معقودة بعقد مدب يغلق عليها مصراعان خشبيان يرجعان لعصر الإنشاء ويفتح بكل منهما خوخة (لوحة رقم ١٥) ، تعلوه نافذتان يتوج أعلى كل منهما عقد مدبب مصمت ، يعلوهما ثلاث نوافذ متماثلة كل منها معقودة بعقد مدبب . يؤدي الباب من خلال دهليز مستطيل يسقفه قبو مروحي إلى صحن مستطيل مكشوف يتوسطه فسقية (لوحة رقم ١١) ، ويحيط بالصحن من ثلاث جهات مبنى من طابقين بينما يتكون الجانب الرابع والذي يقع به باب الدخول من ثلاثة طوابق (لوحة رقم ١٢) ويختلف في تصميمه المعماري عن الجوانب الثلاثة المشار إليها والتي يتكون كل جانب منها من صف من الحواصل المتسعة نسبياً والتي كانت تستخدم لتخزين وعرض النباتات العطرية والطبية ، ولكل حاصل منها باب معقود بعقد مدبب على جانبه من أعلى نافذة معقودة أيضاً لتوفير الإضاءة والتهوية داخل الحاصل . يتقدم صف الحواصل رواق يطل على الصحن الأوسط ببائكة من العقود المدببة ترتكز أرجلها على دعائم حجرية (لوحة رقم ١٤) ، وينقسم الرواق إلى مناطق مربعة متجاورة يسقف كل منها قبو حجري متقاطع (لوحة رقم ١٢) .
ويتكون الطابق الثاني في كل جانب من الجوانب الثلاثة المشار إليها من صف من الحجرات المعدة لاستقبال التجار أو المسافرين لكل منها باب معقود بعقد مدبب ويسقفها سقف خشبي مسطح ، ويتقدم صف الحجرات رواق يطل على الصحن ببائكة من العقود نصف الدائرية تركز من جهة الصحن على دعائم حجرية ومن الجهة الداخلية على جدار واجهة الحجرات .
أما الجانب الرابع المطل على الصحن فيتوسطه فتحة متسعة معقودة بعقد

(1) Salam-Liebich, *Architecture*, p. 124.

مدبب في نهاية دهليز المدخل مقابل باب الدخول كان يوجد على جانبيها رواق يطل على الصحن يشبه الأروقة المشار إليها سُدت حالياً معظم عقوده وذلك بسبب تغيير الوظيفة التي كان يقوم بها الخان ، ويتكون كل من الطابقين الثاني والثالث من حجرات متجاورة يفتح بكل منها نافذة مستطيلة تطل على (لوحة رقم ١٣) .

٣-٤ خان الوكالة بمدينة نابلس

يُعتبر خان الوكالة واحداً من المعالم الأثرية الهامة الباقية في مدينة نابلس ويقع في الجزء الغربي لها ويرجع تاريخه للعصر العثماني (١) .

يتميز خان الوكالة بين خانات المدن الشامية بواجهته التي تشتمل على عدد من الحوانيت ، كما أن مدخله لم يتوسط الواجهة كما كان سائداً في مداخل الخانات الأخرى المنتشرة بمدن الشام . يؤدي المدخل إل صحن مكشوف غير منتظم الأضلاع مما يميزه أيضاً بتخطيط لم يكن متبعاً في عمارة الخانات حيث اعتدنا على وجود الصحن المستطيل أو المربع ، وعلى غرار ما كان متبعاً في الخانات كان صحن خان الوكالة يشتمل على فسقية وكذلك مسجد صغير . يحيط بالصحن من جهاته الأربع مبنى مكون من ثلاثة طوابق ، ويتقدم كل جهة من جهاته رواق يطل عليه ببائكة من العقود المدببة محمولة على دعائم ، يليها إلى الداخل صف من الغرف المُعدّة لتخزين وعرض البضائع ، وأخرى تستعمل كأسطبل للدواب ، سُفّف بعض الغرف بقبو حجري نصف برميلي والبعض بقبو متقاطع ، ويتشابه الطابقان العلويان مع الطابق السفلي غير أن حجراتهما قد أُعدت لاستقبال التجار وغيرهم من الوافدين على الخان (لوحة رقم ١٦) .

(١) إحسان النمر، تاريخ جبل نابلس والبلقاء، ٤٤، ج، مطبعة جمعية عمال المطابع، نابلس، ج٤،

٣- النتائج

نظراً لأن عمارة الخانات التجارية بصفة عامة وكذلك المتخصصة في تجارة المحاصيل الزراعية بصفة خاصة لم تحظ بالقدر الكافي من البحث والدراسة من جانب الباحثين في التاريخ والآثار ، ونظراً لقلة المعلومات الواردة عن الخانات في بطون الكتب القديمة إلا من بعض الشذرات التي لا تفي بما يساعد على البحث في هذا الموضوع ، استطاعت هذه الدراسة التوصل من خلال منهجية المقارنة بين الخانات من حيث مسمياتها وأسلوب تخطيطها وعمارتها وكذلك عن طريق الاستنتاج في أحيان كثيرة إلى النتائج الآتية :

✽ شاركت خانات مدن الشام في تسويق المحاصيل والمنتجات الزراعية بما كان له أثره الإيجابي على زيادة الإنتاج الزراعي بصفة عامة في القرى الشامية ، وكذلك ازدهار الحياة الاقتصادية وانعكس ذلك بطبيعة الحال على الحياة الاجتماعية في المدن الشامية .

✽ حرص المعمار والفكر الإسلامي المعماري على تصميم مخطط وعمارة الخانات المتخصصة في تجارة المحاصيل والمنتجات الزراعية على توفير الحواصل والقاعات المناسبة التي تتماشى وطبيعة هذا النوع من التجارة ، وتوفير قاعات أخرى لاستيعاب الميكنة اللازمة لتصنيع بعض المنتجات الزراعية كمعاصر الزيتون وأدوات استخلاص الزيوت وآلات صناعة الصابون وغيرها ، هذا إلى جانب الحرص على اشتغال الخانات على اسطبلات للدواب الخاصة بالتجار الوافدين من مفهوم رعاية المسلمين للحيوانات .

✽ اتبعت خانات مدن الشام المتخصصة في تجارة المحاصيل الزراعية المعايير القياسية في تخطيط الخانات من حيث اشتغالها على العديد من الغرف وتعدد طوابقها ، والحرص على العامل النفسي وذلك بإيجاد عناصر الفن الجمالية المتمثلة في الفسقية التي تتوسط صحن الخان وكذلك أشكال عقود البوائك وزخرفة الواجهات واستعمال الحجر الأبلق والمشهد .

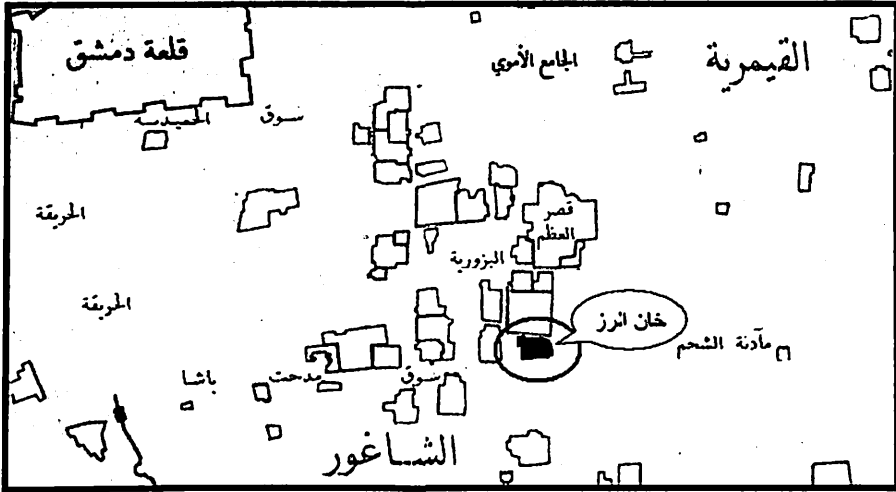
٣- توصية

من خلال الدراسة الميدانية والنظرية للخانات بمدن الشام والوقوف على الأوضاع الراهنة لها من تعرضها للانهدام والهدم ومن ثم تقلص أعدادها ثم انقراضها توصي الدراسة بالاهتمام بذلك التراث المعماري والعمل على ترميمه وإعادة تأهيله ومن ثم الحفاظ عليه في سبيل تطبيق مبدأ الاستدامة .

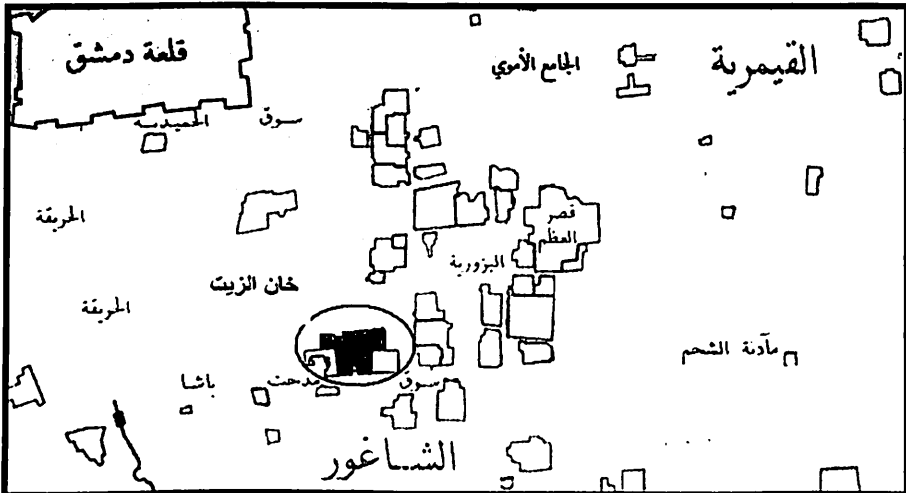
بيان الخرائط واللوحات:

- خريطة رقم (١) موقع خان الرز بدمشق .
- خريطة رقم (٢) خان الزيت بدمشق .
- لوحة رقم (١) دمشق : منظر عام يوضح موقع خان الرز .
- لوحة رقم (٢) دمشق : بوابة خان الرز .
- لوحة رقم (٣) دمشق : جانب من جوانب خان الرز من الداخل .
- لوحة رقم (٤) دمشق : موقع خان الزيت .
- لوحة رقم (٥) دمشق : بوابة خان الزيت .
- لوحة رقم (٦) دمشق : خان الزيت - السلم الصاعد إلى الطابق الثاني .
- لوحة رقم (٧) دمشق : خان الزيت - قبو مروحي يغطي دهليز المدخل .
- لوحة رقم (٨) دمشق : خان الزيت - الرواق الشرقي للطابق الأرضي .
- لوحة رقم (٩) دمشق : خان الزيت - صحن الخان والفسقية بوسطه .
- لوحة رقم (١٠) دمشق : خان الزيت - الجانب الشمالي لطبقي الخان .
- لوحة رقم (١١) طرابلس : صحن خان الصابون والمباني المحيطة به .
- لوحة رقم (١٢) طرابلس : أحد أروقة الطابق الأرضي المطل على الصحن .
- لوحة رقم (١٣) طرابلس : خان الصابون - باب الدخول والجانب المطل على الصحن .
- لوحة رقم (١٤) طرابلس : خان الصابون - الأروقة المطل على الصحن .
- لوحة رقم (١٥) طرابلس : واجهة خان الصابون - رسم لأحد الرحالة الأوروبيين .
- لوحة رقم (١٦) غزة : صورة قديمة لخان الوكالة .

الخرائط والأشكال

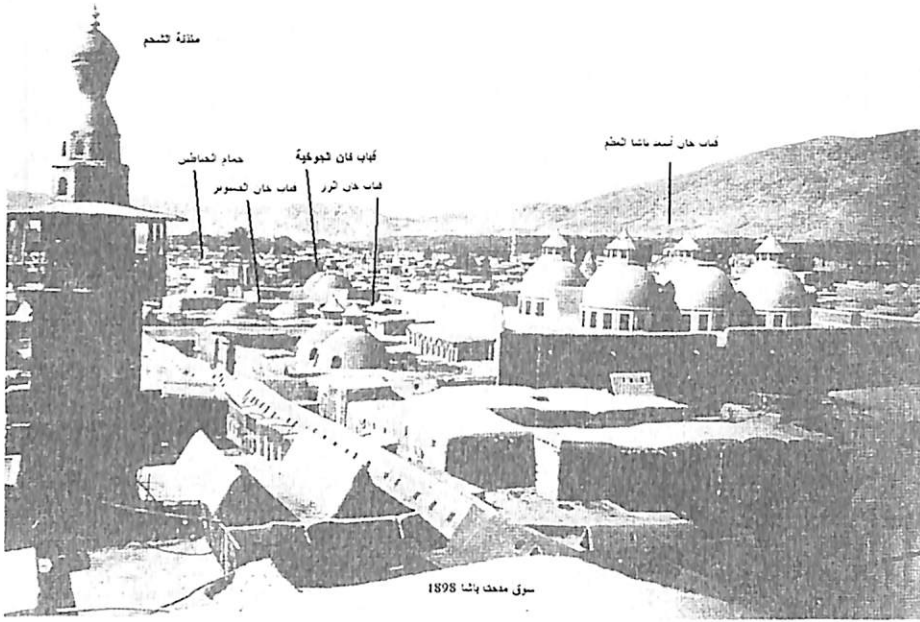


خريطة رقم (١) موقع خان الرز بدمشق .

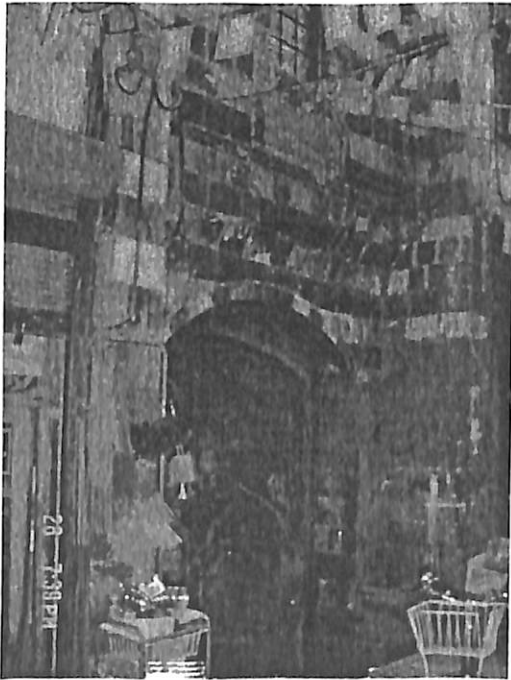


خريطة رقم (٢) خان الزيت بدمشق .

اللوحات



لوحة رقم (١) دمشق : منظر عام يوضح موقع خان الرز .



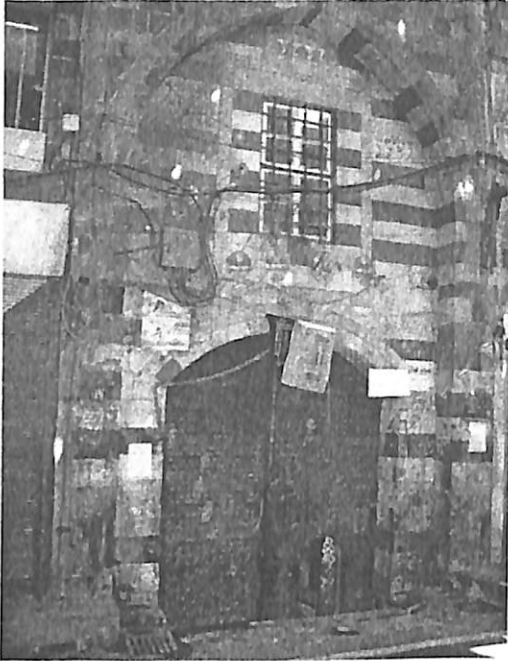
لوحة رقم (٢) دمشق : بوابة خان الرز .



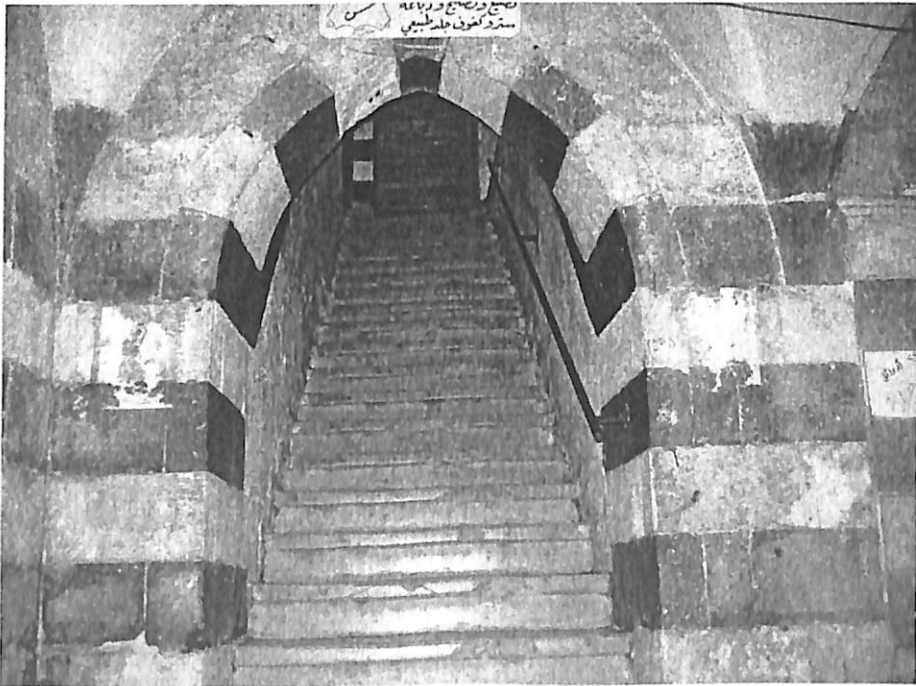
لوحة رقم (٣) دمشق : جانب من جوانب خان الرز من الداخل .



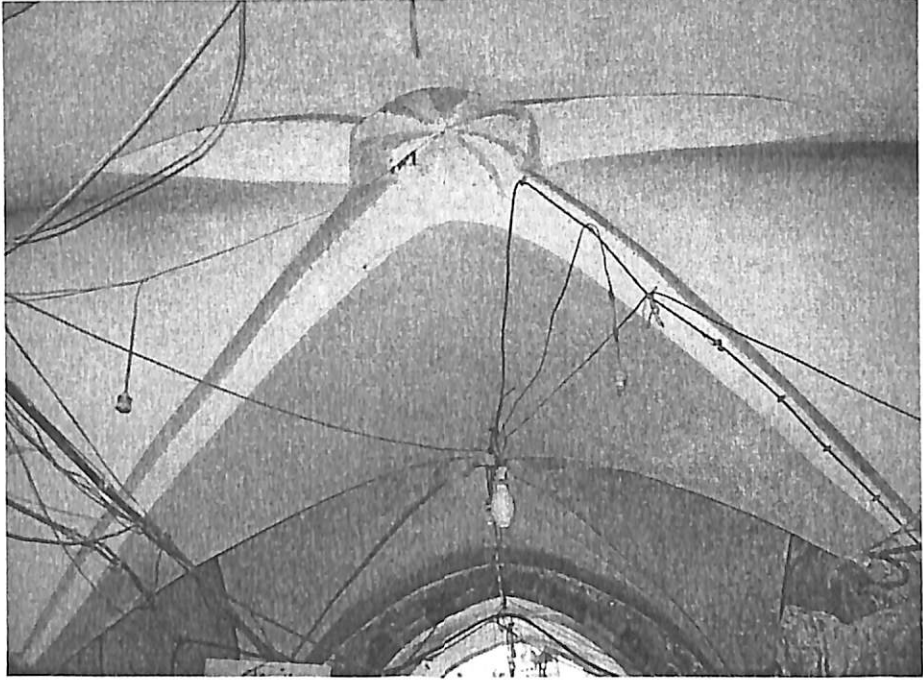
لوحة رقم (٤) دمشق : موقع خان الزيت .



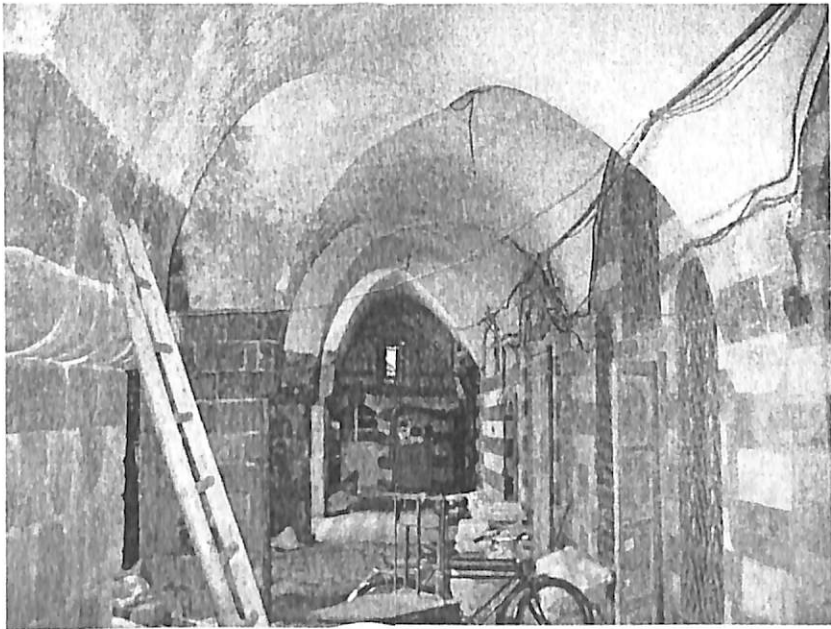
لوحة رقم (٥) دمشق : بوابة خان
الزيت .



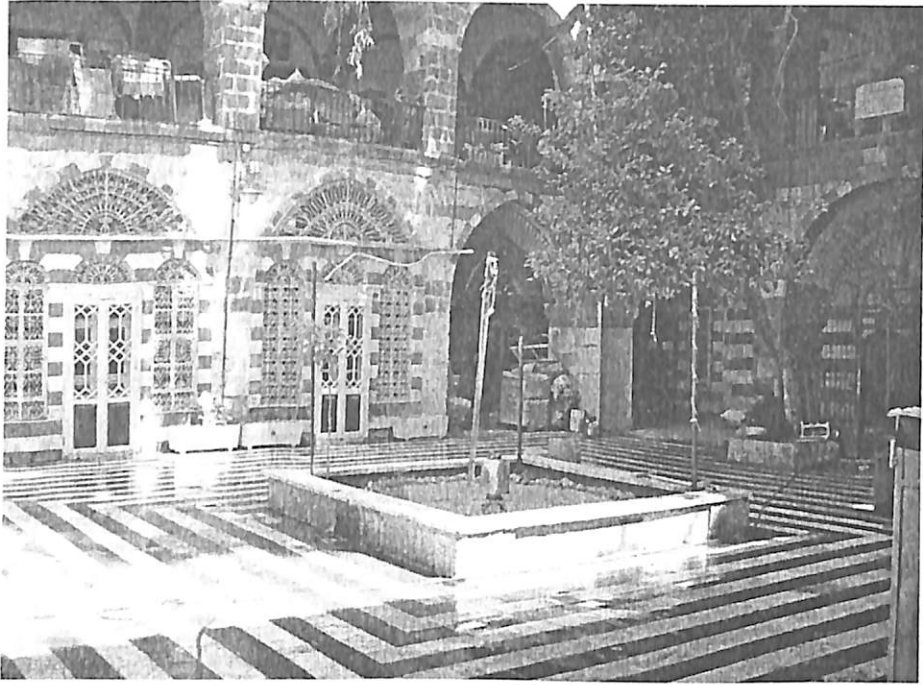
لوحة رقم (٦) دمشق : خان الزيت - السلم الصاعد إلى الطابق الثاني .



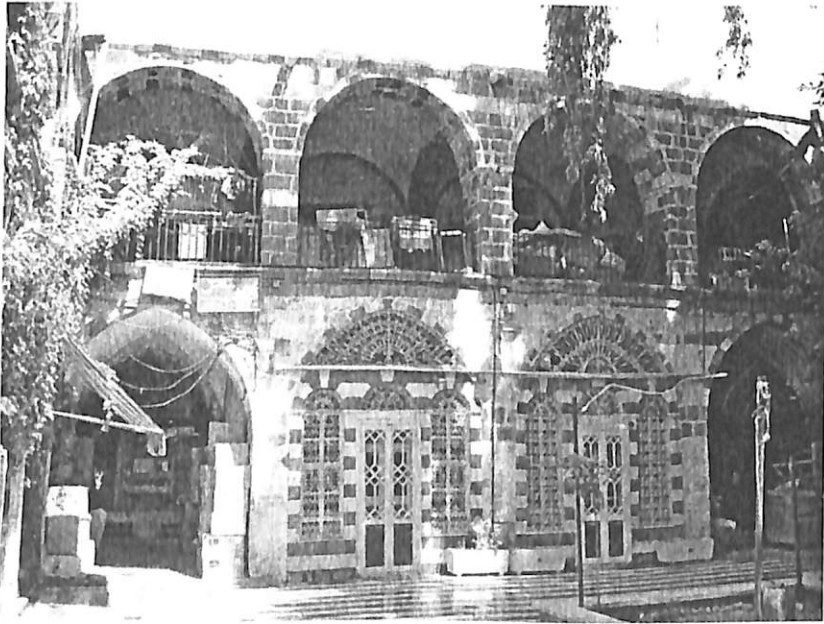
لوحة رقم (٧) دمشق : خان الزيت - قبو مروحي يغطي دهليز المدخل .



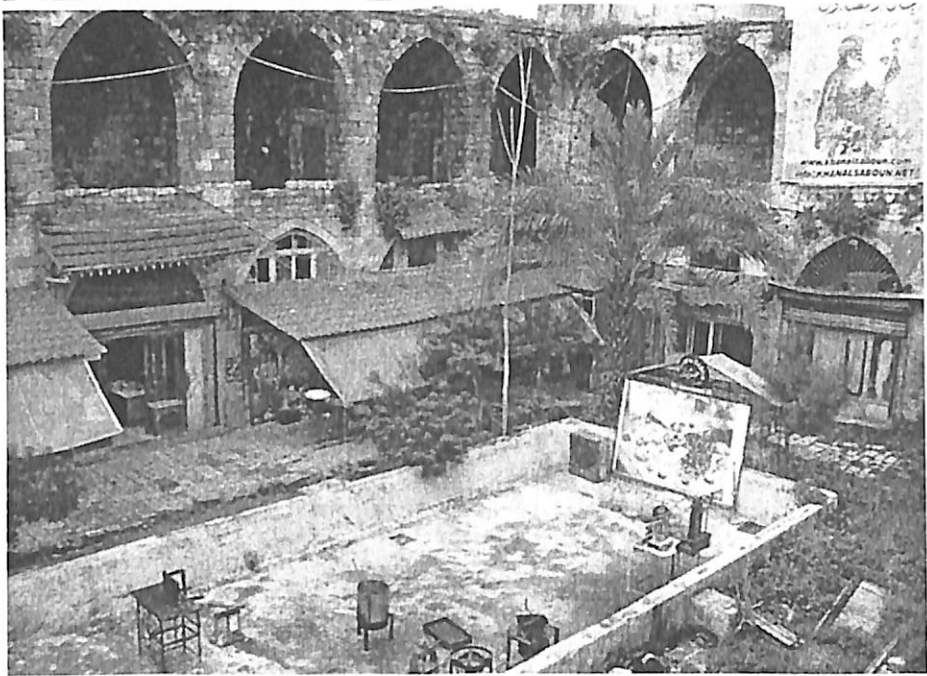
لوحة رقم (٨) دمشق : خان الزيت - الرواق الشرقي للطابق الأرضي .



لوحة رقم (٩) دمشق : خان الزيت - صحن الخان والفسقية بوسطه .



لوحة رقم (١٠) دمشق : خان الزيت - الجانب الشمالي لطابقي الخان .



لوحة رقم (١١) طرابلس : صحن خان الصابون والمباني المحيطة به .



لوحة رقم (١٢) طرابلس : أحد
أروقة الطابق الأرضي المطلة على
الصحن .



لوحة رقم (١٣) طرابلس : خان الصابون - باب الدخول والجانب المطل على الصحن .



لوحة رقم (١٤) طرابلس : خان الصابون - الأروقة المظلة على الصحن .



لوحة رقم (١٥) طرابلس :
واجهه خان الصابون - رسم
لأحد الرحالة الأوروبيين .



لوحة رقم (١٦) غزة : صورة قديمة لخان الوكالة .

الكوارث الطبيعية وأثرها على الحياة الزراعية في بلاد الشام في العصر المملوكي الأول (٦٤٨-٧٨٤هـ/١٢٥٠-١٣٨٢م)

فوزي الطواهية(*)

المقدمة:

تمثل الزراعة ركناً أساسياً في الحياة الاقتصادية لبلاد الشام عموماً، وفي الحقبة المملوكية على وجه الخصوص، ولما كانت الزراعة في جزء كبير من بلاد الشام تعتمد على الأمطار، فإن المناخ لعب دوراً مهماً في وفرة المحاصيل أو قلتها، كما أسهمت الأوبئة في التأثير على الزراعة، وخصوصاً الطواعين التي أثرت تأثيراً كبيراً على البشر، مما أدى إلى قلة عدد الأيدي العاملة في الزراعة، وكذلك فإن الآفات الزراعية من دود وفئران وجراد كان لها دور مؤثر في تدمير المحاصيل الزراعية.

ولهذا جاءت هذه الدراسة محاولة لرصد الكوارث الطبيعية والأحوال الجوية والأوبئة والآفات الزراعية في بلاد الشام في العصر المملوكي الأول، ومدى تأثيرها على الزراعة في بلاد الشام في الفترة مدار البحث، علماً بأن الدراسة لم تشمل الزلازل؛ لأن المصادر لا توضح تأثيرها على الزراعة بشكل مباشر^(١).

(*) قسم التاريخ، كلية الآداب، الجامعة الأردنية، الملكة الأردنية الهاشمية.

(١) استوفي دراسة الزلازل وأثارها المختلفة كل من: يوسف غوانمة، «الزلازل في بلاد الشام في العصر الإسلامي وأثرها على المعالم العمرانية»، دار الفكر، عمان، ١٩٩٠م؛ عبد الله يوسف الغنيم، «سجل الزلازل العربي، أحداث الزلازل وأثارها في المصادر العربية»، الجمعية الجغرافية الكويتية، الكويت، ٢٠٠٢م.

أولاً: الظروف المناخية

أسهمت الظروف المناخية القاسية كالجفاف والقحط والسيول والعواصف الثلجية والبرد وموجات الصقيع والرياح في إلحاق إضرار كبيرة بالمزروعات ، وخسائر مادية بالفلاحين في بعض السنوات . فكانت سنة ٦٩٤هـ/ ١٢٩٤م ، قليلة الأمطار ، وفيها توقف الغيث بالشام ، فاستسقى الناس^(١) . وشمل الجفاف بلاد القدس والمناطق الساحلية ، وتأخر المطر في بداية الموسم الزراعي ، «حتى فات أوان الزرع وجفت الآبار ونضب ماء عين سلوان بالقدس»^(٢) . واستمر انحباس الأمطار في معظم بلاد الشام ، من فلسطين حتى حلب ، سنة ٦٩٥هـ/ ١٢٩٥م ، وغارت الينابيع ، فحصل شح في المياه ، وارتفعت أسعارها^(٣) .

(١) شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري (ت ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م) ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، ج٣١ ، تحقيق الباز العريني ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٢ ، ج٣١ ، ص ٢٨٦ ؛ الحسن بن عمر بن الحسن بن حبيب (ت ٧٧٩هـ/ ١٣٣٧م) ، تذكرة النبيه في أيام المنصور وبينه ، ج٣ ، تحقيق محمد محمد أمين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، (١٩٧٦-١٩٨٦م) ، ج١ ص ١٨٧ ؛ ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن الفرات (ت ٨٠٧هـ/ ١٤٠٤م) تاريخ ابن الفرات ج٩ ، تحقيق قسطنطين زريق ، المطبعة الأميركية ، بيروت ، ١٩٤٢م ، مج ٨ (٦٨٣-٦٩٦هـ/ ١٢٨٤-١٢٩٦م) ، ص ١٩٦ .

(٢) تقي الدين أحمد بن علي المقرئ (ت ٨٤٥هـ/ ١٤٥١م) ، إغاثة الأمة بكشف الغمة ، تحقيق وتعليق جمال الدين الشيبان ، مكتبة الثقافة الدينية ، ط ١ ، القاهرة ، ٢٠٠٠م ، ص ٤٧-٤٨ ؛ بدر الدين محمود العيني (ت ٨٥٥هـ/ ١٤٥١م) ، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ، ج٤ ، تحقيق محمد محمد أمين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، (١٩٨٧-١٩٩٢م) ، ج ٢ ص ٢٧٧ .

(٣) عبد الله بن أسعد بن سلمان اليافعي (ت ٧٦٨هـ/ ١٣٦٦م) ، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ، وضع حواشيه خليل منصور ، ج٤ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ١٩٩٧م ، ج ٤ ص ١٧١ ؛ ابن الفرات ، تاريخ مج ٨ ، ص ٢١٠-١١٢ ؛ إبراهيم بن محمد المصري بن دقماق (ت ٨٠٩هـ/ ١٤٤١م) ، الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين ، تحقيق محمد =

ويصف شمس الدين محمد بن إبراهيم بن الجزري (ت ٧٣٨هـ/١٣٣٧م) ذلك بقوله: «... والناس في ضيق عظيم وتألم... بحيث بلغنا أن الرجل المسافر يريد أن يسقي دابته بدرهم ويشرب هو بربع درهم... وظهر القحط. وقل عشب المرعى في أرض الشام»^(١). وارتفعت أسعار الفاكهة بأربعة أمثالها، وبلغت الغرارة^(٢) من القمح بمائتين وعشرين درهماً، والشعير مائة درهم^(٣).

وفي سنة ٦٩٧هـ/١٢٩٧م، تعرضت بلاد الشام لجفاف، كان أشده في مدينتي دمشق والحليل^(٤). فنتج عنه أن «غارت العين والآبار ونقصت مياه

= كمال، عالم الكتب، بيروت، ج ٢، ط ١، ١٩٨٥م، ج ٢، ص ١١٩؛ المقرئ، إغاثة، ص ٤٩؛ للمزيد انظر: فيصل بني حمد، العوامل المؤثرة في تذبذب أسعار المواد الغذائية في بلاد الشام خلال العصرين المملوكي الأول والثاني ٦٤٨-٩٢٢هـ، مجلة المنارة، مجلد ١٤، عدد ٢، ٢٠٠٨م، ص ٣١٢.

(١) شمس الدين محمد بن إبراهيم أبي بكر بن الجزري (ت ٧٣٨هـ/١٣٣٧م)، تاريخ حوادث الزمان وأنبائه ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه المعروف بتاريخ ابن الجزري، ج ٣، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط ١، ١٩٩٨م، ج ١، ص ٢٨٠.

(٢) الغرارة: استخدمت لكيال الحبوب، كانت مقاديرها تختلف من مدينة لأخرى، ففي دمشق كانت تعادل (٢٠٤,٥ كغم) تقريباً من القمح، وفي غزة كانت تساوي (٣٠٦,٧٥ كغم) وفي القدس بلغت (٤٠٨,١٠ كغم). فالترهنتس، المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمة كامل العسلي، منشورات الجامعة الأردنية، عمان، ١٩٧٠م، ص ٦٤.

(٣) أبو بكر بن عبد الله بن أبيك الدواداري (ت ٧٣٦هـ/١٣٣٥م)، كنز الدرر وجامع الغرر، ج ٨، الدرّة الزكية في أخبار الدولة التركية، تحقيق أولرخ هارمن، القاهرة، ١٩٧٢م، ص ٣٦٣-٣٦٥؛ ابن الجزري، تاريخ، ج ١، ص ٣٣٢؛ ابن الفرات، تاريخ، مج ٨، ص ٢١١؛ ابن دقماق، الجوهر الثمين، ج ٢، ص ١١٩؛ المقرئ، إغاثة، ص ٤٩-٥٠، العيني، عقد الجمان، ج ٢، ص ٣٠٠.

(٤) ابن الجزري، تاريخ ج ١، ص ٣٩٤؛ أبو الفداء الحافظ بن كثير (ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م)، البداية والنهاية، ج ١٤، تحقيق أحمد أبو ملحوم وآخرون، دار الكتب العلمية، ط ٣، بيروت، لبنان، ١٩٨٧، =

الأ نهر واستسقى الناس بدمشق وبيت المقدس والخليل»^(١) . إذ انخفض مستوى مياه نهر ثورا بحيث أصبحت المياه في بعض الأماكن لا تصل إلى ركة الإنسان ، أما نهر بردى «فلم يبق فيه مسكة ماء»^(٢) ، «وهلك أكثر الزرع وجفت أشجار البساتين»^(٣) . وأدى الجفاف وشدة الحر سنة ١٣٠٢هـ/١٣٠٢م ، إلى يباس الكروم في جبل لبنان^(٤) . ونتج عن انحباس الأمطار سنة ١٣٠٤هـ/١٣٠٤م أن أجذبت الشام من الغور إلى العريش وجفت المياه فيها ، ويبس أكثر الزرع ، حتى أن بعض الضياع لم يوجد فيها ماء لشرب أهلها ،

= ج ١٣ ، ص ٣٧٣ ؛ تقي الدين أحمد بن علي المقرئزي (١٤٥١هـ/١٤٥١م) ، السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج ٩ ، تحقيق مصطفى زيادة ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٦م ، ج ١ ق ٢ ص ٨٤٦ ؛ العيني ، عقد الجمان ، ج ٢ ، ص ٤١٢-٤١٣ .

- (١) ابن الجزري ، تاريخ ج ١ ، ص ٣٩٤ ؛ المقرئزي ، السلوك ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٨٤٦ .
- (٢) ابن الجزري ، تاريخ ، ج ١ ، ص ٣٩٤ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٣ ، ص ٣٧٣ . ونهر ثورا هو من الأنهار المشهورة في الصالحية ، وغالب ما تشرب منه قرى كور غوطة دمشق مثل دومة وحريستا الزيتون ، وقرية عربيل وقرية حسربا وعين ثوما ، ويتفرغ منه عدة أنهار منها نهر جسر البط ونهر طاحون الوز . أنظر : محمد بن علي بن طولون (ت ٩٥٣هـ/١٥٤٦م) ، ضرب الحوطة على جميع الغوطة ، نشرها وعلق عليها محمد أسعد طلس ، مجلة المجمع العلمي العربي في دمشق ، ٢١م ، شباط ، دمشق ، ١٩٤٦م ، ص ١٥٦ ، ١٥٩ ؛ ابن طولون ، القلائد الجوهريّة في تاريخ الصالحية ، تحقيق محمد أحمد دهمان ، مكتب الدراسات الإسلامية ، دمشق ، ١٩٤٩ ، ج ١ ، ص ٢٦٤-٢٦٥ .
- (٣) ابن الجزري ، تاريخ ، ج ١ ، ص ٢٩٤ ؛ المقرئزي ، السلوك ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٨٤٦ .
- (٤) أسطفان الدويهي (ت ١٧٠٤م) ، تاريخ الأزمنة ، تحقيق بطرس فهد ، دار لحد خاطر ، بيروت ، ١٩٧٦م ، ص ٢٩٠ .

فارتحلوا عنها من العطش^(١)، وخلت ألفتان وثمانمائة قرية من سكانها^(٢). وجفت قناة زملكا، ومرج وادي شعبان، وبيست الأشجار؛ بسبب قلة الأمطار سنة ١٣١٩هـ/١٣١٩^(٣).

تكرر الجفاف وانخفاض الإنتاج الزراعي في المنطقة الممتدة من دمشق حتى حلب سنة ١٣٢٣هـ/١٣٢٣م، فجفت الينابيع^(٤). «ولم ينبت من الزراعات إلا القليل النادر، فاستسقى الناس في البلاد ولم يستسقوا»^(٥). فكان الغلاء

(١) بيبرس المنصوري (ت ١٣٢٤هـ/١٣٢٤م)، زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، تحقيق دونالد س. ريتشاردز، الشركة المتحدة للتوزيع، ط١، بيروت، ١٩٩٨م، ص ٣٨١؛ ابن الجزري، تاريخ، ج ١، ص ٢٥٠؛ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي (ت ١٣٤٧هـ/١٣٤٧م) العبر في خبر من عبر، ج ٣، يليه ج ٤ ذبول العبر في خبر من عبر (٧٤١-٧٦٤هـ) للحسيني، تحقيق أبو هاجر محمد السعيد، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، لبنان، ١٩٨٥م، ج ٤، ص ١١؛ المقرئزي، السلوك ج ٢، ق ١، ص ١٢؛ العيني، عقد الجمان، ج ٤، ص ٣٥٩.

(٢) المقرئزي، السلوك، ج ٢، ق ١، ص ١٢.

(٣) الذهبي، ذبول العبر، ج ٤، ص ٥١-٥٢؛ ابن طولون، اللمعات البرقية في النكت التاريخية، رسائل تاريخية رقم (٤)، مطبعة الترقى، دمشق، ١٣٤٨هـ، ص ٢٦. وزملكا: بلدة كبيرة من أمهات الغوطة وشربها من نهر ثورا. أنظر: ابن طولون، ضرب الحوطة، ص ١٥٧.

(٤) شمس الدين محمد بن أبي طالب الدمشقي شيخ الربوة (١٣٢٦هـ/١٣٢٦م) نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، مطبعة الأكاديمية الأمبرطورية، بطرسبورغ، ١٨٥٦م، ص ٨٤-٨٥؛ المقرئزي، السلوك، ج ٢، ق ١، ص ٢٥٠.

(٥) عماد الدين إسماعيل بن علي أبو الفداء (ت ٧٣٢هـ/١٣٣١م)، تاريخ أبي الفداء المسمى المختصر في أخبار البشر، علق عليه ووضع حواشيه محمود ديوب، ج ٢، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٧م، ج ٢، ص ٤٣٩.

بالشام ، وبلغت الغرارة أكثر من مائتي درهماً ، وجلب القمح من مصر^(١) . ونتج عن الجفاف في السنوات ١٣٤٦هـ/١٣٤٦م^(٢) و١٣٤٧هـ/١٣٤٧م^(٣) و١٣٥٣هـ/١٣٥٣م ، نفاذ في الغلال وارتفاع ملموس في الأسعار^(٤) . وفي سنة ١٣٥٩هـ/١٣٥٩م ، عانت بلاد الشام عامة ودمشق وحمص وحران خاصة من نقص حاد في المياه ؛ إذا انحبست الأمطار وانخفض منسوب مياه الأنهار ، فلم يتمكن المزارعون من ري بساتينهم إلا بكلفة عظيمة ومشقة ومبلغ كبير ، حتى كاد الناس يقتتلون في سبيل تأمين حاجتهم من الماء^(٥) . وفي سنة ١٣٧٥هـ/١٣٧٥م ، قصرت الأنهار في بلاد الشام^(٦) . وعانت من القحط سنة

(١) النويري ، نهاية الأرب ، ج٣ ، تحقيق مصطفى حجازي ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٩٧م ، ص ٧٧ ؛ الذهبي ، ذيل العبر ، ج٤ ، ص ٦٩ ؛ البيهقي ، مرآة الجنان ، ج٤ ، ص ٢٠٣ ؛ ابن طولون ، اللغات ، ص ٦٢ ؛ عبد الحي بن أحمد بن محمد بن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ/١٦٧٨م) ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ج٥-٦ ، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، ط ١ ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٨م ، ج٦ ، ص ٢١٩ .

(٢) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١٤ ، ص ٢٣٢ ؛ المقرئ ، السلوك ، ج٢ ، ق ٣ ، ص ٧٢١ .

(٣) أبو الفداء ، المختصر ، ج٢ ، ص ٥١٧ ؛ زين الدين عمر بن الوردي (ت ١٣٤٩هـ/١٣٤٨م) ، تاريخ ابن الوردي ، ج٢ ، دار الكتب العلمية ، ط ١ ، بيروت ، ١٩٩٦م ، ج٢ ، ص ٣٣٧ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١٤ ، ص ٢٣٥ .

(٤) المقرئ ، السلوك ، ج٢ ، ق ٣ ، ص ٧٢١ ، ٩٠٢ ؛ زين الدين عبد الباسط خليل بن شاهين (ت ١٥٢٣هـ/١٥٢٣م) ، نيل الأمل في ذيل الدول ، ج٢ ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، ٢٠٠٢م ، ج١ ، ص ٢٦٠ .

(٥) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١٤ ، ص ٢٨٢ .

(٦) الحسن بن عمر بن حبيب (ت ١٣٧٧هـ/١٣٧٧م) ، المنتقى من درة الإسلاك في دولة «ملك» الأتراك «في تاريخ حلب الشهباء» . انتقاؤه مؤلف مجهول من مخضرمي رجال القرنين الثامن والتاسع للهجرة ، تحقيق عبد الجبار زكار ، دار المداح للطباعة والنشر ، ط ١ ، دمشق ، ١٩٩٩م ، ص ٤٤١ .

٧٧٧هـ/١٣٧٦م ، وكان أشده في حلب ، فنتج عنه ارتفاع كبير في أسعار القمح ، إذا تدرج سعره بالارتفاع إلى أن بيع المكوك^(١) بثلاثمائة درهم وزيادة ، فأجحف بالناس ، وأهلك من الضعفاء خلقاً كثيراً^(٢) .

ومن ثم نجد أن بلاد الشام تعرضت للجفاف ثلاث عشرة مرة خلال سنوات الدراسة بمعدل كل إحدى عشرة سنة ، خلال الفترة مدار البحث وأثرت على الزراعة والأسعار تأثيراً واسعاً سواء بطريق مباشر بقلّة الإنتاج الزراعي أو بطريقة غير مباشرة من خلال انخفاض منسوب مياه الأنهر الشامية ، وجفاف موارد بعض عيون الماء التي كانت تزود الناس بمياه الشرب ويستخدمونها في سقي المزروعات .

ولم يستثن الجفاف أياً من مناطق بلاد الشام ، وإن كان تأثيره في سنوات على مناطق أكثر من أخرى ، ويبدو أن المحاصيل الزراعية الأكثر تضرراً في بلاد الشام كانت محاصيل الحبوب لاعتمادها الكامل على مياه الأمطار ثم تلاها الفواكه ، ولم نرصد أية معلومات عن الخضار تؤكد تضررها من حالات الجفاف

(١) المكوك : مكيال يختلف من مدينة لأخرى ، وقد اقتصر التعامل به على مدن دون غيرها . فمثلاً في الرملة كان يعادل (١٩٠ كغم) وفي حلب (٦١ كغم) من القمح ، بينما تعاملت دمشق بالغرارة وهي تساوي ثلاثة مكايك حلبية . أنظر : عبد الرحمن بن نصر الشيزري (ت٥٨٩هـ/١١٩٣م) ، نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، تحقيق السيد الباز العريني ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨١م ، ص١٧ ؛ فالترهنتس ، المكايل والأوزان ، ص٧٩ .

(٢) ابن حبيب ، المنتقى من درة الإسلاك ، ص٤٤٧ ؛ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت٩٠٢هـ/١٤٩٦م) ، الذيل التام على دول الإسلام ، حوادث (٧٤٥-٨٥٠هـ) ، تحقيق حسن إسماعيل مروة ، مكتبة دار العروبة ، الكويت ، ودار ابن العماد ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٢م ، ص٢٨١ ؛ محمد بن أحمد بن إياس (ت٩٣٠هـ/١٥٣٣م) ، بدائع الزهور في وقائع الدهور ، تحقيق محمد مصطفى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط٢ ، القاهرة ، ١٩٨٣م ، ج١ ، ق٢ ، ص١٦٠ .

التي لا بد أنها تضررت غير أن المصادر انشغلت فيما يبدو بالحبوب لأهميتها الكبرى لحياة الناس .

ولا يقل تأثير غزارة الأمطار وما يترتب عليه من السيول والفيضانات عن تأثير انحباسها وما يترتب عليه من القحط والجفاف . ويتمثل ذلك بما يعقب كل سيل أو فيضان من إتلاف للبساتين وتدمير للجسور ، وجرف للأتربة ، وهلاك أعداد كبيرة من المواشي ، وخسائر بشرية ، وهدم للطواحين المنشأة على الأنهار . إذ اقتلعت السيول الأشجار من أصولها ، لا سيما أشجار الجوز ، وأسقطت غالب المشمش ، وردمت الأنهار بطين أصفر ، وأغرقت من الحيوانات شيئاً كثيراً ، وأخذت الطواحين بحجارتها ، وأدت لخسائر بشرية قدرت بعشرة آلاف نفس سنة ٦٦٩هـ/١٢٧١م^(١) . وأهلك الخيل والجمال والبغال والحمير ، ودمرت موسم السفرجل ، واقتلعت كثيراً من الأشجار ، كما دمرت بعض البيوت ، والأمتعة سنة ٦٨٢هـ/١٢٨٣م^(٢) . وأخذت في طريقها مزارعاً وكروماً كثيرة

(١) بيبرس المنصوري ، التحفة المملوكية في الدولة التركية ، تاريخ دولة المماليك البحرية في الفترة من (٦٤٨-٧١١هـ) ، قدم له ووضع فهارسه عبد الحميد صالح حمدان ، الدار المصرية اللبنانية ، ط ٢ ، القاهرة ، ١٩٨٧م ، ص ٧٢ ؛ النويري ، نهاية الأرب ، ج ٣٠ ، تحقيق محمد عبد الهادي أبو شعيرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٠م ، ص ١٧٧ ؛ الذهبي ، العبر ، ج ٣ ، ص ٣١٩ ، السافعي ، مرآة الجنان ، ج ٤ ، ص ١٢٨-١٢٩ ، ابن طولون ، اللمعات ، ص ٢٥-٢٦ ؛ ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب ، ج ٥ ، ص ٤٧٠ ؛ الدويهي ، تاريخ الأزمنة ، ص ٢٥٢ .

(٢) محيي الدين بن عبد الظاهر (ت ٦٩٢هـ/١٢٩٢م) ، تشریف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور ، وتناول الحقب ما بين سنتي (٦٧٨-٦٨٩هـ) تحقيق مراد كامل ، ط ١ ، الشركة العربية للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦١م ، ص ٧٢ ؛ بيبرس المنصوري ، مختار الأخبار ، تاريخ الدولة الأيوبية ودولة المماليك البحرية حتى سنة ٧٠٢هـ ، تحقيق وتقديم عبد الحميد صالح حمدان ، الدار المصرية اللبنانية ، ط ١ ، القاهرة ، ١٩٩٣م ، ص ٨٤ ؛ النويري ، نهاية الأرب ، ج ٣١ ، ص ١٢٠ ؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والإعلام ، حوادث (٦٨١-٦٩٠هـ) تحقيق عمر عبد السلام =

اقتلعتها بعروشها ، ولا سيما في بعلبك التي بلغت خسائرها أكثر من مائة وخمسين ألف دينار^(١) . وأهلكت كثيراً من قطعان الماشية والأبقار بالأغوار^(٢) ، وقطعت جسور الرملة وخربت طواحين العوجاء سنة ٦٩٢هـ/١٢٩٣م^(٣) . وغطت الأمطار الغزيرة سنة ٧١٠هـ/١٣١٠م ، الأشجار والثمار بطين أحمر في دمشق فدمرت بعضها^(٤) . وأتلفت السيول كميات كبيرة من المحاصيل الزراعية ، والغلات المخزنة في حمص سنة ٧١٦هـ/١٣١٦م^(٥) .

وشملت في سنة ٧١٧هـ/١٣١٧م ، دمشق وبعلبك وحلب ، وكانت مدمرة ، فألحقت خسائر جسيمة بالكروم والبساتين ، «فجرفت كل ما مر بها من

= تدمري ، دار الكتاب العربي ، ط١ ، بيروت ، لبنان ، ٢٠٠٠م ، ص ١١ ؛ ابن الوردي ، تاريخ ، ج ٢ ، ص ٢٥٧ ؛ اليافعي ، مرآة الجنان ، ج ٤ ، ص ١٢٨-١٢٩ ؛ ابن حبيب ، تذكرة ، ج ١ ، ص ١٨٠-١٨١ ؛ ابن الفرات ، تاريخ ، مج ٨ ، ص ٧ ؛ المقرئ ، السلوك ، ج ١ ، ق ٣ ، ص ٧٢٤ ؛ العيني ، عقد الجمان ، ج ٢ ، ص ٣٠٩-٣١٠ ؛ الدويهي ، تاريخ الأزمنة ، ص ٢٦٢ .

(١) النويري ، نهاية الأرب ، ج ٣١ ، ص ٣٥٣ ؛ ابن الجزري ، تاريخ ، ج ١ ، ص ١٥٢ ؛ ابن الفرات ، تاريخ ، مج ٨ ، ص ١٥٦-١٥٨ ؛ المقرئ ، السلوك ، ج ١ ، ق ٣ ، ص ٧٨٣ .

(٢) ابن الجزري ، تاريخ ، ج ١ ، ص ١٥٢ .

(٣) ابن الفرات ، تاريخ ، مج ٨ ، ص ١٥٧ .

(٤) إبراهيم مغلطاي (ت بعد ٧٣٢هـ/١٣٣١م) ، تاريخ سلاطين مصر والشام وحلب وبيت المقدس وأمرائها ، مخطوط ميكروفيلم ، مركز الوثائق والمخطوطات ، الجامعة الأردنية ، شريط رقم (١٠٤٢) ، ص ١٧٤ب .

(٥) أبو الفداء ، المختصر ، ج ٢ ، ص ٤٢٣ ؛ مغلطاي ، تاريخ ص ١٧٥ ؛ النويري ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، ج ٣٢ ، تحقيق فهد محمد عليوي شلتوت ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٩٨م ، ص ٢٣١-٢٣٢ ؛ ابن حبيب ، تذكرة ، ج ٢ ، ص ٤٧ ؛ المقرئ ، السلوك ، ج ٢ ، ق ١ ، ص ١٦٠ .

شجر وغيره»^(١) ، منها أربعون بستاناً أتلقت منها مساحات واسعة من كروم العنب ، وهدمت أحد عشر طاحوناً ، كما دمرت ما يقرب من تسعمائة مسكن ، وأغرقت خلقاً كثيراً^(٢) ، قدر عددهم في بعلبك بـ ٢٥٠٠ نفس ، حسب ما ورد بمطالعة نائب بعلبك إلى نائب السلطنة بالشام^(٣) ، وأهلكت أعداداً كبيرة من المواشي والدواب في بعلبك وحلب^(٤) .

ووصفت السيول التي تعرضت لها دمشق سنة ٧١٩هـ/١٣١٩م ، بأن مياهها كانت كثيرة العكر كأنها الطحينة ، حتى أن «رطل الماء كانت يصفى ثلثه طيناً شديداً»^(٥) ، وتسببت في إتلاف موسم السفرجل ، وألحقت خسائر كبيرة بالثروة السمكية في نهر بردى^(٦) . وأتلقت الغلال والبساتين ، وأهلكت بعض

(١) المقرئزي ، السلوك ، ج٢ ، ق١ ، ص١٧١ ؛ ابن طولون ، اللمعات ، ص٢٨ ؛ الدويهي ، تاريخ الأزمنة ، ص٢٩٩ .

(٢) النويري ، نهاية الأرب ، ج٣٢ ، ص٢٤٨ ؛ مغلطاي ، تاريخ ص١٨٠ ؛ ابن أيبك الدواداري ، كنز الدرر وجامع الغرر ، ج٩ ، الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر ، تحقيق هانس روبرت رومير ، القاهرة ، ١٩٦٠م ، ص٢٩٠-٢٩١ ؛ الياضي ، مرآة الجنان ، ج٤ ، ص١٩٣ ؛ ابن حبيب ، تذكرة ، ج٢ ، ص٨٠-٨١ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١٤ ، ص٨٣ ؛ المقرئزي ، السلوك ، ج٢ ، ق١ ، ص١٧١ ؛ ابن العماد الحنبلي ، شذرات ، ج٦ ، ص١٩١ ؛ الدويهي ، تاريخ الأزمنة ، ص٢٩٩ .

(٣) النويري ، نهاية الأرب ، ج٣٢ ، ص٢٤٧ .

(٤) النويري ، نهاية الأرب ، ج٣٢ ، ص٢٤٨ ؛ مغلطاي ، تاريخ ، ص١٧٥ .

(٥) ابن حبيب ، تذكرة ، ج٢ ، ص١٠٢ ؛ ابن طولون ، اللمعات ، ص٢٦ ؛ الدويهي ، تاريخ الأزمنة ، ص١٧٠ .

(٦) الذهبي ، ذبيل العبر ، ج٤ ، ص٢٢ ؛ ابن طولون ، اللمعات ، ص٢٦ ؛ الدويهي ، تاريخ الأزمنة ، ص٣٠١ .

المواشي ، وهدمت العديد من الطواحين في عجلون^(١) ، وأغرقت بعض أراضي حوران^(٢) . «ودمرت بساتين بعلبك وأهلكت غلاتها ودوابها وطواحينها»^(٣) سنة ١٣٢٧/هـ-١٣٢٧ م . وأتلف فيضان نهر الفرات سنة ٧٣٢/هـ-١٣٣٢ م ، نحو ثلثي المحاصيل الزراعية في الرحبة ، ولا سيما القمح والشعير^(٤) . فحضر الفلاحون إلى نائب الرحبة وأخبروه أن زرع الرحبة تلف ، ولم يسلم منه إلا القليل من الزرع المرتفع في الأراضي العالية ، ونتج عن ذلك أن ارتفعت أسعار الغلة من القمح والشعير نحو الضعفين^(٥) . وأدى فيضان نهر حماة سنة ٧٤٥/هـ-١٣٤٤ م ، إلى إتلاف بساتينها «وأتلف بساتين البلد ، لذلك يحتاج إعادتها إلى كلفة كبيرة»^(٦) ، وأتلف الفيضان أيضاً بساتين شيزر وخرّب بعض البيوت وأتلف الأمتعة^(٧) . وفي السنة نفسها تعرضت طرابلس لسيل مدمر ، أتى على الغلات

(١) النويري ، نهاية الأرب ، ج٣ ، ص٦٧ ، ٢٧٠ ؛ ابن الجزري ، تاريخ ، ج٢ ، ص٢٧٣ ؛ ابن حبيب ،

تذكرة ، ج٢ ، ص١٨١ ، ١٨٩ .

(٢) ابن الجزري ، تاريخ ، ج٢ ، ص٢٧٦ .

(٣) مغلطاي ، تاريخ ، ص١٧٩ .

(٤) ابن الجزري ، تاريخ ، ج٢ ، ص٥٢٦ ؛ مغلطاي ، تاريخ ، ص١١٦ ، ابن الوردي ، تاريخ ، ج٢ ،

ص٢٨٩ . الرحبة قرية من قرى دمشق ، انظر : أبو عبد الله ياقوت الحموي (ت٦٢٦/هـ-١٢٢٨ م) ،

معجم البلدان ، ج٥ ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٨٦ م . ج٣ ، ص٣٣ .

(٥) ابن الجزري ، تاريخ ، ج٢ ، ص٥٢٧ .

(٦) أبو الفداء المختصر ، ج٢ ، ص٥٠٦ ، ابن حبيب ، تذكرة ، ج٣ ، ص٦٩ ؛ تقي الدين أحمد بن قاضي

شهبه (ت٨٥١/هـ-١٤٤٨ م) تاريخ ابن قاضي شهبه ، ج٣ ، تحقيق عدنان دوريش ، المعهد العلمي

الفرنسي للدراسات العربية ، دمشق ، ١٩٧٧-١٩٩٤ م ، ج١ ، ص٤١٧ ؛ السخاوي ، الذيل التام ،

ص٦٨-٦٩ ؛ الدويهي ، تاريخ الأزمنة ، ص٣٠٣ .

(٧) المقرئزي ، السلوك ، ج٢ ، ق٣ ، ص٦٧٣ ، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي

(ت٩٠٢/هـ-١٤٩٦ م) ، وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام ، تحقيق بشار عواد =

وكسر أشجار البساتين ، وأهلك بعض المواشي فيها^(١) . وتكرر إضرار السيول ببساتين حماة سنة ٧٥٢هـ/١٣٥١م^(٢) ، وفي سنة ٧٥٣هـ/١٣٥٢م أتلّف زروع مدينة غزة « من كثرة المياه»^(٣) .

واجتاحت السيول في سنة ٧٦١هـ/١٣٦٠م ، مناطق مختلفة من بلاد الشام ، ولا سيما بعلبك وحلب ، فأخربت البساتين ، واقتلعت الأشجار وأتلّفت موسم العنب ، وأهلكت الكثير من المواشي^(٤) . وتسببت في تعطيل الطواحين سنة ٧٦٥هـ/١٣٦٣م^(٥) ، وسنة ٧٧٤هـ/١٣٧٢م ، فارتفعت الأسعار^(٦) . واقتلع فيضان نهر حلب سنة ٧٦٩هـ/١٣٦٧م البساتين ، واتلّفت الخضار ، وقضى على الكثير من المواشي والدواب في حلب . ويصف الحسن بن عمر بن حبيب (ت ٧٧٩هـ/١٣٧٧م) ذلك بقوله : « وفيها طما نهر حلب وزاد . . . وارتفع وعلا . . . وقلع الغراس النابتة ، ومحا الأشجار الثابتة ، . . .

= معروف وآخرون ، ج٤ ، ط١ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٩٥م ، ج١ ، ص٦-٧ . ابن شاهين ، نيل الأمل ، ج١ ، ص١٠٤ .

- (١) ابن الوردي ، تاريخ ، ج٢ ، ص٣٢٩ ؛ ابن حبيب ، تذكرة ، ج٣ ، ص٧٣ .
(٢) المقرئ ، السلوك ، ج٢ ، ق٣ ، ص٨٣٩ ؛ ابن شاهين ، نيل الأمل ، ج١ ، ص٢١٣ .
(٣) المقرئ ، السلوك ، ج٢ ، ق٣ ، ص٨٨٤ ؛ ابن شاهين ، نيل الأمل ، ج١ ، ص٢٤٦ .
(٤) الذهبي ، ذيل العبر ، ج٤ ، ص١٨٦ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١٤ ، ص٢٨٧ ؛ ابن قاضي شهبه ، تاريخ ، ج٢ ، ص١٦٤ ؛ السخاوي ، وجيز ، ج١ ، ص١٠٨ ؛ ابن طولون ، اللمعات ، ص٢٦-٢٧ .

- (٥) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١٤ ، ص٣١٥ ؛ ابن شاهين ، نيل الأمل ، ج٢ ، ص٤٤ .
(٦) شهاب الدين بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ/١٤٤٩م) ، أنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ ، ج٩ ، دار الكتاب العلمية ، ط١ ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٦م ، ج١ ، ص٣٧ .

وهدم الكثير من البيوت المثبتة على شطه ، وأهلك عدة من المواشي»^(١) .
وأخربت السيول البساتين والطواحين بعدة نواحي في حلب سنة
١٣٧٣هـ/١٣٧٣م^(٢) .

وخلاصة القول أن سبعة عشر سيلاً وفيضانا تعرضت لها بلاد الشام خلال
الفترة مدار البحث بمعدل مرة كل ثمان سنوات ، وقد أثرت كثيراً على الزراعة
فأتلقت المحاصيل ، و اقتلعت أشجار البساتين ، و دمرت طواحين الماء ، وأغلقت
بعض مجاري الأنهار التي سُدَّ بعضها بالطين والأتربة ، وأغرقت العديد من
الحيوانات العاملة في الزراعة مثل البغال وغيرها ، وكذلك المواشي والأغنام التي
يربيها المزارعون ، إضافة إلى غرق عدد كبير من الفلاحين ، بسبب تلك السيول
الجارفة والفيضانات المدمرة .

وكانت أكثر المناطق تضرراً من السيول والفيضانات مناطق بعلبك ثم
دمشق ، تلتها حلب ، فحمّاه ، في حين كان تضرر المناطق الأخرى أقل ، أو أن
المصادر أغفلت الحديث عنها وانشغلت بالحواضر الكبرى ، وكانت المحاصيل
الأكثر تضرراً هي محاصيل الحبوب التي ارتفعت أسعارها بسبب السيول
والفيضانات ثم تلاها الكروم والبساتين وخصوصاً أشجار السفرجل والمشمش
والعنب .

ومن جهة أخرى فإن الثلج والبردَ ألحقا ضرراً بليغاً بالثروة الزراعية

(١) ابن حبيب ، المنتقى من درة الأسلاك ، ص ٣٨٧-٣٨٨ ؛ وانظر : ابن حبيب ، تذكرة ، ج ٣ ، ص ٣١٣ ؛
ابن طولون ، اللمعات ، ص ٢٦-٢٧ .

(٢) ابن حبيب ، المنتقى من درة الأسلاك ، ص ٤٣٥ ؛ المقرئ ، السلوك ، ج ٣ ، ق ١ ، ص ٢٢٦ ؛
العسقلاني ، إنباء الغمر ، ج ١ ، ص ٨٠ ؛ ابن إياس ، بدائع ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ١٣٣ ؛ ابن طولون ، أعلام
الورى بن ولي نائباً من الأتراك بدمشق الكبرى ، تحقيق محمد أحمد دهمان ، مطبوعات مديرية
أحياء التراث القديم ، دمشق ، ١٩٦٤م ، ص ٢٧ ، السخاوي ، وجيز ، ج ١ ، ص ١٩٩ ، السخاوي ،
الذيل التام ، ص ٢٦٧ .

والحيوانية ، فعندما سقط الثلج على دمشق سنة ٦٨٠هـ/ ١٢٨١م ، تراوح ارتفاعه من نصف ذراع إلى ذراع رافقه برَدٌ صلب ، أفسد الخضروات والفواكه ، وتعطلت على الناس معاش كثيرة^(١) . وفي سنة ٦٩٢هـ/ ١٢٩٣م أهلك الثلج والبرَدُ عدداً من الدواب وأفسد شيئاً كثيراً من الغلال ، بحيث بيع القمح كل عشر أواق بدرهم^(٢) . وفي سنة ٧٠٥هـ/ ١٣٠٥م أتلف الفواكه^(٣) . واستمر تساقطه عدة أيام سنة ٧١٦هـ/ ١٣١٦م ، فأهلك الأغنام والدواب في حمص وبعليك وإعزاز ، وخرب عدة ضياع^(٤) . وفي سنة ٧١٨هـ/ ١٣١٨م أتلف البرَدُ مساحات واسعة من الزرع والغلال في طرابلس «حتى أن أربع وعشرين قرية لم ترد بذارها»^(٥) . وفي سنة ٧٢٥هـ/ ١٣٢٥م سقطت بحبات كبيرة الحجم ، فدمر محصول القمح «إذ طال قصب السنابل فرماه جميعه إلى الأرض ، وأخذه الفلاحون وأطعموه دوابهم»^(٦) . وأتلف كثيراً من أشجار الفاكهة ، لا سيما المشمش ، فضلاً عن

(١) قطب الدين موسى بن محمد اليونيني (ت ٧٢٦هـ/ ١٣٢٦م) ، ذيل مرآة الزمان ، ٤ مج ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، حيدر أباد الدكن ، الهند ، ١٩٥٤-١٩٦١م ، مج ٤ ، ص ٩٨ ؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام = وفيات المشاهير والأعلام ، حوادث ووفيات (٦٧١-٦٨٠هـ) ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري ، دار الكتاب العربي ، ط ١ ، بيروت ، ١٩٩٩م ، ص ٦١ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٣ ، ص ٣١٣ .

(٢) ابن الجزري ، تاريخ ، ج ١ ، ص ١٥٢ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٣ ، ص ٣٥٢ ، الأوقية تساوي ١٥٤غم وبذلك تكون الغرارة بمئتي درهم . انظر : فالتر هنتس ، المكايل ص ٢٠ .

(٣) الدويهي ، تاريخ الأزمنة ، ص ٢٩٠ .

(٤) النويري ، نهاية الأرب ، ج ٣٢ ، ص ٢٣١-٢٣٢ ؛ أبو الفداء ، المختصر ، ج ٢ ، ص ٤٢٥ ؛ ابن حبيب ، تذكرة ، ج ٢ ، ص ٧٤ ؛ المقرئ ، السلوك ، ج ٢ ، ق ١ ، ص ١٦٠-١٦١ .

(٥) مغلطاي ، تاريخ ، ص ١٨٣ ؛ ابن الوردي ، تاريخ ، ج ٢ ، ص ٢٥٨ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٤ ، ص ٨٩ ؛ المقرئ ، السلوك ، ج ٢ ، ق ١ ، ص ١٨١-١٨٢ .

(٦) ابن الجزري ، تاريخ ، ج ٢ ، ص ٦٤ ؛ وانظر : ابن الوردي ، تاريخ ، ج ٢ ، ص ٢٥٨ .

إتلافه المقائي كالحيار الذي ارتفع سعره إلى خمسة عشر درهماً للرطل الدمشقي^(١). وألحقت العاصفة الثلجية سنة ١٣٤٥هـ/١٣٤٥م أضراراً بالغة بالأشجار، لا سيما أشجار التفاح والعناب، وقضت على موسم القمح وكافة أنواع الزرع، وأهلكت أعداداً كبيرة من البهائم؛ نتيجة البرودة الشديدة وعدم توفر الأعلاف والمراعي^(٢). وفي سنة ١٣٦٠هـ/١٣٦٠م أتلّف البَرْد الكثير من الكروم، وأهلك الكثير من الأغنام والإبل^(٣). وفي سنة ١٣٨٣هـ/١٣٨٣م أتلّف البَرْد جميع أشجار الفواكه وخرب البساتين في دمشق^(٤).

ومن ثمّ نجد أنّ العواصف الثلجية والبَرْد ضربت مناطق بلاد الشام تسع مرات بمعدل مرة كل خمس عشرة سنة، وأضرّت بالزراعة في بلاد الشام ولكن بدرجة أقل من السيول أو الجفاف، لذا لم يظهر تأثيرها بوضوح على أسعار السلع الزراعية، وكانت أكثر المناطق تضرراً هي دمشق، وكانت الثروة الحيوانية هي الأكثر تضرراً بالثلج بالبَرْد.

وقد أدى الصقيع في بعض السنوات إلى الإضرار بالمزروعات والدواب، فأتلف في سنة ١٢٨٠هـ/١٢٨١م، الثمار والخضروات^(٥). وفي سنة ١٢٩٢هـ/١٢٩٢م أهلك عدداً كبيراً من الدواب وكميات من الفواكه في دمشق

(١) ابن الجزري، تاريخ، تاريخ، ج٢، ص٦٣-٦٤.

(٢) أبو الفداء، المختصر، ج٢، ص٥٠٦؛ الذهبي، ذيل العبر، ج٤، ص١٣٤؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٤، ص٢٢٦؛ ابن حبيب، تذكرة، ج٣، ص٦٣-٦٤؛ ابن قاضي شهبه، تاريخ، ج١، ص٤١٣؛ المقرئزي، السلوك، ج٢، ق٣، ص٦٧٣؛ السخاوي، وجيز، ج١، ص٦٠٧؛ السخاوي، الذيل التام، ص٦٩.

(٣) الذهبي، ذيل العبر، ج٤، ص١٨٦؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٤، ص٨٢؛ السخاوي، الذيل التام، ص١٧٣؛ السخاوي، وجيز، ج١، ص١٠٨؛ ابن طولون، اللمعات، ص٢٦-٢٧.

(٤) ابن قاضي شهبه، تاريخ، ج٣، ص١٥٦.

(٥) اليونيني، ذيل مرآة الزمان، مج٤، ص٩٨.

وبعلبك والزبداني^(١) . وفي سنة ٧٠٧هـ/١٣٠٧م قضى على الزرع بعد أن أخصب^(٢) . وفي سنة ٧٢٧هـ/١٣٢٦م أثر في كروم غوطة دمشق^(٣) . وفي سنة ٧٢٩هـ/١٣٢٨م أضر كثيراً بكروم العنب التي بلغت الخسائر فيها ما يساوي ٢٠٠ ألف درهم ، إضافة إلى الخسائر التي لحقت بأشجار التفاح واللوز والمشمش والجوز ، والخضروات كالباذنجان في غوطة دمشق^(٤) . وفي سنة ٧٣٠هـ/١٣٢٩م ، أتلف الصقيع الكروم والمقاثي وأكثر الخضراوات ، ولم يبق إلا ربع المغل^(٥) . وتكرر إضراره بأشجار الغوطة كأشجار المشمش واللوز والتوت والعنب ، والمزروعات كالباذنجان في سنوات ٧٣١هـ/١٣٣٠م و ٧٣٢هـ/١٣٣٢م و ٧٣٤هـ/١٣٣٣م و ٧٣٥هـ/١٣٣٤م^(٦) .

وهكذا نجد أن الصقيع ضرب بلاد الشام عشر مرات في الفترة مدار البحث بمعدل مرة كل ثلاث عشرة سنة ، وأن أكثر المناطق تضرراً كانت دمشق وخصوصاً غوطتها . علماً بأن المصادر المتاحة لا ترصد كل المناطق الشامية بالدقة نفسها التي ترصدها بدمشق لكثرة مؤرخيها ، واهتمامهم بأحوالها أكثر من غيرها ، وأن ذكرهم لغيرها يأتي عادة إما بالإطلاع على بعض الوثائق الديوانية التي ترد لنائب دمشق من نواب النيابات المملوكية المختلفة في بلاد الشام ، أو أحياناً بالرواية الشفوية التي تصلهم من بعض الذين شاهدوا الحدث ، أو من

(١) ابن الجزري ، تاريخ ، ج ١ ، ص ١١٩ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٣ ، ص ٣٥٢ .

(٢) الدويهي ، تاريخ الأزمنة ، ص ٢٩١ .

(٣) ابن الجزري ، تاريخ ، ج ٢ ، ص ١٨١ .

(٤) ابن الجزري ، تاريخ ، ج ٢ ، ص ٣٢٣ ، ٣٣٢ ؛ ابن الوردي ، تاريخ ، ج ٢ ، ص ٢٧٨ .

(٥) ابن الجزري ، تاريخ ، ج ٢ ، ص ٤٠٣ .

(٦) ابن الجزري ، تاريخ ، ج ٢ ، ص ٢٦٣ ، ٥٢١ ، ج ٣ ، ص ٦٦٤ ، ٧٥٨ ، ٨٥٨ ؛ ابن الوردي ، تاريخ ، ج ٢ ،

خلال مصادفة الكارثة أو الحالة الجوية أثناء تنقلهم من دمشق لبعض المدن الشامية .

وكانت أكثر المحاصيل تضرراً بالصقيع هي الكروم والبساتين وخصوصاً العنب والمشمش واللوز ثم تلاها الخضراوات وخصوصاً الباذنجان ، وهذا أمرٌ طبيعي لأن معظم رصد المصادر لموجات الصقيع تركز على دمشق وغطتها ، وهذه محاصيلها الزراعية في الفترة مدار البحث .

وتحدث الرياح العاتية تأثيراً كبيراً في الأشجار والزروع والحيوانات في بعض الأحيان ، فقد أفسدت في سنة ٦٦٧هـ/١٢٦٨م ، زروع بلاد الشام ، وأضررت بالزروعات^(١) . وفي سنة ٦٨٥هـ/١٢٨٦م كانت شديدة فأهلكت كثيراً من دواب حمص^(٢) . وفي سنة ٧٠٦هـ/١٣٠٦م أتلفت كثيراً من البساتين ، لا سيما أشجار السفرجل الذي تلف عن آخره^(٣) . وفي سنة ٧١٧هـ/١٣١٧م اقتلعت كثيراً من أشجار الزيتون والبلوط في حلب ونواحيها ، وقتلت عدداً كبيراً من أهلها ، كما قضت على عدد من الدواب^(٤) . وفي سنة ٧١٨هـ/١٣١٨م أهلكت الكثير من الحيوانات في طرابلس^(٥) . واقتلعت أشجاراً كثيرة من

(١) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص ٢٦٩ .

(٢) العيني ، عقد الجمان ، ج٢ ، ص ٣٥٤ .

(٣) مغلطاي ، تاريخ ، ص ١٧٣ .

(٤) شيخ الربوة ، نخبة الدهر ، ص ٨٥ ؛ النويري ، نهاية الأرب ، ج٣٢ ، ص ٢٤٩ ؛ مغلطاي ، تاريخ ، ص ١١٨١ ؛ ابن حبيب ، تذكرة ، ج١ ، ص ٨٠-٨١ .

(٥) النويري ، نهاية الأرب ، ج٣٢ ، ص ٢٨٤-٢٨٥ ؛ الذهبي ، ذيل العبر ، ج٤ ، ص ٤٩ ؛ ابن الوردي ، تاريخ ، ج٢ ، ص ٢٥٨ ؛ اليافعي ، مرآة الجنان ، ج٤ ، ص ١٩٤ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١٤ ، ص ٨٩ ؛ المقرئ ، السلوك ، ج٢ ، ق١ ، ص ١٨٢ ؛ ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب ، ج٦ ، ص ٩٦ .

أصولها في دمشق سنة ٧١٩هـ/١٣١٩م^(١). وأفسدت في سنة ٧٢٣هـ/١٣٢٣م الزروع والثمار «فهافت الغلة وفسدت الثمار»^(٢). والحقت أضراراً كبيرة بأشجارها سنة ٧٣١هـ/١٣٣١م. «وكسرت كثيراً من الأشجار والأغصان في دمشق»^(٣). وأدى هبوب رياح السموم والعواصف على طرابلس وعكا سنة ٧٤٠هـ/١٣٣٩م، إلى إحراق الأشجار، وبياس الثمار^(٤). وشمل هبوب الرياح في سنة ٧٤٨هـ/١٣٤٧م، كل بلاد الشام، فأتلقت واقتلعت كثيراً من الأشجار المثمرة، ولا سيما في حلب^(٥). واقتلعت العديد من أشجار الجوز، وأتلقت المزروعات في دمشق سنة ٧٨١هـ/١٣٧٩م^(٦). وتكرر هبوبها على دمشق سنة ٧٨٣هـ/١٣٨١م، وكانت شديدة فاقتلعت أشجاراً كثيراً بعروشها^(٧).

ونجد من خلال استعراض تأثير الرياح العاتية التي ضربت بلاد الشام، أنها ضربتها اثنتا عشرة مرة بمعدل كل إحدى عشرة سنة، وكان تأثيرها الأكبر

(١) النوري، نهاية الأرب، ج٣٢، ص٢٩٣؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٤، ص٩٥؛ ابن حبيب،

تذكرة، ج١، ص١٠٢، المقرئ، السلوك، ج٢، ق١، ص١٩٢.

(٢) المقرئ، السلوك، ج٢، ق١، ص٢٥٠.

(٣) أبو الفداء، المختصر، ج٢، ص٤٥٥؛ ابن الجزري، تاريخ، ج٢، ص٤٦٥؛ ابن كثير، البداية

والنهاية، ج١٤، ص١٦٠.

(٤) الذهبي، ذيل العبر، ج٤، ص١١٦؛ الياضي، مرآة الجنان، ج٤، ص٢٢٨؛ المقرئ، السلوك،

ج٢، ق٢، ص٤٩٥؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٦، ص٣٠؛ الدويهي، تاريخ

الأزمنة، ص٣٠٦.

(٥) أبو الفداء، المختصر، ج٢، ص٥١٦؛ ابن الوردي، تاريخ، ج٢، ص٣٣٨؛ الدويهي، تاريخ الأزمنة،

ص٣١٣.

(٦) ابن قاضي شهبة، تاريخ، ج٣، ص٣١٩؛

(٧) المقرئ، السلوك، ج٣، ق٢، ص٤٤٢؛ العسقلاني، إنباء الغمر، ج٢، ص٤٧؛ السخاوي، وجيز،

ج١، ص٢٥٤؛ السخاوي، الذيل التام، ص٣١٩.

على دمشق ثم تلتها حلب وطرابلس في التأثير بالرياح ، وكان تأثيرها الأكبر على الأشجار المثمرة .

ثانياً: الآفات الزراعيّة:

تعرضت بلاد الشام لبعض الآفات الزراعيّة كالجراد والفئران والدود ، خلال العصر المملوكي الأول ، فألحقت بأشجارها ومزارعها أضراراً بالغة ، ترتب عليها خسائر مادية كبيرة بالفلاحين ، إضافة إلى ارتفاع أسعار الغلال والفواكه .

فعلى امتداد ثلاث سنوات ، ٧٠١-٧٠٣هـ/١٣٠٢-١٣٠٤م ، هاجمت بلاد الشام ودمشق بشكل خاص أسراب ضخمة من الجراد ، ألحقت خسائر كبيرة بالأشجار المثمرة والزروع . ويصف محمد بن أحمد الذهبي (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م) ، ما أحدثه الجراد في دمشق في شوال سنة ٧٠١هـ/أيار ١٣٠٢م ، بقوله : «جاء دمشق جراد عظيم فما ترك حشيشة خضراء ، وأكل أكثر أوراق الأشجار ، . . . وبقي حبة في الأغصان ، ورأيت بعض الحب قد أكل نصفه»^(١) . ويضيف الحسن بن عمر بن حبيب (ت٧٧٩هـ/١٣٧٧م) «جاء الجراد إلى دمشق ، ولم نسمع بمثله ، وترك غالب الغوطة عصياً (عصي) مجردة ، ويبست الأشجار الخضراء التي لا تحصى»^(٢) . «وأكل الزرع والثمار وجرّد الأشجار حتى صارت مثل العصي»^(٣) . وأتلف كميات كبيرة من أشجار العنب في جبل لبنان سنة ٧٠٢هـ/١٣٠٣م^(٤) . وعاد لمهاجمة المناطق الساحلية وأكل

(١) الذهبي ، ذبول العبير ، ج٤ ، ص٣ ؛ وانظر : اليافعي ، مرآة الجنان ، ج٤ ، ص١٧٦ ؛ ابن حبيب ،

تذكرة ، ج١ ، ص٢٣٩ ؛ المقرئزي ، السلوك ، ج١ ، ق٣ ، ص٩٢٣ .

(٢) ابن حبيب ، تذكرة ، ج١ ، ص٢٣٩ .

(٣) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١٤ ، ص٢٠ ، المقرئزي ، السلوك ، ج١ ، ق٣ ، ص٩٢٣ ؛ العيني ، عقد

الجمان ، ج٤ ، ص١٩٣ .

(٤) الدويهي ، تاريخ الأزمنة ، ص٢٨٤ .

كثيراً من خضرهاواتها سنة ٧٠٣هـ/١٣٠٤م^(١). وأكل أكثر زروع حلب وتل باشر وإعزاز سنة ٧١٨هـ/١٣١٨م، إذ قدر ما أتلفه من الزرع بما يزيد على ٢٨٥٢ مكوكاً، عدا ما لم يتم إحصاؤه^(٢).

عادت أسراب الجراد سنة ٧٢٤هـ/١٣٢٣م^(٣). وسنة ٧٢٧هـ/١٣٢٦م، إلى بلاد الشام وأتلف كثيراً من مزرعاتها، وكانت دمشق أشد المناطق تضرراً منه، مما أدى إلى ارتفاع الأسعار^(٤). وفي سنة ٧٤٣هـ/١٣٤٢م كثر الجراد القادم من العراق، وتركز انتشاره في حلب ودمشق والقدس وغزة، وأكل الأشجار. ويصف تقي الدين أحمد المقرزي (ت ٨٤٥هـ/١٤٥١م) ذلك بقوله: «جراد عظيم سد الأفق، ومنع الناس من كثرته رؤية السماء وأكل جميع الأشجار حتى أخشابها، . . . وأفسد الثمار كلها»^(٥). وأتلف كثيراً من مزرعات دمشق والبلقاء، ولا سيما محصول الشعير، إذ أتى عليه بأكمله سنة ٧٤٧هـ/١٣٤٦م^(٦). وكثر سنة ٧٤٨هـ/١٣٤٨م، وكان من بيوض السنة السابقة، فرعى الزرع، وأتلف محصول القمح في المنطقة الممتدة من بعلبك إلى

(١) المقرزي، السلوك، ج ١، ق ٣، ص ٩٤٩؛ العيني، عقد الجمان، ج ٤، ص ٣٠٨.

(٢) مغلطي، تاريخ، ص ١٨٢ أ-ب، وتل باشر: قلعة حصينة وكورة واسعة شمالي حلب، أنظر: ياقوت

الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ٤٠. إعزاز: بليدة فيها قلعة شمالي حلب. ياقوت الحموي،

معجم البلدان، ج ٤، ص ١١٨، وهي مدينة في سهول حلب الغربية، تتبع محافظة حلب، المعجم

الجغرافي للقطر العربي السوري، ج ٥، مركز الدراسات العسكرية، ط ١، دمشق، ١٩٩٢-١٩٩٣م،

مجل ١، ص ١١٣.

(٣) المقرزي، السلوك، ج ٢، ق ١، ص ٢٤٥.

(٤) ابن الجزري، تاريخ، ج ١، ص ١٨١.

(٥) المقرزي، السلوك، ج ٢، ق ٣، ص ٦٢٢-٦٢٣.

(٦) ابن حبيب، المنتقى من درة الأسلاك، ص ٢٢٦؛ المقرزي، السلوك، ج ٢، ق ٣، ص ٧٠٢.

البلقاء^(١)، كما انتشرت أسرابه في المنطقة الممتدة بين منبج والباب، فخرج عسكر من حلب وخلق من فلاحي النواحي الحلبية، نحو أربعة آلاف نفس لمقاومته. وكان أذاه شديداً على أقوات الناس، إذا بيعت الغرارة من القمح بمبلغ ثلاثمائة درهم^(٢). وأتى على معظم زروع دمشق سنة ٧٥٢هـ/١٣٥١م، وارتفعت أسعار القمح، إذ ارتفع ثمن الغرارة من ٨٠ درهم إلى ١٢٠ درهماً^(٣). وشمل انتشاره معظم بلاد الشام مهلكاً الثمار والأشجار سنة ٧٥٦هـ/١٣٥٥م^(٤). وفي سنة ٧٦٥هـ/١٣٦٣م انخفض إنتاج بلاد الشام؛ لكثرة ما أتلّفه الجراد من الغلات والثمار والخضراوات. وفي ذلك يقول الحافظ بن كثير (ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م): «كثر الجراد في البساتين ورعى الخضراوات والأشجار... واتلف شيئاً كثيراً من الغلات والثمار والكروم والمقائمي والزراعات النفيسة، وعدم للناس غلات كثيرة، فقلت الثمار وغلّت الأسعار»^(٥). وكثر الجراد سنة ٧٦٦هـ/١٣٦٤م، وانتشر في مختلف أنحاء بلاد الشام، فاتلف

- (١) أبو الفداء، المختصر، ج ٢، ص ٥١١؛ المقرئ، السلوك، ج ٢، ق ٢، ص ٧٢٨؛ ابن شاهين، نيل الأمل، ج ١، ص ١٤٤؛ نهى محمد مكاحلة، الزراعة في بلاد الشام في العصر المملوكي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، ١٩٩٢م، ص ٢٠١.
- (٢) أبو الفداء المختصر، ج ٢، ص ٥١١؛ ابن الوردي، تاريخ، ج ٢، ص ٣٣٤؛ ابن حبيب، تذكرة، ج ٣، ص ٩٧؛ ابن شاهين، نيل الأمل، ج ١، ص ٢١٢، منبج: هي مدينة قديمة بينها وبين الفرات ثلاثة فراسخ تقريباً، وبينها وبين حلب عشرة فراسخ تقريباً، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٥، ص ٢٥٠. وهي مدينة في هضبة حلب الشرقية ومركز منطقة، تتبع محافظة حلب، تقع إلى الشمال الشرقي من مدينة حلب بمسافة ٨١ كم. المعجم الجغرافي للقطر العربي السوري، مج ٥، ص ٣٤٨.
- الباب: بلدة صغيرة تابعة لحلب، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ٣٠٣.
- (٣) المقرئ، السلوك، ج ٢، ق ٣، ص ٨٣٩؛ ابن شاهين، نيل الأمل، ج ١، ص ٢١٢.
- (٤) السخاوي، وجيز، ج ١، ص ٨١؛ السخاوي، الذيل التام، ص ١٤٤.
- (٥) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٤، ص ٣٢٢.

الكروم والمزروعات والمقايي وتسبب في ارتفاع الأسعار أيضاً^(١) . وتكرر هجوم الجراد على بلاد الشام سنة ٧٧٠هـ/١٣٦٩م ، وكان مصدره من شبه الجزيرة العربية ، وتركز في دمشق وحووران وعجلون ، فأكل الأشجار وأتلف الكثير من الزروع والثمار^(٢) .

ولم يكن الجراد هو الآفة الوحيدة وإنما كانت الفئران بسبب تكاثرها السريع تأتي على مساحات واسعة من المزروعات في فترة زمنية قصيرة وخاصة الغلال المخزونة ، فقد تمكنت الفئران في سنة ٦٥٩هـ/١٢٦١م ، من القضاء على معظم الغلال في حوران والجولان وأعمالهما ، إذ التهمت على حوالي ثلاثمائة ألف غرارة من القمح تقريباً عدا الشعير^(٣) ، ونتج عن ذلك ارتفاع أسعار الحنطة سنة ٦٦٠هـ/١٢٦٢م ، إذ بيع المكوك منها بأربعمائة درهم^(٤) . وتكرر هجومها على حوران والجولان سنة ٧٤٨هـ/١٣٤٧م ، فأكلت زروعها وخاصة محصول القمح^(٥) . وكثرت الفئران في البيادر سنة ٧٧٠هـ/١٣٦٨م ، وأتلفت معظم الغلال^(٦) .

والآفة الثالثة الخطرة على المزروعات كانت الدودة ، ففي شهر ربيع الآخر

(١) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١٤ ، ص٣٢٨ ؛ المقرئ ، السلوك ، ج٣ ، ق١ ، ص١٠١ ؛ ابن شاهين ، نيل الأمل ، ج١ ، ص٣٧١ ؛ ابن إياس ، بدائع ج١ ، ق٢ ، ص١٩ .

(٢) المقرئ ، السلوك ، ج١ ، ق١ ، ص١٧٣ ؛ ابن شاهين ، نيل الأمل ، ج١ ، ص٤٢٧ ؛ ابن إياس ، بدائع ، ج١ ، ق٢ ، ص٨٤-٨٥ .

(٣) الدواداري ، كنز الدر ، ج٨ ، ص٨٥ ؛ المقرئ ، السلوك ، ج١ ، ق٢ ، ص٤٤٢ ؛ العيني ، عقد الجمان ، أحداث (٦٤٨-٦٦٤هـ/١٢٥٠-١٢٦٦م) ، ص٣٢٣ .

(٤) اليونيني ، ذيل مرآة الزمان ، مج٢ ، ص١٦٢ ؛ النوري ، نهاية الأرب ، ج٣٠ ، ص٦٦ .

(٥) ابن قاضي شهبه ، تاريخ ، ج١ ، ص٥٠٢ .

(٦) المقرئ ، السلوك ، ج٢ ، ق١ ، ص١٧٣ ؛ ابن شاهين ، نيل الأمل ، ج١ ، ص٤٢٧ ؛ ابن إياس ، بدائع ، ج١ ، ق٢ ، ص٨٤ .

سنة ٦٨٠هـ/شباط ١٢٨١م، قضت الدودة على معظم أشجار التفاح في قرية بقرصونيا (إحدى قرى الضنية شمال لبنان) فيبس معظمها^(١). وهاجمت أشجار الزيتون بغوطة دمشق وألحقت بها أضراراً بالغة سنة ٧٣٠هـ/١٣٢٩م^(٢). وخلاصة القول أن الجراد كان الآفة الأكثر تأثيراً على الزراعة في بلاد الشام في الفترة مدار البحث، إذ هاجم زراعتها أربع عشرة مرة بمعدل مرة كل تسع سنوات، شملت معظم مناطق بلاد الشام تقريباً، ودمرت معظم المحاصيل فيها من شجر وحبوب وخضراوات بما أدى إلى نقص حاد في محاصيلها، وارتفاع كبير في أسعار السلع الغذائية.

ثالثاً: الأوبئة والطواعين؛

كانت جائحة الأوبئة والطواعين العامل الأكثر تأثيراً في سكان بلاد الشام خلال العصر المملوكي الأول، ويعرف البواء بأنه عموم الأمراض، وهو الذي يفسد له الهواء فتفسد به الأمزجة والأبدان، ومنشأه فساد الهواء وتلوّثه، والبواء أعم من الطاعون، فليس كل وباء طاعون، ولكن الطاعون يشكل أحد الأوبئة. ويذكر البواء مقترناً بالعديد من الأمراض من غير أن يكون المقصود به الطاعون^(٣). ويعرف الطاعون أنه «بشر مؤلم جداً، يخرج مع لهيب، ويسود ما حواليه، ويخضر ويحمر حمرة بنفسجية كدرة، ويحصل معه خفقان في القلب والقيء»، وقيل «انصباب الدم إلى عضو»، «أو هيجان الدم وانتفاخه»، «أو مادة سمية تحدث ورماً قتالاً في المواضع الرخوة والمغابن (مواضع الأفخاذ والأباط)

(١) اليونيني، ذيل مرآة الزمان، مج ١، ص ٣٠.

(٢) ابن الجزري، تاريخ، ج ٢، ص ٤٠٣.

(٣) مبارك محمد الطراونة، الأوبئة (الطواعين) وأثارها الاجتماعية في بلاد الشام في عصر المماليك

الجراسكة (٧٨٤-٩٢٢هـ/١٣٨٢-١٥١٦م). بحث منشور في المجلة الأردنية للتاريخ والآثار، ٤م،

٣ع، عمان، الأردن، ٢٠١٠م، ص ٤٧.

من البدن» وأكثر ما تكون تحت الإبط وخلف الأذن ، وعند الأرنبة (قصبه الأنف) فيحدث القيء والغثيان»^(١) .

ويذكر أن هناك طاعونين وفدا إلى بلاد الشام خلال العصر المملوكي الأول ، هما طاعون سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م ، من العراق^(٢) . والثاني وقد سنة ٧٤٩هـ/١٣٤٨م ، والذي بدأ في الصين ثم الهند وبلاد الروم ومنها إلى مصر وبلاد الشام^(٣) .

وللطاعون ثلاثة أشكال أولها الدملي ، ويعد البرغوث من اخطر النواقل له ، وعند نقله للمريض يبدأ تأثيره بالغدد اللمفاوية للجسم ، وتظهر أعراضه ببثر مؤلم جداً ، ويعتمد انتشاره على الكثافة السكانية ووجود القوارض^(٤) .

(١) الأنصاري (ت٩٢٥هـ/١٥١٩م) ، تحفة الراغبين في بيان أمر الطواعين ، مركز الوثائق والمخطوطات ، الجامعة الأردنية ، شريط رقم (٢٨٧) ، ص٢ب-١٣ ؛ مرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي (ت ١٠٣٣هـ/١٦٢٣م) ، تحقيق الظنون في أخبار الطاعون ، تحقيق رندا نبيل مخامرة ، رسالة ماجستير غير منشورة ، الجامعة الأردنية ، ٢٠١١م ، ص٩٨-٩٩ . وللمزيد حول أسباب الطاعون أنظر : عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م) ، مقدمة ابن خلدون ، ط٦ ، دار القلم ، بيروت ، لبنان ١٩٨٦م ، ص٣٠٢ ؛ محمد عطية ابو هويشل ، الأحوال الصحية والطبية في مصر وبلاد الشام في العصر المملوكي ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة العلوم الإسلامية ، ٢٠١٢م ، ص١٩٠-١٩٧ .

(٢) اليونيني ، ذيل مرآة الزمان ، ج١ ، ص١٧٤ ؛ الذهبي ، ذيل العبر ، ج٤ ، ص١٤٩ ؛ ابن حبيب ، المنتقى من درة الأسلاك ، ص٢٤١ ؛ المقرئزي ، السلوك ، ج١ ، ق٢ ، ص٤١٠ ؛ الدويهي ، تاريخ الأزمنة ، ص٢٣٨ .

(٣) المقرئزي ، السلوك ، ج٢ ، ق٣ ، ص٧٧٣-٧٧٤ ؛ جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تخري بردي (ت٨٧٤هـ/١٤٦٩م) ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ج١٦ ، تقديم محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٢ ، ج١٠ ، ص١٥٦-١٥٧ .

(4) Shoshan Boaz, *Money, Prices and Population in Mamluk Egypt*. Princeton, 1978, p. 113.

وقد أشار ابن حبيب (ت ٧٧٩هـ/١٣٧٧م) ، لمثل هذه الأعراض في طاعون سنة ٧٤٩هـ/١٣٤٨م ، الذي قتل أعداداً كبيرة من السكان^(١) . ونسبة الفناء في هذا الطاعون تتراوح بين ٦٠-٩٠٪ في غضون خمسة أيام^(٢) .

أما الطاعون الثاني فهو الرثوي ، وقد أشار ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م) إلى أن هذا الطاعون يقع في الرئة عند ازدياد فساد الهواء ، وإذا ما كان قليلاً تنتشر الحميات والأمراض^(٣) . ويتميز هذا الطاعون بسرعة العدوى لانتقاله عن طريق الهواء ، ويتبع الدملي ولا ينشأ مستقلاً عنه ونسبة الوفيات به ١٠٠٪ ، وينتشر في الغالب في فصل الشتاء لارتباطه بالرئتين^(٤) .

وقد أشار المقرئزي إلى أنه بعد الكبة ودخول فصل الشتاء ، حدث نفث الدم ، وكان المريض لا يعيش أكثر من خمسين ساعة . «إذ يحس الإنسان بحرارة وغثيان ويموت بعد ذلك ، ويتبعه أهل الدار واحداً بعد الآخر حتي يفنيهم بعد ليلة أو ليلتين»^(٥) . ومن أمثلة هذا النوع من الطواعين ما حدث ببلاد الشام في السنوات ٧٢٤هـ/١٣٢٤م ، ٧٢٦هـ/١٣٢٦م ، ٧٤٩هـ/١٣٤٨م ، ٧٦٤هـ/١٣٦٢م ، ٧٧١هـ/١٣٦٩م ، ٧٧٤هـ/١٣٧٢م ، ولعل تكرار الطواعين من هذا النوع يشير إلى مدى الخسارة السكانية التي أصابت بلاد الشام خلال العصر المملوكي الأول .

أما النوع الثالث ، فهو الدموي أو العفني الذي ينجم عن دخول البكتيريا

(١) ابن حبيب ، المنتقى من درة الأسلاك ، ص ٤٢١ ؛ وانظر : المقرئزي ، السلوك ، ج ٢ ، ق ٣ ، ص ٧٧٥ ؛ ابن تغري بردي ، النجوم ، ج ١٠ ، ص ١٥٧ .

(2) Boaz, op. cit., p. 108.

(٣) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٣٠٢ .

(4) Michael Dols, *The Black Death in the Middle East*. Princeton, 1977, pp. 79, 227; Boaz, op. cit., p. 111.

(٥) المقرئزي ، السلوك ، ج ٢ ، ق ٣ ، ص ٧٨١ ؛ وانظر : ابن تغري بردي ، النجوم ، ج ١٠ ، ص ١٦٢ .

إلى جهاز الدورة الدموية للإنسان بالحقن المباشر من البرغوث ، فيموت الإنسان فجأة من غير ظهور علامات الإصابة في بضع ساعات ، أي أن نسبة الوفيات ١٠٠٪^(١) . وقد يكون استعمال عبارات الموت السريع مناسباً كما حصل سنة ٧٢٤هـ/١٣٢٤م ، إذ «كثير الموت السريع في الشام»^(٢) و «النزلات التي تنحدر من الدماغ إلى الصدر فيموت الإنسان في أقل من ساعة ، دون ظهور علامات المرض»^(٣) ، «والطاعون الخاطف»^(٤) ، تعبيراً عن ظهور حالات من هذا النوع في سنة ٧٦٥هـ/١٣٦٣م ، و٧٧١هـ/١٣٧٠م^(٥) .

ويعد طاعون سنة ٧٤٩هـ/١٣٤٨م من أسوأ الطواعين التي اجتاحت بلاد الشام في تاريخ الدولة المملوكية ، والذي أطلق عليه الفناء أو الفصل الكبير ، واستمر من جمادى الأولى سنة ٧٤٩هـ/١٣٤٨م إلى بداية محرم سنة ٧٥٠هـ/١٣٤٩م .

توضح الأرقام الواردة عن عدد الوفيات ما سببه هذا الطاعون من نقص في عدد السكان ، إذ قدر عدد الوفيات في غزة من ثاني المحرم إلى رابع صفر - على ما ورد في كتاب نائبها - زيادة على اثنين وعشرين ألف إنسان^(٦) ، وبلغ عدد من يموت بحلب في كل يوم خمسمائة إنسان ، وفي دمشق أكثر من ألف ومائتين

(1) Dols, op. cit., p. 73.

(٢) المقرئزي ، السلوك ، ج٣ ، ق١ ، ص٢٥٧ .

(٣) ابن إياس ، بدائع ، ج١ ، ق٢ ، ص١٣ .

(٤) السخاوي ، الذيل التام ، ص٢٤٢ .

(٥) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١٤ ، ص٣٢٠ ، ٣٢٢ ؛ ابن قاضي شهبه ، تاريخ ، ج٢ ، ص٢٤٥ ؛

المقرئزي ، السلوك ، ج٣ ، ق١ ، ص٨٢ ، ١٨٣ ؛ ابن تغري بردي ، النجوم ، ج١١ ، ص١٤ ، ٢١ ،

٩٠ .

(٦) المقرئزي ، السلوك ، ج٢ ، ق٣ ، ص٧٧٥ ؛ ابن تغري بردي ، النجوم ، ج١ ، ص١٥٧ .

إنسان في اليوم^(١). وقيل أنه كان يصلي في أكثر الأيام على أزيد من مائتي جنازة وفي بعض الأيام على ألف جنازة^(٢).

وبعد هذا الطاعون وحتى سنة ١٣٨٢هـ/٧٨٤م، اجتاح بلاد الشام ثمانية طواعين بمعدل طاعون كل أربع عشرة سنة، منها طاعون سنة ١٣٦٣هـ/٧٦٥م والذي ابتداء سنة ١٣٦٢هـ/٧٦٤م وهلك به خلائق كثيرة جداً في دمشق وغزة وحلب^(٣). وقدرت وفياته بحوالي مائة شخص يومياً^(٤). ووصف طاعون سنة ١٣٧٠هـ/٧٧١م بالخاطف؛ لأنه «يخطف الرجل أو المرأة أو الصبي في يوم أو يومين»^(٥). ووصل عدد الوفيات فيه إلى حوالي مائتين وخمسين شخصاً في اليوم^(٦). وقدرت وفيات طاعون سنة ١٣٧٢هـ/٧٧٤م، بمائتي وفاة لكل يوم^(٧). واستمر طاعون سنة ١٣٧٣هـ/٧٧٥م إلى شهر حزيران من سنة ١٣٧٤هـ/٧٧٦م، إذ وصل عدد الموتى في شهر ذي الحجة سنة ٧٧٥هـ إلى

(١) ابن حبيب، المنتقى من درة الأسلاك، ص ٢٤١؛ المقرئ، السلوك، ج ٢، ق ٣، ص ٧٧٥؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج ١٠، ص ١٦٠.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٤، ص ٢٣٨؛ ابن قاضي شهبه، تاريخ، ج ١، ص ٥٤٩؛ المقرئ، السلوك، ج ٢، ق ٣، ص ٧٧٩.

(٣) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٤، ص ٣٢٠؛ ابن قاضي شهبه، تاريخ، ج ٢، ص ٢٤٥؛ المقرئ، السلوك، ج ٣، ق ١، ص ٨٢؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات، ج ٦، ص ٣٩٣.

(٤) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٤، ص ٣٢٣.

(٥) السخاوي، وجيز، ج ١، ص ١٧٦؛ السخاوي، الذيل التام؛ ص ٢٤٢.

(٦) ابن قاضي شهبه، تاريخ، ج ٢، ص ٣٦٢.

(٧) ابن حبيب، المنتقى من درة الأسلاك، ص ٤٢١؛ العسقلاني، إنباء الغمر، ج ١، ص ٣٧؛ السخاوي، وجيز، ج ١، ص ١٩٢؛ السخاوي، الذيل التام، ص ٢٥٩؛ ابن شاهين، نيل الأمل، ج ٢، ص ٤٢؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات، ج ٦، ص ٤٣١.

حوالي ألف إنسان في اليوم^(١). تبعه وباء سنة ٧٧٧هـ/١٣٧٥م كان أشده في حلب، أفنى خلق كثير حتى كان يدفن العشرة والعشرين في قبر بغير غسل ولا صلاة^(٢). وابتدأ طاعون سنة ٧٨٤هـ/١٣٨٢م، من شهر محرم إلى ربيع الثاني، وزاد عدد الوفيات به حتى قارب الثلاثمائة، ويقال تجاوز الأربعمئة في اليوم^(٣). ومهما كانت المبالغة في الأرقام فإنها تشير إلى أن حجم خسارة بلاد الشام بالسكان كانت كبيرة.

ويصاحب الطواعين نقص في الأيدي العاملة، من ذلك أن طاعون سنة ٧٤٩هـ/١٣٤٨م، «شمل الموت فيه أهل الضياع بأرض غزة، وكان أواخر زمان الحرث، فكان الرجل يوجد ميتاً والمحراث في يده، ويوجد آخر قد مات وفي يده ما يبذره، وخرج رجل بعشرين نفرًا لإصلاح أرضه، فماتوا واحدًا بعد واحد، وهو يراهم يتساقطون أمامه»^(٤). ويدل استعمال عبارات: أن طاعون سنة ٧٤٩هـ/١٣٤٨م، أباد أهل الغور، وسواحل عكا وصفد، وبلاد القدس ونابلس والكرك، وعرب البوادي وسكان الجبال والضياع، ولم يبق في جنين سوى عجوز، ولم يبق في بلد اللد أحد^(٥). وموت ألف ومائتا إنسان في كل يوم بحلب سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م^(٦). ولم يبق بدمشق بيت بلا مريض سنة

(١) ابن قاضي شهبه، تاريخ، ج٢، ص٤٣٥؛ العسقلاني، إنباء الغمر، ج١، ص١٠٠؛ السخاوي،

وجيز، ج١، ص١٩٩؛ السخاوي، الذيل التام، ص٦٧.

(٢) العسقلاني، إنباء الغمر، ج٢، ص١٥٤-١٥٥؛ السخاوي، وجيز، ج١، ص٢١٣؛ السخاوي،

الذيل التام، ص٢٨١؛ ابن إياس، بدائع، ج١، ق٢، ص١٦٠؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات،

ج٦، ص٤٥٥.

(٣) العسقلاني، إنباء الغمر، ج٢، ص٨٤.

(٤) المقرئزي، السلوك، ج٢، ق٣، ص٧٧٥؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٠، ص١٥٧-١٥٨.

(٥) المقرئزي، السلوك، ج٢، ق٣، ص٧٧٤؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٠، ص١٥٧.

(٦) اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ج١، ص٣٣؛ المقرئزي، السلوك، ج١، ق٢، ص٤١٠.

١٣٢٦هـ/١٣٢٦م^(١) . وأخلت الشام من سكانها سنة ٧٤٩هـ/١٣٤٨م^(٢) . وقضي على خلق كثير في بلاد الشام سنة ٧٦٤هـ/١٣٦٢م^(٣) ، وموت خلائق لا تحصى بدمشق سنة ٧٧١هـ/١٣٦٩م^(٤) ، على موت عدد كبير من الفلاحين ونقص في الأيدي العاملة في الزراعة .
وأسهمت الأوبئة والطواعين في القضاء على الحيوانات وبخاصة الأبقار ، التي تعد رأس مال ثابت للفلاح ، إذا يعتمد عليها في جميع أعماله الزراعية ، كالحرثة ، ونقل المحاصيل ودرسها . ففي سنة ٧٠٣هـ/١٣٠٣م ، انتشر الوباء بين الخيول ، ومات نحو ثمانين ألف فرس في حلب ودمشق^(٥) . وماتت الأبقار في غزة ، والإبل والحمير في الغور وبيسان سنة ٧٤٩هـ/١٣٤٨م ، لإصابتها بالطاعون^(٦) .

ونستخلص مما سبق مجموعة من النتائج الرئيسة أهمها :

- أن الجفاف ضرب بلاد الشام أكثر من مرة في الفترة مدار البحث ، وأدى لإتلاف الكثير من المحاصيل وخصوصاً الحبوب .
- أن السيول والفيضانات التي ضربت بلاد الشام أثرت بشكل واضح على المحاصيل الزراعية وخصوصاً البساتين ، كما أدت إلى تضرر المشاريع المائية الضرورية للزراعة من سد مجاري الأنهار أو تدمير للطواحين المائية .

(١) ابن الجزري ، تاريخ ، ج ٢ ، ص ١٢٣ .

(٢) الدويهي ، تاريخ الأزمنة ، ص ٣١٣ .

(٣) الذهبي ، ذيل العبر ، ج ٤ ، ص ٢٠٢ ؛ المقرئ ، السلوك ، ج ٣ ، ق ١ ، ص ٨٢ .

(٤) المقرئ ، السلوك ، ج ٣ ، ق ١ ، ص ١٨٣ ؛ ابن تغري بردي ، النجوم ، ج ١١ ، ص ٩٠ ؛ ابن شاهين ، نيل الأمل ، ج ٢ ، ص ١٥ .

(٥) المقرئ ، السلوك ، ج ١ ، ق ٣ ، ص ٩٤٩ ؛ العيني ، عقد الجمان ، ج ٤ ، ص ٣٠٨ .

(٦) المقرئ ، السلوك ، ج ٢ ، ق ٣ ، ص ٧٧٥ ، ٧٨٤ ؛ ابن تغري بردي ، النجوم ، ج ١٠ ، ص ١٥٨ ، ١٦٥ .

- ضربت موجات الصقيع بلاد الشام وتركزت في غوطة دمشق أكثر من غيرها ، وأدت إلى تلف جزئي للمحاصيل وخصوصاً الأشجار والخضروات ، وبلغ تأثيرها في أسوأ موجاتها إلى أتلانف ثلاثة أرباع المحصول .
- كان أكثر الآفات الزراعية تأثير على المحاصيل في بلاد الشام الجراد الذي هاجم المحاصيل أكثر من مرة في بلاد الشام .
- كان للطاعون المتكرر في بلاد الشام تأثير كبير على الزراعة بها من ناحية نقص عدد الفلاحين العاملين في الزراعة بسبب الطاعون ، أو من ناحية أخرى من خلال تدمير الثروة الحيوانية وخصوصاً المستخدمة في الزراعة .
- ركزت المصادر المملوكية التي تمكنت من الاطلاع عليها على دمشق والمدن الرئيسية في رصدها للكوارث والآفات والأوبئة ، ولا يعني عدم ظهورها في المناطق غير الرئيسة في رصد المصادر أنها نجت من تلك الكوارث .

زراعة الزيتون ببلاد الشام والصناعات القائمة عليها في العهد المملوكي (١٢٥٠هـ / ١٢٥٠م - ٩٢٣هـ / ١٥١٦م)

يوسف إبراهيم الزامللي (*)

المقدمة

تعتبر شجرة الزيتون من الأشجار المباركة لأهميتها الكبرى من الناحيتين الغذائية والاقتصادية فهي مصدر مهم من مصادر استخراج الزيت وصناعة الصابون ، وزيت الزيتون له فوائد طبية كبيرة ورد ذكره في الأحاديث النبوية بأنه يشفي من كثير من الأمراض (١) .

ولقد اهتم أهل الشام بزراعة شجر الزيتون واهتموا به اهتماما كبيرا خاصة انه لا يحتاج من الفلاح جهدا كبيرا للعناية به ، حيث تحرث الأرض حول شجرة الزيتون مرتين أو ثلاث مرات في العام وتقليمها مرة كل ثلاث أو أربع سنوات (٢) ، كما إن شجرة الزيتون لا تحمل ثمارا وفيرة إلا عاماً بعد

(*) جامعة الأقصى ، كلية الآداب ، قسم التاريخ ، فلسطين .

(١) معلا ، جميل ، وعبد الحنان الحلوة، زراعة الزيتون في سوريا ، دمشق ، ١٩٥٥م ، ص٤٦ ؛ زيود ، محمد ، حالة بلاد الشام الاقتصادية منذ العهد الطولوني حتى نهاية العهد الفاطمي ، د . د م ، ١٩٨٧م ، ص٢٠١ .

(٢) النابلسي ، عبد الغني بن اسماعيل (ت ١١٤٣هـ / ١٧٣٠م) ، الملاحه في علم الفلاحة ، مخطوط مصور من مكتبة الكونجرس رقم ٨٤ ، مجموعة الشرق الأدنى ، وتوجد عنه نسخة مصورة بمكتبة مركز الوثائق والمخطوطات ودراسات بلاد الشام ، الجامعة الاردنية (ميكروفلم رقم ٤٦٨ ، ص ٢٩١) .

عام^(١) ، وهي تتحمل قلة المياه^(٢) .

والمشهور عند أهل الفلاحة أن شجرة الزيتون تعمر ثلاثة آلاف عام ويبدأ موسم جني الزيتون في بلاد الشام في شهر تشرين الثاني^(٣) .
وفد غطت أشجار الزيتون مساحات كبيرة من بلاد الشام حتى قيل أنها وجدت بها منذ زمن سيدنا عيسى عليه السلام^(٤) ، وكانت فلسطين من المراكز الرئيسية لزراعته في العصور الإسلامية^(٥) . وقد ضرب بكثرة زيتون فلسطين

(١) القزويني ، زكريا بن محمد بن محمود (ت ٧٨٢هـ / ١٢٨٣م) ، عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات ، تحقيق فاروق سعد ، دار الأفاق الجديدة ، بيروت ، ١٩٨١م ، ص ٢٩١ ، وسيشار إليه عند وروده فيما بعد : القزويني ، عجائب .

(٢) القزويني ، عجائب ، ص ٢٩١ ؛ النابلسي ، الملاحه ، ص ٣٩ .

(٣) مجهول (من القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي) ، مفتاح الراحة لاهل الفلاحة ، تحقيق ودارسة محمد عيسى صالحية ، إحسان صدقي العمدة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب ، قسم التراث العربي ، الكويت ، ط ١ ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م ، ص ١٩١ ؛ الأشبيلي ، محمد بن حجاج ، المقنع في علم الفلاحة ، تحقيق صلاح جرار ، جابر أبو صفية ، تدقيق عبد العزيز الدوري ، مجمع اللغة العربية الأردني ، د . م ، ١٩٨٩م ، ص ٥٤-٥٦ .

(٤) البدري ، أبي البقاء عبد الله بن محمد البدري المصري ، (ت ٨٤٧هـ / ١٤٤٣م) ، نزهة الأنام في محاسن الشام ، المكتبة العربية ، بغداد ، المطبعة السلفية بمصر ، القاهرة ، ١٣٤١هـ / ١٩٢٢م ، ص ٢١٢ .

(5) D. M. Varisco, Zaytūn, *Encyclopedia of Islam*, 2nd ed., vol. 11, p. 487.

نقلًا عن : أبو شمالة ، شريف ، فلسطين تحت الحكم العباسي المباشر ١٣٢-٢٦٤هـ / ٧٥٠-٨٧٨م ، أطروحة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، قسم التاريخ والآثار ، الجامعة الإسلامية ، غزة ، ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م ، ص ١٣٧ .

المثل ، فقيل : «مثل بلد فلسطين في كثرة الزيتون»^(١) ، وقيل : «ثلاث غلات في ثلاثة بلدان متساويات : الزيتون بفلسطين ، والتمر بالبصرة ، والأرز بالأهواز»^(٢) ، وكان أهل فلسطين يقولون : أن الزيت والزيتون في بلادهم يفوق في كثرته سائر البلدان^(٣) .

ومن اهتمام أهل بلاد الشام بشجرة الزيتون وزراعتها أنها كانت تدر عليهم أرباحا طائلة لدرجة أن زراعتها كانت متطورة قبيل العهد المملوكي خاصة في مدن القدس والخليل ونابلس^(٤) . وقام عليها معاصر الزيت التي كانت منتشرة في أغلب القرى التي تكثر فيها أشجار الزيتون^(٥) .

وكان الفلاحون في هذه الفترة يجنون ثمار الزيتون عن طريق جد الأشجار بالعصي^(٦) .

(١) الدينوري : عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ / ٨٨٩م) ، المعاني الكبير في أبيات المعاني ، المحقق :

المستشرق سالم الكرنكوي ، عبد الرحمن ابن يحيى بن علي اليماني (١٣١٣هـ-١٣٨٦هـ) ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد الدكن بالهند ، ج ١ ، ص ١٧٠ . العزيزي ، المهلي : المسالك والممالك ، جمع وتعليق وحواشي تيسير خلف ، د . ت . ص ٨٥ . كمال الدين عمر بن أحمد ابن العديم (ت ٨٠٩هـ / ١٤٥٦م) ، بغية الطلب في تاريخ حلب ، ج ١٢ ، تحقيق سهيل زكار ، ط ١ ، دار الفكر بيروت ، ١٩٨٨م ، ج ١ ، ص ٦٠ .

(٢) التوحيدي ، ابن حيان (ت ٤١٤هـ / ١٠٢٣م) ، البصائر والذخائر ، تحقيق وداد القاضي ، دار صادر ، بيروت ، ط ١ ، د . ت . ج ٧ ، ص ١٨٦ .

(٣) ابن الفقيه ، أحمد بن محمد الهمداني (ت ٢٩٠هـ / ٩٠٢م) ، مختصر تاريخ البلدان ، مطبعة بريل ، ليدن ، ١٣٠٢هـ / ١٨٨٤م ، ص ١٦٦ .

(4) Meron Benvenisti, *The Crusaders in the Holy Land*. New York, 1970, pp. 161, 224, 447;

Joshua Prawer, *The Latin Kingdom of Jerusalem*. London, 1972, p. 362.

(5) Prawer, op. cit., p. 361.

(٦) البيشاوي ، سعيد ، الممتلكات الكنسية في مملكة بيت المقدس الصليبية ٤٩٢-٦٩٠هـ / ١٠٩٩-١٢٩١م ، دار المعرفة الجامعية الأسكندرية ، مصر ، ١٩٨٩م ، ص ٤٢٧ .

وكذلك كان يتم جني الزيتون بطريقة النفض^(١)، والتلقيط؛ لكن كان يُفضل طريقة التلقيط؛ لأن النفض قد يفتق العيون، ويكسر غصون الشجرة المباركة^(٢).

أماكن زراعة الزيتون في الشام:

اهتم أهل الشام بزراعة شجر الزيتون منذ أيام اليونان وأصبحت جزءاً من حياتهم ولأهمية هذه الشجرة أقسم المولي عز وجل به في كتابه العزيز في قوله تعالى ﴿وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونَ﴾ وَطُورِ سَيْنِينَ * وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴿٣﴾، وانتشرت زراعة الزيتون في أغلب قري الشام حيث أكد العمري على وفرة زراعته في الشام بقوله «وبالشام الزيتون الكثير ومنه يحمل إلى كثير من البلاد»^(٤). وتركزت زراعته في المناطق الجبلية فكانت رساتيق بيت المقدس كلها أشجار

(١) ابن أنس، مالك بن أنس بن مالك: المدونة، دار الكتب العلمية، (١٩٤١٥هـ/١٩٩٤م)، ج٣، ص ٤٧٠.

(٢) الطبري، محمد بن يحيى بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ/٩٢٢م) تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، نشر دار المعارف، مصر، ١٩٦٧م، ج٧، ص٢٠٦؛ البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر البغدادي (ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م)، أنساب الأشراف، تحقيق سهيل زكار، رياض زركلي، ط١، دار الفكر؛ ج٨، ص٤١١، ابن كثير، إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م)، البداية والنهاية، ج٤، مكتبة المعارف، بيروت، د. ط، د. ت، ج٩، ص٢٨٥. وسيشار إليه فيما بعد ابن كثير: البداية والنهاية؛ الزمخشري، محمود بن عمرو، (ت ٥٣٨هـ/١٤٤٣م)، ربيع الأبرار ونصوص الأخيار، مؤسسة الأعلمي، بيروت (١٤١٢هـ/١٩٩١م) ج١، ص٢٤٢.

(٣) سورة البلد، الآيات (١-٣).

(٤) العمري، أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العدوي، شهاب الدين، (ت ٧٤٩هـ/١٣٤٨م)، مسالك الأبصار، تحقيق ٢٧ج، نشر المجمع الثقافي، أبو ظبي، ط١، ١٤٢٣هـ، ج٣، ص٤٢٨. وسيشار إليه فيما بعد: العمري، مسالك الأبصار.

زيتون تنبت بغير ماء والخيرات بها كثيرة ورخيصة وفيها أرباب عائلات يملك الواحد منهم خمسين ألف من زيت الزيتون يحفظونها في الآبار والأحواض ويصدرونها إلى أطراف العالم^(١) ، أما عن مناطق توزيع تلك الشجرة المباركة ، فنجد أنها كانت منتشرة في «سائر جبال فلسطين وسهلها»^(٢) ، «ومدن سواحل فلسطين منها : عسقلان وأرسوف ويافا . . . بها شجر الزيتون ، والكروم كثيرة جدا»^(٣) .

وتُعد القدس وجبالها^(٤) ، وخاصة طور زيتا ، وقرية العازرية^(٥) ، من أشهر

(١) ناصر خسرو ، سفرنامه (كان حياً ٤٥٥هـ / ١٠٦٣م) ، رحلة ناصر خسرو الي لبنان وفلسطين ومصر والجزيرة العربية في القرن الخامس الهجري ، نقلها الي العربية ، يحيى الخشاب ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٧٠م ، ج١ ، ص٥٥-٥٦ . وسيشار إليه فيما بعد : ناصر خسرو ، سفرنامه .

(٢) الإصطخري ، إبراهيم بن إسحاق بن محمد الفارسي (ت ٣٤٦هـ / ٩٥٧م) ، المسالك والممالك ، تحقيق محمد جابر الحسيني ، مراجعة محمد شفيق غربال ، الجمهورية العربية المتحدة ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، ١٣١٨هـ / ١٩٦١م ، ص٥٨ .

(٣) الإدريسي ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن إدريس (ت ٥٦٠هـ / ١١٦٦م) ، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق (اسطوانة مكتبة التاريخ والحضارة الإصدار الثالث) ، ج١ ، ص٣٦٤ .

(٤) خسرو : سفر نامه ، ص٥٥ . البكري ، أبو عبيد : المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ، من كتاب «المسالك والممالك» ، تحقيق دوسلان ، مكتبة المثنى ، بغداد ، ط (١٣٧٦هـ / ١٩٥٧م) ، ص١٩٣ . بورويبة ، رشيد : الدولة الحمادية ، تاريخها وحضارتها ، الجزائر ، ديوان المطبوعات الجامعية ، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م) ، ج١ ، ص٤٦٦ . المنجم ، إسحاق بن الحسين : أكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م ، ص٣١ .

(٥) الإدريسي : نزهة ، ج١ ، ص٣٥٧ ؛ العليمي ، مجير الدين الحنبلي (ت ٩٢٧هـ / ١٥٢٠م) ، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، ج٢ ، تحقيق عدنان يونس عبد المجيد نباتة ، نشر مكتبة دنديس ، عمان ، سنة ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م ، ج٢ ، ص٧٥ . وسيشار إليه فيما بعد : العليمي ، الانس الجليل .

مناطق زراعة الزيتون في فلسطين^(١) ، وقد أُطلق على أحد جبال القدس اسم جبل الزيتون ربما لكثرة ما زرع عليه من أشجار الزيتون^(٢) ، وقد وصف ياقوت وادي موسى بأنه «واد حسن كثير الزيتون»^(٣) ، كما كان في عكّة «غابة زيتون»^(٤) . ووُصفت الخليل بأن فيها «الزيتون كثير»^(٥) ، وينطبق القول نفسه على عسقلان^(٦) . وعد السخاوي الزيتون في الخليل من الفاكهة فذكر أن «أغلب فواكهها الزيتون»^(٧) .

(١) المقدسي ، شمس الدين ابي عبدالله محمد بن احمد المعروف بالبشاري (ت ٣٨٧هـ/٩٩٧م) ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، وضع مقدمته وهوامشه وفهارسه محمد مخزوم ، نشر دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م ، ص ١٦٧ ، ١٧٩ . وسيشار له فيما بعد : المقدسي ، أحسن التقاسيم .

(٢) ابن حوقل ، ابي القاسم محمد (ت ٤٠٠هـ/١٠٠٩م) : صورة الأرض ، نشر مكتبة دار الحياة بيروت ، ج ١ ، ص ١٥٩ .

(٣) الحموي ، ياقوت بن عبد الله (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م) ، معجم البلدان ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٨٤م ، ج ٥ ، ص ٣٤٦ . وسيشار إليه فيما بعد : الحموي ، معجم البلدان . وانظر : البغدادي : صفى الدين ، عبد المؤمن بن عبد الحق ، ابن شمائل القطيعي الحنبلي (ت ٧٣٩هـ/١٢٣٩م) مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، دار الجيل ، بيروت ، ١٤١٢هـ/١٩٩١م ، ج ٣ ، ص ١٤١٨ .

(٤) المقدسي : أحسن التقاسيم ، ص ١٦٢ .

(٥) ناصر ، خسرو : سفر نامه ، ص ٧٣ .

(٦) المصدر نفسه . ص ٧٣ .

(٧) السخاوي ، محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد شمس الدين أبو الخير (ت ٩٠٢هـ/١٤٩٧م) ، البلدانيات ، تحقيق : حسام بن محمد القطان ، دار العطاء ، ط ١ ، السعودية ، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م ، ص ٦٩ .

كما زرع الزيتون في صفد^(١) ، وكذلك الرملة^(٢) ، وقد تحصن جوهر الصقلي القائد الفاطمي بزيتون الرملة ، بعدما لاحقه أفتكين^(٣) ، في دلالة على وجود غابات كثيفة من أشجار الزيتون في الرملة ، يتسنى لجيشه بأكمله الاحتماء بين أغصانها .

ويعود زراعته في القدس إلى العهدين الروماني والإسلامي ، وتشير نتائج المسح العثماني سنة ١٩٦٣هـ/١٥٥٥م أن الزيتون زرع في قرى ومزارع القدس بشكل كثيف مثل قرية قلونيا والعازية ولفتا ودير أبو ثور وطبلية وبيت طلما وسنجل وبيت صفا^(٤) ، كما وجد سوقاً خاصاً بالزيت في القدس عرف بسوق الزيت^(٥) ، وكان يزرع في قرية كفر كنا^(٦) ، ومن كثرة اهتمام أهل الشام بالزيتون أنهم جعلوا بداية موسم قطافه عيداً سموه بعيد الزيتون^(٧) ، أما الخليل فإن

(١) شيخ الربوة ، شمس الدين أبي عبد الله محمد أبي طالب الأنصاري (٧٢٧هـ/١٣٢٦م) ، نخبة

الدهر في عجائب البر والبحر ، تحقيق مهرا ، ط ١ ، بطرسبرغ ، ١٩٣٥م ، ص ٢١١ .

(٢) ناصر ، خسرو ، سفرنامه ، ص ٥٥ .

(٣) المقرئ ، أبو العباس تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر الحسيني العبيدي (ت

٨٤٥هـ/١٤٤١م) : اتعاظ الخنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء ، تحقيق الجزء ١ : جمال الدين

الشيال ، الجزء ٢ ، ٣ : حققه د . محمد حلمي محمد أحمد ، ج ١ ، ص ٢٤١ .

(٤) وقفية خاصكي سلطان في بيت المقدس ، رسالة دكتوراة غير منشورة ، دراسة وتحليل الطالب ، غسان

محيش ، مقدمة لجامعة عين شمس بالقاهرة ، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م ، ص ٢٨-٢٩ .

(٥) العلمي ، الأنس الجليل ، ج ٢ ، ص ٣٠٤ .

(٦) يوهان يودنغ ، بيركهات ، رحلات بيركهات ، القسم الخاص في سورية الجنوبية ، ترجمة أنور

عرفات ، ج ٢ ، منشورات دائرة الثقافة والفتون بوزارة الثقافة والإعلام ، الطبعة الأردنية ، عمان ،

١٩٦٩م ، ص ٦٧ . وسيشار له فيما بعد : بيركهات رحلات .

(٧) ابن الوردي ، سراج الدين (ت ٦٩١هـ/١٢٩١م-٨٦١هـ/١٤٥٧م) ، عجائب البلدان ، من خلال

مخطوط ، خريدة العجائب وفريدة الغرائب ، تحقيق وتعليق وتقديم ، أنور محمود زنا ، جامعة عين

شمس ، ص ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ . وسيشار إليه فيما بعد : ابن الوردي ، عجائب البلدان .

أغلب الزراعة فيها من الزيتون «ويعطي أهل الخليل الضيوف والمسافرين والزائرين الخبز والزيتون»^(١)، وتكررت زراعته بكثرة في ولاية الشاغور خاصة شاغور عرابة بدليل وفرة إنتاجها من الزيت^(٢)، وتكثر زراعة شجر الزيتون في مدن سواحل فلسطين وخاصة عسقلان وأرسوف^(٣)، ومدينة سرمين غنية بالبساتين وأكثر شجرها الزيتون وبها يصنعون الصابون الأجرى ويصدر منها إلى مصر والشام^(٤)، ومدينة نابلس مدينة كثيرة الأشجار مطردة الأنهار من أكثر بلاد الشام زيتونا ومنها يحمل الزيت إلى مصر ودمشق^(٥)، وأكد المقدسي على أهمية زراعة الزيتون في نابلس التي انتشرت في معظم قرأها بقوله «نابلس في الجبال كثيرة الزيتون»^(٦)، وأشار شيخ الربوة الدمشقي أن نابلس خصها الله بالشجرة المباركة وهي الزيتون^(٧)، بينما يذكر العليمي أن «معظم الأشجار بضواحيها الزيتون»^(٨)، ومن قري نابلس المشهورة بزراعة الزيتون قرية عسكر ولكثرته بها

(١) ناصر خسرو، سفرنامه، ج ١، ص ٧٣.

(٢) طه تلجي الطراونة، مملكة صفد في عهد المماليك، نشر دار الأفاق الجديدة، ط ١، بيروت، ١٩٨٢م، ص ١٦٦.

(٣) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج ١، ص ٣٦٤.

(٤) ابن بطوطة، محمد بن عبد الله بن محمد اللواتي أبو عبد الله (ت ٧٠٣هـ/١٣٠٣م)، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الاسفار، جزءان، تحقيق علي المنتصر الكتاني، ط ٤، نشر مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م، ج ١، ص ٨٥. وسيشار إليه فيما بعد: ابن بطوطة، رحلة.

(٥) ابن بطوطة، رحلة، ج ١، ص ٨٠.

(٦) المقدسي، أحسن التقاسيم، ج ١، ص ١٧٤.

(٧) شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص ٢٠٠.

(٨) العليمي، الأنس الجليل، ج ٢، ص ٧٥.

سميت بعسكر الزيتون^(١)، وكذلك وادي الزيتون بالقرب من نابلس^(٢) وقال المقدسي أن ساحات احد المساجد في عكا غرست بشجر الزيتون وان الزيت الذي عصر من زيتون هذا الكرم كان يكفي لإضاءة المسجد^(٣)، ومن القرى التي اشتهرت بهذه الزراعة المهمة لدرجة أن معاصر الزيت في الشام انتشرت بشكل واسع حيث يزرع الزيتون في قرية زبيدة وهي على طرف جبل الأحص في نقرة بني أسعد حيث وصفت أنها في «ظلال شجر الزيتون والدليل أنه ما من قرية في نقرة بني أسد إلا وفيها أثر معصرة للزيت والحجر الذي كان يعصر بها»^(٤)، ومعرفة النعمان كانت كبيرة وعامرة كثيرة المباني والأسواق لا يوجد بأرضها ولا في نواحيها ماء جار ولا عين واغلب أرضها الرمال، وكان يشرب أهلها من تجميع مياه الأمطار غنية بالكثير من أشجار الزيتون والكروم والتين والفسطق والجوز ونحو ذلك^(٥)، وأما مدينة طرابلس الشام فهي مدينة كبيرة عليها سور من الحجر منيع ولها رساتيق وأكوار وضياح جلييلة وبها الكثير من شجر الزيتون^(٦)، وأنطاكية من المدن التي تقع شمال الشام كان يزرع فيها الزيتون بكثافة لدرجة أن الحنطة والشعير كانت تزرع تحت شجر الزيتون في قراها المتصلة^(٧)، وأشارت احد الدراسات الحديثة أنه في أرباض دمشق الزيتون، وكان في حمص على ما

(١) الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص١٢٣.

(٢) النابلسي، عبد الغني إسماعيل، (ت١١٤٣هـ/١٧٣٠م)، الحقيقة والمجاز في رحلة بلاد الشام ومصر والحجاز، تحقيق رياض عبد الحميد، دار المعرفة، ط١، دمشق، ١٩٨٩م، ص٣٠٦. وسيشار له فيما بعد: النابلسي، الحقيقة والمجاز.

(٣) أحسن التقاسيم، ج١، ص١٦٣.

(٤) ابن العديم، بغية الطلب، ج١، ص٦٨.

(٥) الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج٢، ص٦٥٢.

(٦) المصدر نفسه، ج١، ص٣٧٢.

(٧) الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٢٦٧.

تبين من الحفريات التي أُجريت زيتون كثير بدليل ما وجد من معاصره التي لم يبقى لها زيتون تعصر منه . واشتهر في القديم زيتون الطفيلة والشويك^(١) وكانت كفر سوسية قرية من قرى دمشق غنية بالزيتون ، وأشار النعيمي أنه بقرية كفرسوسية معصرة للزيتون^(٢) ، وبيت لحم يزرع فيها الزيتون بكثرة في الجبال ، وذكر أنها قرية ممدنة تقع بين جبال كثيفة بأشجار الزيتون^(٣) ، وذوبطياس كانت قرية على باب حلب بين النيرب وبابلي ، وقد ذكرها البحتري وغيره بأشعاره . وقال أبو بكر الصنوبري يتشوق إليها وهو بالصالحية : إنني طربت إلى زيتون بطياس . . . بالصالحية ، بين الورد والآس^(٤) ، والرملة تعتبر اغني مناطق الشام بالزيتون بدليل انه كان فيها أرباب عائلات يملك الواحد منهم خمسين ألف من زيت الزيتون يحفظونها في الآبار والأحواض ويصدرونها إلى أطراف العالم^(٥) ، وأشار كرد علي إلي أن الزيتون أفضل الشجر وأعمه في مختلف المناطق . وهو يكثر في جزين والمختارة والشويفات وزغرتة والكورة ، وفي الغوطة والمرج ، وضواحي طرابلس وفي طرطوس وصافيتا وجبلة واللاذقية والباير وفي أرباض

(١) محمد بن عبد الرزاق بن محمد ، كُرد علي (ت ١٣٧٢هـ/١٩٥٢م) ، خطط الشام ، نشر مكتبة

النوري ، دمشق ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م ، عدد الأجزاء ٦ ، ج ٤ ، ص ١٥٠ . وسيشار إليه فيما بعد : كرد علي ، خطط الشام .

(٢) عبد القادر بن محمد النعيمي (ت ٩٧٨هـ/١٥٧٠م) ، المدارس في تاريخ المدارس ، تحقيق إبراهيم

شمس الدين ، ٢ جزء ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م ، ج ١ ، ص ١٣ . وسيشار إليه فيما بعد : النعيمي ، المدارس .

(٣) الإدريسي ، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، ج ١ ، ص ٣٦٣ .

(٤) الحموي ، معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٤٥٠ ، ج ٣ ، ص ٣٩٠ ؛ الغزي كامل بن حسين بن محمد بن

مصطفى البالي الحلبي (ت ١٣٥١هـ/١٩٣٢م) ، نهر الذهب ، نشر دار القلم ، ط ٢ ، حلب ،

١٤١٩هـ ، ج ٣ ، ص ٦٨ . وسيشار إليه فيما بعد : الغزي ، نهر الذهب .

(٥) ناصر خسرو ، سفرنامه ، ج ١ ، ص ٥٦ .

أنطاكية ، وفي السويدية والقصير وكردطاغ ، ويقبل حول حلب والباب وسلقين وإدلب . وقد اشتهر في الجنوب زيت الرامة كما اشتهر زيتون جبال نابلس والقدس وسهول لدّ والرملة . وينبت الزيتون في البعل من الأرض ولا يسقى إلا في الغوطة والمرج وفي القرى القريبة من البادية^(١) ، أما إقليم الجبال فيدخل فيه جبال الكرك والصلت وعجلون وقلمون وجبل الشيخ ولبنان ولبنان الشرقي والنصيرية والأقرع ، ويجود فيه الزيتون والكرم والتين واللوز والصنوبر والسرور والفسق البري وكثير من الأشجار المثمرة^(٢) ، أما عن طرق زراعة الزيتون فهو يزرع قطعة من أصول جذعه في أربعينية الشتاء ويثمر مع الخدمة والاعتناء بعد سبعة أعوام ويدرك في أيلول^(٣) ، كما أشاد العمري بتجارة زيت الزيتون بين الشام واليمن بقوله «ولا يوجد بها الزيت (اليمن) ولا الزيتون إلا إن جلب من الشام»^(٤) .

أنواع الزيتون في الشام:

اشتهرت بلاد الشام بإنتاج أنواع مختلفة من الزيتون فكثرت أصنافه ، ومن أشهرها في دمشق الدان والأخضر أو المصعبي والجلط والتفاحي ، وأشهرها في لبنان الصوري والشامي والمصري والشتوي والعيروني وبيض الحمام والبلدي . وأعمها في اللاذقية الخضيرى والطمراني وقلب الطير ، وفي الإسكندرونة

(١) كرد علي ، خطط الشام ، ج ٤ ، ص ١٧٩ .

(٢) القلقشندى ، أحمد بن عبد الله (ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م) ، صبح الأعشى في صناعة الانشا ، تحقيق

محمد حسين شمس الدين ، ١٥ جزء ، دار الكتب العلمية ، شرحه وعلق عليه وقابل نصوصه :

نبيل خالد الخطيب ، ط ١ ، بيروت ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م ، ج ٤ ، ص ٩٠-٩١ ؛ العمري ، مسالك ،

ج ٣ ، ص ٤٢٨ ؛ كرد علي ، خطط الشام ، ج ٤ ، ص ١٤٠ .

(٣) الغزي ، نهر الذهب في تاريخ حلب ، ج ١ ، ص ١٠٧ .

(٤) العمري ، مسالك الأبصار ، ج ٤ ، ص ٣٩ .

القرماني والخلخالي والرماني والتفاحي . . وغيرها^(١) ، وثمره الزيتون الأخضر أو المصعبي كبيرة أحد طرفيها حاد يبلغ طولها ٣٢ ميليمتراً وعرضها ٢٤ ميليمتراً ، وهي تقطف خضراء وتكبس ولا تعصر لاستخراج زيتها . وثمره الجلط كبيرة مستطيلة سوداء تشبه ثمرة البلح شكلاً وطولها ٣٥ ميليمتراً وعرضها ٢٥ ميليمتراً وهذا الصنف أعلى الأصناف وأجودها مكبوساً ويندر عصره لاستخراج زيت منه^(٢) ، وذكر في حلب من شجر الزيتون نوعان زيتي للزيت وخالخلي يحلى بالماء أو بالقلأ والكلس ويؤكل فقط . وأكثر زيتون بساتين حلب من الخلاخلي وقلما يسلم من الصقيع . ومعظم النوع الأول في منطقة كليس وهو أجود أنواعه ثم في القصير ثم في سلقين ثم في إدلب فأرمناز وكفر تخاريم ومرعش^(٣) ، وأشار الغزي انه يوجد الآن في جبل ليلون كثير من أصول شجر الزيتون الذي له فروع ضئيلة لا يزيد ارتفاعها على قدر قامة الإنسان ، وهي غير مثمرة وفي هذا الجبل أيضا أطلال معاصر لعصر زيت الزيتون ، وأحواض منقورة في الصخر لإحراز الزيت ، مما يدل على أن هذا الجبل كان وطناً للزيتون مدة عصور طويلة^(٤) ، وكما أن للزيتون أنواع فالزيت الشامي له أنواع منه ما يسمى الركابي وهو منسوب إلى الركاب وهي الإبل ، وقيل هو اسم موضع بالقرب من المدينة ذهب بعضهم إلى أن الزيت الركابي منسوب إلى هذا الموضع وقال ياقوت وأراه وهماً لأن تلك النواحي قليلة الزيت إنما يجلب إليها من الشام على الركاب فهو منسوب إلى الركاب وهو الإبل^(٥) .

(١) كرد علي ، خطط الشام ، ج٤ ، ص ١٧٩ .

(٢) المرجع نفسه ، ج٤ ، ص ١٧٩ .

(٣) الغزي ، نهر الذهب في تاريخ حلب ، ج١ ، ص ١٠٧ .

(٤) المصدر نفسه ، ج١ ، ص ٤٤ .

(٥) الحموي ، معجم البلدان ، ج٣ ، ص ٦٣ .

العوامل المؤثرة على زراعة الزيتون في الشام؛

في سنة ٣٣٩هـ/٩٥٠م وقع ثلج وجليد لم ير مثله حتى جمد الفرات ومشوا عليه وكانت القدور على النار يجمد أعلاها ويبس شجر الزيتون بالمعرة وكفر طاب^(١)، وفي سنة ٧٥٧هـ/١٣٣٥م، وقع حريق عظيم ببلاد الساحل، وأراضي كسروان من بلاد الشام، عم من بلاد طرابلس إلى معاملة بيروت، أتلف كثيراً من الوحش والأمتعة، وشجر الزيتون. وكان ذلك من العجائب إذ أن ورقة من شجرة سقطت في بيت فاحترق جميع ما فيها، واستمرت ثلاثة أيام، ثم وقع مطراً فأطفاه^(٢)، أما في سنة ٨٩٦هـ/١٤٩٠م فقد وقع بدمشق وما حولها ثلج كثير، واستمر إلى نصف النهار، فحصل في الأسطح نحو ذارع، وتكسر بذلك كثير من الأشجار، سيما أشجار الزيتون، وكان الحطب قد غلا سعره وبلغ قنطار اليابس منه إلى نحو الثلاثين درهماً، واستمر الثلج في بعض الطرق وغيرها نحو عشرين يوماً، وكان آخره بمدينة زرع، ومدينة حماة^(٣)، وفي سنة ٨٥٨هـ/١٤٥٨م في أول المحرم كثر البرد والجليد والثلج وخلت الجوامع من المصاييح لأنها كسرت من الجمد، وجعل عوضها السرج. ومشى الناس على الفرات العظمى وقيل إن الدجلة أيضاً جمدت ويبس شجر الزيتون والتين

(١) ابن الوردي، عمر بن مظفر بن عمر بن محمد ابن أبي الفوارس، أبو حفص، زين الدين المعري

الكندي (ت ٧٤٩هـ/١٣٤٨م) تاريخ ابن الوردي، نشر دار الكتب العلمية، لبنان، ط ١، بيروت،

١٤١٧هـ/١٩٩٦م، عدد الأجزاء ٢، ج ١، ص ٢٧٤. وسبشار إليه فيما بعد: ابن الوردي، تاريخ.

(٢) المقرئ (ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م)، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد عبد القادر عطا، ط ١، دار

الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م، ج ٤، ص ٢٢٩.

(٣) ابن طولون، شمس الدين محمد بن علي بن خمارويه الدمشقي الصالحي الخنفي (ت ٩٥٣هـ/

١٥٤٦م)، مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، وضع حواشيه: خليل المنصور، نشر دار الكتب

العلمية، بيروت، ط ١، لبنان، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م، ج ١، ص ١١٢. وسبشار إليه فيما بعد: ابن

طولون، مفاكهة الخلان.

والرمان والنانج وبيع ماء الورد في الورق لأنه جمد . وكذلك الخل^(١) ، ومن العوامل التي أثرت على تجارة الزيت في الشام الحروب ففي عهد المعظم خرب سور بيت المقدس خوفاً من استيلاء الفرنج عليه بعد مشورة من أشار بذلك فإن الفرنج إذا تمكنوا من ذلك جعلوه وسيلة إلى أخذ الشام جميعه فشرع في تخريب السور فهرب منه أهله خوفاً من الفرنج أن يهجموا عليهم ليلاً أو نهاراً وتركوا أموالهم وأثاثهم وتمزقوا في البلاد كل ممزق حتى قيل إنه بيع القنطار من الزيت بعشرة دراهم والرطل النحاس بنصف درهم وضح الناس وابتهلوا إلى الله عند الصخرة وفي الأقصى^(٢) .

الصناعات القائمة على الزيتون:

صناعة الزيت:

شجرة الزيتون شجرة مباركة والبركة تكمن في زيتها لذلك ذكرها المولي عز وجل في كتابه العزيز فقال ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمَشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(٣) ، وخطوات عصر الزيتون على النحو الآتي : أولاً سحق الزيتون بأسطوانة من حجر يديرها بغل داخل وعاء مستدير من حجر . ثانياً كبس

(١) سبط ابن العجمي ، أحمد بن إبراهيم بن محمد بن خليل ، موفق الدين ، أبو ذر (ت

٨٨٤هـ/١٤٧٩م) ، كنوز الذهب في تاريخ حلب ، نشر دار القلم ، ط ١ ، حلب ، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م ،

ج ٢ ، ص ٢٦٣ . وسيشار إليه فيما بعد : ابن سبط العجمي ، كنوز الذهب .

(٢) أبو الفداء الحافظ بن كثير (ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م) ، البداية والنهاية ، ج ١٤ ، دار الكتب العلمية ،

بيروت ، ١٩٨٧م ، ج ١٣ ، ص ٨٣ .

(٣) سورة النور ، آية ٣٥ .

الزيتون المسحوق لتفريق الزيت عن الثفل وذلك بمكبس عادي أو مكبس مائي .
تفريق الزيت عن الماء والعناصر المختلطة به وذلك بترك العصير يروق فيفترق
الزيت الصافي لأنه يطفو على وجه العصير . أما الثفل فهو يسحق ويكبس
فيخرج منه زيت أسود يسميه الدمشقيون زيت الجفت يستعمل في صنع
الصابون^(١) ، انتشرت المعاصر في الشام ففي دمشق وجدت معصرة عند مسجد
معلق عن يسار الداخل من باب توما يعرف بالنوري^(٢) ، وكذلك معصرة للزيت
بقرب دار ابن المهتار النصراني عند المسجد^(٣) ومن خلال الاطلاع على بعض
السجلات العثمانية المتوفرة لدينا أكدت على انتشار معاصر الزيت في بلاد
الشام بشكل كبير جدا وأشارت سجلات محكمة يافا الشرعية الى وجود ثمان
معاصر للزيت في مدينة الرملة وثلاثة معاصر في قرية قولة ومعصرة في قرية
المديه^(٤) ، وكذلك من المعاصر المشهورة في مدينة الرملة معصرة حنا أيوب التي
تقع بالقرب من مقام الشيخ المهمار وتشتمل على ثلاثة عقود معقودة بالمونة
والأحجار^(٥) ومعصرة تقع داخل قصبه الرملة شرق دار موسى بن الياس ابو زبانة
ودار عيسى بن الياس الحسين وحوش خرب جاري بوقف جامع الزيتونة وغربه

(١) كردعلي ، خطط الشام ، ج٤ ، ص ١٩٠-١٩١ .

(٢) النعيمي ، الدارس ، ج٢ ، ص ٢٤٨ .

(٣) ابن عساكر ، أبي القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله عبد الله الشافعي ، (ت ٥٧١هـ/١١٧٥م) ،
تاريخ مدينة دمشق ، ج٧٠ ، تحقيق محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري ، نشر دار الفكر ،
بيروت ، سنة ١٩٩٥م ، ج٢ ، ص ٢٩٩ ، وسيشار إليه فيما بعد : ابن عساكر تاريخ ؛ النعيمي ،
الدارس ج٢ ، ص ٢٤٦ .

(٤) السجل الشرعي لمدينة يافا (٢٩) ، ص ٣٢٤ . الموسوعة الفلسطينية ، القسم العام ، ج٢ ، ص ٤٨٧ ؛
الدباغ ، مراد مصطفي ، موسوعة بلادنا فلسطين ، ج١٠ ، ط ١ ، دار الهدى ، كفر قرع ، ٢٠٠٠م ، ج١ ،
ص ٢٨٦ .

(٥) س ش يافا (٢٥) ، ص ١٦ ، ١٨ ، ٤٦ .

وجميع بد^(١) الزيت مع الدار التي تقع فوقه^(٢) كما توجد في الرملة معصرة الخواجا كورنيلوس بن الخواجا يعقوب رئيس محلة الروم بالرملة التي تضم معصرة زيت داخل قصبه الرملة مكونة من طابقين سفلي وعلوي وبئر زيت وبئر ماء^(٣) ومن المعاصر المشهورة بالرملة معصرة لمصطفى بن عبد الرحمن قاذق بالحلّة الشرقية ومعصرة طالب في محلة المفتي وهي تابعة لوسيلة بن طالب وزهرة بت طالب ، وكذلك معصرة ابي الهدي في محلة البيشاوية ومعصرة كرم البير لعبد المجيد ابي الهدي ، ومعصرة أبيض في محلة المفتي لعبد اللطيف التاجي^(٤) وكانت صناعة وتجارة الزيت متقدمة في الشام ففي سنة ١٤٩٠هـ/١٤٩٠م ظهرت وظيفة يباشر صاحبها عملية بيع الزيت و ترتيبه و يقضي ببيع الزيت المتحصل من جبل نابلس على أهل القدس من المسلمين واليهود والنصارى ، وبلغ سعر كل قنطار من الزيت خمسة عشر ديناراً ذهباً والسبب في ضبط عملية بيع الزيت أن مجموعة من أهل السوق سنة ١٤٨٤هـ/١٤٨٤م تلاعبوا بأسعاره فسار يضبط و يوزع على التجار في مدينة

(١) البد هي معصرة معدة لعصر الزيت واستخراجه ، والبد يتألف من مساحة من الأرض ذات بناء مستوفي ومساحة سماوية معدة لنشر الزيتون قبل عصره ، ويطلق عليه عامة الناس «المسطح» . ينظر سليم المبيض ، وقفية موسى باشا آل رضوان ، سنة ١٠٨١ ، نشر مكتبة ابن سينا ، القاهرة ، ٢٠٠٠م ، ص ١٥٧ .

(٢) س ش يافا (١٧٠) ص ٢٩٧ .

(٣) س ش يافا (٦٢) ص ٧٠ .

(٤) س ش يافا (٢٤) ص ١٤٣ ؛ س ش يافا (٢٦) ص ١٥٧ . فلسطين (يافا) ٢٩ تشرين أول ١٩١١م ، ٨٥٤ ، ص ٣ ؛ الطراونة ، محمد ، قضا يافا في العهد العثماني دراسة ادارية اقتصادية اجتماعية ، ١٢٨١-١٣٣٣هـ/١٨٦٤-١٩١٤م ، ط ١ ، وزارة الثقافة ، عمان ، الأردن ، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م ، ص ٥٩٠ .

القدس والرملة والخليل^(١)، وبلغ من جودة الزيت الذي ينتج في بلاد الشام و منها فلسطين أن المماليك كانوا يقدمونه على شكل هدايا كما فعل السلطان جقمق مع ملك الحبشة سنة ٨٤٧ هـ / ١٤٤٣م قدم له زلعتين من الزيت الطيب^(٢).

صناعة الصابون:

ومن الصناعات المترتبة على صناعة الزيت صناعة الصابون وهو من الصناعات المتقدمة في الشام حيث وجد له أماكن خاصة للصناعة والبيع، كما هو الحال في حلب حيث يوجد درب الصبابة به مطابخ للصابون عديدة تزيد على عشرين. وذلك لكثرة أشجار الزيتون بمعاملة حلب، وقد كان الأحص كثير أشجار الزيتون فإذا خرجت منه إلى قرية بابلي ثم أخذت في الرابية المطلة على بابلي تدخل في أشجار الزيتون والتين ولذلك قل قرية من قرى الأحص إلا وبها معصرة للزيتون؛ وبحلب سوق يباع فيه الصابون يحمل منه كل يوم أحمال عديدة إلى ناحية الروم والعجم وغيرهما. وفي معاملة حلب وفي قراها عدة مطابخ للصابون أيضا والجميع يجلب إلى هذا السوق ويباع^(٣)، ومن الأماكن الشهيرة القديمة لصناعة الصابون قرية مرتين كانت بلدة عظيمة قبل عمار إدلب فيها عدة عيون ماء عذب وكان فيها كثير من شجر الزيتون ويذكر أنه كان يوجد

(١) العليمي، الأنس، ج٢، ص٣٥٦-٣٥٨.

(٢) السخاوي، محمد بن عبد الرحمن بن عثمان، (ت ٨٣١هـ/٩٠٢م) التبر المسبوك في ذيل السلوك، (مخطوط وقف على طبعه أحمد زكي بك، المطبعة الأميرية ببولاق مصر ١٨٩٦م، ص٧١. وسيشار إليه فيما بعد: السخاوي التبر المسبوك. ينظر: يوسف غوانمة، التاريخ الحضاري لشرقي الأردن في العصر المملوكي، ط٢، دار الفكر العربي للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٨٢م، ص١١٠، وسيشار إليه فيما بعد: غوانمة، التاريخ.

(٣) سبط ابن العجمي، كنوز الذهب، ج١، ص٥١٥.

فيها ست عشرة مصبنة^(١)، ومن الجدير بالذكر أن مدينة إدلب كانت تصنع الصابون وكان يُصدّر منها إلي ممالك الروم والعراق وديار بكر وكان يباع في اليوم منها مالا يباع في غيرها في شهر كامل^(٢)، ونجد أن انتشار الزيتون في الشام كان له دور في زيادة إنتاج الصابون الذي عمل فيه عدد كبير من السكان، وكان يُصدّر إلى المدن المجاورة، مثل: يافا التي كان بها تجارة كبيرة للصابون حيث كان يرد إليها من مدينة القدس، ومنها يصدّر إلى مصر والبلاد المختلفة^(٣)، إلي جانب هذا كانت صناعة الصابون تحتاج إلي كميات كبيرة من مادة «البوتاس» التي تستخدم في تلك الصناعة وقد أطلق عليها البعض مادة الصودا الكاوية وقد اندهش الرحالة بيركهارت «عندما وجد نساء البدو داخل الخيام فقط، ولكنه أخبر أن الرجال قد ذهبوا لبييعوا «رصاد الصابون» الذي يجمعه هؤلاء البدو من الجبال في الصحراء، و كان هؤلاء البدو يبيعون ما يحصلون عليه في كل من القدس وغزة والرملة، ومن المرجح أنه كان لأهل الرملة خبرة في صناعة الصابون حيث كان يستعين بهم أهل بيت المقدس، وهذا يدل على أن المدينة كثرت فيها مصانع الصابون التي استوعبت كل الأيدي العاملة^(٤)، وقد ظل أهل الأردن حتى عهد قريب يرسلون الفائض من الصودا إلى أسواق نابلس وغزة لاستخدامه في صناعة الصابون^(٥)، ووجد في الشام مادة الأشنان التي

(١) الغزي، نهر الذهب في تاريخ حلب، ج١، ص٤٠٣.

(٢) ابن العديم، كمال الدين عمر بن احمد بن هبة الله (ت ٦٦٠هـ/١٢٦١م) الوصلة إلي الحبيب في وصف الطبيات والطيب، تحقيق سلمي محجوب ودرية الخطيب، معهد التراث العلمي العربي، ١٩٨٦م، ج٢، ص٧٢٤-٧٢٥.

(٣) العلمي، الأنس، ج٢، ص٥٤، ٣٥٦، ٣٦٥. علي السيد علي: القدس في العصر المملوكي، ط١، دار الفكر للدراسات والنشر، القاهرة، ١٩٨٦م، ص١٩٩. وسيشار إليه فيما بعد: علي، القدس.

(٤) بيركهارت، رحلات، ج٢، ص٨١، ٨٢، ١٢٧.

(٥) المرجع نفسه، ج٢، ص٨١، ٨٢، ١٢٧.

تستخدم في صناعة الصابون وكان لها طواحين خاصة بها في دمشق^(١)، وُعِين على هذه الطواحين أمناء ذُكر منهم عمر بن سعيد التلمساني وكان أميناً بدمشق في طاحون أشنان^(٢)، وما يؤكد تقدم صناعة الصابون في مدينة الرملة ما ذكره المؤرخ العليمي «يُضبط الزيت ويرمى على أربابه وهم التجار الذين يصنعون الصابون بالقدس الشريف و مدينة الرملة»^(٣)، وقد ذكر المقدسي الصابون من بين السلع التي كانت تُصدر من مدن الشام وغيرها حيث قال: «يرتفع من فلسطين الزيت و القطن و الزبيب و الخروب و الملاحم و الصابون و الفوط و من بيت المقدس الجبن و القطن و الزبيب و التفاح . . . و القناديل و الإبر من أريحا . . . و من بيسان النيل و التمر»^(٤).

كذلك اشتهرت بلاد الشام بصناعة الصابون الأصفر المطيب بماء الورد، وذلك بأخذ لوح من الصابون وقطعه بسكين قطعاً رقيقة ثم يرش عليه ماء الورد ويُعجن به ويترك ليلا حتى يختمر، ويبسط على طبق ويختم بخاتم خشب، ويوضع في قوالب نحاسية، ويوضع بينه وبين القالب خرق رقيقة ثم يملئ ثم يترك على ظهر منخل حتى يجف ويختم أيضا، وبعد جفافه يضاف له ماء الورد^(٥) وكذلك استخدم زيت الزيتون في علاج بعض الأمراض الجلدية، فذكر

(١) ابن العماد عبد الحي بن أحمد العكري الدمشقي الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ/١٦٧٨م) شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ١٠ ج، تحقيق عبد القادر الأرنؤوط ومحمود الأرنؤوط، نشر دار ابن كثير، ط ١، دمشق، سنة ١٩٨٥م، ج ٥، ص ٣٤١. وسيشار إليه فيما بعد: ابن العماد الحنبلي؛ النعمي، المدارس، ج ٢، ص ٢٦٤.

(٢) ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، (ت ٨٥٢هـ/١٤٤٨م)، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ج ٦، تحقيق محمد عبد المعيد ضان، نشر مجلس دائرة المعارف، الهند، ج ٤، ص ١٩٦.

(٣) العليمي، الأنس، ج ٢، ص ٣٥٦.

(٤) المقدسي، أحسن التقاسيم، ج ١، ص ١٦٣.

(٥) ابن العديم، الوصلة إلي الحبيب في وصف الطببات والطيب، ص ٧٢٤-٧٢٥.

الغزي أن علاج بعض الحبوب الجلدية كان يتم بان تمس هذه الحبوب بقلم نيترات الفضة متى تأكد ظهورها مسالطيفا في كل عشرة أيام مرة إلى أن تتقرح ، وحينئذ تغسل مرتين في النهار بماء زهر البلسان وتنشف وتطلى بزيت الزيتون أو دهن اللوز إلى أن تبرأ^(١) ، وذكر ابن بطوطة عند زيارته لسرمين أن أهلها كانوا يستخدمون الصابون المطيب لغسل الأيدي ويصبغونه بالحمرة والصفرة^(٢) .

استخدام الزيت في طعام أهل الشام:

يعتبر زيت الزيتون من ارقى وأشهى المأكولات عند أهل الشام ، فكانوا يستخدمونه في إعداد طعامهم ، فاشتهرت مدينة الخليل باستخدام زيت الزيتون في طهي الأطعمة وتقديمه للضيوف والمسافرين ، حيث وجدت هذه العادة منذ أيام إبراهيم الخليل عليه السلام فيقدم للضيف أو المسافر رغيفا مستديرا وطبقا من العدس المطبوخ بالزيت حتي الساعة^(٣) ، وكذلك يقدم أهل الخليل ضيافة دائمة من العدس بالزيت لكل من يأتي ويحضر عندهم من الفقراء^(٤) ، وكان في نابلس طباخون للعدس والبيسار ويقلون الفول المنبوت بالزيت ويصلقونه ويبيع مع الزيتون^(٥) .

دور المماليك في إدارة تجارة الزيت في الشام:

احتكر سلاطين المماليك تجارة الزيت في بلاد الشام وعينوا من قبلهم من

(١) الغزي ، نهر الذهب في تاريخ حلب ، ج ١ ، ص ١٩١ .

(٢) ابن بطوطة ، رحلة ابن بطوطة ، ج ١ ، ص ٨٦ .

(٣) ناصر خسرو ، سفرنامه ، ج ١ ، ص ٧٣ .

(٤) العليمي ، الأنس الجليل ، ج ١ ، ص ٤٧ .

(٥) المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ج ١ ، ص ١٦٧ .

يقوم بالإشراف على الزيتون والزيت ورميه على التجار بأسعار تحددها الدولة فحصل ان رمى السيقي علان الزيت المتحصل من جبل نابلس على اهل القدس والخليل والرملة وغزة ، فلم يتضرر في تلك السنة احد من تجار تلك البلاد ولكن الخسارة كانت على منتجي الزيت أو باعة الزيت الفقراء حيث بيع الزيت بأقل من نصف السعر فكانت الخسارة كبيرة والى هذا يشير العليمي بقوله : أنه في سنة ٨٩٩هـ/١٤٩٣م ، ورد السيقي علان من قبل السلطان ويحمل مرسوم شريف برمي الزيت المتحصل من جبل نابلس على أهل القدس الشريف و الخليل وغزة والرملة على ما جرت به العادة في السنوات السابقة ، فرمي عليهم كل قنطار بالكيل الرملي (وحدة مكيال منسوبة لمدينة الرملة) بخمسة عشر دينارا ذهباً ، فالذي رمى على أهل القدس وأهل الخليل تسعمائة قنطار وعلى أهل الرملة مائتا قنطار ، وحصل لأهل تلك البلاد الفرق من الأمير جان بلاط النائب فإنه تल्पف بهم ولم يحصل منه ضرر لأحد منهم وكان تضرر الفقراء من ذلك لكثرة الخسارة في بيعه فإن كل قنطار بخمسة عشر دينارا وكلفته نحو دينار ، فبيع بتسعة دنائير فما دونها ، فكانت الخسارة نحو النصف^(١) وكان الرمي يختلف من منطقة الى منطقة ومن فترة الى اخرى فكان الرمي لأهل القدس والخليل في الجمادين ولأهل الرملة في رجب وشعبان وكان التجار يلزمون بالرمي حسب ما تقرره الدولة فحصل بذلك ضرر كبير لأهل القدس وهذا أدى بدوره الى حدوث فتنة بين نائب القدس وغزة وأكد هذا العليمي بقوله : وكان الرمي على أهل القدس والخليل في الجمادين وعلى أهل الرملة في رجب وشعبان ثم ورد مرسوم السلطان إلى الأمير جان بلاط في شهر شوال بأن يرمى على أهل القدس من الزيت ثلاثمائة قنطار بالسعر المتقدم ذكره فطلب التجار والناس وألزمهم بأخذ الزيت وكتب إلى كاشفه بالرملة يطلب التجار بأن يرمى عليهم من الزيت جزاءً فاحضروا وألزموا بذلك وحصل لأهل

(١) العليمي ، الأانس الجليل ، ج٢ ، ص ٣٥٦ .

القدس والرملة ضرر من أخذ الزيت ثم رمى عليهم مرة ثانية فتضرر الناس لذلك وحصلت فتنة بين نائب القدس ونائب غزة بسبب الزيت^(١) ، وميزت الدولة المملوكية بين التجار الذين يبيعون الزيت في الاسواق للعامه وبين تجار الزيت المستخدم في صناعة الصابون فهذه الفئة من التجار كانت تجبرهم الدولة على اخذ الزيت بأسعار مرتفعة الى درجة استخدام القوة لإلزامهم بذلك وحضر إلى القدس السيفي قانصوه يحمل مرسوم الأمير اقبردي الدوادار في الزيت المتحصل من جبل نابلس على التجار المعتادين بعمل الصابون كل قنطار بخمسة عشر دينار ذهباً بعد أن ختم على ما اشتروه ، ونودي في البلد بالأمان للعوام وان الزيت لا يأخذه إلا تجاره فمن الناس من لم يصدق هذه المنادات وخرج هاربا ، ومنهم من اطمأن ، ثم شرع قانصوه في كتابة أسماء التجار ومن له عادة بعمل الصابون حتى اطمأن الناس ، وشرع يقبض عليهم واحدا بعد واحد من التجار وغيرهم ، ويلزمهم بشراء الزيت على حكم ما فعل بهم في سنة ٨٩٦هـ/١٤٩٠م أما الأمير جان بلاط فقد اعتنى بأهل القدس وتلطف بهم فلم يقع فيهم الظلم كما تقدم في زمن دقماق وكان الزيت المرسوم برمييه على أهل القدس وبلد الخليل ألف وخمسمائة قنطار من ذلك مائة وستون قنطارا مختصة بأهل بلد الخليل والباقي على أهل القدس ، ورمى على أهل غزة ألف قنطار ثم رمى على أهل الرملة جانبا من الزيت وضيق عليهم بالضرب والحبس ، وسافر السيفي قانصوه من مدينة القدس بالمال المقبوض بعد صلاة الجمعة بعد إقامته بها أربعين يوما^(٢) ، وقد شملت هذه الإجراءات كل فئات التجار من المسلمين وأهل الذمة دون تفريق وفي أول شهر ربيع الآخر عام ٨٨٩هـ حضر السيفي قانصوه من مخيم الأمير اقبردي الدوادار الكبير بمرسومه برمي الزيت المتحصل من جبل نابلس على أهل بيت المقدس الخاص والعام من المسلمين واليهود

(١) العليمي ، الأنس الجليل ، ج٢ ، ص ٣٧٣ .

(٢) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص ٣٦٦-٣٦٥ .

والنصارى كل قنطار بخمسة عشر دينارا ذهباً واستمر الأمر على ذلك إلى سنة تسعين وثمانمائة فتوسط بعض تجار السوق في أمره فصار يضبط الزيت ويرمي على أربابه وهم التجار الذين يصنعون الصابون بالقدس الشريف ومدينة الرملة ويدفع لمن حضر منهم بقدر معين من غير تعرض إلى أحد غير من يصنع الصابون^(١).

ومن صور هذه الاجراءات العقابية التي استخدمها المماليك ضد ارباب الزيت وجمع ثمنه ما حصل مع أهل بيت المقدس أنه في السنة نفسها أمر السلطان بعض المماليك بخدمة الأمير دوادرا كبير للحضور إلى جبل نابلس فيحضر ويضبط الزيت ويبيعه لأربابه ويقبض ثمنه ، فلما كان في هذه السنة ، حضر الأمير الدوادار من القاهرة وقصد بيع الزيت لأربابه على ما جرت به العادة من سنة تسعين فسعى دقماق في رمية على جميع أهل بيت المقدس لينتقم منهم ، فلما حضر السيوفي قانصوه في أول ربيع الآخر وجلس مع دقماق بدار النيابة طلب أهل القدس بأسرهم وكتب أسماءهم في قوائم وعين على كل إنسان قناطر معينة وأمرهم بشراء الزيت كل قنطار بخمسة عشر دينارا ، ورسم على الناس وشدد عليهم وضربهم ضرباً مؤلماً ، وشرع يحمل كل واحد فوق طاقته ومن لم يطعه ضربه حتى يكاد يهلك ، ومن غاب هجم على منزله وأخذ ماله من الأمتعة ، ومن لم يوجد له أمتعة أحضر زوجته وضربها وسجنها حتى تدفع ما علي زوجها ، فهتك كثير من المحرمات ، ومن لم يظفر بزوجه احضر من يكون من أقاربه ، فإن لم يوجد له قريب أحضر من يكون من جيرانه ، حتى وقع أنه طلب شخصاً فلم يجده ، فقال لأعوانه أحضروا زوجته فقيل له أنها اختفت ، فقال انظروا من يكون من أقاربه ، فقيل ليس له قرابة ، فقال انظروا جيرانه فقيل أن جيرانه قد اختفوا ، فقال انظروا من يكون جلس عنده وحده فأحضر الأعوان رجلاً وقالوا أن هذا جلس في وقت على حانوته ، وتحدث معه ،

(١) العليمي ، الأنس الجليل ، ج ٢ ، ص ٣٦٦-٣٦٥ .

فأمر دقماق ذلك الرجل أن يدفع ثمن الزيت المعين عليه ، فقال له لما ، قال لأنك جلست عنده في وقت وتحدثت معه ، ثم ضرب ذلك الرجل إلى أن اخذ منه ما على الغائب ، ومثل هذه الحكاية كثيرة ووقع ما هو أفحش منها وأشنع واستمر الناس في الضرب والترسيم والمحنة وهتك الحرم شهر ربيع الآخر بكماله^(١) ، تشير هذا النصوص التي ذكرها العليمي الى أهمية تجارة الزيتون في بلاد الشام حيث أن الدولة المملوكية احتكرت هذه التجارة وأشرفت عليها بشكل مباشر وعينت من يقوم بالإشراف على الزيتون والزيت والصناعات القائمة عليه وحددت لذلك أسعار ملزمة وكانت تستخدم بعض الأحيان القوة والبطش لإلزام التجار بهذه الاسعار فحصل للناس بذلك محنة شديدة وهتك للحرم .

أسعار الزيت:

اختلفت أسعار الزيت من سنة إلى أخرى وذلك حسب جودة الموسم ففي سنة ٦٦٩هـ/١٣٠٠م بلغ ثمن رطل الزيت ٦ دراهم^(٢) وفي أواسط القرن الثامن الهجري ، شهدت هذه الأسعار في دمشق قفزات متتالية من ٤١/٢ درهماً في خريف ٧٧٥هـ/١٣٤٧م^(٣) وفي جبل لبنان بلغ سعره ٢٤ درهماً عام ٧٤٨هـ/١٣٤٨م^(٤) وفي نفس الموسم كان سعر زيت السيرج يساوي سعر زيت الزيتون في كل من دمشق وجبل لبنان . ويرجع المؤرخون أسباب الغلاء إلى تأخر تساقط الأمطار في السنة ٧٤٧هـ/١٣٤٧م وتعرض بلاد الشام لموجة جفاف

(١) العليمي ، الأنس الجليل ، ج٢ ، ص ٣٥٧ .

(٢) المقرزي ، السلوك ، ج٢ ، ص ٣٦٦-٣٦٥ .

(٣) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١٤ ، ص ٢٢ .

(٤) أسطفان الدويهي ، (ت ١١١٥هـ/١٧٠٤م) ، تاريخ الأزمنة ، تحقيق بطرس فهد دار لحد خاطر ،

بيروت ، ص ١٧٦ .

قوية ، وفي عام ٧٩٨هـ / ١٣٩٨م بلغ سعر رطل زيت الزيتون في دمشق بالسعر نفسه الذي كان عليه في أواسط القرن وهو ستة دراهم^(١) ، وفي القرن الثامن الهجري تبين أن ثمن رطل الزيت كان لا يزال يدور حول السعر نفسه في القرن السابق وهو خمسة دراهم وأشار العليمي أنه رمي على سكان المدينة قنطار الزيت بـ ١٥ ديناراً فكانوا يأخذونه ويبيعونه بـ ٢٥٠ درهماً (حوالي ٥ دنانير) فيكون الرطل بـ ٥. ٢ درهماً تقريباً/ الدينار ٥٠ درهم ، فبلغت الخسارة أكثر من الثلثين^(٢) ، وحدث الأمر مرة ثانية في عام ٩٠٠هـ فرمي على سكان القدس والخليل ٩٠٠ قنطار وغزة والرملة ٢٠٠ قنطار بسعر ١٥ ديناراً للقنطار الواحد ، الرطل بـ ١٥ ديناراً أي حوالي ٥. ٧ درهماً ، وكلفته دينار واحد^(٣) ثم ارتفع سعر زيت الزيتون عام ٩٢٤هـ من ١٢ درهماً إلى ٢٠ درهماً حتى في موسمه^(٤) .

(١) ابن قاضي شهبه ، تقي الدين أبي بكر بن أحمد (ت ٨٥١هـ / ١٤٤٧م) تاريخ ، تحقيق عدنان درويش ، المجلد الأول ، الجزء الثالث ، المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية بدمشق ، ١٩٧٧م ، ص ٦٥٢ .

(٢) العليمي ، الأنس الجليل ، ج ٢ ، ص ٣٦٦-٣٦٥

(٣) المصدر نفسه ، ص ٣٧٣ .

(٤) ابن طولون ، مفاكهة الخلان ، ج ٢ ، ص ٤٢-٦٨ .

الخاتمة

- من خلال هذه الدراسة تبين لنا الآتي :
- * زراعة الزيتون كانت منتشرة بشكل كبير في بلاد الشام بسبب ملائمة الظروف المناخية والجغرافية الصالحة لتلك الزراعة .
 - * انتشار معاصر الزيت بالقرب من مناطق زراعة الزيتون حتى يسهل نقله وعصره بأقل التكاليف .
 - * تطور الصناعات القائمة على زيت الزيتون وخاصة صناعة الصابون والتحف الخشبية واستخدامه كعلاج لبعض الأمراض الجلدية وكذلك صناعة الصابون الملون والمطيب .
 - * تطور تجارة الزيت بين بلاد الشام وبعض الأقطار الأخرى مثل مصر واليمن وبلاد الحجاز وأروبا حيث كان يصدر إلى أسواقها .
 - * استخدام زيت الزيتون بشكل واسع عند أهل الشام في الأطعمة خلال العهد المملوكي وتقديمه للضيوف والمسافرين .
 - * احتكار سلاطين المماليك لتجارة الزيت في بلاد الشام وجعلها مورداً رئيساً من موارد الدولة وطبقوا نظام الرمي على التجار .
 - * كان سعر الزيت يحدد حسب جودة الموسم فإذا كان الموسم جيداً ممطراً كان سعره مناسباً وفي متناول الجميع ، وإذا كان الموسم جافاً ارتفع سعره ولا يشتريه إلا الموسرون .

أراضي بلاد الشام في نظام الإيالات والولاية في العهد العثماني

إلياس جريج (*)

أهداف البحث

ان المطلوب من هذا البحث ، «أراضي بلاد الشام في نظام الإيالات»^(١)
والولاية» ، ان يساهم بالعمل على تحقيق عدة أمور :

(*) حلبا ، عكار ، الجمهورية اللبنانية .

(١) إيالات بناء السكت الطويلة ، و«إيالة» بالبناء المربوطة ، مصطلحان إداريان عثمانيان ، ساد استعمالهما في فترة تاريخية واحدة . فالإيالات هي أكبر وحدة إدارية في «نظام الإيالات» ، مقسمة إلى مقاطعات إقطاعية من كل الأنواع : خاص ، زعامت وتيمار ، على رأسها «بكلربكي» أي «بك البكوات» ؛ وهو باشا بطوغين وبرتبة «أمير أمراء» ، وأحياناً بثلاثة أطواغ برتبة وزير ، يتقاضى مرتبه من إقطاعه «الخاص» المخصص له . أما «إيالة» ، فهي وحدة إدارية تتميز عن الأولى بثلاثة أمور : أصغر من الإيالات ، غير مقسمة إلى مقاطعات إقطاعية من أي نوع كان ، على رأسها باشا بطوغ واحد ويتقاضى مرتبه من خزانة السلطنة . أما سبب اختيارنا للمصطلح الأول «إيالات» فيرجع إلى أكثر من سبب : الأول ، هو أن بلاد الشام- موضوع بحثنا- هي من هذا النوع ، فقالوا «بكلربكوية الشام» و «بكلربكوية حلب» وبكلربكوية طرابلس الشام (نسبة إلى بكلربكي) الذي كان على رأس كل وحدة ؛ الثاني ، هو أن مصادر السلطنة استعملت هذا المصطلح «إيالات» ؛ الثالث ، من أجل التمييز بين ما كان قائماً في بلاد الشام وغيرها من الأقطار العربية الأخرى ، حيث قالوا : إيالة الحجاز ، إيالة طرابلس ، إيالة تونس ، إيالة الجزائر وملكة فاس . وهذه المسألة ستوضح أكثر في سياق هذا البحث .
لمزيد من الإيضاح ، راجع : خريطة التقسيمات الإدارية للسلطنة العثمانية في أواخر القرن السابع عشر ، المرفقة ربطاً بهذا البحث .

- ١- التعرف على أنواع الأراضي ، التي عرفت هذه البلاد ، بمسمياتها التاريخية التي أطلقها عليها الإنسان بوصفه سلطة امتلكت رقبة هذه الأراضي ، وتحكمت بها عبر التاريخ بشكل عام ، وخلال فترة الحكم العثماني لها بشكل خاص .
- ٢- الوقوف على أنظمة الحكم التي اعتمدها السلطنة العثمانية ، من أجل إدارة هذه الأراضي . لأنه بهذه الأنظمة ارتبط وجود أو زوال أنواع هذه الأراضي .
- ٣- تبيان الفرق بين مصطلح «إيالت» بقاء السكت الطويلة ، ومصطلح «إيالة» بقاء قصيرة . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى بين هذين المصطلحين من ناحية ، ومصطلح «ولاية» من ناحية ثانية . علماً ، ان أنواع ملكية الأراضي وحرية التصرف بها ، هي ما يميز هذا النظام عن غيره من الأنظمة .
- ٤- التعرف على الفترة التاريخية التي استعملت فيها هذه المصطلحات . علماً ، ان المصطلحين «إيالت» و «إيالة» قد استخدما في نفس الفترة الزمنية . أما مصطلح «ولاية» فقد استعمل بشكل غير رسمي - خلال المرحلة الانتقالية - منذ عام ١٨٤٠م ، وبشكل رسمي منذ عام ١٨٦٤م عندما صدر نظام الولايات .
- ٥- معرفة ما اذا كانت السلطنة العثمانية ، دولة الخلافة الإسلامية ، قد إستمرت - منذ ان تأسست دولتها - بتطبيق أحكام الأراضي على منهج الشرع الشريف ، حيث ان «الملك لله» ، و«لبيت المال» تعود ملكية رقبة الأراضي . ام انها حادت عن هذا المنهج ، تحت وطأة الظروف الصعبة التي مرت بها ، وجراء جشع القيمين عليها أباحت حرية ملكية رقبة الأراضي بكل أنواعها دونما إستثناء .
- ٦- تبيان أحجام ملكيات الأراضي التي نشأت نتيجة إباحة ملكيتها من جهة ، وما إذا كانت هذه الأراضي قد أصبحت من نصيب من أحيائها ورعاها وعمل عليها طيلة فترة الحكم العثماني ، من فلاحين ومزارعين وعمال زراعيين .

حدود البحث

يتحدد هذا البحث - ككل بحث علمي - بعدد من الأطر وهي النحو الآتي :

أ - الإطار الزمني ، ويشتمل هذا الإطار على فترة زمنية تمتد طيلة مدة الحكم العثماني لبلاد الشام . أي ما يزيد على أربعة قرون من ١٥١٦م ، تاريخ هزيمة المماليك في «مرج دابق» وسقوط دولتهم في بلاد الشام بأيدي الأتراك العثمانيين ، إلى عام ١٩١٨ م تاريخ هزيمة السلطنة العثمانية في الحرب العالمية الأولى . ويمكن أن تقسم هذه الفترة الزمنية الطويلة إلى عدة حُقب : الأولى ، تمتد من عام ١٥١٦م (٩٢٢هـ) ، تاريخ دخولها في حوزة الأتراك العثمانيين ، وتنتهي في عام ١٨٣٩م (١٢٥٥هـ) ، تاريخ التخلي عن نظام الإيالت .

الثانية ، تمتد من عام ١٨٣٩-١٨٦٤م (١٢٥٥-١٢٨١هـ) . وتعتبر هذه المرحلة مرحلة انتقالية يغلب عليها طابع الفوضى في مختلف أنحاء السلطنة ، لاسيما في بلاد الشام .

الثالثة ، تمتد من عام ١٨٦٤-١٩١٨م (١٢٨١-١٣٣٧هـ) . وتتميز هذه المرحلة بتطبيق نظام الولاية وفتح الباب على مصراعيه لامتلاك رقبة الأراضي وتحويلها من ثروة عامة إلى ملك خاص .

ب - الإطار المكاني ، بلاد الشام وهي مصطلح جغرافي سياسي ، يشتمل على منطقة قسمت في التاريخ المعاصر ، إلى أربعة كيانات سياسية : لبنان ، سوريا ، فلسطين المحتلة والأردن . كانت هذه البلاد إقليمياً واحداً في أيام الرومان . وانتقلت في أواخر القرن الرابع الميلادي ، من سلطة الحكم الروماني في الغرب ، إلى سلطة الحكم البيزنطي في الشرق . وظلت خاضعة لحكم بيزنطية قرابة قرنين ونصف من الزمن ؛ وقسمت خلال هذا الحكم إلى ثلاث مقاطعات رئيسة وهي :

١- المنطقة الشمالية ، التي احتفظت باسم سورية . وقسمت إلى قسمين :

- سوريا الأولى مركزها أنطاكية ؛ سوريا الثانية وقاعدتها أفامية .
- ٢- المنطقة الوسطى ، قسمت إلى قسمين : فينيقية الأولى أو فينيقية البحرية مركزها صور ، وفينيقية الثانية أو فينيقية الداخلية مركزها حمص ومن مدنها الرئيسة دمشق وتدمر .
- ٣- المنطقة الجنوبية ، قسمت إلى ثلاث مناطق إدارية : فلسطين الأولى ، وهي المنطقة الساحلية وقاعدتها قيسرية ؛ فلسطين الثانية ، ومركزها بيسان ؛ وفلسطين الثالثة ومركزها البتراء ، التي كانت عاصمة مملكة الأنباط العربية .^(١)

هذا الإقليم جرى انتزاعه من البيزنطيين ، من قبل العرب المسلمين ما بين عامي ٦٣٥ و٦٤٠م / ١٤ ، ١٩هـ في عهد الخليفة عمر بن الخطاب ٥٨٢-٦٤٤م ، ٢٤هـ ، وصار يعرف بالشام (بلاد الشام) .^(٢) وقد تجلت سياسة عمر بن الخطاب في هذه البلاد بعدة أمور ، نرى أن نشير إليها لتتوضح الصورة عن واقع أراضيها بما كانت عليه في حينها ، وما صارت إليه فيما بعد ، لاسيما في الفترة التي أشرنا إليها في الإطار الزمني للبحث . لقد أبقى عمر على النظم الإدارية ، التي كان يعمل بها أيام البيزنطيين ، حتى لا تضطرب أمور البلاد وتسود فيها الفوضى . لكنه فيما بعد غير من هذه النظم بما يتفق مع الوضع الجديد للدين الإسلامي ، حين قسمها إلى أربعة أقسام ، أطلق على كل منها اسم «جند» ، فباتت : جند دمشق ، جند حمص ، جند فلسطين وجند الأردن . وفي عهد الأمويين أضيف إلى هذه

(١) عفيف الترك ، محاضرات في تاريخ الشام في العصر الإسلامي ، مكتبة كريدية ، بيروت ١٩٧١م ،

ص ١١ ؛ سنشير إلى هذا المرجع لاحقاً : عفيف الترك ، محاضرات .

(٢) لمزيد من الإيضاح حول هذه المعلومات ، يراجع : ول ديورانت ، قصة الحضارة ، الجزء الثاني من المجلد

الرابع ١٣ ، ترجمة محمد بدران ، ط ٢ ، القاهرة ١٩٦٤م ، ص ٧٥-٧٦ ؛ سنشير إلى هذا المرجع :

ول ديورانت ، قصة الحضارة .

الأجناد جند خامس هو جند قنسرين. (١) ثم ما إن استتب الأمر للعرب المسلمين في بلاد الشام ، حتى أصدر هذا الخليفة عمر بن الخطاب تشريعاً يقضي بإجلاء غير المسلمين عن شبه الجزيرة العربية ، لتكون هذه الأخيرة بلاداً عربية إسلامية خالصة . ولذلك ، تمّ إجلاء نصارى نجران ويهود خيبر عن أراضيهم ، وعوضهم عنها بأراضي وعقارات جديدة بالعراق وبلاد الشام ، في المناطق التي اختاروها للإقامة فيها .

ت - الإطار التحليلي ، وهو يستند إلى عمق تاريخي أبعد من ذلك الذي أشرنا إليه في الإطار الزمني لسببين :

١- أن تاريخ الزراعة في بلاد الشام ، أو في أية منطقة أخرى من مناطق الكرة الأرضية ، هو- بجانب أساسي منه- تاريخ العلاقة بين الأرض وما يحيط بها من مؤثرات طبيعية من جهة ، وبين الإنسان وما يكتسبه من خبرات وتجارب من جهة ثانية . وبتعبير آخر ، هو تاريخ العلاقة بين الأرض بما كانت عليه وما صارت إليه ، والإنسان بما كان عليه وما صار إليه . علماً ، أن هذه العلاقة قديمة قدم الإنسان نفسه .

٢- وهو أن بعض التسميات التاريخية لهذه الأراضي ، ما زال يتردد على مسامع الناس- رغم تقادمها في الزمن- لأنها ما تزال تنطبق على الواقع القائم لبعض الأراضي . نذكر منها على سبيل المثال : الأراضي الموات ، الأراضي المتروكة ، الأراضي الموقوفة ، الأراضي البعلية ، الأراضي المروية ، الأراضي الأميرية ، الأراضي المشاعية . . . كما أن بعضها الآخر- رغم حداثة- بات في ذمة التاريخ ومن ذكريات الماضي ليس إلا . ونذكر من هذه التسميات على سبيل المثال أيضاً : الأراضي العُشرية ، الأراضي الخراجية ، الأراضي الخراجية العشرية ، أراضي

(١) تراجع خريطة تقسيمات بلاد الشام في فجر الإسلام المرفقة ربطاً بهذا البحث ؛ وعفيف الترك ،

التيمار ، أراضي الزعامت ، أراضي الخاص ، المالكانة ، الجفتلك . . . ويرجع السبب في زوال هكذا تسميات إلى إلغاء ضرائب العُشر والخراج ، واستبدالها بضرائب أخرى ؛ وإلى حل التشكيلات العسكرية التي ارتبط وجودها بوجود تلك المساحات من الأراضي ، التي كانت بمدخيلها تسد مصاريف تجهيزاتها هذا من جهة ، ومن جهة أخرى لم يعد يوجد في الواقع المعاش أراضي تطلق عليها مثل هذه التسميات . وهنا يمكن القول ، بأن العمق التاريخي للعلاقة بين الأرض والإنسان ، الذي يستند إليه الإطار التحليلي لهذا البحث ، قد شهد مرحلتين متميزتين ، لكل منها حكاية تتناولها الأجيال جيلاً بعد جيل ، وتتأكد صحة هذه الحكاية ، بما يتكرر من فصولها كل يوم على أرض الواقع هنا وهناك .

المرحلة الأولى ، مرحلة جمع الطعام وبقاء الأرض واحدة موحدة . تقول الحكاية : في بداية المرحلة المشار إليها ، كانت الأرض «أرض الله الواسعة» بما عليها وما في جوفها أرضاً مواتاً ، واحدة موحدة تطلع الشوك والحسك ، الأشجار المثمرة وغير المثمرة ، النبات المفيد وغيره ، خالية من الحواجز والحدود الإصطناعية . أما بعد . . فقد انوجد الإنسان وساح على سطحها فترة طويلة من الزمن «على باب الله» ، من أجل تأمين غذائه والحفاظ على حياته ووجوده . وفي سوحه هذا ، كان يجمع الثمر ويلتقط الحب ، يصطاد الطير والحيوان والسماك ، ينكت التربة بحثاً عن نبات استساغته نفسه ، يغيب من عذب مائها ويصطلي بنار اشتعلت في غابها . في هذه المرحلة ، كانت عبارة «أرض الله الواسعة» حقيقة واقعة قولاً وفعلاً . فالإنسان يتنقل هنا وهناك وحيث شاء ، بلا حسيب أو رقيب ، ومنافع الأرض مباحة ، وحق الإفادة منها مباح لأي كان .

المرحلة الثانية ، مرحلة إنتاج الطعام وانقسام الأرض إلى أراضي . وحول هذه المرحلة تقول الحكاية : أن الواقع الذي أشرنا إليه ، راح يتغير تدريجياً ، بفعل

الخطوات التي خطاها الإنسان وهو في طريقه من «الهمجية la sauvagerie»^(١) إلى «المدنية la civilisation»^(٢) فبدون أن يتخلى عن تقاليده في جمع الطعام ، راح يقيم في مكان واحد إلى حد بعيد ، وتكونت لديه عائلة وأسرة ، وعرف الزراعة . وبتعرفه على الزراعة وممارستها ، راح يوقف على نفسه وأولاده أرضاً من الأرض الواحدة من أجل إحيائها وزرعها واستنبات غذائه من زرعها . هذا من جهة ومن جهة أخرى ، راح يمارس عليها سلطته وسيادته ، لاسيما بعد أن تكونت «القرية الزراعية» ، التي بات يقطنها أناس باتوا على كثرتهم ، متباعدين في درجة قرابتهم من بعضهم البعض . في هذا الواقع الجديد بات الإنسان - بالإضافة إلى كونه فلاحاً ، مزارعاً وعاملاً - صاحب سلطة يمارسها على رقبة الأرض ، وعلى من هم دونه قوة وسلطة .

وبفعل هذه السلطة ، باتت «أرض الله الواسعة» الواحدة الموحدة أرضين :

- ١- أرض موات ، أطلق عليها فيما بعد تسميات كثيرة .
 - ٢- أراضي محيية ، أطلق عليها عبر التاريخ تسميات كثيرة .
- لقد أدى تعاقب السلطة ، فردية كانت أم جماعية ، مادية أم معنوية ، ذات الأصول والمشارب والتوجهات المتعددة إلى عدة نتائج :
- تكونت أراضي ذات أنواع وأحجام وتسميات متعددة .

(١) الهمجية : تعني الحياة التي عاشها الإنسان في مرحلة جمع الطعام من صيد وكنص والتقاط ، وهي شبيهة بحياة الوحوش البرية ، التي تفرم على الوحدة والتفرد والانتقال في البرية من مكان إلى آخر . ولمزيد من الإيضاح ، يراجع :

Le Petit Robert. Paris 1984, p. 1770; *Le Petit Larousse illustré*. Paris, 2008, p. 919.

(٢) المدنية : تعني الحياة المدنية للإنسان المتمدن المستقر في مكان معين ، كما تعني الحياة الحضارية في مجتمع ، ميزة هذه الحياة ممارسة الزراعة وإنتاج الطعام . ولمزيد من الإيضاح ، يراجع :

Le Petit Robert, op. cit., p. 207; *Le Petit Larousse*, op. cit., p.207.

- راحت السلطة تحت ضغط مصالحها ومصالح القيمين عليها ومن هم حولها ، تحيد عن المبادئ الأساسية التي رسختها في أذهان الناس عبر التاريخ .

- باتت العودة إلى المبادئ- حين تضغط قوة المبادئ- عودة لفظية بدون محتوى فعلي .

هذه النتائج ستتوضح أكثر مع التقدم في عملية البحث .

أنواع الأراضي في بلاد الشام قبل الحكم العثماني

نتناول تحت هذا العنوان وبشكل سريع ، السياق التاريخي لأحكام الأراضي وكيف جرى التصرف بها وتمليكها ووقفها ، منذ أن انتشرت المدنية الإسلامية حتى ظهور «الدولة العلية العثمانية» ، التي هزمت دولة المماليك واستولت على أملاكها ، واعتبرت نفسها دولة الخلافة الإسلامية ، بديلاً عنها في زعامة المسلمين السنة .^(١)

فحول هذا السياق ، يمكن القول بأنه عندما انتشر الدين الإسلامي بسرعه المعلومة ، لقي مقاومة من معارضيه البيزنطيين والفرس . ولهذا أمر الرسول الأعظم بالجهاد وبتابعته من بعده . فانهزم معارضوه واتسعت رقعة الدولة العربية الإسلامية وبات في حوزتها أموال وممتلكات وأراضي أخذت من

(١) حول الصراع على زعامة المسلمين بين العثمانيين والمماليك ، يراجع : نيقولاي ايفانوف ، الفتح

العثماني للأقطار العربية ١٥١٦-١٥٧٤م ، نقله إلى العربية يوسف عطا الله ، دار الفارابي ، بيروت

ط٢٠٠٤ ، ص ٦٩-٧٤ ؛ سنشير إليه لاحقاً : نيقولاي ايفانوف ، الفتح العثماني .

المهزومين عند الفتح ، أطلق عليها «أفياء»^(١) و«غنائم»^(٢) . وبذلك باتت دولة الخلافة العربية الإسلامية وأراضي بلاد الشام ، والعرب المسلمون أمام واقع جديد . وكان لا بد لهذه الدولة من أن تتصدى له ، بما يخدم سلامتها من جهة ، والحفاظ على الأرض واستثمارها من جهة أخرى .

فمن أجل ضمان سلامة الفتح ، أصدر الخليفة عمر بن الخطاب عدة أوامر ، نذكر منها ما له علاقة بالأراضي والتسميات التي أطلقت عليها ودلالاتها التاريخية :

(١) فيأ ، الفيء ، أفياء ، الفيء تكرر في الحديث ذكره على اختلاف تصرفه ، وهو ما حصل للمسلمين من أموال الكفار من غير حرب ولا جهاد . وأصل الفيء : الرجوع كأنه كان في الأصل لهم فرجع إليهم ، ومنه قيل للظل الذي يكون بعد الزوال فيء لأنه يرجع من جانب الغرب إلى جانب الشرق ؛ الفيء : ما ردّ الله تعالى على أهل دينه من أموال من خالف دينه بلا قتال ، إما أن يجلوها عن أوطانهم ويخلوها للمسلمين أو يصالحوا على جزية يؤدونها عن رؤوسهم ، أو مال غير الجزية يُفتدّون به من سفك دمائهم ، فهذا المال هو الفيء . ولزيد من الإيضاح حول هذه المسألة ، يراجع : أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (المعروف ابن منظور الأفرريقي المصري) ، ٧١١هـ / ١٣١١م ، لسان العرب ٧ مجلدات ، دار صادر ، ط ١ ، بيروت ١٩٩٧م ، الطبعة الأولى ، مجلد ٥ ، ص ١٧٦-١٧٧ ، سنشير إليه لاحقاً : ابن منظور ، لسان العرب .

(٢) الغنائم ، مفردها غنيمة والغنيمة هي ما أوقف عليه المسلمون بخيلهم وركابهم من أموال المشركين . وتشتمل الغنائم على الأسرى والسبي والأموال المنقولة والأراضي أو الأموال غير المنقولة . ولزيد من الإيضاح ، يراجع : ابن منظور لسان العرب ، مج ٥ ، ص ٦٦ ؛ وعبد الباقي الأيوبي وولده جلال باقي ، قاموس الحقوق ٤٠ مجلداً ، مطبعة بابل ، دمشق ١٩٣١م ، مج ٣ ، ص ١٢٠٣ ؛ سنشير إليه لاحقاً : الأيوبي وولده قاموس الحقوق .

- ١- أمر بإقامة «الأمصار»^(١)، و «الأجناد»^(٢)، و «الثغور»^(٣).
- ٢- نهى العرب المسلمين عن امتلاك الأرض وفلحها . لأنه كان يريد لهم أن يبقوا خارج شبه الجزيرة العربية جماعة عسكرية مقاتلة ، تدمم الدولة بما يكفيهم ، لكي يحتفظوا بصفاتهم الحربية . غير أن هذا النهي قد جرى التغافل عنه بعد موت هذا الخليفة .^(٤)

- (١) الأمصار ، واحدها مصر ، والمصر في كلام العرب : كل كورة تقام نبيها الحدود ويقسم فيها الفيء والصدقات من غير مؤامرة الخليفة ؛ ويقال فلان مصر الأمصار ، كما يقال مدّن المدن ، وكان عمر رضي الله عنه مصر الأمصار منها البصرة والكوفة . ولزيد من الإيضاح ، يراجع : ابن منظور ، لسان العرب ، مج ٦ ، ص ٦٢ .
- (٢) الأجناد ، واحدها جنـد ، والجنـد العسـكر ، الجنـد المدينة وجمعها أجناد ، وخصّ أبو عبيدة به مدن الشام ، وأجناد الشام خمس كور ، يقال الشام خمسة أجناد : دمشق وحمص وقنسرين والأردن وفلسطين . . . وفي حديث عمر أنه خرج إلى الشام فلقبه أمراء الأجناد ، وهي هذه الخمسة أماكن . ابن منظور ، لسان العرب ، مج ١ ، ص ٤٧٠ .
- (٣) الثغور ، واحدها نغر ، الموضع الذي تخاف أن ياتيـك العدو منه في جبل أو في حصن ، النغرة نغرة النحر . وعليه يمكن القول بأن النغر موقع مهم يمكن للعدو المهاجم أن ينزل بعده خسائر فادحة قد تكون مميته له . ولزيد من الإيضاح ، يراجع : ابن منظور ، لسان العرب ، مج ١ ، ص ٣٣٧ .
- (٤) إن ما دفع الخليفة عمر بن الخطاب إلى هذا النهي عن امتلاك الأراضي وفلحها ، هو من أجل أن لا يصاب العرب المسلمون بالاسترخاء في غمرة البذخ والنعم . والدليل على ذلك ما رآه من بذخ على قادة الجيوش العربية ، عندما خرجوا لاستقباله في بلاد الشام ، لدى حضوره من المدينة ليتسلم القدس الشريف من البطريرك «صفرونيوس Sophronius» ويصدق على شروط التسليم . فحول هذا البذخ يقول صاحب «قصة الحضارة» عما شاهده هذا الخليفة من قادة الجيوش : «جاء من المدينة في بساطة أفخر من الفخامة ، ومعه عدل من الحب وكيس من التمر ، ووعاء ماء وصحفة من الخشب . وخرج خالد وأبو عبيدة وغيرهما من قواد الجيش لاستقباله ، فغضب حين أبصر ثيابهم المهفهفة وعُدّد خيولهم المزركشة ، وألقى حفنة من الحصباء في وجوههم ولا مهم على أنهم جاءوا =

٣- أنشأ ديوان العطاء أو ديوان الجند ، ومن أجله أنشئ «بيت المال»^(١) الذي كانت الأراضي أحد المصادر الأساسية لتغذية موارده .

أما من أجل الحفاظ على الأراضي واستثمارها ، فيمكن القول بأنه جرى تطبيق الشريعة الإسلامية عليها . بمعنى أن الخلفاء الراشدين وأولي الأمر من المسلمين ، كانوا يقيسون الحالات المتعلقة بالأراضي - التي كانت تواجههم - على ما شابهها من حالات واجهها الرسول الأعظم في حياته وعمل على حلها بالشكل المناسب . وهذه المسألة ستوضح أكثر في سياق هذا البحث .

لقد اعتبرت الأراضي من الغنائم التي غنمها العرب المسلمون من أعدائهم ، والغنائم أربعة أنواع : أسرى ، سبايا ، أموال منقولة ، أراضي أو أموال غير منقولة . وبما أن الأقسام الثلاثة الأولى لا علاقة لها بمجال بحثنا ، فننتقل إلى الأراضي فهذه - من حيث الطريقة التي اتصلت بها إلى المسلمين العرب - نوعان : الأراضي التي فتحت عنوة ، والأراضي التي فتحت صلحاً .

أ - الأراضي التي فتحت عنوة : هذه الأراضي كانت تقسم إلى قسمين كبيرين : الأراضي المملوكة ، والأراضي غير المملوكة .

= يستقبلونه في ذلك الزي . أما عن تغافل العرب المسلمين عن هذا النهي بعد موته فقال : « . . . لم تلبث أقلية الرجال ذوي العقول الكبيرة أن جمعت معظم الطيبات من هذه الثروة العربية الأخذة بالنماء ، وأخذ أشرف قريش يشيدون القصور الفخمة في مكة والمدينة ، فكان للزبير بيوت في عدة مدن مختلفة وكان يمتلك ألف جواد وعشرة آلاف بعير . . . وكان عمر ينظر بحسرة وأسى إلى هذا الترف الذي أخذ مواطنوه يتردون فيه » . ول ديورانت ، قصة الحضارة ، ج ١٣ ، ص ٧٦-٧٧ ؛ وعفيف الترك ، محاضرات ، ص ٢٤ .

(١) بيت المال ، هو خزانة الموارد المالية العامة للمسلمين ، هذه الموارد كانت توضع بتصرف الخليفة . فهو الذي يتولى صرفها على مصالح دولة الخلافة الإسلامية . وكانت موارد بيت المال تتكون من الأراضي المحيية غير المملوكة ، والأراضي الموات التي تطرح أمام طالبها للإحياء من أجل زيادة موارده ، والحراج والأعشار والزكاة والفيء والغنيمة والجزية .

أولاً: الأراضي المملوكة ، تقسم إلى أربعة أقسام :

١- الأراضي العُشرية ، ويقطع عُشر غلتها لبيت المال . وهي ثلاثة أقسام :

* قسم وزع على الفاتحين خاصة وعلى المسلمين عامة .

* قسم بقي للأهالي الذين قبلوا دين الإسلام طوعاً ، فبقيت أراضيهم

لهم^(١) ، بعد أن ضرب عليها «عُشر»^(٢) و«خَراج»^(٣) ؛ وبذلك باتت

أراضيهم «عُشرية خَراجية» . بمعنى أن الخَرج فدية الرأس ، قد رُفِع عن

رؤوسهم بقبولهم دين الإسلام طوعاً ليصير خَراجاً يضرب على

أراضيهم .^(٤)

(١) ورد في قاموس الحقوق حول هذين القسمين : «حينما فتحت بلدة خيبر ، قسم سيد الكونين صلى

الله عليه وسلم أراضيها بين الفاتحين والذين قبلوا الإسلام طوعاً كأهالي المدينة المنورة والطائف قد

تركت أراضيهم لهم . الأيوبي وولده ، قاموس الحقوق ، مج ٣ ، ص ١٢٠٣ .

(٢) عُشر : جزء من عشرة ، كسر غير ثابت يقطع من غلة الأرض قبل قسمتها . تاريخياً كان يستوفيه

الملوك والقيصرة والكنيسة من رعاياهم . ألغته الثورة الفرنسية ١٧٨٩م ، *Le Petit Robert*, op. cit.,

p. 543 . اما ابن منظور ، فقد أشار : عُشرة : العشرة : أول العقود ، وَعَشَرَ ، أخذ واحداً من عشرة .

وَعَشَرْت بالتخفيف أخذت واحداً من عشرة فصار تسعة . والعشور نقصان والتعشير زيادة وتام .

العشور جمع عُشر ، العُشر يعني ما كان من أموالهم للتجارات دون الصدقات . ابن منظور ، لسان

العرب ، مج ٤ ، ص ٣٤٠ - ٣٤١ .

(٣) الخَرج والخَراج واحد : وهو شيء يخرج القوم في السنة من مالهم بقدر معلوم ؛ الخراج الفيء ،

والخَرج الضريبة والجزية . قال ابن الأعرابي : الخَرج على الرؤوس والخراج على الأرضين . ابن منظور ،

لسان العرب مج ٢ ، ص ٢٣٦ - ٢٣٧ ؛ و

Adel Ismail, *Documents diplomatiques et consulaires relatives à l'histoire du Liban et*

des pays du Proche-orient du XVIeme siècle à nos jour, vol. 1. Beirut, 1975, p. 314.

سنشير إلى هذا المرجع لاحقاً : Adel Ismail, op. cit. :

(٤) حول مسألة من أسلم وهو على أرضه ، أشار ابن منظور إلى حديث عن الخليفة علي ابن أبي طالب

قال : «أن دهقاناً أسلم على عهده فقال له : إن قمت في أرضك رفعنا الجزية عن رأسك =

* الأراضي الموات ، التي صار أحيائها من قبل المسلمين .

٢- الأراضي الخراجية ، وهي نوعان :

* أراضي لم يتركها أصحابها ، فتركت لهم أراضيهم استحساناً ، بعد أن ضرب عليها خراج وخراج وجزية .^(١)

* أراضي تركها أصحابها ففوضت لعهدة المسلمين لكي يستغلوها .

٣- الأراضي المقطعة ، وهي مما ملك من رقبة الأرض ومنافعها لأحد من أمير

المؤمنين . وعملية إقطاع الأراضي هي ثابتة بإجماع الأمة . فالرسول .

الأعظم ، كان أعطى أراضي «البقيع» إلى الزبير بن العوام بوجه الإقطاع .

والخليفةتان عمر وعثمان أعطوا أراضي الذين قتلوا وفروا من الأعاجم

(الفرس) لبعض أشخاص . والأراضي المقطعة نوعان : الإقطاع تملكاً

والإقطاع استغلالاً .

* الإقطاع تملكاً : هو تملك الرقبة والحقوق التصرفية لأحد من الأهالي ،

وهكذا إقطاع يكون ملكاً لمن قطعت إليه . وهو قسمان :

الأول ، «الأراضي الموات» وهي فئتان : فئة ما انوجد فيها أثر للعمران من

قديم الزمان ، بإقطاع هذه الفئة ومشروعية تملكه ثبت بإهداء

النبي صلى الله عليه وسلم للزبير بن العوام أرض «النصيب» .

والفئة الثانية من أراضي الموات ، هي تلك التي كانت قبلاً

= وأخذناها من أرضك ، وإن تحولت عنها فنحن أحق بها» . لسان العرب ، مج ١ ، ما ورد عن الجزية ، ص ٤٢١-٤٢٣ .

(١) جزية : فدية الرأس ، ضريبة سنوية فرضت على أهل الذمة في الدولة الإسلامية . يراجع :

Ismail, op. cit. وحول هذه المادة ، أشار ابن منظور بأن الجزية تعني خراج الأرض المفتوحة عنوة .

وقد تكرر في الحديث ذكر جزية الذمي في غير موضع . فهي عبارة عن المال الذي يعقد الكتابي

عليه الذمة ، وهي من فعلة الجزاء لأنها جزت عن قتله ؛ ومنه الحديث : ليس على مسلم جزية . ابن

منظور ، لسان العرب ، مج ١ ، ص ٤٢١-٤٢٣ .

معمورة ، ثم بمرور الزمن لم يبق فيها أثر للعمران فمشروعية إقطاعها وتمليكها ثابتة بقوله صلى الله عليه وسلم : عادت الأرض لله ولرسوله ، ثم هي لكم مني .

الثاني ، هو أراضي المعادن ، وتسمى أيضاً «أراضي الركاز» . وحول هذه الأراضي اختلف الفقهاء في كيفية إقطاع «الركاز» فمنهم من أفتى بعدم جوازه ؛ غير أن أكثرهم أيّدوا جواز إقطاعه ، بدليل إهداء سيد الكونين «ركاز القبلي» لبعض أصحابه الكرام .

* الإقطاع استغلالاً : لا يملك رقبة الأرض بل يكن منحصراً بمنافعها ، كالخراج المعين فقط ، ويطلق عليه «العامر» . فهذا النوع من الأراضي تفلح وتزرع من دون أيما كلفة ، وهكذا أراضي لا يجوز إقطاعها تمليكاً بل استغلالاً . والدليل على ذلك أن أصحاب «السوات» تركوا أراضيهم وفروا لجهة ما ، والخليفة عمر بن الخطاب لم يعط الأرض المذكورة تمليكاً لأحد ، بل أجراها لبعض الأشخاص ، ولكن بمرور الزمن لم يوجد أحد يزرعها بالإجارة ؛ وفي خلافة عثمان بن عفان أقطعها لبعض أشخاص (١) .

٤- أراضي تنمة السكن ، وهي «العرصات» التي ضمن القرى والقصبات . هذه الأراضي تركت بدون أن تفرض عليها أية ضريبة ، لكي تتخذ مسكناً . وهي ليس لها مقدار معين ، ومشروعية تمليك هذه الأراضي ثابتة باجتهاد الخليفة عمر بن الخطاب ، الذي أمر بعدم تحصيل الضرائب عن هكذا أراضي (٢) .

(١) لمزيد من الإيضاح حول الأراضي المقطعة ، يراجع : الأيوبي وولده ، قاموس الحقوق ، مج ٣ ، ص ١٢٠٤-١٢٠٥ .

(٢) أراضي تنمة السكن كانت بمقدار دوغم أو دوغمين . الأيوبي وولده ، قاموس الحقوق ، مج ٣ ، ص ١٢٠٥ ؛ والدوغم هو وحدة مساحة زراعية تساوي ٩١٩ متراً مربعاً ، Ismail, op. cit., p. 307 .

ثانياً: الأراضي غير المملوكة، وهي أربعة أقسام:

١- أراضي بيت المال ، وهذه الأراضي هي التي لم تقسم بين الفاتحين ، بل تركت رقبته لبيت المال .

٢- الأراضي العُشْرية والخَراجية غير المملوكة ، هذه الأراضي فوضت حقوق تصرفها لأشخاص ، وبقيت الرقبة لبيت المال .

٣- الأراضي الموات ، التي لم تملك بوجه الإقطاع .

٤- «الأراضي المحمية»^(١) ، وهي التي لم تدخل بملك وتصرف أحد ، بل تركت لمنافع العموم كمرعى وطريق وأسواق . وهذه الأراضي قسمان :

أولاهما ، الأراضي التي أعطيت لأهالي القرى والقصبات لكي يجعلوها أحراراً يحتطبون منها ، ويتخذوها مساكن لهم في الصيف والشتاء . هذه الأراضي هي بتصرف وحماية أهالي القرى والقصبات التي خصت بها .

ثانيهما ، الأراضي التي تركت للطريق العام والأزقة والميادين ، مثل هذه الأراضي أطلق عليها «أراضي الأرفاق» ، وهي أربعة أقسام : مقاعد الأسواق ، أقبية الشورى^(٢) ، حرم الأمصار ، منازل الأسفار . فهذه

(١) جاء في قاموس الحقوق حول الأراضي المحمية بالقول : «أراضي الحمى هو ثابت بأفعال النبي صلى الله عليه وسلم ، حيث في زمان الجاهلية كان أحد المتقبلين من العرب يربط كلبه داخل الأراضي ، ولأي محل يصل صوت كلبه يعلن بأن هذه الأراضي هي له . إلا أن النبي صلى الله عليه وسلم لأجل الاستفادة العامة منع هكذا فعال . وشرف أراضي «النقيج» وأشار إلى الأراضي وقال هذا حمائي . وكذلك أبو بكر الصديق وسيدنا عمر أخذوا أراضي «ريزه» وأراضي «سرف» تحت حمايتهم وعينوا عبيدهم للمحافظة عليها . الأيوبي وولده ، قاموس الحقوق ، مع ٣ ، ص ١٢٠٦ .

(٢) أقبية الشورى ، هي الأقبية التي تتفرع من الأنهر لتوزع الماء على هذه أو تلك من سواقي المقاطعات . هذه الأقبية لها حرمة على جانبيها .

الأراضي لم تدخل بتصريف وتملك أحد ، بل تركت لمنافع العموم .^(١)

ب - الأراضي التي فتحت صلحاً ، وهي ثلاثة أنواع :

١- الأراضي الخراجية المملوكة التي فتحت صلحاً ، تركت لأصحابها استحساناً» بعد أن ضرب عليها خراج وخراج .

٢- الأراضي الخراجية غير المملوكة التي فتحت صلحاً ، ولم تترك لأصحابها استحساناً ، بل فوضت حقوق تصرفها لأشخاص آخرين ، وبقيت الرقبة لبيت المال .

٣- الأراضي العُشرية غير المملوكة التي فتحت صلحاً ولم تترك لأصحابها استحساناً ، بل فوضت حقوق تصرفها لأشخاص آخرين ، وبقيت الرقبة لبيت المال .^(٢)

بعد هذه الإشارات السريعة حول أنواع الأراضي ، التي تكونت في بلاد الشام في عهد الخلافة العربية الإسلامية ، لا بد من الإشارة إلى المسألتين الآتيتين :

المسألة الأولى ، وهي أنه مع تعدد الأجناس التي تعاقبت على تسلم مقاليد أمور هذه الخلافة بعد العرب ، تحول الوقف إلى نظام كامل تستند عليه مفاصل حياتها في مختلف المجالات : الدينية والاجتماعية ، الجهادية والصحية والتربوية .^(٣) ولذلك فقد كثرت الأوقاف وكثرت معها «الأراضي الموقوفة» ،

(١) الأيوبي وولده ، قاموس الحقوق ، مج ٣ ، ص ١٢٠٦ .

(٢) الأيوبي وولده ، قاموس الحقوق ، مج ٣ ، ص ١٢٠٣-١٢٠٦ .

(٣) حول أهمية الأوقاف في الحضارة العربية الإسلامية ، وتحول الوقف إلى نظام كامل للحياة ، ودوره في عملية التنمية ، يراجع : رعد محمود البرهاوي ، خدمات الأوقاف في الحضارة الإسلامية إلى نهاية القرن العاشر الهجري ، مطبعة المجمع العلمي ، بغداد ، ١٤٧٢ هـ / ٢٠٠٢ م ، =

لتلبي بمنتجاتها ومداخيلها حاجات ورغبات الحكام من جهة ومصارفات الجهات الدينية والوقفية من جهة أخرى . لاسيما في عهد المماليك ، عندما آلت إليهم مقاليد الأمور في هذه الدولة ، وباتت بين أيديهم وبمطلق تصرفهم الأراضي الشاسعة في مصر والشام .^(١)

المسألة الثانية ، وهي أنه عندما دخلت بلاد الشام إلى حوزة الحكم العثماني ، باتت جزءاً لا يتجزأ من ممتلكات السلطنة العثمانية . وبالتالي فقد أصبحت أراضي هذه البلاد أمام حكم جديد من حيث توجهاته الرامية إلى اقتلاع نفوذ المماليك من جهة لإحلال نفوذه ، ومن حيث الطريقة التي اعتمدها في إدارة شؤون هذه الأراضي والتصرف بها من جهة أخرى . فهذه الطريقة هي المحور الأساسي لهذا البحث ، فهي التي أدت إلى بروز أو اختفاء هذا النوع أو ذاك من الأراضي . وبالنسبة لهذه المسألة ، اعتمدت السلطنة نظامين إداريين خلال فترة حكمها : «نظام الإيالت» و«نظام الولاية» . وبالتالي فقد خضعت أراضي بلاد الشام لهذين النظامين .

أراضي بلاد الشام في نظام الإيالت،

اعتمدت السلطنة نظام الإيالت قبل أن تقضي على دولة المماليك في بلاد

= ص ٥٣- ٢١٣ ؛ وسليم هاني منصور ، الوقف ودوره في المجتمع الإسلامي المعاصر ، منشورات رضوان دعبول مؤسسة الرسالة ، ط ١ ، بيروت- لبنان ، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م ، ص ٣٩- ٩٣ ؛ ومحمد عدنان البيخيت ، الأوقاف في بلاد الشام منذ الفتح العربي الإسلامي إلى نهاية القرن العشرين ، أربعة مجلدات ، وهي تشكل أعمال المؤتمر الدولي السابع لتاريخ بلاد الشام ، المنعقد بتاريخ ١٧-٢١ شعبان ١٤٢٧هـ / ١٠- ١٤ أيلول ٢٠٠٦م ، منشورات لجنة تاريخ بلاد الشام ، الجامعة الأردنية عمان .

(١) لمزيد من الإيضاح حول إكتثار المماليك من الأوقاف ، يراجع : محمد أبو زهرة ، محاضرات في الوقف ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، د . ت ، ص ١٨- ٢١ ؛ سنشير إليه لاحقاً : محمد أبو زهرة ، محاضرات في الوقف .

الشام بحوالي أربعين سنة . كان ذلك في عهد السلطان محمد الثاني (الملقب بالفاتح ١٤٥١- ١٤٨١ م ، ٨٥٥- ٨٨٦ هـ).^(١) فبعد جلوس هذا السلطان على العرش وتحقيقه لعدد من الانتصارات الهامة ، التي أدت إلى توسع رقعة السلطنة ، أصدر إرادته بإنشاء هذا النظام في عام ١٤٧٦م / ٨٨١ هـ.^(٢) وبذلك كانت أراضي هذه البلاد محتضنة به منذ أن باتت من ممتلكات العثمانيين .
فبالاستناد إلى هذه الإرادة ، يمكن القول بأن هذا النظام قد ارتكز على عدد من المبادئ ، من أهمها :

- ١- تطبيق أحكام الأراضي على منهج الشرع الشريف .
- ٢- تحويل الضرائب والحاصلات التي كانت قد وضعت قبلاً وتؤخذ من «خراج المقاسمة» ، وخراج الموظف»^(٣) إلى «أقجة عثمانية Akge معينة» .^(٤)
- ٣- تقسيم أراضي السلطنة إلى وحدات إدارية عسكرية ، تدعى أكبرها «إيالات Eyalet»^(٥) ، مقسمة إلى سناجق يدعى واحدها «سنجقا» ؛ والسنجق

(١) حول تاريخ ولاية هذا السلطان يراجع : ساطع الحصري ، البلاد العربية والدولة العثمانية ، دار العلم للملايين ، ط٣ ، بيروت ١٩٦٥م ، ص ٢٧٩ ؛ وسنشير إليه لاحقاً : ساطع الحصري ، البلاد العربية ، ص . . . ، و Ismail, op. cit., p. 349

(٢) الأيوبي وولده ، قاموس الحقوق ، مج ٣ ، ص ١٢٠٨ .

(٣) خراج المقاسمة : هو الشيء الذي تعين ، على أن يؤخذ من حاصلات الأرض وقدره من العشر إلى النصف بحسب تحمل الأرض . أما الخراج الموظف : فهو مقدار معين من الدراهم توظف وتعين بوجه مقطوع على الأراضي . ولمزيد من الإيضاح ، يراجع : الأيوبي وولده قاموس الحقوق ، مج ٣ ، ص ١٢١١ .

(٤) أقجة عثمانية معينة : نقد عثمانية من الفضة ، كان يطلق عليه أيضاً «أسبر Aspre» وقيمه ١/٢٠ من القرش . ولمزيد من الإيضاح ، يراجع : Ismail, op. cit., p. 298 and 300

(٥) إيالة إيالة ، من مصدر آل : أول : الأول : الرجوع . بهذا المعنى إيالة لا تورث ، فهي ترجع إلى السلطان . وألت الشيء أولاً وإيالاً : أصلحته وسسته . وإيالة : السياسة . وآل عليهم أولاً =

يشتمل على عدد من المقاطعات الإدارية العسكرية أيضاً؛ وهي حسب مقدار دخلها ثلاثة أنواع: أصغرها «تيمار Timar»، يقدر دخلها من ثلاثة آلاف أقة كحد أدنى، إلى عشرين ألف أقة كحد أقصى؛ وأوسطها «زعامت Za'amet»، يقدر دخلها من عشرين ألف أقة كحد أدنى إلى مئة ألف كحد أقصى؛ وأكبرها «خاص Khass» يقدر دخلها من مئة ألف كحد أدنى إلى ما فوق هذا الحد.

٤- تفويض هذه الوحدات إلى قادة عسكريين لإدارتها وتصريف شؤونها والدفاع عنها. وهم بحسب رتبهم ودرجاتهم التراتبية وسلطانهم من الأعلى إلى الأدنى على النحو الآتي:

* الإيالت، يعهد بتصريف شؤونها إلى «بكلربكي Beglerbegi» أي «بك البكوات»؛ ونسبة إليه فقد دعيت «بكلربكوية»، وهو برتبة «أمير أمراء» أو باشا، يتصرف بمقاطعة من نوع خاص.

* السنجق، يعهد بتصريف شؤونه إلى «سنجق بكي» أي «بك السنجق» وهو برتبة أمير لواء وباختصار «ميرلوا» ويتصرف بمقاطعة من نوع خاص غير أن خاصه هو أصغر من خاص الباشا.

* الزعامت، يعهد بتصريف شؤونها إلى «زعيم Za'm».

* التيمار، يعهد بتصريف شؤونها إلى صغار القادة العسكريين ويدعى الواحد منهم «سباهي Spahi»^(١).

= وأيالة: وُلِّي. وفي المثل: قد أُلنا وإيل علينا، ولينا، بمعنى ولينا وُلِّي علينا، ونسب ابن الأعرابي هذا القول إلى عمر وقال: معناه أي سُسنا وسيس علينا. ابن منظور لسان العرب، مج ١، ص ١٣١-١٣٥، ومن الناحية الإدارية أشارت المصادر الفرنسية إلى أن إيالة هي أكبر وحدة إدارية في السلطنة العثمانية على رأسها حاكم عام يدعى «بكلربكي»، باشا. ولزيد من الإيضاح، يراجع:

Ismail, op. cit., p. 309.

(١) لمزيد من الإيضاح حول التيمار وسباهي، يراجع: Ismail, op. cit., p. 321.

ومن المهم في هذا المجال أن نؤكد على جملة أمور :
 أولها ، أن العثمانيين كانوا- عندما يستولون على قطر من الأقطار- يعملون
 على إحصاء القرى والمزارع الموجودة فيه ، ثم يقسمونها إلى مقاطعات يمنحونها
 إلى القادة المحاربين بعد أن يخصصوا طائفة منها إلى السلطان .^(١)
 ثانيها ، أن منح مقاطعة من المقاطعات إلى أحد القادة ، كان لا يعني تملكه
 القرى والأراضي التي تتألف منها تلك المقاطعة ، إنما تفويضه حق جباية الأعراس
 والرسوم والضرائب المترتبة عليها ، من أجل الإفادة منه في خدمة الموقع الإداري
 والعسكري الذي هو فيه . فالأراضي والقرى والمزارع ، كانت تبقى تحت تصرف
 مالكيها ، على أن يدفعوا الضرائب التي تفرض عليها إلى صاحب المقاطعة
 الممنوحة إليه ، وإلى من يوكله لتسلمها .

ثالثها ، هو أنه مقابل منح المقاطعات المذكورة ، كان يفرض على أصحابها أن
 يكونوا دوماً على استعداد للحرب ، وأن يتولوا أعداد عدد من الخيالة والفرسان
 المحاربين ، وأن يجهزهم بكل ما يحتاجون إليه من أسلحة وخيول ؛ فالسباهي-
 على سبيل المثال- الذي فوضت إليه مقاطعة من نوع تيمار وقدر دخلها من
 عشرين ألف أقة ، عليه أن يجهز خمسة فرسان يدعى واحدهم «جبلي»
 ويقودهم في زمن الحرب ، باعتبار أن التيمار يتألف من مجموعة حصص
 متساوية قيمة الواحدة منها ثلاثة آلاف أقة وهذه النواة كافية لإعاشة الجبلي

(١) نشير هنا على سبيل المثال أن هناك عدداً كبيراً من القرى خصصت للسلطان إبراهيم (١٦٤٠-
 ١٦٤٨م) ١٠٥٠-١٠٥٨هـ في قضاء جبلة على الساحل السوري ، عرفت باسم هذا السلطان وهي ما
 زالت تعرف إلى اليوم بقرى وقف السلطان إبراهيم والشمسيات عددها ٣٦ قرية . ولزيد من الإيضاح
 حول هذه المسألة ، يراجع : إلياس صالح اللاذقي ، أثار الحقب في لاذقية العرب ، وهو مخطوط من
 جزئين ومن محفوظات مكتبة البطريركية الأرثوذكسية في دمشق ، ج ١ ، ص ٦٦ .

أو السباهي نفسه تدعى «ديرليك Dirlik».^(١) أما الفرق بين الجبلي والسباهي فهو أن هذا الأخير يصار إلى إلحاق أجزاء أخرى بهذه النواة تسمى «حصصاً» تصل قيمتها إلى ألفي أقة وهي حصص الترقى ، من أجل تشجيعه على القيام بواجبه بشكل مرضي وجيد ، وبالتالي يصل مخصصه إلى خمسة آلاف أقة .

رابعها ، أن «بك اللواء» كان يعتبر أمراً ومرجعاً لجميع مقاطعات التيمار والزعامت الداخلة في حدود اللواء المخصص له . بمعنى ، إذا طلبت السلطنة تسفير الجيوش للحرب في جهة من الجهات ، عليه أن يكون جاهزاً فيجمع الخيالة المترتبة على «الخاص» المخصص لمنصبه مع الخيالة المترتبة على مقاطعات التيمار والزعامت التابعة للواء ، وأن يتوجه بهم إلى حيث يأمره ال «بكلربكي» . وكان على هذا الأخير أن يتصرف «بالخاص» المخصص له ، فيعد ويجهز الخيالة المترتبة على ذلك الخاص ، فضلاً عن أنه يأمر ويوجه الخيالة الذين يجهزهم أمراء الألوية وأصحاب مقاطعات التيمار والزعامت لجميع ألوية الإيالت إلى حيث تأمره السلطنة أن يتوجه .

خامسها ، أن «باشاوات» الأيالات ، وأمراء الألوية وسائر العاملين فيها ، ما كانوا يتقاضون من خزينة السلطنة رواتب مقننة . إنما ، كانوا يتقاضون الضرائب والتكاليف اللازمة لهذه الوظائف . علماً أن هؤلاء كانوا يعينون من قبلهم «متسلمين» يتولون جباية الضرائب باسمهم . كما أن كل متسلم كان يستعين بخدمات طائفة من أهل البلاد وأعيانها ، في أمر توزيع التكاليف الضرائبية وتثبيتها وجبايتها . وبذلك يكون أبناء البلاد قد دخلوا في خدمة الذين يتوالون على تسلم هذه المواقع الإدارية العسكرية .

(١) أشارت المصادر الفرنسية إلى معنى كلمة «ديرليك Dirlik» بالقول أنها كلمة تعني : حياة ، كما تعني ضرورات الوجود . وأنها تستخدم في السلطنة العثمانية للإشارة إلى عائدات الدولة . ولزيد من

سادسها ، أن بعض الأيالات والألوية ، كانت تستثنى من هذا النظام العام فيخصص لمن منحت إليهم مبالغ محددة يتقاضونها من خزينة السلطنة مباشرة ، وكانت أمثال هذه المخصصات تعرف باسم «ساليانه» وتدعى مقاطعتهم «ايالة»

سابعها ، هو أن العشائر والقبائل البدوية كانت تترك خارج هذه الترتيبات الإدارية العسكرية المشار إليها . وكانت شؤونها تدار من قبل شيوخها وأمرائها ، وفقاً للتقاليد التي تعارف عليها هذه التشكيلات الاجتماعية فيما بينها . وكانت السلطنة تعترف بسلطة هؤلاء . كما أنها كانت تصدر الأوامر والإعلانات اللازمة عند توليهم المشيخة أو الإمارة وفقاً لتقاليدها .

ثامنها ، أن بعض مقاطعات التيمار والزعامت والخاص ، كانت تخصص لرجال البحرية وجنودها ، وكان يفرض على متفوضيها إعداد وتجهيز عدد من «البحارة» عوضاً عن «الخيالة» .^(١)

تاسعها ، على صعيد إدارة الأراضي جرى إنشاء «إدارة الدفتر الخاقاني Daftar Khakani» (إدارة الإحصاء) تهتم بإعداد اللوائح والجداول وتسجيلها^(٢) . وبالرغم من الارتباط الوثيق بين الشأن المالي والشأن العقاري ، فقد قسمت هذه الإدارة إلى دائرتين : دائرة للأراضي دعت «دفتر خانه Daftar Khané» ، على رأسها «دفتر أميني Daftar amini» أي «أمين الدفتر» ؛ والثانية تهتم بالشؤون

(١) استندنا في صياغة هذه التفصيلات على عدد من المصادر والمراجع : الأيوبي وولده ، قاموس الحقوق ، مج ٣ ، ص ١٢٠٨-١٢٠٩ ؛ Ismail, op. cit., pp. 297-320. وساطع الحصري ، البلاد العربية ، ص ٢٩-٣٤ ؛ عبد الكريم رافق ، بلاد الشام ومصر من الفتح العثماني إلى حملة نابليون بونابرت ١٥١٦-١٧٩٨ ، ط ٢ ، دمشق ١٩٦٨م ، ص ٦٧-٧٢ ؛ عبد العزيز محمد عوض ، الإدارة العثمانية في ولاية سوريا ١٨٦٤-١٩١٤م ، دار المعارف بمصر ، بدون تاريخ طبع ، ص ٢٢٣-٢٢٤ ، سنشير إليه لاحقاً : عوض ، الإدارة العثمانية .

(2) Ismail, op. cit., p. 306.

المالية دعت «دفتر ديرليك» و«Daftardar» وعلى رأسها «دفتر دار» (١). وبما أن هذه الأخيرة لا تعيننا في هذا المقام، بقي أن نشير إلى دائرة شؤون الأراضي، فهذه قسمت إلى ثلاثة أقسام، لكل قسم دفتره الخاص وهي:

- قسم الإجمال، ويعنى صاحب هذا الدفتر بالوثائق التي تحددت فيها حدود الأيالات وتقسيماتها وجميع الوثائق العائدة لمقاطعات التيمار والزعامت والخاص.

- قسم المفصل، ويعنى صاحب هذا الدفتر بوثائق الملكيات الخاصة.

- قسم «الروزنامه» (Ruznamé) (٢)، ويعنى صاحب هذا الدفتر بتسجيل التبدلات اليومية التي تطرأ على الإقطاعات وأصحابها (٣).

هذه هي الخطوط الأساسية لنظام الإيالت، الذي كان قد تأسس في السلطنة العثمانية، عندما استولت على بلاد الشام، وادخلتها تحت سلطانها. والسؤال الذي يمكن أن يطرح نفسه في هذه المحطة من البحث هو: كيف راحت تنتظم أوضاع أراضي السلطنة بشكل عام وأراضي بلاد الشام بشكل خاص؟ من المعروف أن هذه البلاد كانت مقسمة إلى ست وحدات إدارية في عهد المماليك، تدعى الواحدة منها «نيابة» وهي: نيابة حلب، نيابة طرابلس، نيابة الشام، نيابة حماه، نيابة صغد ونيابة الكرك (٤). وعندما استولى عليها السلطان

(١) عبد الكريم رافق، بلاد الشام ومصر، ص ٦٧-٦٨؛ و

Ismail, op. cit., p. 306.

(٢) جاء في المصادر الفرنسية أن دفتر الروزنامه تسجل عليه يومياً عقود الإلتزام والبراءة إلى حائزي

الإقطاعات الجدد. ولزيد من الإيضاح، يراجع: Ismail, op. cit., p. 306.

(٣) عبد الكريم رافق، بلاد الشام ومصر، ص ٦٧.

(٤) أحمد عزت عبد الكريم، التقسيم الإداري لسوريا في العهد العثماني، حوليات كلية الآداب بعين

شمس، مج ١، ص ١٢٩. سنشير إليه لاحقاً: أحمد عزت عبد الكريم، التقسيم الإداري.

سليم الأول ١٥١٢ - ١٥٢٠ م (٩١٨ - ٩٢٧ هـ)^(١) ، اتخذ عدداً من الإجراءات

التي لم تقطع بشكل كلي مع النفوذ المملوكي ؛ من هذه الإجراءات :

١- لقد أبقى التقسيمات الإدارية فيها على ما كانت عليه ، وعيّن «جان بردي الغزالي» نائباً على دمشق ، كما أبقى على حكم العصبية البدوية والتركمانية والدرزية في مناطقها .^(٢)

٢- شرع بدراسة وضع الأراضي في واقعها الذي كان قائماً ، من أجل إحصائها وتسجيلها وفقاً لمبادئ نظام استغلال الأراضي العثماني . ومن أجل ذلك تشكلت اللجان التي راحت تعمل على تطبيقها . ويلاحظ من خلال هذه المبادئ وجود تصنيفين :

الأول ، تصنيف عام اعتبر أن الأراضي التي افتتحت في زمن السلاطين العظام خمسة أقسام : الأراضي المملوكة ، الأراضي المتروكة ، الأراضي الموات ، الأراضي الموقوفة ، والأراضي الأميرية .

الثاني ، تصنيف محدد ودقيق ، تناول كل قسم من هذه الأقسام على حدته . ومن أهم هذه التحديدات :

* الأراضي المملوكة هي أربعة أنواع : أراضي مملوكة ملكاً صحيحاً ، الدور والأراضي التي تعتبر من تنمة السكن ، الأراضي العُشرية ، الأراضي الخراجية .

* رقة الأراضي المملوكة كافة يعني ذاتها ، فملكيتها تعود إلى الشخص الذي هو صاحبها ومالكها ؛ أنها تتوارث كالأموال وباقي الأشياء ، وتجري عليها الأحكام نظير البيع والشراء ، الوقف والرهن ، الهبة والشفعة .

(١) ساطع الحصري ، البلاد العربية والدولة العثمانية ، ص ٢٧٩ ؛ و Ismail, op. cit., p. 349

(٢) عبد العزيز محمد عوض ، الإدارة العثمانية في ولادية سورية ، ص ٦١ .

✽ الأراضي الأميرية نوعان : أحدهما ، موات لم يشهد الأحياء والعمران منذ البداية ؛ والآخر جرى إحياءه وإعمارها ، لكنه لسبب من الأسباب تحول بمرور الزمن إلى أراضي موات . هذه الأراضي تركت رقبتهما لبيت المال ؛ وتفوض لمن يريد إحياءها وفلحها وزرعها ، على أن يدفع ما خصص عليها من خراج المقاسمة والخراج الموظف ؛ وعند وفاة متصرفها ، لا تنتقل إلى أولاده بل تفوض إلى من يدفع الرسوم المترتبة عليها ؛ كما أن تملكها مقيد ومشروط بالمصلحة العامة ؛ وإن كان تملكها مخلاً بهذه المصلحة فهو غير جائز ولا مشروع .^(١)

على ضوء هذا التصنيف وهذه التحديدات ، باشرت إدارة الإحصاء والتسجيل في قسم المفصل العمل واستمرت به لسنتين أو ثلاث سنوات ؛ ففي عام ١٥١٨م كانت دفاتر المفصل لمنطقة حلب منجزة ؛ أما الدفاتر المفصلة ، العائدة لطرابلس وبعض المناطق الأخرى ، فقد أنجزت في عام ١٥١٩م .^(٢) لكن ، بعد حركة التمرد الفاشلة ، التي قام بها «جان بردي الغزالي» والقضاء عليها^(٣) ، راح السلطان سليمان القانوني (١٥٢٠-١٥٦٦م ، ٩٢٧-

(١) لمزيد من الإيضاح حول هذه التفصيلات ، يراجع : الأيوبي وولده قاموس الحقوق ، مج ٣ ، ص ١٢٠٧-١٢٠٩ .

(٢) نيقولاي ايفانوف ، الفتح العثماني للأقطار العربية ١٥١٦-١٥٧٤م ، نقله إلى العربية يوسف عطاالله ، دار الفارابي ، بيروت ٢٠٠٤م ، ص ٨٢-٨٣ ؛ سنشير إليه لاحقاً : نيقولاي ايفانوف ، الفتح العثماني .

(٣) قضي على ترمذ جان بردي الغزالي في سنة ١٥٢١م (٩٢٨هـ) بعد مصرعه في معركة القابون قرب دمشق ، عبد العزيز محمد عوض ، الإدارة العثمانية في ولاية سورية ، ص ٦١ .

٩٧٤هـ)^(١) يعمل على اقتلاع النفوذ المملوكي وتثبيت أقدام السلطنة العثمانية في المواقع التي باتت تسيطر عليها . ومن الإجراءات التي اتخذها في هذا المجال :

١- أقر تقسيماً إدارياً عاماً للإمبراطورية العثمانية ، قسمت بموجبه إلى قسمين رئيسين هما : الروملي ومقره مناستير «Monastir» أو صوفيه «Sofia» ؛ والأناضول ومقره أنقرة ثم كوتاهية^(٢) . وكانت بلاد الشام تابعة لهذا الأخير .

٢- أقر بحكم العصبية البدوية والتركمانية والدرزية كما هي قائمة في مناطقها .

٣- أجرى تعيين نواب عثمانيين جدد لنيابات بلاد الشام بدلاً عن النواب الماليك .

٤- نظراً لارتباط الوقف بالأرض ارتباطاً وثيقاً ونظراً لرغبته ومصالحته بوضع حد للشوائب الكثيرة التي كان أمراء الماليك قد ألحقوها بعملية الوقف ، فقد أشير على هذا السلطان «بأن يحلّ الأوقاف باعتبار أن أكثرها من أراضي بيت المال ، وأن الحبس عليها إرصاد لا وقف ، ويجوز تغييره إذا رأى ولي الأمر أن بعض المصارف أولى مما رصد عليه» .^(٣) صحيح أن السلطان

(١) تتفق المصادر التي اطلعنا عليها ، على الفترة التاريخية ، التي تولى فيها السلطان سليمان عرش السلطنة ، وعلى أنه السلطان العاشر ؛ لكنها تختلف حول لقبه ، فمنها ما قال بأنه سليمان الأول «القانوني» ، ومنها ما قال بأنه سليمان الثاني «الجميل le magnifique» معتبرة في ذلك أن سليمان الأول ، هو «أمير أدرنوبل Prince d'Adrinople» ، حكم من ١٤٠٣ - ١٤١٠م (٨٠٦-٨١٠هـ) . وحول هذه المسألة ، يراجع : ساطع الحصري ، البلاد العربية والدولة العثمانية ، ص ٢٧٩ ؛

Ismail, op. cit., p. 349

(٢) أحمد عزت عبد الكريم ، التقسيم الإداري ، ص ١٣٨ - ١٤١ .

(٣) محمد أبو زهرة ، محاضرات في تاريخ الوقف ، ص ٢١ .

سليمان القانوني لم يأخذ بهذه المشورة لأسباب كثيرة ليس هنا مجال الدخول في تفاصيل هذا الأمر، لكن من الصحيح أيضاً أنه عمل على وضع حد للإسراف الذي كان قائماً في عملية الوقف، واتخذ عدداً من التدابير التي تحد من وقف الأراضي الزراعية، نذكر منها:

✽ إلغاء دواوين الأوقاف الثلاثة، التي كان قد أنشأها المماليك وهي: ديوان أحباس المساجد، ديوان أحباس الحرمين الشريفين وجهات البر الأخرى، وديوان الأوقاف الأهلية. (١)

✽ جرى تصنيف الأراضي الموقوفة إلى صنفين: الأول، أوقاف صحيحة وهي من الأراضي العشرية والخراجية المملوكة، والأراضي التي ملكت بأنواع الوجوه الملكية، وأعطى بها سند تملك سلطاني وجرى وقفها من قبل مالكيها؛ والثاني، أوقاف غير صحيحة وهي «ما أوقف متصرفو الأراضي الأميرية بأذن سلطاني». (٢)

وبالاستناد إلى الإرادة السنية، اعتبرت الإدارة العثمانية، أن الأوقاف الصحيحة تعامل في جميع أوجه التصرف بها بموجب شرط الواقف المسجل في الحجة الوقفية، ولا تجري عليها المعاملات القانونية. واشترطت أنه لا يعمل بالحجة الوقفية فقط، بل يجب أن تكون مقيدة في سجل المحكمة الموثوق به والمعتمد عليه، وعلى ذلك الحال يكون معمولاً بها وإلا فلا. (٣)

(١) محمد أبو زهرة، محاضرات في تاريخ الوقف، ص ١٣.

(٢) الأيوبي وولده، قاموس الحقوق، مج ٣، ص ١٢٠٧-١٢٠٨.

(٣) أحمد جودت، خليل سيف الدين، أحمد خلوصي، أحمد حلبي، محمد أمين الجندي، علاء الدين ابن عابدين، مؤلفو «مجلة الأحكام العدلية»، عربها عن الأصل التركي وشرحها سليم بن رستم باز، بدون مكان وتاريخ طبع، المواد ١٣٣٦-١٧٣٩، ص ١٠١١-١٠١٣، غير أن المعرب أشار بعد فهرس الموضوعات بقوله: «كان الفراع من تنقيحه وتبييضه في مدينة البترون عصر الاثنين الواقع ٢١ رجب ١٣٠٥هـ الموافق ٣ نيسان ١٨٨٨م، ص ١١٢٨. سيشار إلى هذا المصدر لاحقاً أحمد جودت وآخرون، مجلة الأحكام العدلية.

بهذا الإلغاء لدواوين الأوقاف ، وهذا التصنيف للأراضي الموقوفة ، تكون السلطنة العثمانية قد وجهت ضربة قاسية لمصالح أمراء المماليك ، لأنها أجبرتهم على أمرين :

الأول ، هو التقدم لتسجيل وقفياتهم الصحيحة في سجل المحكمة الموثوق به والمعتمد عليه ، ليعمل بها وفق الشروط الواردة فيها .

الثاني ، هو دفعهم إلى إجراء المعاملات القانونية لأوقافهم ، لأن السلطنة العثمانية اعتبرت أن وقفية مثل هذه الأراضي الأميرية ، هي عبارة عن تخصيص منافعها كالأعشار والرسوم الأميرية لجهة ما من طرف السلطنة ، مع بقاء رقبته ملكاً لبيت المال . وفي كلا الأمرين ، بات أمراء المماليك وباتت مصالحهم في قبضة السلطنة وتحت سلطة رقابتها الإدارية والسياسية .

٥- وضع نظام الإيالات موضع التنفيذ ، فقسمت بلاد الشام إلى ثلاث أيالات ، وتركت صحراء سينا وصحراء النقب وبادية الشام خارج هذا التقسيم الإداري العسكري ؛ وهي على النحو الآتي :

أ - بكلربكوية الشام : إيالات الشام ، مركزها دمشق ، يحدها من الشمال بكلربكوية طرابلس ، من الشرق هذه الإيالات الأخيرة وبادية الشام ، من الجنوب صحراء النقب وصحراء سينا ، من الغرب بحر الشرق (القسم الشرقي من البحر المتوسط) وهي تشتمل على الأولوية الآتية :

لواء دمشق ، هو لواء المركز الذي تتبعه الأولوية الأخرى ، على رأسه «بكلربكي» وهو باشا «بطوغين»^(١) برتبة «أمير أمراء» ، وأحياناً بثلاثة أطواغ

(١) طوغين : مثنى طوغ «tug» ، وطوغ كلمة فارسية تعني ذيل الحصان ، وهو عبارة عن خصلة شعر قد

تعلق تحت هلال سنجق الراية ، التي كانت تتقدم «موكب الشرف» «escorte» بمناسبة إحياء الأعياد

الرسمية في القسطنطينية . وحتى اليوم ، ما يزال الغموض يلف مسألة نشأة هذا «الشعار» «insigne» .

غير أن بعض المؤرخين يربطون بين عدد «الأذيال» - إذا وجدت في الراية - وبين الرتبة العسكرية =

برتبة وزير؛ يتصرف بمقاطعة من نوع «خاص» يقدر دخلها من مليون «أقجة عثمانية». وهو يقسم إلى ٤١٩ مقاطعة، ٨٧ منها من نوع «زعامت» و ٣٣٢ مقاطعة من نوع «تيمار»، وعدد الخيالة المفروض على جميع مقاطعات هذا اللواء ٢٠٠، بالإضافة إلى عدد من العساكر الذي يدعى واحدهم «جبلي».

لواء القدس الشريف، على رأسه «أمير لواء» يتصرف بمقاطعة من نوع خاص يقدر دخلها من ٢٥٠٤٨٥ أقجة. وهو يقسم إلى ١٧٠ مقاطعة، ٩ منها من نوع زعامت، و١٦١ مقاطعة من نوع تيمار، عدد الخيالة المفروض على هذا اللواء ٥٠.

لواء غزة، على رأسه «أمير لواء»، يتصرف بمقاطعة من نوع خاص يقدر دخلها من ٢٠٨٣٢٨ أقجة. وهو يقسم إلى ١١٢ مقاطعة، ٧ منها من نوع زعامت، و١٠٥ مقاطعات من نوع تيمار، عدد الخيالة المفروض على هذا اللواء ٧٤، بالإضافة إلى عدد من العساكر.

لواء صغد، على رأسه أمير لواء، يتصرف بمقاطعة من نوع خاص يقدر دخلها من ٣٦٣٨٠٠ أقجة. وهو يقسم إلى ١٢٨ مقاطعة، ٥ منها من نوع زعامت، و١٢٣ مقاطعة من نوع تيمار، عدد الخيالة المفروض على هذا اللواء ٧٤، بالإضافة إلى عدد من العساكر.

لواء نابلس، على رأسه «أمير لواء»، يتصرف بمقاطعة من نوع خاص يقدر دخلها من ٢٩٦٤٥٥ أقجة. وهو يقسم إلى ٥٤ مقاطعة، ٧ منها من نوع زعامت، و٤٧ مقاطعة من نوع تيمار، عدد الخيالة المفروض على هذا اللواء ٥٩،

= التي يحملها صاحب هذه الراية في الإمبراطورية العثمانية. «فسنجد بكي»، أي أمير السنجد يضع في رايته طوغاً واحداً، والبكلربكي أمير الأمراء يضع طوغين، والوزير ثلاثة أطواغ، والصدر الأعظم خمسة أطواغ، ويضع السلطان في وقت الحرب سبعة أطواغ أو تسعة. وعندما يخلع باشا ما من وظيفته يجرد من رتبته وبالتالي من هذا الشعار. ولمزيد من الإيضاح حول هذه المسألة، يراجع: Ismail, op. cit., p. 270 and 321، وعبد العزيز محمد عرض، الإدارة العثمانية، ص ٦٢.

بالإضافة إلى عدد من العساكر .

لواء عجلون ، على رأسه «أمير لواء» ، يتصرف بمقاطعة من نوع خاص يقدر دخلها من ٢٦١٠٠٠ أقجة . وهو يقسم إلى ٦٥ مقاطعة ، ٤ منها من نوع زعامت ، و٦١ مقاطعة من نوع تيمار ، عدد الخيالة المفروض على هذا اللواء ٥٢ ، بالإضافة إلى عدد من العساكر .

لواء لجون ، على رأسه «أمير لواء» ، يتصرف بمقاطعة من نوع خاص يقدر دخلها من ٢٠٠٠٠٠ أقجة . وهو يقسم إلى ٤٨ مقاطعة ، ٩ منها من نوع زعامت ، و٣٩ مقاطعة من نوع تيمار ، عدد الخيالة المفروض على هذا اللواء ٥٢ ، بالإضافة إلى عدد من العساكر .

لواء البقاع ، على رأسه أمراء من العربان ، لا توجد فيه مقاطعات من أي نوع ، يتقاضون مخصصاتهم من خزانة السلطنة .
لواء عكة ، على رأسه «أمير لواء» ، يتقاضى «ساليانه» من خزانة السلطنة ، لا توجد فيه مقاطعات من أي نوع .

لواء تدمر صيدا مع بيروت ، على رأسه «أمير لواء» ، يتقاضى «ساليانه» من خزانة السلطنة ، لا توجد فيه مقاطعات من أي نوع . وحتى الآن لا ندرك ما هي الحكمة من ربط صيدا مع بيروت بتدمر!!

لواء كرك مع شوبك ، على رأسه «أمير لواء» ، يتقاضى «ساليانه» قدرها من دفتر دار الخزينة ١٤٠٣٣٥ أقجة . عدد الخيالة المفروض على هذه القيمة ٢٨ ؛ ومن دفتر دار الزعامت ١٣٠٠٠٠ أقجة ، عدد الخيالة المفروض على هذا المبلغ ٢٦ ، ومن دفتر دار التيمار ٧٤٠٠٠ أقجة ، عدد الخيالة المفروض على هذه القيمة ١٤ ؛ وبذلك يكون عدد الخيالة المفروض على هذا اللواء ٦٨ ، بالإضافة إلى عدد من العساكر .

وهنا لا بد من الإشارة إلى أمرين :

الأول ، وهو أن عدد العساكر المفروض على جميع هذه الإيالت هو ٢٦٠٠

«جبلي» .

الثاني ، وهو أن «أمير أمراء» واحد ، وستة أمراء ألوية ، و١٢٨ «زعيم» ، و٨٦٨ «سباهي» ، كانوا يتصرفون بسبع مقاطعات من نوع خاص و١٢٨ مقاطعة من نوع زعامت ، و٨٦٨ مقاطعة من نوع تيمار ، وأن عدد الخيالة المفروض على كل هذه المقاطعات هو ٥٨٤ خيلاً^(١).

ب - بكلربكوية طرابلس الشام : إيالت طرابلس ، مركزها طرابلس الشام ، يحدها من الشمال بكلربكوية حلب وبكلربكوية الرها ، من الشرق بادية الشام ، من الجنوب بكلربكوية الشام ، من الغرب بحر الشرق ؛ وهي تشتمل على الألوية الآتية :

لواء طرابلس ، هو لواء مركز الإيالت وتتبعه الألوية الأخرى ، على رأسه «بكلربكي» باشا بطوغين وبرتبة «أمير أمراء» ، يتصرف بمقاطعة من نوع خاص يقدر دخلها من ٨٠٠٠٠٠٠ أقجة عثمانية . يقسم هذا اللواء إلى ٨١٩ مقاطعة ، ١٢ منها من نوع زعامت ، و٨٠٧ من نوع تيمار ، عدد الخيالة المفروض على هذا اللواء ١٦٠ ، بالإضافة إلى عدد من العساكر .

لواء حما ، على رأسه «أمير لواء» ، يتصرف بمقاطعة من نوع خاص يقدر دخلها من ٣٩٤٠٣٦ أقجة . وهو يقسم إلى ١٩٤ مقاطعة ، ٢٣ منها من نوع زعامت ، و١٧١ مقاطعة من نوع تيمار ، عدد الخيالة المفروض على هذا اللواء ٧٨ ، بالإضافة إلى عدد من العساكر .

لواء حمص ، على رأسه «أمير لواء» ، يتصرف بمقاطعة من نوع خاص يقدر دخلها من ٢٢٠٢٩٩ أقجة . وهو يقسم إلى ١٨٤ مقاطعة ، ١٥ منها من نوع زعامت ، و١٦٩ مقاطعة من نوع تيمار ، عدد الخيالة المفروض على هذا اللواء ٤٤ ، بالإضافة إلى عدد من العساكر .

لواء سلمية ، على رأسه «أمير لواء» ، يتصرف بمقاطعة من نوع خاص يقدر

(١) لمزيد من الإيضاح ، تراجع خريطة السلطنة العثمانية المرفقة ربطاً بالبحث ؛ وجدول تقسيمات الإدارة

الإقطاعية لبلاد الشام في نظام الإيالت المرفق ربطاً .

دخلها من ٢١٩٠٠٠ أقجة . وهو يقسم إلى ٥٧ مقاطعة ، ٤ منها من نوع زعامت ، و٥٣ مقاطعة من نوع تيمار ، عدد الخيالة المفروض على هذا اللواء ٤٣ ، بالإضافة إلى عدد من العساكر .

لواء جبله ، على رأسه «أمير لواء» ، يتصرف بمقاطعة من نوع خاص يقدر دخلها من ٢١٤١٨٠ أقجة . وهو يقسم إلى ١٠٠ مقاطعة ، ٩ منها من نوع زعامت ، و٩١ مقاطعة من نوع تيمار ، عدد الخيالة المفروض على هذا اللواء ٤٢ ، بالإضافة إلى عدد من العساكر . وهنا لا بد من الإشارة إلى أن أمير اللواء كان يتقاضى - بالإضافة الى خاصه المخصص له - ١١٣٠٠٠ أقجة ، وعدد الخيالة المفروض على هذا المبلغ ٢٢ ؛ ويتقاضى من دفتر دار الزعامت ٦٤٠٠٠ أقجة ، وعدد الخيالة المفروض على هذا المبلغ ١٢ ؛ ويتقاضى من دفتر دار التيمار ٦١٠٠٠ أقجة ، وعدد الخيالة المفروض على هذا المبلغ ١٢ .

ومن الجدير بالذكر هنا أن نشير إلى أمرين أيضاً :

الأول ، وهو أن عدد العساكر المفروض على جميع مقاطعات هذه الإيالت

هو ١٤٠٠ جبلي .

الثاني ، وهو أن «أمير أمراء» واحد ، وأربعة أمراء ألوية ، و٦٣ «زعيم» و١٢٩١ «سباهي» ، كانوا يتصرفون بأراضي هذه الإيالت المؤلفة من ٥ مقاطعات من نوع خاص ، و٦٣ مقاطعة من نوع زعامت ، و١٢٩١ مقاطعة من نوع تيمار ، وأن عدد الخيالة المفروض على جميع مقاطعات هذه الإيالت هو ٤١٣ خيالاً^(١) .

ج - بكلربكوية حلب : إيالت حلب ، مركزها حلب ، يحدها من الشمال بكلربكوية مرعش ، من الجنوب بكلربكوية طرابلس الشام ، من الشرق بكلربكوية الرها وبكلربكوية ديار بكر ، من الغرب بحر الشرق وبكلربكوية جزيرة قبرص . وهي تشتمل على الألوية الآتية :

لواء حلب ، هو لواء مركز الإيالت ، على رأسه «بكلربكي» وهو باشا بطوغين

(١) تراجع خريطة السلطنة العثمانية المرفقة ربطاً ؛ وجدول تقسيمات الإدارة الإقطاعية .

وبرتبة «أمير أمراء»، ويتبعه أمراء الألوية التي تتكون منها هذه الإيالت ، يتصرف بمقاطعة من نوع خاص يقدر دخلها من ٨١٧٧٧٢ أقة . وهو ينقسم إلى ٣٥٧ مقاطعة ، ٦٢ منها من نوع زعامت ، و٢٩٥ مقاطعة من نوع تيمار ، عدد الخيالة المفروض على هذا اللواء ١٦٣ ، بالإضافة إلى عدد من العساكر .

لواء كليس ، على رأسه «أمير لواء» ، يتصرف بمقاطعة من نوع خاص يقدر دخلها من ٥٢٢٨٦٧ أقة . وهو يقسم إلى ١١٣ مقاطعة ، ١٧ منها من نوع زعامت ، و٩٦ مقاطعة من نوع تيمار ، عدد الخيالة المفروض على هذا اللواء ١٠٤ ، بالإضافة إلى عدد من العساكر .

لواء عزيز ، على رأسه «أمير لواء» ، يتصرف بمقاطعة من نوع خاص يقدر دخلها من ٢٨٠٠٠٠ أقة . وهو يقسم إلى ٩٢ مقاطعة ، مقاطعتان منها من نوع زعامت ، و٩٠ مقاطعة من نوع تيمار ، عدد الخيالة المفروض على هذا اللواء ٥٦ ، بالإضافة إلى عدد من العساكر .

لواء معره ، على رأسه «أمير لواء» ، يتصرف بمقاطعة من نوع خاص يقدر دخلها من ٢٣٠٠٠٠ أقة . وهو يتألف من ٨٢ مقاطعة ، ٦ منها من نوع زعامت ، و٧٦ مقاطعة من نوع تيمار ، عدد الخيالة المفروض على هذا اللواء ٤٦ ، بالإضافة إلى عدد من العساكر .

لواء باليس ، على رأسه «أمير لواء» ، يتصرف بمقاطعة من نوع خاص يقدر دخلها من ٢٢٠٠٠٠ أقة . وهو يقسم إلى ٥٩ مقاطعة ، ٦ منها من نوع زعامت ، و٥٣ مقاطعة من نوع تيمار ، عدد الخيالة المفروض على هذا اللواء ٤٤ ، بالإضافة إلى عدد من العساكر .

لواء تركمان حلب وعزاز ، على رأسه «أمير لواء» يتقاضى «ساليانه» ، غير مقسم إلى مقاطعات من أي نوع كان .

لواء منبج مع مضيق ، على رأسه «أمير لواء» يتقاضى «ساليانه» ، غير مقسم إلى مقاطعات من أي نوع كان .

وفي نهاية كلامنا على إيالت حلب ، لا بد من التأكيد على أمرين :

١- أن عدد العساكر المفروض على جميع مقاطعات هذه الإيالت هو ٢٥٠٠ جبلي .

٢- أن «أمير لواء» واحد ، وأربعة أمراء ألوية ، و٩٣ زعيماً و٦١٠ سباهي ، كانوا يتصرفون بأراضيها المقسمة إلى خمس مقاطعات من نوع خاص ، و٩٣ مقاطعة من نوع زعامت ، و٦١٠ من نوع تيمار ، وأن عدد الخيالة المفروض على جميع هذه المقاطعات هو ٤١٣ خيالاً .

إن تطبيق نظام الإيالت في بلاد الشام من قبل السلطنة العثمانية ، قد أدى إلى خلق عدد من الوقائع الجديدة على أرض الواقع . ومن هذه الوقائع نذكر :

أولاً : أن النيابات المملوكية الست ، التي كانت تتكون منها بلاد الشام في عهد المماليك ، باتت في هذا النظام ثلاث إيالات : إيالت الشام ، إيالت طرابلس وإيالت حلب . وهي تشتمل على ٢٣ لواءً مقسمة إلى ٣٠٧٠ مقاطعة ، منها ١٧ من نوع خاص ، و٢٨٤ مقاطعة من نوع زعامت ، و٢٧٦٩ مقاطعة من نوع تيمار .^(١)

ثانياً : لقد أجري هذا التقسيم بدون أن يراعى فيه أي تمييز بين العناصر البشرية . ومن المؤكد أنه قد وضع في التجربة العملية مدة غير قصيرة من الزمن ، حتى أجريت عليه بعض التعديلات . بدليل أن لواء «أدنه» ، أضنه ولواء «بيره جك» اللذين كانت تقطنهما عناصر تركية كانا ملحقين بإيالت حلب ، ثم فصلا عنها لاحقاً لتشكيل أضنه إيالت قائمة بذاتها ، وبيره جك لواءً من ألوية إيالت حلب ، ثم فصلا عنها لاحقاً ، لتشكيل «أضنه» إيالة قائمة بذاتها ، و«بيره جك» لواءً من ألوية إيالت الرها . ولذلك ، جرى إسقاطهما من جدول تقسيمات الإدارة

(١) لمزيد من الإيضاح ، تراجع خريطة السلطنة العثمانية ؛ وتقسيمات الإدارة الإقطاعية .

الإقطاعية لأراضي بلاد الشام في نظام الإيالت الذي أشرنا إليه لأن أراضيها ليست من أراضي بلاد الشام. (١)
ثالثاً: أن مبدأ الأراضي كلها للسلطان ممثلاً بـ «بيت المال»، وتقسيم هذه الأراضي بالشكل الذي أشرنا إليه، جعل كل لواء وكل مقاطعة من المقاطعات، بدءاً من أصغرها التيمار إلى الزعامت والخاص، تشتمل على كل أنواع الأراضي وفق التصنيف الذي أجرته السلطنة - كنا قد أشرنا إليه - هذه الأراضي، قسّمت إلى قسمين كبيرين:

الأول، الأراضي التي داخل القرى والقصبات، وهي تشتمل على الدور والأراضي التي من تنمة السكن؛ هذه الأراضي تركت لأصحابها ولم يؤخذ منهم شيء مثل أعشار وخراج. والأراضي الخراجية والعشرية واستناداً إلى المسوغات الشرعية جرى تمليك قسم منها للذين وقفوا إلى جانب السلطنة أثناء الحرب وأعطى لهم تمليك سلطاني مقابل خدماتهم التي أسدوها للسلطنة. والقسم الثاني من هذه الأراضي جرى بيعها مقابل بدل وربطت بضرائب مناسبة. هذه الضرائب كان يجري تلزيمها إلى ملتزمين «apaltateurs»، الذين يجمعون الإلتزام بطريقتين: إما بتحديد سعر سنوي مقطوع على كل قرية، وفي هذه الحالة يقوم أهل

(١) عندما كان لواء أضنه أحد ألوية إيالت حلب، كان على رأسه «أمير لواء»، يتصرف بمقاطعة من نوع خاص يقدر دخلها من ١٠٠٠٩٩٥ أقجة، وعدد الخيالة المفروض عليه ٢٠٠؛ أما لواء بيرة جك فكان على رأسه «أمير لواء»، يتصرف بمقاطعة من نوع خاص يقدر دخلها من ٢٩٥٢٣٨ أقجة. ويقسم إلى ١٢٤ مقاطعة، ١٥ منها من نوع زعامت، و١٠٩ من نوع تيمار، عدد الخيالة المفروض عليه ٥٩. مزيد من الإيضاح، يراجع: رسالة عين علي أفندي في التيمار، ترجمة خليل ساحلي أوغلي، ضمن كتاب تاريخ الأقطار العربية في العهد العثماني، بحوث ووثائق وقوانين، استانبول، ٢٠٠٠م، ص ٦٦٢، ٦٦٣، ٢٦؛ وساطع الحصري، البلاد العربية والدولة العثمانية، ص ٢٣٤ - ٢٣٥.

القرية بتقسيمه على بعضهم البعض ويعملون على تحصيله كل سنة كسابقتها؛ هذه الحالة كانت تجري على عدد قليل من المطارح وتصل نسبة الضريبة من المحصول إلى ١٥٪. أما الطريقة الثانية، فتقوم على تحديد نسبة مئوية محددة «quotité» من المحصول تحدد كل سنة حسب الوفرة. وفي هذه الحالة تصل النسبة من ٣٠-٣٥٪. والضرائب المحصلة بهذه الطريقة أو بالأحرى فهي لصالح «بيت المال» (خزينة السلطنة). (١)

الثاني، الأراضي الأميرية والأراضي الموات، وهذه كانت واسعة جداً بالقياس إلى القسم الأول. فهي تشتمل على سهول حلب وأنطاكية، حماه وحمص، عكار والبقاع، حوران وفلسطين، كما تشتمل على هضاب وتلال وكُور. هذه الأراضي أعطيت كأقطاع تتراوح فيه نسبة خراج المقاسمة والخراج الموظف، من العشر على الأقل إلى النصف على الأكثر حسب خصوبة الأرض. (٢) فكيف كانت تجري عملية الإقطاع؟ في البداية كان باشا الإيالات يمنح إقطاع «التيمار»، لكن في عام ١٥٣٠م سحب السلطان سليمان القانوني هذه الصلاحية من الباشوات، وترك لهم حق منح تيمار صغير، وحق إعطاء توصية، كانت بمثابة كفالة قد تساعد حاملها لدى السلطنة أن يحصل على

(١) لمزيد من الإيضاح حول هذه الأفكار، تراجع رسالة م. اسكالدي «M. Esccaldi»، تلميذ فنصل، القنصلية العامة الفرنسية في بيروت، م. أوتري «M. Outrey» القنصل العام، بتاريخ ١٢ آب

Ismail, op. cit., p. 18؛ ١٨٦١

(٢) الأيوبي وولده، قاموس الحقوق، مج ٣، ص ١٢٠٨-١٢٠٩.

«براءة Berat»^(١) تولية لمثل هذا النوع من الإقطاع^(٢) ، الذي بات يدعى «جفتلك Giftlik» يحتوي على أنصبة توزع على الفرسان والعساكر ، يدعى الواحد منها «جفت Gift»^(٣) . وبانحطاط الجنود الإقطاعيين تدريجياً ، أصبح بإمكانهم دفع ما عرف بمال البدل مقابل إعفائهم من الخدمة^(٤) . وسمي هذا البدل «جفت رسمي» «Gift Resmi» (رسم جفت)^(٥) قدر على قاعدة ما يحتاج إليه المحارب (جبلي) لمعيشته ، وهو ثلاثة آلاف أقة عثمانية كحد أدنى .

(١) أشارت المصادر الفرنسية إلى أن السلطنة العثمانية كانت تمنح نوعين من البراءة ، إحداهما تمنح حاملها ضماناً أو حصانة مكتسبة ، على سبيل المثال كالتى تمنح إلى الرعايا الأجانب الموجودين على أراضيها بعدم التعرض لهم وكتبت «Beraet» . أما الثانية فهي تعني عقد تولية ، أمر معطى من أجل القيام بمهمة ، وكتبت «Berat» . وهذا النوع لا يعطى إلا باسم السلطان مشفوعاً بصفة شريف أو هماميون . ولزيد من الإيضاح ، يراجع : Ismail, op. cit., p. 302

(٢) عبد الكريم رافق ، بلاد الشام ومصر ، ص ٧١ .

(٣) أشارت المصادر الفرنسية إلى أن «جفتلك» تعني مزرعة واسعة من أملاك الدولة العثمانية ، تؤجر عن طريق الالتزام . أما «جفت» هو جزء من الجفتلك ، ويستخدم هذا المصطلح للدلالة على المساحة التي يمكن لزوج من البقر أن يفلحها في اليوم . وهي تقدر من ٦٠ إلى ١٥٠ دونم .

Ismail, op. cit., p. 305 and 309.

(٤) عبد الكريم رافق ، الشام ومصر ، ص ٧١ .

(٥) جفت رسمي : ضريبة قاعدية تدفع إلى السلطنة العثمانية من كل عنصر لديه جفت .

Ismail, op. cit., p. 305.

ثالثاً، برزت في هذه المرحلة أنواع جديدة من الأراضي مهدت الطريق لظهور الملكيات الخاصة الواسعة، نذكر منها:

- ١- كان السباهية (نسبة إلى سباهي) يوضعون أثناء الحملات العسكرية تحت قيادة حكام الأيالات . وأحياناً كان يوجد على رأسهم قادة من بينهم . وقد دعي أعلاهم رتبة «ألاي بك» يجري اختياره في كل لواء من قبل أصحاب الإقطاعات . وكان يعطى إقطاعاً من درجة زعامت مدى الحياة . وكان إذا توفي السباهي كانت نواة إقطاعه تنتقل إلى ابنه إذا توفرت فيه الشروط المطلوبة .^(١) وهذا يعني أن امتلاك رقبة الأرض التي في حوزته قد بات أمراً سهلاً بمرور الزمن .
- ٢- أن الضرائب العينية التي كانت تتوفر لدى مختلف المسؤولين عن الإقطاعات بدءاً من السباهي إلى الزعيم فأمير اللواء والباشا ، قد باتت بحاجة إلى أمكنة لتتوضب فيها هذه الموارد وتتكدس أثناء نضج المحاصيل وجمعها . وبالتالي ، فقد باتت بحاجة إلى من يعملون على القيام بهذه المهام ، من إشراف وجمع وحراسة وإجراء حسابات وتصفيات . وكان هؤلاء- في هذا الأوان- يشكلون مجموعات لا يستهان بها عندما تتجمع ، لا سيما عندما يحضر مسؤولو هذه المقاطعات لتفقد الأعمال . ومن أجل حل هذه المسائل أنشئت «الضياع الإقطاعية» لتيسير العمل من جهة وتأمين حاجات العاملين من جهة أخرى ولتستقبل المسؤولين من جهة ثالثة . وقد نشأت هذه الضياع في وسط كل مقاطعة ، وربما كان هناك حاجة لأكثر من ضيعة واحدة لأن المسألة هنا تتعلق بنوع المقاطعة وحجمها وطبيعة أراضيها . وهناك مقاطعات نشأت فيها ضياع إقطاعية لفصل الشتاء

(١) عبد الكريم رافق ، بلاد الشام ومصر ، ص ٧٠-٧١ .

وأخرى صيفية لينتقلوا من هذه إلى تلك عند الحاجة والضرورة. (١) وهذا النوع من الضياع كان يجري توارثها من السلف إلى الخلف .

٣- لقد تمكن بعض المنتزمين أن يجنوا من الالتزام ثروة كبيرة ، من خلال طرق وأساليب مختلفة . وتمكنوا من التحول إلى قوة أمر واقع والتجروء على مسؤولي الأيالات ، وحتى على السلطنة نفسها عن طريق العصيان بأموال خزائنها وأموال الميري ، بما كان يجبرها على اعتبارهم عصاة متمردين خارجين على سلطتها ؛ وإلى محاربتهم حتى القضاء عليهم مهما طال الزمن وكثرت محاولاتها عليهم . وفي الوقت نفسه ، عملت على تشجيع المخلصين من أجل البقاء على إخلاصهم بمنحهم إقطاعة مدى الحياة ، تدعى «مالكانه» «Melkané» (٢) مقابل أتاوة زهيدة (٣) يجري إعفاؤهم منها لاحقاً . صحيح أن هذا النوع من الأراضي الممنوحة بهذا الشكل ، قد شجع المخلص للسلطنة أن يبق على إخلاصه ، وأنه يشجع الآخرين أن يحذوا

(١) كانت منطقة عكار- على سبيل المثال- تابعة للواء طرابلس الشام ، ومقسمة إلى ثلاث مقاطعات كبيرة : القيطع ، الشفت والدراب . ويفصل بين الواحدة والأخرى نهر ، وكانت كل واحدة من هذه المقاطعات منقسمة إلى ثلاث مناطق : منطقة سهلية على الساحل وأخرى وسطية بين السهل والجرد وقليلة الارتفاع ، وثالثة جردية . وما زال أبناء عكار إلى يومنا هذا يقولون إذا أرادوا أن يحددوا موقع قرية من قرى مقاطعة القيطع مثلاً قالوا أنها في سهل القيطع أو في وسط القيطع أو في جرد القيطع ويطلقون مثل هذه التسميات على المقاطعتين الباقيتين .

(٢) مالكانه : إقطاع منح من قبل السلاطين العثمانيين ، مقابل أتاوة زهيدة وثابتة . ولزيد من الإيضاح

حول هذا الإقطاع ، يراجع : Ismail, op. cit., p. 315 .

(٣) في مقابلة مع مهدي بك اليوسف المرعبي ، البالغ من العمر ما يزيد عن الثمانين سنة ، وهو ملاك ، أجريت معه في آب ٢٠١١م ، قال حول هذه المسألة أن مالكانه جده كانت معفية من الضرائب نظراً لصدقه وإخلاصه في عمله . علماً أن جده من أحفاد مرعب بك الذين عملوا بالالتزام في العهد العثماني .

حذوه ، وأن يشجع أبناء البلاد على الارتباط بالسلطنة والإخلاص لها .
لكن في الوقت نفسه قد أرسى أسلوباً ملائماً لامتلاك رقبة الأراضي ونشأة
الملكيات السهلية الكبيرة .

أراضي بلاد الشام في نظام الولاية

بداية لا بد من الإشارة إلى عدة أمور سبقت وصول البلاد إلى هذا النظام :
الأول ، وهو أنه في الوقت الذي راح فيه قادة المقاطعات العسكرية يتخلفون
عن القيام بالمهام المطلوبة منهم ، وعن دفع الأموال المترتبة عليهم ، ويعملون على
تحويل إقطاعاتهم إلى ملك خاص بحكم مرور الزمن ، قام السلطان سليم الثالث
١٧٨٩-١٨٠٧م (١٢٠٤-١٢٢٢هـ)^(١) بوقف الإقطاعات المحلولة^(٢) وإدخال
إيرادها في الأوقاف العامة لتنفق على بناء الجيش الجديد الذي بدأ العمل على
إنشائه . وقد استمر هذا الاتجاه في عهد السلطان محمود الثاني ١٨٠٨-١٨٣٩م
(١٢٢٣-١٢٥٣هـ)^(٣) .

الثاني ، صحيح أن نظام الإيالت كان يقوم على الالتزام ، وأن هذه العملية-
من الناحية النظرية- كانت تتم لمدة سنة أو سنتين على الأكثر . لكن هذا لا يعني
أبداً- من الناحية العملية- أن الذين كانوا يتصرفون بالمقاطعات المتنوعة كان يصار
إلى تغييرهم في نهاية هذه المدة . فالذين كانوا يتغيرون ، هم أولئك الذين كانوا
يتخلفون عن القيام بواجباتهم العسكرية ؛ أو أولئك الذين يمتنعون عن تأدية
الأموال المترتبة عليهم في حينها ؛ وأولئك الذين لم تكن السلطنة مرتاحة من
وجودهم في المواقع التي يشغلونها . ولذلك ، كانت بعض المقاطعات شبه وراثية ،

(١) ساطع الحصري ، البلاد العربية ، ص ٢٨٠ ؛ Ismail, op. cit., p. 350

(٢) الإقطاعات المحلولة ، هي التي توفي أصحابها أو انتهت مدة إقطاعهم لها ولم يوجد من يتصرف بها .

(٣) ساطع الحصري ، البلاد العربية ، ص ٢٨٠ ؛ Ismail, op. cit., p. 350

يتعاقب على إدارتها والتصرف بها عدة أشخاص من أسرة واحدة. (١)

الثالث ، وهو أن نظام الإيالت قد تعرض لتصدعات خطيرة في بلاد الشام ، عندما استطاع محمد علي باشا ، حاكم مصر ١٨٠٥ - ١٨٤٩ م (١٢٢٠ - ١٢٦٦هـ) ، أن ينهي الإقطاع كنظام أرض بهزيمة الجيوش الإقطاعية وتحطيمها وتمزيقها ، عندما حلّ تنظيماتها العسكرية وجرد السكان من السلاح وجمعه منهم ما بين عامي ١٨٣٣ - ١٨٣٥ م . كما أن إيالات الشام التقليدية التي كانت قائمة ، قد أزال حدودها وحولها إلى وحدة إدارية عين على رأسها حاكماً عاماً ، باستثناء جبل لبنان ، الذي بقيت إدارته تحت إشراف حليفه الأمير بشير الشهابي ١٧٨٩ - ١٨٤٠ م (١٢٠٤ - ١٢٥٧هـ) غير أن هذا الإجراء لم يدم طويلاً ، لأن الحكم المصري ، اضطر تحت تأثير الثورات المستمرة أن يعيد التشكيلات الإدارية السابقة . ومع ذلك ، فقد تمكّن من إدخال تحسينات هامة على الوضع الزراعي ، عندما أعطى الفلاحين حق رفع الشكوى على الملتزمين ، وعمل على استصلاح القرى التي خربتها الحرب ، وأحلّ البدو في الأراضي الصحراوية بدفعهم إلى الانتقال من حياة التشرّد إلى الإستقرار .

وبذلك ، فقد نشأت في البطاح الواقعة بين دمشق وحلب قرى جديدة ، وجرى حرث حوالي ١٥ ألف فدان من الأراضي البكر ، وأعفاها من الضرائب لمدة طويلة . واتسعت في غضون السنتين الأوليين من السيطرة المصرية مساحة الأراضي المزروعة فزادت من ألفين إلى سبعة آلاف فدان في سهل حوران الخصب. (٢)

(١) ظلت أسرة «مرعب بك» تحكم عكار طيلة فترة الحكم العثماني ، وما زالت حتى اليوم من كبار ملاكيها ، وتتمتع بنفوذ لا يضاويه نفوذ ، وما ينطبق على حكم عكار في هذا المجال ينطبق على المقاطعات الأخرى في بلاد الشام .

(٢) لمزيد من الإيضاح حول هذه الأفكار ، يراجع : عوض ، الإدارة العثمانية ، ص ٢٢٧ - ٢٢٨ ؛ وفلاديمير لوتسكي ، تاريخ الأقطار العربية الحديث ، ترجمة عفيفة البستاني ، دار الفارابي ، بيروت ، ١٩٨٠ م ، ص ١٣٢ ؛ وسنشير إلى هذا المرجع لاحقاً : لوتسكي ، تاريخ الأقطار العربية .

إننا إذ نشير إلى هذه التفاصيل ، فمن أجل التأكيد على مسألتين :
الأولى ، وهي أن روح نظام الإيالات بقي - رغم التصدعات التي ألحقت به -
قائماً في بلاد الشام ، حتى في ظل الحكم المصري .

الثانية ، وهي أن السلطنة كانت مجبرة على القيام بالإصلاح ، لسبب
بسيط هو أن قواتها العسكرية كانت منهارة . هذا من جهة ، ومن
جهة أخرى كانت قوات محمد علي باشا ما تزال جاسمة على
أراضيها ، وهي مستعدة للقضاء على حياة «الرجل المريض» (١) .

لكن ، على أي أساس ستستند عملية الإصلاح؟ فالدول الأوروبية ، كانت
وما تزال تطالب السلطنة بأن تصلح ذاتها ، لاسيما أحوال المسيحيين التابعين
لها ، حتى تعتبر من الدول العصرية والحديثة . علماً ، بأنه كان يوجد في قيادة
السلطنة تياران : أحدهما محافظ يتندر بمآثر السلطنة وبماضيها المجيد ويحلم
بالعودة إلى ذلك الماضي ؛ والآخر مقتنع بضرورة إصلاح ما كينة الدولة وتجديد
بنائها ، على أساس اقتباس النظم الأوروبية الحديثة (٢) ، التي نقلت أوروبا في
أعقاب الثورة الفرنسية ١٧٨٩م من مرحلة السيطرة الإقطاعية إلى مرحلة سيطرة
رأس المال . أما السلطان ، فقد بات بين هذين الاتجاهين المتوازيين . وهنا يمكن
القول بأن التوفيق بين هذين الاتجاهين ، قد جاء على النحو الآتي :

١- رأت القوى المحافظة أن تفتح الباب أمام الإصلاح ؛ فبذلك ، ترضي الدول
الأوروبية من جهة ، والقوى المطالبة بالإصلاح من جهة أخرى .

٢- أن يصار إلى الاقتباس عن النظم الأوروبية ، دون المساس بالأحكام
الشرعية .

٣- أن يصار إلى احترام الأوامر السلطانية المبنية على المصلحة العامة .

(١) الرجل المريض ، هو اللقب الذي أطلق على السلطنة العثمانية منذ عام ١٨٣٩م .

(٢) لمزيد من الإيضاح حول التنظيمات وقوانينها ، يراجع : الحصري ، البلاد العربية ، ص ٨٧ - ٩٦ .

على قاعدة هذا التوافق خطت السلطنة خطواتها اللاحقة . ومن أهم هذه الخطوات :

الأولى ، أصدر السلطان عبد المجيد ١٨٣٩ - ١٨٦١ م (١٢٥٥ - ١٢٧٨ هـ) (١) «خط شريف كلخانه» «Khatti-Chérif Gulkané» ، في ٣ تشرين الثاني ١٨٣٩ م ، ٢٤ شعبان ١٢٥٥ هـ . ونشر في اليوم التالي ، ٤ تشرين الثاني . وقد أعلن فيه أن كل أقاليم السلطنة ستشملها خيرات هذا الخط (٢) ، من خلال المؤسسات التي ستبنى على أسس جديدة ، بالاستناد إلى المبادئ الثلاثة التالية :

- الضمانات التي تكفل للأشخاص أمنية الروح والعرض والمال .
- صيغة جديدة لأخذ العساكر وتنظيمها ومدة خدمتها .
- صيغة جديدة لفرض الضرائب وجبايتها .

لقد أعلن «خط كلخانه» (٣) عن قضايا عامة كانت بحاجة إلى قوانين تطبيقية لوضعها موضع التنفيذ ، وليس هنا مجال الدخول في تفاصيل هذا الخط . (٤) لكن السؤال الذي ينطرح في هذا المجال هو : على أية شرعة ستستند هذه القوانين؟ على الشريعة الإسلامية أم على شرعة مدنية؟ الثانية ، جاءت من «مجلس العلماء» (٥) . فمن صلاحية هذا المجلس أن

(١) Ismail, op. cit., p. 250 ؛ الحصري ، البلاد العربية ، ص ٢٨٠ .

(٢) سميت الإصلاحات التي تمخض عنها هذا الخط : «الإصلاحات الخيرية» أو «التنظيمات الخيرية» .

(٣) كلخانه : قصر السلطان عبد المجيد ، «قصر الزهور» وقد عرف بهذا الاسم لأنه كان يتوسط الورد

المتدة على طول بحر مرمرية ، Ismail, op. cit., p. 311

(٤) لمزيد من الإيضاح حول هذا الخط ، يراجع : Ismail, op. cit., pp. 50-53 ؛ ولوتسكي ، ص ١٤٧ -

١٥٠ ؛ الحصري ، البلاد العربية ، ص ٨٧ - ٨٨ ؛ وألبيرت حوراني ، الفكر العربي في عصر النهضة ،

١٧٩٨ - ١٩٣٩ م ، تعريب كريم عسقول ، دار النهار ، بيروت - لبنان ، د . ت ، ص ٦٥ - ٦٦ .

(٥) مجلس العلماء ، مجلس رجال الدين الإسلامي في السلطنة العثمانية .

يجتمع ويقرر الإجابة ، بإصدار «أمر شرعي» ، يحدد فيه متى تعتمد الأحكام الشرعية ومتى يعتمد غيرها . وقد جاءت الإجابة لتؤكد ما اتفقت عليه القوى المحافظة والقوى الإصلاحية في السلطنة . وما جاء في هذا الأمر : «لا يجوز للحكومة أن تتخذ ما تراه مناسباً من التدابير الإدارية لتواجه حالة لها مسوغ شرعي لحلها . لكن ، في حال لم يكن هناك مسوغ شرعي على الإطلاق ، يجوز لها أن تتخذ ما تراه مناسباً من هذه التدابير ، إذا صدر أمر سلطاني بذلك ، لأن الأوامر السلطانية المبنية على المصلحة العامة تكون مطاعة وواجبة التنفيذ» .^(١)

الثالثة ، وهي أنه فيما كان رجال التنظيمات يستندون على «الأمر الشرعي» في صياغة قوانين وأنظمة الإصلاح ، كانت السلطنة تمسك بيد التحالف الدولي (إنكلترا ، روسيا ، النمسا وبروسيا) وتستند إليه متوكأة على عصاه ، من أجل العودة إلى بلاد الشام ، بالتنسيق والتعاون الكامل ، مع أولئك الذين وقفوا ضد إبراهيم باشا من اللحظة الأولى ، لاسيما ملتزمي الضرائب الذين حرّمهم مما كانوا يتصرفون به من مقاطعات . لقد أجبر هذا التحالف القوات المصرية على التراجع والإنكفاء إلى مصر عام ١٨٤٠م . وهكذا عادت بلاد الشام مجدداً إلى حظيرة السلطنة ، وبهذه العودة انتعشت كل المخططات الدولية التي كانت تعد لأراضي هذه البلاد .

بعودة السلطنة إلى بلاد الشام- على قاعدة خط كلخانه- دخلت هذه البلاد إلى مرحلة جديدة . ويمكن القول بأنها مرحلة الانتقال من نظام الإيالت إلى نظام الولاية ، لسبب بسيط ، هو أن النظام الأول لم يمت ليسدل عليه الستار ، وأن النظام الثاني ما زال بحاجة إلى فترة غير قصيرة ليحل مكانه . سيما ، أن السلطنة العائدة ، هي غير تلك التي كانت قبل هذه العودة . فإبراهيم باشا وجيوشه لم تعد جاسمة على صدرها ، وبلاد الشام باتت- من الناحية النظرية على الأقل- بين يديها . كما أن التشكيلات العسكرية الإقطاعية ، التي

(١) الحصري ، البلاد العربية ، ص ٩١-٩٢ .

حطمها الجيش المصري قد عادت هي الأخرى كما كانت سابقاً. (١) في هذا الواقع عاد الصراع مجدداً بين جناحي السلطنة المعارضين منهم للإصلاح والمؤيدين له . ولذلك ، تبين في هذه المرحلة عدداً من المحطات كانت فيها أراضي بلاد الشام عرضة لنتائج هذا الصراع . من هذه المحطات :

المحطة الأولى ، نلاحظ فيها أنه في الوقت الذي أعلنت فيه السلطنة عن إلغاء نظام الإيالات والتقسيم الإقطاعي العسكري من تيمار وزعامت وخاص في «خط كلخان» ، نراها تعود إلى التعاون مع متسلمي وملتمزي هذه المقاطعات من جديد بعد ترحيل إبراهيم باشا . صحيح أن هذا التعاون كان مشروطاً بمدة سنة وبرواتب مقننة تدفع لهم من الخزانة السلطانية. (٢) لكن ، الذي قامت به يدل على أنها لم تعد متحمسة لعملية الإصلاح ، لاسيما السلطان ومجلس العلماء وجناح المحافظين فيها . بدليل ، أنها عندما أعلنت عام ١٨٤٠م ، أنها تريدان تستغني عن خدماتهم وتوكل جباية الضرائب إلى جباة خصوصيين موظفين لهذه الغاية «محصلدارية» ، يتقاضون مرتباتهم من الإدارة المركزية ، ومرجعهم إلا على نظارة المالية عبر مدراء المال ودفتردار الإيالات ، نجد أن هذا الإجراء قد «لقي مقاومة عنيفة من جانب الإقطاعيين الأشد رجعية وكبار الموظفين ومثلي رجال الدين . وأن السلطان نفسه ، لم يتحرج من إبداء استيائه من الإصلاحات المرسومة إذ أنه قد وقع على البيان مكرهاً» . لذلك لم يتحقق هذا الإجراء إلا في المدن وفشلت محاولة إلغاء التزام الضرائب الزراعية . ومارس الملتزمون المتسلطون أعمالهم كالسابق في هذا المجال. (٣) كما أن الدولة «لم تداوم على اتباع ذلك بذريعة عدم وجود مأمورين قادرين على تحصيل الإيرادات بأهلية

(١) بقيت هذه التشكيلات العسكرية محتفظة بسلاحها ، لأن السلطنة والتحالف الدولي عملا على

إحيائها وتسليحها لتقاتل إبراهيم باشا إلى جانبهم .

(٢) الأيوبي وولده . قاموس الحقوق ، مج ٣ ، ص ١٢٠٩ .

(٣) لمزيد من الإيضاح حول هذه الأفكار ، يراجع : لوتسكي ، الأقطار العربية ، ص ١٥٠-١٥١ .

وأمانة ، مما أدى إلى إعادة نظام الالتزام» (١). وهنا يمكن القول بأنها ذريعة واهية إذا علمنا أن هؤلاء الملتزمين ، الذين كانوا يحتفظون بتشكيلاتهم العسكرية ، كانوا يمنعون المحصلين عن أداء مهامهم ؛ و«أن السلطان كان يعتبر التنظيمات دوماً كتنازلات ، وافق عليها خلافاً لإرادته ؛ وأنه حالما كانت تتاح له الفرصة كان يعمل كل ما في وسعه لعرقلة تنفيذها» (٢).

في عام ١٨٤١م ، بدأ العمل على وضع ما وعد به خط كلخانة موضع التنفيذ . فوضع «قانون الولايات» باقتباس الكثير من أحكامه عن النظم الفرنسية . وقد جاء هذا القانون- من الناحية النظرية- ليضع حداً للإقطاعات القديمة بتحديد صلاحيات كل من الولاية والمتصرفين والقائمقامين . وأدخلت تقسيمات إدارية جديدة في بلاد الشام . وهنا يمكن القول بأن الإيالات باتت «ولاية» (٣) ، على رأسها «والي» ؛ واللواء بات «سنجقاً» ، على رأسه «متصرف» ؛ والزعامت بات «قضاء» ، على رأسه «قائمقام» ؛ والتيمار بات «ناحية» ، على رأسها «مدير» . وبات جميع موظفي هذه المواقع الإدارية يتقاضون رواتب ثابتة حددت لهم ، من خزانة السلطنة . كما فصلت السلطة المدنية عن السلطة العسكرية . وبذلك تحولت الأيالات التي كانت سابقاً إقطاعات موروثية

(١) عوض ، الإدارة العثمانية ، ص ٢٣٠ .

(٢) لوتسكي ، الأقطار العربية ، ص ١٥٠ .

(٣) ولاية : الولاية مصدر وليّ ، من أسماء الله تعالى ، الولي : هو الناصر . ومن أسمائه عزّ وجلّ الوالي :

مالك الأشياء جميعها ، المتصرف فيها . وقيل الولاية الخطة . ابن السكيت : الولاية بالكسر ،

السلطان ، والولاية ولولاية بالفتح النصر . ابن الأعرابي : الوليّ التابع المحب . ولمزيد من الإيضاح ،

يراجع : ابن منظور ، لسان العرب ، مج ٦ ، ص ٤٩٠-٤٩٢ . وبالاستناد إلى هذه المعاني المشار إليها

يمكن القول بأن الوالي ، هو مسؤول الولاية وواضع خطط إدارتها ولا يوجد يد فوق يده في إدارة

شؤونها جميعها ؛ وهو ناصر السلطان في السراء والضراء ، وهو تابعه ومحب له .

للباشوات والبكوات والأغاوات ، إلى أجزاء من كيان دولة موحدة . (١)
 كان من الطبيعي في هذه الحالة ، أن يرفض ، «الباشوات» و «البكوات»
 و«الأغاوات» هذا القانون لسبب بسيط ، وهو أنهم كانوا يعتبرون أصحاب
 الأراضي ، ومفوضين من قبل السلطنة أن يعطوا إذن التصرف بالأراضي لمن
 أرادوا من طالبها ؛ وفي بعض الأحيان كان الملتزمون والمحصلون يمنحون مثل هذا
 التفويض (٢) . لكن ، من غير المفهوم أن يكون السلطان نفسه من أنصار هذا
 الصف ، وأنه عمل على إرضائه . بدليل أن السلطنة ، لم تضع قانون أحكام
 للأراضي في هذه المحطة من تاريخها . ولذلك ، فقد عاد هؤلاء المتنفذون ليلعبوا
 دور الضابط لحركة التصرف بالأراضي . لكن ، هذه المرة وفق مصالحهم وأهوائهم
 الخاصة بعيداً عن مصلحة السلطنة وهمومها . نقول ذلك لأسباب كثيرة نذكر
 منها سببين فقط لمن يريد أن يقتنع : الأول وهو أن القوة العسكرية الأساسية
 الموجودة على أرض الواقع هي لهؤلاء المتنفذين ؛ الثاني ، وهو أن الذين كانوا
 يعينون موظفين لهذه المواقع الإدارية ، هم باشوات وبكوات وأغاوات ، بمعنى أنهم
 من نفس طبقة هؤلاء المتنفذين ولهم نفس المصالح والأهداف .

والسؤال الذي يطرح نفسه في هذا المجال ، هو كيف راح هؤلاء يتصرفون
 بالأراضي في ظل هذا الوضع الإداري الجديد؟ إن عدم صدور أحكام قانون
 للأراضي ، كان يعني إعطاء المتنفذين فرصة لامتلاك رقبة الإقطاعيات
 العسكرية ، وباتت المسألة مسألة وقت لإثبات الوجود . ولذلك راح كل واحد
 منهم يعمل على هذه المسألة ، التي اتخذت وجهتين : إحداهما باتجاه السلطنة ،
 وواحدة باتجاه المحيط الذي يعيش فيه . فباتجاه السلطنة راح يثبت لها وجوده من

(١) لمزيد من الإيضاح حول قانون الولايات ، والتقسيمات الإدارية التي باتت عليها بلاد الشام ، والأفكار
 التي طرحت ، يراجع : الحصري ، البلاد العربية ، ص ٩٠ ، ولوتسكي ، الأقطار العربية ، ص ١٥٢ -
 ١٥٣ ؛ عوض ، الإدارة العثمانية ، ص ٦٥ .

(٢) الأيوبي وولده ، قاموس الحقوق ، مج ٣ ، ص ١٢١٢ .

خلال المقاطعة التي وضع يده عليها ، بدفع ما يترتب عليها من أموال لخزانتها في الأوقات المحددة وبانتظام ، تمهيداً لليوم الموعود بتحويل إقطاعته إلى ملكية خاصة . سيما أن هؤلاء كانوا يعرفون جيداً ما يدور في السلطنة من خبايا الأمور . أما مع المحيط الذي ينتسب إليه ، فكان يعمل على إثبات وجوده بالحسنى أحياناً وبالقوة- إذا اقتضت الظروف- أحياناً أخرى . بمعنى أن الإقطاعة التي كان يتصرف بها ، وتحولت بمرور الزمن إلى إقطاعة موروثة تتصرف بها أسرته بالتناوب عليها ، عمل بالإتفاق مع مختلف أطرافها على اقتسام المقاطعة بخطوط محددة ومتفق عليها فيما بينهم ، وراح كل واحد يجهد لنفسه بما خصّه منها . وفي حال لم تتفق هذه الأطراف ، يتفق بعضهم ضد البعض الآخر . وبذلك تتكاتف قوتهم وتقوم بينهم الحرب على سوقها . فيكتسحون الأشجار ، ويقتلون بعضهم البعض الآخر ، ويهلكون زرع وضرع بعضهم ، إلى أن تحسم المسألة بينهم . وأحياناً كان يتعدى كيدهم لبعضهم إلى من هم من حولهم . وكثيراً ما أدى هذا السلوك إلى هجرة العاملين على هذه الأراضي^(١) ، ممن يرفضون مثل هذه الاعمال . فهذه الطريقة خسر العساكر والسباهية أراضيهم ، وتحولت إلى من هم أقوى منهم من «زعماء» و «باشوات»^(٢) .

لقد ظل العمل بنظام الإلتزام ، بالأشكال التي أشرنا إليها إلى ما بعد صدور «خط همايون» «Khatt-I Humayun»^(٣) في ١٨ شباط ١٨٥٦م . وبعد

(١) رفيق التميمي ومحمد بهجت ، ولاية بيروت ، القسم الشمالي ، دار لحد خاطر ، بيروت ١٩٧٩م ،

ص ٢٤٧ ؛ سنشير إلى هذا المرجع لاحقاً : التميمي وبهجت ، ولاية بيروت .

(٢) حول خسارة أصحاب التيمار لأراضيهم ، يراجع : لوتسكي ، الأقطار العربية ، ص ٢٨-٢٩ .

(٣) صدر خط همايون عن السلطان عبد المجيد ، في ١٨ شباط ١٨٥٦م رغماً عنه . وقد جرى التأكيد في

هذا الخط على ما ورد في خط كلخانه ، وبمتابعة الإصلاح وعدم التراجع عنه . وكان ذلك ، قبل

التوقيع على اتفاقية باريس في ٣٠ آذار ١٨٥٦م . واعتبرت الدول أن خط همايون لا يمكن تغييره

بدون موافقة هذه الدول . ولمزيد من الإيضاح ، يراجع : ، القسم الشمالي Ismail, op. cit., p. 314

ولوتسكي ، الأقطار العربية ، ص ١٥٩ .

صدر هذا الخط ، صدرت أحكام قانون الأراضي عام ١٢٧٤هـ- ١٨٥٧ م . وعلى الأثر ، جرت محاولة من أجل تطبيقه وإلغاء نظام الإلتزام بشكل عملي . غير أن هذه المحاولة لم تعمّر طويلاً^(١) ، إذ توقف العمل بهذه الأحكام .

المحطة الثانية ، تتميز هذه المحطة بعودة العمل بأحكام قانون الأراضي- المشار إليه- في ١٨ نيسان ١٨٥٨ م ؛ وبذلك فتح الباب أمام إمكانية إلغاء الإقطاعيات العسكرية وتبعية الفلاحين لأصحاب هذه الإقطاعيات . ومع ذلك ، فقد بقي هؤلاء محرومين- كالسابق- من الأراضي لأسباب عدة ، نذكر منها :

١- حاجة السلطنة المتزايدة والتمادية إلى الأموال ، لسد عجزها وتأمين نفقاتها . ولذلك ، نرى أن أحكامه قد أجازت لها وضع الأراضي بالمزاد العلني لابتياعها من طالبيها .

٢- تسوية أوضاع «الأملاك الأميرية» التي تحولت مع مرور الزمن ، وتحت وطأة ظروف السلطنة وطغيان أمرائها وتخلفهم عن القيام بواجباتهم من «ملكية استلام» إلى «ملكية تصرف» خاصة . وبذلك يكون هذا القانون ، قد أطلق السباق باتجاه تحويل «الأراضي غير المملوكة» إلى «ملكية خاصة» .

لقد أدى هذا السباق الذي أطلق ، وسعي كل متنفذ إلى توسيع أملاكه وزيادتها ، إلى قيام حروب بين المتنفذين أنفسهم من جهة ، وبين المتنفذين والفلاحين من جهة أخرى ، ما دامت القوة باتت سيدة الموقف . لقد انعكست هذه الحروب على الفلاحين تهجيراً في وقت تتشكل فيه الملكية الخاصة بشكل قانوني . وهكذا أخليت قرى من سكانها ، وتوسعت قرى صغيرة ، ونشأت قرى جديدة ، واقفرت أخرى وتغيرت أسماؤها^(٢) . وبات على الذين هجروا أن

(١) الأيوبي وولده ، قاموس الحقوق ، مج ٣ ، ص ١٢١٠ ؛ ولوتسكي ، الأقطار العربية ، ص ١٦٠ .

(٢) لمزيد من الإيضاح حول هذه الأفكار ، يراجع : إلياس جريج ، ولاية بيروت ، ١٨٨٧-١٩١٤ م ، التاريخ

السياسي والاقتصادي ، بدون مكان وتاريخ طبع ، ص ٤٦٥-٤٦٦ ، سنشير إليه لاحقاً : إلياس

ينشدوا رزقهم في أماكن أخرى . وهكذا استمرت الخطوات الآيلة إلى تحويل ملكية «الأراضي العامة» أراضي بيت المال ، إلى أراضي خاصة مملوكة لأصحابها وفق أحكام قانون الأراضي .

ومن المفيد في هذا المقام أن نتوقف عند أحكام هذا القانون الذي يتألف من ١٣٢ مادة وخاتمة بشكل سريع : لقد قسم القانون الأراضي الكائنة في بلاد الدولة العثمانية إلى خمسة أقسام :

- ١- ما خصص للسكن على أن لا تزيد مساحته على نصف دوغم .
- ٢- الأراضي التي كانت أميرية ثم أصبحت ملكاً شخصياً عن طريق الفرز والتملك الصحيح .
- ٣- الأراضي العُشرية التي جرى تملكها وتوزيعها في أثر الفتح الإسلامي لها .
- ٤- الأراضي الخراجية ، وهي التي تقرر إبقاؤها في يد أهلها الأصليين من غير المسلمين ، والخراج خراجين : خراج المقاسمة والخراج الموظف .

القسم الثاني ، وهو الأراضي الأميرية . رقبة هذه الأراضي كانت عائدة لبيت المال من المزارع والمراعي والمحاطب وغيرها . هذه الأراضي تحولت في زمن سابق ، إلى أيدي أصحاب التيمار والزعامت والخاص وكانت بين أيديهم من نوع ملكية التصرف . لكن ذلك الغي في خط كلخانه ١٨٣٩ م . وقد أصبح التصرف بهذه الأراضي للدولة . فتبيع منها ما تريد لمن تريد بموجب «سند طابو» . وقد أوضح القانون كيفية التصرف بهذه الأراضي عن طريق تأجيرها السنوي ، كما نص على إمكانية شرائها من الدولة وعلى كيفية انتقالها إلى شاريها .

القسم الثالث ، وهو الأراضي الموقوفة . وقسمت بموجب هذا القانون إلى قسمين

الأول ، وهو من الأراضي التي كانت مملوكة ملكاً صحيحاً ، وأوقفت وفقاً للشرع الشريف ؛ ومثل هذه الأراضي الموقوفة تكون رقبتهها وجميع حقوق التصرف بها عائدة إلى جانب الوقف ، وهي لا تجري عليها المعاملات القانونية ، بل يلزم أن تعامل بموجب شرط الواقف مهما كان .

الثاني ، هو من الأراضي المفرزة من الأراضي الأميرية ، التي أوقفها حضرات السلاطين العظام ، أو أوقفها آخرون بالإذن السلطاني . وبما أن وقفية هذه الأراضي هي عبارة عن تخصيص منافع قطعة مفرزة من الأراضي الأميرية مثل أعشارها ورسومها الأميرية لجهة ما من طرف السلطنة ، فمثل هذه الأراضي الموقوفة ليست من الأوقاف الصحيحة . ولذلك ، تجرى بحقها المعاملات القانونية ، بمعنى أنها تباع وتشتري .

القسم الرابع ، وهو «الأراضي المتروكة» . وقسمت هذه الأراضي في هذا القانون إلى قسمين : الأول منها ما لا يجوز تملكه مثل الطريق العام وأقنية الري . . . والثاني منها ، هو المخصص إلى عموم أهالي القرية أو المزرعة ، أو القرى والقصببات . من هذه الأراضي على سبيل المثال : المراعي ، الأحراش ، الساحات ، الأسواق العمومية ، أسواق المواسم ، المساجد المراعي المشتركة بين أكثر من قرية والبيادر . . . وغير ذلك مما هو على شاكلتها للنفع العام . وقد نص القانون على كيفية استعمالها وطريقة الاستفادة منها . وركز بشكل أساسي على المراعي . . .

القسم الخامس ، وهو «الأراضي الموات» . فما قصده القانون من هذه الأراضي تلك المنقطعة عن العمران وهي تبقى دائماً مشاعاً للجميع وعلى حسابها تتوسع دوائر القرى والقصببات والمدن . ويستطيع من يريد الحصول على

- منفعة من هذه الأراضي أن يطلب إذن المأمور الموجود في المنطقة التابعة لها .(١)
- وحول هذا القانون ، لا بد من تسجيل الملاحظات الآتية :
- ١- أن هذا القانون هو أفضل من الفوضى التي كانت قائمة بعد عام ١٨٣٩م .
 - ٢- لم يتعرض هذا القانون لا من قريب ولا من بعيد ، للأوضاع التي نتجت من اعتماد السلطنة «نظام الإيالت» وما لحق بإقطاعياته العسكرية من تطورات أثناء تطبيقه فترة طويلة من الزمن إلى أن ألغي عام ١٨٣٩م .
 - ٣- جاء ليستوعب ويشرّع فوضى التصرف بالأراضي من عام ١٨٣٩م إلى ان صدر هذا القانون ، كصفة «وضع اليد» ، التي راحت السلطنة تعتمد فترتها الزمنية المثبتة بالشهود كمستند صالح يسمح بتسجيل الأراضي .

المحطة الثالثة، وتميز هذه المحطة بعدة أمور،

منها أن أحكام قانون الأراضي ، الذي صدر في عام ١٨٥٧م قد تأخر الإعلان عن اعلانه حتى العام ١٨٥٨م وبقي بحاجة إلى قوانين تطبيقية لوضعه موضع التنفيذ . وعلى هذا الأساس صدرت في ٧ شعبان ١٢٧٦هـ - ١٨٥٩م لائحة تعليمات تتعلق «بسندات الطابو» ، تتألف من مقدمة و١٦ مادة ؛ ثم أعقبتها لائحة أخرى في ١٥ شعبان ١٢٧٦هـ - ١٨٥٩م ، وهي تتألف من مقدمة و١٤ مادة ، جرى التعريف في هذه اللائحة «بنظام الطابو» . بعد هاتين اللائحتين ، صدر قانون الطابو العثماني بتاريخ ٢٦ صفر ١٢٧٨هـ - ١٨٦١م ، وهو مؤلف من ٣٣ مادة وذيل . وأهم ما فيه ، هو أنه حوّل موظفي المالية من الدفتردار في الولاية ، إلى المحاسب في السنجق ومدير المال في القضاء ، صلاحية إحالة الأراضي الأميرية إلى طالبها ؛ على أن يجري ذلك بالمزايدة العلنية . كما بيّن هذا النظام الخطوات العملية التي يجب اتباعها لنقل ملكية الأرض من شخص إلى آخر .

(١) لمزيد من الإيضاح حول أحكام قانون الأراضي ، يراجع : الأيوبي وولده ، قاموس الحقوق ، مج ٣ ، ص

ونظراً لحاجة السلطنة المتزايدة إلى الأموال ، فقد جرى تحديد رسم التسجيل بـ ٥٪ من قيمة الأرض ، حتى لو انتقلت عن طريق الوراثة ، ويؤخذ هذا الرسم بعد تقدير قيمتها ؛ كما يؤخذ من المشتري ثلاثة قروش ثمن «سند الطابو» ؛ وشجع هذا القانون على مسألة استصلاح الأراضي (البور أو الموات) ، فأعفاها من رسوم التسجيل للذين يريدون استثمارها مجاناً ؛ وأعطي لهم من أجل ذلك «سند تسجيل» ، يتضمن الأحياء والاستثمار لمدة محددة من الزمن ، يصار في نهايتها إلى تسجيل الأرض ، وقيمة هذا السند ثلاثة قروش ؛ كما أعفيت الأرض التي يجري إحيائها إذا كانت مواتاً من العُشر لمدة سنة أو سنتين ، حسب طبيعتها . وبعد انقضاء المدة المحددة للاستثمار ، نص القانون على أن الذين يستنكفون عن تسجيل أراضيهم في دائرة الطابو من ذوي الاستحقاق ، تطرح أراضيهم بالمزاد العلني . وبالإضافة إلى اهتمام هذا القانون بتسجيل الأراضي المحيية حديثاً ، فقد أشار إلى ضرورة تسجيل جميع أنواع الأراضي غير المملوكة ، من عُشرية وخراجية وتصرفية . ورصدت السلطنة جوائز تشجيعية للذين يخبرون عن الأراضي المكتومة^(١) ، سواء كانت محلولة أو متروكة^(٢) .

وهنا لا بد من الإشارة إلى ثلاثة أسباب دفعت السلطنة إلى رصد مثل هذه الجوائز :

- ١- حث أصحاب الأراضي بشكل غير مباشر ، على الإسراع إلى تسجيل أراضيهم ؛ لأن في ذلك منفعة لهم ولها .
- ٢- كي تتعرف على هذه الأراضي ، وتضع يدها عليها ، للإفادة منها بأي شكل من الأشكال .

(١) لمزيد من الإيضاح حول هذه الأفكار ، يراجع : عوض ، الإدارة العثمانية ، ص ٢٣٣ - ٢٣٤ .

(٢) الأراضي المكتومة ، هي الأراضي التي توفي متسلمها وليس له عقب ليتابع العمل فيها وكنتم خبرها عن المراجع المختصة . الأراضي المحلولة ، هي الأراضي التي نزع براءتها من متسلمها ، فأصبحت في حلٍّ منه . الأراضي المتروكة ، هي التي تركها العاملون فيها أو مالكوها لسبب من الأسباب .

٣- من أجل الاحتياط من حكم مرور الزمن ، الذي شرعته في «أحكام قانون الأراضي» . ففي فترة الفوضى التي حصلت خلال الانتقال من نظام الإيالات إلى نظام الولاية ، شهدت بلاد الشام- بسبب الأحداث الدامية فيها خلال نفس الفترة- نشوء «ملكية وضع اليد» والتصرف بها مقرونة بمدد محددة من الزمن ، تصبح الأرض بعدها ملكاً لمن وضع يده عليها . وقد تحددت هذه المدة كما يلي : عشر سنوات للأراضي الأميرية ، وخمس عشرة سنة للأراضي المملوكة ، وست وثلاثين سنة للأراضي الموقوفة . فبعد هذه المدة لكل نوع من هذه الأراضي ، تردّ الدعوى التي تقام من أجل استرجاعها ولا تسمع .^(١) وبذلك تحولت عن طريق «وضع اليد» معظم أراضي بيت المال والأراضي الموقوفة إلى ملكيات خاصة .

وبالرغم من كل هذه الإجراءات ، التي اتخذتها السلطنة لتسجيل الأراضي ، والحماس الذي أبدته في هذا المجال ، لا بد من الإشارة إلى تأخر تسجيلها في بلاد الشام إلى ما بعد عام ١٨٦١م . وإذا كنا لا نعلم على وجه الدقة متى بدأ تسجيل هذه الأراضي ، فما يمكن قوله حول هذه المسألة هو أن نشير إلى ملخص الإرادة السنوية الصادرة في ١٨ رجب سنة ١٢٧٨هـ- ١٨٦١م ، حول تسجيل أراضي ولايتي الشام وبيروت- صيدا . «لما كانت أراضي ولاية الشام في الأصل من الأراضي الخراجية ، التي انقرض معظم أصحابها على مرور الزمن ، دخلت قانوناً في عداد الأراضي الأميرية . ومع أنه كان من الواجب إجراء أحكام قانون الأراضي ونظام الطابو بحققها ، إلا أن أيالة الشام لم تباشر بتطبيق النظم المذكورة مما سبب اختلافاً وتنوعاً في طرق زراعتها افضى إلى تأخير عمرانها ونجاحها الزراعي .

«وحيث أن لكل قرية أراضٍ تزيد كثيراً عما بإمكان أهلها زراعته أصبح من

(١) لمزيد من الإيضاح حول مرور الزمن بالنسبة للأراضي ، يراجع : الأيوبي وولده ، قاموس الحقوق ، مع

٣ ، ص ١٢١٦-١٢١٨ ؛ و «مجلة الأحكام العدلية» ، المواد ١٦٦٠-١٦٦٢ ، ص ٩١٠-٩١٦ .

اللازم إعطاء وتفويض مقداراً كافياً لأهاليها من الأراضي التابعة لها ووضع الزائد بالمزاد العلني وأحالتة للطالبيين المحليين أو المجاورين وذلك مما يؤدي إلى تقدم الزراعة ونجاح البلاد وغنى الخزينة ثم بعد إتمام ذلك يقتضي إجراء نفس المعاملة بولاية صيدا» (١).

المحطة الرابعة، تتميز هذه المحطة بعدة أمور:

١- تثبيت نظام الولاية عام ١٨٦٤م ، بعد فترة من التجربة العملية قرابة ربع قرن ، جمعت فيها السلطنة في جباية الضرائب بين نظام الإلتزام ونظام التحصيل . وخلال هذه المدة كانت بلاد الشام عرضة للإضطرابات والفتن والأحداث الطائفية الدامية على خلفية تحويل ملكية الأراضي من «ملكية تصرفية عامة» إلى «ملكيات خاصة صحيحة» بامتلاك رقبة الأراضي لتجري عليها الأحكام التصرفية كالبيع والشراء والرهن والوقف والهبة والشفعة .

٢- ازدياد النفوذ الأجنبي في هذه البلاد ، الذي لم يعد نفوذاً سياسياً فحسب ، بل تعداه إلى وجود قائم على أرض الواقع ، يشارك أبناءها في امتلاك أراضيهم ، وفي رسم خطط وسياسة ومستقبل هذه البلاد . لا سيما بعد أن أنشئ «القوميسيون الدولي للإصلاح في سورية» «Commission internationale de reforme en Syrie» منذ عام ١٨٦١م . وقد شارك فيه مندوبون من دول أوروبية وخاصة من فرنسا وإنكلترا (٢) . وبذلك باتت السلطنة واحدة من الأطراف الذين يديرون أراضي هذه البلاد .

(١) الأيوبي وولده قاموس الحقوق ، مج ٣ ، ص ١٢١١-١٢١٢ .

(٢) إلياس صالح اللاذقاني ، آثار الحقب في لاذقية العرب ، مخطوط من جزئين ، من محفوظات مكتبة البطريركية الأرثوذكسية في دمشق ، الجزء الثاني ، ص ٥٠ ؛ سنشير إليه لاحقاً : إلياس صالح اللاذقاني ، آثار الحقب .

٣- تُبِت كيان متصرفية جبل لبنان عام ١٨٦٤م؛ وقسمت الأراضي الباقية من بلاد الشام عام ١٨٦٥ إلى ولايتين كبيرتين: ولاية حلب في الشمال، وولاية سورية في الجنوب.

٤- تثبت دور القرية في إمكانية تحصيل ضرائب الأراضي الزراعية. ولذلك أصبح يبرز إلى جانب كل ناحية وكل قضاء وكل سنجق وكل ولاية عدد القرى التابعة لكل وحدة من هذه الوحدات الإدارية؛ ذلك على حساب الوحدات السابقة من تيمار وزعامت وخاص.

٥- لقد وضع كثير من الأجانب أيديهم على مساحات شاسعة من الأراضي، فوجدت السلطنة أنه من الأنسب لها أن تبيعهم إياها، بعد أن كانت عملية التملك ممنوعة عليهم. ولذلك أصدرت في عام ١٢٨٥هـ- ١٨٦٩م قانون تملك الأجانب. منحتهم بموجبه حق التملك في جميع أنحاء السلطنة باستثناء الحجاز. شرط أن يجري ذلك بدون شروط من جانب الأجنبي، وأن يتقبل كذلك أنظمة السلطنة التي تتعلق بموضوع الملكية التي ملكها في الحاضر وفي المستقبل، وأن لا علاقة لقناصل الدول في هذا المجال. (١) لقد استفاد من هذا القانون دول كثيرة، وعلى الأخص: فرنسا، بروسيا، بريطانيا، النمسا والمجر، بلجيكا، السويد والنرويج. (٢) كما استفاد منه يهود الحركة الصهيونية، الذين كانوا يخططون للسيطرة على فلسطين منذ عام ١٨٣٨م. وبذلك، فقد امتلكوا الأراضي الواسعة، وبنوا عليها المستوطنات وأنشأوا المزارع والمدارس. (٣)

(١) عوض، الإدارة العثمانية، ص ٢٣٤-٢٣٥.

(٢) Ismail, op. cit., 273-274.

(٣) لمزيد من الإيضاح حول هذه الأراضي، يراجع على سبيل المثال جدول المستعمرات الألمانية في فلسطين من ١٨٦٩-١٩٠٦م؛ وجدول المستعمرات الصهيونية، التي بنيت في فلسطين ما بين عامي ١٨٨٢-١٩١١م، إلياس جريج، ولاية بيروت، جدول رقم ٩، وجدول رقم ١٠، ص ٨٩٩-٩٠٠.

وفي هذه المحطة أيضاً بدأت عملية تسجيل الأراضي ، بعد أن ألغت السلطنة إدارة «الدفترخانه» بفروعها : الإجمال والمفصل والروزنامه ، واستبدلتها بإدارة «الدفترخاقاني» مركزها استانبول ولها فروع في الولايات . ومن المؤكد أن عملية تسجيل الأراضي ، لم تبدأ في بلاد الشام قبل إنشاء ولاية سورية وولاية حلب عام ١٨٦٥ م . ومن المحتمل ان يكون قد بدأ مع هذا التاريخ ، لأنه في عام ١٨٦٧م / ١٢٨٤هـ كان يوجد فيها «دفترخاقاني» واحد ، وعندما شغل هذا المنصب وتأخر إرسال غيره طلبت الولاية من المراجع المختصة في السلطنة أن تسرع بإرسال مدير آخر جديد .^(١) وهنا لا بد من الإشارة إلى أن نطاق عمل هذا الدفتر كان واسعاً لسبب بسيط هو أن الوحدات الإدارية التي أنشئت فيما بعد كمتصرفية القدس عام ١٨٧٣م / ١٢٩٢هـ ، وولاية بيروت عام ١٨٨٧م / ١٣٠٥هـ ، قد اقتطعت من ولاية سورية وبالتالي بقيت قيودها في «دفتر خاقاني» هذه الولاية إلى أن رأت السلطنة ضرورة فصلها .^(٢)

وهنا لا بد من الإشارة ، إلى أننا لم نعثر على إحصاءات عن عملية تسجيل الأراضي في ولاية حلب أو غيرها كالتي وجدت عن ولاية سورية . فحول هذه المسألة ، تناولت عملية الإحصاء سبعة ألوية هي : سنجد الشام ، سنجد بيروت ، سنجد حما ، سنجد طرابلس ، سنجد عكا ، سنجد اللاذقية ، سنجد بلقاء . وتناولت في كل لواء من هذه الألوية أسماء القصبات والأقضية والنواحي ومقدار ما تحويه كل واحدة منها من قرى وقطع أراضي ومساحتها بالدوم ، وهي على النحو الآتي :

١- سنجد الشام ، عدد قراه ٤٠٠ قرية ، عدد قطع الأرض ١٩٧٠٩١ قطعة ، مساحتها ٢٥٧٩٩٤٣ دونماً .

(١) عبد العزيز محمد عوض ، الإدارة العثمانية ، ص ٢٣٥ .

(٢) لمزيد من الإيضاح حول هذه المسألة ، يراجع : إلياس جريج ، ولاية بيروت ، ص ٤٨٣ .

- ٢- سنجق بيروت ، عدد قراه ٣٣٥ قرية ، عدد قطعات الأرض ٧٠٦٨٣ قطعة ، مساحتها ٧٧٥٧٤٢ دونماً .
- ٣- سنجق حما ، عدد قراه ٢٣٨ قرية ، عدد قطعات الأرض ٥٧٨٦٩ قطعة ، مساحتها ٢٦٣٠٩٦٨ دونماً .
- ٤- سنجق طرابلس ، عدد قراه ٩٣٧ قرية ، عدد قطعات الأرض ١٣٢١٤٧ قطعة ، مساحتها ٢١٤٨٤٨٠ دونماً .
- ٥- سنجق اللاذقية ، عدد قراه ٩٣٢ قرية ، عدد قطعات الأرض ٢٠٩٨٤٤ قطعة ، مساحتها ١٣٠٦٥٧٥ دونماً .
- ٦- سنجق عكا ، عدد قراه ٢٤٧ قرية ، عدد قطعات الأرض ٥٤٨٦٦ قطعة ، مساحتها ١٥٦٦٥٨٤ دونماً .
- ٧- سنجق بلقاء ، عدد قراه ٢٥٣ قرية ، عدد قطعات الأرض ١٢٥٨١٣ قطعة ، مساحتها ١٧٣٥٩٦٨ دونماً .

أما مجموع عدد قرى الولاية فهو من ٣٣٤٢ قرية ، وعدد قطعات الأرض فهو ٨٤٨٣١٣ قطعة ، ومساحتها ١٢٧٤٤٢٦٠ دونماً .^(١)

أما ولاية حلب ، فكانت تضم ثلاثة ألوية هي :

- لواء حلب ، عدد أفضيته ١٣ قضاءً ، عدد نواحيه ٣٢ ناحية ، عدد قراه ٢٠٢٢ قرية .
- لواء أورفه ، عدد أفضيته ١٢ قضاءً ، عدد نواحيه ١٢ ناحية ، عدد قراه ١٣١٩ قرية .

(١) لمزيد من الإيضاح حول ما أشرنا إليه ، يراجع : جدول أراضي ولاية سورية في نظام الولاية ، وهو

مرفق ربطاً . لقد جرى إعداد هذا الجدول بالإستناد إلى جدول إحصائي أعدته إدارة الدفتر الخاقاني

للسلطنة حول عملية المسح في ولاية سورية . وقد نشر في سائنامة ولاية سورية لعام ١٢٩٨هـ ، دفعة

١٣ ، ص ٢٥٦ . وهي من محفوظات المكتبة الظاهرية بدمشق .

- لواء مرعش ، عدد أفضيته قضاءان ، عدد نواحيه ٢٨ ناحية ، عدد قراه ٤٥٩ قرية .

وبذلك يكون مجموع أفضية هذه الولاية ١٩ قضاءً ، وعدد نواحيه ٧٢ ناحية وعدد قراه ٣٨٠٠ قرية . وكانت متصرفية الزور تابعة لولاية حلب ، ثم فصلت عنها . وهي تتألف من أربعة أفضية هي : رأس العين ، عشاره ، البوكمال ، عربان . وكان يتبع مركز هذه المتصرفية ٤ نواح و ١١٣٩ قرية .

وبالنسبة لمتصرفية القدس الشريف ، فقد كانت تتبع ولاية سورية ، ثم فصلت عنها . وتتألف من أربعة أفضية هي : يافا ، غزة ، بئر السبع ، خليل الرحمن . وكانت تتبع هذه المتصرفية وهذه الأفضية ١١ ناحية و ٣٨٤ قرية ومزرعة . هذا بالإضافة إلى عدد من القبائل تتبع قضاء بئر السبع . هذه القبائل هي : عزازمة ، بناها ، جبارات ، ترايين وحناجره .

في نهاية هذه المحطة نرى أن نتوقف قليلاً عند متصرفية جبل لبنان ، التي كانت تضم ثمانية أفضية ، بنواحيها وقراها وعلى النحو الآتي :

- قضاء الشوف ، عدد نواحيه ١٢ ناحية ، عدد قراه ٢٢٠ قرية .

- ضاء المتن ، عدد نواحيه ٥ نواحي ، عدد قراه ١٧٨ قرية .

- قضاء كسروان ، عدد نواحيه ١٠ نواحي ، عدد قراه ٢٢٦ قرية .

- قضاء البترون ، عدد نواحيه ٨ نواحي ، عدد قراه ١٥١ قرية .

- قضاء جزين ، عدد نواحيه ناحيتان ، عدد قراه ١٠٧ قرى .

- قضاء الكورة ، عدد نواحيه ٣ نواحي ، عدد قراه ٥٠ قرية .

- قضاء زحلة ، بدون نواحي ، عدد قراه واحدة .

- قضاء دير القمر ، بدون نواحي ، عدد قراه واحدة .^(١)

وبذلك يكون عدد نواحي هذه المتصرفية ٤٠ ناحية وعدد قراها ٩٣٤ قرية .

(١) لمزيد من الإيضاح حول ما أشرنا إليه ، يراجع : ساطع الحصري ، الإدارة العثمانية ، ص ٢٤٣-٢٤٧ .

توسع الدائرة العقارية للقرية:

عندما بدأت القرية تتحول إلى نواة للحياة الإدارية منذ عام ١٨٤٠م ، كانت قد أصبحت محاطة بعدة دوائر من الأراضي المملوكة ، منها : الأراضي العُشرية والأراضي الخراجية والأراضي الخراجية العشرية . وكانت تنتشر بين هذه الأراضي المملوكة لأصحابها ملكيات وقفية وأراضي متروكة . وعندما وضعت أحكام قانون الأراضي موضع التنفيذ تكرر هذا الواقع ، وفتح الطريق إلى دائرة «الأراضي الموات» ، من أجل إحيائها وتحويلها من ملكية عامة إلى ملكية خاصة .

لقد سمحت أحكام هذا القانون - من الناحية النظرية - أن يستفيد من هذه الأراضي كل الناس على السواء ، الفلاحون وغير الفلاحين . لكن ، من الناحية العملية كان لا يمكن لهذه الإفادة إلا أن تكون متفاوتة ، لأنها مبنية على أساس مواقع الناس وإمكانياتهم المادية والمعنوية .

ومن خلال الخطوات التي رسمتها أحكامه من أجل امتلاك رقبة هذه الأراضي نلمس وجود وانتشار عدة أشكال من ملكية الأرض وهي :

١- الملكيات الصغيرة : انتشرت هذه الأراضي في داخل القرى والقصبات ، لاسيما الجبلية منها . وكانت هذه الأراضي في مرحلة من المراحل كافية لإعاشتهم . لكن مع تقدم الزمن ونزوح أهالي القرى القائمة في السهول ، مذ تحولت هذه السهول إلى ملكية خاصة ، راحت القرى السهلية تندثر لتنتعش قرى الجبال والمنحدرات نتيجة هجرة أبناء القرى السهلية إليها . وكان لا بد لهذا التوسع إلا أن يكون باتجاه الأراضي الموات . وهكذا ، فقد جاء القانون ليحدد حدود كل قرية . واتساع هذه الحدود كان محكوماً بمدى تكاثر أبنائها وقوة تنفيذها وبكثرة الوافدين إليها . والتوسع كان دائماً باتجاه الأراضي الموات ، التي ليست ملكاً لأحد ولا هي مرعى ولا محتطباً لقصبه أو قرية ؛ وهي بعيدة عن أقصى العمران . «يعني أن جهير الصوت لو صاح من أقصى الدور التي في طرف تلك القصبه أو القرية لا يسمع منها

صوته» . وكلما كان يتطور عمران القرية ويتوسع ، كلما كانت تتوسع حدود أملاكها هي الأخرى ، بحيث تترك الأراضي القريبة إلى هذا العمران للأهالي من أجل الإفادة منه بشكل جماعي ويقال لها «الأراضي المتروكة» (١).

لقد أدت الإفادة من أحكام هذا القانون بالشكل الذي أشرنا إليه إلى نشوء ملكيات خاصة صغيرة في الأراضي الموات ، أحيائها الفلاحون بجهودهم . وكان من شروط البدء بالأحياء ، أن يكون هناك إذن سلطاني . ومدة هذا الإذن ثلاث سنوات تجري خلالها عملية الإحياء ، وألا يصبح الإذن لغواً ، ويمكن إعطاء الأرض لمن يطلبها . وكان ممكناً أن يحصل الأحياء بدون إذن سلطاني ، وفي هذه الحالة يكون للمحي «حق الرحجان» على غيره بالأرض التي أحيائها . لأنه عليه أن يطلب «سند طابو» بها بعد ستة أشهر من إحيائها . (٢) غير أن تثبيت حق الرحجان والحصول على سند التمليك لم يكن من الأمور السهلة في مجتمع ناشئ تحكمه القوة . والفلاح في هكذا مجتمع كان عليه ليثبت حقه أن يرضي المختارين وأعضاء الإختيارية ومتنفيذ القرية ؛ وإرضائهم كان لا يتم إلا بأن يحي لهم مقدار ما أحياء لنفسه ، نظراً للنصوص المتعددة التي وضعت لتعريف عملية الإحياء وكلها من النوع

(١) لمزيد من الإيضاح حول الأراضي الموات ، تراجع : مجلة الأحكام العدلية ، المادة ١٢٧٠ و ١٢٧١ ، ص

. ٦٣٤

(٢) الأيوبي وولده ، قاموس الحقوق ، مج ٣ ، ص ١١٩٧ ؛ ومجلة الأحكام العدلية ، المادة ١٢٧٩ ، ص

. ٦٣٦

الذي يحتمل التأويل^(١) فهي تحرم من الحصول على ملكية صغيرة ، بقدر ما تسمح بنشوء الملكيات الواسعة .

٢- الملكيات المتوسطة ، وانتشرت هذه الملكيات قرب القرى ، في الأراضي الخراجية العُشرية السهلية بشكل خاص . فمحاصيل هذه الأراضي لم تكن تكفي لسد الضرائب المترتبة عليها وعلى أصحابها . فالعشر عن هذا النوع من الأراضي قد يصل إلى النصف ، كما أن خراجها وهو مقدار معين من الدراهم كان يتراوح بين ٤ و ٨ بالألف . وكانت الأراضي السهلية لسناجق الشام وطرابلس واللاذقية من هذا النوع . ولذلك ، فقد تركها العاملون عليها تخلصاً من دفع الضرائب المترتبة عليها . ولدى وضع قانون الأراضي موضع التنفيذ ، تبين للسلطنة أن لكل قرية أراضي تزيد كثيراً عما بإمكان أهلها زراعته . ولذلك ، وضعت المساحات الزائدة بالمزاد وأحالتها للطلاب من أجل أن تتقدم الزراعة وتغتني الخزينة ، ويسدد العجز المالي

(١) حول إحياء الأراضي الموات نشير إلى هذه المواد التي بقدر ما يمكن أن تحرم من ملكية صغيرة تسمح بنشوء ملكيات كبيرة . جاء في المادة ١٠٥١- الأحياء عبارة عن التعمير وجعل الأراضي صالحة للزراعة . المادة ١٠٥٢- التحجير ووضع الإحجار وغيرها في أطراف الأراضي من واحد لأجل أن لا يضع آخر يده عليها . المادة ١٢٧٥- كما أن البذر والنصب إحياء للأراضي كذلك الحرث والسقي أو شق جدول لأجل السقي أيضاً إحياء . المادة ١٢٧٦- إذا بنى شخص جداراً في أطراف الأراضي الموات أو بنى مسنة بقدر ما تحفظها من ماء السيل يكون قد أحي تلك الأراضي . المادة ١٢٧٧- وضع الإحجار والشوك أو أغصان الأشجار اليابسة محيطة بجوانب الأراضي الأربعة أو تنقية الحشيش منها أو إحراق الشوك أو حفر البئر ليس بإحياء ولكنه تحجير . المادة ١٢٧٨- إذا حصد شخص ما في الأراضي الموات من الحشيش أو الشوك ووضعه في أطرافها ووضع عليه التراب بوجه مانع السيل من الوصول إليها ولم يقم مسنة فلا يكون أحي تلك الأراضي ولكن يكون حجيرها . لمزيد من الإيضاح ، يراجع : مجلة الأحكام العدلية ، ص ٥٥١ و ٦٣٦ .

الذي بدأ يرهقها منذ حرب القرم ١٨٥٣-١٨٥٦ م . ومثل هذه «الأراضي الزائدة» ، كانت منتشرة في مختلف أنحاء بلاد الشام . وبالاتفاق مع المتنفذين عمل مخاتير وشيوخ القرى على تسجيل مساحات سهلية واسعة منها بدون ثمن ، بالإضافة إلى مساحات أخرى بيعت بأسعار زهيدة .

٣- الملكيات الكبيرة ، تشكلت هذه الملكيات أول الأمر في الأراضي السهلية الواسعة ، التي يسهل حرثها وزرعها وسقايتها وجمع غلالها . وقد ساعد على تشكلها عدة عوامل : نظام الإيالت القائم أساساً على تقسيم الأراضي إلى إقطاعات . فعندما ضعف هذا النظام راح المتصرفون بالإقطاعات يتخلفون عن الخدمة بدفع مال البديل من جهة ، والسعي إلى تحويل إقطاعاتهم إلى ملكية خاصة . هذا بالإضافة إلى أن القادة العسكريين كانت تكافئهم السلطنة وتمنحهم إقطاعات من الأرض مدى الحياة بالإضافة إلى أن المخلصين في خدمتهم لها كانت تمنحهم «المالكانات» كل هذه الأراضي تحولت في أحكام قانون الأراضي إلى ملك خاص . كما أن أحكام قانون الأراضي ثبت في المادة الثانية منه إمكانية ملكية الأراضي العشرية والخراجية لتسليمها ، في الوقت الذي بقي الفلاحون وغيرهم من العاملين يعملون عليها ويدفعون عنها الأعشار والخراج لهؤلاء المتسلمين رغم تصفية هذا الشكل من العلاقة عام ١٨٣٩ م .

وبالإضافة إلى نظام الإيالت وأحكام قانون الأراضي فقد لعب المختارون ومدراء النواحي دوراً في تشكل الملكيات الكبيرة لسببين :

الأول ، لسكوتهم عن إعلام المراجع المختصة لسبب ما بالمعلومات الصحيحة عن «الأراضي المحلولة والمكتومة والمتروكة» . علماً أن ذلك من أولى مهامهم وواجباتهم التي حددها لهم القانون . والدليل على ذلك ان السلطنة قد رصدت الجوائز للذين يخبرون عن هذه الأراضي . والثاني ، هو إعطاؤهم مضابط لملاكين كبار يشهدون لهم فيها على وضع يدهم على أراضي واسعة ، وأنهم يدفعون عنها الأموال الأميرية . هذه المضابط تخول أصحابها بعد موافقة المفتين عليها ،

أن يمتلكوا هذه الأراضي وأن يخلوها من الذين أحيوها وعملوا عليها عشرات السنين (١).

كذلك ، فقد لعبت التشريعات التي صيغت من أجل إحياء «الأراضي الموات» ، كانت هي الأخرى عاملاً في تشكل الملكيات الكبيرة . والتعريفات التي صدرت بهذا الخصوص لم يكن غرضها الخدمة الفعلية لعملية الإحياء ، بقدر ما كانت من أجل تسهيل عملية ملكية رقبة الأرض وإعطاء المسوغ القانوني لها . ويبدو من هذه النصوص ، أن «كبار الملاكين» ، كانوا في سباق فيما بينهم حول من تكون له حصة الأسد من ملكية هذه الأراضي . فقد استفادوا من ذلك كثيراً مما ورد من نصوص حول الإحياء بـ «التحديد» و«التحجير» و«التحجيز» ، التي اعتبرت بالنسبة لهؤلاء عمليات إحياء للأرض . فطوقوا بها مساحات شاسعة من الأراضي الموات وحولوها إلى ملكية خاصة مستغلين في ذلك ما ورد في نص المادة ١٢٧٣ من «مجلة الأحكام العدلية» التي جاء فيها : «فلو أحي شخص مقدراً من الأراضي (على النحو الذي أشرنا إليه) وترك باقيها بما أحياه يكون مالكاً له ، وباقيه ليس له . لكن ، إذا بقي في وسط الأراضي التي أحيها محل خالٍ فذلك المحل يكون له أيضاً (٢) . وبذلك فقد كثر هذا النوع من الإحياء ، الذي لا يحتاج إلى جهد كبير . لأنه لا يتطلب أكثر من إحياء شريط ضيق من الأرض ، يطوق به مساحة شاسعة بدون إحياء فيمكنه هذا الشريط المحي أن يملكها . وما تزال حتى اليوم أراضي محيية بهذا

(١) حول هذه المسألة نشير إلى أن مروجاً وعرضاناً وضوراً (أراضي واسعة في السهل والجبل والبطاح)

جرى استملاكها وتسجيلها بعريضة وقعتها عدد من مختاتير القرى وصادق عليها المفتي بفتوى إذا كانت بحاجة إلى فتوى . ولمزيد من الإيضاح ، يراجع : إلياس جريج ، ولاية بيروت ، ص ٤٧٣-٤٧٤ .

(٢) لمزيد من الإيضاح حول التحديد والتحجير والتحجيز ، تراجع : مجلة الأحكام العدلية ، ص ٦٣٤-

الشكل في أنحاء مختلفة من بلاد الشام حيث تشاهد مساحات شاسعة من هذه الأراضي مطوقة بالحجارة ليس أكثر. وتولدت من عملية إحياء الأراضي الموات مناصفة بين المتصرفين بها من «كبار الملاكين» والمتنفذين من جهة، والفلاحين من جهة أخرى، ملكيات كبيرة. لأنه في هذه الحالة أصبح المالك الكبير أو المتنفذ في القرية مالكا نصف أراضيها، والنصف الآخر، ينقسم إلى نصفين واحد للمختارين وأعضاء الاختيارية والآخر للفلاحين العاملين^(١).

لقد انتشرت الملكيات الكبيرة، في كل أنحاء بلاد الشام. ويمكن القول بأن أشكال ملكية الأرض قد حددت وجود ثلاث طبقات اجتماعية: طبقة صغار الملاكين المتكوّنة من الفلاحين وأنسالهم، وهم قاعدة المجتمع الريفي؛ وطبقة الملاكين المتوسطين، من المختارين وشيوخ القرى وهم أعيانها؛ وكبار الملاكين، الذين شكلوا طبقة بارزة في كل سنجق. وقد شكلت كل طبقة من هؤلاء وسطاً اجتماعياً خاصاً بها، منغلقة على ذاته في الحياة الاجتماعية.

وفي نهاية هذا البحث، لا بد من الإشارة إلى مسألتين تدعوان إلى التساؤل:

المسألة الأولى، وهي أنه مما يلفت النظر في عملية تسجيل الأراضي في بلاد الشام أمران:

الأمر الأول وهو أن أسلوب وضع اليد على الأراضي، لم يكن مقتصرًا على بعض المتنفذين من أصحاب الإقطاعات العسكرية وغيرهم، بل كان سياسة متبعة بدءاً من السلطان حتى أصغر المتنفذين فيهم. فقبل عهد السلطان عبد الحميد الثاني ١٨٧٦ - ١٩٠٩ م (١٢٩٣ - ١٣٢٧ هـ)، لم يكن للحكومة

(١) لدينا سند ملكية مؤقتة لقطعة أرض في قرية مشمش قضاء عكار من أعمال لواء طرابلس الشام، مؤرخ في ١٣ آب ١٩٠٣ م. والأرض كانت قيد الإحياء، وهي من الأراضي الأميرية أحيائها أولاً محمد أبو زيد ويوسف بن أبو زيد. وقد ملك فيها هذان ١٢ قيراطاً، وملك فيها متسلموها سعادة البكوات محمود عبد الكريم أولاد سعادة علي باشا محمد ١٢ قيراطاً الباقية.

العثمانية شيء يذكر من الأراضي الخاصة الجاري استغلالها لحساب الخزينة سوى «المحولات الأميرية»^(١) ، و «الموات المحيا»^(٢) ؛ وإنما كان هنالك بعض الأملاك المختصة بأمرآء آل عثمان مثل بساتين «رأس العين» في جوار مدينة صور ، يؤجرونها أو «يزارعون»^(٣) عليها ، أو يديرونها لحسابهم الخاص . ولما تبوأ السلطان عبد الحميد الثاني عرش السلطنة ، عمد إلى الإكثار من هذه الأملاك الخاصة ؛ وكان يتحين الفرص بواسطة عماله ؛ فإذا علم بضبيعة خالية من السكان ألحقها بأملاكه وسجلها باسمه^(٤) ؛ فكثرت ضياعه ودساكره ، وأسس لها إدارة خاصة سماها «إدارة الأراضي السنية» ؛ ولأجل العناية بهذه الأراضي واستغلالها وجعلها معلقة به مباشرة ، عُيّن لها موازنتها وموظفوها وأبنيتها بدون أن يكون لها علاقة بالحكومة . فتجبي الواردات وتدفع النفقات وترد الربح الفائض إلى خزينة السلطان وهو يتصرف بها كما يحلو له . وقد تشكلت هذه الإدارة على سبيل المثال ، في صور من مدير للأراضي «وباشكاتب»^(٥) .

و«عندما اشتد بطشه من السلطان وتعالى بأسه صار الضعفاء من الفلاحين يتخلون له عن أراضيهم ويفرغونها لجلالته مجاناً أو يبدل تافه طمعاً بحمايته واستغلالاً بظله من ظلم الحياة وإرهاق رجال الأمن» . ولذلك ، فقد اتسعت

(١) المحولات الأميرية ، الإقطاعات العسكرية التي جرى إلغاؤها في خط كلخانه ١٨٣٩ م .

(٢) الموات المحيا ، الأراضي التي جرى إحيائها وراحت السلطنة تجمع إيراداتها منه .

(٣) يزارعون من المزارعة والمزارعة نوع شركة على كون الأراضي من طرف والعمل من طرف آخر وتتم قسمة المحاصيل حسب الاتفاق .

(٤) هناك قرية على الحدود اللبنانية السورية شمال النهر الكبير الجنوبي اسمها «الحميدية» نسبة إلى هذا السلطان

(٥) باشكاتب ، لقب يطلق على رئيس الكتبة في أية إدارة من إدارات السلطنة . وحول الإدارة المشكلة لإدارة أراضي السلطان في رأس العين ، تراجع : سالنامه ولاية بيروت لعام ١٣١٩ هـ ، دفعة ٣ ، ص

أملاكه وتعددت كوره وتزايدت حتى «ناهزت قبل الحرب العالمية الأولى نصف مليون ليرة عثمانية». وما ساعد على ازدياد الأراضي السلطانية ، «اهتمام الولاة وسائر رجال الدولة في تزييدها ترفلاً منه واستجلاباً لمرضاته» (١).

الأمر الثاني ، الذي يلفت النظر في سياسة السلطان عبد الحميد الثاني ، هو أنه في الوقت الذي كانت تجري فيه عملية تسجيل الأراضي في بلاد الشام ، ترافقت هذه العملية بعملية شراء واسعة للأراضي الزراعية ، من قبل الدولة وإلحاقها بالأملاك السلطانية . إذ كانت الدولة تشتري هذه الأراضي من السكان بثمن بخس جداً . فمثلاً ، لقد اشترت أراضي في قضاء حمص بلغت مساحتها ١٠٢ ألف دونم بمبلغ قدره ٢٢٨٠٠٠ قرش ، أي بأقل من ثلاثة قروش للدونم الواحد ؛ كما اشترت الأراضي الواقعة إلى الشرق من البحر الميت والبالغة ٤٥٥٠ فداناً بعشرة آلاف قرش ، وضمتها إلى الأملاك الهمايونية الخاصة ؛ وكذلك ، في حمص أيضاً أقدمت على شراء تسعين ألف دونم من الأراضي الزراعية بـ ١٦٠ ألف قرش ، أي بأقل من قرشين للدونم الواحد . كما كان للسلطان مزارع خاصة به في بيسان في فلسطين ، يشرف على إدارتها ضباط عسكريون ، وكان السلطان يوجه إليهم الرتب والأوسمة من حين لآخر ؛ ولم تكثف الإدارة الشاهانية بامتلاك الأراضي السابقة ، فأقدمت على شراء سبعة وستين ألف دونم من أراضي قضاء النيك التابع للواء دمشق بمبلغ ثمانية وعشرين ألف قرش ، دفعت من الخزانة السلطانية ، أي بأقل من نصف قرش للدونم الواحد (٢).

إن سياسة وضع اليد على الأراضي من قبل السلطان عبد الحميد الثاني ،

(١) لمزيد من الإيضاح حول سياسة السلاطين العثمانيين في امتلاك الأراضي الخاصة بهم ، يراجع :

الأيوبي وولده ، قاموس الحقوق ، مج ٨ ، ص ٣٥٩١-٣٥٩٣ .

(٢) لمزيد من الإيضاح حول هذه المسألة ، يراجع : عبد العزيز محمد عوض ، الإدارة العثمانية ، ص

كانت موضع انتقاد وهجوم من قبل اللجنة العليا «لرابطة الوطن العربي» Ligue de la Patrie Arabe في باريس ، فقد دأبت هذه الرابطة على تحريض السكان العرب ضد السياسة العثمانية عامة ، وسياسة هذا السلطان خاصة . ففي بيان لها وجهته إلى «جميع سكان الوطن العربي المستعبدين لنير الأتراك» أشارت بقولها : «... وفي بلادنا أيضاً يعمل عبد الحميد على اغتصاب المزيد من الحقوق لمصلحته الشخصية . فقد آلت إليه : أراضي غور الأردن ، وثلاثة أرباع وادي الفرات ، وكل سهل صور وقسماً من سهول دمشق وغيرها نتيجة عمل واحد قام به هو قوله : «هذه الأرض هي لي غير أبيه بملكها الحقيقيين» .^(١)

المسألة الثانية التي تدعو إلى التساؤل وهي أنه على قاعدة الوضع الذي تكوّن من عام ١٨٤٠م ، إلى أن صدرت أحكام قانون الأراضي ونظاماته التنفيذية ، تتابعت عملية تسجيل الأراضي في بلاد الشام ، إلى أن انتهى الحكم العثماني من هذه البلاد في عام ١٩١٨م ، على النحو الذي أشرنا إليه . لكن العمل بأحكام قانون الأراضي ، قد استمر في زمن الانتداب الفرنسي على سورية ولبنان ، إلى عام ١٩٣٠م من قبل المفوضية الفرنسية ، عندما صدر عنها هذه قانون ملكية جديد بتاريخ ١٢ تشرين الثاني . ومن الجدير بالذكر هنا ، أن هذا القانون الملكية الجديد قد استند إلى أحكام القوانين العثمانية من مجلة الأحكام العدلية إلى قانون العقارات وقانون الطابو ، وعلى أحكام القرار ١٣٢٩

(١) وزعت اللجنة العليا «لرابطة الوطن العربي» نشرتها الدورية الصادرة في باريس في ٣ يناير ١٩٠٥م ، حملت فيها على السلطان عبد الحميد الثاني وسياسة العثمانيين . وقد وصلت بعض نسخها إلى مدينة طرابلس الشام ؛ فنقلها نائب القنصل الفرنسي في هذه المدينة وأرسلها مع ترجمتها إلى السفير الفرنسي في القسطنطينية بواسطة القنصل الفرنسي العام في بيروت بتاريخ ١٧ كانون الثاني ١٩٠٥م . لمزيد من الإيضاح يراجع نص النشرة في : أرشيف وزارة الخارجية الفرنسية :

الصادر في ٢٢ آذار ١٩٢٢م ، وغيرها من القرارات الصادرة في عهد الإنتداب^(١). إن هذه الإشارة هي من أجل التأكيد على أمرين : الأول وهو أن عملية الحكم كانت استمراراً للماضي وإن اختلفت سلطة الخلف عن سلطة السلف .

الأمر الثاني ، وهو أن أملاك السلطنة بعد خروج الحكم العثماني من سورية ، عرفت بـ «الأراضي المدورة» . هذه الأراضي انتقلت إلى سلطة الإنتداب الفرنسي بمقتضى معاهدة لوزان . وجرى استغلال هذه الأراضي بواسطة الزراع المستقرين عليها . سيما أن منهم من كانوا يتصرفون بها قبل انتقالها للسلطان عبد الحميد الثاني ، ومنهم من جاء بهم السلطان وزارعهم عليها والجميع يشتغلون بها بالمزراعة ويؤدون قسماً من حاصلاتها علاوة على العشر النظامي لجهة الخزينة . هذا القسم هو بدل حق التصرف به وهو يتراوح حول العشرة في المئة من الحاصلات غير الصافية ، فيبلغ ما تأخذه الحكومة منهم في أكثر القرى عشراً وربعاً اثنين وعشرين ونصفاً في المائة من الغلة . وأصبح لهم حق استقرار على تلك الأراضي يباع بينهم ويشترى كأنه حق ثابت .

فعندما طرحت هذه المسألة أمام المفوضية الفرنسية ، رأت أنه من الأصوب في هذه الأراضي أن تفرغ الحكومات حق التصرف فيها للزراع المستقرين عليها ببديل مهاود فيه ، يرتب عليهم أقساطاً يؤدونها في مدة عشر سنوات يكون فيها الفلاحون مرتاحين ومصلحة الحكومة محفوظة . خصوصاً لأن القسم الأعظم من هذه الأراضي كان جارياً في تصرفهم قبل أن يستولي عليها السلطان بثمن بنحس أو بدون ثمن^(٢).

(١) قانون الملكية هذا يحمل الرقم ٣٣٣٩ ويتألف من ٩٠ مادة مقسمة إلى ثلاثة أبواب ، الباب الأول ،

مقسم إلى ثلاثة فصول ؛ الباب الثاني ، مقسم إلى خمسة فصول ؛ الباب الثالث ، مقسم إلى خمسة

فصول ؛ ولمزيد من الإيضاح ، يراجع : الأيوبي وولده قاموس الحقوق ، مج ٣ ، ص ١٢٣٧-١٢٥٨ .

(٢) لمزيد من الإيضاح حول هذه الأراضي المدورة ، يراجع : الأيوبي وولده ، قاموس الحقوق ، مج ٨ ، ص

لكن ما جرى هو عكس ذلك تماماً ، فقد تعرض العاملون على هذه الأراضي لمضايقات لا تحتمل إلى أن أُجبروا على طلب الحماية من أشخاص متنفذين من آل العظم والعابد والجزائري والأيوبي والقوتلي وغيرهم . وما لبثت هذه الأراضي أن سجلت لصالح هذه العائلات المذكورة .^(١)

(١) عوض ، الإدارة العثمانية ، ص ٢٣٧ .

تقسيمات الإدارة الإقطاعية لبلاد الشام في نظام الإيالات العثمانية (١)

ملاحظات	خيال	نوع وعدد مقاطعات اللواء			خاص المحاكم بالآقجة العثمانية	رتبة الحاكم	لواء	إيالت	
		تيمار	زعامت	خاص					
بلغ عدد العساكر المفروض على جميع مقاطعات هذه الإيالت ٢٦٠٠ جبلي	٢٠٠	٣٣٢	٨٧	١	١٠٠٠٠٠٠	باشا (بكلربكي) أو أمير أمراء	دمشق	الشام	
	٥٠	١٦١	٩	١	٠٢٥٠٤٨٥	أمير لواء	القدس الشريف		
	٤١	١٠٥	٧	١	٠٢٠٨٣٢٨	أمير لواء	غزة		
	٧٤	١٢٣	٥	١	٠٣٦٣٨٠٠	أمير لواء	صفد		
	٥٩	٤٧	٧	١	٠٢٩٦٤٥٥	أمير لواء	نابلس		
	٥٢	٦١	٤	١	٠٢٦١٠٠٠	أمير لواء	عجلون		
	٤٠	٣٩	٩	١	٢٠٠٠٠٠	أمير لواء	لجون		
			ولا يوجد خاص أو زعامت أو تيمار				له أمراء من العربان		البقاع
			ولا يوجد خاص أو زعامت أو تيمار				أمير لواء		عكة
		ساليانه ولا يوجد خاص أو زعامت أو تيمار				أمير لواء	تدمر صيدا مع بيروت		
	٦٨	٧٤٠٠٠٠	١٣٠٠٠٠		١٤٠٣٣٥	أمير لواء	كرك مع شوبك		
المجموع	٥٨٤	٨٦٨	١٢٨	٧	٢٩٣٤٤٠٢	باشا و ٩ أمير لواء	١١ لواء		

(١) نظم هذا الجدول بالاستناد إلى رسالة عثمانية كتبها أمين «الدفترا الحاقاني» في السلطنة العثمانية

عام ١٠١٨هـ - ١٦٠٩م . عيني علي أفنديك ، قوانين آل عثمان در مضامين دفتر ديوان ، أي قوانين

آل عثمان في ما يتضمنه دفتر الديوان . ص ٢٤-٢٦ و ٥٣-٥٥ ؛ والرسالة من محفوظات المكتبة

الظاهرية بدمشق .

أراضي بلاد الشام في نظام الإيالت والولاية

إيالت طرابلس الشام	طرابلس	باشا (بكلريكي)	٨٠٠٠٠٠	١	١٢	٨٠٧	١٦٠	بلغ عدد العساكر
	حما	أمير لواء	٣٩٤٠٣٦	١	٢٣	١٧١	٧٨	المفروض على جميع مقاطعات هذه الإيالت
	حمص	أمير لواء	٢٢٠٢٩٩	١	١٥	١٦٩	٤٤	١٤٠٠ جبلي
	سلمية	أمير لواء	٢١٩٠٠٠	١	٤	٥٣	٤٣	من دفتر الخزينة ومن دفتر الزعامت ومن دفتر التيمار
	جبلة	أمير لواء	+ ٢١٤١٨٠	١	٩	٩١	٤٢	
				١١٣٠٠٠			٦١٠٠٠	٤٦
المجموع	٥ ألوية	باشا و٤ أمير لواء	٢٠٨٦٣٣٥	٥	٦٣	١٢٩١	٤١٣	١٤٠٠
إيالت حلب	حلب	باشا (بكلريكي)	٨١٧٧٧٢	١	٦٢	٢٩٥	١٦٣	بلغ عدد العساكر
	كليس	أمير لواء	٥٢٢٨٦٧	١	١٧	٩٦	١٠٤	المفروض على جميع مقاطعات هذه الإيالت
	عزير	أمير لواء	٢٨٠٠٠٠	١	٢	٩٠	٥٦	٢٥٠٠ جبلي
	معرة	أمير لواء	٢٣٠٠٠٠	١	٦	٧٦	٤٦	
	بالتيس	أمير لواء	٢٢٠٠٠٠	١	٦	٥٣	٤٤	
	تركمان حلب وعزاز	أمير لواء	ساليانه	-	-	-	-	
منبج مع مضيق	أمير لواء	ساليانه	-	-	-	-		
مجموع إيالت حلب	٧ ألوية	باشا و٦ أمير لواء	٢٠٧٠٦٣٩	٥	٩٣	٦١٠	٤١٣	٢٥٠٠ جبلي
مجموع إيالت الشام	١١ لواء	باشا و٩ أمير لواء	٢٩٣٤٤٠٣	٧	١٢٨	٨٦٨	٥٨٤	٢٦٠٠
مجموع إيالت طرابلس	٥	باشا و٤ أمير لواء	٢٠٨٦٣٣٥	٥	٦٣	١٢٩١	٤١٣	١٤٠٠
المجموع العام	٢٣ لواء	٣ باشوات و١٩ أمير لواء	٧,٩١٣,٣٧٧	١٧	٢٨٤	٢٧٦٩	١٤١٠	٦٥٠٠

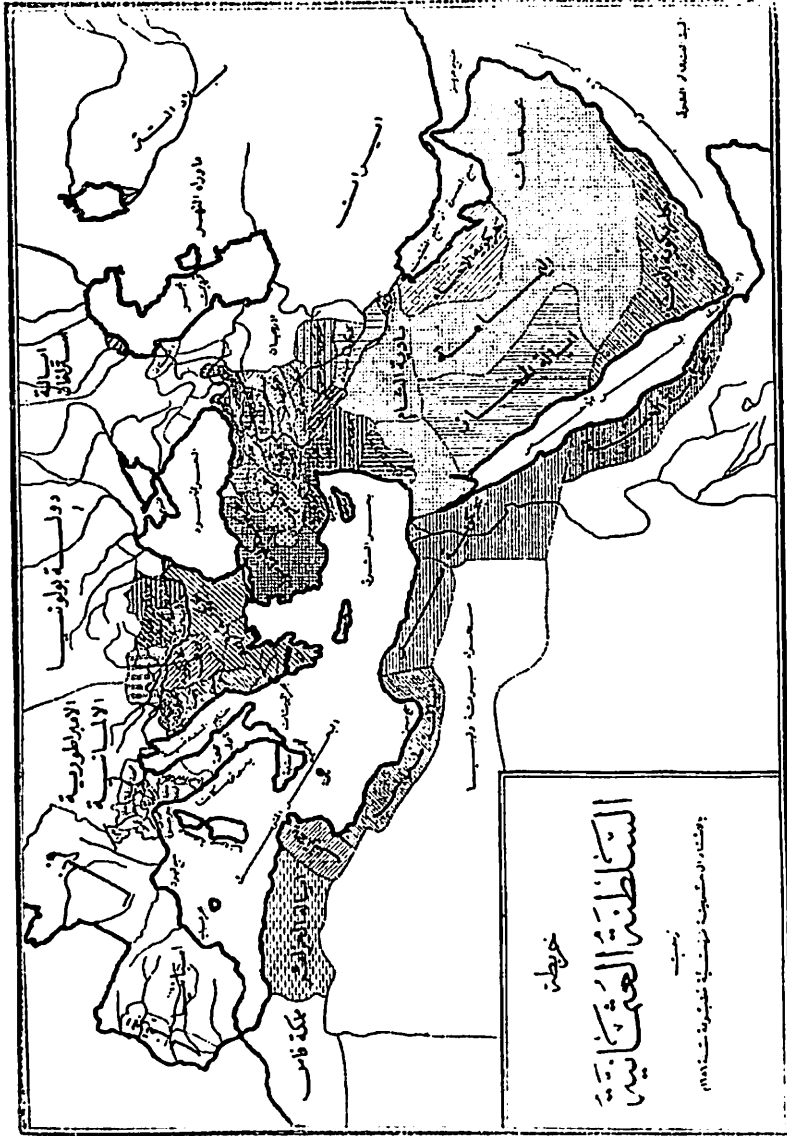
إلياس جريج

عدد الدونمات	عدد قطعات الأراضي	عدد القرى والمزارع	أسماء القصبات والأقضية والنواحي	السنجق
٠٢٤٨٥٩	١٠٨١	٠٠	نفس شام شريف	سنجق الشام
٤١٦٠٣٨	٣٣٤٥٤	٨٤	قضاء دوما	
٤١٤١٢٤	٣٦٩٦٧	٣٠	قضاء نيك	
٤١٧١٦٠	٤٠٣٣١	١٠٦	قضاء وادي العجم	
٥٩٩٠٣١	٢٠٦٨٢	٧٥	قضاء بعلبك	
٥٠٤٤٢٠	٢٦٩٣٥	٧٠	قضاء البقاع العزيز	
٠٩٦٤٧٠	١٩٦٩٤	١٨	قضاء حاصبيا	
١٠٧٨٤١	١٧٩٤٧	١٧	قضاء راشيا	
٠٠٠٠٠	٠٠٠٠٠	-	قضاء جبل الدروز	
٢٥٧٩٩٤٣	١٩٧٠٩١	٤٠٠	المجموع	
١٤٦٣٩	١٧٦٣	٠٠	قصة بيروت	سنجق بيروت
٣٥١٨١٣	٢٩٠٤٠	١٥٥	قضاء صيدا	
٢٥٧٢٨٦	٢٦٩١٣	١٣٥	قضاء صور	
١٥٢٠١٠	١٢٩٦٧	٤٥	قضاء مرجعيون	
٠٠٠٠٠	٠٠٠٠٠	-	ناحية حولا	
٧٧٥٧٤٢	٧٠٦٨٣	٣٣٥	المجموع	
٢٨٤٧٠	٢٢١	٠٠	قصة حما	سنجق حما
١٢٩٦٠٠٧	١٣١٦٣	١١١	قضاء حما	
١٢٦٢٦٨٨	٤١٩١٨	١٠٣	قضاء حمص	
٣٣٨٠٣	٢٥٦٧	٢٤	ناحية قبولي الأولى	
٠٠٠٠٠	٠٠٠٠٠	٠٠	قضاء كلبية	
٢٦٣٠٩٦٨	٥٧٨٦٩	٢٣٨	المجموع	

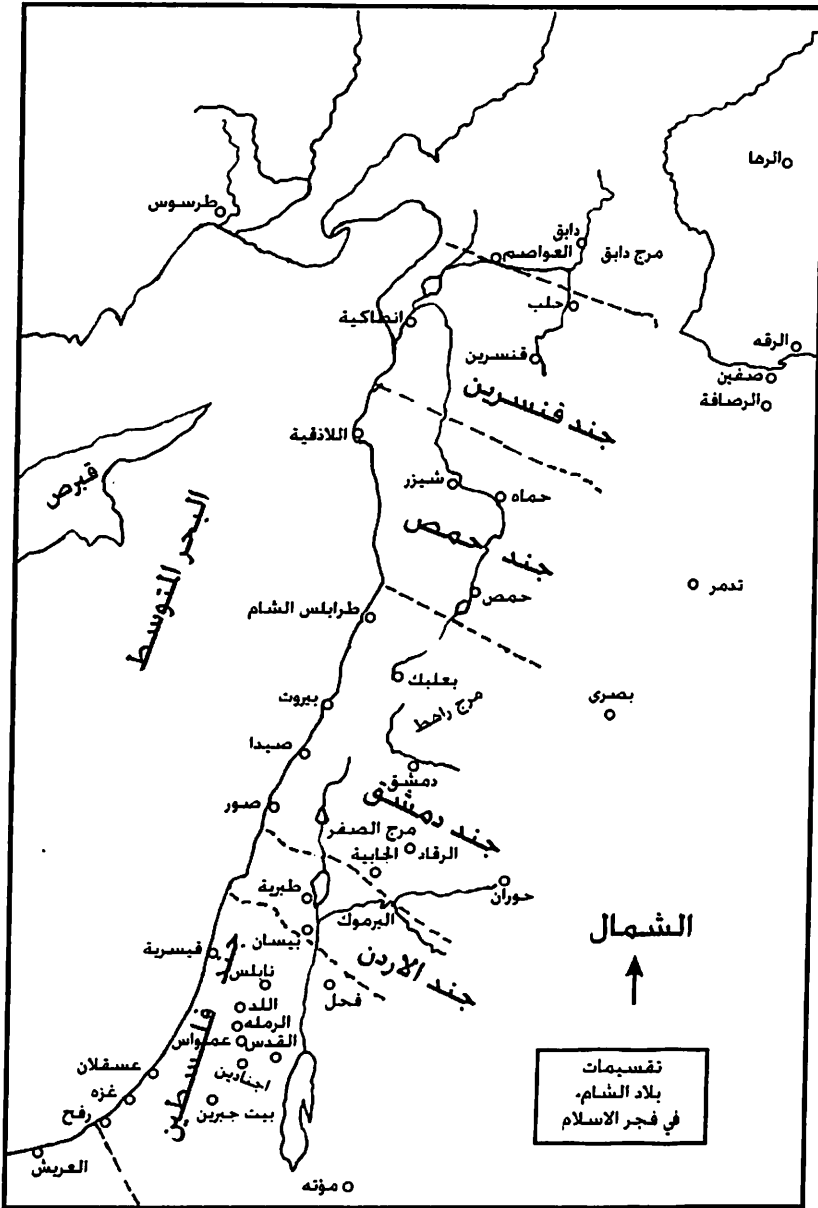
أراضي بلاد الشام في نظام الإيالت والولاية

١٦٤١٩	١٤٦٥	٠٠	قصة طرابلس	سنجق طرابلس
١٩٢٨١١	١٧٤٩٨	٦٥	قضاء طرابلس	
٠٠٠٠٠	٠٠٠٠٠	٢٠٥	قضاء عكار	
٤٨٩٧١٦	٥٢٤٣٤	٤١٧	قضاء صافيتا	
٨٩٩٤٣٤	٥٩٩٥٥	١٩٧	قضاء حص الأكراد	
٥٣٦٦٧	٠١٨٥٥	٥٣	ناحية حذور	
٢١٤٨٤٨٠	١٣٢١٤٧	٩٣٧	المجموع	
٢١٩١	١٤٧١	٠٠	قصة اللاذقية	سنجق اللاذقية
٣٠٣٧١٥	٣٣٨٩٥	١٧٥	قضاء اللاذقية	
٢٢٥٩٢٣	٤٥٣٨١	١٥٥	قضاء جبلة	
٣٧٦٤٠٨	٥٤٢٢٠	٤١٥	قضاء صهيون	
٣٩٨٣٣٨	٧٠١٧٧	١٨٧	قضاء المرقب	
١٣٠٦٥٧٥	٢٠٩٨٤٤	٩٣٢	المجموع	
٥٨٨٤	٢١٩	٠٠	قصة عكا	سنجق عكا
٢٩٨٨٠٢	٣٩٩٥٧	٦٠	قضاء عكا	
٤٤٢٢٣٤	٠٦٢١٨	٦٧	قضاء حيفا	
٢٣٤٣٠٤	٠١٣١٢	٢٥	قضاء الناصرة	
٢٤١٧٩٤	٠٠٧٨٤	٣٠	قضاء طبريا	
٢٤٣٥٦٦	٦٣٧٦	٦٥	قضاء صفد	
١٥٦٦٥٨٤	٥٤٨٦٦	٢٤٧	المجموع	
٣٥٩١	٦٠٦	٠٠	قصة نابلس	سنجق بلقاء
١٢٩٥٩٢٢	٨٤٩٠٧	١٩٥	قضاء نابلس	
٤٣٦٤٥٥	٤٠٣٠٠	٥٨	ناحية جنين	
١٧٣٥٩٦٨	١٢٥٨١٣	٢٥٣	المجموع	

أراضي ولاية سوريا في نظام الولاية



عن ساطع الحصري. البلاد العربية والدولة العثمانية - التقسيمات الإدارية. في أواخر القرن السابع عشر (رسمت بالاستناد إلى خريطة فرنسية مطبوعة سنة ١٦٨٦)



اقتبست هذه الخريطة عن خريطة نشرت في كتاب منير العليكي وبهيج عثمان المصور في تاريخ لبنان

الزراعة في عكار في العهد العثماني وأهميتها الاقتصادية

نافذ إبراهيم الأحمر (*)

مقدمة عامة:

بعد الانتصار على المماليك في مرج دابق سنة ٩٢٢هـ / ١٥١٦م ، اندفعت الجيوش العثمانية باتجاه بلاد الشام وسيطرت عليها ، وقسمتها إلى ثلاث ايالات هي حلب ودمشق وطرابلس .

أما كيف تعامل العثمانيون في البدء مع المؤسسات والبنى التي كانت سائدة في المناطق التي تم احتلالها؟

في البدء ، قلما غيرت السلطنة العثمانية بنى ومؤسسات الأراضي الواسعة التي احتلتها . ففي معظم أجزائها ، أبقى على الأوضاع التي كان معمولاً بها في السابق لجهة علاقات الإنتاج الزراعية ، والمراتب الاجتماعية ، والسلطات المحلية ، والمؤسسات الدينية . واكتفت الدولة الجديدة بتبديل الرؤوس ، وإقرار شرعية البنى الاجتماعية- السياسية القائمة ، مستخدمة اياها كوسيلة لكي تقتطع أو تسحب ، على شكل ضريبة أو خراج ، قسماً كبيراً ، غالباً ما يكون من الفائض المنتج على يد الفلاحين والحرفيين ، أو التراكم على يد التجار .

كان عاملاً المحافظة والتقليد هما حجر الزاوية في الإدارة العثمانية ، واقتصر

(*) الجامعة اللبنانية ، الفرع الثالث ، طرابلس ، الجمهورية اللبنانية .

التحسين على التخلص من ألوان الفساد. (١)

لكن مع عامل المحافظة هذا ، حمل العثمانيون معهم نظاماً سياسياً حاولوا تطبيقه في بلاد الشام . ومن المتغيرات الهامة التي قام بها الفاتحون الجدد ، تغيير الجهاز الإداري ابتداءً من قمته . وكان هذا التغيير يقل تدريجياً كلما نزلنا إلى المستويات الدنيا من هذا الهرم ، حتى يصل إلى درجة الانعدام تقريباً على صعيد القاعدة الاقتصادية والاجتماعية . وبمعنى آخر ، فإن الدولة العثمانية شددت على البناء الفوقي للنظام السياسي الجديد ، دون إحداث تغيير جوهري في البنى التحتية من اقتصادية واجتماعية . ففي المناطق خارج المدن ، أبقى العثمانيون على الزعماء المحليين ، الذين قامت زعامتهم إما على أسس دينية ، أو اقطاعية أو بدوية ، طالما أنهم يقدمون الطاعة والضرائب للسلطة العثمانية .

والجدير بالذكر أن أراضي الدولة التي عرفت عادة باسم الأراضي الأميرية ، أو الميرية ، كان يوزع قسم منها على شكل إقطاعات ، بينما تجبى ضرائب القسم الآخر بواسطة الملتزمين الذين كانوا ، ومنذ أواسط القرن السادس عشر ، يجبرونها باسم الخزانة . وكانت حقوقهم تجاه الفلاحين تشبه إلى حد بعيد الحقوق التي يتمتع بها ملاك الأراضي. (٢)

من الناحية الإدارية ، قسّم العثمانيون مقاطعاتهم إلى إيالات (ولايات فيما بعد) تتساوى في وضعها من الناحية النظرية ، يرأسها الوالي أو الباشا ، الذي كان يجمع في يده السلطة الحربية العليا والسلطة المدنية ، وهو المسؤول عن الأمن والنظام ، وعن جباية الضرائب وإرسال الخراج السنوي المقرر إلى الاستانة ، كما يعتبر مسؤولاً عن الإدارة العامة .

(١) جب ، هاملتون وهارولد بيون ، المجتمع الإسلامي والغرب ، جزءان ، ترجمة أحمد عبدالرحيم

مصطفى ، مراجعة أحمد عزت عبد الكرم ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧١ م ، ج٢ ، ص ٥ .

(٢) رافق ، عبد الكرم ، العرب والعثمانيون (١٥١٦-١٩١٦ م) ، دون ذكر دار النشر ، الطبعة الأولى ،

دمشق ، ١٩٧٤ م ، ص ٤٤-٤٥ .

وقد وُحِّدَت ايلات حلب ودمشق وطرابلس في دفتر دارية واحدة مقرها حلب . وكان المسؤول عن جمع الضرائب المستحقة في تلك الايلات الشامية يسمى «عربستان دفتر داري» أو «ولاية عرب دفتر داري» أو «عرب جانب دفتر داري» . سنة ٩٧٥ هـ / ١٥٦٧ م ، فُصِّلَت مالية دمشق عن حلب ، وأصبح لكل منهما دفتر دار خاص . وكانت ولاية طرابلس من مسؤولية دفتر دارية دمشق . وأصبح لطرابلس نفسها فيما بعد دفتر دارها الخاص بها وهو «مراد افندي» الذي كان قبل ذلك دفتر دار دمشق الشام ، الذي بعد انفصاله عنها نقل إلى طرابلس ليتولى دفتر داريتها . (١)

في بداية العهد العثماني كانت طرابلس مركزاً لولاية تمتد من شمال اللاذقية حتى جنوب جونية ، وتتبع مباشرة للعاصمة العثمانية اسطنبول ، وكانت تضم عدداً من الأفضية والنواحي أهمها : اللاذقية ، طرطوس ، صافيتا ، حصن الاكراد ، اقليم الشعرا (في سوريا حالياً) والهرمل ، عكار ، الضنية ، الزاوية ، الكورة ، جبة بشري ، البترون وجبيل ، عرب آل موسى وانفه (في لبنان حالياً) .

تمتعت هذه الولاية بجميع المواصفات التي عرفتها الايلات الأخرى ، وذلك حتى نهاية القرن الثامن عشر ، لكنها ألحقت فيما بعد بولاية دمشق وولاية عكا . وفي عام ١٨٨٧م ألحقت بولاية بيروت المستحدثة .

كان يتولى طرابلس وال يعينه الباب العالي ، ويعهد بملحقاتها الى امراء ومشايخ ومقدمين ، بطريقة الالتزام أو الضمان . أثناء غياب الوالي عن مقر ولايته ، كان ينوب عنه موظف كبير يلقب بالمتسلم . وكانت القلعة مركز إقامة القوة العسكرية العثمانية المعروفة باسم «القبه قولي» أي عبید الباب السلطاني .

(١) المحاسني ، يحيى بن أبي الصفا أحمد بن محاسن (١٠٥٣هـ/١٦٤٣م) ، المنازل المحاسنية في الرحلة

الطرابلسية ، دراسة وتحقيق محمد عدنان البخيت ، دار الأفاق الجديدة ، بيروت ، ١٩٨١م ، ص ١٢-

كانت عكار أغنى نواحي ولاية طرابلس وأكثرها أهمية ، نظراً لما تمتعت به من ميزات جغرافية ومناخية ، جعلتها تتصدر قائمة أفضية هذه الولاية .

حدود عكار الجغرافية والتكوين الجيولوجي؛

لم تتغير جغرافية عكار الطبيعية حالياً عما كانت عليه في زمن السلطنة العثمانية . فهي الآن تؤلف قضاءً واسعاً في محافظة لبنان الشمالي . تمتد من مجرى النهر الكبير الذي يفصلها عن سوريا في الشمال ، حتى مجرى النهر البارد الذي يفصلها عن قضاء الضنية - المنية . وترتفع في الشرق قمم جبال عكار لتشكل حدودها الطبيعية مع الهرمل ، وغرباً البحر المتوسط . ومن الناحية الجيولوجية تقسم عكار إلى ثلاثة أقسام هي :

١ - جبال عكار ، وهي تشكل المناطق التي يزيد ارتفاعها عن ثمانماية متر ، وتصل في أقصاها إلى ٢٠٩٠ متراً في قمة عروبة أعلى قمم القموعة . تعرف بمناخها البارد شتاءً والمعتدل صيفاً . تغطيها الثلوج طيلة فصل الشتاء . تنتمي هذه الأقسام إلى العهدين الجيولوجيين الثاني والثالث ، وتقع في الناحية الجنوبية الشرقية للمنطقة .

٢ - السفوح الشمالية الغربية أو منطقة وسط عكار : تتصل هذه المنطقة بالسهل وترتفع تدريجياً على شكل هضاب ووهاد حتى علو ٨٥٠ متراً . مناخها معتدل صيفاً ، بارد شتاءً بسبب تعرضها للرياح الشمالية الشرقية الباردة . تنتشر عليها البلدات والقرى ، وهي غنية بالينابيع والعيون والمجاري المائية ، وتبع مناخ الساحل الشرقي للبحر المتوسط .

٣ - سهل عكار : يمتد من الجنوب ابتداءً من قرية «العبدية» إلى الشمال بمحاذاة البحر المتوسط . وهو يشكل المنطقة الساحلية ، ويؤلف ما يُعرف بجون عكار . إنه أكبر السهول الساحلية ، وأكثرها اتساعاً في لبنان ، عرضه في قسمه الشمالي يتراوح بين ٣ و ٧ كلم ، ويشكل مساحة تصل إلى ١٧٠٠ هكتار من الأراضي الصالحة للزراعة . تخترقه عدة أنهر دائمة الجرى . يتميز

بخصوبة التربة وغناها بالمواد العضوية ، ما يجعله من السهول الساحلية الأكثر أهمية في لبنان .

المجري المائية:

تمتاز عكار بغناها بالموارد المائية والينابيع التي يصل عددها في بعض قراها إلى أكثر من ثلاثماية نبع ، كما هو الحال في بلدة «رحبة» وخراجها في منطقة الجومة . أما أشهر الأنهر الدائمة المجرى في عكار والتي تروي سهل عكار قبل أن تصب في البحر هي :

- النهر الكبير الذي يشكل الحدود الشمالية للبنان مع سوريا . يسقي سهل البقعة وقسماً من سهل عكار الشمالي . وهو ينبع من عين الصفا في وادي خالد .

- نهر اسطوان أو اسطفان ، ويقال له ايضاً نهر الخريبة . ينبع من جرود عكار العتيقة ، ويسقي قسماً من الحقول في طريقه قبل أن يصل إلى سهل عكار ويروي مساحات من أراضيه في القسم الشمالي منه . وهو يفصل بين ناحيتي الجومة والدريب^(١) .

- نهر عرقة : ينبع من عين الغارة ، وينضم إليه عدداً من الينابيع أثناء جريانه . يسقي عدداً من البساتين وقسماً من أراضي سهل عكار . وهو يفصل بين ناحيتي الجومة والقيطع .

- نهر البارد : يُشكل الحدود الطبيعية التي تفصل بين عكار وقضاء المنية - الضنية . ينبع من جرود عكار ، ويجري في وادي جهنم العميق والرائع الجمال بغاباته وأشجاره . يسقي قسماً من أراضي سهل عكار الجنوبي .

(١) المحاسني ، المنازل المحاسنية ، ص ١١ .

المناخ في عكار:

يسيطر على عكار مناخ الساحل الشرقي للبحر المتوسط . فهو بذلك شبيه بالمناخ الذي يسود منطقة السلسلة الغربية من لبنان ، أي معتدل ورطب وماطر شتاءً في المنطقة الساحلية ، وبارد ومثلج في المنطقة الجردية بسبب ارتفاعها عن سطح البحر . متوسط الحرارة هو ١٦ درجة مئوية ، تصل في الصيف إلى ٢٥ درجة ، وفي الشتاء تنخفض إلى ٩ درجات . في فصل الشتاء تنخفض الحرارة حتى الصفر في أعالي قمم عكار فتلبس رداءها الأبيض ، بخاصة في القموعة وعروبة وكرم شباط وعودين . أما في الصيف فنادرًا ما تصل الحرارة إلى ٣٦ درجة في شهر آب .

تهب على عكار الرياح الشمالية الشرقية اعتباراً من أواسط فصل الخريف وفي الشتاء ، فتترك أثراً سلبية على السكان والمزروعات . وتهب عليها رياح جنوبية غربية بصورة دائمة فتلطف الأجواء صيفاً وتحمل الأمطار شتاءً . وفي الربيع ، تهب على عكار رياح السموم الجنوبية الغربية ، وهي حارة مخنقة تكون الزوايع والعواصف .

الإطار التاريخي لعكار في العهد العثماني:

بعد افتتاحه لمصر ، ورجوعه إلى دمشق ، أقام السلطان سليم الأول على طرابلس ابن ادريس البديلي عام ٩٢٣هـ / ١٥١٧م . وكان محمد آغا شعيب من أهالي عرقة في عكار ، يستأجر إيالة طرابلس ، ويؤجر بلاد جبيل والبترون وجبة بشري والكورة والضنية إلى الأمير منصور من بني عساف التركمان ، وامراء الكورة ، وذلك سنة ٩٣٠هـ / ١٥٢٣م .^(١)

ثبت السلطان سليم الأسر التي قدمت له الطاعة في مراكز حكمها ،

(١) نوفل ، نعمة الله نوفل ، كشف اللثام عن محيا الحكومة والاحكام في اقليمي مصر وبر الشام ،

منشورات جروس برس ، طرابلس ، لبنان ، ١٩٩٠م ، ص ١٥٥ .

يذكر أن هذه العائلة عرفت بالتعسف والجور إبان حكمها لمنطقة عكار. (١) وهذا ما أثر سلباً على الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية في هذه المنطقة ، بخاصة على الوضع الزراعي . وأدى طرد بني شعيب من عكار الى اقتسام مقاطعتهم من بعدهم ، فأخذ بنو سيفا منطقة السهل ، وألت طرابلس الى بني عساف . (٢) إلا أن موازين القوى قد تبدلت ، وحتّم ذلك تغيير التحالفات بصورة جذرية ، فانقلب حلفاء الأمس الى أعداء ، بعد أن امتدت مطامع يوسف باشا سيفا الى طرابلس ، ومطامع منصور عساف الى عكار . وجرى صدام بين الاسرتين الاقطاعيتين ، انتهى بانقراض سلالة بني عساف وانتقال امارتهم لآل سيفا . (٣) وكان ذلك في اواخر القرن السادس عشر ، وأصبح آل سيفا بذلك امراء الساحل من نهر الكلب جنوباً حتى عكار شمالاً .

في القرن السابع عشر ، مرّت عكار بأزمات عديدة نتيجة للصراعات المتعددة التي كانت تعصف بولاية طرابلس . وبقيت قوة بني سيفا تتعاضم الى أن ظهرت قوة فتية في الشوف ، تمثلت بالأمر فخر الدين المعني الثاني ، فاصطدمت القوتان في سلسلة من الحروب ، ادخلت عكار الى حلبة الصراع مع الاقطاعيين في الشوف وكسروان وبلاد جبيل ، فاصبحت محط انظار هؤلاء ، بعد أن أدركوا أهمية ثرواتها الزراعية والحيوانية ، وموقعها الاستراتيجي والتجاري كمنقطة وصل بين طرابلس والداخل السوري . فمدوا أطماعهم إليها وبدأوا يفكرون بادخالها ضمن دائرة سيطرتهم .

من هذا المنطلق يمكن تفسير الصدامات التي وقعت بين الأمير فخرالدين الثاني من جهة ، ويوسف باشا سيفا من جهة أخرى ، وكانت عكار مسرحاً

(١) الدويهي ، البطريك اسطفان ، تاريخ الأزمنة ، نشر الأباتي بطرس فهد ، مطابع الكرم الحديثة ،

جونيه ، لبنان ، ١٩٧٦م ، ص ٤٠٢ .

(٢) الشدياق ، طنوس ، اخبار الأعيان ، ج ١ ، ص ٣٠٢ .

(٣) الدبس ، تاريخ سورية ، ٧م ، ج ٤ ، ص ٣٤ . والشدياق ، اخبار الأعيان ، ج ١ ، ص ٣٠٢ .

ومنهم آل سيفا الذين أبقاهم في جبال عكار ، بينما بقيت مناطق وقرى السهل تحت سيطرة آل شعيب المتمركزين في عرقة ، وعرفوا آنذاك بـ«أصحاب عرقة» وليس بـ«أصحاب عكار» . وبهذا تكون عكار قد توزعت على اقطاعين كبيرين : آل شعيب «أصحاب عرقة» في منطقة السهل ، وآل سيفا في الوسط والجبل . وقد نتج عن هذا التقسيم تنازع دائم بين هاتين العائلتين الاقطاعيتين ، وذلك بحكم الجوار إذ سعت كل واحدة منهما إلى توسيع رقعة اقطاعها على حساب الأخرى .

كانت سلطة آل سيفا تتركز بشكل خاص في منطقة عكار العتيقة وما جاورها من قرى مثل عيَّات وبرج عكار وفنيدق ومشمش في جرد المنطقة . ولجأت كل من هاتين الاسرتين الى تقوية نفسها ، وتحصين دفاعها ، وتدعيم قوتها عن طريق عقد تحالفات مع عائلات إقطاعية اخرى مجاورة لها . فتحالف بنو سيفا مع بني عساف التركمان في جبيل وكسروان ، ومع المعنيين في الشوف ، فتمكنوا مجتمعين من طرد بني شعيب من عكار .^(١)

وتفصيل ذلك «أنه سنة ١٥٢٨م وقع القتال بين آل شعيب ولاة طرابلس القاطنين في قرية عرقة ، والأمراء بني سيفا الاكراد . فانجلى آل سيفا من عكار الى الباروك ملتجئين الى الأمير قرقماس المعني والي الشوف ، فتحشد لهم الأمير منصور العساف والي كسروان وبلاد جبيل والتمس من الأمير قرقماس المعني المعونة لهم ، فأرسل له ثلاثمائة مقاتل مع آل سيفا . فتوجهوا الى عكار ودهموا أهل عرقة فقتلوا من ادركوه وفرّ الباقون الى طرابلس وتولى آل سيفا عكار .»^(٢)

(١) الدبس ، المطران يوسف ، تاريخ سورية الدنيوي والديني ، ١٠ أجزاء ، دار نظير عبود ، م٧ ، ج٤ ، بيروت ، ١٩٩٤م ، ص ٢٤-٢٥ .

(٢) الشدياق ، طنوس ، أخبار الأعيان في جبل لبنان ، جزءان ، منشورات الجامعة اللبنانية ، الجزء الأول ، بيروت ، ١٩٧٠م ، ص ٣٠٤ . وقد وردت هذه الرواية ايضاً عند جرجي يني في : تاريخ سوريا ، دار لحد خاطر ، بيروت ، ١٩٨٦م ، ص ١١٩ . وعند نوفل نوفل ، كشف اللثام ، ص ١٥٥-١٥٦ .

لهذه الصدمات . وفي سنة ١٠٢٨ هـ / ١٦١٨ م ، تمكن فخر الدين من دخول عكار ، وأمر بهدم منازل آل سيفا ودورهم العامرة واحراقها .^(١) وقد تمكن فخر الدين بعد سلسلة حروب مع يوسف باشا سيفا ، وبعد موت هذا الأخير ، من تحقيق حلمه بمد نفوذه الى عكار واستغلال مواردها الاقتصادية .^(٢) لكن هذا النفوذ لم يدم طويلاً ، بل انتهى بقضاء الدولة العثمانية على الأمير فخر الدين سنة ١٦٣٤ م . وسنة ١٦٣٧ م تمّ القضاء على آل سيفا بعد أن تشتت أفراد العائلة ، وانتهى الأمر بزوال هذه الامارة . فعمد ولاة طرابلس الى تطبيق نظام الالتزام في عكار ، هذا النظام الذي كانت الدولة قد أخذت به في أماكن أخرى منذ بدايات القرن السابع عشر . ولم يعمد الولاة العثمانيون لاحتلال اسرة إقطاعية جديدة في عكار لتحل محل آل سيفا ، بل عمدوا إلى تلزيماً أحياناً الى بعض مدبريهم . واعتباراً من سنة ١٦٦٦ م / ١٠٧٧ هـ ، كانت عكار قد انتقلت الى التزام آل حمادة الشيعة حيث التزمها الشيخ احمد بن قانصوه بن حماده . وكانت دائرة التزام هذه العائلة تشمل ايضاً نواحي صافيتا وجبة بشري ومناطق الكورة وجبيل والبترون .

سنة ١٦٧٣ م ، أطلق والي طرابلس يد الحمادية في عكار ورفع عنهم التكاليف ، فطمعوا بهذه المنطقة ذات الثروات الزراعية ، وتصرفوا بها كسائر تصرف الملتزمين في بلاد الشام ،^(٣) فنهبوا بعض قرأها وخرّبوها ، وجمعوا ما يفوق المبالغ القانونية التي اشترط عليهم الولاة تحصيلها بنسبة معينة ، حتى أنهم تمنعوا عن دفع مال الميري المترتب على التزامهم . وفي سنة ١٦٨٤ م عمدوا

(١) الخالدي الصفدي ، الشيخ احمد بن محمد ، لبنان في عهد الأمير فخر الدين المعني الثاني ،

منشورات الجامعة اللبنانية ، بيروت ، ١٩٦٩ م ، ص ٧٨ .

(٢) الدبس ، تاريخ سورية ، م ٧ ، ج ٤ ، ص ١٨٣-١٨٤ .

(٣) رافق ، عبد الكريم ، بلاد الشام من الفتح العثماني إلى حملة نابليون بونابرت ، الطبعة الثانية ،

دمشق ، ١٩٦٨ م ، ص ٦٩ .

إلى قتل بعض مشايخ مزارع عكار وابن اخت والي طرابلس ، ثم سطوا على قلعته^(١). إلا أن تعنت آل حمادة والنتائج السيئة التي عانت منها البلاد نتيجة حروبهم وممارساتهم السلبية ، باعدت فيما بينهم وبين السكان المحليين ،^(٢) ودفعت ببعض الولاة الأقوياء الى محاربتهم وطردهم خارج عكار .

في سنة ١٦٨٥م/١٠٩٧هـ ، انتقل التزام عكار الى عائلات محلية بدأت بالظهور بعد طرد آل حمادة من المنطقة ، وهذا ما يبدو من الأسماء التي بدأت تظهر في وثائق التزام عكار ، ومنهم محمد بيك بن ابراهيم آغا .^(٣)

إن تعدد هذه القوى الناشئة وانتشارها في مختلف ربوع عكار ، أدى الى تقسيمها الى مناطق نفوذ محدودة ، وتعطيل دورها السياسي ، وخلق حالة من الفوضى والتعديت تمثلت في أعمال السلب والنهب .^(٤)

وكان آل دندش قد برزوا في تلك المرحلة كزعماء لأقليم الشعرا الذي كان يتبع عكار . وبموازاة ظهور الدنادشة وتعهدهم منطقة اقليم الشعرا ، بدأ يظهر في عكار نفوذ قوي وجديد ببروز عائلة آل مرعب الذين استمروا في التزام عكار حتى ظهور خط شريف كوخانة سنة ١٨٣٩م

التقسيمات الإدارية لعكار في العهد العثماني؛

من حيث المساحة الجغرافية ، لم تكن الحدود الإدارية لعكار في العهد العثماني مغايرة لما هي عليه الآن . وقد تميزت هذه الناحية بطابعها الريفي نظراً لخلوها من المدن ، وحتى من القرى الكبيرة . وبسبب قربها من مدينة طرابلس ، التي عُرفت بنشاطها التجاري والصناعي ، ارتبطت عكار ادارياً بهذه المدينة .

(١) الدبس ، تاريخ سورية ، ٧م ، ج٤ ، ص ٢٠٥-٢١٢ .

(٢) سجلات المحكمة الشرعية في طرابلس ، السجل الأول ، ص ٦٣ .

(٣) سجلات المحكمة الشرعية في طرابلس ، السجل الثالث ، ص ٧٤ .

(٤) المصدر نفسه ، السجل الخامس ، ص ١٨ .

وكان التزامها يرد في سجلات المحكمة الشرعية تحت اسم «ناحية عكار»^(١) أو «مقاطعة عكار»^(٢) وأحياناً كانت تعرف بـ«مقاطعة ناحية عكار»^(٣)

قسّمت عكار الى إدارات تراوح عددها بين اثنتين أو ثلاث أو أربع ، ضمّت كل واحدة منها عدّة قرى ومزارع قريبة من بعضها ، عرفت كل منها بالعهدّة ، لأنه كان يعهد بإدارة شؤونها وجباية ضرائبها الى ملتزم يتعهد بذلك .^(٤)

وظلّت عكار تتأرجح إدارياً بين توزيع التزامها إلى ناحية واحدة يلتزمها شخص واحد ،^(٥) أو تقسيمها الى عدة عهدات ،^(٦) وذلك اعتباراً من أواخر القرن الثامن عشر إلا أنّ هذه التقسيمات الادارية اقتصرت منذ سنة ١٢٠٨هـ/١٧٩٣م على عهدات ثلاث ، قسّمت عكار بموجبها إلى ثلاثة أقسام ترتبط كل منها مباشرة بوالي طرابلس وهي :

- أ - القيطع : أهم قرى هذه الناحية هي : بينين ، مجدلا ، برقائيل ، بزال ، بقرزلا ، دنبو ، جديدة القيطع ، حرار ، فيندق ، القريات ، مشمش ، قبعيت ، مارتوما ، حميرة علوش ، وبعض المزارع الأخرى .^(٧)
- ب - الجومة ، أهم قراها : حلبا ، عدبل ، الشيخ طابا ، الشيخ محمد ، ايلات ، جبرائيل ، رحبة ، بينو ، قبولا ، بزبينا ، تكريت ، عين يعقوب ، بيت ملات ، عكار العتيقة ، عيات وغيرها .

(١) سجلات المحكمة الشرعية في طرابلس ، السجل الثامن ، الصفحات : ٨-٩٢-٩٣-٩٤-٩٥-٩٦-٩٧-٩٨-١٠٣-٣٢٦ .

(٢) المصدر نفسه ، السجل السابع ، ص ٢ ، والسجل الثامن ، ص ١٧٥ .

(٣) المصدر نفسه ، السجل السابع ، ص ٧ .

(٤) المصدر نفسه ، السجل الرابع عشر ، ص ١٠٠-١٠١ و ص ١٠٤ .

(٥) المصدر نفسه ، السجل ٢٦ ، ص ٨٥ و ص ١٩٥ .

(٦) المصدر نفسه ، السجل ٢٦ ، ص ٢٢٤ و ص ٢٣٠ ، والسجل ٢٧ ، ص ٨٩ و ص ١٩٩ .

(٧) المصدر نفسه ، السجل ٢٧ ، ص ٨٩ ، والسجل ٢٨ ، ص ٥٠ .

ج - الدريب ، أهم قرأها : البيرة ، ديرجنين ، سفينة الدريب ، منجز ، كفرنون ، رمّاح ، شيخلار ، العوينات ، القبيات ، عندقت ، عيدمون ، شدرا وغيرها من المزارع والقرى الصغيرة كالدغلة والباردة .

وفي الفترة الممتدة بين سنة ١٧٩٤م/١٢٠٩ هـ و ١٨٢٠م / ١٢٣٥ هـ ، تأرجحت تبعية عكار الادارية بين ولايات صيدا والشام وطرابلس ، وذلك تبعاً للظروف السياسية في بلاد الشام ، وللخلافات التي نشبت بين أقطاب السياسة في هذه الولايات . ففي عام ١٧٩٤م / ١٢٠٩ هـ ، قام والى صيدا والشام أحمد باشا الجزار بوضع يده على ولاية طرابلس وملحقاتها ، فارتبطت عكار به بواسطة متسلم طرابلس ، بحكم تبعيتها لهذه الولاية .^(١) وفي سنة ١٢٣٥هـ / ١٨٢٠م ، عادت طرابلس لتؤلف ولاية مستقلة ولمدة ثماني سنوات ، ثم عادت مجدداً لتتبع ولاية عكار إلى أن دخل المصريون إلى هذه البلاد سنة ١٨٣١م بقيادة إبراهيم باشا .

وبعد رحيل المصريين عام ١٨٤٠م ، ألغيت ولاية طرابلس وألحقت بولاية صيدا ، لتصبح سنجقاً أحياناً ، ولواءً أحياناً أخرى ، يدير شؤونها القائمقام . أما عكار فأصبحت في هذه المرحلة مقسّمة الى ثلاث مديريات ترتبط بقائمقام طرابلس ، وتعرف الواحدة منها بالمديرية . سنة ١٨٨٨م ، وعلى أثر إقرار ولاية بيروت ، تبعت عكار لهذه الولاية ، وبقيت كذلك حتى نهاية الحرب العالمية الأولى ، ورحيل العثمانيين عن بلاد الشام .

الأوضاع الاقتصادية في عكار في العهد العثماني؛

مع بداية العهد العثماني ، لم يتغيّر الوضع الاقتصادي في عكار كثيراً عما كانت عليه في زمن المماليك ، إذ بقي اقتصاداً ريفياً زراعياً ، يقوم على الرعي وتربية المواشي والزراعات التقليدية . لكن القرن السابع عشر الميلادي ، عرف

(١) سجلات المحكمة الشرعية في طرابلس ، السجل ٢٨ ، ص ٥٢ .

صراعاً حاداً بين القوى المحلية في بلاد الشام نتيجة للإنحلال الذي أصاب القوة العسكرية النظامية المقيمة في مختلف قلاع البلاد العسكرية في أواخر القرن السادس عشر، وأوائل القرن السابع عشر. وقد أثر ذلك سلباً على ولاية طرابلس. فالحروب التي عرفتها عكار في ذلك الوقت، والتي تمثلت بالصراع الحاد بين آل سيفا والمعنيين، أدت إلى خراب كبير في طرابلس وفي بعض أقصيتها، وبخاصة منطقة عكار. (١)

كل ذلك انعكس سلباً على الأوضاع الاقتصادية في عكار، وعلى تحديد شكل البنية السكانية والاجتماعية في المرحلة اللاحقة. فعلى صعيد البنية الاقتصادية، وبسبب القحط الذي أصاب المواسم، وتدني قيمة النقد، ارتفعت الأسعار، ما خلق حالة من التذمر لدى السكان. ثم جاءت حروب الملتزمين وصراعاتهم، لتزيد من إفقار الفلاحين الذين كانوا يعملون في خدمة أسيادهم من وجهاء واقطاعيين، فساءت أحوالهم المعيشية بعد أن ضاقت بهم سبل العيش.

وكانت صراعات الملتزمين بين بعضهم بسبب الطمع وحب السيطرة والتسلط، تتطلب نفقات إضافية، والفلاح هو الضحية في كل ذلك، كونه الحلقة الأضعف في ميزان القوى المتصارعة. فعليه أن ينفذ كل ما يطلب منه، أو يأمر به سيده، دون أي احتجاج. وكان الملتزمون والاقطاعيون يضطرون لفرض ضرائب إضافية لتغطية النفقات وكسب المزيد من الأموال والأرباح. وكثيراً ما كان ذلك يستدعي تدخل الدولة لردعهم ومنعهم من التماذي في ابتزاز الفلاحين وقهرهم، (٢) كما ورد في بيور لدى صادر عن والي طرابلس، «وموجه الى أمين مقاطعة عكار سيفي أغا، لتخفيض عشرة قروش من قيمة الرسوم الأميرية البالغة ثلاثة وثمانون قرشاً وثلث القرش، المفروضة على بساتين السيد

(١) المحاسني، المنازل المحاسنية في الرحلة الطرابلسية، ص ٢٢.

(٢) سجلات المحكمة الشرعية في طرابلس، السجل السادس، ص ١١٨.

عبدالقادر أفندي بركه زاده والكائنة ناحية نهر البارد التابعة لعكار بسبب الخراب التي آلت إليه» (١).

وغالباً ما عمد بعض الملتزمين من آل حماده ، ونتيجة لزيادة قوتهم ونفوذهم عند ولاية طرابلس ، الى استغلال الظروف لزيادة الضرائب على الفلاحين ، ما أدى إلى التدهور الاقتصادي في عكار والاساءة الى الفلاحين والمزارعين (٢).

وبسبب ضعف أو غياب القوة المحلية القادرة على ضبط الأمور ، شاعت الفوضى والتعديات على المزارع والقرى ، وكثرت أعمال سرقة المواشي والسطو على ممتلكات الفلاحين الذين غالباً ما لجأوا الى القضاء الشرعي لرفع شكوايهم . ويستدل على ذلك من كثرة الوثائق في سجلات محكمة طرابلس الشرعية ، والتي يرد فيها أنه يتوجب على الملتزمين تأمين الطرقات وحماية السكان من التعديات ، والحفاظ على الممتلكات والمواشي ، ومنع أعمال السرقة والسلب والسطو وما الى ذلك (٣).

إن ضعف السلطة المحلية أحياناً ، وسياسة الظلم والتعسف التي أتبعته في أحيان أخرى ، أدت الى خراب ودمار الكثير من قرى عكار ، فهجرها أهلها ، فبارت الأراضي وقلّت المحاصيل ، وتعثرت عملية دفع الرسوم والضرائب والجبايات ، ما أثر سلباً على الدورة الاقتصادية في عكار . ومن هذه القرى نذكر : بينين ، جديدة القيطع ، سفينة القيطع ، بزال ، حبشيت ، دنبو ، خريبة الجرد ، الحويش ، نفس عكار (عكار العتيقة حالياً) ، بزبينا ، تكريت ، حدودا ، بيت ملات ، عين يعقوب ، عيآت ، حلبا ، حيدوق ، جبرائيل ، رحبة وقبولاً .

(١) سجلات المحكمة الشرعية في طرابلس ، السجل العاشر ، ص ٢٣٢ .

(٢) تاريخ سورية ، م ٧ ، ج ٤ ، ص ٢٤-٢٥ .

(٣) سجلات المحكمة الشرعية ، السجل العشرون ، ص ٦٣-٦٤ ، وص ١٣٥ ، والسجل ٢١ ، ص ٣١ و

١٣٥ ، والسجل ٢٢ ، ص ١٦ و ص ٣٤ .

وقد ورد في السجلات أن «هذه القرى اضمحلت ونزح غالب أهلها ، وتعطلت أملاكهم ، ولم يبق يتحصّل من مالها إلا القليل» (١).

الزراعة في عكار في العهد العثماني:

كانت ولاية طرابلس في العهد العثماني من أهم ولايات بلاد الشام ، نظراً لموقعها المميز وامتداد ساحلها على مسافة كبيرة من الشاطئ الشرقي للبحر المتوسط . فقد امتدت من لاذقية العرب في سوريا شمالاً ، وحتى جونية في لبنان جنوباً . وبذلك كانت تضم عدداً كبيراً من النواحي الصالحة للرعي والزراعة للذين كانا عصب الاقتصاد في هذه الولاية .

شكّلت عكار إحدى أهم نواحي ولاية طرابلس بسبب اتساع مساحتها ، وكونها تضم سهلاً ساحلياً خصباً ، يشكل نقطة تواصل بين القسمين الشمالي والجنوبي من هذه الولاية . وقد أنعم الله على عكار بطبيعة ريفية خلّابة ، وبتنوع مناخي يتدرج من الساحل الى الهضاب وحتى أعالي القمم ، ما جعلها غنية بجميع انواع الاشجار المثمرة والصناعية ، وتنوّع إنتاجها من الحبوب والخضار ومختلف أنواع المزروعات ، إضافة الى تربية أعداد كبيرة من المواشي كالأبقار والجمال والخيول والأغنام والماعز ، وكذلك النحل والطيور .

كل ذلك دعا العكاريين الى تكريس كل جهودهم ، وبالوسائل المتوفرة لديهم ، لاستغلال أكبر قدر ممكن من أراضيهم الزراعية ، مستفيدين من الثروة المائية المتوفرة في منطقتهم ، والمتمثلة بأربعة أنهر وعدد كبير من العيون والينابيع ، إضافة الى المتساقطات من الأمطار الغزيرة التي تهطل على المنطقة في فصلي الخريف والشتاء ، والى الثلوج التي تغطي قمم جبال عكار ابتداءً من شهر تشرين الثاني من كل سنة ، وحتى بدايات فصل الربيع للسنة التالية . هذه الثلوج هي الخزان الاساسي للينابيع المتفجرة في عكار، وقد استرعى انتباه

(١) سجلات المحكمة الشرعية في طرابلس ، السجل ٢٢ ، ص ٦١ و ٦٢ و ٦٣ .

الرحالة ، الذين مروا في المنطقة ، الثروات الزراعية والنباتات المتنوعة ، والكروم المنتشرة فيها بكثرة على السفوح والهضاب .

عرفت عكار زراعة جميع أنواع الأشجار والنباتات التي تنمو على الساحل الشرقي للبحر المتوسط . وأكثر ما ازدهرت فيها زراعة اشجار التوت والكرمة والتين ، والحبوب كالقمح والشعير الى جانب الكتّان في أواخر القرن الثامن عشر . وعرفت زراعة اشجار الزيتون ازدهاراً الى جانب القطن والتبغ في النصف الثاني من القرن التاسع عشر .^(١) ونشطت في عكار زراعة قصب السكر بخاصة في مناطق السهل الغربية والوسطى ، حيث الظروف المناخية ملائمة لمثل هذه الزراعة . لكن تبقى زراعة التوت والزيتون الأكثر أهمية ، وفي طليعة الزراعات التي عرفت عكار في العهد العثماني .

أهم الزراعات العكارية في العهد العثماني؛

التوت:

اعتبرت شجرة التوت المورد المالي الأهم في عكار في القرون السابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر . كانت زراعتها مخصصة لتربية دود القز ، الذي ينتج الحرير الطبيعي الغالي الثمن ، والمرغوب جداً في الأسواق الأوروبية . وكان اعتماد المزارعين في الدرجة الأولى على إنتاج الحرير ، لتسديد الأموال الأميرية المترتبة عليهم ، بموجب نظام الالتزام . وهذا ما يرد في مجمل وثائق الالتزام المدونة في سجلات محكمة طرابلس الشرعية ، اعتباراً من سنة ١٠٧٧هـ / ١٦٦٦م . إذ أن هذه الوثائق تذكر أن ثلثي الرسوم المفروضة على المنطقة بموجب عقد الالتزام كانت تدفع في موسم استخراج الحرير «حين قيام ميزان الحرير» ، والثلث الباقي في

(١) روبنسن ، ادوار ، مباحث توراتية عن فلسطين والأقاليم المجاورة ، فصول مختارة ترجمها أسعد

شيخاني بعنوان «مباحث أجنبية في تاريخ لبنان ، يوميات في لبنان ، منشورات وزارة التربية ، الطبعة

الأولى ، ٢م ، بيروت ، ١٩٥٢م ، ص ١٦٥ .

موسم قطف الزيتون ، في القرى التي تزدهر فيها هذه الأشجار .^(١)
 مرّت زراعة شجرة التوت في عكار بمراحل من التقدم والتقهر . ازدهرت في القرن السابع عشر ، في زمن الإمارة المعنية ، بخاصة في عهد الأمير فخر الدين الثاني ، الذي عمل على تشجيع زراعة التوت ، لما وجد فيها من أهمية تجارية بين أمارته وبعض الدول الأوروبية كفرنسا وأسبانيا والبرتغال والامارات الايطالية . فكانت هذه التجارة مربحة للغاية وتدرّ أموالاً طائلة على الإمارة اللبنانية ، أرخت بظلالها على الرخاء الذي عرفه سكان لبنان في تلك الفترة . ومن الأعمال التي قام بها الأمير فخر الدين لتشجيع هذه الزراعة ، أنه أمر بغرس بستان من التوت في سهل عكار . «ففي سنة ١٠٣٧ هـ / ١٦٢٧ م تولى فخر الدين إيالة طرابلس ، وعمّر القليعات في أرض جون طرابلس (المقصود هنا سهل عكار) ، ونصب في مغراقها أربعة عشر الف نصبة توت ، ونصب أيضاً بستاناً أكبر من ذلك في أرض الحبيصة» .^(٢)

وذكر المحاسني أيضاً زراعة التوت في عكار ، وقد شاهدها عن بُعد أثناء مروره في المنطقة سنة ١٦٣٨ م ، وقال أنها مزروعة صفّاً مستويّاً محكماً غاية الاحكام . لكنه قدّر عددها بإثنتي عشر الف نصبة ، استناداً الى إحدى الروايات ، وليس على أساس معاينة العدد عن قرب .^(٣)
 وتشير المصادر المتوفرة الى أن آل سيف كانوا يجبرون السكان على زراعة التوت .^(٤) ولا زال كبار السن في عكار يطلقون على كل شجرة توت ضخمة

(١) سجلات المحكمة الشرعية في طرابلس ، السجل الثاني ، ص ٢ ، وص ٦٢ .

(٢) الدويهي ، تاريخ الأزمنة ، ص ٤٩٦ .

(٣) المحاسني ، المنازل المحاسنية ، ص ٥٧-٥٨ .

(٤) سلوم ، فؤاد ، عكار ١٨٥٠-١٩٥٠ م ، دراسة في التاريخ الاجتماعي ، الطبعة الأولى ، نشر خاص ،

بيروت ، ٢٠٠٠ م ، ص ١٩٢ ، نقلاً عن أوراق الخوراسقف يوحنا الزريبي ، دفتر تثبيت رعية مرتورة -

القببات ، ص ٢٨٣ .

وقد يمة العهد «توتة سيفلية» . ومع أن شجرة التوت لا تعمّر أكثر من ٨٠-١٠٠ سنة ، وتبلغ أوج عطائها في العشرين من عمرها ،^(١) فهي «تقرر» أي يتآكل داخلها ، فتقطع وينبت على أصلها فروع برّية تطعم بأجناس محسّنة ، بما جعل عدداً من الناس يمتنون التطعيم كمصدر رزق يعتمدون عليه في معيشتهم .

وتناسب زراعة أشجار التوت الأراضي المروية والبعليّة على حد سواء . وأراضي عكار تلائم الى حد كبير هذه الزراعة ، وأفضله ما يزرع على التلال والجبال في أراضٍ بعليّة خفيفة ، وعلى ارتفاع يصل إلى ١٨٠٠ متر ، وفي مناخ تحافظ الحرارة فيه على معدل فوق ١٢ درجة مئوية مدة ثلاثة أشهر .^(٢) ويعتمد التوت في ربه على أمطار الشتاء في الموسم الأول ، أي في الربيع ، لأن المطر يكفيه مؤونة ذلك . أمّا في الموسم الثاني أي «التشريني» ، فيستعمل ورقه علفاً للحيوانات ، بعد أن تصيبه أمطار الخريف . زرع التوت في كل قرى عكار . والنوع المعتمد هو التوت اللبناني ذا الثمر الأبيض ، والمعروف بمقاومته للأمراض .^(٣) أما التوت الأسود المعروف محلياً باسم «التوت الشامي» ، فنادر ما كان يزرع إلاّ رغبة في ثمره الذي يستخرج منه شراب التوت ، وهو على كل حال لا يصلح لتربية دود الحرير ، لقساوة اوراقه وجفافها . ولا تزال زراعته رائجة حتى اليوم للإستفادة من ثمره . أما البرّي فيترك منه بضع شجرات ليستغل ورقه الطري في إطعام اليرقات .^(٤)

في الاحصاء الذي أجرته السلطنة العثمانية في ولاية طرابلس سنة ١٥٧١م ، كانت عكار موزعة بين ناحيتين هما : ناحية عرقة وناحية عكار . وقد

(١) شهاب ، الأمير موريس ، دور لبنان في تاريخ الحرير ، منشورات الجامعة اللبنانية ، قسم الدراسات

التاريخية ، بيروت ، ١٩٦٨م ، ص ٢٦

(٢) شهاب ، دور لبنان في تاريخ الحرير ، ص ٢٥ .

(٣) المرجع نفسه ، ص ٣٦ .

(٤) فؤاد سلوم ، عكار ، ص ١٩٣ .

بلغت قيمة الرسوم التي فرضت على دواليب الحرير في هذه الناحية ٢٨٥٠ أقيجة ، بمعدل ٣٠ أقيجة عن كل دولا ب . أما الرسوم عن أشجار التوت ، فكانت أقيجة واحدة عن كل شجرتين . لكن ذلك كان يختلف بين منطقة وأخرى بحسب حجم الشجرة وخصوبتها . ففي بعض المناطق ، كانت الضريبة بمعدل اقيجة واحدة عن كل أربع شجرات ، كما حدث ذلك في لواء عجلون في فلسطين ، وفي ناحية مرج بني عامر وتوابعها^(١) . وقد بلغ عدد دواليب الحرير في قرى ومزارع ناحيتي عرقة وعكار ١٨٠ دولا باً ، منها ٨٧ دولا باً في عرقة و٩٣ دولا باً في عكار .^(٢) أما قيمة الرسوم فكانت ٢٨٥٠ أقيجة عن عرقة و ٢٧٩٠ أقيجة عن عكار . وهذا ما يظهره الجدول الآتي :

دواليب الحرير في ناحية عرقة سنة ١٥٧١م .^(٣)

(١) خليفة ، عصام ، الضرائب العثمانية في القرن السادس عشر ، حقوق النشر محفوظة للمؤلف ، بيروت ، ٢٠٠٠م ، ص ٤٩ ، نقلاً عن محمد عدنان البخيت ونوفان رجا الحمود ، دفتر مفصل ناحية بني عامر وتوابعها ولواحقها سنة ٩٤٥هـ/١٥٣٨م ؛ منشورات الجامعة الأردنية ، عمان ، ١٩٨٩م ، ص ٧ .

(٢) خليفة ، الضرائب العثمانية ، ص ١٦٧-١٦٨ ، نقلاً عن سجلات الطابو دفتري في اسطنبول ، الدفتر ٥١٣ ، ص ٩٣ .

(٣) الأحمر ، نافذ ، عرقة مدينة عكار التاريخية ، حقوق النشر محفوظة للمؤلف ، بيروت ، ٢٠٠٠م ، ص ١٤٦-١٤٧ ، نقلاً عن عصام خليفة ، الضرائب العثمانية ، ص ١٦٧ ، بتصرف لناحية اعتماد الترابية في عدد الدواليب وكمية الضرائب ، وتصحيح بعض اسماء القرى الواردة خطأ في المرجع المذكور وهي : سفينة السفلى بدلاً من شعنية السفلى ، وجنين بدلاً من حنين ، ومشحا بدلاً من فشحا ، وسعدين بدلاً من سادين .

الزراعة في عكا في العهد العثماني وأهميتها الاقتصادية

القرية المزرعة	قيمة الضرائب بالأقجة	العدد	القرية أو المزرعة	قيمة الضرائب بالأقجة	العدد
نفس عرقا	٣٠٠	١٠	كوشة	٦٠	٢
مزرعة ريحانية	٢٧٠	٩	دبابية الشرقية	٦٠	٢
نورا	٢١٠	٧	سعدين	٦٠	٢
دير جنين	١٢٠	٤	كفر سبعل	٣٠	١
برقايل	١٢٠	٤	سغينة السفلى	٣٠	١
حلبا	١٢٠	٤	دنبو	٣٠	١
مزرعة خربة حلبا	٩٠	٣	خربة شار	٣٠	١
قرنة مشمش	٩٠	٣	جنينة توما	٣٠	١
بيرة الجون	٩٠	٣	كفر حره	٣٠	١
اعمار	٩٠	٣	جيبا	٣٠	١
شان	٩٠	٣	رماح	٣٠	١
خربة اللوز	٦٠	٢	مشحا	٣٠	١
نهر افليس	٦٠	٢	شمرا	٣٠	١
طبو	٦٠	٢	كفر	٣٠	١
حميرة برقايل	٦٠	٢	فسيقين الفوقا	٣٠	١
جنين	٦٠	٢	سمونية	٣٠	١
كفر ملكا	٦٠	٢	المجموع	٢٨٥٠	٨٧

دواليب الحرير في ناحية عكار سنة ١٥٧١ م. (١)

العدد	قيمة الضرائب بالأقجة	القرية أو المزرعة	العدد	قيمة الضرائب بالأقجة	القرية المزرعة
٢	٦٠	بيت ملات	٢٠	٦٠٠	رحبة
٢	٦٠	قريات الغربية	١٥	٤٥٠	نفس عكار
٢	٦٠	قريات الشرقية	٨	٢٤٠	بزبينا
١	٦٠	أحرار (حرار)	٥	١٥٠	سهول السفلى
١	٣٠	ضبعة	٥	١٥٠	بينو
١	٣٠	حدودا	٥	١٥٠	عين باقون
١	٣٠	قريات	٤	١٢٠	مشمش
١	٣٠	تاشح الغربية	٣	٩٠	قبيات
١	٣٠	زبوت	٣	٩٠	حوشب
٩	٢٧٩٠	المجموع	٣	٩٠	المزرعة
			٣	٩٠	دميت
			٣	٩٠	اصلان
			٢	٦٠	عيدمون
			٢	٦٠	عباد النصارى

(١) الأحمر، نافذ، عرقة، ص ١٤٨ و ١٤٩، نقلاً عن عصام خليفة، ص ١٥٦، الضرائب العثمانية،

مع اعتماد التراتبية في عدد الدواليب وفي قيمة الرسوم.

تظهر الوثائق أن ناحيتي عرقة وعكار مثلتا المركز الأول بين نواحي لبنان الشمالي في قيمة الرسوم، وفي عدد الدواليب الحرير سنة ١٥٧١م، وهذا ما يظهره الجدول التالي:

الناحية	عدد الدواليب	النسبة المئوية	قيمة الضرائب بالأقجة	النسبة المئوية
عكار	٩٣	٢٠,٣	٢٨٥٠	٢٠,٤
عرقا	٨٧	١٩,٠٧	٢٧٩٠	٢٠,٠٤
بترون	٥٦	١٢,٢	١٦٨٠	١٢,٠٦
زاوية	٥٥	١٢,٠٦	١٦٥٠	١١,٨
طرابلس	٤٠	٨,٧	١٢٠٠	٨,٦
بشراي	٣٠	٦,٥	٩٠٠	٦,٤
جبيل	٢٩	٦,٣	٨٧٠	٦,٢٥
ظنية	٢٦	٥,٧	٧٨٠	٥,٦
كوراوانفه	٢٣	٥,٠٤	٦٩٠	٤,٩
فتوح بني رحال	١٢	٢,٦	٣٦٠	٢,٥
منيطرة	٥	١,٠٩	١٥٠	١,٠٧
المجموع	٤٥٦		١٣٩٢٠	

الزيتون:

إن زراعة الزيتون في عكار قديمة العهد، ويدل على ذلك عشرات المعاصر من الاسطوانات الحجرية الضخمة، والأجران والدواليب المنتشرة على الهضاب وفي الوديان، وبين خرائب المزارع والأديرة.

ازدهرت زراعة الزيتون في عكار في العهد العثماني، بنخاصة في عهد الامارة المعنية، ولا يزال المزارعون حتى اليوم يطلقون على بعض الاشجار تسمية

«زيتونة معنية» للدلالة على قدمها . فقد شجّع الأمير فخر الدين المعني الثاني هذه الزراعة ، نظراً لأهمية الزيت كسلعة تموينية أساسية لدى العائلات اللبنانية . كما أن ثمار الزيتون ، من أخضر وأسود ، هي مادة استهلاكية وغذائية هامة لدى المزارعين . ولا بد من ذكر المثل الشهير الذي يجسد أهمية هذه الثمار في المائدة اللبنانية ، فيقال «الزيتون شيخ السفرة» .

ولا تقتصر فائدة الزيتون بما ينتجه من زيت وثمار للتموين ، بل تكمن أهميته أيضاً كزراعة صناعية ، إذ يصنّع منه الصابون البلدي الذي كان يشكل مادة تجارية مربحة ضمن قائمة الصادرات اللبنانية الى أوروبا ، ومصدراً من مصادر الدخل في العهد العثماني .

احتلت زراعة الزيتون المرتبة الثانية بعد التوت في ناحية عكار ، بخاصة في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر . وأول وثيقة في سجلات المحكمة الشرعية في طرابلس يظهر فيها اعتماد المزارع العكاري والملتزم على الزيتون ، تعود الى سنة ١٦٦٧م/١٠٧٨هـ ،^(١) حيث أن الأموال الأميرية المستوفاة عن الالتزام كانت تجبى بمعدل ثلاثة ارباعها في موسم الحرير ، والربع الأخير في موسم الزيت . وهذا ما يظهر في الكثير من وثائق التزام عكار . لكن زراعة الزيتون شكلت ربع المساحة المشجرة ، واقتصرت على بعض قرى عكار في مناطق القيطع والجومة والدريب ، لا سيما في منطقة القيطع حيث انتشرت اشجار الزيتون بكثرة في قرى ببنين وبرقايل ومجدلا والحميرة وجديدة القيطع وبقرزلا والحاكور . ومع ذلك نرى أن هذه الزراعة طالت بعض المناطق التي تعرف اليوم بجزر عكار ، ومنها قرنة مشمش وغيرها ، التي يتعدى ارتفاعها الألف متر . ولا يستبعد ذلك كون شجرة الزيتون هي من الاشجار المقاومة ، التي تتحمل البرد والصقيع والثلج ، لكنها تنمو وتنتج بشكل افضل في المناطق المتوسطة الارتفاع والأقرب

(١) سجلات المحكمة الشرعية في طرابلس ، السجل الثاني ، ص ٥٢ .

الى الساحل^(١). وفي قرى جديدة القسيط والشيخ طابا وعدبل في منطقة الجومة ، وفي بعض المواقع الأخرى حيث الأرض والطبيعة يسمحان بذلك . وتجدر الإشارة الى أن الحقول التي تناسب زراعة الزيتون هي تلك التي تقع من ارتفاع ٨٠٠ متر وما دون .

وتتطلب زراعة الزيتون جهداً خاصاً وعناية وخبرة ، إذ يعتمد المزارعون على تجويد أنواعه وتحسينها للحصول على أكبر كمية ممكنة من الزيت الذي ينتجه ، وذلك عن طريق التطعيم بأنواع أكثر جودة ، مع أن تكثير زراعته سهل ، وهو يتم بفصل الفسائل النابتة على اصول الشجرة ، والتي تنبت بكثافة ، فتنقل الى مكان الغرس وتطعم ، إذا دعت الحاجة ، بالنوع الذي يريده صاحبه .

إبان الحكم المصري ، وبعد عام ١٨٣٠م ، ازدهرت زراعة الزيتون في عكار ، حيث عمد محمد علي باشا على تشجيع زراعته ، مما دفع الدولة العثمانية الى الاهتمام بهذه الزراعة ، والحث على الاكثار منها . وقد أصدرت عام ١٨٦٢ نظاماً خاصاً يقضي بإعفاء أغراس الزيتون المزروعة حديثاً ، من دفع ضريبة العشر ، ولمدة ثلاث سنوات ، اعتباراً من بدء الانتاج^(٢) .

وذكر التميمي وبهجت أن عدد أشجار الزيتون في عكار قد بلغ سنة ١٩١٧م ، سبعين الف شجرة ، كانت تنتج ثلاثة ملايين وخمسمئة أقة^(٣) من

(١) الأحمر ، عرقة ، ص ١٣٢ .

(٢) عوض ، عبد العزيز ، الإدارة العثمانية في ولاية سوريا (١٨٦٤-١٩١٤م) ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٦٩م ، ص ٢٤١ .

(٣) الأوقة : وزن عثماني يساوي ١٢٨٢ غراماً حسب اندريه لاترون ،

André Latron, *La vie rurale en Syrie et au Liban, étude d'économie sociale*. Beirut,

1936, p. 256.

الزيت (١) وقد انتشرت معاصر الزيتون في مختلف قرى ناحية عكار . ويبين الجدول الآتي أماكن إنتاج زيت الزيتون في القرى والمزارع العكارية ، وقيمة الضرائب عليها سنة ١٥٧١ م. (٢)

عدد القلل بالأقجة	قيمة الضريبة	القرية أو المزرعة	عدد القلل (٣)	قيمة الضريبة بالأقجة	القرية أو المزرعة
٤٠٠	٢٤٠٠	جديدة برقايل	-	٣٠٠٠	مجدلا
غير مذكور	٣٢٠٠	مزرعة	٧٠	٤٢٠٠	حميرة برقايل
غير مذكور	١٠٠٠	مزرعة شريتح	١٢٠	٧٢٠٠	برقايل
غير مذكور	٤٠٠٠	مزرعة رمضانبة	٧٠	٤٢٠٠	قرنة مشمش
غير مذكور	٩٠٠٠	مزرعة مشتى	٢٠٠٠	٢٠٠٠٠	بنين (مع رسوم اخرى)
غير مذكور	٣٠٠٠	مزرعة فاروق	١٠	٦٠٠	كفر (كفرالفتوح)
غير مذكور	٢٢٠٠	مزرعة مريودا	٥	٣٠٠	كوشة
٥٠٠	٣٠٠٠٠	نفس عرقا	-	٣٢٠٠	مزرعة برنيط
١٠	٦٠٠	سفينة	-	٤٠٠٠	مزرعة دير كفرة
٢٠	١٢٠٠	ابزال	-	٤٥٠٠	مزرعة عودين
-	٢٠٠	مزرعة حاصورة السفلى	-	٣٠٠٠	مزرعة جبرائيل

(١) التميمي ، رفيق ومحمد بهجت ، ولاية بيروت ، جزءان ، دار لحد خاطر ، ج٢ ، بيروت ، ١٩٧٩ ، ص

(٢) الأحمر ، عرق ، ص ١٣٣-١٣٤ ، نقلاً عن عصام خليفة ، الضرائب العثمانية ، ص ٨٤ .

(٣) القلة تساوي تنكتين زيت حالياً او ما يعادل ٣٤ ليترأ في ذلك الوقت في عكار .

حلبا	٦٠٠٠	١٠٠	قبيات	١٢٠٠	٢٠
مزرعة مشقية	٥٠٠	-	تاشع	-	-

فيكون مجموع الضرائب : ١٤٠٣٠٠ أقة

مجموع الانتاج : ١٣٢٥ قلة

يظهر من الجدول أن قرية «نفس عرقة» احتلت المرتبة الأولى في انتاج الزيت ، نظراً لموقعها الملائم ولاتساع مساحة الأراضي التابعة لها . وبالمقارنة مع النواحي التي كانت تتبع لولاية طرابلس في لبنان ، يتبين أن عكار ، بما فيها عرقة ، احتلت المرتبة الرابعة في انتاج الزيت ، واتي تصنيفها بعد كل من كورا وانفه ، والزاوية والبترون . ويتضح ذلك من الجدول التالي (١).

الناحية	كمية الزيت بالقلّة	النسبة المئوية
كورا وانفه	٨٨٠٢	٤٣,٤
زاوية	٦٥٢٨	٣٢,٢
بترون	٢٦٠٣	١٠,١
عرقة + عكار	١٣٢٥	٦,٤٩
بشراي	٧٩٥	٣,٩
جبيل	٥٣٦	٢,٦
ظنية	١٩٠	٠,٩
فتوح بني رحال	٥	٠,٠٢

(١) الأحمر ، عرقة ، ص ١٣٥ ، نقلاً عن عصام خليفة ، الضرائب العثمانية ، ص ٧١ .

الكرمة:

إلى جانب التوت والزيتون ، عرفت عكار في العهد العثماني زراعة الاشجار المثمرة ، بخاصة الكرمة ، التي هي قديمة العهد في تلك المنطقة . والدليل على ذلك وجود آثار معاصر العنب والجرار الضخمة والخوابي في بقايا الهياكل القديمة ، التي تعود الى العصر الروماني ، ما يعني الاكثار من زراعة الكرمة ، حيث أن مناخ عكار وتربتها يصلحان لمثل هذه الزراعة ، وهذا يحتم وجود الكثير من المعاصر في هذه الناحية . فشجرة الكرمة ، كريمة في العطاء ، وافرة الانتاج ، وبالتالي لا يمكن للسكان استهلاك كل المحاصيل المنتجة في موسم القطف ، فيعمدون الى تحويل الفائض الى أنواع من الخمور الفاخرة كالعرق والنبيد ، والى خلّ وزبيب وملبن ودبس . وقد استشهد غليوم الصوري بخمرة عرقة الطيبة .^(١)

لكن هذه الزراعة لم تكن مزدهرة في العهد العثماني ، بل اقتصر وجودها في بعض البساتين الى جانب الاشجار الاخرى ، ولم يكن في عكار في ذلك الوقت كروم مخصصة لزراعة الكرمة بشكل مستقل . وأنواع العنب في عكار كثيرة ، ومن أصنافه القديمة المخصصة للأكل نذكر الجوزاني الذي يتميز بعناقيده ذات الثمار الكبيرة الحجم ، والسويدي والقرقاشي بشماره القاسية ، والشتيوي والسيقلي ، ومنها ما يختص بصناعة العرق والنبيد كالبخوري والمرواحي والحامي والحمصي .^(٢) وقد أدخل الافرنج الذين قدموا من أواسط فرنسا صنفاً جيداً مقاوماً للصقيع والحشرات يسمى «الخلبوتي» .^(٣) وهذا العنب يبقى على عرائشه حتى عيد ميلاد السيد المسيح في الخامس والعشرين من كانون الأول كل سنة ، ويزداد جودة وحلاوة طالما هو على أمه . وأكثر ما يصلح هذا النوع

(١) روجي جميل ، لبنان الدليل الأخضر ، المكتبة العمومية ، بيروت ، ١٩٤٨م ، ص ٢٢٠ .

(٢) سلوم ، عكار ، ص ١٩٧ .

(٣) الشدياق ، القاضي انطوان ، القاضي والمدينة ، محاضرة في تاريخ حدشيت ، طبع استراليا ، ١٩٨٧م ،

لصناعة النبيذ . وتختص بزراعته منطقة القبيات في عكار ، ومنطقة حدشيت في جبة بشري . وفي منتصف القرن التاسع عشر ، ادخل الرهبان الكرمليون صنفاً من ايطاليا اسمه «موكاستو» (Mocasto) ، زرعوا منه كروماً في اوقاف ديرهم في القبيات ، وهو بلونين اصفر وأسود ، وخصصوه لصناعة النبيذ الذي اشتهروا باستخراجه وبيعه . (١)

تجدد الاشارة أنه تم إحصاء ١٤٤ معصرة عنب في عكار ، بما في ذلك عرقة ، سنة ١٥٧١ م . لكن يرجح أن عدد المعاصر يفوق ذلك بكثير ، إذ أن الاحصاء لم يكن بالدقة التامة ليشمل جميع القرى والمزارع ، بخاصة وأن هذه المعاصر لم تكن كلها ضمن التجمعات السكنية ، بل انتشرت احياناً في اماكن بعيدة عن القرى ، تهرباً من دفع الضرائب عنها . وكانت الضريبة عن كل معصرة تبلغ ١٢ أقة سنوياً ، فيكون مجموع ما يدفع ١٧٣٤ قرشاً سنوياً . وقد انتشرت المعاصر في غالبية قرى ومزارع عكار وتم إحصاؤها في ٥٢ قرية ومزرعة . (٢)

التين:

من الثمار التي اشتهرت بها عكار منذ القديم التين . وقد لاقت زراعة أشجاره ازدهاراً ملحوظاً نظراً للطبيعة المناسبة ، والمناخ الملائم ، بخاصة في مناطق الوسط ، وفي الوديان . والتين لا يستغل بكروم خاصة به ، بل على أطراف الحقول ، كما في المناطق التي تكثر فيها الصخور ونباتات العليق . ولم يكن التين يعتمد كثمر وحسب في القرى الفقيرة ، بل اعتمد كغذاء يؤكل طازجاً ، مع الخبز عند الصباح فيغني عن الافطار . لكن الأهمية تكمن في «سطحه» وتجفيفه كمؤونة للشتاء . وكان يسطح على أطباق دود الحرير ، أو على «البلان» و«الوزال» الذي يوضع على سطوح المنازل ، ويترك حتى يجف .

(١) سلوم ، عكار ، ص ١٩٧ .

(٢) نافذ الأحمر ، عرقة ، ص ١٤٢ - ١٤٥ .

وعند الانتهاء من التجفيف في أواخر شهر ايلول ، يجمع للتهبيل (الهبلّة : أي البخار) وهي عملية تتمّ بوضعه في جرّة فخارية ، مقطوع اسفلها ، تعباً بالتين المجفّف ، وتسد الفتحة السفلى بنبات الشومر ، وفمها

بخرق الأقمشة ، ثم توضع الجرّة على فوهة قدر نحاسي مملوء بالماء ، وتضرم تحته النار . يغلي الماء ويتبخّر ، فيدخل البخار عبر الشومر العطر الى التين اليابس فيطبّخه . بعد طبّخه يوضع مباشرة في «اللكن»^(١) ، ويدقّ بمدقة خشبية كبيرة حتى يتحوّل الى عجّين ، وتصنع منه أصناف الحلواني مؤونة للشتاء ، ومن ذلك : التين بالسكر ، التين بالجوز واللوز أو الفستق ، والتين بالدبس ، أو «هبابيل» ويستهلك خلال فصل الشتاء .

هناك عدّة أنواع من التين منها : السويدي والعدلوني والبقراتي والبياضي والشتيوي ، والكعبيي وثمر القنديل والحليوي والقرعاني ، والرملبي الذي ينضج قبل بقية الأجناس بحوالي الاسبوعين . كما هناك صنف يقال له «القزي» ، ينضج قبل غيره بحوالي الشهر ، ويتميز بثمرته الكبيرة والشهية . والجدير بالذكر أن التين ينضج في الأراضي البعلية الخفيفة ، التي لا تتعرض كثيراً للرطوبة .

التفاح:

لم يكن التفاح من الاشجار المثمرة التي تزرع في عكار ضمن حقول مستقلة في العهد العثماني ، بل كان يزرع الى جانب أشجار مثمرة أخرى ، وفي الأراضي المروية . ولم يدخل في نطاق التجارة إلاّ ضمن حيز قليل . اشهر أصنافه في ذلك العهد ، السكري والطرابلسي والمغازلي والأبوريحة بلونه الأحمر . ولم تعرف عكار الاصناف الحديثة إلاّ خلال الانتداب الفرنسي على لبنان . أكثر ما اشتهرت زراعة التفاح في المناطق الوسطى وبشكل خاص قرب الينابيع ومجاري الانهر في قرى رحبة وبزبينا وبيت ملات وجبرايل وبينو وقبولا

(١) اللكن : هو حوض نحاسي مستدير الشكل عادة .

وايلات في ناحية الجومة . وفي بقرزلا ومشيلحة الحاكور في ناحية القيطع وفي بعض قرى الدريب .

الرخوخ:

زرعت اشجار الرخوخ في عكار في العهد العثماني ، وعرف منها «القراصيا» التي كانت تزرع على أطراف الحقول وتشكل سياجاً للأراضي المشجرة بالتوت . وهي صغيرة الثمرة ، لذيدة المذاق . ومن الأصناف القديمة نذكر «القرزاي» والأبوريحة ذا الثمرة الكبيرة واللون الأحمر الغامق ، والرخوخ الابيض البلدي ، و«الأبوزكرة» والكباشي . والرخوخ هو من الاشجار الكريمة بالثمر ، يستهلك محلياً ، والفائض يسوّق في طرابلس .

المشمش:

عرفت عكار زراعة المشمش بكثرة في العهد العثماني ، بخاصة في مناطق الجرد والوسط . وهو يعيش في الأراضي البعلية ، كما في الأراضي المروية الى جانب اشجار مثمرة أخرى كالأجاص والرخوخ والجنارك . أما أنواعه المعروفة في العهد العثماني فتتمثل في الاصناف البلدية و«الام حسين» و«العجمي» والدغماشبي .

الرمّان:

شملت زراعة الرمان مختلف المناطق العكارية . ومن أصنافه : الشامي الحلو ، واللفاني المائل الى الحموضة ، والسّماقي والبرادي الذي يصنع منه دبس الرمان . كانت زراعته تقوم على أطراف البساتين المشجرة بالتوت وفي «الحفافي» التي تفصل بين الجلول . والرمان يعيش في الاراضي البعلية ، لكنه يعطي إنتاجاً أكثر في الأراضي المروية .

كذلك انتشرت في عكار اشجار مثمرة أخرى كالجوز واللوز والخرنوب . فالجوز ينمو بكثرة على مجاري المياه والينابيع ، ويعطي غللاً وفيرة . وهو أكثر

انتشاراً في المناطق المرتفعة ، منها في منطقة السهل .

اللوز:

واللوز هو من الزراعات القديمة جداً في عكار . ولا تخلو قرية من زراعته في مناطق السهل والوسط ، لكنه لا ينجح في المناطق الجردية المرتفعة . واللوز في الحقبة العثمانية ، كان من الاصناف الفاسية «الشاكوشي» التي لا تكسر إلا بالحجارة او بالشاكوش . وهو من الاشجار البعلية . وقد تركزت زراعته حول البيوت وعلى أطراف الحقول المشجرة بالتوت أو الزيتون . لكن لم تكن له أراضٍ مخصصة لزراعته دون سواه ، كما هو الحال حالياً في قرى عكارية كثيرة .

وقد عرفت بعض القرى العكارية في وسط الجومة والقيطع زراعة الخرنوب ويصنّع منه «دبس الخرنوب» اللذيذ المذاق وله فوائد صحية . كما زرع الليمون في الاراضي المروية ، لكن بشكل قليل جداً ، ومن الاصناف القديمة المسكي والبلدي والحامض والمغربي واليافاوي والافندي .

التبغ (الدخان):

شتلة اميركية المنشأ حملها معهم المكتشفون الأوائل من العالم الجديد . ولم تعرف السلطنة العثمانية زراعة التبغ وتدخينه إلا في اوائل القرن السابع عشر ، لأنه كان من المواد المحظورة في العالم الاسلامي . ثم دخلت عادة تدخينه شيئاً فشيئاً الى انحاء السلطنة رغم الحظر عليه . وما إن انتهى ذلك القرن حتى انتشرت زراعته بكثرة . وفي الخمسينات من القرن التاسع عشر ، أصبحت الدولة العثمانية من أكبر مصدري التبغ في العالم . وزاد في الطلب على التبغ التركي ، نشوب الحرب الأهلية الأميركية .⁽¹⁾

(1) عيسوي ، شارل ، التاريخ الاقتصادي للشرق الأوسط وشمال افريقيا ، ترجمة سعد رحمي ، دار

الحدائثة ، الطبعة الأولى ، بيروت ، ١٩٨٥م ، ص ١٣٩ .

ونتيجة للتسوية المالية مع دائئها الأوروبيين ، اضطرت السلطنة العثمانية إعطاء حق احتكار التبغ والاشراف على زراعته الى «كونسورثيوم أوروبي» (بعض المؤسسات المالية الكبرى لتمويل زراعة التبغ التركي واحتكار محصوله) سمي «ريجبي دي تاباك» (Regie de Tabac) ، فأصبح التبغ التركي سلعة التصدير الاساسية في الامبراطورية .^(١)

دخلت زراعة التبغ الى عكار ، ونشطت في القرى ، بخاصة أنه ينمو في الأراضي البعلية . ولم تكن زراعته محدّدة بمساحات معينة لأن الحكومة العثمانية تركت زراعة التبغ حرّة ، ثم فرضت الضرائب على بيع المحصول . وأقيمت دائرة خاصة تابعة لمجلس الادارة في قضاء عكار ، تراقب الاتجار به بواسطة مأمورين «قولجي الرثري» ، وهم يستوفون الضريبة عيناً . لكنهم روعوا الأهالي ، وجعلوا كل غريب ذو سحنة تركية ، إذا دخل القرية ، يثير الريبة والذعر ، لشدة استبدادهم وقساوتهم .^(٢)

ومن أنواع التبغ الذي زرع في عكار نذكر : الطرابزون (نسبة الى منطقة طرابزون على شواطئ البحر الأسود في تركيا) ، شك البنات ، البافرا ، حسن كيف ، سعدي واحد وسعدي اثنين . ثم انتقل من بلاد العلويين الى عكار الدخان الأسود اللون المسمى «ابو ريحة» . ومنذ السبعينات من القرن التاسع عشر ، اصبحت ترد في الوثائق اسماء المواقع المنعوتة بزراعة التبغ ، مثل تعبير «مقصل دخان» أو «مقصل توتن» .^(٣)

ومع تقدم الزمن ، أخذت زراعة التبغ تأخذ مكان زراعة التوت ، بعد أن خفّ الاهتمام باستخراج الحرير . وأصبح على المزارع وجوب الاستحصال على رخصة من الدولة تحدّد له المساحة التي يحق له أن يزرعها ، واذا تعدّت المسموح

(١) عيسوي ، شارل ، التاريخ الاقتصادي ، ص ٢٢٣ .

(٢) التميمي وبهجت ، ولاية بيروت ، الجزء الثاني ، ص ٢٩٤ .

(٣) سلوم ، عكار ، ص ٢٠٢ ، نقلاً عن أوراق الخوري بولس صعب ، وثيقة رقم ١ .

به ، تتلف شتلات التبغ من قبل قوى الأمن . وظلت زراعة التبغ رائجة في عكار حتى اواخر السبعينات من القرن العشرين ، ثم بدأت تتراجع لتحلّ مكانها زراعة التبناك العجمي وبشكل خاص في سهل عكار ، وبقيت زراعة التبغ محصورة ببعض القرى ، لكن بمساحات قليلة ، وللاستهلاك المحلي .

القطن:

ازدهرت زراعة القطن في عكار منذ أواسط القرن التاسع عشر ، وازداد التوسع في زراعته مع نشوب الحرب الأهلية الاميركية ، فامتدت زراعته الى مختلف القرى العكارية . غير أنه أصيب بنكسة بعد تلك الحرب ، لكنه عاد الى الازدهار في الربع الأخير من القرن التاسع عشر (١) . انتشرت زراعة القطن بشكل خاص في سهل عكار ، إذ كانت عائلات كثيرة تعتاش من زراعته والمتاجرة به ، ما دفع اعضاء من الجالية الأوروبية ، والفرنسية منها بشكل خاص ، على الاهتمام وتشجيع هذه الزراعة ، (٢) التي تتطلب مساحات كبيرة وواسعة ، لذلك احجم صغار الملاكين عن زراعته ، واقتصر ذلك على اصحاب المساحات الزراعية الكبرى .

ومع ذلك بقيت زراعة القطن في عكار ضعيفة ، ويبدو أنها لم تكن ذات شأن ، لأن المصادر والمراجع التي تكلمت على زراعات عكار ، لم تذكر ذلك ، باستثناء الرحالة الانكليزي إدوار روبصن الذي مر في المنطقة عند منتصف القرن التاسع عشر وذكر زراعة القطن . (٣) أما «فيتال» (Vital) والتميمي وبهجت وحكمت شريف والأب لويس شيخو ، لم يذكروا شيئاً عن زراعة القطن عندما

(١) عيسوي ، التاريخ الاقتصادي ، ص ٢٢٥ .

(٢) إسماعيل ، منير وعادل ، تاريخ لبنان الحديث ، الوثائق الدبلوماسية ، القسم الأول من ١٦٧٠ الى

١٧٨١ م ، دار النشر للسياحة والتاريخ ، بيروت ، ١٩٩٠ م ، ص ١٠٥ .

(٣) شيخاني ، يوميات في لبنان ، ص ١٥٠ .

كتبوا عن عكار . ومع تقدم الزمن اختفت زراعة القطن من هذه المنطقة ، وحلت محلها زراعة التبغ والتبناك .

قصب السكر؛

اشتهرت منطقة الساحل العكاري بزراعة قصب السكر منذ القديم ، نظراً لتوفر المياه وملائمة المناخ وخصوبة التربة بسهل عكار . ففي القرن الثاني عشر الميلادي . قام الشريف الادريسي^(١) برحلة الى سواحل لبنان ، فوجد عدداً من القلاع الساحلية التي اقيمت لحماية المدن ، ولما وصل الى عرقة في عكار وصفها قائلاً: «عرقة مدينة عامرة حسنة في سفح جبل قليل العلو... وهي عامرة بالخلق ، كثيرة التجارات ، وأهلها مياسير... وبها بساتين كثيرة وفواكه وقصب سكر» .

وفي سنة ١٩٠٠ م ، واثناء الرحلة التي قام بها الأب لويس شيخو الى عكار لفتت انتباهه الأراضي المزروعة بقصب السكر في منطقة السهل^(٢) وظلت زراعة قصب السكر ناشطة في سهل عكار . ففي الثلاثينات من القرن العشرين ، شجعت سلطة الانتداب الفرنسي زراعته التي عمت كل عكار ، وبخاصة على ضفاف الأنهر وفي اماكن توفر المياه ، الى أن توقفت ، بعد أن تعرض مصنع استخراج السكر الى التدمير والنهب اثناء احداث سنة ١٩٥٨ م ، وتحول الناس الى زراعة أخرى .

(١) الشريف الادريسي ، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق (وصف بلاد الشام وفلسطين) ، نشره جوان

جيلد مايستر ، طبعة بون ، ١٨٨٥ م ، ص ١٧-١٨ .

(٢) شيخو ، الأب لويس ، رحلة الى عكار ، المشرق ، بيروت ، ١٩٠٠ ، ص ٤٥٥ .

زراعة الحبوب

القمح؛

تعود زراعة القمح في عكار إلى العصور التاريخية القديمة . انتشرت زراعته في البطاح البعلية وفي بعض مناطق السهل وفي المنخفضات والهضاب المسطحة ، كقرى تل عباس والسمونية وعرقه والقبة .^(١) في العهد العثماني احتلت زراعة القمح المرتبة الأولى بين زراعة الحبوب في عكار ، كونه من العناصر الأساسية المعتمدة في الغذاء ، فمنه يستخرج الطحين لصناعة الخبز والبرغل الذي هو قوام الغذاء اليومي لأبناء الريف العكاري .

ومن أنواع القمح في تلك المنطقة نذكر : «الدريبي» نسبة الى ناحية الدريب ، وهو أفضل أنواع الحنطة الجردية التي تغلها مزارع « الشنبوق » و«كرم شباط» في جرد القبيات ، وفي جبل أكروم^(١) وفي سهلات القموعة ، والخوراني والعراقي أو «الاقرع» اشارة الى خلو سنابله من الحسك ، وهو كثير الغلال ، جيد الطحين ، يخبز من غير خليط ، والبلدي في منطقتي القيطع والجومة ، والبياضي الذي لا يصلح للخبز ، إلا مخلوطاً بنوع آخر ، لكنه جيد للبرغل والسلموني ، ذو الحبة السمراء التي تتحول بعد السلق والجرش الى برغل أحمر شهبي ، وفي الوقت نفسه هو جيد للخبز الأسمر . ومن ميزاته أنه مقاوم للبرد والتلج والجليد ، فيعيش في الجرود . أما البياضي فيزرع في منطقة السهل والأراضي التي هي ما دون ٥٠٠ متر . والسلموني يمتاز بقشه اللين الصالح لصناعة الصواني الملونة الواسعة ، فتستعمل كمائدة للطعام ، وغير الملونة «لتنسيف» البرغل وفصل قشوره وطحينه عن كسوره . وتصنع ايضاً من قشه «القشويات» لحفظ الخبز وأتراس للطناجر ، وغلافات مقالي الفخار والقناني وما شابه . ولم تكن غلال هذين الصنفين وفيرة ، إذ لم تتجاوز غلة الشنبل من البذار مقدار ستة أضعاف ،

(١) سجلات المحكمة الشرعية في طرابلس ، السجل التاسع ، ص ٨٣ - ٨٤ و ص ٨٥ - ٨٦ و ص ٩٢ ،

وفي غيره من السجلات .

مههما كان الموسم جيداً. (١)

أما أسوأ أنواع القمح فهو الرفيع الحبة ، الأسمر والقليل الغلة ، وهو رخيص الثمن يسمى «الحريديني» . عُرف بقدمه ، لكن الفلاح لا يلجأ الى زراعته إلا إذا كان في ضائقة مالية كبيرة ، وقد انقرضت زراعته بعد الحرب العالمية الأولى . لقد تبين أنه خلال الحرب العالمية الأولى ، شهدت عكار نزوحاً سكانياً إليها من مناطق جبل لبنان سعيًا وراء لقمة العيش ، بعد أن فُرض حصار بحري وبري على هذه المناطق من قبل البريطانيين من جهة البحر ، ومن قبل جمال باشا من جهة البر . وقد تسبب ذلك بمجاعة كبيرة أصابت السكان ودفعت البعض من بقي منهم على قيد الحياة ، إلى ترك منازلهم وقراهم والنزوح الى البقاع أو الى عكار حيث تتوفر غلال القمح والحبوب الأخرى .

تشير المصادر الى أن عكار ، وخلال سنة ١٥٧١ م انتجت ٩٣٩ مكوكاً^(٢) من القمح ، بلغت قيمة الرسوم عليها ٩٩٦٨٠ أقبجة .^(٣) وقد يكون هذا الرقم غير نهائي ، إذ أن هناك قرى عديدة ، زرعت القمح ، ولم يصار الى ذكر الرسوم على ذلك بوضوح ، انما دفعت رسوم شاملة على القمح مع غيره من المواد ، دون الدخول أحياناً في تفاصيل السلع والمواد الواجب تسديد الرسوم عنها . ويبين الجدول التالي اسماء القرى وقيمة الرسوم وكمية الانتاج .

(١) سلوم ، عكار ، ص ١٨٦ .

(٢) المرجع نفسه ، ص ١٨٦ .

(٣) هناك تباين في تقدير وزن المكوك . فبحسب القلقشندي يبلغ وزنه ٢٠٨١ كلف . وتذكر الموسوعة الإسلامية أن وزنه يساوي ٨٣٠٥٠ كلف . أما اندريه لاترون الذي يستند إليه المؤرخ اللبناني انطوان عبد النور ، فيعتبر أن المكوك يساوي ٥٠٠ كلف .

جدول الحنطة في ناحية عرقة^(١) (التابعة لعكار)

القرية أو المزرعة	قيمة الرسوم بالأقجة	الانتاج بالملوك
نفس عرقة	١٢٠٠٠	١٠٠
سمونية	٤٨٠٠	٤٠
كفر ملكا	٤٨٠٠	٤٠
دير جنين	٤٨٠٠	٤٠
قرنة مشمش	٢٦٠٠	٣٠
شمرا	٢٦٠٠	٣٠
شان	٢٤٠٠	٢٠
قتا	٢٤٠٠	٢٠
مرليا	٢٤٠٠	٢٠
مزرعة عوينات	٢٤٠٠	٢٠
بيرة الجون	٢٤٠٠	٢٠
ايلات	٢٤٠٠	٢٠
حلبا	٢٤٠٠	٢٠
مزرعة مشيرفة	٢٤٠٠	٢٠
أعمار البيكات	١٨٠٠	١٥
حسنية	١٨٠٠	١٥
حميرة (مال خالص)	١٢٠٠	١٠
سويسة	١٢٠٠	١٠
دبابية الشرقية	١٢٠٠	١٠
جنين	١٢٠٠	١٠

(١) الأحمر، عرقة، ص ١٢٣ و ١٢٦.

حميرة برقایل	١٢٠٠	١٠
دارین	١٢٠٠	١٠
جنينة أقدس	١٢٠٠	١٠
كفر الفتوح	١٢٠٠	١٠
جديدة برقایل	١٢٠٠	١٠
ابزال	١٢٠٠	١٠
طبو	١٢٠٠	١٠
منع	٦٠٠	٥
سفينة السفلى	٦٠٠	٥
دنبو	٦٠٠	٥
جنينة توما	٦٠٠	٥
خرية شار	٦٠٠	٥
خرية اللوز	٦٠٠	٥
خرية النورا	٦٠٠	٥
مشحا	٤٨٠	٤
المجموع	٦٥٤٨٠	٦٥٤

أما إنتاج ناحية عكار (باستثناء عرقة) من الحنطة في سنة ١٥٧١م فبلغ ٢٨٥ مكوكاً، قيمة الضرائب عليها ٢٤٢٠٠ اقجة سنوياً. وهي موزعة بحسب الجدول الآتي: (١)

(١) الأحمر، عرقة، ص ١٢٤ - ١٢٥، استناداً إلى عصام خليفة، نقلاً عن سجلات الطابو دفترى في اسطنبول، مع التصرف باعتماد التراتبية في قيمة الرسوم والإنتاج وتصحيح بعض الأسماء.

القرية أو المزرعة	قيمة الرسوم (بالأقجة)	الانتاج بالمكوك
رحبة	٦٠٠٠	٥٠
بزينا	٤٨٠٠	٤٠
قريات	٢٤٠٠	٢٠
سهول السفلى	٢٤٠٠	٢٠
عين باقون (يعقوب)	٢٤٠٠	٢٠
قريات الغربي	٢٤٠٠	٢٠
تكريت	٢٤٠٠	٢٠
بينو	٢٤٠٠	٢٠
قبيات	١٢٠٠	١٠
مجدل	١٢٠٠	١٠
احرار	١٢٠٠	١٠
حنينة	١٢٠٠	١٠
حوشب	١٢٠٠	١٠
زبوت	١٢٠٠	١٠
عيدمون	٦٠٠	٥
عوينات	٦٠٠	٥
حرونا	٦٠٠	٥
المجموع	٣٤٢٠٠	٢٨٥

إذا أخذنا بالاعتبار كمية انتاج الحنطة في شمالي لبنان ، ورصدنا قيمة الضرائب المفروضة عليها سنة ١٥٧١م لأمكننا إجراء المقارنة التالية ، بين النواحي التابعة لهذه المنطقة وذلك استناداً الى الجدول الآتي: (١)

(١) الأحمر، عرقه ، ص ١٢٦ .

الحنطة في نواحي شمالي لبنان سنة ١٥٧١ م. (١)

الناحية	الوزن (بالمكوك)	النسبة المئوية	قيمة الضرائب (بالأقجية)
زاوية	٨٦١	٣٠,٩	٧٥٨٣٠
عرقا	٦٥٤	٢٣,٥	٦٥٤٨٠
كورا وانفه	٣٣٠	١١,٨	٣٤٢٠٠
عكار	٢٨٥	١٠,٢	٢٨٥٠٠
بشراي	١٥٧	٥,٦	١٨٨٤٠
جبيل	١٤٦	٥,٢	١٧٨٤٠
بترون	١٣٨	٤,٩	١٥٩٦٠
ظنية	٩٥	٣,٤	١٠٦٠٠
منيطرة	٧٥	٢,٧	١٢٦٠٠
فتوح بني رحال	٤٥	١,٦	٥٤٠٠
المجموع	٢٧٨٦		٢٥٥٢٥٠

يظهر الجدول أن ناحية عرقا تحتل المرتبة الثانية في إنتاج الحنطة بعد ناحية الزاوية ، وتحتل عكار المرتبة الثالثة . أما إذا جمعت ناحيتا عكار وعرقا ، (وكلاهما يشكلان منطقة واحدة) نرى أنهما يحتلان المرتبة الأولى في الإنتاج نظراً لطبيعة الأراضي وكبر المساحة الجغرافية التي تدخل ضمن نطاقهما .

هذا الانتاج الضخم من الحنطة يتطلب وجود عدد كبير من المطاحن في عكار لتلبية حاجة السكان من الطحين . والجدير بالذكر أن «الطابو دفترى» لا يذكر إلا قيمة الرسوم الناجمة عن وجود الطواحين . لكن يذكر ان الطاحون

(١) الأحمر ، عرقا ، ص ١٢٧ ، نقلاً عن عصام خليفة ، الضرائب العثمانية ، ص ٢٨ .

الذي كان يعمل طيلة ايام السنة ، يسميه «صيفي» . واذا كان يعمل فقط خلال فترة معينة ، فيسميه «شتوي» وتتوصل الى تحديد عدد الطواحين انطلاقاً من نسبة الضرائب ، إذ يترتب على كل طاحون دفع ٣٠ أقجة سنوياً . وفي بعض الحالات ، لا تذكر الطواحين وحدها ، انما تدمج ضرائبها مع ضرائب اخرى . (١)

وقد ورد في سجلات الطابو دفترى لعام ١٥٧١م ، ان عدد الطواحين في عرقة بلغ ٦١ طاحوناً ، وقيمة الضرائب عنها ١٨٠٠ أقجة . أما عكار فكانت تحوي ٥٤ طاحوناً ، قيمة ضرائبها ١٦٢٠ أقجة ، فيكون مجموع مطاحن عرقة مع عكار ١١٥ طاحوناً ، قيمة الضرائب عنها ٣٤٢٠ أقجة . وقد توزعت هذه الطواحين على مختلف قرى ومزارع عكار .

كان انتاج عكار من القمح يكفي الاستهلاك المحلي ، فمنه مأكّل الناس الاساسي ، ومنه البذار والضرائب العينية . وكانت محاصيل البقيعة والسهل الساحلي تسوّق في طرابلس . في القرن التاسع عشر كان القمح يصدر الى أوروبا . (٢) وفي الربع الثالث من هذا القرن ، لوحظ وفرة انتاج الحبوب ، ونشاط الفلاحين على البيادر في سواحل عكار . (٣)

تطورت زراعة القمح في مطلع القرن العشرين ، فتضاعفت غلاله في عكار خلال عشر سنوات ، من مئتي الف كيلة سنة ١٩٠٥م ، (٤) الى اربعمئة وتسعين الفاً

(١) الأحمر ، عرقة ، ص ١٢٧ .

(٢) خليفة ، الضرائب العثمانية ، ص ٤٦ .

(3) Adel Ismail, *Documents diplomatiques et consulaires relatives à l'histoire du Liban et des pays du Proche-orient du XVIeme siècle à nos jour*, vol. 1. Beirut, 1975, pp. 335-342 and 351-380.

(٤) ادوار روبنسن ، مباحث توراتية عن فلسطين والاقاليم المجاورة ، م ٣ ، ص ١٠٨ - ١٥٩ .

سنة ١٩١٦. (١) كذلك الأمر بالنسبة للمحاصيل الأخرى من الحبوب وغيرها .

الشعير:

اشتهرت عكار أيضاً بزراعة الشعير الذي يأتي في المرتبة الثانية بعد القمح . والشعير هو العلف المفضل للدواب ، بخاصة الخيول والحمير والبغال ، فينخلط مع التبن . في الحرب العالمية الأولى وما خلفته من مجاعة بين السكان في لبنان ، بسبب فقدان القمح ، عمد الناس الى طحن الشعير وتحويله الى خبز رديء ، وهو ما عرف بالخبز الاسود المر المذاق .

الذرة والدخن:

ازدهرت في عكار طيلة العهد العثماني زراعة الذرة على انواعها منها : الصفراء والبيضاء والمصرية . لكن اهم تلك الانواع هي الذرة الصفراء التي زرعت في سهلي البقיעة وعكار ، لأنها زراعة مروية . كما زرعت في جرود القبيات والقيطع والجومة ، وفي بقية المناطق حيث تتوفر مياه الري . كما زرعت في الأراضي البعلية ، في مناطق وسط القيطع والجومة . وكانت تغل مواسم هامة ، وهي تصلح لصناعة خبز الذرة اللذيذ المذاق وسهل الهضم ، ونباتاتها مادة غذائية شهية لإطعام المواشي . وقد خبر الفلاحون القيمة الغذائية لخبز الذرة الصفراء منذ القدم . واثبت العلم الحديث أن قيمة الذرة الغذائية ، تفوق ما للأرز من قيمة . (٢)

(١) شريف ، حكمت ، تاريخ طرابلس الشام من أقام زمانها الى هذه الأيام (١٩٠٥م) ، تحقيق منى حداد

ومارون عيسى الخوري ، دار حكمت شريف ودار الايمان ، طرابلس ، لبنان ، ١٩٧٨م ، ص ٢٠٦ .

والكيلة أو المسحة أو الطبة (كلها أسماء لمعنى واحد مستعمل في عكار حتى الآن) . تساوي ١٤

كلف حنطة ، ١٣ كلف ذرة ، ١٠ كلف شعير ، و ١٣ كلف زيتون .

(٢) التميمي وبهجت ، ولاية بيروت ، ج ٢ ، ص ٢٣٨ .

ومن الفرص التي تتيحها زراعة الذرة في الأراضي الخصبة ، ويغتنمها الفلاح ، زراعة الفاصوليا بين أغراسه ، فتتسلقها وتكبر معها دون أن تضرّ الواحدة بالآخرى ، فيكون للمزارع في هذه الحالة موسمين . وزرعت الذرة أيضاً بين أشجار التوت والزيتون والأشجار المثمرة الأخرى .

ولنبات الذرة الصفراء منافع أخرى في علف الحيوان ، منها رؤوس النبتة بداية من «العرنوس» وما فوق ، بما فيه الزهر المسمى «الشبشول» . وفي الأراضي الخصبة تنبت فروع خضراء عند أصل كل غرسة ، تسمى «الحلف» ، فتتزع هذه أيضاً وترمى للحيوانات ، لأنها طفيلية تأكل من غذاء الثمر . ومن أجل العلف أيضاً ، يعتمد بعض الفلاحين الى تكثيف البذار في الأرض ، حتى إذا ما بلغت الأغراس علو ذراع «يفردونها» (اي يخففون من كميتها) ، ويقدمون منها طعاماً للماشية .

ولا تخلو الذرة من منافع أخرى كان يغتنمها الفلاح . فقد كان يستعمل غلاف الثمار «القشبرة» في صنع فراشه ومسانده بدل القطن والصوف ، لعدم قدرته على شرائهما . ويستعمل « القلقة » (العرنوس بعد أن تنزع منه الحبوب) في الوقود أو يصنع منها سدادات للقناني بدل «الفلين» .^(١)

إلى جانب الذرة الصفراء ، عرفت عكار زراعة الدخن المعروفة محلياً بالذرة البيضاء ، وهي صغيرة الحبوب كالعدس تقريباً ، كثيرة الغلال ، ولا تحتاج إلى أرض قوية مروية ، بل تعيش في الهضاب البعلية ، وتشكل علفاً جيداً للدجاج وبقية الطيور الداجنة . كما تطحن الحبوب وتنخبز ، لكن خبزها سريع التفتت وغير طيب الطعم . أما النبتة فشبيهة بنبتة المكنس ، لها قصب رفيع طويل ، بأوراق طرية ، تجفف بعد القطاف وتحفظ كعلف للمواشي في فصل الشتاء .

(١) الفرا ، محمد علي ، مشكلة انتاج الغذاء في الوطن العربي ، سلسلة عالم المعرفة ، يصدرها المجلس

الوطني للثقافة والآداب في الكويت ، ١٩٧٩م ، ص ١٤٩ .

القطاني:

من جملة المزروعات التي نالت إهتمام الفلاح العكاري في العهد العثماني ، وشكّلت مصدراً له نذكر «القطاني» وهي على أنواع ، منها ما هو للإنسان كالعَدَس والحمص والفاصوليا والماش ومنها ما هو للحيوان كالباقية والكرسنة .

العَدَس هو من الزراعات الشتوية ، أما الحمص فهو زراعة صيفية . وهذا الصنفان يشكلان مؤونة البيت ، ومهمان في التغذية منذ القدم .^(١)

وزرعت الفاصوليا في الأراضي المروية ، وهي من المواد الاساسية في الاستهلاك البيتي ، والفائض منها كان يسوّق . ويقوم الفلاح ايضاً بتقديم الهدايا منها لأسياده ولرجال الدين . ومن أصنافها الجردية البيضاء ، تقابلها السهلية البيضاء الكبيرة والكثيرة الانتاج ، والتي تزرع من أجل الاستهلاك البيتي ، والفائض كان يسوّق في طرابلس .

وهناك أيضاً الجردية الملونة بالاحمر والأسود وهي ممتازة تطبخ مع البرغل وتعد من أهم الوجبات الغذائية عند الفلاحين .

أما الكرسنة والباقية ، فهما من أنواع القطاني المعدة كأعلاف للحيوانات عالية القيمة عندما تكون خضراء ، وبعد جني غلالها . كما أن بعض المزارعين كانوا يزرعون الباقية بين حقول الزيتون ، وقبل أن تنضج يعتمدون إلى فلاحتها لتكون مواد مخصبة لأشجار الزيتون .

الأرز:

زُرِع الأرز بكميات قليلة في عكار . وأهم مناطق زراعته كان في سهل البقعة ، وكذلك في بعض الاراضي المنتشرة على طول ضفاف الانهر لا سيما على ضفاف النهر الكبير حيث غزارة المياه التي يحتاجها بصورة متواصلة . وكانت طرابلس هي المكان الطبيعي لتسويق المحاصيل .

(١) سلوم ، عكار ، ص ١٨٩ .

البقول والخضار:

أهم أنواع البقول التي زُرعت في عكار هي البطاطا ، كونها حاجة غذائية دائمة . وأكثر ما زُرِع منها كان النوع البلدي المستدير الحبة والصغير الحجم ، لكنه الاصلح للمؤونة ، بخاصة البطاطا الجردية التي يمكن حفظها لوقت طويل نسبياً ، دون أن تتعرض للفساد . ولم تدخل الاصناف الجديدة الى الزراعة في عكار إلا بعد منتصف القرن العشرين . وكان سكان عكار يطلقون على البطاطا من قبل اسم « قلقاس » .

زُرعت البطاطا من اجل الاستهلاك البيتي ، وشملت زراعتها كل المناطق العكارية وإن بكميات قليلة ، إذ كان السكان يلجأون الى غرسها في « المقاصل » القريبة من البيوت من أجل التموين والاستهلاك ، والفائض من الانتاج كان يدخل في نطاق المقايضة بسلع أخرى كالتين اليابس والفسق واللوز وما إلى ذلك بحسب توفر السلع .

كما زُرِع البصل في كل مناطق عكار للإستهلاك البيتي ، لكن في الاراضي ذات المساحات الواسعة كسهلي عكار والبقيعة . كان البصل من الزراعات الهامة التي تصدر الى طرابلس ، أو تدخل ضمن نطاق المقايضة مع سلع أخرى .

اشتهرت شدرا ، التابعة لناحية الدريب ، بزراعة البصل على نطاق واسع في سهل البقيعة ، وكانت تنتج أصنافاً عالية الجودة ومرغوبة للتموين . وفي أواخر القرن التاسع عشر ، ولوفرة الانتاج ، كان البصل الشدراوي يصدر الى مصر وجميع نواحي بلاد الشام . وفي سنة ١٨٦٩م صُدّر منه ألفا طن الى مصر^(١) . سنة ١٩٠٥م ، بلغ انتاج عكار ستمائة ألف أوقة . وسنة ١٩١٦م

(1) Vital Cuinet, *Syrie, Liban et Palestine, géographie administrative, statistique, descriptive*

et raisonnée. Paris, 1896, p. 124.

وصل الى ٤٢٥٩٥٣ كيلة. (١)

يعتبر السلموني (نسبة الى مدينة السلمية في سوريا) أفضل انواع البصل ، وهو على ألوان وأشكال ، فمنه الأبيض والاحمر ، والبضاوي الطويل والمدور . أما الثوم ، فهو زراعة بيتية شتوية ، كان كل بيت يزرع ما يحتاج إليه في «المقاصل» والأراضي القريبة من المنازل ، فيؤكل أخضراً ، إذ يقلى مع البيض . والفائض منه يسوق في مدينة طرابلس .

ومن أنواع البقول ، نذكر الفول الذي عرفته عكار في كل نواحيها وهو زراعة شتوية ايضا للاستهلاك البيتي . يؤكل الفول اخضراً بحالته الطازجة ، أو يطبخ . والفائض منه يترك حتى يبس ، وتؤخذ حبوبه للتموين المنزلي ، أما الشتول اليابسة فتستعمل كعلف للأبقار ، وهو مدر جيد للحليب .

كما يُزرع العدس في عكار للتموين البيتي ، وأفضله كان الذي ينتج في الجرود المرتفعة . إلى جانب ذلك ، عرفت عكار زراعة البازلاء ، ويسمى ايضا الجلبان ، وبخاصة في سهلي البقيعة وعكار ، من أجل تسويقه في طرابلس ، وقلماً زرع في مناطق الوسط .

ومن الخضار التي عرفتها عكار في العهد العثماني ، ولم تزل ، نذكر البقدونس والنعناع والخس والفجل والسبانخ والسلق والبندورة والبادنجان والخيار والبطيخ بنوعيه الاحمر والأصفر (العجور) والقيثاء والكوسى ، وغير ذلك من أنواع الخضار المعروفة . كانت هذه الزراعات تدخل ضمن نطاق الاستهلاك البيتي ، وما يفيض منها يُباع في مدينة طرابلس .

وقد تميزت عكار عن غيرها من المناطق اللبنانية بزراعة «فستق العبيد» . تركزت زراعته في سهلي عكار والبقيعة ، وخصصت لذلك مساحات واسعة من الأراضي المروية ، كونه من الزراعات الصيفية . كان السكان يحتفظون بقسم

(١) شيخو ، الأب لويس ، « رحلة الى بلاد عكار » مجلة المشرق ، السنة الثالثة ، عدد ١٠ ، تاريخ ١٥ أيار

من حبوه للتموين المنزلي ، فيستعمل بخلطه محمصاً مع التين اليابس المطبوخ . أما غالبية الانتاج فكانت تسوّق في طرابلس . وشتلات (جموم) الفستق تعتبر غذاءً ممتازاً للأبقار وهو مدر للحليب ، تأكله المواشي بنوعيه الاخضر ، بعد قلعه مباشرة من الأرض أو يابساً بعد تخزينه لفصل الشتاء .

إضافة الى استهلاك الخضار المزروعة ، كان العكاريون في العهد العثماني يعتمدون في نظامهم الغذائي ، وبشكل كبير ، على الخضار البرية المتوفرة بكثرة في اراضيهم ، وهي على أنواع متعددة منها الصعتر والزويج والهندباء والقرص عني والبزيزة والشويكة ، وخضار أخرى متنوعة تجمع بكلمة « السليق » التي كانت تجمعها النسوة من الحقول ، منه ما كان يؤكل بحالته الطازجة ، ومنه ما يطبخ مع البرغل والبصل وزيت الزيتون .

الوسائل الزراعية:

كانت الوسائل الزراعية المستخدمة بدائية ، واستمرت كذلك طيلة فترة الحكم العثماني على مدى اربعمئة سنة . فالمعدات المستعملة في الزراعة هي معدات يدوية ، تعتمد على القوة الجسدية بمساعدة حيوانات الحراثة والنقل ، كالأبقار والحمير والبغال والخيول . ومن أنواع المعدات اليدوية المستعملة في الزراعة نذكر المعاول والرفوش والمجارف وشوك «الضرب واللبط» ، ومناجل الحصاد والفرايع والسواطير والمناشير وغير ذلك ، مما يتطلب جهداً كبيراً وعملاً متواصلاً وتعباً ، في سبيل مردود زراعي قليل يستغرق الكثير من الوقت للحصول عليه .

أما الحيوانات المساعدة فمنها الثيران التي استخدمت في حراثة الارض وزرعها ، وبقية الدواب استخدمت للركوب وتنقل المزارعين ونقل المحاصيل من الحقول الى البيوت وأماكن الاستهلاك ، أو الى الاسواق لبيعها أو للمقايضة بها بسلع أو بمحاصيل من أنواع أخرى .

ونظراً لعدم وجود الاسمدة الكيماوية ، اعتمد المزارعون على الاسمدة العضوية كروث الأبقار والاعنام والماعز لتسميد الاراضي المزروعة . لكن هذه

الوسيلة لم تكن كافية لتخصيب المساحات الزراعية الواسعة ، فيعمد المزارعون الى تبديل نوع المزروعات من سنة الى اخرى ، أو زرع الحقول مرّة كل سنتين وتركها سنة دون زراعة لإراحتها .

كانت عمليات الري تقوم على جر المياه من المجاري المائية والينابيع ، التي تكثر في عكار ، بواسطة أقنية ترابية تسمى السواقي ، وهي تحفر بالوسائل اليدوية من النبع ، وتوزّع على الأراضي التي يمكن إيصال المياه اليها لسقيتها عن طريق الجاذبية . وقد ورد في وثائق محكمة طرابلس الشرعية أن أهالي قرية تكريت عمدوا سنة ١١٤٣هـ / ١٧٣٠م إلى حفر ساقية من قريتهم الى قرية المزرعة المجاورة .^(١) إلا أن مشاريع حفر الاقنية ، بقيت محدودة وقليلة واصطدمت بعراقيل كثيرة ، لأن النظام الاقتصادي-الاجتماعي الذي كان قائماً فرض هيمنة اقلية مالكة على اكثرية فقيرة ، إذ كان كبار الملاكين يقومون بتحويل الأقنية المائية الى اراضيهم ، غير عابئين بما يسببه هذا العمل من اضرار وأذى بأراضي سواهم .

وكان الفلاح العكاري يعتمد في أغلب الأحيان على الأمطار لزراعاته الشتوية ، وعلى الينابيع والمجاري المائية لزراعاته الصيفية . كما كان يقيم البرك الصغيرة «والقلود»^(٢) يجمع فيها الماء ، إما لسقي المواشي ، أو لتوزيعه على قطعة صغيرة من الأرض ليسقيها .

ولم يكن المزارع ليعير كبيراهتمام لحفر القنوات وجر المياه ، طالما أن طبيعة أرضه والمساحات الضيقة التي يزرعها لا تشجعه على ذلك ، فاكتفى بما ينتجه من محاصيل لسد حاجته . واهتمّ الأهالي بحفر الآبار الارتوازية أمام بيوتهم ، وبالطريقة اليدوية البدائية ، ينتشلون منها المياه للإستعمال المنزلي وعند الحاجة .

(١) سجلات المحكمة الشرعية في طرابلس ، السجل السابع ، ص ٣ .

(٢) القلود : مفردا «قلد» وتعني المكان المجوّف أو المحفور في الصخر ، يستعمل لتجميع المياه وسقاية المواشي .

تربية الحيوانات:

الابقار:

اهتم العكاريون بتربية الحيوانات الأليفة كالثيران التي استخدمت في حراثة الأرض وزرعها ، والابقار الحلوب التي كانت عماد الثروة الحيوانية . ويكاد لا يخلو بيت في عكار من بقرة تؤمن له الحليب ومشتقاته ، فالبقرة هي من مستلزمات العيش في الريف . وكانت مواليد البقرة من العجول ، مرصودة لحمل نير المحراث ، أما الاناث فيصبحن بقرات المستقبل . وأحياناً كانت «البكيرة (العجلة) تخرج حصاة في مهر العروس . وكانت الغاية الاساس لتربية الابقار هي للحليب أكثر منها للحم . فالحليب ومشتقاته اعتمده القريون غذاءً رئيساً أمن لهم جزءاً كبيراً من اكتفائهم الذاتي . وإلى جانب حراثة الأرض ، كانت الثيران تستخدم لجر الاثقال ، بخاصة عرقات سطوح البيوت الترابية ، هذه العرقات كانت من الضخامة لدرجة لا يستطيع جرّها إلا زوج من الثيران القوية بمساعدة عدد من الرجال يقومون مسارها بعصيهم . وقد فرضت الدولة العثمانية الضرائب على قطعان البقر والجاموس ، وحددت قيمتها على اساس عدد الرؤوس . فبلغت قيمة الرسم ثلث القرش عن كل دابة أو بقرة في سنة ١١٥٣هـ/١٧٤١م .^(١)

كان يتأمن غذاء الابقار من الحقول والمراعي حيث تسرح ايام الصحو تحت اشراف اصحابها ، أو رعاة ، وتعود عند المساء لتحصل على علفه اساسية قوامها التبن مع بعض من الحبوب كالشعير او الباقية أو الكرسنة . وتحصل الابقار الحلوب ، وتلك المعتمدة في الحراثة على وجبتين من التبن ، واحدة في المساء واخرى في الصباح .

كانت الابقار من النوع البلدي الصغير الحجم نسبياً . والبقرة الحلوب لا

(١) سجلات محكمة طرابلس الشرعية ، السجل الثاني ص ٥٢ وص ٦٢ ، والسجل الثاني ، ص ٤٢٣ -

يتجاوز إدارها اليومي الثلاثة ابطال من الحليب . لكن هذا النوع قليل الأكلاف ، إذ يعتمد في غذائه على الرعي وقليل من التبن ، إلى جانب بعض أغصان الاشجار الطرية التي ينقلها أصحاب الماشية على الدواب ، أو يحملونها على ظهورهم لإطعام الابقار بخاصة في فصل الشتاء ، بانتظار تحول الطقس ونبت الاعشاب ، والخروج الى المراعي . وفي وثيقة لتوطين الأكراد في عكار سنة ١١٥٣هـ / ١٧٤١م ورد أن عدد إبلهم وبقرهم بلغ ثلاثة آلاف رأس « . . . فحسب القانون عن كل رأس ثلث غرش . . . »^(١)

الغنم:

انتشرت تربية الاغنام في عكار ، لا سيما في سهلي البقيرة وعكار ، وفي بعض مناطق الوسط . وكانت غالبية الاسر تربي ، إلى جانب البقرة ، نعجة أو أكثر تفيد من حليبها وصوفها ، وتبيع حملانها للحصول على بعض القروش كخرجية للبيت . وربما يُذبح بعضها للإستفادة من لحمها في المناسبات الهامة كالاعراس ، وفي الاعياد الكبرى . وأكثر ما كانت تصلح الحملان كهدايا للبكوات والوجهاء . وتشير سجلات المحكمة الشرعية إلى اربعين الف رأس غنم أحضرها معهم الأكراد الذين سمح لهم باستيطان عكار .^(٢)

الماعز:

انتشرت تربية الماعز في المراعي الجبلية الواسعة في عكار ، وفي الغابات

(١) الأحمر ، نافذ ، نواحي لبنان الشمالي في العهد العثماني ، دراسات في التاريخ السياسي والاقتصادي والاجتماعي ، الجزء الأول ، نشر المؤلف ، الطبعة الأولى ، بيروت ، ٢٠١٠م ، ص ٢٠ ، وسجلات المحكمة الشرعية في طرابلس ، السجل السابع ، ص ٢٨٠ .
(٢) الأحمر ، دراسات ، ص ٢٠ ، وسجلات المحكمة ، السجل السابع ، ص ٢٨٠ .

التي تصلح نباتاتها كغذاء له (١) وأقيمت الحظائر على تخوم الغابات في جبال أكروم وعندقت والقببات والمجدل وعمار العتيقة وفنيدق ومشمش وقبعيت ودنبو وغيرها من القرى الجبلية . ويمكن إحصاء مربو الماعز في القرى المارونية على أساس سجلات الكنائس . فمثلاً تفيد هذه السجلات التي تعود الى سنة ١٩١٠ م الى إثنين وعشرين قطعاً في القببات ، وثمانية قطعان في عندقت ، وثلاثة في دير جنين ، واثنين في منجز (٢) ومن القرى المارونية الأخرى التي اهتمت بتربية الماعز نذكر بيت ملات ومنع وبقرزلا وقلود الباقية وخربة الجرد والقريات .

لكن تربية الماعز أثرت سلباً على الاشجار الحرجية ، وأعاقت عملية نموها .

حيوانات النقل:

عرفت عكار أيضاً ، وعلى نطاق واسع ، تربية حيوانات النقل كالجمال والبغال والحمير والخيول . وكان الاعتماد على الجمل يأتي في المرتبة الأولى في عمليات النقل والحمل . وتشهد على ذلك البيوت القديمة العالية والواسعة . فالجمل كان الأداة الهامة لنقل خيش التبن ، وغيرها من الاحمال الى المسافات البعيدة . واشتهرت معظم قرى عكار ، وبخاصة منطقة القيطع ، باقتناء الجمال . أما البغل فقد استخدمه أهل القرى الواقعة على أطراف الغابات ، أو في الأودية المنخفضة ، إذ اعتمد الكثيرون منهم مهنة الكراء لتحصيل رزقهم . وكان الحمار الاداة التي لا غنى عنها للفلاحين وغيرهم ، لا سيما جمع الحطب الذي كان يُستعمل كوقود للطبخ والتدفئة ، والحمار هو الوسيلة الوحيدة لنقل الحطب والماء . وهو على نوعين : البلدي الصغير الحجم ، المتعدد الألوان والقليل الكلفة ، والأزرق القبرصي الذي اقتناه الأعيان للركوب .

(1) Cuinet, op. cit, p. 144.

(٢) سلوم ، المرجع عكار ، ص ٢٠٨ .

الخيول:

اشتهرت عكار بتربية الخيول منذ القدم ، واستمر ذلك طيلة العهد العثماني . وتذكر المصادر التي تؤرخ للإمارة المعنية أن السيفيين الذين كانوا على عداءٍ مع الأمير فخر الدين الثاني ، وبعد عودة هذا الأخير من إيطاليا ، قدم له آل سيفاً هدايا من الخيول الأصيلة ، لكنه رفضها ، لأنهم خربوا قرى امارته أثناء وجوده في الخارج .

اشتهر بكوات آل مرعب وأغواتهم بتربية الخيول الأصيلة في عكار ، لا سيما آل الرشيد في البيرة وآل الياسين في برج عكار ، فبنوا لها المرباط الكبيرة ، وابتنوا لها المعالف ، واستعملوا الفسحات الواسعة في القرى لممارسة هواية «لعب الجريد» والتسابق . قال عنهم الأمير حيدر الشهابي : «والمراعبة هم قوم امجاد وفرسان أجواد» .^(١)

وقد ذكر الأب لويس شيخو سنة ١٩٠٠م اقتناء الخيول من قبل المراعبة فقال : «ولهؤلاء الأمائل الجياد المطهمة التي يبالغ في أثمانها ويتفاخر في اقتنائها . وأجناس الخيل الكريمة في عكار أربعة لكلها شهرة في بلاد الشام وهي : السقلاوي والمعنقي والفريجات والطويسي ، وأكرمها الفريجات التي تفوز عادة في الحلبات» .^(٢) وقد أدهشته ما قام به بكوات الدريب وأعيانها من ألعاب الفروسية في حقول سيدة القلعة بمنجز . لم يقتصر اقتناء الخيول على هؤلاء ، بل اقتناها معظم أعيان عكار من مسلمين ومسيحيين ورجال دين من مختلف الطوائف . واستخدمت الخيول في الأعياد والاحتفالات الكبرى ، وفي استقبال كبار الضيوف . وكان الفرسان يتبارون في «لعب الجريد» والسباق ويتفننون في

(١) الشهابي ، الأمير حيدر أحمد ، لبنان في عهد الامراء الشهابيين ، ٣ أجزاء ، منشورات الجامعة

اللبنانية ، الجزء الأول ، بيروت ، ١٩٦٩م ، ص ١٢٤ .

(٢) لويس شيخو ، رحلة الى بلاد عكار ، المشرق ، ٣/١٠/١٩٠٠ ، ص ٤٥٧ .

أعمال الفروسية . كما اشتهر تركمان عكار بحبهم للفروسية (١) وتكلم عن ذلك التميمي وبهجت اثناء رحلتها في عكار . وفيما يلي جدول عن الثروة الحيوانية في عكار ، يضم إحصائين ، الأول يعود إلى سنة ١٨٩٦ ، والثاني إلى سنة ١٩٠٤ . (٢)

سنة ١٨٩٦م		سنة ١٩٠٤م	
النوع	العدد	النوع	العدد
بقر وثيران	٩٠٠	بقر وثيران	١٨٧٠
جاموس	١٩	جاموس	٢
خحول	٢٥٠	خحول وكدش	٣٩٥
بغال وحمير	١٢٥٠	بغال	١٧٢
		حمير	١٦٠٩
غنم	٨١٠٠	غنم	٩٣٨٥
ماعز	٣٢٨٠٠	ماعز	٩٦٧٦
جمال	٥٥	جمال	١١٣٦

الجدير بالذكر أن هذه المعلومات الرسمية لا يمكن الركون إليها ، لأن مربى الماشية لم يكونوا ليصرحوا عن العدد الحقيقي لما يقتنوه تهرباً من الضرائب ، فكثيراً ما كان يعمد أصحاب الماشية إلى تهريب القطعان من «العدادة» (الذين يقومون بتعداد القطعان) وعن رشوتهم وتضليلهم بحيث لم يكن يتعدى «الكوشان» (٣) عشر القطيع . أما القطعان التي كانت تأوي إلى حظائر الجبال ،

(١) التميمي وبهجت ، ولاية بيروت ، ج ٢ ، ص ٤٢ .

(٢) شريف ، حكمت ، تاريخ طرابلس الشام ، ص ٢٠٨ .

(٣) الكوشان هو ورقة ايصال بالعدد والضريبة ، وكانت تستوفى شهرياً .

فلم يكن سهلاً الوصول إليها. (١)

وبذلك يكون عدد المواشي ، وبخاصة الماعز والغنم ، المرباة في عكار في العهد العثماني ، يفوق أضعاف المصريح به . ولأن الرعاة كانوا يعتمدون على قطعانهم في سبيل تأمين لقمة عيشهم ، فكانوا يتهربون من الضرائب الجائرة التي كانت تفرض عليهم من قبل الإدارة العثمانية ، والتي بلغت مصرية واحدة عن كل رأس غنم . وأقجة واحدة عن كل رأسين من الماعز. (٢)

تربية النحل:

إن طبيعة عكار الغنية بكل أنواع الأشجار والنباتات شجعت الأهالي على تربية النحل الذي يقتات من الزهور المتوفرة في أغلب أشهر السنة . كانت أعداد النحل تربي في جرار من فخار ، أو في قفران من الطين الذي يجبل على قضبان من شجر «اللبن» المشبوك على إسطوانة بواسطة أضلاع نبات كالحبال يسمى «الباطور» .

توضع القفران في المقاصل والحقول القريبة من البيوت، وتغطي بالأغصان . يتفقدونها مربوها يومياً للإطلاع على حالتها وأوضاع النحل فيها ، كونه شديد الحساسية وعرضة للفساد والخراب ، حتى ضرب المثل بذلك ، فيقال «أسرع من خراب النحل» . كما توفرت في احراج عكار وثقوب صخورها أعداد من النحل البري الذي يقدم أجود أنواع العسل البري .

كانت قفران النحل تدخل ضمن عداد الضرائب المفروضة من قبل السلطنة العثمانية ، تجبى على أساس محصول خلايا النحل من العسل ومشتقائه. (٣)

(١) سلوم ، عكار ، ص ٢١٠ .

(٢) سجلات المحكمة الشرعية في طرابلس ، السجل الثاني ، ص ٥٢ وص ٦٢ . هذا وكانت المصرية

الواحدة تساوي ٤٠/١ من الغرش ، أو بارة واحدة . والغرش الواحد يساوي ١٢٠ أقجة .

(٣) سجلات المحكمة الشرعية ، السجل الثاني ، ص ٥٢ وص ٦٢ .

وبلغت أفجة واحدة أو أفجتين عن كل خلية^(١) أو ١٠٪ من الإنتاج. (٢)

الطيور:

عرفت عكار على مدى عصورها تربية الطيور، بخاصة الدجاج، إذ قلما نجد بيتاً خالٍ من أعداد من الدجاج، يربيهما للإستفادة من بيضها الذي هو من مقومات وجبات غذائه اليومية. كما تربي الديوك للإستفادة من لحمها. وكان بيض الدجاج يدخل ضمن سلع المقايضة بين سكان القرى، أو يتم استبداله ببعض المواد الإستهلاكية من الدكاكين، وبخاصة الملح والسكر والأرز، وغير ذلك.

إلى جانب تربية الدجاج، عرفت عكار تربية أنواع أخرى من الطيور كالحبش والبط والحمام التي فتحت له صفوف من الكوى في واجهات البيوت ليبيت وبيض فيها.

الخاتمة:

في العهد العثماني، كانت الغالبية العظمى من العكارين تعمل في الزراعة، في أراضٍ لا يملكونها، فعملوا على حراستها وزراعتها لصالح أسيادهم الإقطاعيين والملتزمين، الذين كانوا يملكون المساحات الكبرى من الأراضي الزراعية في سهل البقיעة حيث السيطرة لعائلة الدنادشة، وفي سهل عكار والمناطق الوسطى، حيث الملكية تعود إلى آل مرعب، التي كلفت بالتزام عكار من قبل والي طرابلس إعتباراً من النصف الأول من القرن الثامن عشر.

(١) البخيت، محمد عدنان، حيفا في العهد العثماني، المؤتمر الدولي الثاني لتاريخ بلاد الشام، الجزء الأول، كلية الآداب، دمشق، ١٩٧٨م، ص ٣٠٢.

(2) Adnan Afteinan, *Apercu general sur l'histoire économique de l'Empire Turc-Ottoman*.

11th ed. Ankara, 1976, p. 48.

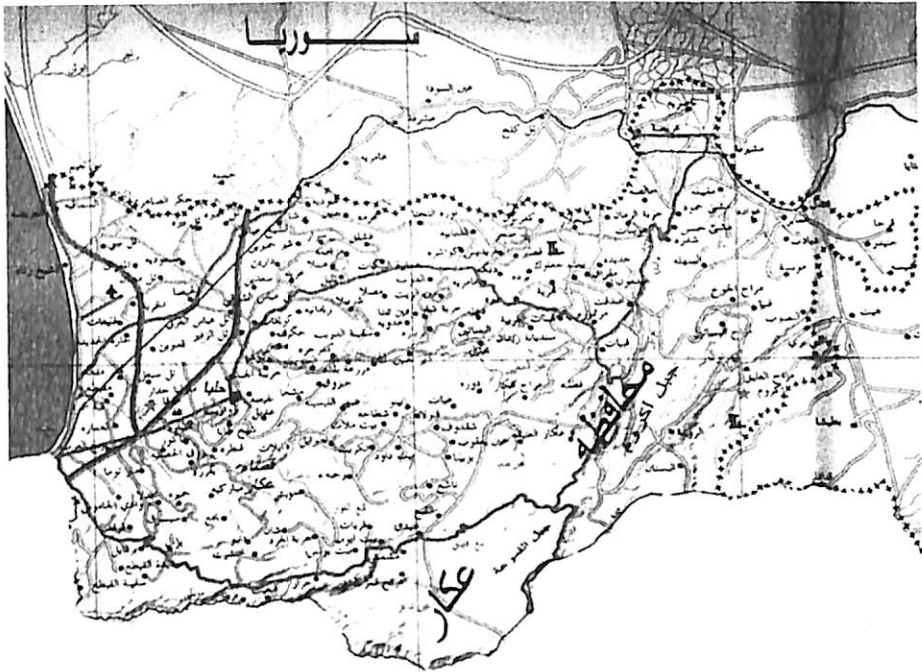
أما الفلاحون والمزارعون فكان الواحد منهم لا يملك سوى قطعة صغيرة من الأرض يقيم عليها بيته الفقير الضيق ، والذي يتألف من الغالب من غرفة واحدة مبنية بالحجارة والطين ، ومسقوفة بعارضات من الخشب ، فوقها طبقة من التراب ترصّ جيداً إتقاءً للمطر ومنع تسرب المياه . وكان يخصص ما تبقى من قطعة الأرض لبعض الزراعات البيئية كالبطاطا والبصل والثوم وبعض الخضار .

كان الفلاح يمضي نهاره ، مع عائلته ، يعملون في الحقول لتحصيل قوتهم اليومي ، أو يعملون لصالح أسيادهم . لعل ذلك يعود إلى فقر الفلاح وإرهاق كاهله بالضرائب ، وإلى عدم قدرته على تخطي الأوضاع المعيشية الصعبة التي يعيشها . وكان امتلاك الأراضي يتطلب من صاحبها القوة والقدرة للحفاظ عليها ، خاصة في ظروف انعدام الأمن والفوضى التي كانت تسود مناطق الريف العكاري بصورة عامة ، والتي فاقت قدرة الفلاح المحدودة لحمايتها .^(١)

ولما كان الإقطاعيون يملكون اكثرية الأراضي ، فمن الطبيعي أن يعود الإنتاج إليهم . حتى أنهم ملكوا قرى بكاملها . ولهذا نرى أن الأوضاع الاجتماعية والإقتصادية في عكار ، بقيت دون تطور يذكر ، وعلى مدى أربعة قرون متواصلة من الحكم العثماني . وقد انعكس ذلك أيضاً على الأوضاع الثقافية ، حيث كان الجهل والامية سمة تلك المرحلة الطويلة ، فالتعليم شبه معدوم ، وكذلك المدارس . وكان الهم الوحيد لأهل تلك المنطقة هو تأمين سبل عيشهم ، معتمدين على تعبهم وأرضهم المعطاء ، بما تجود به من إنتاج وخيرات يتدبرون بها أمرهم . لذلك كانوا يمضون السنوات الطوال من حياتهم في الحقول لاستصلاحها وزراعتها ، أو مع المواشي لرعيها والاهتمام بها .

(١) نافذ الأحمر ، نواحي لبنان الشمالي في العهد العثماني ، ص ٦٦ .

خريطة محافظة عكار الحديثة



الاحتساب في القدس في القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي

خضر سلامة (*)

قد يتساءل البعض ما علاقة الحسبة بالزراعة في بلاد الشام؟ ولماذا يتم حشر الحسبة في موضوع كهذا؟ واجيب بأن المحتسب هو الشخص الاساسي الذي يشرف على وصول حقوق المزارعين اليهم من خلال مراقبة الاسعار وعدم الغش وخداع الفلاحين ، فنتيجة عمل المزارع والمتمثلة في انتاجه ، يشرف على تصريفها بصورة او بأخرى المحتسب ، فهو من الاركان الاساسية في وصول المنتج الزراعي الى المدينة ، وعليه ان يحافظ على سلاسة الحركة التي يتم بها هذا الامر ، فتوفر المواد الغذائية في الاسواق وعدم التلاعب باسعارها من الاعمال الاساسية التي يشرف عليها المحتسب ومعاونه ، ومن هنا جاءت العلاقة بين المزارع والمياه والارض والفلاح والمحتسب ، فهي موضوعات تكمل بعضها البعض .

نظرة عامة على الحسبة في التاريخ الإسلامي

رغم أن مصطلح الحسبة لم يرد في القرآن الكريم أو الحديث النبوي ، الا ان تحديد وظيفة الحسبة في التاريخ الإسلامي هي «امر بمعروف اذا ظهر تركه ونهي عن منكر اذا ظهر فعله» ، وقد اعتمد كل من كتب عن الحسبة في جميع

(*) مكتبة المسجد الأقصى ، القدس ، فلسطين .

مراحلها على تفسير الآية الكريمة من القرآن الكريم «ولتكن منكم امة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون»^(١) ، ويوجد فرق في وظيفة الحسبة بين من عينه الوالي ، ويسمى والي الحسبة ، وبين المحتسب المتطوع والذي اعتمد دوره على الحديث الشريف «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك اضعف الإيمان»^(٢) وذكر الماوردي تسعة فروق بين المسلم المتطوع للحسبة وبين من ولي المنصب ، وهو من اوائل من كتب عن الحسبة ، وقد خصص الفصل الاخير وهو العشرون لموضوع الحسبة^(٣) ، ومعظم من كتب عن الحسبة بعده أحال إليه ، وقد تتابعت المؤلفات عن الحسبة طيلة الفترات الإسلامية ، سواء في مغرب الدولة الإسلامية^(٤) أو مشرقها^(٥) ، وطبيعي ان مفهوم الحسبة في فترة الرسول الكريم (١) القرآن الكريم ، سورة آل عمران ، الآية ١٠٤ ، وتورد كتب الحسبة ايات قرآنية أخرى بلورت دور

المحتسب ، مثل اول ثلاث ايات من سورة المطففين ، وغيرها من الايات الكريمة .

(٢) روي الحديث مسلم والترمذي وابن ماجه ، انظر ، جميل عبد القادر اكبر ، عمارة الارض في الاسلام : مقارنة الشريعة بأنظمة العمران الوضعية ، ط٢ ، دار البشير ، عمان : ١٩٩٥ م ، ص : ٢٧٥ .

(٣) علي بن محمد الماوردي (ت ١٠٥٨/٤٥٠) ، الاحكام السلطانية والولايات الدينية ، دار الكتب العلمية ، بيروت : ١٩٩٢ م ، الباب العشرون ، ص : ٢٩٩-٣٢٢ .

(٤) انظر على سبيل المثال ، كتاب محمد بن أبي محمد السقطي المالقي (ت حوالي ٥٠٠هـ / ١١٠٠م) ، في آداب الحسبة ، تحقيق ليفي بروفنسال : معهد العلوم المغربية ، باريس ، ١٩٣١ م ؛ وكتاب ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب ، رسالة محمد بن احمد بن عبدون الاشبيلي (القرن السادس/ الثاني عشر) ، رسالة احمد بن عبد الله بن عبد الرؤوف ، ورسالة عمر بن عثمان الجرسقي ، حققها ليفي بروفنسال : المعهد العلمي الفرنسي للأثار الشرقية ، القاهرة ، ١٩٥٥ م .

(٥) نشير إلى كتاب ، محمد بن احمد بن بسام المحتسب (القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي) ، نهاية الرتبة في طالب الحسبة ، حققه وعلق عليه حسام الدين السامرائي : مطبعة المعارف ، بغداد ، ١٩٦٨ م ؛ وكتاب تقي الدين احمد بن تيمية (ت ٧٦٦هـ/٧٢٨م) ، الحسبة في الاسلام ، تحقيق سيد بن محمد بن أبي سعدة : مكتبة دار الأرقم ، الكويت ، ١٩٨٣ م .

والخلفاء الراشدين وبدايات الدولة الاموية كان بسيطا ، وقد تطور مفهوم الحسبة في الفترات اللاحقة من التاريخ الاسلامي ، فقد كانت في بدايتها تقتصر على مراقبة البيع في الاسواق ، ولم تكن الحسبة مؤسسة لها اجهزتها وموظفيها ، وبعد الفتوحات الاسلامية وانفواء كثير من الامم تحت راية الاسلام نمت الحاجة الى تحديد اطار للحسبة وما يستتبعها من وظائف وخلاف ذلك ، وبعد ان كان يكتب عن هذا الموضوع من ضمن مواضيع اخرى كوظيفة فرعية ، مثل ما ورد عند الغزالي في كتابه احياء علوم الدين^(١) ، والقلقشندي في صبح الاعشى الذي وضعها ضمن الصنف الثاني من الوظائف الدينية^(٢) ، بدأت تظهر مؤلفات متخصصة في موضوع الحسبة ، ويعتبر عبد الرحمن بن نصر الشيزري في كتابه «نهاية الرتبة في طلب الحسبة» من رواد الحسبة في المشرق الإسلامي^(٣) ، وهو اقدم من الف كتابا منفردا ومتخصصا فيها^(٤) ، وتبعه بعد عدة عقود ابن الاخوة الذي قسم الحسبة الى سبعين بابا^(٥) .

(١) ابو حامد محمد بن محمد الغزالي (ت ٥٠٥هـ/١١١١م) ، احياء علوم الدين : المطبعة العثمانية المصرية ، القاهرة ، ١٢٨٩هـ ، ج ٢ ، ص : ٢٦٩-٣٠٠ .

(٢) احمد بن علي القلقشندي (ت ٨٢١هـ/١٤١٨م) ، صبح الاعشى في صناعة الانشا ، ١٣ ج : المطبعة الأميرية ، القاهرة ، ١٩١٨م ، ج ٤ ، ص : ٣٧ ؛ ج ٥ : ٤٥١ .

(٣) عبد الرحمن بن نصر الشيزري (ت ٥٨٩هـ/١١٩٣م) ، نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، تحقيق ونشر الباز العربي العريني ، القاهرة : ١٩٤٦ .

(٤) خالد خليل الظاهر وحسن مصطفى طيرة ، نظام الحسبة : دراسة في الادارة الاقتصادية للمجتمع العربي الإسلامي : دار المسيرة للنشر والتوزيع ، عمان ، ١٩٩٧م ، ص : ٨٧ ، سيشار اليه عند وروده فيما بعد : الظاهر ، نظام الحسبة .

(٥) محمد بن محمد بن احمد القرشي المعروف بابن الاخوة (ت ٧٣٠هـ/١٣٢٩م) ، معالم القرية في احكام الحسبة تحقيق محمد محمود شعبان وصديق احمد عيسى المطيعي ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٦م .

عرفت الحسبة تعريفات كثيرة في الكتب التي تعرضت لهذا الموضوع ، وجميعها كانت تدور حول محور الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، واحتاجت الحسبة الى مسئول عنها ، وبناء على ما كتب حول الموضوع ظهرت وظيفة المحتسب ، وقد تمثل عمله في الاشراف على الاسواق ، ومراقبة مكاييل الباعة وأوزانهم ، ومنع الغش في البيع او زيادة السعر او تطفيف المكيال او تسعير البضائع ومراقبة تقيد التجار بها ، ومن وظائفه التي تتعلق بالمدينة الحرص على ابقاء الطريق نظيفة وسالكة للدواب والبشر وضمان عدم تعدي اصحاب الحوانيت عليها ، والمحافظة على الشارع وضمان عدم تضييقه من اصحاب البيوت الذين يسكنون على جانبي الشارع ، وفي الفترة العثمانية كان للمحتسب دور في التنظيم الحرفي في المدينة ، مثل المحافظة على نوعية السلعة ، والبيع للسلع المنتجة في اسواقها المخصصة لذلك وتوفير السلع للاهالي ، ويقوم المحتسب بالقبض على المخالفين واحضارهم الى المحكمة الشرعية لتسجيل مخالفتهم في سجلات المحكمة ، ولايقاع العقاب عليهم اذا وجد القاضي ان المخالفة تستحق العقوبة ، ولعل اشمل تعريف في المصادر الحديثة حسب معرفتي هو «عمل يقوم به المسلم لتغيير منكر ظاهر او امر بمعروف دائر من خلال ولاية رسمية او جهود تطوعية وعلى المكلف بها ما ليس على المتطوع»^(١) .

في بدايات الفترة الاسلامية كانت وظيفة المحتسب يقوم بها شخص عرف باسم «صاحب السوق» وفي عصر الخليفة المأمون استبدل بمصطلح المحتسب^(٢) ، ومن ثم ففي الفترة العباسية الأولى ظهر أول من حمل اسم محتسب ، ويشير

(١) علي بن حسن بن علي القرني ، الحسبة في الماضي والحاضر : بين ثبات الاهداف وتطور الاسلوب ،

ج٢ ، : مكتبة الرشد ، الرياض ، ١٩٩٤م ، ج١ ، ص : ٦٣-٦٤ ، سيشار اليه عند وروده فيما بعد ،

القرني ، الحسبة في الماضي .

(٢) موجز دائرة المعارف الإسلامية : مركز الشارقة للإبداع الفكري ، الشارقة ، ١٩٩٨م ، ١٢م : ص ٣٧٣٢ ،

سيشار إليه عند وروده فيما بعد : موجز دائرة المعارف الإسلامية .

الطبري الى ان اول من حمل اسم هذه الوظيفة هو ابو زكريا يحيى بن عبد الله في سنة ١٥٧هـ/٧٤٣م، وقد ولاه على الحسبة الخليفة العباسي ابو جعفر المنصور (ت ١٥٨هـ/ ٧٤٤م)^(١)، في حين يشير اخرون ان الاسم ظهر في عصر الخليفة الهادي (ت ١٦٩هـ/ ٧٨٥م)^(٢).

اهتمت الدويلات الإسلامية المتعاقبة مثل الفاطمية والأيوبية والمملوكية بالحسبة، واصبح لها تنظيمها الاداري المركزي، ومحتسبها الذي كان يتم اختياره احيانا من طبقة العلماء وحيانا اخرى كان يتم شراء المنصب، حتى اننا نجد اسماء مشهورة عملت كمحتسب في القاهرة، مثل المقرئ وبدر الدين العيني اللذين تولى كل منهما الحسبة اكثر من مرة، وقد تعددت الدراسات عن الحسبة في العصر المملوكي، ورغم تطور مؤسسة الحسبة واهتمام السلاطين بها، الا اننا نجد امثلة كثيرة على تدهور هذه الوظيفة من ناحية استغلالها للمصالح الربحية الخاصة، ولا ادل على ذلك من تولي حسبة القاهرة ١٢٣ محتسبا في القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي^(٣).

الحسبة في العصر العثماني^(٤)

لا نجد أحدا من الذين كتبوا في هذا الموضوع تعرض للحسبة او المحتسب

(١) القرني، الحسبة في الماضي، ج٢: ٥٣٢.

(٢) الظاهر، نظام الحسبة، ص: ٩٩؛ وانظر جميع الآراء مجتمعة حول هذا الموضوع في كتاب، القرني،

الحسبة في الماضي، ج٢: ص: ٥٣٠-٥٤٠.

(٣) للاطلاع على امثلة عديدة حول ضمان القضاء والحسبة في العصر المملوكي راجع كتاب، احمد عبد

الرزاق احمد، البذل والبرطلة زمن سلاطين المماليك: دراسة عن الرشوة: الهيئة المصرية العامة

للكتاب، القاهرة، ١٩٧٩م.

(٤) انظر مصادر عن الحسبة في الفترة العثمانية باللغة التركية في: موجز دائرة المعارف الاسلامية، م

١٢، ص: ٣٧٤٣-٣٧٤٥.

في الفترة العثمانية ، وجل ما تحدثت عنه المصادر التي كتبت عن الحسبة في تلك الفترة ، لا يتعدى صفحة او صفحتين او عدة سطور متناقلة بين هذا الكتاب وذاك ، وذلك نابع من قلة المعلومات التي تعرضت لهذا الموضوع في الدولة العثمانية ، فلم استطع ان أجد أي مؤلف كتب عن الحسبة في العصر العثماني باللغة العربية ، وعلى الاغلب انه لم يكتب عن هذا الموضوع شيء ، فقد عرف حاجي خليفة الاحتساب بشكل مختصر وعام ، بأنها علم يبحث في الامور الحياتية لاهل البلد ، ولم يتطرق للموضوع في الفترة العثمانية^(١) ، وحتى المؤلفات الحديثة عن الحسبة لم تتعرض للموضوع إلا في عدة فقرات ، فمثلا كتاب الدولة العثمانية تاريخ وحضارة كتب صفحتين عن الاحتساب ، واقتصر فيهما على مسألة الرقابة على الحرفيين والتجار^(٢) ، وبسبب ذلك سيتضمن هذا المقال ملحقا يحتوي على ملخصات مجموعة مختارة من الحجج التي وردت في السجلات الاولى سجلات المحكمة الشرعية الأولى حول الحسبة .

يبدو أن وظيفة المحتسب والتي تمثلت في العصور الاسلامية في «الامر بالمعروف والنهي عن المنكر» قد نالها كثيرا من التغيير في القرن السادس عشر الميلادي ، فجميع الشروط التي أوردتها المصادر القديمة والحديثة والواجب توفرها في المحتسب^(٣) لم يكن لها أي دور في تعيين محتسب القدس ، كما لم يكن

(١) مصطفى بن عبد الله حاجي خليفة (ت ١٠٦٧هـ/١٦٥٦م) ، كشف الظنون عن اسامي الكتب

والفنون ، ٢م ، بيروت : مكتبة المثنى ، [د . ت . ن . ا] ، ج ١ : ١٥ .

(٢) انظر على سبيل المثال لا الحصر ، مباحات كوتك اوغلي ، المعادن الثمينة والسياسة النقدية وسياسة

الاسعار ، منشور ضمن كتاب الدولة العثمانية تاريخ وحضارة ، ترجمة صالح سعداوي ، مجلدان :

منظمة المؤتمر الإسلامي ، استانبول ، ١٩٩٩م ، مجلدا : ص ٦٧٥ ؛ القرني ، الحسبة في الماضي ،

ج ٢ : ٥٨٥-٥٨٨ .

(٣) تجمع المصادر القديمة ، والحديثة التي نقلت عنها على الشروط التي يجب ان يتمتع بها المحتسب ، انظر

كمثال ، عبد الكريم زيدان ، نظام القضاء في الشريعة الاسلامية ، ط ٣ ، مؤسسة الرسالة =

أي معرفة ولو بسيطة لمحتسب المدينة بأحكام القضاء والاجتهاد ، فقد تحول المحتسب الى جابي للمكوس والضرائب للدولة ولجيبه الخاص ، فلم يكن هناك دور لقاضي المدينة او الوالي في تعيين المحتسب ، باستثناء دور القاضي في تسجيل حجة التضمين في السجل ، وكان يتم شغل وظيفة الاحتساب بطريق الالتزام ويعرف باسم بدل مقاطعة (من يدفع اكثر في الوظيفة) ، فطيلة القرن السادس عشر لم يتول الحسبة أي من العلماء او رجال الدين ، فقد استولى على الوظيفة افراد من اصحاب المهن الحرفية اللذين تحولوا بفضل ذلك الى اثرياء^(١) ، على الرغم من وجود قوانين او ادبيات احتوت على كثير من الاحكام والتي صدرت من الحكام العثمانيين او ممثليهم في فترات مختلفة من عمر الإمبراطورية ، وتوضح تلك القوانين جميع واجبات المحتسب ، ونجد تلك القوانين مقننة في «احتساب قانون نامه لرى»^(٢) ، والدولة العثمانية ليست هي الامبراطورية الوحيدة التي كان يتم فيها تضمين الحسبة بالالتزام ، بمعنى اخر لم يكن نظام الالتزام هو بدعة عثمانية ، فقد وجدت امثلة ولكن محدودة او نادرة على تلزيم الحسبة وغيرها من الوظائف منذ بدايات الفترة الإسلامية^(٣) ، كما

= ناشرون ، بيروت ٢٠٠٩م ، ص : ٢٦٣-٢٧٧ ؛ عبد الله بن محمد عبد المحسن المطوع ، الاحتساب وصفات المحتسبين ، : دار الوطن للنشر ، الرياض ، ١٩٩٩م ، ص : ١٨-٢٥ ؛ القرني ، الحسبة في الماضي ، ج ١ ، الفصل الثاني عن المحتسب ، ص : ٧٧-١٢٦ .

(1) Khader Salameh, Aspects of the Sijills of the Shari'a Court in Jerusalem. In *Ottoman Jerusalem: The Living City 1517-1917*. Sylvia Auld and Robert Hillenbrand, eds. London, 2000, p. 120-122.

(٢) موجز دائرة المعارف الاسلامية ، ج ١٢ : ٣٧٤٠ .

(٣) ابو الفداء الحافظ ابن كثير ، (ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م) البداية والنهاية ، اعتنى به عبد الحميد هندواي ، المكتبة العصرية ، صيدا ، ٢٠٠١م ، مجلد ٨ ، ص : ٩٤ ، حيث ولي القضاء ابو عبد الله الحسن بن ابي الشوارب وثمنه ان يؤدي في كل سنة الى الدولة مائتي الف درهم وهو اول من ضمن القضاء ثم تضمن الشرطة والحسبة .

وجدت في الفترات الاسلامية اللاحقة ، والاختلاف ما بين الدولة العثمانية وباقي الدول الاسلامية السابقة عليها ، ان الالتزام في مدينة القدس في عصر العثمانيين اصبح هو النمط السائد لتولي هذه الوظيفة ، في حين انه في الفترات السابقة كان وضعها شاذا يتم تصحيحه على الأغلب ، فقد تحول مفهوم الحسبة الى وظيفة تجارية .

كان الصوباشي^(١) يقوم بتضمين الحسبة لمن يدفع أعلى سعرا فيها ، وينوب في عمله هذا عن كافل^(٢) مملكة القدس أي والي المدينة ، ويرد اسمه في السجلات بصفات وظيفية مختلفة مثل ، صاحب سنجق القدس ، مالك لواء القدس ، امير الامراء ، ملك الامراء ، حيث كان المبلغ المالي المأخوذ من المحتسب عائدا له على اعتبار انه الشخص الموكل بجمع المال الذي يعود للخاص الشريف أو الخاص السلطاني ، أي المال العائد لخزينة الدولة ، واحيانا كان الصوباشي يكلف وكيله المعروف بلقب «المشد»^(٣) في تضمين الحسبة^(٤) . وكان القاضي احيانا يأذن بالصرف على بعض المشاريع من مال الاحتساب ، فقد وردت حجة

(١) وظيفة عثمانية وتعني رئيس الشرطة ، وكان الصوباشي رئيس فرقة من الفرسان العثمانيين عرفوا باسم السباهية ، وهو بمقام قائد شرطة المدينة في عصرنا الحالي ، انظر : محمد احمد دهمان ، معجم المصطلحات التاريخية في العصر المملوكي ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، ١٩٩٠م ، ص : ١٠٣ ، سيشار اليه عند وروده فيما بعد : دهمان ، معجم المصطلحات .

(٢) الكافل هو لقب نائب السلطان في المدينة ، وقد استخدم هذا اللقب في الفترة المملوكية واستمر في الدولة العثمانية ، ويشير الى والي المدينة ، انظر : حسن الباشا ، الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار : الدار الفنية للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٨٩م ، ص : ٤٣٤ .

(٣) المشد هو رئيس الورشة او الجند ، وهو الذي يراقب الجند ويشد همتهم في العمل ، وفي القدس كان يعمل نائبا للصوباشي ، انظر : دهمان ، معجم المصطلحات ، ص : ١٣٩ .

(٤) انظر كمثال ، سجل المحكمة الشرعية في القدس رقم ١٠ : ٥٥٧ ، سيشار الى السجل عند وروده فيما بعد : سجل رقم .

تفيد ان القاضي امر المحتسب بدفع ٦٠ قطعة (١,٥ سلطاني ذهب) من محصولات الاحتساب لامام مسجد القلعة من اجل ترميم الممر الواصل بين دار الامام ونوبة خانة (بيت أو مكان الحارس)^(١) ، كما صدر امر من دفتر دار الشام لقاضي القدس بتعمير الرواق اسفل المدرسة الكريمة^(٢) من مال مقاطعة الاحتساب ، حيث امر القاضي بدوره المحتسب عبد الرحمن بن شهاب الدين بدفع مبلغ ١٤٠ سكة ذهب للمعمار بتاريخ ١٢ شوال ٩٨٩هـ^(٣) الموافق ١١/٩/١٥٨١ م .

سنتعرض للمحتسب والحسبة في القدس في القرن السادس عشر الميلادي من خلال الإشارة للمحتسب الأول الذي ورد اسمه في سجلات المحكمة الشرعية في القدس ، وسوف نحاول القاء الضوء على دخل المحتسب من هذه الوظيفة ، وعلى وظائفه الاخرى التي تولاهها نتيجة عمله كمحتسب ، ويجب التوضيح انني لم استخدم جميع سجلات القرن السادس عشر لكتابة هذا المقال ، فقد اقتصرت على اول اثني عشر سجلا اضافة الى سجلات متفرقة ترجع لفترات لاحقة سيتم الاشارة اليها في مضان هذا المقال ، وقد احتوت تلك السجلات على مئات الحجج التي تتعلق بالمحتسب^(٤) .

لقد تم ذكر الاماكن التي كان يتقاضى المحتسب منها الرسوم ، فقد اشتمل الاحتساب في مدينة القدس على الوظائف التي كانت تدخل ضمن اعمال

(١) سجل المحكمة الشرعية في القدس ، سجل رقم ٥٩ ، ص : ٤١ .

(٢) وتقع في سور الحرم الشريف الشمالي بجانب باب حطة من الشرق ، ووقفها كريم الدين بن هبة الله

سنة ٧١٨هـ/١٣١٨م ، عنها انظر كمثال : كامل العسلي ، معاهد العلم في بيت المقدس : الجامعة

الأردنية ، عمان ، ١٩٨١م ، ص : ٢٥٤-٢٥٧ .

(٣) س . ش . ق . سجل رقم ٤٩ ، ص : ٥٨٩ .

(٤) انظر ملحق رقم واحد ، وهو مختصر لمجموعة من الوثائق من السجلات الاولى .

المحتسب التي يجمع منها الرسوم اليومية او الاسبوعية ، ونختصرها على النحو الآتي :

باج^(١) الصياح ، أي المناداة على البضائع ، سوق التجار ، سوق القطنين ، سوق العطارين^(٢) ، سوق الخطابين ، وكان له رسم على كل دكان في هذه الاسواق ، الدلالة على البضائع ، دلالة الرقيق ، باج اللحامين او دمغة القصابين ، و احيانا ترد تحت اسم المسلخ .

ومن وظائف المحتسب التي كان مسئولاً عنها ، ولا يتلقى عليها رسوم ، ابقاء الطريق سالكة وامنة للناس وللحيوانات ، وعدم التعدي عليها بالبناء فيها ، فقد كلف المحتسبين بالكشف على درع الطريق العامة بمحلة الحيادة والتأكد انه لم يتم الاعتداء عليها ، وتم الكشف وقياس الطريق بحضور المعمار وجماعة من الشهود^(٣) ، كما ان الاشراف على نوعية النقود المتداولة في السوق كان من وظائف المحتسب ، ففي ٦ جمادى الاولى سنة ٩٧٤هـ ، احضر المحتسب ابو اليسر بن رجب الى المحكمة صاحب احد الحوانيت بدعوى انه يتعامل مع الفلوس المنهي عن التعامل بها ، وقد وجدت الفلوس في دكانه بعد تفتيشه ، وقد اعترف بذلك وعليه فقد استحق التأديب^(٤) .

لقد كانت البضائع تسعر في المحكمة ، ويتم تسجيل الاسعار في سجل يحفظ في المحكمة ، وذلك حسب سعر الرطل الذي كان وزنه يساوي ٨٠٠

(١) الباج هي لفظة فارسية تعني الاشياء والاموال ، وتطلق على ضرائب كثيرة كانت تجبى في الاسواق من البيع والشراء ، انظر : احمد اق كوندوز ، التشريع الضريبي عند العثمانيين ، ترجمة فاضل بيات ، عمان : منشورات لجنة تاريخ بلاد الشام ، ٢٠٠٤م ، ص : ٨٦ فما بعدها .

(٢) في الفرمان الذي حدد الاماكن التي للمحتسب ان يتقاضى رسوم منها لم يرد سوق القطنين ولكن في كثير من حجج التضمين كان يرد اسم السوق على ان للمحتسب على دكاكينه رسوم .

(٣) س . ش . ق . ، سجل رقم ١٥ ، ص : ٥٥٢ .

(٤) المصدر نفسه ، سجل رقم ٤٩ ، ص : ٢/٢٢١ .

درهم^(١)، ويساوي حوالي العشرة اواق بوزننا الحالي^(٢)، كما ان الاسعار كانت تراجع بين الحين والاخر لرفعها او تخفيضها تبعا للعرض والطلب ورأي معلمي السوق، وكان على كل تاجر ان يبيع حسب السعر الذي تم تحديده للسلمعة، وافترض انه كان يتم ابلاغ التجار بأسعار البضائع من خلال قنوات معلمي كل بضاعة او بالمنادة عليها في الاسواق، فالأسعار لم تكن تسجل على البضائع، وقد كان التسعير يتم بحضور القاضي احيانا والمحتسب وبعض التجار من السوق كل حسب البضائع التي يبيعهها، وحيان يحضر التسعير انكشارية السلطان او ناظر الحرمين او غيرهم، وقد تذكر اسماء معلمي السوق اللذين يحضرون التسعير، مثل معلمي الحلوانية اذا كان التسعير يتعلق بالحلويات مثل الحلالة الجوزية والشامية والدهنية والمنقوشة والمعجنات والكنافة، او معلم اللحامين اذا كان اللحم داخلا في قائمة التسعير، وان كان اللحم يسعر في الاغلب كسلمعة منفردة، او معلمي الأفران اذا كان المقصود تسعير الطحين والخبز والكعك، وقد كان يتم تسعير البضائع بدراهم كانت تسمى «الفضة الحلبية»^(٣)، كانت المحكمة تحتفظ بسجل لاسعار البضائع من اجل الرجوع اليه عند ظهور أي خلاف حول الاسعار، ومن الأمثلة على تسعير البضائع نقتبس ما يلي «اسعار البضايح الاتي ذكرها فيه بحضور المحتسب والشيخ ماهر وبقيه السوقة السمن

(١) س . ش . ق . سجل رقم ٨ ، ص : ٣/١١٨ .

(٢) فالتر هانس ، المكايل والاوزان الاسلامية وما يعادلها في لنظام المتري ، ترجمة كامل العسلي ، عمان : الجامعة الاردنية ، ١٩٧٠م ، ص : ٣٢ .

(٣) كانت قيمة الفضة الحلبية اقل من قيمة العثمانية «الاقجة» فقد كانت كل عثمانية تساوي ٢ ونصف فضة حلبية ، وقد ورد سعرها في تحديد سعر دينار الذهب السلطاني الذي كان يساوي ٢٠٠ حلبية و ٨٠ عثمانية ، والدينار الشامي الذهب كان يساوي ١٣٠ حلبية و ٥٢ عثمانية ، والجدير بالذكر انه لم يرد ولو مرة واحدة في السجلات الاثنى عشر الاولى اسم «اقجة» ويبدو انها كانت تعرف بالعثمانية وفي فترة لاحقة عرفت باسم الاقجة ، انظر س . ش . ق . سجل رقم ١٠ ، ص : ٤٥ ، ٥١ .

الهيثمى كل وقية اثنان وربع . . . العسل البلدي الطيب كل اوقية اثنان . . . الشيرج من المعصرة كل جرة^(١) ٦٥ ، الصحينة من المعصرة كل جرة ٤٨ ، من السوق كل وقية درهم ، الدبس كل رطل ٦ . . . الارز كل رطل ٩ وان لا تباع ساير البضائع الواردة الى القدس الشريف الا تحت اسعاره ، ومن باع خلاف ذلك عليه الجريمة بتاريخ ١٨ ذي القعدة سنة ٩٣٦هـ الموافق ١٤/٧/١٥٣٠م ، طحن الطحين كل مد بدرهمين ونصف ، شهود الحال ، كاتبه خليل الحنفي ، ومولانا القاضي الشافعي^(٢) ، ولم يقتصر دور المحتسب على التسعير بل كان يتم تحديد كمية الطحين التي يجب على الافران خبزها في كل يوم ويبدو ان ذلك نابع من اجل ضمان عدم نقص الخبز في السوق لأنه مادة غذائية رئيسة لدى الاهالي ، ونقص الخبز قد يؤدي الى احتجاجات لدى السكان ، ففي ربيع الاول سنة ٩٣٨هـ / ١٥٣١م وردت حجة تم فيها تحديد كمية الطحين لكل فرن ونوعية الخبز الذي على الفران ان يخبزه ، ونصها «استقر سعر السميد من الطاحونة عن كل عشرة ارطال مبلغ فضة حلبية ٦٥ ، الكماج عن كل رطل ٦ وربع ، الخبز الطابوني ٥ وربع ، الخبز الماوي الطيب ٤ وثلثين ، واستقر حسن المشحم بان يعمل في كل نهار من تاريخه سبعين رطل طحين خبز طابوني طيب ويقدمه الى السوق ، واستقر المعلم ابو اللطف بنصف قنطار طحين ويعمله خبز طابوني ويقدمه الى السوق ، والخاروفي في كل نهار خمسة وسبعون رطل طحين ليعمل في كل نهار صباحا ومساء خبز ماوي ، واستقر محمد بن سعيرين بان يعمل في كل نهار راحلة كماج عشرة ارطال ، وعبيد خمسة ارطال ، ولابن الحكمة خمسة عشر رطلا ، ولابن الشفيح عشرة ارطال لتتمة ما يقدمه محمد بن سقرق

(١) كان وزن جرة زيت السيرج ٥٢ وقية ، سجل رقم ١٣ ، ص : ٥٧٩ .

(٢) س . ش . ق ، سجل رقم ١ ، ص : ١/٢٥ ، القواصل من اضافاتي ، والارقام وردت بخط السياقت ، انظر ملحق رقم ٢ في نهاية هذا المقال لأرقام السياقات والتي استخدمت في سجلات محكمة القدس الشرعية الاولى وما يقابلها من الارقام الحالية ، وقد تم استخلاصها من الحجج التي تم الاطلاع عليها .

ارطال اربعة ، واستقر الحاج ابراهيم بن المفيد [خبز] سميد في كل نهار ارطال عشرون ، ولا بن الحطيم ارطال خمسة ، ولليهودي ارطال خمسة ، ولا بن الداكور كل نهار نصف قنطار خبز وابن الحكمة خمسة وسبعين رطل خبز تحريرا في ٢٨ ربيع الاول سنة ٩٣٨ هـ الموافق ١٥٣١/١١/٩ م ، شهود الحال»^(١) ، وكانت تحضر عينات من الخبز الى المحكمة ، وكثيرا ما يرد سعر انواع الخبز منفصلا ، فقد «عمل قمح ششني فطحن واحضر الى مجلس الشرع فقوم ذلك فوجد الخلاص في بيعه بان السميد والطحين بأربعة دراهم حلبية الرطل ، والكماج الطيب بأربعة دراهم والخبز الطابوني الطيب بثلاثة دراهم ونصف درهم الرطل ، والخبز الماوي الطيب المقطع الرطل بدرهمين ونصف ، والخبز الماوي بدرهمين وربح تحريرا في ١ ربيع الثاني سنة ٩٤٤ هـ الموافق ١٥٣٧/٨/٨ م ، شهود الحال»^(٢) .

كان يتم مراقبة البيع في الاسواق من قبل المحتسب او معاونيه ، للتأكد من التقيد بالأسعار المحددة لكل نوع من المواد والاوزان ، ويقبض على المخالفين ويقادون الى المحكمة ، حيث كانت المحكمة تحتفظ بالوزنات وتقارن وزنات التجار اذا شك المحتسب في التلاعب بها ، كما ان عينات من البضاعة المباعة كانت تحضر الى المحكمة وتوزن بوزنات المحكمة للتأكد من وزن البضاعة ، فقد كان يتم التلاعب بمقدار الوزن عن طريق كسر جزء من حجر الوزن الموجود لدى التاجر من قبل اصحاب النفوس الضعيفة ، ولم اطلع على أي حجة ورد فيها نوعية العقاب الذي اوقع على المخالفين او المتلاعبين بالأسعار ، فقد «حضر تاج الدين السكري المحتسب وصحبته كماج محمد البهلول ووزن كماجه فوجد سعره كل رطل بخمسة ونصف درهم ، وسعره بالسجل كل رطل بخمسة دراهم تحريرا في ١٨ جمادى الاول سنة ٩٤٠ هـ الموافق ١٥٣٣/١٢/٥ م ، شهود الحال»^(٣) ،

(١) س . ش . ق . سجل رقم ١ ، ص : ٢/٤٦٩ .

(٢) المصدر نفسه ، سجل رقم ٦ ، ص : ٢/٦٥٠ .

(٣) المصدر نفسه ، سجل رقم ٣ ، ص : ٥/٢٤٩ .

وإضافة لذلك كان الوالي يتدخل أحيانا ويأمر بالتفتيش على الأوزان في السوق وينتدب من طرفه شخص أو أكثر للقيام بذلك ، ويتم ذلك بعد أن تسجل حجة في سجلات المحكمة^(١) ، وأحيانا كانت تتم المصالحة بين البائع والمشتري من خلال دفع تعويض على الخسارة التي لحقت بصاحب البضاعة أو الفلاح الذي غشه التاجر أو المشتري في الوزن ، فقد تدخل المحتسب بين تاجر وزن بضاعة بحجر فيه نقص عن الوزن المطلوب والبائع ، ودفع تعويض للخاسر مبلغ ثلاثين بارة^(٢) .

لم يكن يخلوا الأمر من الشكوى على المحتسب ، ففي ٢٣ جمادى الثاني سنة ٩٧٤هـ ، سجلت في المحكمة الشرعية شكوى من قبل طائفة اليهود ضد المحتسب ، ومضمونها أن المحتسب يمنع اليهود من الذبح حسب عاداتهم بالرغم من وجود تمسكات سلطانية بأيديهم تشهد لهم بذلك ، واحضر المحتسب إلى مجلس الشرع ومنعه الحاكم الشرعي من التعدي عليهم^(٣) .

في الفترة التي نتحدث عنها يلاحظ التذبذب الكبير في أسعار البضائع ، ويبدو أن ذلك نابع من العرض والطلب ، إضافة إلى أن كمية البضاعة المتوفرة في السوق كان لها دور في رفع أو تنزيل الأسعار ، وقد يكون ذلك نابع من الاحتكار من قبل التجار ، فقد سعر رطل الخبز الكماج في جمادى الثاني سنة ٩٣٧هـ / ١٥٣٠م بثلاثة دراهم ونصف^(٤) ، وبعد سنة نجد سعر الرطل يقفز إلى ثمانية دراهم في جمادى الثاني سنة ٩٣٨هـ / ١٥٣١م^(٥) ، ونجد سعره يتراجع في فترة لاحقة ، فقد بيع الرطل في شوال سنة ٩٣٩هـ / ١٥٣٢م بسبعة

(١) س . ش . ق . سجل رقم ١٢ ، ص : ٣/٢٩٣ .

(٢) سجل رقم ٤٩ ، ص : ٤/١٧٥ .

(٣) سجل رقم ٤٩ ، ص : ٦/٢٨٩ .

(٤) سجل رقم ١ ، ص : ٨٤ .

(٥) سجل رقم ٢ ، ص : ٢٥ .

دراهم^(١) ، كما يلاحظ التذبذب في سعر مادة اساسية اخرى وهي السيرج ، ففي ذي الحجة سنة ٩٣٦هـ/١٥٢٩م بيعت الجرة من زيت السيرج في المعصرة بسعر ٧٥ درهم^(٢) ، وتضاعف سعرها في ذي القعدة سنة ٩٣٨هـ/١٥٣١م ، حيث بيعت بمبلغ ١٥٠ درهم^(٣) ، وفي شوال سنة ٩٣٩هـ/١٥٣٢م تراجع سعر الجرة الى ٧٥ درهم^(٤) ، كما يلاحظ ارتفاع وهبوط اسعار الارز والسكر بشكل كبير ، ويبدو ان ذلك ناتج من انه يستورد من خارج فلسطين ، وقد تكون الطرق غير سالكة بسبب قطع الطريق أو نتيجة سوء الموسم من بلد المصدر التي كانت مصر .

تضمين الحسبة

من اجل ضمان المحافظة على دخل المحتسب والدولة كان تسجل اوامر او حجج في السجل بمنع شراء البضائع من الموردين الى السوق وبخاصة الفلاحين من قبل التجار قبل ان يتم تقبينها (وزنها) واخذ الرسوم عليها ، ففي ١٠ حجة ٩٧٣ هـ الموافق ١٥٦٦/٦/٢٨م القى المحتسب القبض على تاجر واحضر الى المحكمة لأنه اشترى فردة فقوس قبل وزنها في القبان ، وامر القاضي بتأديبه^(٥) . كانت الحسبة تضمن لأعلى سعر يدفع فيها ، ومدخولها كان عائداً لحزينة الدولة ، ونتيجة لمرود هذه الوظيفة الاقتصادي ، كان تداولها بين الأيدي كثيراً نتيجة الصراع على المكاسب المادية التي يجنيها المحتسب ، واحيانا نجد انها تنتقل من شخص الى اخر في نفس اليوم ، وأول محتسب ورد ذكره في

(١) س . ش . ق . سجل رقم ٣ ، ص : ٨٣ .

(٢) سجل رقم ١ ، ص : ٧٨ .

(٣) سجل رقم ٢ ، ص : ٢٥٣ .

(٤) سجل رقم ٣ ، ص : ٨٣ .

(٥) سجل رقم ٤٩ ، ص : ٣/٦٥ .

السجلات ، هو تاج الدين بن أحمد السكري في ١٨ شعبان ٩٣٥هـ الموافق ٢٦ / ٤ / ١٥٢٩م ، وقد يشترك أكثر من شخص في الحسبة ، وقد يقوم المحتسب بتأجير بعض هذه الوظائف لأخرين ويجني الربح من ذلك ، ففي رمضان سنة ٩٣٧هـ / أيار ١٥٣١م ، ضمنت الحسبة للناصري محمد بن علاء الدين بن المجدد المعروف بالشيخ باكير مبلغ ٢٨٠٠ عثمانية شهرياً ، وادخل معه في الحسبة محمد بن الأقرع^(١) ، وانحصرت المزاودة على الحسبة بين عدة أسماء ، ووصل التزامها في سنة ٩٤٥هـ / ١٥٣٨م إلى مبلغ ٥٠٢٠ عثمانية شهرياً^(٢) ، وبعد سنتين قفز تضمين الحسبة إلى ٧٢٠٠ عثمانية شهرياً^(٣) أي ٢٤٠ عثمانية يومياً ، وبهذا الالتزام اليومي ، كان يمكن أن يستأجر به فرناً ودكاناً لمدة سنة^(٤) ، ولنعرف ضخامة هذا المبلغ ، فإن ما كان يدفع يومياً لالتزام الاحتساب ، كان يمثل أجرة صنائعي لمدة عمل تستغرق ١٢٠ يوماً في ذلك الوقت .

ويبدو ان البازار باشي^(٥) كان مساعداً للمحتسب ، فقد كان يتم تعيينه للإشراف على بيع البضائع ، وبموافقة المحتسب والباعة ، ويصدر تعيينه من القاضي ، «استقر ابراهيم بن علي الحلبي بازار باشي بالأسواق ، ورضوا بعض

(١) س . ش . ق . سجل رقم ١ ، ص : ٢٨٦ .

(٢) سجل رقم ١٠ ، ٢٤٦ .

(٣) سجل رقم ١٢ ، ص : ٣٢١ .

(٤) نفسها ، كانت اجرة الفرن الشهرية تتراوح ما بين ٣٠ الى ٦٠ درهم (انظر على سبيل المثال سجل رقم ١٢ : ٣٧٣ ، ٤٨٨ ، ٧٥٥) ، كما تراوحت اجرة الحوانيت ما بين ٢٠ الى ٦٠ درهم بشكل عام (انظر على سبيل المثال سجل رقم ١٢ : ١٤٩ ، ١٥٧) ، وهذا لا يعني انه لم توجد دكاكين او افران بلغت اجرتها اعلى من هذه الارقام .

(٥) بازار ومعناها السوق ، وهي مجموعة من الدكاكين في شارع او منطقة مسقوفة ، وتفتح ابواب الدكاكين باتجاه وسط البازار ، انظر ، دائرة المعارف الإسلامية ، تحرير وإعداد وترجمة إبراهيم زكي خورشيد واخرين ، القاهرة : كتاب الشعب ، [د . ت . ن .] ، مجلد ٦ ، ص : ٤٩ .

«السوقة» باستقراره في ذلك ، وكذلك برضا مولانا الافندي والمحتسب والسوقة ، وان لا يبيع بضاعة من البضائع حتى يعلموه بها السوقة ويكون حاضرا ، تحريرا في ٣ ربيع الثاني سنة ٩٤١ هـ الموافق ١٢/١٠/١٥٣٤ م ، شهود الحال : كاتبه ، القاضي صفى الدين الحنبلي»^(١) ، وفي فترة لاحقة صدرت حجة ثانية له «بمعرفة قاضي الحسبة الحاج احمد بن حسن بن بحر الدهن في ١٥ ذي الحجة سنة ٩٤٣ هـ»^(٢) ، كما نجد ذكرا لبازار باشي اخر في تاريخ ١٩ ربيع الاول سنة ٩٤٣ هـ الموافق ٥/٩/١٥٣٦ م ، وهو الحاج يحيى الحلبي ، وصدرت حجة تعيينه من القاضي عبد الرحيم بن ابراهيم ، ونصت على ان عمله هو حفظ الموازين واصلاح الرعية^(٣) ، كما ورد ذكر لمصطلح شيخ التجار في عدد من الوثائق ، في اوائل عام ٩٨٥ / ١٥٧٧ ورد اسم جمال الدين بن ربيع كشيخ للتجار ، وكان يطلق على التجار الاقل مرتبة مصطلح «الخوجة» ، وكان يتم تسعير زيت الزيتون بالقنطار وبحضور شيخ التجار ، حيث بلغ سعره في السنة المذكورة اعلاه ١٥ ، ٥ سكة ذهب ، وذلك بحضور عدد من كبار التجار الذي يطلق عليهم «خوجة»^(٤) .

ولم يكن التزام الحسبة يشمل قبان الزيت ، الذي ضمن بمبلغ ١٦٠٠٠ عثمانى سنويا ، ولا غفر ابواب المدينة الذي بلغ التزامها في السنة ١١٠٠٠ عثمانى ، وضمناً إلى خضر بن درس الرومي^(٥) ، كما كانت عرصة الغلال مستثناة من التزام المحتسب ، والتي بلغ التزامها السنوي ٨٠٠٠ عثمانى^(٦) ، ولم

(١) س . ش . ق . سجل رقم ٤ ، ص : ٢٨٠ .

(٢) سجل رقم ٦ ، ص : ٤٧٧ .

(٣) المصدر نفسه ، ص : ١٦٢ .

(٤) سجل رقم ٥٨ ، ص : ١/١٠ .

(٥) سجل رقم ١٣ ، ص : ٢١٧ .

(٦) سجل رقم ١٢ ، ص : ١٦٠ .

يكن المحتسب رسمياً يتقاضى رسوماً على دكاكين سوق العطارين ، رغم انه كان يشار في حجج التضمين انه من ضمن الاسواق التي يتقاضى عليها المحتسب الرسوم ، وليس للمحتسب شيء على البضائع التي كانت تدخل إلى قبان القدس ، حيث أن رسم هذه البضائع كان مخصصاً للصخرة المشرفة ، وليس له على أحمال القمح أية رسوم ، ولا على العسل ، كما أن أحمال الثوم والبصل التي تأتي من خارج القدس ليس له عليها رسم أيضاً^(١) .

ان تضمين الحسبة في خلال العشر سنوات من شوال سنة ٩٣٧هـ/ ١٥٣١م إلى ربيع الأول سنة ٩٤٧هـ/ ١٥٤٠م الموافق شهر أيار ١٥٣١م إلى تموز ١٥٤٠م ، قد وصل اقله الى ٧٠ عثمانياً ، واكبر مبلغ وصله هو ٢٤٠ عثمانياً يومياً ، واذا ما عرفنا ما تدره هذه الوظيفة على من تلزم عليه من مبالغ مالية لن نستغرب هذا الصراع المرير على ضمان الحسبة ، ويبدو انه نتيجة ذلك قد رفعت شكاوى الى الباب العالي مما استدعى اصدار فرمان يحدد المبالغ التي على المحتسب ان يتقاضاها اسبوعياً من السوق ، وهو مقدار الرسم الذي يتقاضاه من الدكاكين والطواحين والأفران والطباخين المقدرة للمحتسب ، ومقدار هذا الرسم على الأحمال التي ترد إلى أسواق القدس ، وقد نشر البخيت^(٢) تذكراً مرسله من الامير نوح جلبي تحدد المبالغ التي يتقاضاها المحتسب بتاريخ في غرة صفر سنة ٩٣٠هـ الموافق ١٠/١٢/١٥٢٣م ، وأعيد تدوين القانون في السجل المتعلق بنفس الموضوع مرة ثانية في سنة ٩٤٣ أي بعد ١٣ سنة ثم مرة ثالثة بعد خمس

(١) س . ش . ق ، سجل رقم ١٣ ، ص : ٣٨١ .

(٢) انظر حجة مقاطعة الاحتساب والقبان في كتاب ، محمد عدنان البخيت ونوفان رجا السوارية ، لواء

القدس الشريف : لواء القدس من دفتر مفصل لواء صفد والغزة والقدس من دفتر تحرير ٤٢٧ T.D.

(٤٢٧هـ / ١٥٢٥-١٥٢٦ / ٩٣٤-١٥٢٧-١٥٢٨ م) لندن : مؤسسة الفرقان للتراث الاسلامي ،

٢٠٠٥م ، ص : ٩٢-٩٦ . والوثيقة منشورة في سجل رقم ٦ ، ص : ٩٩ العائد لسنة ٩٤٣هـ/١٥٣٦م ،

والفضل يعود لهذا المرجع بمعرفتي لهذه الحجة .

سنوات^(١) ، والفرق بينهما ضئيل ففي الحجة الثانية كان على كل من القرن والطباخ ان يدفع درهم شامي في الاسبوع ، كما كان يدفع المشتري للبطيخ الاصفر درهم للمحتسب ويدفع البائع رأس بطيخ له ايضا على كل حمل ، وفي الثاني اصبح يدفع كل من الفرن والطباخ عثمانيتين ، ويدفع التاجر على البطيخ الاصفر راس فقط ، وقد يشير اعادة التسجيل للحجة لأكثر من مرة الى كثرة الشكاوى التي كانت ترفع ضد المحتسب ، ونص الحجة اللاحقة او الثالثة على النحو الآتي :

«صورة قانون شريف باد شاهي ، نقلت من أصله من غير زيادة ولا نقص ، عن مبلغه باحتساب قدس شريف ، عن سوق العطارين ، فإنه من قديم الزمان ليس عليه شيء للمحتسب من قديم الزمان» .
على كل دكان في كل أسبوع ١ عثماني .
ومن الطحانون في كل أسبوع ٢ عثماني .
ومن كل فرن من الخبازين كل أسبوع ٢ عثماني .
ومن الطباخ كل أسبوع ٢ عثماني ، وليس على العسل والتمر شيء للمحتسب .

وأما ما أدخل القبان فليأخذ القباني عثمانيان للصخرة .
والدبس اذا قبن فعلى كل صرف عثمانيان والدبس المحضر من كروم قدس شريف إذا بيع بالسوق ليس عليه شيء ، وكل من يدخل إلى القبان ليس للمحتسب عليه شيء .
والأرز على كل قنطار قدسي رطل قدسي .
وعلى كل حمل بعير من الأرز الذي يجلب من خارج قدس شريف رطل أرز .

(١) انظر ملحق رقم ثلاثة للوثيقة من س . ش . ق ، سجل ٦ ، ص : ٩٩ ؛ وملحق رقم أربعة للوثيقة من

سجل رقم ١٣ ، ص : ٣٨١ .

وعلى حمل بعير من الدقيق رطل دقيق .
وليس على أحمال القمح شيء للمحتسب .
وعلى بائعين العنب إلى تمام بيعه وانقضاء كل أسبوع عثمانيان .
ومن حمل البطيخ الأصفر رأس بطيخ ، ومن كل الباذنجان كل حمل
عثمانيان .

والبطيخ الأخضر ليس عليه شيء ، والبطيخ الأصفر [الشمام] إذا اشتراه
إنسان وباعه في السوق فعليه عثمانية واحدة
والثوم والبصل إذا جاء من خارج القدس ليس عليهما شيء .
وعلى كل حمل تفاح المحضر من الشام والأجاص وهو أربعة صناديق
رطلين .

وعلى كل حمل السماق بعير رطل ، وعلى الحمل من الكشك^(١) رطل .
وعلى الحمل الحب رمان البعير رطل ، وحمل الفرس نصف رطل .
وعلى الحمل الكراويا^(٢) البعير ٦ عثمانياً ، وحمل الفرس والبغل ٤
عثمانيات .

وعلى كل حمل بعير من الجبن أجاموسي والبقر رطل ، وعلى الحمل
كتان البعير ٢٠ .

وعلى كل ثلاثين رطل من الفواكه من المشمش والتين وغير ذلك رطل .
وعلى الرأس الجاموس والرأس البقر والجمل إذا ذبحوا على كل رأس رطل
لحم .

(١) هو خليط من جريشة القمح واللبن ، يجفف ويحفظ لمثونة الشتاء ، انظر : محمد سعيد القاسمي
واخرين ، قاموس الصناعات الشامية ، محققه ظاهر القاسمي ، دمشق : دار طلاس للدراسات
والترجمة والنشر ، ١٩٨٨ م ، ص : ٣٨٨ .

(٢) كروية ، وعرف لدى العرب باسم كراويا (بفتح الكاف) ، وهو نبات ينمو في المناطق الباردة ، ولثماره
استخدامات طبية وغذائية ، انظر : حسان قببسي ، معجم الاعشاب والنباتات الطبية ، بيروت : دار
الكتب العلمية ، ١٩٩٣ م ، ص : ٢٨٨ .

أما المحتسب ليس له أن يشتري شيء من البضائع بالرخص ، ويطرحه على الناس بالغلا ، فإن ذلك خلافاً للقانون العثماني المنيف ، وهذه صورة قانون شريف باد شاهي تعلق بإذن مولانا قدوة الأمراء الكرام جعفر بك كاتب الولايات الشريفة دام عزه وحرر ذلك في أواسط شهر ربيع الأول سنة ٩٤٨هـ^(١) .

الحاج تاج الدين بن احمد السكري

ان اول اسم يرد في وثائق السجل الاول من سجلات المحكمة الشرعية للمحتسب ، هو لشخص اسمه تاج الدين بن احمد السكري ، وتاريخ الوثيقة ١٨ شعبان ٩٣٥هـ^(٢) الموافق ٢٦ نيسان ١٥٢٩م ، وقد بقي السكري يمارس عمله في المدينة ، ووردت حجة ينيب فيها أخاه محب الدين السكري في وظيفة الحسبة^(٣) .

في القرن السادس عشر الميلادي اصبح عدد من اللحامين محتسبين في مدينة القدس ، وذلك نتيجة جهودهم الشخصية والمتمثلة في تأثيرهم التراكمي والاجتماعي والاقتصادي ، ولعل اشهرهم في تلك الفترة تاج الدين السكري ، وقد كانت مهنته الرئيسة اللحامة «جزارا» ، ولا نعرف متى أصبح رئيساً لطائفة اللحامين ، فالسجلات العثمانية في محكمة القدس تبدأ من سنة ١٥٢٩م ومن ثم فهي لا تسعفنا بمعلومات سابقة عنه ، وفي النصف الاول من القرن السادس عشر اصبح المحتسب واحداً من ذوي المراتب العالية في مجتمع المدينة اضافة الى قائد السنجق والقاضي وقائد القلعة «الذدار» والصوباشي ، لان عمله

(١) س . ش . ق . سجل ١٣ ، ص : ٣٨١ .

(٢) سجل رقم ١١ ، ص : ٣/١٤ .

(٣) وقد توفي محب الدين في أواخر سنة ٩٨٠هـ / ١٥٧٢ ، ونعرف ذلك من خلال حجة تولية بتعيين

ابنه الحاج احمد ناظراً على اخوته واخواته لابييه في سجل رقم ٥٥ ، ص : ٤٠٠ .

يتعلق بالتمويل والتجارة التي تجري في المدينة ساعة بساعة^(١).
لم يقتصر عمل السكري على الحسبة ، فقد كان له نشاطات اقتصادية عديدة ، ففي ٢ محرم سنة ٩٣٦هـ/ ١٥٢٩م وردت حجة تفيد بأن المحتسب السكري قد تضمن خان الوكالة^(٢) ، وهو المكان المعروف بالوكالة وسوق الخضر ، حيث كان المكان المخصص لبيع الخضار^(٣) في مدينة القدس كما يشير اسمه^(٤) ، وبلغت قيمة تضمينه الشهرية ٧٢٠ فضة عثمانية^(٥) ، وقبل ان يكتمل الشهر قام السكري بتأجير الخان بأجرة يومية ٦٠ فضة^(٦) ، مما يعني زيادة على ما استأجره السكري بأكثر من ضعفي ما دفعه ، وفي منتصف سنة ١٥٣٤هـ/ ١٥٣٤م استقرت ضمانه قبان الزيت على السكري لمدة سنتين بمبلغ

(1) Amnon Cohen, *Economic Life in Ottoman Jerusalem*. Cambridge, 1989, p. 17.

(٢) وهو المعروف بخان السلطان ودار الوكالة ، ويقع في اعلى طريق باب السلسلة من الغرب ، ويتكون من طابقين الارضي لخزن البضائع والعلوي يحتوي على غرف لسكن التجار ، جدد الخان السلطان ابو سعيد برفوق في سنة ٧٨٨هـ/ ١٣٨٦م ، ووقفه على الحرم القدسي الشريف ، انظر : كامل جميل العسلي ، من اثارنا في بيت المقدس ، عمان : الجامعة الاردنية ، ١٩٨٢م ، ص : ٤٤-٥٠ .

(٣) في سنة ١٨٦٥م افتتح سوق جديد لبيع الخضار في خان الغادرية الواقع في الجانب الشمالي لسوق القطنين وكان اسمه البازار الجديد ، حول ذلك انظر خارطة البلدة القديمة في :

Charles Wilson, *Ordnance Survey of Jerusalem*, London, 1865.

(٤) وكان بعض التجار يشترون الخضار من الفلاحين قبل وصولهم الى سوق الخضر ، فقد اشتكى مستأجرو الخان بأن بعض الاشخاص يشترون الخضار من فلاحي سلوان وارطاس ولقتا وبتير قبل ان يصلوا الى الخان ، مما يعني ضياع حق الوقف الذي كان يأخذ درهم حلبي واحد على كل ١٣ درهم من ثمن الخضار المباعة ، انظر سجل رقم ٥٨ ، ص : ٥/٩ .

(٥) س . ش . ق . ، سجل رقم ١١ ، ص : ٣/١٥٦ .

(٦) المصدر نفسه ، ص : ٢/١٧٣ .

٤٠٠٠ عثمانية^(١) ، كما كان قد استأجر وزانة القطن ، واعداد تأجيرها الى الحاج قاسم بن احمد الصعبي لمدة تسعة شهور بمبلغ ١٠٠٠ عثمانية^(٢) ، وقد عمل مسئولا عن بيت المال ومال الغياب في سنة ٩٤١هـ/١٥٣٤م^(٣) .

ونتيجة لهذا النشاط الاقتصادي وما يمثله من موقع وظيفي ، فقد توجه السكري نحو محاكاة أصحاب الرتب العالية في المدينة ، فنجده يتوجه الى حياة الترف في المدينة ، فيقتني العبيد ويتزوج من نساء الطبقة العليا في مجتمع القدس ، ففي سنة ١٥٣٠م دفع صداق لأصيلة ابنة علاء الدين علي بن فتح الدين الصائغ للفضة في المدينة مبلغا كبيرا جدا ، وبلغ ١٧٥٠٠ قطعة حلبية ، وهو من المهور العالية التي وردت في السجل^(٤) ، وبعد ثماني سنوات من الزواج والذي يظهر انه لم يكن موفقا ، طلبت الزوجة أصيلة من زوجها تاج الدين ان يخلعها من عصمته على ان تبرأه من مؤخر صداقها البالغ ٤٠٠٠ عثمانية^(٥) ، ومرة اخرى بعد ستة سنوات يتزوج ست القضاة ابنة القاضي عز الدين الديري الحنفي^(٦) ، ويبدو انه كان يواجه مشاكل في تقسيم الوقت للنوم في بيت كل زوجة ، فقد سجل السكري على نفسه حجة تقول بانه علق طلاق زوجته ست القضاة على صفة انه متى نام عند نسوانه زائد ليلة عن ليلتها ، تكون ست القضاة طالقة طالقة واحدة^(٧) ، وفي النصف الاول من سنة ٩٤٣ هـ/١٥٣٦م نجده يقرر على نفسة نفقة يومية لست القضاة مبلغ خمس عثمانيات يوميا طيلة

(١) س . ش . ق . سجل رقم ٤ ، ص : ٣٧٣ .

(٢) سجل رقم ٦ ، ص : ٥٢٧ .

(٣) سجل قسم احياء التراث ، ص : ٢٠ .

(4) Cohen, op. cit., p. 17.

(٥) سجل رقم ٢ ، ص : ٦١/٣ .

(6) Cohen, op. cit, p. 18.

(٧) سجل رقم ٥ ، ص : ٣٥٦ .

مدة بقاء الزوجية بينهما^(١) ، كما نجد ان زوجته اصيلة كان لها نشاط تجاري ، فقد باعت حملين من الصابون بمبلغ ٥٥٠٠ عثماني^(٢) ، كما اشترت من زوجها تاج الدين السكري جارية بيضاء مسلمة بمبلغ ٥٠٠٠ عثماني ، وعوضته بجارية حمراء اسمها فايذة ثمنها ١٦٠٠ عثمانية ، وايضا عبد اسود بمبلغ ٢٠٠٠ عثماني^(٣) .

أسماء المحتسبين في القدس

نورد فيما يلي اسماء المحتسبين الذي تولوا هذه الوظيفة في بداية الفترة العثمانية ، وكانت الوظيفة يتم تداولها للشخص الواحد اكثر من مرة ، والاسماء مرتبة حسب التاريخ من الاقدم الى الاحدث :

تاج الدين بن احمد السكري (١ : ٢٦٦)

الناصرى محمد بن علاء الدين علي بن المجرد المعروف بالشيخ بكير (١ : ٢٨٦)

الحاج محمد بن بدر الدين بن زريق (٤ : ٢٤٨)

الحاج ابراهيم بن خليل الشخيص (٤ : ٢٤٨)

احمد بن بحر الدهن (٥ : ٢٧٨)

قاسم بن احمد الصعبي (٦ : ٥٢٧)

شهاب الدين احمد بن زريق (٦ : ٦٨٤)

خليفة بن المعلم علي الشهير بابن الدهينة (٧ : ٤٧٩)

الحاج احمد بن شهاب الدين الحلبي (١٠ : ١٩٥)

يوسف بن ميران المعروف بسويدان (١٠ : ٢٤٦)

(١) س . ش . ق . سجل رقم ٦ ، ص : ١١٦ .

(٢) سجل رقم ٥ ، ص : ٥ .

(٣) سجل رقم ٢ ، ص : ٧ .

موسى بن المعلم ابي اللطف بن داوود (١٠ : ٥٦١)

في النصف الثاني من القرن السادس عشر نجد ان الحسبة كانت تضمن بالدينار السلطاني الذهب ، ويبدو ان ذلك ناجم من تدني سعر العملة الفضية نتيجة التضخم المالي او الغش بإضافة المعادن الرخيصة لها ، ومن ثم انخفاض سعرها احيانا بشكل متسارع و احيانا في فترات متباعدة^(١) ، ففي ٤ محرم سنة ٩٨٠ هـ الموافق ١٧/٥/١٥٧٢ م ، آلت نصف وظيفة الحسبة على شهاب الدين بن بدر الدين بن كركور الرملي شهريا بمبلغ ٣٥ سكة (ذهب) ، والنصف الاخر على محمد بن احمد القواس الغزي بمبلغ ٣٧,٥ سكة^(٢) ، بعد سبع سنوات وتحديدًا في ١٠ ذي القعدة سنة ٩٨٧ هـ الموافق ٣٠/١٢/١٥٧٩ م تم تضمين الحسبة لمدة سنة للمعلم فروخ شهاب الدين بمبلغ سنوي وقدره ٦٠٠ سلطاني ذهب^(٣) ، وفي نهاية السنة تم ضمان الحسبة من محتسبين آخرين وهما علاء الدين بن محمد الخماس الرملاوي ومحمد بن محمد الزر بزيادة ٦٠ دينار

(١) حتى في عهد سليمان القانوني ١٥٢٠-١٥٦٦م المبكرة كان الذهب يرتفع سعره باستمرار مقارنة مع العملة الفضية ، ففي ١٢ ربيع الثاني سنة ٩٤٢ هـ الموافق ١٠/١٠/١٥٢٠ - ١٥٦٦ م كان سعر دينار الذهب السلطاني يساوي ٣٨ قطعة (فضة سليمانية) ، ٧٦ عثمانياً ويساوي ١٩٠ فضة حلبية ، والدينار الشامي يساوي ٢٦ قطعة ، ٥٢ عثمانياً و١٣٠ درهم حلبياً (سجل قسم احياء التراث الاسلامي في ابو ديس ، ص : ٢١) ، وفي اول شهر جمادى الاول سنة ٩٤٥ هـ / ١٥٣٨ م ارتفعت قيمة الدينار السلطاني الذهب الي ٢٠٠ فضة حلبية ، سجل رقم ١٠ ، ص : ٤٥ ، وفي نفس الفترة بقي سعر الدينار الشامي كما هو ؛ وفي سنة ٩٨٦ هـ / ١٥٧٨ م كان سعر الدينار السليمي الذهب (نسبة الى السلطان سليم) يعادل كل دينار ٢٥ قطعة سليمانية (سجل رقم ٥٨ ، ص : ١/١٢٢) .

(٢) س . ش . ق . سجل رقم ٥٥ ، ص : ٥٦ .

(٣) سجل رقم ٥٩ ، ص : ٣٤ .

ذهب^(١) ، وفي ٤ شهر صفر ارتفع مبلغ الحسبة الى ٦٧٢ دينار على المعلم عبد الرحمن ، وفي نفس صفحة السجل عاد علاء الدين ومحمد برفع سعرها الى ٦٨٠ دينار^(٢) .

الخلاصة

ان الوظيفة الرئيسة للمحتسب في القدس كانت ادارة اقتصاد المدينة ومراقبة الاسعار والاوزان للمواد الاساسية للسكان مثل الخبز للتأكد من مناسبتها للمتطلبات الرسمية ونوعية الطحين ومراقبة اعمال اعضاء طائفة الطحانين والخبازين ، ونتيجة للدخل الذي كانت تحققه هذه الوظيفة وتوابعها ، فقد اصبح المحتسب من علية القوم في المدينة ، وتوجه الى مصاهرة هذه الطبقة وتقليدهم في امتلاك الجواري والعبيد .

ان الاشارة الى المحتسب في العصر المملوكي في كتب التاريخ لتلك الفترة كانت تعني ارتفاع أهمية المنصب او أهمية دور الشخص الذي تولاه ، وعدم وروده في تلك المصادر يعني ضعف شأن الحسبة وضعف المحتسب نفسه^(٣) ، وبصورة عامة فان هذا لا ينطبق على محتسب القدس ، فلم يرد اية اشارة الى اسماء محتسبين في المصادر التي كتبت عن المدينة في الفترة العثمانية .

من الواضح ان وظيفة الحسبة في القرن السادس عشر في مدينة القدس لم يكن لها أي علاقة مع ما ورد في كتب التراث الاسلامي من شروط لتولي هذه الوظيفة ، وهي تمثل مفهوم مختلف تماما لا علاقة له بما ورد من شروط لمن يتولى

(١) س . ش . ق . سجل رقم ٥٩ ، ص : ٦٢ .

(٢) المصدر نفسه ، ص : ١٠٨ .

(٣) احمد عبد السلام ، «الحسبة في العصر المملوكي بين التوظيف الديني والسياسي والإدارة المدنية» ،

في كتاب ، نحو تاريخ ثقافي للمرحلة المملوكية ، محمود حداد وآخرون (محررين) ، : المعهد الألماني

للأبحاث الشرقية ، بيروت ، ٢٠١٠م ، ص : ١٢٧-١٤٣ .

هذا المنصب ، سواء ما ذكر في الرسائل الفقهية التي تعرضت للحسبة مثل الماوردي او الغزالي ، او كتب الحسبة المعتمدة مثل نهاية الرتبة لابن بسام وغيره . تحولت الحسبة في الفترة العثمانية الى التزام مسماه الوظيفي المحتسب ، والصراع على الاستحواذ عليها بين معلمي الطوائف وخاصة للحاميين منهم كان شديدا ، لدرجة ان المضاربة على تضمينها كان يرتفع احيانا يوميا ، ومن الصعب معرفة مقدار ما كانت تدره هذه الوظيفة على المحتسبين ، ومن الصعب ايضا تقدير المبالغ التي كان يجمعها المحتسب من مدينة القدس ، ولكن بعض الوثائق تعطينا اشارات غير مكتملة عن ذلك ، فمثلا استقرت الحسبة على احمد الحلبي في ٢٩ جمادى الثاني سنة ٩٤٥هـ/١٥٣٨م بمبلغ يومي ١٦٠ عثمانياً ، وبعد أسبوعين رفع محتسبان قيمة الضمان ومن ثم أعطي لهما الاحتساب على المدينة ، وطالبا الحلبي بالمبلغ الذي قبضه في مدة ١٦ يوم وهي من ايام ولايتهم على الحسبة ، وتقول الحجة «بعد أن استقر المعلم أحمد بن زريق ، ورفيقة المعلم يوسف بن ميران بن سويدان في وظيفة الحسبة في القدس ، عوضاً عن الحاج شهاب الدين أحمد الحلبي ، من مستهل تاريخه ، فالذي تحرر في جهة الحاج احمد الحلبي من متحصل الحسبة ، ستة عشر يوماً مائتان حلبية وثلاثين قبرصي ، وعلى الحاج أحمد القيام لهما بزيادة على ذلك بثلاث مائة عثمانية ، وعلى الحاج احمد القيام لهما بذلك لكون ان ذلك محطه في ايام ولايتهما وصدر بعد ذلك بين الحاج احمد وبين محمد بن زريق وسويدان بن ميران اقرار بعدم الاستحقاق . . . واعترف محمد ورفيقه سويدان بقبضهما من ذلك ٢٤ قبرصياً ، واحالهما على جماعة السوق بمبلغ ٣٠٠ عثمانية وتأخر لهما بعد ذلك ستة قبارصة . . . تحريراً في ١٦ رجب سنة ٩٤٥ ، شهود الحال ، كاتبه ، السمي محمد بن جلال بن فكيك ، تاج الدين السكري ، القاضي محي الدين بن ربيع ، القاضي ابو العون الديري»^(١) .

(١) س . ش . ق . سجل رقم ١٠ ، ص : ٣/٢٥٠ .

فقد طالب المحتسبان الجديدان المحتسب القديم احمد الحلبي عن مدة ١٦ يوماً ان يدفع لهما عن المدة ، مبلغ ٢٠٠ فضة حلبية ، و٣٠٠ قبرصياً ، و٣٠٠٠ عثماني ، وحسب ضمانه للحسبة كان المقرر على الحاج احمد دفعه عن الستة عشر يوماً هو مبلغ ٢٥٦٠ عثمانياً ، ولكنه طوب :
- ٢٠٠ حلبية وتساوي ٨٠ عثمانياً .
- ٣٠٠ قبرصياً^(١) وتساوي ٢٤٠٠ عثمانياً
- ٣٠٠٠ عثماني

المجموع ٢٧٨٠ عثمانياً ، وهو زيادة عن المبلغ الذي عليه ان يدفعه عن ١٦ يوماً بمبلغ ٢٢٠ عثمانياً ، وافترض ان هذا المبلغ هو ربح المحتسب في ١٦ يوم .
يلاحظ انه عند اقتراب شهر رمضان ازدياد المضاربة على تضمين الحسبة ، وهذا راجع الى توقع ارتفاع استهلاك سكان المدينة للمواد الغذائية ، وبالتالي فإن ذلك يقتضي ارتفاع وتيرة استيراد البضائع مما يعني زيادة دخل المحتسب .
وقد يكون ارتفاع تضمينها بشكل عام في بعض الفترات في القرن السادس عشر مؤشراً على تحسن الامن في الطرق نتيجة انشاء قلاع جديدة على الطرق التجارية في بر الشام ، ومن ثم أدى ذلك إلى اطمئنان التجار وزيادة حركة التجارة ما بين مدن بلاد الشام^(٢) .
في كثير من الوثائق نجد ان الضامن للحسبة قد ادخل معه شخص اخر

(١) كانت قيمة كل دينار قبرصي ذهب في سنة ٩٤٢ هـ / ١٥٣٥م تساوي ٨٠ عثمانياً ، وتساوي ٢٠٠ فضة حلبية ، والمعلومة مأخوذة من حصر ارث لاحد تجار غزة في السنة المذكورة ورد في سجل قسم احياء التراث ، ابو ديس ، ص : ٢١ .

(2) Mohammad Adnan Bakhit, *The Ottoman Province of Damascus in the Sixteenth Century*.

PhD thesis, University of London, 1972. Amnon Cohen and Bernard Lewis, *Population and Revenue in the Towns of Palestine in the Sixteenth Century*. Princeton, 1978, p. 50.

وعلى الاغلب قد يكون ذلك لضمان عدم الزيادة على المبلغ الذي دفعه المحتسب الاول ، فيتم الاتفاق بينهم على اقتسام الوظيفة حتى يتجنبنا رفع قيمة المنافسة على الوظيفة ، او قد يكون نتيجة عدم توفر السيولة المالية مع الاول .

قد يقوم المحتسب بتأجير وظيفة او اكثر من وظائف الاحتساب لشخص آخر وقد يكون ذلك من اجل تحقيق ربح او ليضمن عدم منافسة ذلك الشخص له ومن ثم فهو يرضيه بهذه الوظيفة ، وربما ان ضغط العمل وكثرة الاماكن كانت تدفعه لتخفيف العبء عن نفسه فيقوم بتأجير ما استأجره لغيره ، ففي ١٢ محرم سنة ٩٤٤ هـ الموافق ١٥٣٧/٦/٢١ م قام تاج الدين السكري بتأجير وزانة قبان القطن للحاج قاسم الصعبي لمدة تسعة اشهر بمبلغ الف عثمانى ، وقد مرت معنا امثلة اخرى على التأجير .

من النادر ان نجد تسجيل في حجج السجل لظاهرة احتجاج على ارتفاع ما يجبيه المحتسب من اهل السوق ، وقد وردت حجة تتعلق بهذا الموضوع ، ودونت في السجل في ٨ شوال ٩٤٥ هـ / ١٥٣٨ م ، تتضمن ذهاب تجار من السوق مع المحتسبين المعلم سويدان وابن زريق الى المحكمة من اجل الاحتجاج والشكوى بسبب الضرر الذي لحق بهم نتيجة رفع تضمين الحسبة والذي بلغ ٥٠٢٠ عثمانية في الشهر ، وهذا السعر فيه ظلم وتعدي على الرعية من قبل الصوباشي ، فما كان من القاضي الا ان خفض المبلغ الى ٤٥١٠ عثمانيات ، من الصعب معرفة الآلية التي تم بها استدعاء اهل السوق ليشهدوا بأن في المبلغ المقرر على المحتسب فيه ضرر على الرعية ، ولكن يمكن الافتراض ان المحتسبين قد اشتطا في جمع النقود ربما للضغط على التجار من اجل الاحتجاج وضمان تخفيض قيمة المبلغ^(١) ، ولكن الصراع على مدخول هذه الوظيفة عاد ورفع سعرها بعد شهرين الى ٥٥٠٠ عثمانى في الشهر في ١٥ ذي الحجة ٩٤٥ هـ^(٢)

(١) س . ش . ق . سجل رقم ١٠ ، ص : ٤٠٦ .

(٢) سجل رقم ١٠ ، ص ٥٧٦ .

الموافق ١٥٣٩/٥/٤ م، وعادت للقفز بعد فترة لاحقة ووصل سعر تضمينها في ٦ ربيع الاول سنة ٩٤٧هـ الموافق ١٥٤٠/٧/١٢ م إلى مبلغ ٧٢٠٠ عثماني في الشهر^(١)، وهذا يعني ان قيمة الاحتساب السنوي في سنة ٩٤٧هـ/ ١٥٤٠ م لمدينة القدس وحدها قد وصل الى ٨٦٤٠٠ عثماني، اي اكثر من ثلاثة اضعاف دخل قبان الزيت والغفر في كل من القدس وغزة، والذي بلغ ٢٧٠٠٠ عثماني^(٢).

أحياناً نجد في ثنايا السجلات حجج متفرقة تتعلق بمخالفات المحتسب، وتشير الى الكسب الحرام على حساب المزارعين والتجار، ففي الشهر الاول من سنة ٩٧٤/ ١٥٦٦ رفعت شكوى من اعيان السوق الى القاضي ضد ابو اليسر المحتسب، وقد ادعى التجار عليه بأنه يأخذ من كل حمل باذنجان خمس بارات وعلى كل حمل من الفقوس أو اليقطين أو البطيخ الاخضر بارة واحدة، مخالفاً بذلك قانون الاحتساب، وطلبوا منعه من ذلك، فطلب القاضي القانون وقرأه فوجد فيه عن كل حمل بطيخ اخضر او اصفر رأس بطيخ، وعلى حمل من الباذنجان درهمان، واذا اشترى احد من السوقة حمل بطيخ اصفر للبيع يأخذ على كل حمل عثماني، ولا يأخذ من البطيخ الاخضر، واذا استأجر احد كرماً وجاء بعنبة لبيعه في السوق يأخذ في كل اسبوع عثمانيتين، وليس على الفقوس واليقطين شيء معين، ونبه عليه الحاكم الشرعي أن لا يأخذ الا ما هو مقيد في القانون، وان تجاوز ذلك فيما بعد اليوم كان مستحقاً للتأديب^(٣)

لقد بدأ سعر تضمين الاحتساب في تاريخ ٦ ربيع الاول سنة ٩٣٨هـ بمبلغ ٦٠ عثمانياً يومياً، وبدا بالارتفاع في كل فترة قد تطول وقد تقصر، ويرتفع بشكل متذبذب في كل سنة ما بين عشرة الى عشرين عثمانياً في اليوم حتى

(١) س. ش. ق. سجل رقم ١٢، ص: ٣٢١.

(٢) المصدر نفسه، ص: ٢١٧.

(٣) سجل رقم ٤٩، ص: ١١٣.

وصل مبلغ ١٨٣ عثمانية في منتصف شهر ذي الحجة سنة ٩٤٥ هـ، ولكنه قفز في بداية شهر ربيع الاول سنة ٩٤٧ هـ الموافق ١٥٤٠/٧/٦ م إلى مبلغ ٢٤٠ عثمانياً. بمعنى انه في خلال تسع سنوات تضاعف سعر تضمينها الى اربعة اضعاف، وهذه زيادة كبيرة، ربما تشير الى تحسن الارضاع الاقتصادية والى الصراع على مردود الوظيفة بين المتنافسين.

الملاحق

١- الملحق الاول

وهو مختصرات مختارة من حجج تلزم الحسبة من سجلات المحكمة الاولى :

سجل رقم ١١

ص : ١١ : ٣/٥٢ ، حضر المحتسب السكري للمحكمة بعد ان حدد سعر الكماج الطيب الرطل بثمانية دراهم ، ومعه كماج طيب متغير اللون وذكر ان ذلك من كماج شهاب الدين احمد بن تاج الملة ، فاحضر احمد وسئل عن ذلك فقال بانه بعد اليوم لن يقوم بذلك وما عاد يعمل الكماج الا من السמיד الخالص ، ٢٤ رجب ٩٣٥ .

ص : ٤/٥٣ ، حضر المحتسب الى المحكمة ومعه شخصين من النصارى ، وقالوا بان اللحم الذي معهم اشتروه من اللحام حسن بن بزوز بعشرين درهم ، فوزن اللحم في المحكمة بحضور الكاتب محمد بن عمران وشهاب الدين الحسباني ، فوجد فيه نقص ربع وقية عن السعر الذي دفع ، وحضر حسن وحلف انه ما باع الرطل والنصف الا بثمانية عشر درهما ، ولدى فحص وزناته الحجرية وجدت ناقصة عن المحفوظة في المحكمة .

ص : ١/٥٥ : احضر المحتسب شخصا باع الزبيب الرطل بستة دراهم ، وان الزبيب البلدي تغير سعره بان لا يباع ازيد من خمسة دراهم ، فاعترف بذلك وثبتت عليه الجريمة اخر رجب ٩٣٥ .

ص : ٢/٢٢٦ : حضر المحتسب السكري وصحبته ستة معاصرية الى المحكمة وسعروا الشيرج والطحينة من المعصرة ومن السوق ١٩ ربيع الاول ٩٣٦ ، ص : ٣/٢٨٩ كشف على دار غرب حارة المغاربة سقطت بحضور المعلم الحاج ابراهيم الحلبي ومعه المحتسبان محمد بن الحسباني ومحمد الحلبي ١ رجب ٩٣٦ .

سجل رقم ١

ص : ٢٨٦ في ٧ شوال سنة ٩٣٧هـ استقرت وظيفة الحسبة مع معلمية سوق التجار ومعلمية سوق الخطابين على الناصري محمد بن المرحوم علاء الدين علي بن المجرد المعروف بالشيخ بكير ، بمبلغ ٢٨٠٠ عثمانية ، وادخل معه الناصري محمد بن الاقرع على ان يدفع نصف الالتزام .

ص : ٤٥٥ الحسبة واللحامة على السكري وابن المجرد بمبلغ يومي ١٤٠ عثمانية تدفع لاويس بك كافل مملكة القدس وغزة ، ٦ ربيع الاول سنة ٩٣٨ .

سجل ٢

ص : ٢١٨ ، وظيفة الحسبة واللحامة على تاج الدين بن احمد السكري بمبلغ يومي ١٣٠ عثمانية ، ما هو على الحسبة ٧٠ عثمانية ووظيفة اللحامة بمبلغ يومي ٦٠ عثمانية (٧ صفر ٩٣٩هـ) .

سجل رقم ٣

ص : ٢٤ ، الحسبة على السكري ومحمد بن المجرد بمبلغ يومي ٨٠ عثمانية (١٤ شعبان ٩٣٩هـ) .

ص : ٢٤ استقرت القصابة في القدس على السكري وابن المجرد من ٢٤ شعبان سنة ٩٣٩هـ الى نهاية شهر رمضان بمبلغ ٥٥٠ فضة عثمانية .

ص : ٧٤ استقرت اللحامة في القدس من ١٨ شوال ٩٣٩هـ والتزموا باللحامة نهارا وليلا حسبما الزموا انفسهم بذلك كل من المعلم محمد بن الاصفر ، تاج الدين السكري ، المعلم سويدان بن مراد ، محمد قزوع ، حسن بن بزوز ، محمد الهريري ومحمد بن المجرد .

ص : ٨٦ الدمغة على السكري من نهار ٢٦ شهر تاريخه ، في ٢٩ شوال ٩٣٩هـ .

سجل ٤

ص : ٢٤٨ استقرت وظيفة الحسبة والدمغة بالقدس على المعلم الحاج محمد بن بدر الدين بن زريق والحاج ابراهيم بن خليل الشخيص لمدة سنة من تاريخه ، حيث يقومان في كل شهر لديوان صاحب السنجق بالقدس بمبلغ ٢٨٥٠ عثمانية ، لصاحب السنجق ليد محمد بن المجرد وكيل الامر صوباشي حسنين (٢٠ محرم ٩٤١هـ) .

ص : ٢٤٩ استقرت دلالة البضائع المحضرة الى القدس على تاج الدين السكري ، على ان يقوم بنظير ذلك لصاحب السنجق في كل سنة بمبلغ ٣٥٠٠ عثمانية (٢١ محرم ٩٤١هـ)

ص : ٢٤٩ استقر الغفر بالقدس على الحاج ابراهيم بن الشخيص والحاج محمد بن زريق بمبلغ ٨٠٠٠ درهم (٢١ محرم ٩٤١هـ) .

ص : ٢٤٩ ، ٤٤٨ ، في الصفحة الأولى ، باج التصايح عن كل شهر بمبلغ ٣٥٠٠ فضة عثمانية ، والصفحة الثانية بمبلغ ٣٦٠٠ عثمانية على تاج الدين السكري بزيادة ١٠ عثمانية في كل شهر عن الحاج محمد بن زريق ورفيقه الحاج ابراهيم بن الشخيص ١١ محرم ٩٤١هـ ، ١٣ جمادى الاولى ٩٤١هـ) .

ص : ٣٧٣ استقر قبان الزيت على السكري لمدة سنتين بمبلغ ٤٠٠٠ عثمانية عن المدة ، يدفعها في اربعة اقساط (٢٤ جمادى الاولى ٩٤١هـ) .

سجل رقم ٥

ص : ٢٧٨ وظيفة الحسبة على المعلم احمد بن بحر الدهن بما لها من سوق الدلالة وسوق العطارين وسوق التجار وباج صياح المسلخ في كل يوم ١١٠ عثمانية (٣ رجب ٩٤٣هـ) . (رغم انه اشير في الفرمان السابق الذكر ان سوق العطارين ليس للمحتسب عليه شيء)

ص : ٣٤٢ رفع قيمة الحسبة على نفسه احمد بن بحر الدهن ١٠ عثمانية في كل يوم زيادة على السعر السابق واصبح ١٢٠ عثمانية (١ رمضان ٩٤٣هـ) .

سجل رقم ٦

ص : ٥٢٧ استقرت وزانة القطن على الحاج قاسم بن احمد الصعبي
بباشرة تاج الدين السكري ، حسبما اجره ما هو مسبقا في ايجاره عن مدة تسعة
اشهر من اول محرم الى اخر شهر رمضان باجرة عن المدة الف عثماني (١٢)
محرم ٩٤٤هـ) .

ص : ٦٨٤ الحسبة وعوائدها من دلالة وسوق التجار وسوق العطارين وباج
صياح ودلالة الرقيق وباج اللحامين على شهاب الدين احمد بن زريق في كل
يوم ١١٠ عثمانية (١١ ربيع الثاني سنة ٩٤٤هـ) .

سجل رقم ٧

ص : ٤٨ الحسبة لأحمد بن بحر الدهن يوميا بمبلغ ١٢٠ عثمانية (جميعها
في ٢٩ جماد اول ٩٤٤هـ) .

ص : ٤٩ على احمد بن زريق بمبلغ ١٢٠ عثمانية .

ص : ٤٩ على احمد بن بحر الدهن بمبلغ ١٢٥ عثمانية .

ص : ٤٧٩ استقرت الحسبة على المعلم خليفة ابن ابو المعلم علي الشهير
بابن الدهينة في كل يوم مبلغ ١٣٥ عثمانية (١٩ شوال ٩٤٤هـ) .

سجل رقم ٨

ص ٨ : ٧٦ ، قبض السكري من جماعة الصياغ الرسم المترتب عليهم
للخاص الشريف عن سنة ٩٤٤هـ / ١٥٣٨م في ٧ ذي الحجة سنة
١٥٣٩هـ / ١٥٣٩م .

ص ٨ : ٢/١٧١ قبض السكري من الصياغ ما عليهم من العادة المستقرة
عليهم وهي عادة الخميس في كل سنة وهي ٦٠٠ عثماني ، واقر انه لا يستحق
عليهم لا للخاص الشريف ولا له شيء سوى عادة الخميس في أوانها سنة
١٥٣٩هـ / ١٥٣٩م (يبدو ان هذه من الاتاوات التي كانت مفروضة على النصارى

واليهود في اعيادهم لبعض من المسلمين المتنفذين ، فقد كانت حرفة الصياغة من اختصاص اهل الذمة رغم ان شيخها من المسلمين) .

ص : ٢٦٨ استقرت الحسبة على تاج الدين السكري بمبلغ يومي ١٤٠ عثمانية لمدة سنة كاملة (٨ صفر سنة ٩٤٥هـ / ١٥٣٩م) .

ص : ٢٨٠ الحسبة على السكري وابن زريق بمبلغ يومي ١٤٨ عثمانية (١١ صفر ٩٤٥هـ / ١٥٣٨م) .

ص : ٣٧٧ الحسبة على احمد بن المرحوم بدر الدين بن زريق ورفيقه المعلم سويدان بمبلغ يومي ١٥٤ عثمانية (١٨ ربيع الاول ٩٤٥هـ / ١٥٣٨م) .

سجل رقم ١٠

ص : ١٩٥ استقرت الحسبة على الحاج احمد بن شهاب الدين الحلبي من نهار السبت ٨ شهر رجب سنة ٩٤٥هـ / ١٥٣٨هـ بما لها من عوائد باج الصباح وسوق التجار وسوق القطنين وسوق العطارين في كل شهر ٤٨٢٠ عثمانية وقبل منه ذلك صوباشي القدس شهاب الدين تحريراً في ٢٩ جمادى الاخر سنة ٩٤٥هـ / ١٥٣٨م ، وهو زيادة على ما كان مقرراً على المحتسبين السابقين بمبلغ ٢٠٠ عثمانية .

ص : ٢٤٦ الحسبة على محمد بن زريق ويوسف بن ميران المعروف بسويدان في كل شهر بمبلغ ٥٠٢٠ عثمانية ، وذلك زيادة على الحاج احمد الحلبي ٢٠٠ عثمانية ، كما تنازل المحتسب عن مبلغ ٦٠٠ عثمانية كان قد دفعها لديوان امير الامراء علوان بك بشكاش ، ١٧ شهر رجب سنة ٩٤٥هـ / ١٥٣٨م .

ص : ٢٥٠ بعد ان استقر ابن زريق وسويدان في الحسبة طالبا احمد الحلبي بمتحصل ١٦ يوماً وهو مبلغ ٢٠٠ حلبية وثلاثين قبرصي ، لان المبلغ قبضه في ايام ولايتهما ، وصدر بينهما اقرار بعد ان دفع لهم ٢٤ قبرصي واحالهما على اهل السوق بمبلغ ٣٠٠ عثمانية وتأخر لهما ثمانية قبارصة في ١٦ رجب سنة ٩٤٥هـ / ١٥٣٨م .

ص : ٤٠٨ قبض الامين على الخاص الشريف مبلغ مقاطعة قبان الزيت والقطن في سنة ٩٤٥ والذي بلغ ٦٠٠٠ عثمانية ، وتأخر على الضامين القاضي شهاب الدين احمد بن الفاقوسي والمعلم محمد بن خليل بن عليان ٢٠٠٠ عثمانية ٨ شوال ٩٤٥هـ/١٥٣٨ م .

ص : ٤٠٦ خضر بين يدي الافندي صالح بن مولى محروسة القدس والخليل المعلم سويدان وابن زريق المحتسبان في القدس ، واقرا بان ما هو مكتوب عليهما بمباشرة الصوباش المنسوب من قبل امير الامراء علوان بك مالك لواء القدس كان ٥٠٢٠ عثمانية في الشهر عن الحسبة ، وبذلك تضررت الرعية من كثرة ما حصل عليهم من الحيف والظلم ، وحضر الى المجلس افراد من السوق وشهدوا ان المكتتب عليهم فيه ظلم وتعدي من قبل الصوباشي ، فلما تبين ذلك جعلت عليهم الحسبة في الشهر ٤٥١٠ عثمانية ، في ٨ شوال ٩٤٥هـ/١٥٣٨ م .

ص : ٥٥٧ استقرت الحسبة وسوق العطارين وسوق التجار وباج الصباح ودمغة القصابين ودلالة الرقيق على الوكيل داوود في كل يوم من نهار الاحد مبلغ ١٦٠ عثمانية حسابا عن كل شهر ٤٨٠٠ عثمانية ، يقوم باجرة كل شهر في سلخه وذلك بمباشرة مشد امر صوباشي القدس تحريراً ٨ ذي الحجة ٩٤٥هـ/١٥٣٩ م .

ص : ٥٦١ استقرت الحسبة على موسى بن داوود بمبلغ ٥٠٠٠ عثمانية بمباشرة محمد يازجي المنسوب من قبل مشد امر صوباشي القدس ، بزيادة عما كانت عليه بمبلغ ٢٠٠ عثمانية في ٩ ذي الحجة ٩٤٥هـ/١٥٣٩ م .

ص : ٥٦٥ استقرت الحسبة على المعلم موسى بن المعلم ابي اللطف بن داوود بمبلغ ٥٢٠٠ عثمانية ، بزيادة عما كانت عليه سابقاً ٢٠٠ عثمانية ١١ حجة ٩٤٥هـ/١٥٣٩ م .

ص : ٥٧٦ استقرت الحسبة على احمد بن زريق وموسى بن داوود في كل شهر ٥٥٠٠ عثمانية في ١٥ اي الحجة سنة ٩٤٥هـ/١٥٣٩ م .

سجل رقم ١٢

ص : ١٦٠ استقرت كيالة عرصة الغلال وهي كيالة القمح والشعير وصنف الحبوبات على المعلم حميدان وولديه الشقطي وابراهيم ومظفر بن ارغون ، وهو ما يدخل الى عرصة الغلال بالقدس والى غيرها لسنة ٩٤٧ بمبلغ ٨٠٠٠ عثمانية يقومون بذلك لديوان ملك الامراء صاحب صنجق القدس ولكيخيا مفخر الزعماء قاسم بمقتضى ان الكيالة جارية لملك الامراء في ٨ محرم ٩٤٧هـ/١٥٤١م .

ص : ٢٣٤ الحسبة على تاج الدين السكري بمبلغ ٥٧٠٠ عثمانية شهريا لملك الامراء حسن بك صاحب لواء صنجق القدس في ٦ صفر ٩٤٧هـ/١٥٤١م .

ص : ٣٢١ استقرت الحسبة على الحاج تاج الدين السكري والحاج محمد بن بدر الدين بن زريق وهي باج الصياح ودمغة القصابين ودلالة سوق الرقيق ودلالة العقارات والغراسات ودلالة سوق التجار وسوق العطارين وغير ذلك بمبلغ ٧٢٠٠ عثمانية في الشهر بمبلغ يومي ٢٤٠ عثمانية في ٦ ربيع الاول ٩٤٧هـ/١٥٤١م .

ص : ٤٧٠ ادعى المحتسبان السكري وابن زريق ، استقر سوق الغزل على عيسى بن فضل النصراني لمدة سنة في كل شهر ٤٠ فضة ، وان يكون على رطل الغزل ١ ، ٥ ودلالة كل رطل ٢ حلبية على فردة الغزل المصرية ١ ، ٥ حلبية ٨ رجب ٩٤٧هـ/١٥٤١م .

سجل رقم ١٣

ص : ١٢٢ استقر الغفر الجاري في الخاص الشريف خارج الدفتر بمباشرة المعلم يعيش اليهودي على المعلم ابو الفضل الكاربي ويشتمل على خفر الاحمال الواردة على القدس خلا عن القمح والشعير فانه ليس عليهم ويشتمل التضمين على غفر اليهود والنصارى الداخلين والخارجين الى المدينة وغفر

الشريعة وغفر القطن وما يتحصل من الباروك من البوادي وغفر الزيت وجميع غفر الاحمال الداخلة للقدس لمدة سنة وثمانية اشهر من مستهل المحرم ٩٤٧هـ/١٥٤١م إلى آخر شعبان سنة ٩٤٨هـ بمبلغ ١٣٣٨٦ عثمانية على ستة اقساط في ٦ ذي الحجة ٩٤٧هـ/١٥٤١م .

ص : ١٩٠ حضر المحتسبان السكري وابن زريق لمولانا الافندي صالح بن الزيني مولى القدس والخليل واشهدا عليهما انهما رفعوا يديهما عن وظيفة الحسبة في القدس وذلك بحضور الزعيم في القدس مراد والحاج احمد بن فيري الامين ١ محرم ٩٤٨هـ/١٥٤٢م .

ص : ٢١٧ استقر على خضر بن درس الرومي احد جماعة امير الامراء حسن بك المظفري مالك لواء صنجق القدس والخليل بمباشرة المعلم يوسف بن شوعا اليهودي العامل على الاموال السلطانية بالقدس ولواء غزة جميع قبان الزيت بالقدس وغفر الابواب بما ينخص الخاص الشريف لمدة سنة من مستهل محرم سنة تاريخه بمبلغ ١٦٠٠٠ عثمانية وجميع ما ببيت اسباهايا تابع قدس شريف وما ببيت المقدس والخليل وخارج الدفتر بناحية القدس والخليل عن حاصل سنة ٩٤٧هـ/١٥٤١م المدرك في تاريخه بمبلغ ١١٠٠٠ عثمانية جملة ذلك ٢٧٠٠٠ عثمانية مؤجل عليه لمدة اربعة شهور من مستهل محرم في ١١ محرم ٩٤٨هـ/١٥٤٢م .

ص : ٤٨١ استقرت الحسبة على تاج الدين السكري ، على ان يقوم هو وسويدان بن ميران لديوان ملك الامراء في نظير متحصل شهر جمادى الاول مبلغ ٤٥ قبارصة وفي شهر جمادى الثاني مبلغ ٤٩ قبارصة ٧ جمادى الاولى ٩٤٨هـ/١٥٤٢م .

٢- الملحق الثاني

قائمة بارقام السياقات المستخدمة في السجلات الاولى :

٣- الملحق الثالث

صورة طبق الاصل للتذكرة التي تحدد اماكن مستنحقات المحتسب من سجل

رقم ٦ ، ٩٩ :

٤- الملحق الرابع

صورة طبق الاصل للتذكرة التي تحدد اماكن مستنحقات المحتسب من سجل

رقم ١٠ ، ٣٨١ :

الزراعة ومشكلاتها في القرية الفلسطينية في ظل نظام التيمار

زهير غنام عبد اللطيف غنام (*)

محمود سعيد أشقر (**)

المقدمة:

أولاً: ملكية الأراضي الزراعية في القرى

كانت أراضي القرى في فلسطين في ظل نظام التيمار موزعة بين عدة جهات ، وذلك على النحو الآتي :

١ . الأراضي الخراجية (الميرية) : وهي الأراضي التي تعود ملكيتها للدولة (بيت المال) . واعتبر الفلاحون مستأجرين لها يدفعون مقابل استغلالهم لها ضريبتى العشر والخراج (عداد الأشجار) . وقد أقطعت الموارد المالية التي تجبئها الدولة من هذه الأراضي للسلطين العثمانيين ، فعرفت باسم الخاص الهمايوني (الخاص السلطاني) ، ولأمراء الألوية ، فعرفت باسم خاص أمير الأمراء ؛ وللجنود السباهية (الخيالة) ، فعرفت باسم الزعامت والتيمار^(١) .

(*) جامعة القدس ، كلية الآداب ، فلسطين

(**) مؤسسة إحياء التراث والبحوث الإسلامية ، القدس - فلسطين

(١) الدستور العثماني ، مجلدان ، ترجمه من التركية إلى العربية ، نوفل نعمة الله نوفل ، مراجعة خليل

خوري ، بيروت ، المطبعة الأدبية ، ١٣٠١هـ / ١٨٨٤م ، مجلدا ، ص ١٤-١٦ . وسيشار إليه فيما =

٢ . أراضي الوقف : وهي تقسم إلى قسمين : الأول ، الأراضي الموقوفة من أراضي الملك الخاص وفق الشرع . وفي هذه الحال ، تكون رقبتهما وحقوق التصرف بها عائدة للوقف حيث تعامل بموجب شروط الواقف . والثاني ، الأراضي المفروزة من الأراضي الخراجية (الميرية) التي وقفها السلاطين وغيرهم بالإذن السلطاني . وهي من الأوقاف غير الصحيحة ، وتكون رقبتهما عائدة لبيت المال . ومنها الأراضي التي وقفت في العصور الأيوبية والمملوكية والعثمانية على المساجد والمدارس والزوايا والأربطة والتكايا وقنوات المياه والأفراد^(١) .

= بعد الدستور العثماني ؛ مباهات كوتك اوغلي ، البنية الاقتصادية في الدولة العثمانية ، منشور ضمن كتاب الدولة العثمانية تاريخ وحضارة ، نقله إلى العربية ، صالح سعداوي ، ط ١ ، تحرير احسان اوغلي ، إستانبول ، ١٩٩٩م ، ج ١ ، ص ٦٣٩-٦٤٠ . وسيشار إليه فيما : كوتك اوغلي ، البنية الاقتصادية ؛ لواء القدس من دفتر التحرير T١٣١ . D. (٩٣٢-٩٣٨هـ / ١٥٢٥-١٥٣٢م) ، دراسة وترجمة محمد عدنان البخيت ونوفان رجا الحمود ، لندن ، مؤسسة الفرقان ، ط ١ ، ٢٠٠٧م ، ص ١٥٩-١٦٣ . سيشار إليه فيما بعد دفتر التحرير للواء القدس ١٣١ ؛ لواء القدس الشريف من دفتر مفصل لواء صفد والغزة (غزة) والقدس الشريف من دفتر تحرير T ٤٢٧ . D. (٩٣٢-٩٣٤هـ / ١٥٢٥-١٥٢٨م) ، دراسة وترجمة محمد عدنان البخيت ونوفان رجا الحمود ، لندن ، مؤسسة الفرقان ، ط ١ ، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م ، ص ٨٠-٨٥ ، ١٥٩-٣٢٨ . سيشار إليه فيما بعد دفتر تحرير مفصل صفد وغزة والقدس ٤٢٧ .

(١) الدستور العثماني ، ج ١ ، ص ١٤-١٦ ؛ سجل أراضي لواء القدس حسب الدفتر ٣٤٢ (٩٧٠هـ / ١٥٦٢م) دراسة وتحقيق محمد عيسى صالحية ، عمان ، ٢٠٠٢م ، ص ٦٠-٦٩ . وسيشار إليه فيما بعد دفتر ٣٤٢ دفتر اراضي القدس ؛ دفتر طابو ٥٢٢ (٩٨٠هـ / ١٥٧٢-١٥٧٣م) ألوية غزة والقدس وصفد ونابلس وعجلون ، نشره محمد أبشرلي ومحمد التميمي ، إستانبول ، مركز الأبحاث والفنون والثقافة الإسلامية ، ص ١-٢ . وسيشار إليه فيما بعد دفتر طابو ٥٢٢ ؛ دفتر تحرير مفصل صفد ، غزة ، القدس ٤٢٧ ، ص ١٥٩-٣٢٨ ؛ دفتر ١٣١ ، ص ١٥٩-٣٤٧ ؛ سجل أراضي ألوية صفد ، نابلس ، غزة ، قضاء الرملة حسب الدفتر ٣١٢ (٩٦٤هـ / ١٥٥٦م) دراسة وتحقيق محمد عيسى صالحية ، عمان ، ١٩٩٩م ، ص ٢٦٨-٢٧٥ . وسيشار إليه فيما بعد دفتر اراضي صفد ، نابلس ٣١٢ .

٣. أراضي الملك الخاص . وهي على نوعين : الأول ، الأراضي الموجودة داخل المدن والقصببات وما حولها ، والتي تصل مساحتها إلى نصف دوغ . والثاني ، أراضي القرى التي أفرزت من الأراضي الخراجية (الميرية) وملكت على أن يحصل التصرف بها بكل وجوه الملكية . كما تشمل الأراضي المستصلحة من الأراضي المتروكة أو الموات وحصل تملكها عن طريق الاستصلاح^(١) .

ثانياً، الرسوم والضرائب على الأراضي الزراعية؛

تنوعت الرسوم والضرائب التي تجبى من الأراضي الزراعية في القرى . كما تنوعت الجهات التي تُحصّلها ، وذلك على النحو الآتي :

١ . القسم (الديموس) . وهو نسبة من المحصول قد يكون الثلث أو الربع أو الخمس . والثلث هو الأكثر شيوعاً . وكان يتم الاتفاق عليه بين سكان القرى وأصحاب التيمارات أو متولي الوقف . ويعود القسم لأصحاب التيمارات في الأراضي الخراجية (الميرية) وللوقف في الأراضي الموقوفة على المساجد والمدارس والزوايا والتكايا والأفراد^(٢) .

(١) الدستور العثماني ، ج ١ ، ص ١٤-١٦ ؛ دفتر ٣١٢ ، ص ٢٥٧ ؛ دفتر ١٣١ ، ص ٢٧١ ؛ دفتر ٤٢٧ ، تحرير مفصل صفد ، غزة ، القدس ، ص ١٩١-١٩٢ ؛ سجلات المحكمة الشرعية في القدس ، ص ٢٧ ، ص ١٠ ، ١٩ ، محرم ١٩٥٠ هـ / ٣ أيار ١٥٤٣ م ، مؤسسة إحياء التراث والبحوث الإسلامية ، القدس . وسيشار إليه فيما بعد ، س . ش . ق . ؛ س . ش . ق . ؛ س . ش . ق . ، ص ٨٢ ، ص ١٩٤ ، ٨ ربيع الأول ١١٠٤ هـ / ١٧ تشرين الأول ١٦٩٢ م .

(٢) دفتر مفصل لواء اللجون ، طابو دفترى ١٨١ (١٠٠٥ هـ / ١٥١٦ م) دراسة وتحقيق محمد عدنان البخيت ، نوفان رجا الحمود ، عمان ، منشورات الجامعة الأردنية ، ١٩٨٢ م ، ص ٣٢ ، ٣٤ ، ٣٦ ، ٥١ ، ٥٤ . وسيشار إليه فيما بعد دفتر مفصل اللجون ١٨١ ؛ دفتر مفصل ناحية مرج بني عامر وتوابعها ولواحقها التي كانت في تصرف الأمير طره باي سنة ٩٤٥ هـ / ١٥٣٨ م ، دراسة وتحقيق محمد =

ويعرف القسم أحياناً برسم البستان (حق بستان)؛ حيث يجبي عن الخضروات التي كانت تزرع لأغراض التجارة والربح^(١). كما يعرف بالمال الصيفي؛ حيث يجبي عن المحاصيل التي تزرع صيفاً كالذرة والسمسم^(٢). وفي أحيان أخرى، عرف القسم باسم المحصول الذي يجبي عنه كرسوم القطن مثلاً^(٣).

٢. العشر. وكان يجبي من الأراضي الوقف والملك إضافة إلى القسم، ويعود لصالح أصحاب التيمارات في الأراضي الوقف الجارية في التيمار أو الملك. ولا يجبي العشر من أراضي القرى الجارية في الوقف على الحرمين (الحرمين الشريفين في مكة والمدينة وقبة الصخرة)، إضافة إلى حرمي

= عدنان البخيت، نوفان رجا الحمود، عمان، منشورات الجامعة الأردنية، ١٩٨٩م، ص ٢٦-٢٧، ٣٠، ٣٥. وسيشار إليه فيما بعد دفتر مفصل ناحية مرج بني عامر؛ لواء القدس الشريف من دفتر ١٠١٥ D.T. (١٩٤٥هـ/١٥٣٨-١٥٣٩م) دراسة وتحقيق محمد عدنان البخيت، نوفان رجا السواريه، ص ١٩٥، ١٩٧، ٢٣٣، ٢٤٥. وسيشار إليه فيما بعد دفتر لواء القدس ١٠١٥؛ لواء القدس الشريف، دفر مفصل (٢٨٩ | س)، (١٩٦١هـ/١٥٥٣-١٥٥٤م) دراسة وتحقيق محمد عدنان البخيت، نوفان رجا الحمود، لندن، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م، ص ٩٤-١٠٣. وسيشار إليه فيما بعد دفتر مفصل لواء القدس ٢٨٩؛ دفتر تحرير مفصل صفد غزة، القدس ٤٢٧، ص ١٩٠-١٩١، ٢٣٢.

(١) دفتر ١٠١٥، ص ٢٢٣؛ أحمد آق كوندوز، التشريع الضريب عند العثمانيين، ترجمه عن التركية فاضل بييات، عمان، لجنة تاريخ بلاد الشام، ط ١، ٢٠٠٤م، ص ٦٠. وسيشار إليه فيما بعد كوندوز، التشريع الضريبي؛ كوتك اوغلي، النبتة الاقتصادية، الدولة العثمانية، ج ١، ص ٦٤٠.

(٢) دفتر لواء القدس ١٠١٥، ص ٢٢٩، ٢٣٢، ٢٦٠، ٢٧٩، ٢٨٦؛ دفتر مفصل لواء القدس ٢٨٩، ص ٢٨٨، ٣٥٠؛ دفتر مفصل لواء اللجون ١٨١، ص ٣٢، ٣٦، ٤١، ٤٩، ٥٤؛ دفتر ٤٢٧، تحرير مفصل صفد، غزة، القدس، ص ٣٠٠.

(٣) دفتر ٤٢٧، ص ٢٨٦، ٢٧٢، ٣٠٠.

القدس والخليل المعفاة من عشر الوقف ، وإنما يعود عشرها للإنفاق على مصالح الحرمين . أما القسم ، فكان يعود للوقف^(١) .

٣ . الخراج (العداد) . ويجبى عن الأشجار المثمرة كالزيتون والتين والمشمش واللوز والسفرجل والعنب والنخيل والتوت . وعرف أيضاً بالعداد ؛ حيث كان ينسب أحياناً إلى الأشجار التي يجبى عنها ، مثل : عداد الزيتون وعداد الكرمة وعداد الأشجار أو عداد أشجار سائرة^(٢) .

ثالثاً: المحاصيل الزراعية:

تنوعت المحاصيل الزراعية في فلسطين في ظل نظام التيمار بين الحبوب التي كانت تزرع شتاءً وتسمى المحاصيل الشتوية من قمح وشعير وفول ، والمحاصيل التي تزرع صيفاً مثل الذرة والسمن والقطن ؛ إلى جانب الأشجار المثمرة كالزيتون والتين والعنب واللوز والمشمش والتفاح والسفرجل ؛ إضافة إلى الخضروات التي كانت تسمى أحياناً بالمال الصيفي .

١. الحبوب:

وقد انتشرت زراعة الحبوب الشتوية والصيفية وبشكل خاص الحنطة

(١) كوندوز ، التشريع الضريبي ، ص ٥٩-٦٥ ؛ كوتك اوغلي ، البنية الاقتصادية ، ج ١ ، ص ٦٤٠-٦٤١ ؛ دفتر تحرير مفصل صفد ، غزة ، القدس ، ٤٢٧ ، ص ١٨٠-٣٠١ ؛ دفتر ١٣١ ، دفتر مفصل اللجون ص ١٦١ ، ١٨٢ ؛ س ش ق ، ص ٥٣ ، ١٠١ ، ٣ ، جمادي الأولى ٩٨٧هـ / ١٢ تشرين الأول ١٥٧٠ م .

(٢) كوندوز ، التشريع الضريبي ، ص ٥٩-٦٥ ؛ كوتك اوغلي ، البنية الاقتصادية ، ج ١ ، ص ٦٤٠-٦٤١ ؛ س ش ق ، ص ٥٣ ، ٤٥٣ ، ٩ ، ربيع الثاني ٩٧٨هـ / ١٩ أيلول ١٥٧٠ م ؛ س ش ق ، ص ٢٧ ، ص ١٠١ ، ٣ ، جمادي الأولى ٩٦٠هـ / ٢٦ نيسان ١٥٥٣ م ؛ دفتر تحرير مفصل صفد ، غزة ، القدس ، ٤٢٧ ، ص ١٩٠-١٩١ ، ٢٣٥ ، ٢٤٠ ؛ دفتر دفتر مفصل اللجون ١٨١ ، ص ٤١-٤٢ ، ٧٩-٨٠ .

والشعير والسّمسم والذرة في معظم القرى الفلسطينية . وكانت الحنطة والشعير هما المحصولان الرئيسيان في جميع القرى ، ثم يليهما المحاصيل الصيفية كالذرة والسّمسم . ويعود الاهتمام الواسع بزراعة الحنطة والشعير إلى أنهما يشكلان الغذاء الأساسي للسكان ؛ علاوة إلى حاجة الدولة الماسة لهما لتوفير المؤن للجيش سيما وقت الحرب^(١) .

وكانت المحاصيل سواء الشتوية أم الصيفية تزرع بعلاً اعتماداً على مياه الأمطار الساقطة . وبين الجدول رقم (١) المحاصيل الشتوية والصيفية (الحبوب) التي كانت تزرع في بعض قرى ناحية مرج بن عامر ، ومقدار ما كانت تدفعه من القسم وفقاً لدفتر ناحية مرج بن عامر العائد لسنة ١٩٤٥هـ/ ١٥٣٨م^(٢) مقدراً بالغرارة^(٣) :

جدول رقم (١)

القرى	الحنطة	الشعير	السّمسم	الذرة	القول
صرفند	٧	٣	١	٩	-
اجزم	٩	١٣	١٠	١	٤
طيرة اللوز	٦٥	٥٠	٥	٥	-

(١) لمزيد من التفصيلات عن زراعة الحبوب الصيفية والشتوية في فلسطين ، انظر : دفتر ناحية مرج بن عامر ، ص ١٦-١٧ ؛ دفتر مفصل اللجون ، ١٨١ ، ص ١٦-١٧ ؛ دفتر ٤٢٧ ، ص ٥٤-٧١ ؛ دفتر مفصل لواء القدس ، ٢٨٩ ، ص ٩٤-١٠١ ؛ دفتر دفتر لواء القدس ، ١٠١٥ ، ص ٨٠-٨٨ .

(٢) دفتر ناحية مرج بن عامر ، ص ١٦-١٧ .

(٣) الغرارة : مكيال للحبوب يختلف مقداره من مكان لمكان آخر ؛ فمثلاً كانت غرارة القدس تعادل ثلاث من غرارات دمشق . غرارة القدس تعادل ٦١٣ . ٥ كغم . فالتر هنتس ، المكايل والأوزان الإسلامية ، ترجمه عن الألمانية كامل العسلي ، عمان ، الجامعة الأردنية ، ١٩٧٠ ، ص ٦٤ . وسيشار إليه فيما بعد هنتس ، المكايل .

٢,٥	٥	١,٥	١٢,٥	٢٥	سولم
-	٣	٢	٦	٢٦	جنين
-	١٥	٦	٢٥	٦٥	اليامون
-	٤	-	٩	٢٥	باقة الشرقية
-	-	١٢	٣٠	١٠٠	قباطية
٦,٥	٤٢	٣٧,٥	١٤٨,٥	٣٢٢	المجموع

ويبين الجدول رقم (٢) مدى انتشار زراعة المحاصيل الصيفية والشتوية (الحبوب) في قرى ناحية مرج بن عامر وفقاً لدفتر الناحية العائد لسنة ١٩٤٥هـ / ١٥٣٨م^(١) :

جدول رقم (٢)

عدد قرى الناحية	الحنطة	الشعير	السسم	الذرة	الفول	الحمص	غير محدد
٨٠	٦٦	٦٦	٣٨	٢٤	٢١	٤	٩

أما الجدول رقم (٣) فيبين محاصيل الحبوب الشتوية التي كانت تزرع في بعض قرى لواء اللجون ، ومقدار ما كانت تدفعه هذه القرى من القسم وفقاً لدفتر اللواء العائد لسنة ١٠٠٥هـ / ١٥٩٦م مقدراً بالغرارة^(٢) :

(١) دفتر ناحية مرج بن عامر ، ص ١٦-١٧ ، ٢٥-٩٢ .

(٢) دفتر مفصل اللجون ١٨١ ، ص ١٦-١٧ .

جدول رقم (٣)

القرية	باقة الشرقية	جنين	قباطية	اليامون	طيرة اللوز	صرفند	سولم	اجزم
الحنطة	٥٠	١٠	١٠٠	٦٠	١٠٠	٣٠	٣٠	٥٠
الشعير	٣	٢	٣٦	١٢	٧٠	٢٥	١٠	٢٥
المجموع	٥٣	١٢	١٣٦	٧٢	١٧٠	٥٥	٤٠	٧٥

وبما يذكر أن دفتر لواء اللجون أورد تسعاً وخمسين قرية زرعت فيها الحنطة والشعير جميعها ، وزرعت المحاصيل الصيفية في أربع وخمسين قرية منها^(١) .
 إن المقارنة بين الجدولين (١ ، ٣) تظهر ازدياد ما كانت تدفعه القرى من القسم ، ما قد يعني أن إنتاج الحنطة والشعير قد ازداد في سنة ١٠٠٥هـ/ ١٥٩٦م مقارنة مع ما كان عليه في سنة ٩٤٥هـ/ ١٥٣٨م . وكانت جنين هي القرية الوحيدة التي تدنى فيها القسم . ولعل هذه الزيادة تعود إلى زيادة الإنتاج بفعل الأمطار وزيادة مساحة الأراضي المزروعة في هذه القرى .
 كما كانت الحبوب الشتوية ، وبخاصة الحنطة والشعير هما المحصولان الأساسيان اللذان يزرعا في قرى لواء القدس . وبين الجدول رقم (٤) أنواع الحبوب الشتوية والصيفية التي تزرع في اللواء ، ومقدار ما كانت تدفعه من القسم ؛ وفقاً لدفتر ١٠١٥ العائد لسنة ٩٤٥هـ/ ١٥٣٨-١٥٣٩م مقدراً بالغرارة^(٢) :

(١) دفتر مفصل اللجون ، ص ١٦-١٧ .

(٢) دفتر لواء القدس ١٠١٥ ، ص ٥٠-٧٣ .

جدول رقم (٤)

القرية	شقران	بيت جالا	بيتونيا	عين يبرود	أريحا	بيت ارزه	حزما
الحنطة	١,٥	٨	٩	٢,٥	١٥	٢	٣
الشعير	١,٥	٨	-	١,٥	١٥	٢	٢
الذرة	-	-	-	-	٣	-	-
المجموع	٣	١٦	٩	٤	٣٣	٤	٥

وقد استمرت زراعة الحنطة والشعير كمحاصيل أساسية تزرع في لواء القدس . وهذا ما يتبين من الجدول رقم (٥) الذي يبين مقدار ما تدفعه بعض قرى اللواء من القسم وفقاً لدفتر ٢٨٩ العائد لسنة ١٩٦١هـ / ١٥٥٤-١٥٥٥م مقدراً بالغرارة^(١) :

جدول رقم (٥)

القرية	برقا	بريكوت	بيت لحم	طيبة الاسم النصارى	بيت تعمر	لفتا	صور باهر	بيت ساحور الوادي
الحنطة	٦	٥	٢٠	٢٥	١٠	٤	٥	١٠
الشعير	٥	٧	٢٠	٢٠	٩	٢٠	١٠	٢
المجموع	١١	١٢	٤٠	٤٥	١٩	٢٤	١٥	١٢

(١) دفتر مفصل لواء القدس ٢٨٩ ، ص ٩٢-١٠١ .

ووفقاً لنفس الدفتر ، فإن الحبوب الصيفية كالذرة والسمسم كانت تزرع في قرى اللواء . وقد ورد ذكرها تحت مال صيفي . وقد زرعت الحبوب الصيفية فيه في اثنتين وعشرين قرية من قرى اللواء البالغة مائة وسبع وأربعون قرية^(١) .

إن تتبع زراعة الحبوب الصيفية والشتوية يظهر أن زراعة هذه الحبوب انتشرت في معظم القرى مع تفاوت في مدى زراعتها من قرية إلى قرية أخرى ؛ تبعاً لكميات الأمطار ودرجات الحرارة وطبيعة الأرض سهلية أم جبلية . لذا كانت زراعة الحبوب بعامة أكثر انتشاراً وإنتاجاً في السهل الساحلي وسهل مرج بن عامر ووادي الأردن (الأغوار)^(٢) ، وانتشرت زراعة الذرة في أربع وعشرين قرية من قرى ناحية مرج بن عامر^(٣) ؛ بينما اقتصرت زراعتها على قرية أريحا من لواء القدس وفقاً لدفتر ١٠١٥ العائد لسنة ١٩٤٥هـ / ١٥٣٩م^(٤) .

كما تفاوت مدى انتشار زراعة الحنطة والشعير في المنطقة الواحدة . فهناك قرى زاد فيها إنتاج القمح على الشعير ، وقرى أخرى زاد فيها إنتاج الشعير على الحنطة . فمثلاً كانت قلندية تدفع خمس غرارات حنطة وغرارة شعير واحدة ؛ بينما كانت أبوديس تدفع أربع غرارات شعير وغرارة حنطة واحدة . في حين تساوى إنتاج القمح والشعير في قرى أخرى ، فكانت قرية الوجبة تدفع خمس غرارات حنطة ومثلها شعير ، وأريحا تدفع خمس عشرة غرارة حنطة ومثلها شعير ، وهي أكثر القرى التي كانت تدفع قسماً من إنتاجها في لواء القدس^(٥) .

(١) دفتر مفصل لواء القدس ، ص ٩٢-١٠١ .

(٢) ليلي الصباغ ، فلسطين ، بشرياً ، اقتصادياً ، اجتماعياً ، بيروت ، المصادر ، مؤسسة ثقافية للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، ط ١ ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م ، ص ١٠١-١٠٣ . وسيشار إليه فيما بعد الصباغ ، فلسطين .

(٣) دفتر مفصل لواء القدس ٢٨٩ ، ص ٨٠-٨٨ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٨٠-٨٨ .

(٥) دفتر مفصل لواء القدس ٢٨٩ ، ص ٨٠-٨١ .

وعند مقارنة ما تدفعه بعض قرى لواء القدس من قسم من الحنطة والشعير وفقاً لدفتري ١٠١٥ و ٢٨٩ نلاحظ التباين في إنتاج هذين المحصولين ، كما يبين جدول رقم (٦) الآتي (١) :

جدول رقم (٦)

دفتر ٢٨٩ سنة ١٥٥٤هـ / ١٩٦١م القسم / غرارة		دفتر ١٠١٥ سنة ١٥٣٨هـ / ١٩٤٥م القسم / غرارة		القرية
شعير	حنطة	شعير	حنطة	
٦	٥	١,٥	٣	بريكوت
٢٥	٢٥	١٥	١٥	أريحا
٢٠	٢٠	١٢	١٢	بيت لحم
١٠	١٠	٤	٢	أبو ديس
٢	٤	٥	٥	الولجة
١٠	٥	٥	٥	صور باهر
٦	٥	٥	٦	بيت صفافا
١,٥	٤	٢٠	٤	العنب
٨٠,٥	٧٨	٦٧,٥	٥٢	المجموع

أما الجدول رقم (٧) الآتي ، فيبين مدى انتشار المحاصيل الصيفية والشتوية في لواء القدس وفق الدفتريين المذكورين أيضاً (٢) :

(١) دفتر لواء القدس ، ١٠١٥ ، ص ٨٠-٨٨ ؛ دفتر ٢٨٩ ، ص ٩٢-١٠٣ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٨٠-٨٨ ؛ دفتر ٢٨٩ ، ص ٩٢-١٠٣ .

جدول رقم (٧)

المحصول/ عدد القرى	الحنطة	الشعير	المال الصيفي	عدد قرى
دفتري ١٠١٥ لسنة ١٥٣٨هـ/ ١٥٤٥هـ	١٦٤	١٦٤	٨	١٦٤
دفتري ٢٨٩ لسنة ٩٦١هـ/ ١٥٥٤م	١٧٥	١٧٥	٢٣	١٧٥

٢. القطن:

انتشرت زراعة القطن في عدد من القرى اعتماداً على الري ، ولغرض التصدير أحياناً . ووفقاً للفارس دارفيو الذي زار فلسطين عام ١٠٦٨هـ / ١٦٥٨م ، فإن القطن الخام وغزول القطن كانت تصدر من ميناء عكا إلى أوروبا^(١) . وبين الجدول رقم (٨) الآتي القرى التي كان القطن يزرع فيها وفقاً لدفتري ناحية مرج بن عامر العائد لسنة ١٥٣٩هـ / ١٥٤٥م ، ومقدار ما كانت تدفعه من قسم مقدراً بالأقة^(٢) :

جدول رقم (٨)

القرية	اليامون	صرفند	اجزم	الشيخ بريك	قفين	طيرة القبليّة	ناعورة	طيرة اللوز	قباطية
القسم	١٤٠	١٥	٢٠	٨٠	٢٠	١٠	٧٠	١٠٠	٢٥٠

(١) الصباغ ، فلسطين ، ص ١٢٦ .

(٢) دفتري مفصل اللجون ١٨١ ، ص ١٦-١٧ ، ٢٥-٢٧ ، ٣٧ . والأقة وحدة وزن تساوي ١ كغم . بشارة

دوماني ، إعادة اكتشاف فلسطين : أهالي جبل نابلس ١٧٠٠-١٩٠٠م ، بيروت ، مؤسسة الدراسات

الفلسطينية ، ط ١ ، ١٩٩٨م ، ص ٢٩٧ . وسيشار إليه فيما بعد ، دوماني ، فلسطين .

أما في لواء القدس ، فقد اقتصرت زراعة القطن على قرى كفر هر وكفر عقب وشعفاط ؛ وفقاً لدفتر ٤٢٧ العائد للفترة ما بين سنتي ٩٣٢-٩٣٤هـ/ ١٥٢٥-١٥٢٨م^(١) . وقد ذكرت إحدى الحجج الشرعية من محكمة القدس أن القطن كان يزرع في قرية كفر عانا في عام ٩٧٧هـ/١٥٦٩م^(٢) .

٣. الأشجار المثمرة:

تنوعت الأشجار المثمرة التي كانت تزرع في فلسطين في ظل نظام التيمار لتشمل الزيتون والكرمة (العنب) واللوز والمشمش والتفاح والسفرجل والتين . وكانت زراعة الزيتون هي الأكثر انتشاراً .

أ. الزيتون

انتشرت زراعة الزيتون في معظم قرى فلسطين وإن تفاوت حجم انتشارها من قرية إلى قرية أخرى تبعاً لكميات الأمطار ودرجات الحرارة وطبيعة الأرض الجبلية والسهلية وخصوبة تربتها . ووفقاً لدفتر ناحية مرج بن عامر العائد لسنة ٩٤٥هـ/ ١٥٣٨م فإن زراعة الزيتون اقتصرت على اثنتين وعشرين قرية من قرى اللواء البالغة ثمانون قرية^(٣) . أما في لواء القدس فقد بلغ عدد القرى التي تؤدي خراج الزيتون تسع عشرة قرية من بين قرى اللواء البالغ عددها مائة وسبع وستين قرية ، بحسب دفتر ٤٢٧ العائد للفترة ما بين سنتي ٩٣٢-٩٣٤هـ/١٥٢٥-١٥٢٨م^(٤) . كما انتشرت زراعة الزيتون في الأراضي والحوالكير والبساتين المحيطة

(١) دفتر تحرير مفصل صفد ، غزة ، القدس ٤٢٧ ، ص ٢٦٨ ، ٢٧٢ .

(٢) س ش ق ، ص ٥٣ ، ١٢٥ ، ١٣ رجب ٩٧٧هـ/٢١ كانون الأول ١٥٦٩م .

(٣) دفتر ناحية مرج بن عامر ، ص ١٦-١٧ .

(٤) دفتر مفصل صفد ، غزة ، القدس ، ٤٢٧ ، ص ٦٦-٧٠ ، ٨٩ .

بنابلس^(١)، وعلى جبال الكرمل ما بين حيفا ووادي اللجون^(٢). ووفقاً لسجلات المحكمة الشرعية في القدس كانت أشجار الزيتون مزروعة في قرى شرفات^(٣) والبقعة^(٤) ولفتا^(٥) وبيت إرزة^(٦) وصور باهر^(٧) وسلوان^(٨) وقالونيا^(٩) والمالحة^(١٠) وبرج العرب^(١١). وبين دفتر لواء القدس رقم ١٠١٥ العائد لسنة ١٥٤٥هـ/١٥٣٨-١٥٣٩م أن أشجار الزيتون كانت مزروعة في عدد من قرى اللواء، مثل: بيت لحم وبيت جالا وجبع البطيخ وبيت فجوس وطيبة الاسم ومزارع بني زيد وبيت ريم^(١٢). أما دفتر لواء اللجون العائد لسنة ١٠٠٥هـ/١٥٩٦م فيورد زراعة الزيتون في ثلاث وعشرين قرية من قرى اللواء البالغة تسعاً وخمسين قرية^(١٣).

ويظهر حجم زراعة الزيتون في قرى لواء القدس من خلال ما كانت تدفعه بعض هذه القرى من خراج على الزيتون وفقاً لدفتر ٤٢٧ العائد للفترة ما بين

-
- (١) دفتر اراضي صفد، نابلس غزة ٣١٢، ص ١٦٠، ١٦٨-١٦٩، ١٧١-١٧٢، ٢٠٤، ٢١٣.
 - (٢) الصباغ، فلسطين، ص ١٠٤.
 - (٣) س ش ق، س ٢٧، ص ١٨٦، ٨، ذي القعدة ١٩٦٠هـ/ ٢٥ تشرين الأول ١٥٥٣م.
 - (٤) س ش ق، س ٢٧، ص ٢٢٠، ٩، ذي الحجة ١٩٦٠هـ/ ٢٤ تشرين الثاني ١٥٥٣م.
 - (٥) س ش ق، س ٢٧، ص ٤٢٩، ١٨، شوال ١٩٦٠هـ/ ٥ تشرين الأول ١٥٥٣م.
 - (٦) س ش ق، س ٣٧، ص ١٣٣، أواسط جمادي الأولى ١٩٦٠هـ/ أوائل آذار ١٥٥٩م.
 - (٧) س ش ق، س ٣٧، ص ٧٥، ١٧، ربيع الثاني ١٩٦٦هـ/ ٢ شباط ١٥٥٩م.
 - (٨) س ش ق، س ٥٣، ص ٢٣١، ١٣، شوال ١٩٧٧هـ/ ٣٠ آذار ١٥٧٠م.
 - (٩) س ش ق، س ٧٥، ص ١٠٣، ٢٤، جمادي الثانية ١٠٠٠هـ/ ٢٧ آذار ١٥٩٣م.
 - (١٠) س ش ق، س ٧٥، ص ٣٠٠، أوائل رمضان ١٠٠١هـ/ أوائل حزيران ١٥٩٣م.
 - (١١) س ش ق، س ٧٥، ص ٢١٩، أوائل جمادي الأولى ١٠٠١هـ/ أوائل شباط ١٥٩٣م.
 - (١٢) دفتر لواء القدس، ١٠١٥، ص ٢٢٤-٢٩١.
 - (١٣) دفتر مفصل اللجون، ١٨١، ص ١٦-١٧.

سنتي ٩٣٢-٩٣٤هـ/١٥٢٥-١٥٢٨م^(١) كما يظهر في جدول رقم (٩) الآتي :

جدول رقم (٩)

القريه	بيت رما	مزارع بني زيد	كفر عين	العنب	قيالا	كفر عقب	المجموع
مقدار	قنطار	٤٠٠٠	٤٨٠٠	١٠٠	١	١	١٨٩٠٢
الخراج	رطل	٥٠	٢٠	٢٨	١	-	٩٩

ويتبين من الجدول أعلاه أن بيت رما وكفر عين تفوقتا على غيرهما من القرى في حجم انتشار زراعة الزيتون ، ثم تلتهما قرية مزارع بني زيد .
وتبعاً إلى الفترة التي زرع فيها الزيتون في فلسطين ؛ فإن أشجار الزيتون فيها على نوعين : الأول ، زيتون روماني أشير إليه في قريتي بيت إرزه^(٢) واجزم^(٣) ؛ وزيتون إسلامي أشير إليه في قريتي جيب الفخار^(٤) ودير ياسين^(٥) .
كما انتشرت زراعة الزيتون في قرى لواء نابلس بشكل متفاوت من قرية إلى قرية أخرى كما يظهر من مقدار ما تدفعه هذه القرى من خراج على الزيتون . فمثلاً دفعت قرية قباطية ٣٠٠ أقة ، وقرية بيت دجن ١٢٠٠

(١) دفتر دفتر لواء القدس ١٠١٥ ، ص ٢٢٤-٢٩١ ؛ دفتر تحرير مفصل ، صفد ، غزة ، القدس ٤٢٧ ، ص ٩٨-٩٩ .

(٢) س ش ق ، ص ٣٧ ، ص ١٣٣ ، أواسط جمادي الأولى ٩٦٠هـ/ أوائل آذار ١٥٥٩م .

(٣) دفتر ناحية مرج بن عامر ، ص ٢٦ .

(٤) س ش ق ، ص ٧٥ ، ص ١٢٦ ، ١٠ شوال ١٠٠٠هـ/ ١٩ تموز ١٥٩٢م .

(٥) س ش ق ، ص ٧٥ ، ص ١٦٥ ، ١٤ محرم ١٠٠١هـ/ ٢٠ تشرين الأول ١٥٩٢م .

أقبحه^(١). أما في لواء غزة، فيبدو أن زراعة الزيتون كانت محدودة أو تكاد معدومة بسبب طبيعة اللواء الصحراوية وانخفاض معدل الأمطار الساقطة عليه^(٢).

٢. العنب (الكرمة)؛

انتشرت زراعة الكرمة في العديد من القرى في لواء القدس، مثل: بيت جالا وبيت لحم والخليل وحلحول والطور. ويظهر حجم انتشار زراعتها في بعض قرى لواء القدس من خلال ما دفعته هذه القرى من خراج (عداد) مقدراً بالأقبحه^(٣) وفقاً لدفتري تحرير رقم ٤٢٧ و١٠١٥^(٤) في الجدول رقم (١٠) الآتي:

(1) Wolf-Dieter Hütteroth and Kamal Abdulfattah, *Historical Geography of Palestine, Trans-jordan and Southern Syria in the Late 16th Century*. Erlangen, 1977, pp. 142-156.

(2) Ibid., pp. 125-141.

(٣) الأقبحه: أول نقد فضي عثماني سك في عهد السلطان أورخان سنة (٧٢٧هـ/ ١٣٢٦م). سيد محمد محمود، النقود العثمانية، تاريخها وتطورها ومشكلاتها، القاهرة، كلية الآداب، دون رقم طبعة، ص ٣١-٣٦. وسيشار إليه فيما بعد محمود، النقود؛ شوكت باموك، التاريخ المالي للدولة العثمانية، ترجمة عبد اللطيف الحارس/ بيروت، دار المدار الإسلامي، ط ١، ٢٠٠٥م، ص ١٠٠-١١٨. وسيشار إليه فيما بعد باموك، التاريخ المالي.

(٤) دفتر تحرير مفصل، صغد، غزة، القدس ٤٢٧، ص ١٨١، ١٨٩، ١٩١، ٣٠١؛ دفتر لواء القدس

١٠١٥، ص ١٦٦، ١٦٩، ٢٣٨، ٣٥٨.

جدول رقم (١٠)

القرية	مقدار الخراج وفق دفتر ٤٢٧ (٩٣٢-٩٣٤هـ/ ١٥٢٥-١٥٢٨م)	مقدار الخراج وفق دفتر ١٠١٥ (١٥٣٨-١٥٣٩م/ ٩٤٥هـ)
بيت جالا	٥٠٠	٢٥٠
بيت لحم	١٢٠٠	١٥٠
صور باهر	-	٨٠٠
الخليل	٣٠٠٠	٢٠٦
حلحول	٩٠٠٠	٥٠٠٠
المجموع	١٣٧٠٠	٦٠٠٦

كما انتشرت زراعة الكرمة في قرى ناحية غزة؛ فكانت قرية هربية مثلاً تدفع ٢٢٥٣٣ آقجه عن خراج الكرمة فيها، وقرية جباليا ٧٠٢٠ آقجه، وقرية نعليا ١٦٠٠ آقجه^(١). ووفقاً لبعض السجلات الشرعية من محكمة القدس الشرعية فإن أشجار الكرمة كانت مزروعة في عدة قرى، منها: شرفات^(٢) والعيصرية^(٣) وبيت لحم^(٤) وبيت ساحور^(٥) وبيت صميرا^(٦) وبرج العرب^(٧)

(١) نوفان رجا الحمود، الموارد الاقتصادية، ص ٤٦. وسبشار إليه فيما بعد الحمود، الموارد الاقتصادية.

(٢) س ش ق، ص ٢٧، ص ١٨٦، ٨، ذي القعدة ٩٦٠هـ/ ٢٥ تشرين الأول ١٥٥٣م.

(٣) س ش ق، ص ٥٣، ص ٤٧٥، ٦، ربيع الأول ٩٧٨هـ/ ١٧ آب ١٥٧٠م.

(٤) س ش ق، ص ٣٧، ص ٤٩٣، ١٥، شوال ٩٦٦هـ/ ٣٠ غوز ١٥٥٩م.

(٥) س ش ق، ص ٢٧، ص ١٤٩، ٨، جمادي الأولى ٩٦٠هـ/ ٢٥ شباط ١٥٥٣م.

(٦) س ش ق، ص ٣٧، ص ١٢١، ٢١، جمادي الأولى ٩٦٦هـ/ ١٠ آذار ١٥٥٩م.

(٧) س ش ق، ص ٣٧، ص ٨٨، ٤، جمادي الأولى ٩٦٦هـ/ ٢١ شباط ١٥٥٩م.

وأبوديس (١) والطور (٢) والبقعة (٣) وأرض واد التفاح ظاهر مدينة الخليل (٤) . كما زرعت في قرى قديتا وراس الأحمر والظاهرية الفوقا التابعة إلى لواء صفد (٥) . وانتشرت زراعة التين في العيزرية (٦) وبيت لحم (٧) وأبو ثور (٨) وأرض الصلاحية (٩) والبقعة (١٠) ووادي التفاح ظاهر مدينة الخليل (١١) وأرض الصرارة ظاهر القدس (١٢) وبيت صفافا (١٣) وبيت فجوس كانت تدفع ٥٠٠ آقجه خراج تين (١٤) . كذلك زرع المشمش واللوز والسفرجل والفسق والجوز والتفاح في قرى مثل العيزرية والبقعة (١٥) .

(١) س ش ق ، س ٥٣ ، ص ١٢٠ ، ٢٢ رمضان ٩٧٧هـ / آذار ١٥٧٠م .

(٢) س ش ق ، س ٥٣ ، ص ٥٩٨ ، ٣ رجب ٩٧٨هـ / كانون الأول ١٥٧٠م .

(٣) س ش ق ، س ٥٣ ، ص ١٥٩ ، ١١ رمضان ٩٧٧هـ / شباط ١٥٧٠م .

(٤) س ش ق ، س ٥٣ ، ص ٢٠٨ - ٢١١ ، ١٥ شوال ٩٧٧ / آذار ١٥٧١م .

(5) Hütteroth and Abdulfattah, op. cit., p. 175.

(٦) س ش ق ، س ٥٣ ، ص ٤٧٥ ، ٦ ربيع الأول ٩٧٨هـ / آب ١٥٧٠م .

(٧) س ش ق ، س ٣٧ ، ص ٤٩٣ ، ١٥ شوال ٩٦٦هـ / تموز ١٥٥٩م .

(٨) س ش ق ، س ٣٧ ، ص ٥٤٨ ، ١٢ رجب ٩٧٧هـ / تشرين الثاني ١٥٦٩م .

(٩) س ش ق ، س ٢٧ ، ص ١٤٩ ، ٨ جمادي الأولى ٩٦٠هـ / نيسان ١٥٥٢م .

(١٠) س ش ق ، س ٣٧ ، ص ١٠٥ ، ١١ جمادي الأولى ٩٦٠هـ / نيسان ١٥٥٢م .

(١١) س ش ق ، س ٢٧ ، ص ٨٤ ، ٢٠ ربيع الثاني ٩٦١هـ / آذار ١٥٥٤م .

(١٢) س ش ق ، س ٢٧ ، ص ٢٠٨ - ٢١١ ، ١٥ شوال ٩٧٧هـ / آذار ١٥٧٠م .

(١٣) س ش ق ، س ٧٥ ، ١٦ ربيع الأول ١٠٠٠هـ / كانون الأول ١٥٩١م ؛ ص ٥٧٨ ، ١٣

جمادي الثاني ٩٧٨هـ / ١٢ تشرين الثاني ١٥٧٠م ؛ س ش ق ، س ٢٧ ، ص ٢٢٠ ، ٩ ذي الحجة

٩٦٠هـ / ١٦ تشرين الثاني ١٥٥٣م ؛ س ش ق ، س ٧٥ ، غرة رجب ١٠٠٠هـ / أواسط نيسان

١٥٩٢م .

(١٤) دفتر تحرير مفصل صفد ، غزة ، القدس ٤٢٧ ، ص ٢٤٠ .

(١٥) س ش ق ، س ٥٣ ، ص ٤٧٥ ، ٦ ربيع الأول ٩٧٨هـ / آب ١٥٧٠م .

ووفقاً لدفتر ناحية مرج بن عامر العائد لسنة ٩٤٥هـ / ١٥٣٨م انتشرت زراعة أشجار التوت في عدد من قرى الناحية ، مثل : نورس وجلمه واليامون وقباطية^(١) . كما زرعت أشجار الخروب والتين في طيرة اللوز^(٢) .

كما زرعت أشجار التين والتفاح والأجاص في الأراضي السهلية أسفل نابلس^(٣) . وقد أشار الفارس دارفيو خلال زيارته لفلسطين عام ١٠٦٨هـ / ١٦٥٨م إلى زراعة الحمضيات ؛ وبخاصة البرتقال والليمون منها ، اعتماداً على الري . وذكر وجودهما في حديقة السراي^(٤) بالرملة ، وبستان الباشا في غزة وفي البساتين في السهل أسفل مدينة نابلس^(٥) .

وتمتاز زراعة الأشجار المثمرة بأنها زراعة مختلطة . أي إنها ليست مقصورة على زراعة نوع واحد من الأشجار ؛ فقد تزرع أشجار الزيتون والتين والمشمش والعنب في نفس الأرض . كما تنوعت الأشجار المثمرة في القرية الواحدة ، وهذا ما يتبين مما كانت تدفعه بعض القرى من خراج (عداد) ؛ فمثلاً كانت تزرع أشجار الكروم والزيتون في قرى باقة الشرقية وعرعرا وأم الفحم ونورس^(٦) ،

(١) دفتر ناحية مرج بن عامر ، ص ٢٨ ، ٤٠ ، ٤٦ ، ٤٩ ، ٥٢ ، ٥٤ ، ٥٦ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٩ .

(٣) الصباغ ، فلسطين ، ص ١٠٤ .

(٤) السراي : كلمة فارسية الأصل تعني المنزل أو القصر . وتنهني في الاستعمال العثماني القصر السلطاني . أما هنا فتعني مقر الحاكم . سهيل صابان ، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية ، الرياض ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، ط ١ ، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م ، ص ١٣٢ . وسيشار إليه فيما بعد ، صابان ، المعجم .

(٥) الصباغ ، فلسطين ، ص ١٠٢-١٠٤ .

(٦) دفتر مفصل اللجون ١٨١ ، ص ٤١ ، ٤٢ ، ٥٢ ، ٨٠ ، ٨٦ .

والأشجار المثمرة في قرى بريكوت وكفر اشوع وقلنديا وجبع البطيخ وبيت ساحور الوادي وعارورا^(١) .

كما كانت الغراس المثمرة المملوكة من شخص واحد تتوزع أحياناً بين عدد من القرى والأراضي؛ فكان الشيخ عبد الكريم بن شرف الدين بن جمال الدين بن الصامت القادري يملك حصصاً مختلفة من غراس العنب والتين والتفاح والزيتون والمشمش والسفرجل واللوز في أراضي مزرعة برج العرب والشيخ جراح وخان الإفرنج ظاهر القدس وفي قرية دير السد^(٢) .حياناً

كما أن الفلاحين لم يكونوا أحراراً في زراعة الأشجار المثمرة التي يرغبون زراعتها في أراضي الوقف أو التيمار؛ لأن زراعتها كانت مرهونة بموافقة نظار ومتولي الوقف في حال كانت الأرض وقفاً، أو بموافقة صاحب التيمار إذا كانت الأرض إقطاعاً. وكان كلا الطرفين يستطيع أن يمنع الفلاحين من زراعة الغراس المثمرة وقلعها إذا زرعت بغير إذنهما أو موافقتهم على زراعتها شريطة دفع الخراج (العداد) عنها. فقد اشتكى سليمان جاويش، متولي وقف العمارة العامرة، على عدد من سكان قرية جمالا الجارية في وقف العمارة العامرة بأنهم زرعوا غراساً في الأراضي التي عليهم زراعتها بالغلال بغير إذنه وبغير طريق شرعي، وطالبهم بما يترتب على الغراس من عداد^(٣) .

وفي حال زراعة الغراس في الأرض الجارية في تيمار بغير إذن صاحب هذا التيمار فإنه كان بإمكان صاحب التيمار أن يطلب زارعيها أن يقوموا بقلعها. فقد ادعى أرتوغدي بن يوسف، التيماري بالقدس، على عدد من مزارعي مزرعة حاراش الجارية في تيماره، زرعاً بأرض المزرعة غراس عنب وتين بغير إذنه، وطالبهما بأن يقلعا الغراس المذكورة، وعند سؤال المدعى عليهما اعترفاً بذلك

(١) دفتر لواء القدس ١٠١٥، ص ١١٤-١٢٠. وانظر: دفتر ٢٨٩، ص ١٣٢-١٤٣.

(٢) س ش ق، ص ٢٧، ص ٢٦، ٢٧ شعبان ٩٦٠هـ/ ١٦ آب ١٥٥٣م.

(٣) س ش ق، ص ٧٥، ص ٩١، ٢١ رجب ١٠٠٠هـ/ ٢٨ كانون الأول ١٥٧٠م.

مبينين إن شاء أخذ منهما العداد، وإن شاء قلع الغراس (١).
ولا يجوز للتيماري أن يأذن للفلاحين بزراعة الغراس في أراضي الوقف لأن ذلك من صلاحية نظار ومتولي الوقف؛ فقد ادعى الشيخ إسحاق بن سراج الدين عمر بن أبي اللطف، المفتي بالقدس والناظر على وقف المدرسة الصلاحية، على إبراهيم جلبلي المعروف بالعجمي زاده، التيماري على قرية سلوان الجارية في وقف المدرسة المذكورة، أنه أذن لعون بن يعقوب وحسين بن بوطه من القرية نفسها أن يغرسها بأرض القرية غراس تين وغير ذلك، وليس للمدعى عليه فيها شيء غير العشر من غلال القرية؛ لأن جميع أراضي القرية جارية في الوقف، وأن إبراهيم التيماري قلع غراس المأذون لهما من أراضي القرية بغير وجه شرعي، فأكد الحاكم الشرعي للمدعى عليه أن لمتولي الوقف إجارة الوقف، وأن للسباهي عشر المتحصل فقط (٢).

ويظهر مما أوردته السجلات الشرعية أن أصحاب الوظائف الدينية من قضاة ومفتين وأئمة وخطباء، إضافة إلى أمراء الألوية والسباهية والتجار في المدن تملكوا أعداداً كبيرة من الغراس المثمرة في القرى الواقعة ظاهر هذه المدن بالمزارعة والشراء والإرث، بينما كانت ملكية فلاحي القرى محدودة لهذه الغراس. فقد امتلك شيخ الإسلام شرف الدين موسى بن الديري الحنفي، إمام الصخره، ثلاثة قراريط (٣) من غراس العنب والتين والسفرجل الواقعة بأرض البقعة (٤). واشترى القاضي صالح زين الدين بن شيخ الإسلام عمر سراج الدين، المشهور

(١) س ش ق، ص ٧٥، ص ٢٧٩، ٢٧، شعبان ١٠٠١هـ / ٢٨ أيار ١٥٩٣ م.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢١٨، ١٢ جمادى الأولى ١٠٠١هـ / ١٣ شباط ١٥٩٣ م.

(٣) القيراط: وحدة مساحة استخدمه العثمانيون لحساب مساحة أرض دار بغض النظر عن مقدار مساحتها؛ حيث كانت تلك الأرض أو الدار تقسم إلى أربعة وعشرين قيراطاً. والقيراط قسم واحد منها. هنتس، المكابيل، ص ٦٨؛ صابان، المعجم، ص ١٨٧.

(٤) س ش ق، ص ٢٧، ص ٨٤، ٢٠ ربيع الثاني ٩٦٠هـ / ١٣ نيسان ١٥٥٣ م.

بأبن العلمي ، نصف غراس العنب والتين والزيتون وغير ذلك القوائم أصوله بأرض الخانقاه الصلاحية من الخواجه صالح بن بدر الدين بن كب السواد^(١) . كما اشترى الربع (سنة قراريط) من غراس الزيتون الإسلامي بأرض دير ياسين ظاهر القدس^(٢) . وفي حجة أخرى ، كان يملك حصصاً مختلفة من العنب والتين القوائم أصوله في أرض بيت صميرا وأرض البقعة وأرض منجك^(٣) .

كما استطاع أمراء الألوية والسباهية امتلاك الغراس المثمرة ؛ إذ اشترى أويس بك ، مير لواء القدس ، جميع غراس العنب والتين القوائم أصوله بأرض البقعة ظاهر القدس^(٤) . واشترى عساف بك بن محمد ، مير لواء نابلس ، من مصطفى أغا بن سليمان أغا ، الشهير بطوقلي زاده ، اثني عشر قيراطاً في غراس بأرض قرية بلاطة المشتملة على غراس زيتون وتين ومشمش بمائتي قرش أسدي^(٥) .

أما السباهية ؛ فقد امتلكوا الغراس المثمرة في القرى التابعة للمدن التي أقاموا فيها ؛ حيث اشترى حسين بن الحاج مراد الزعيم بالقدس بالوكالة عن زوجته لموكلته ثمانية عشر قيراطاً من غراس العنب والتين والسفرجل القوائم أصوله بأرض الصرارة ظاهر القدس^(٦) . واشترى مصطفى أغا بن سليمان ، الشهير بطوقلي ، من شرف الدين أغا بن نور الدين الصاحب اثني عشر قيراطاً

(١) س . ش . ق ، ص ٤٥٣ ، ٤ صفر ١٠٠٢هـ / ٢٩ تشرين الأول ١٥٩٣ م .

(٢) س . ش . ق ، ص ٧٥ ، ١٢٦ ، ١٠ شوال ١٠٠٠هـ / ١٩ تموز ١٥٩٢ م .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٩٨ ، ١٤ شعبان ١٠٠٠هـ / ٢١ أيار ١٥٩٢ م .

(٤) س . ش . ق ، ص ١ ، ١٣٨ ، ٢٨ ربيع الأول ٩٣٧هـ / ١٩ تشرين الثاني ١٥٣٠ م .

(٥) المصدر نفسه ، ص ٤٠ ، ١٠ رجب ١٠٦٦هـ / ٤ أيار ١٦٥٦ م . ويقصد بالقرش الأسدي ، الدينار

الهولندي . شاع استخدامه في فلسطين وغيرها من أرجاء الدولة العثمانية . س ش ق ، ص ١٤٦ ،

ص ٤٦٥ ، ١٨ ذي القعدة ١٠٦٦هـ / ٥ آذار ١٦٠٨ م ؛ باموك ، التاريخ المالي ، ص ١٩٠ .

(٦) س . ش . ق ، ص ٧٥١ ، ١٣٤ ، ١٢ ذي القعدة ١٠٠٠هـ / ٩ آب ١٥٩٢ م .

من البستان بمحلة القريوت المشتمل على أشجار أترج ونارنج وليمون ودراق وتين ورمان^(١)، واشترى إيدين بن حبيب من مستحفظي قلعة الخليل اثني عشر قيراطاً من غراس العنب والتين والسفرجل بأرض بني سليم ظاهر الخليل شركة علي أغا، أغا قلعة الخليل، بثمن قدره خمسة عشر سلطانيا^(٢).

كذلك امتلك التجار في المدن غراساً في القرى التابعة إلى المدن التي يقيمون فيها؛ فمثلاً كان الخواجه عبد القادر بن فتح الدين الصائغ من التجار في القدس يمتلك غراساً مختلفة في كل من بيت صفا والعيساوية وبيت لحم وطبيلية والبقعة وسلوان وعناتا والطور^(٣)، والخواجه شمس الدين محمد بن أرغون حصصاً متفاوتة في غراس الزيتون في كل من بيت ساحور وبيت صفافا وبيت جالا والبقعة وأرض الخانقاه الصلاحية وأرض منجك ظاهر القدس^(٤).

واستطاع بعض رؤساء الحرف والمهن امتلاك هذه الغراس؛ فقد اشترى أحمد بن يحيى بن الحاج محمد، رئيس الأطباء بالقدس، من خاله الشرفي موسى بن شرف الدين محمد بن زيد الدين عمر بن هارون حصصاً مختلفة من الغراس المثمرة في بيت صفافا وبيت صميرا والسيقي منجك وأبي ثور وصور باهر وأرض القمر ودير يزيد^(٥).

(١) سجلات محكمة نابلس الشرعية، ص ١، ٦١-٦٢، ٥ رمضان ١٠٦٦هـ/ ٩ تموز ١٦٥٥م.

(٢) س ش ق، ص ٥٣، ٥٩٨، ٣ رجب ٩٧٨هـ/ ١ كانون الأول ١٥٧٠م. والسلطاني، عملة ذهبية

بدأ العثمانيون سكها في سنة ٨٨٢هـ/ ١٤٧٧-١٤٧٨م. وقد ذكرت في السجلات الشرعية باسم

السلطاني الذهبي والسلطاني السليماني والسلطاني التام الوزن والعيار والسلطاني الذهب. س ش

ق، ص ٢٧، ٢٥٢، ٣ محرم ٩٦١هـ/ ٩ كانون الأول ١٥٩١م؛ إينالجك، التاريخ، ج ٢٥،

ص ٧٤٧-٧٤٨؛ باموك، التاريخ المالي، ص ١٢٣-١٢٥.

(٣) س ش ق، ص ٧٥، ٤٠٠-٤٠٢، غرة رمضان ١٠٠١هـ/ غرة حزيران ١٥٩٣م.

(٤) س ش ق، ص ٥٣، ٦٢٣، ١١ رجب ٩٧٨هـ/ ٩ كانون الأول ١٥٧٠م.

(٥) س ش ق، ص ٧٥، ٣٢١، وأوسط رمضان ١٠٠١هـ/ ١٥ حزيران ١٥٩٣م.

وقد قام بعض ملاك الغراس بوقف ما يملكون من غراس على جهات خيرية ؛ وبشكل خاص على قراءة القرآن . فقد ذكرت الغراس العنب والتين بأرض الصلاحية الموقوفة على قراءة ما تيسر من القرآن الكريم في أي مكان تيسر^(١) . كما وقف الشيخ داود بن أبي ريان ، من مشايخ قرى بني زيد ، اثني عشر قيراطاً من غراس الزيتون القائم أصوله بأرض دير غسانة على مقام علي بن عليل^(٢) .

بينما قام آخرون بوقف غراسهم على أنفسهم وذريتهم من بعدهم . فقد وقف محمد بن محمود بن شيخ الإسلام نجم الدين الغزي حصصاً مختلفة من غراس العنب والتين واللوز والزيتون في أرض الطوال وأرض الجيزة ظاهر القدس وأرض خان الإفنج وبيت صميرا وشرفات على نفسه وذريته من بعده^(٣) . ووقف الأمير الصدر الأجل الخواجه صلاح الدين الغرسي غرس الدين خليل بن شمس الدين محمد الشهير نسبه الكريم بابن عسيلة الغراس الواقعة ظاهر القدس والنصف الغراس القائمة في أرض البقعة والنصف من الغراس في أرض البيرة وبيت لحم على نفسه ومن بعده على ذريته^(٤) .

واستغل هؤلاء غراسهم عن طريق التعامل الزراعي . وفي حال الغراس ، ترد عقود المساقاة كأبرز تلك الطرق . وبموجب هذه الطريقة تعطى الغراس لمن يعتني بها لقاء نسبة محددة من الثمر . وغالباً ما تكون مدتها سنة ، وقد تصل مائة سنة . فقد تصادق الشيخ شرف الدين يونس والشيخ شرف الدين عرفة ولدا الشيخ أحمد الدجاني مع الشيخ علي بن علي المشهور بأبي هريرة على المساقاة التي صدرت عن والدهم على جميع الحصة الشائعة وقدرها ستة عشر قيراطاً

(١) س ش ق ، ص ٣٧ ، ص ٨ ، أواسط صفر ٩٦٧هـ / ١٦ تشرين الثاني ١٥٥٩

(٢) س ش ق ، ص ٧٥ ، ص ٣٤٧ ، أواسط رجب ١٠٠١هـ / ١٧ نيسان ١٥٥٣ م .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٤٦-٤٧ ، أوائل ربيع الثاني ١٠٠٠هـ / ١٦ كانون الثاني ١٥٩٢ م .

(٤) س ش ق ، ص ٥٣ ، ص ٧٧-٨٠ ، ٢٢ رجب ٩٧٧هـ / ٣١ كانون الأول ١٥٦٩ م .

في جميع أشجار الزيتون القائم أصوله بأرض قرية بديا الجاري الزيتون في الوقف على الشيخ أحمد الدجاني وأولاده؛ على أن يعتني بأشجار الزيتون بنفسه أو بمن يستعين به لمدة مائة عام تمضي من ثالث رجب سنة ٩٥٨هـ / ٧ تموز ١٥٥١م؛ ومهما يرزقه الله من ثمره يكون مقسوماً على ألف سهم، منها أربعة وعشرون سهماً لجهة الوقف، وبقية السهم يستحقها المساقى نظير عمله بالغراس (١).

بينما أخبر الشيخ حسين بن عبد الرحمن الوكيل الشرعي عن والدته مريم بنت عبد القادر جلبي الخلوتي، الناظرة على وقف قلقز سنان، الحاكم الشرعي أن الكرم الكائن بأرض البقعة ظاهر القدس قد فنيت أشجاره القديمة من العنب والتين والسفرجل وغير ذلك، وما بقي فيه سوى أربع أشجار تين وأربع أشجار سفرجل، وصارت أرض الكرم خالية من الأشجار؛ وأن في زرع الكرم بالغراس نفع أكثر لجهة الوقف من زراعة الحنطة والشعير. وطلب من الحاكم الشرعي أن يأذن له بغراسته بالأشجار، وعند ذلك اتفق حسين المذكور مع يوسف بن محمد بن مرعي على زراعة الأشجار الجديدة والاعتناء بالقديم منها على أن يكون ليوسف النصف من الأشجار القديمة والنصف لجهة الوقف، وعند نمو الغراس الجديدة يكون نصف الثمر ليوسف والنصف الثاني لجهة الوقف (٢).

٤. الخضروات؛

زرعت الخضروات في عدد من القرى في فلسطين. فقد كانت تزرع في بساتين قرية سلوان (٣) وفي قرية بتير (٤). ووفقاً لدفتر ٤٢٧ العائد للفترة ما بين

(١) س ش ق، ص ٥٣، ٦٠٦، ٧ رجب ٩٧٨هـ / ١ كانون الأول ١٥٧٠م.

(٢) س ش ق، ص ٧٥، ٢٥٨، ١٦ رجب ١٠٠١هـ / ١٨ نيسان ١٥٩٣م.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٥٣، ٣ رجب ١٠٠١هـ / ٢٩ نيسان ١٥٥٣م.

(٤) المصدر نفسه، ص ٢٢٩، أواخر جمادي الثانية ١٠٠١هـ / أواخر آذار ١٥٩٣م.

٩٣٢-٩٣٤هـ/ ١٥٢٥-١٥٢٨م فإن قرى عرار الفوقا وخرجا ومزرعة خطاف كانت تدفع رسم بستان؛ ما يعني أن هذه القرى كان يزرع في أراضيها خضروات لأن هذا الرسم كان يجبي عن الخضروات^(١). وهناك ما يشير إلى زراعة الخضروات في أودية جبال الكرمل^(٢). أما في أريحا فقد زرعت رياً من الجداول التي كانت تنتهي إلى نهر الأردن^(٣).

رابعاً: العوامل التي أثرت على الزراعة:

تأثرت الزراعة بالعديد من العوامل البشرية والطبيعية التي أثرت عليها سلباً، ما أدى إلى تدني الإنتاج الزراعي ومنها الرسوم والضرائب التي فرضها العثمانيون على القرى والفلاحين فيها، وطبيعة نظام التيمار المطبق على تلك القرى؛ إضافة إلى ظروف البيئة المحلية من أمطار وحرارة وتربة، علاوة على الهجمات التي كانت تتعرض لها القرى من البدو، والفلاحين الذين تركوا العمل بالزراعة، ناهيك عن الخلافات بين سكان القرى المتجاورة أو سكان القرية الواحدة.

١. الرسوم والضرائب:

تعددت الرسوم والضرائب التي كان يدفعها الفلاحون للدولة وأمراء الألوية والسباهية والمتسلمين والصوباشية^(٤) والوقف لتشمل العشر والقسم للذنان كانا

(١) دفتر ٤٢٧، ص ٢٤٠، ٣٠٠؛ دفتر ١٠١٥، ص ٢٢٣.

(٢) الصباغ، فلسطين، ص ١٠٢.

(٣) المرجع نفسه، ص ١٠٧.

(٤) الصوباشي: لقب يطلق على من يساعد في الحفاظ على الأمن عند أمير اللواء (س ش ق، ص ٣٧،

ص ٢١، ٥ رجب ٩٦٦هـ/ ١٣ نيسان ١٥٥٩م) أو عند أصحاب النواحي والمدن وبعض القرى

والإقطاعات من فئة الزعامت (س ش ق، ص ٧٥، ١٣٩، ١٣، ذي القعدة ١٠٠٠هـ/ ٢٠ آب

١٥٩٢م).

يجيبان عن المحاصيل الشتوية والصيفية كالحنطة والشعير والذرة والخضار^(١) ،
والخراج (العداد) عن الأشجار المثمرة^(٢) ، والنزل العينية والنقدية التي كانت
تجبي لتموين الجيش العثماني وقت الحرب^(٣) ، ومال الحج لتمويل قافلة الحج
الشامي^(٤) ؛ إضافة إلى التكاليف العرفية والعادة المعتادة مثل فتوح البيدر^(٥)

(١) دفتر تحرير مفصل صفد ، غزة ، القدس ٤٢٧ ، ص ٦٦-٧١ ؛ دفتر ١٠١٥ ، ص ٧٨-٨٨ ؛ دفتر دفتر
مفصل اللجون ١٨١ ، ص ٣٢-٨٠ .

(٢) كوندوز ، التشريع ، ص ٥٩-٦٥ ؛ إحسان أوغلي ، الدولة العثمانية ، ج ١ ، ص ٦٤٠-٦٤١ ؛ س ش ق ،
س ٢٧ ، ص ١٠١ ، ٣ جمادي الأولى ٩٦٠هـ / ٢٦ نيسان ١٥٥٣م ؛ س ش ق ، ص ٥٣ ، ص ٢٣٩ ،
١١ شوال ٩٧٧هـ / ٢٨ آذار ١٥٧٠م .

(٣) س ش ن ، س ٢ ، ص ٢ ، ص ٤٩ ، ٥ جمادي الثاني ١٠٩٧هـ / ٢٨ نيسان ١٦٦٨م ؛ س ش ن ، س ٢ ،
ص ٤١٩ ، ٢٥ جمادي الأولى ١١٠٠هـ / ١٦ آذار ١٦٨٨م ، بلاد الشام في الأحكام السلطانية الواردة
في دفاتر المهمة ، ٩٥١-٩٧٣هـ / ١٥٤٤-١٥٦٦ ، ؛ اعداد وترجمة فاضل بيات ، ج ٣ ، عمان ،
منشورات لجنة تاريخ بلاد الشام ، الجامعة الأردنية ، ١٤٢٦ / ٢٠٠٥م ، ص ٦٩ ، ١٦٨-١٦٩ . وسيشار
إليه فيما بعد بلاد الشام في الاحكام السلطانية .

(٤) س ش ن ، س ١ ، ص ٤٥ ، أوائل شعبان ١٠٦٦هـ / أواخر أيار ١٦٥٦م ؛ كامل جميل العسلي ، وثائق
تاريخية مقدسية ، م ٣ ، عمان ، نشر بدعم من الجامعة الأردنية ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٩م . ج ٣ ،
ص ١٥٢ (وثيقة رقم ١١٤) . وسيشار إليه فيما بعد العسلي ، وثائق .

(٥) فتوح البيدر وعادت الزيت والرجالية والخميسية : من الرسوم التي صنفت على أنها غير شرعية .
كانت تجبي من قرى الوقف والتيمار والملك الخاص . لكن مبررات جبايتها ومقاديرها ليست واضحة
في الحجج التي أوردها واطلع عليها الباحثان . انظر مثلاً : س ش ن ، س ١ ، ص ٢٤١ ، ١٣ جمادي
الأولى ١٠٦٦هـ / ٨ آذار ١٦٥٥م ؛ س ش ن ، س ٢ ، ص ٢٠٣ ، أواخر ربيع الثاني ١٠٩٩هـ / أوائل
آذار ١٦٨٨م .

وعادات الزيت والرجالية والخميسية^(١). كما كان الفلاحون يدفعون رسوماً عن حيواناتهم تحت تسميات مختلفة كعداد الأغنام أو رسم معزة أو رسم جاموس^(٢) ورسوماً عند بيع حيواناتهم^(٣) وعند بيع محاصيلهم من الحبوب تعرف باسم باج الكيلة^(٤)، وعن خضارهم تسمى قبان الخضر^(٥)، وعن زيتهم تسمى قبان الزيت^(٦). كما كانت بعض القرى تدفع رسم حماية^(٧)، بينما يدفع الفلاحون في القرى المسيحية الجزية إضافة إلى الضرائب والرسوم السابقة^(٨). وكمثال

(١) قانون نامه لواء نابلس، قانون نامه لواء صفد (دفتري ٣١٢) ص ٢٧-٢٨، ٦٧-٦٨؛ س ش ن، س ٢، ص ٢١٢، أواخر ربيع الأول ١٠٩٩هـ/ أواخر كانون الأول ١٦٨٨م؛ س ش ن، س ١، ص ٤٢، ١١ رجب ١٠٦٦هـ/ ٤ أيار ١٥٥٦م.

(٢) دفتري تحرير مفصل صفد، غزة، القدس ٤٢٧، ص ١٧٨، ١٧٩، ٢١٠، ٢٦٥؛ دفتري تحرير القدس ١٣١، ص ١٦٠؛ دفتري مفصل اللجون ١٨١، ٣٦، ٥٠، ٥١، ٧٩-٨٠؛ س ش ق، س ٣٧، ص ٢٠١، ٥ رجب ٩٦٦هـ/ ١٢ نيسان ١٥٥٩م.

(٣) دفتري ٤٢٧، ص ١٧٤؛ دفتري تحرير القدس ١٣١، ص ١٥٩؛ س ش ق، س ٢٧، ص ٧٣، ١٣ ربيع الثاني ٩٦٠هـ/ ١٦ آذار ١٥٥٣م.

(٤) دفتري لواء القدس ١٠١٥، ص ١٥٧؛ دفتري ٣٤٢، ص ٧٠؛ س ش ق، س ٣٧، ص ٣٤، ٣ ربيع الأول ٩٦٧هـ/ ٢ كانون الأول ١٥٥٩م.

(٥) دفتري اراضي القدس ٣٤٢، ص ٦٤؛ س ش ق، س ٧٥، ص ٨٧، ٢٨ رجب ١٠٠٠هـ/ ٩ أيار ١٥٩٢م؛ س ش ق، س ٥٢، ص ٥٧٦، ١١ جمادي الثاني ٩٧٨هـ/ ٩ تشرين الأول ١٥٧٠م.

(٦) س ش ق، س ٣٧، ص ٥٣٨، ١٣ ذي الحجة ٩٦٦هـ/ ٢٥ حزيران ١٥٥٣م؛ محمد أحمد سليم اليعقوب، ناحية القدس الشريف في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، ط ١، ج ١، عمان، منشورات البنك الأهلي، ١٩٩٩م. ص ١٤٠. وسيشار إليه فيما بعد اليعقوب، ناحية.

(٧) دفتري تحرير القدس ١٣١، ص ٢٤٧، ٢٤٦.

(٨) س ش ق، س ٥٣، ص ١٣١، أوائل رمضان ٩٧٧هـ/ أوائل شباط ١٥٧٠م؛ س ش ق، س ٢٧، ص ٥٤، ٧ رجب ٩٦٠هـ/ ١٩ حزيران ١٥٥٣م؛ دفتري ٤٢٧، ص ١٠٢-١٠٤؛ دفتري ٣٤٢، ص ٧٠-٧٥.

على تلك الضرائب والرسوم يبين الجدول رقم (١١) الآتي مقدار الضرائب والرسوم التي كان فلاحو قريتي بيت لحم وبيت جالا يؤدونها بالآقجه وفقاً لدفتر ٢٨٩ العائد لسنة ١٩٦١هـ / ١٥٥٣-١٥٥٤م^(١) :

جدول رقم (١١)

المحصول	حنطة	كروم	معزة	عروس وبادهوا	الجزية
بيت لحم	٩٦٠٠	٣٠٠	٤٣٠	٤٣٠	١٣٢٠٠
بيت جالا	٣٦٠٠	٣٠٧٤	٢٠٠	١٢	٢٨٨٠
المجموع بالآقجه	١٣٢٠٠	٣٣٧٤	٦٣٠	٤٤٢	١٦٠٨٠

ولم يقتصر الأمر على تلك الرسوم والضرائب ، بل كانت تجبى من الفلاحين ضرائب أخرى تحت تسميات مختلفة ؛ ففي إحدى الحجج أن علي أفندي ، الزعيم بالقدس ، حضر إلى المحكمة الشرعية وأبرز أمراً شريفاً مؤرخاً في أواخر سنة ١٠٦٧هـ / ١٦٥٧م أوائل تشرين أول ١٦٥٧م موجهاً إلى الحاكم الشرعي وفيه إن أهالي قرية البيرة ظاهر القدس والجارية في تيماره يعانون من التكاليف العرفية الشاقة ، وإن حكام السناجق وصوابيشيهم يطلبون منهم طعاماً وعليقاً وخرفاناً وحنطة وغير ذلك عن طريق المقت والتعدي ، وإن الأمر السلطاني يمنعهم من ذلك ، وإنه يطلب من الحاكم الشرعي أن يصدر أمراً بمنعهم من أخذ هذه التكاليف^(٢) .

كما كان أمراء الأولوية يأخذون من الفلاحين الضرائب والرسوم التي صدرت الأوامر بإعفائهم منها ؛ فقد اشتكى جماعة من أهالي قرية فرخة -

(١) دفتر مفصل لواء القدس ٢٨٩ ، ص ٣٣٠-٣٣٢ .

(٢) س ش ق ، ص ١٥٥ ، ص ١١٥ ، ١٠ جمادي الأولى ١٠٦٨هـ / ١٢ شباط ١٦٥٨م .

التابعة للواء نابلس - للحاكم الشرعي في نابلس أن جماعة أمير الأمراء عساف بك ، مير لواء نابلس والحج الشامي ، وصوابيشيه يتعرضون لهم ويلحون عليهم من أنواع التكاليف ، وإن طلبهم مخالف للشرع الشريف والعوائد المعتادة كونهم من الأشراف ، وهم معفيين من التكاليف العرفية إكراماً لجدتهم النبي صلى الله عليه وسلم^(١) . كما إن بعض التيمارية كانوا يأخذون رسوماً وضرائب بطريقة تخالف الأنظمة العثمانية ؛ فقد ادعى الحاج محمود بن عبد الرزاق القناعي على حسين بن محمد ، التيماري على قرية صطاف التابعة للقدس ، بأن التيماري يريد أن يأخذ منه القسم أربعمئة جوزة (حبة جوز) عن جميع النصف من شجرات الجوز الثلاث التي يمتلكها ، وإن ذلك مخالف للقانون العثماني الذي ينص على أن عداد كل شجرة جوز كبيرة حاملة عثمانيان ، وعداد كل شجرة صغيرة عثماني ، فأقره الحاكم الشرعي على ذلك^(٢) .

وعلاوة على ذلك ، كان المقاطعون لتحصيل الموارد المالية من القرى (الملتزمون) يطالبون الفلاحين بدفع رسوم وضرائب تفوق تلك المقررة عليهم أصلاً ؛ فقد اشتكى مزارعو قرية دير حازم الجارية في وقف علي الهكاري على علي بن خليل الطباخ ومحمد بن مصطفى البنكجري ، المقاطعين على تحصيل عائدات القرية قائلين إن من الجاري في الخاص الشريف عشر ما يتحصل عن الوقف في القرية ، وإن المدعى عليهما يريدان أن يأخذا العشر والمباشرة والذراية ، وإن ذلك مخالف لصورة الدفتر الخاقاني ، فأقرهما الحاكم الشرعي على إن المقاطعين عليهما أن يأخذا العشر فقط ولا يأخذا شيئاً من المباشرة والذراية^(٣) . وفي حجة أخرى ، إن مصطفى أغا ، الناظر على أوقاف السلاطين بدمشق ، اشتكى للحاكم الشرعي أن أهالي قرية اللد الجارية في الوقف على العمارة

(١) س ش ن ، س ١ ، ص ٢٤١ ، ١٧ جمادي الأولى ١٠٦٦هـ / ١٣ آذار ١٦٥٦م .

(٢) س ش ق ، س ٧٥ ، ص ١٤٤ ، ٢٧ ذي القعدة ١٠٠٠هـ / ٨ أيلول ١٥٩٢م .

(٣) س ش ق ، س ١٥٥ ، ص ١٠ ، منتصف ١٠٦٨هـ / آذار ١٦٥٨م .

العامرة في القدس يرفضون دفع ما عليهم من الطعامة والعسيسة ، وأن ذلك من العوائد المعتادة المفروضة على القرية وعليهم دفعها^(١) .

وفي سبيل تحصيل الرسوم والضرائب من الفلاحين قام السباهية بظلم الفلاحين ، وهذا ما تؤكدته إحدى الوثائق الواردة في دفاتر المهمة وفيها ذكر لظلم السباهية لفلاحي سنجق صفد جاء فيها : . . إن بعض سباهي الولاية المذكورة يقومون على هذا المنوال بظلم الرعايا على نحو خاص في تيماراتهم ويؤذونهم^(٢) . وفي وثيقة أخرى ، إن الصوباشية التابعين لأمير سنجق صفد يقومون بالاعتداء على السكان في قرية باتع علما التابعة لسنجق صفد^(٣) ؛ بينما عزل الحاكم الشرعي علي بالي السباهي عن تيماره في قرية العنب ومنحها لبيرام جاويش بن مصطفى ؛ لأن علي بالي السباهي أضر بفلاحيها من كثرة ظلمه وتعديه عليهم وقتله سالم بن رشيد سنة ٩٦٦هـ / ١٥٥٥م^(٤) .

وزاد من المشاكل المترتبة على الرسوم والضرائب طريقة تقديرها ؛ فقد كانت بعض القرى تدفع المترتب عليها بطريقة الديموس . وهو مبلغ سنوي مقطوع كان يتم الاتفاق عليه بين سكان القرى وأصحاب التيمارات أو متولي الوقف^(٥) . ولم يكن هذا المقطوع ثابتاً ، بل متغيراً من سنة إلى سنة أخرى . فوفقاً لدفتر ٤٢٧ العائد لسنة ٩٣٢-٩٣٤هـ / ١٥٢٥-١٥٢٨م كانت قرية الخرب مثلاً تدفع

(١) س ش ق ، ص ١٧٠ ، ص ٥٩ ، ١٣ ، رمضان ١٠٧٩هـ / ١٤ شباط ١٦٦٩م .

(٢) بلاد الشام ، في الاحكام السلطنة ، ج ١ ، ص ١٢٢ (٤٢٢) ١١ ذي الحجة ٩٥١هـ / ٢٣ شباط ١٥٤٥م .

(٣) بلاد الشام في الاحكام السلطنة ، ج ٢ ، ص ١٧٣-١٧٤ ، ١٠ ربيع الأول ٩٧٦هـ / ٢ أيلول ١٥٦٨م .

(٤) اليعقوب ، ناحية القدس ، ج ١ ، ص ٢٥٥ .

(٥) دفتر تحرير مفصل صفد ، غزة ، القدس ٤٢٧ ، ص ٥٨-٦٥ ؛ دفتر ١٠١٥ ، ص ٨٠-٨٨ ؛ دفتر ناحية

مرج بن عامر ، ص ١٧ .

ثلاثمائة آقجه ، وقرية العيزرية تدفع ١٠٠٠٠ آقجه^(١) ؛ ووفقاً لدفتر ١٠١٥ العائد لسنة العائد لسنة ١٥٣٨-١٥٣٩م أصبحت قرية الحرب تدفع ٢٠٠٠ آقجه ، والعيزرية ٧٠٠٠ آقجه^(٢) .

أما الطريقة الثانية في تحديد ما يدفعه الفلاحون من محاصيلهم فهي طريقة القسم . ويتم بموجبها أخذ نسبة من المحصول قد تكون الثلث أو الربع أو النصف . وقد أوردت دفاتر الطابو العثمانية نظام المقاسمة على أساس قسم من الثلث أو النصف أو الربع . وقد كان القسم من الثلث هو الأكثر شيوعاً ؛ فوفقاً لدفتر ٤٢٧ العائد للفترة ما بين سنتي ٩٣٢-٩٣٤هـ / ١٥٢٥-١٥٢٨م بلغ عدد القرى التي كانت تدفع وفق نظام المقاسمة ستاً وسبعين قرية ومزرعة ، يمكن توزيعها وفق نسبة الحاصل في الجدول رقم (١٢) الآتي^(٣) :

جدول رقم (١٢)

فئة القسم	الثلث	الخمسين	النصف	الربع	غير محدد
عدد القرى	٦٣	٣	١	١	٨

ومن الملاحظ أن مقدار القسم في بعض القرى لم يكن ثابتاً ، بل كان متغيراً من سنة إلى سنة أخرى ؛ فقد كانت قريتي بيت أمر وعين يبرود مثلاً تدفعان وفقاً لدفتر ٤٢٧ العائد للفترة ما بين سنتي ٩٣٢-٩٣٤هـ / ١٥٢٥-١٥٢٨م قسماً من الثلث^(٤) ، في حين أن قرية بيت أمر دفعت قسماً من

(١) دفتر ٤٢٧ ، ص ١٧٥ ، ٢١٥ ، ٢١٦ .

(٢) دفتر دفتر لواء القدس ١٠١٥ ، ص ٢٥٢ ، ٢٨٦ .

(٣) دفتر تحرير مفصل صفد ، غزة ، القدس ٤٢٧ ، ص ٦٦-٧١ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٦٦-٧١ .

السدس وفقاً لدفتر ١٠١٥ العائد لسنة ٩٤٥هـ / ١٥٣٨-١٥٣٩م ، وعين يبرود دفعت قسماً من الربع وفق نفس الدفتر^(١) .

وكان نظاما المقطوع والمقاسمة يتطلبان تخمين (تقدير) مقدار الإنتاج بشكل سنوي ؛ ففي إحدى الحجج أن الشيخ أحمد بن محمد ، شيخ قرية بني زيد ، قبل ما يتحصل من محصول قرى بيت ربما ودير غسانة وقرأوا وعرورا والمزارع وكفر عين الجاريات في وقف الخليل والصخرة المشرفة عن سنة ١٠١٩هـ / ١٦١٠م بعشرين قنطار^(٢) . زيت مناصفة لجهة الوقفين^(٣) .

وفي حجة أخرى ، ذهب الحاكم الشرعي إلى قرية بيتونيا ، الجارية في وقف المسجد الأقصى ، وبرفته أحمد جليبي ، ناظر الحرم الشريف ، وانضم إليهما عدد من سكان القرية وقاموا بكشفها كشافاً تاماً ، وطلب منهم فصل^(٤) قريتهم على العادة العرفية ؛ فكانت حصة الوقف منها تسع عشرة غرارة حنطة قدرها بالكيل^(٥)

(١) دفتر لواء القدس ١٠١٥ ، ص ١٧٣ .

(٢) القنطار : وحدة وزن استخدمت لوزن الزيت على الأغلب . وهي في الأساس تعادل مائة رطل . ولكنها كانت تساوي في العصر العثماني ٥٦,٤ كغم . صابان ، المعجم ، ص ١٨٥ ؛ هنتس ، المكايل ، ص ٤٠-٤٤ .

(٣) س ش ق ، ص ٩١ ، ١٢٤ ، ١ رمضان ١٠١٩هـ / ٢٣ تشرين الثاني ١٦١٠م .

(٤) الفصل (الفاصلة) : يبدو أن المقصود بها تحديد حصة التيماري أو الوقف من المحصول عن طريق التخمين ، وذلك بعد الاتفاق مع الفلاحين وتقدير مقدار الإنتاج ، كما يفهم من بعض الحجج الشرعية . انظر مثلاً : س ش ق ، ص ١٥٥ ، ١٥٢ ، ٨ ربيع الأول ١٠٦٨هـ / ١٥ كانون الأول ١٦٥٧م .

(٥) إشارة إلى استخدام وحدة وزن تعرف باسم الكيلة . وهي وحدة وزن خاصة بوزن الحبوب يختلف مقدارها من مدينة إلى مدينة أخرى ، ومن محصول إلى محصول آخر . وفي العصر العثماني كانت كيلة القمح تحسب رسمياً بعشرين أفة . أو ما يعادل ٢٥,٦٠٥٦ كغم . أما كيلة الشعير ، فكانت تحسب رسمياً ٢٢,٢٥ كغم . صابان ، المعجم ، ص ١٩٥ ؛ هنتس ، المكايل ، ص ٧٢-٧٣ .

القدسى ستمائة وثمانية وأربعون مداً^(١) ، وغرارة حمص قدرها اثنان وسبعون مداً قدسيا^(٢) .

وفي حجة أخرى ، اتفق حسين بن مصطفى جونكل ، المندوب عن أحمد صوباشي الوكيل عن درويش جلببي الزعيم بالقدس ، مع كل من معالي بن علي و خليل بن طاهر وأبي سمرا بن ذياب وصالح بن جابر ، مشايخ قرية صوبا الجارية في زعامته ، على إن ما يتحصل من غلال قريتهم المستخرج في سنة ١٠٠١هـ / ١٥٩٣م بحوالي ثلاثمائة مد قمح وشعير وأربعين سلطاني^(٣) .

ويبدو أن متولي الوقف والتيمارية كانوا يحاولون التلاعب في عملية تخمين الإنتاج ؛ فقد اشتكى جماعة من أهالي قرية بيت حنينا الجاري حصة منها في وقف الخليل والصخرة ، للحاكم الشرعي أن زرع قريتهم ليس كعادته من الخصب في السنين السابقة ، وأنه في سنة تاريخه (١٠٠٤هـ / ١٥٩٦م) محل ، وأن حسين بك ، المتولي على وقف الخليل والصخرة ، يريد أن يفصل غلال حصة الوقفين أسوة بالسنين السابقة ، لكن غلال سنة تاريخه لا تتحمل فصلاً كالسنين السابقة ، وطلبوا من الحاكم الشرعي أن يقبل منهم أن يأخذ ما يحصل للوقفين عن طريق المقاسمة ، فامتنع متولي الوقف عن قبول ذلك^(٤) .

كما كان بعض متولي الوقف يأخذون رشوة من قرى الوقف لقاء تخفيض التخمين على قراهم ؛ فقد ذكر الشيخ محمد الخليلي أن رجب باشا ، والي

(١) المد : من المكايل التي استخدمت في كيل الحبوب وغيرها ، ويختلف مقدارها من منطقة إلى منطقة

أخرى . وكان المد العثماني الرسمي يعادل عشرين كيلة من عيار إستانبول . أي إنه كان يزن

٥١٣،١٢ كغم من الشعير حول ٤٤٥ كغم . هنتس ، المكايل ، ص ٧٥ .

(٢) س ش ق ، س ٧١ ، ص ١٢ ، ١٥ رجب ٩٩٤هـ / ٣ تموز ١٥٨٦م .

(٣) س ش ق ، س ٧٥ ، ص ٣٩١ .

(٤) س ش ق ، س ٧٧ ، ص ٣٦٨ ، ١٤ شوال ١٠٠٤هـ / ١١ حزيران ١٥٩٦م . العسلي ، وثائق ، ج ٣ ،

ص ١٤٤ .

القدس ، قد أحضر مشايخ بني زيد وسألهم عن زيت وقفى المسجدين الأقصى والإبراهيمي ، فوجد أن عليهم سبعين قنطار لم يدفعوها للوقف ، لأن خليل أغا ، متولي الوقف ، لما كان يأتي لفصل قراهم كان يطلب منهم الرشوة ، ثم يفصل البلد ؛ فإذا كانت عادة تفصل بحوالي خمسمائة مد سابقاً ، يعملون له رشوة خمسين مد ، فيفصل البلدة بما مقداره مائتا مد ، فيضيع على الوقف مائتا وخمسون مداً . فألزمهم بدفع ذلك جميعه (١) .

٢ . طبيعة نظام التيمار :

كان نظام التيمار الذي طبقه العثمانيون في فلسطين أحد أهم الأسباب التي أدت إلى تدهور الزراعة فيها . ويقوم نظام التيمار على توزيع الأراضي الزراعية على شكل اقطاعات بعضها جار في الخاص الهمايوني (السلطاني) تعود مواردها للسلطين العثمانيين ، وبعضها الآخر خاص أمير الأمراء تعود مواردها لأمرء الألوية ، وأخرى تعود للجنود السباهية . ولم يكن توزيع الأراضي الزراعية في القرى ثابتاً بين هذه الجهات ، بل كان متغيراً من سنة إلى سنة أخرى . فقد تكون القرية خاصاً همانيونياً أو خاص أمير أمراء لتصبح في السنة التالية تيماراً لأحد السباهية ؛ فيتغير تبعاً لذلك المسؤولون عن هذه التيمارات (٢) .

ولذلك كان نظام التيمار يمتاز بالتعقيد والتشابك وتعدد المسؤولين وتداخل الصلاحيات بين المسؤولين عن التيمار والمسؤولين عن أراضي الوقف ؛ ذلك أن

(١) الخليلي ، محمد بن محمد بن شرف الدين (١١٤٧هـ / ١٧٣٤م) تاريخ القدس والخليل عليه السلام ، ط ١ ، دراسة وتحقيق محمد عدنان البخيت ونوفان رجا السواريه ، لندن : مؤسسة الفرقان ، ٢٠٠٤م ، ص ١٨٨ . وسيشار إليه فيما بع الخليلي ، تاريخ .

(٢) يمكن ملاحظة ذلك عند مقارنة وضع القرى في دفاتر الطابو العثمانية . ولمقارنة ذلك ، انظر مثلاً : دفتر تحرير مفصل صفد ، غزة ، القدس ٤٢٧ ؛ دفتر ١٠١٥ ؛ دفتر ١٣١ .

القرية الواحدة قد تكون موزعة بين الوقف والتيمار والملك الخاص ؛ فقد كانت قرية بيت حنينا مثلاً جارية في وقف الخليل والصخرة والحجرة النبوية ، وفي أوقاف المصريين^(١) ، وفي زعامة أحمد أغا الذي يخصه العشر عن الوقف ، دون التدخل فيما يتعلق بزراعة الأرض لأن شؤون زراعتها من مسؤولية نظار ومتولّي الوقف^(٢) . لكن التيمارية كانوا يتدخلون في ذلك عن عمد أو غير عمد ؛ فقد ادعى الشيخ علي الثوري ، الناظر على وقف جده الشيخ أحمد الثوري ، على رمضان بن أحمد من قرية بيت صفافا بأنه زرع زرعاً بأرض بيت صميرا الجارية في الوقف بغير إذنه ، وحصده بغير إذنه ، وطالبه بما يترتب عليه . وعند سؤال المدعى عليه ، أجاب بأنه زرع الأرض وبموجب ذلك تعين عليه التأديب . . وأدب^(٣) .

كما أن الشيخ إسحاق بن سراج الدين عمر ، المفتي بالقدس الشهير بابن أبي اللطف والناظر على وقف المدرسة الصلاحية في القدس ، ادعى على إبراهيم جلبي المعروف بعجمي زاده التيماري على قرية سلوان ، أنه قلع الغراس التي أذن لعدد من سكان القرية بزراعتها في أراضيها^(٤) .

وكان التنسيق مفقوداً أو ضعيفاً أحياناً بين التيماري ومن يوكله لمتابعة شؤون التيمار ؛ فقد ادعى يونس بن أحمد الصوباشي بالوكالة عن أحمد صوباشي زعامة درويش أغا ، الزعيم^(٥) بالقدس ، على كل من يوسف بن عبد

(١) يقصد بها أوقاف المالك حسبما يظهر من السجلات الشرعية .

(٢) س ش ق ، س ٧٧ ، ص ٣٦٨ ، ١٤ شوال ١٠٠٤هـ / ١١ حزيران ١٥٩٦م ؛ العسلي ، وثائق ، ج ٣ ، ص ١٤٤ .

(٣) س ش ق ، س ٧٥ ، ص ٤١٨ ، أوائل ذي الحجة ١٠٠١هـ / ٢٩ آب ١٥٩٣م .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٢١٨ ، ١٢ جمادي الأولى ١٠٠١هـ / ١٤ شباط ١٥٩٣م .

(٥) الزعيم : من الجنود الإنكشارية . وهو صاحب الإقطاع الذي يتراوح دخله من الإقطاع الممنوح له ما بين ١٩،٩٩٩ و ٩٩،٩٩٩ آقجة . أوغلي ، الدولة العثمانية ، ج ١ ، ص ٦٥٠ ؛ علي =

الله ومحمد بن عون شيخى قرية بتير الجارية في زعامة المذكور مبيناً إن لموكله عندهما عشرة سلطانية ذهباً عن فصل بستان القرية عن السنة الماضية ، وطالبهما بذلك ؛ فردا المدعى عليهما بأنهما فصلا غلال القرية الصيفي والشتوي والبستان وغير ذلك بمبلغ مائة وخمسين سلطاني دفعها لوكيله أحمد صوباشي ، وأن البستان جار في المقاطعة^(١) .

وعندما ادعى فرهاد بك بن عبد الله ، السباهي على قرية صور باهر ، على بعض سكانها أنهم أدخلوا إلى بيوتهم عشرين شكاراً^(٢) من الشعير والقمح والعدس والحمص ، وحصدوا ذلك وشالوه من غير إذنه ومن غير فصله عليهم ، وطالبهم بما يخصه من المحصول ، ردوا عليه زين بن عمر صوباشي المدعي فصل المحاصيل عليهم بمعرفة شريكه في التيمار يونس السباهي^(٣) .

وفي أحيان أخرى ، كان التيماري يترك إقطاعه ولا يعين من يتابع شؤونه ؛ فقد ادعى جماعة من أهالي قرية سلوان أن إبراهيم جلبي زاده جار في تيماره عشر المتحصل من قريتهم ، وأن له مدة غائب عن القدس وليس له وكيل ، وأن الخضروات التي ببساتين قريتهم قد تلف أكثرها وأنهم تضرروا من ذلك وطلبوا

= جاويش الصوافيري (ت ١٠٦٤هـ / ١٦٥٤م) قوانين آل عثمان ، في كتاب «من تاريخ الأقطار العربي في العهد العثماني» ، خليل ساحلي أوغلي ، إستنبول ، منظمة المؤتمر الإسلامي ، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون (أرسیکا) ط ١ ، ٢٠٠٠م ، ص ٦٩٤-٧١٨ . وسيشار إليه فيما بعد جاويش ، قوانين .

(١) س ش ق ، ص ٧٥ ، ٢٢٩ ، أواخر جمادي الأولى ١٠٠١هـ / أواخر شباط ١٥٩٣م .

(٢) الشكار: لفظه عامية لا تزال شائعة في القرى الفلسطينية . وهي تعني كيس صغير يتسع إلى حوالي خمسة معشرين كغم من حبوب القمح . وتطلق أيضاً على المساحة التي يبذر فيها ذلك المقدار من الحبوب . عبد اللطيف البرغوثي ، القاموس العربي الشعبي الفلسطيني ، ج ٣ ، ط ١ ، دون مكان طبع ، جمعية إنعاش الأسرة ، ١٩٩٣م ، ص ١٤٥ . وسيشار إليه فيما بعد البرغوثي ، قاموس .

(٣) س ش ق ، ص ٥٣ ، ٤٣٩ ، ١٢ ، ربيع الأول ٩٧٨هـ / ١٤ آب ١٥٧٠م .

من الحاكم الشرعي أن يعين أميناً يضبط ما يتحصل للتيماري (١) .
كما كانت الخلافات تقع بين التيمارية وملتوي ونظار الوقف حول تبعية الأراضي في القرى . ويعود السبب في ذلك إلى عدم تحديد حدود هذه الأراضي بشكل واضح ؛ فقد وقع الخلاف بين خليل بك ، الزعيم في القدس والجارية مزرعة عين النهار في زعامته ، وحسن أغا ، المتولي على أوقاف العمارة العامرة في القدس ، حول تبعية المزرعة المذكورة الواقعة بين قريتي الجيب وصموئيل ، وبعد مراجعة دفتر وقف العمارة العامرة تبين أنها ليست من الوقف (٢) .

ولم يكن يسمح للمزارعين بحصاد محاصيلهم إلا بعد أن يثبت نضج المحاصيل بحضور بعضاً من سكان القرى ومتسلمو المدن أو مندوبون عنهم أو المحتسبون والصوباشية والكيالية (٣) ؛ ففي إحدى الحجج أنه حضر المندوب عن قبل حسن أغا ، متسلم مدينة القدس ، ومعه فرحات بن إسماعيل من أهالي قرية دجانيا الكائنة ظاهر القدس الذي أحضر معه زيتاً جديداً ، وشهد عدد من الأشخاص بأن الزيت من إنتاج سنة تاريخه (١٠٦٨هـ / ١٦٥٨م) (٤) .

وفي حجة أخرى ، حضر رمضان أغا ، صوباشي مدينة القدس المندوب عن قبل حسن أغا متسلم مدينة القدس ، وحضر معه كل من مهرداد بن حامد وعبدالقادر بن سالم من أهالي قرية أريحا الجارية في خاص أمير أمراء لواء القدس ، إضافة إلى الشيخ محمد بن عبدالجواد ، رئيس التجار بالقدس ، والمحتسب وكيال باشي وكيالي القدس وشاهدوا الشعير وشهدوا بأن الشعير من

(١) س ش ق ، ص ٧٥ ، ٢٥٣ ، ٣ ، رجب ١٠٠١هـ / ٥ نيسان ١٥٩٣م .

(٢) س ش ق ، ص ١٥٥ ، ١١٥ ، ٧ ، جمادي الأولى ١٠٦٨هـ / ١٠ شباط ١٦٥٨م .

(٣) طائفة الكياليين . ويرأسهم كيال باشي . ومهمتهم كيل الحبوب . اليعقوب ، ناحية ، ج ١ ، ص ١٢٠ .

(٤) س ش ق ، ص ٥٥ ، ٢٩١ ، أواسط شوال ١٠٦٨هـ / أواسط تموز ١٦٥٨م .

الجديد المدرك في سنة تاريخه (١٠٦٨هـ / ١٦٥٨م) (١).

بينما حضر أحمد صوباشي مدينة القدس إلى المحكمة الشرعية وحضر معه كل من محمد بن سالم من قرية الطور وعبد الرحمن بن حسن من قرية سلوان وموسى بن سعد وجبران بن سعد من قرية أبوديس وشهدوا أن غلال قرى ناحية القدس استحقت الحصاد، وحصد بعضها في نصف شهر ربيع الثاني سنة تاريخه (٩٧٧هـ / ٢٧ أيلول ١٥٦٩م) ووضع على البيادر (٢).

أما بالي صوباشي، صوباشي مدينة القدس، فقد حضر إلى المحكمة الشرعية ومعه كل من المعلم موسى بن داود والشهابي أحمد بن محمد التلحمي والحاج علي بن أحمد الدنف من قراوة بني زيد، والحاج علي بن عبد الكريم القرعي من راس أبو زيتون من عمل القدس؛ وشهدوا أنه من ١٥ ربيع الثاني سنة تاريخه (٩٧٧هـ / ٢٧ أيلول ١٥٦٩م) وقع استوى (نضج) زيت زيتون ناحية القدس وانتفع به وبيع منه بالسوق زيت جديد (٣).

كما كان التيمارية ومتولو الوقف لا يقبلون حصتهم من الحبوب إلا تلك الخالية من العيب من تحت الهواء والكربال (٤). وفي حال الزيت لم يكونوا يقبلوه إلا إذا كان طيباً خالياً من العكر والزيبار. وفي الحالتين فرضوا أن تكون حصصهم من النخب الأول، وواصلة إلى منازلهم في المدن التي يقيمون فيها. فقد استقر لشيخ الإسلام سراج الدين عمر بن أبي اللطف، المتولي على وقف الخانقاه الصلاحية، لوقفها في ذمة سليمان بن مسلم ومحمد أبي حامد وعبيد

(١) س ش ق، ص ١٥٥، ص ١٦ جمادي الثاني ١٠٦٨هـ / ١٩ شباط ١٦٥٨م.

(٢) س ش ق، ص ٢٧، ص ١١٩، ١٢ جمادي الأولى ٩٦٠هـ / ٢٦ نيسان ١٥٥٢م. ويقصد بالبيادر

مساحة من أرض تخصص لنقل الحبوب إليها بعد حصادها لدرسها لفصل الحب عن القش.

(٣) س ش ق، ص ٥٣، ص ١٠، ١٢ جمادي الأولى ٩٧٧هـ / ٢٣ تشرين الأول ١٥٦٩م.

(٤) الكربال: يستخدم لتنقية الحبوب وغربلتها. ويتميز عن الغربال باستخدامه في كربة الحبوب التي

يفوق حجمها حجم الخنطة. البرغوثي، القاموس، ج ٣، ص ٦٨.

بن حسين ، من رؤساء فلاحي قرية صوبا ، تسع غرائر خالية من العيب من تحت الهواء والكربال^(١) . بينما استقر في ذمة محمد بن حميدة وبركات بن عودة ، وكلاهما من أهالي قرية نحالين التابعة لورثة عبد النبي بن والي السباهي ، من الغلال الطيبة من تحت الهواء والكربال السائلة من كل عيب ثلاثمائة مد بكيل القدس واصله إلى منازلهم بالقدس عن واجب سنة ٩٧٦هـ / ١٥٦٨م الواقع في سنة ٩٧٧هـ / ١٥٦٩م^(٢) .

٣. الهجمات على الفلاحين وقراهم:

كانت القرى تتعرض إلى هجمات اللصوص والبدو والفلاحين أنفسهم . وترتب على هذه الهجمات استيلاء على محاصيل الفلاحين الزراعية وحيواناتهم وتخريب مزرعاتهم ؛ فقد ادعى محمد بن حسن وعثمان بن الحاج موسى ، من قرية أبو ثور ، أن اللصوص دخلوا إلى دار الحاج يوسف بن عبد الدايم في القرية وأخذوا له من داره بقرراً وسبعين رأس غنم وضربوا الحاج أحمد بسكين في يديه^(٣) .

وعانى المزارعون والسباهية من هجمات البدو ؛ فمثلاً هاجم البدو من لواء عجلون أراضي الألوية المجاورة وقتلوا إلياس بك أمير لواء عجلون وعدداً من رجاله وسلبوا ممتلكاته^(٤) . وشارك الفلاحون الذين تركوا قراهم وتحولوا للنهب والسرقة- شاركوا البدو في مهاجمة القرى ؛ فقد جاء في إحدى وثائق المهمة العثمانية أن بعض الأشخاص من أهالي القرى والبعض من العشائر البدوية في صغد واللجون ونابلس وغيرها من الألوية همّوا على العصيان والطغيان ، إذ جمعوا

(١) س ش ق ، ص ٢٧ ، ص ١٣٤ ، ١٦ جمادي الأولى ٩٦٠هـ / ٣٠ نيسان ١٥٥٣م .

(٢) س ش ق ، ص ٥٣ ، ص ٣٢١ ، ٣ محرم ٩٧٨هـ / ٧ يونيو ١٥٧٠م .

(٣) المصدر نفسه ص ٤ ، ١٤ جمادي الأولى ٩٧٧هـ / ٢٥ تشرين الأول ١٥٦٩م .

(٤) بلاد الشام في الاحكام السلطانية ، ج ٢ ، ص ٧٦ ، ٧٥ (ع) غرة صفر ٩٧٥هـ / ٧ آب ١٥٦٥م .

عدداً من الأشخاص وضربوا القرى الآمنة ونهبوها ملحقين الأضرار بها ، ولا يستطيع أمراء الألوية التنكيل بهم^(١) . كما جاء في وثيقة أخرى أن العرب العصاة استغلوا وجود أمير لواء غزة السابق ، سليمان بك ، عند البكلربكي (الوالي) فأغاروا على أهالي البلاد ونهبوا أرزاق ودواب من لا قدرة لهم على ردعهم ، وقتلوا الكثير من السباهية . ولما ترافقت تلك الغارات مع اجتياح الجراد والآفات لأراضي اللواء «أصبح الأهالي في وضع يرثى له وتفرق معظم الرعايا» . ما أدى إلى كثرة القحط والظلم والشدة^(٢) .

كما كانت تحدث الخلافات بين سكان القرى المتجاورة ، ما يدفعهم إلى إهمال الزراعة ؛ ففي إحدى الحجج الشرعية أن أهالي قريتي فاغور وقونين تصالحوا على أن لا يعتدي بعضهم على بعض وأن يحترثوا أراضيهم ويزرعوها ومن يخالف شروط الصلح يدفع غرامة قدرها مائتا سلطاني ذهب^(٣) . بل تشير إحدى الحجج الشرعية إلى دور الخلافات بين أهالي القرية الواحدة في تعطيل فلاحه أراضي تلك القرى كما حدث في قرية بيت فجوس^(٤) ؛ حتى أنه صاحب بعض تلك الخلافات قطع أشجار الزيتون للمتخاصمين ؛ فقد ادعى ذيب بن راضي من قرية بيت صفافا على ثلاثة من أهالي قريته أنهم قطعوا له أشجار الزيتون^(٥) .

٤. الأحوال المناخية:

يعد المناخ من مشكلات الزراعة الرئيسية في فلسطين ؛ سيما أن الأمطار

(١) بلاد الشام في الاحكام السلطانية ، ج٢ ، ص ٧٥ ، ٧٦ (ع١) غرة صفر ٩٧٥ هـ/٧ آب ١٥٦٥ م .

(٢) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص ٧٥ ، ٧٦ (ع١) غرة صفر ٩٧٥ هـ/٧ آب ١٥٦٥ م .

(٣) س ش ق ، س ٥٣ ، ص ٣٣٦ ، ٣٣٧ ، ١٦ ذي الحجة ٩٧٦ هـ/٢ حزيران ١٥٩٦ م .

(٤) س ش ق ، س ٣٧ ، ص ٤٣ ، ٢١ ربيع الأول ٩٦٧ هـ/٢١ كانون الأول ١٥٥٩ م .

(٥) المصدر نفسه ، س ٣٧ ، ص ٤٦٥ ، ١٧ شوال ٩٦٦ هـ/٢٣ تموز ١٥٥٩ م .

فيها تسقط في فصل الشتاء بصورة غير منتظمة وبكميات متباينة من موسم إلى موسم آخر ومن منطقة إلى منطقة أخرى ، وأحياناً في الموسم الواحد . فقد تكون الأمطار غزيرة في بعض السنوات أو في بداية الموسم ، وقليلة في سنوات أخرى أو في نهاية الموسم . كما أنها تتساقط بغزارة وانتظام أكثر على المناطق الشمالية مقارنة مع تساقطها على المناطق الجنوبية والشرقية منها . ويؤثر ذلك على كميات الإنتاج الزراعي زيادة أو نقصاناً . كما يؤثر على أنواع المحاصيل التي يمكن زراعتها^(١) . فبسبب انحباس المطر في سنة ١٥٣٧هـ / ١٩٤٤م لم يستطع أهالي دير بني عبيد أداء ما عليهم للتيماري سنان أعما وأبرئت ذمتهم^(٢) . وبسبب قلة الأمطار الساقطة في ١٠٠٤هـ / ١٥٩٦م تدنى الإنتاج فكانت السنة سنة مَحَلٍ بسبب الجفاف ، فأخبر جماعة من أهالي قرية بيت حنينا الحاكم الشرعي بأن هذه السنة سنة مَحَلٍ ، وأن زرع قريتهم ليس كعادته من الخصب في السنين الماضية ، وحصل الكشف على القرية ، فوجد الزرع محلاً ليس كالسنوات السابقة من الخصب^(٣) . ويلاحظ ذلك في سنة ١١٠٣هـ / ١٦٩١م حيث اشتكى الشيخ يحيى بن أحمد الدجاني ، أنه لم يتحصل من القرى الجارية في وقف النبي داود شيئاً لعدم سقوط الأمطار ، واستأذن الحاكم الشرعي باستدانة ثلاثمائة قرش ليصرفها في إطعام الواردين إلى مقام النبي داود^(٤) . ولعل تفاوت مقدار قسم الحنطة والشعير الذي تدفعه بعض القرى من سنة إلى سنة أخرى يظهر تأثير الزراعة بعوامل المناخ ، سيما الأمطار منها ، زيادة أو نقصاناً . وهذا ما يبينه الجدول رقم (١٣) الآتي الذي يبين مقدار ما تدفعه

(١) بلاد الشام في الاحكام السلطانية ، ج ١ ، ص ١٩٧ (١٩٩ع) .

(٢) البيهقي ، ناحية ، ج ١ ، ص ٢٢٦ .

(٣) س ش ق ، ص ٧٧ ، ص ٣٩٦ ، ١٤ شوال ١١٠٤هـ / ١١ حزيران ١٥٩٦م ؛ العسلي ، وثائق ، ج ٣ ، ١٤٤

(١٠٧) .

(٤) س ش ق ، ص ١٩٤ ، ٣٧ ، أوائل جمادي الأولى ١١٠٣هـ / أواخر كانون الثاني ١٦٩٢م .

بعض القرى في لواء القدس من القسم بالغرارة مقروناً بعدد الخانات (١) وفقاً
لثلاثة دفاتر من دفاتر الطابو العثمانية (٢) :

جدول رقم (١٣)

دفتر ٥١٦ ١٥٦٢/هـ-٩٧٠م		دفتر ٢٨٩ سنة ٩٦١هـ/ ١٥٥٤م		دفتر ٤٢٧ ١٥٢٨-١٥٢٥هـ/٩٣٤-٩٣٢م		القرية			
القسم/ غرارة		الخانات		القسم/ غرارة		الخانات			
حنطة	شعير	حنطة	شعير	حنطة	شعير	حنطة	شعير		
٢١	٢٥	١٠٦	٢٠	٢٠	١٥٢	٥	٥	٣٩	بيت لحم
١٠	١٠	٢٨	١٠	٥	٢٨	٥	١٥	١٠	بيت حنينا
٧	٥	١٦	٧	٥	١٥	١	١٢	١٢	بريكوت
٣	٣	٧	٢	٢	٧	٠,٥	٠,٥	٣	عين توت
-	-	٤٧	٠,٥	٣/١	٣٨	١	١	١٠	كفر عقب
٦	٨	٩	٣	١٧	١٧	١	٢	١٢	بقيع الضان
٤٧	٥١	٢١٣	٤٢,٥	٣٩,٥	٢٥٧	١٣,٥	٣٥,٥	٨٦	المجموع

ويتضح من الجدول أعلاه أن مقدار ما تدفعه هذه القرى من القسم يتفاوت من سنة إلى سنة أخرى؛ فقد ضمت قرية بيت لحم وفقاً لدفتر ٢٨٩ مائة واثنين وخمسين خانة دفعت عشرين غرارة قمح ومثلها شعير؛ بينما ازداد فيها

(١) الخانات : البيوت . وقد كان العثمانيون يُجرون عمليات الإحصاء على أساس الخانة (المنزل) وليس الأفراد .

(٢) دفتر تحرير مفصل صفد ، غزة ، القدس ٤٢٧ ، ص ٣٣-٣٧ ، ٦٦-٧١ ؛ دفتر مفصل لواء القدس ٢٨٩ ، ص ٣٢-٤٠ ، ٩٤-١٠٣ ؛ دفتر ٥١٦ ، ص ١٨-٢٦ ، ٧٧-٨٦ .

مقدار القسم من الحنطة إلى خمس وعشرين غرارة وفقاً لدفتر ٥١٦ على الرغم من أن عدد الخانات نقص فيها من مائة واثنين وخمسين خانة إلى مائة وست خانات . أما قرية بيت حنينا ، فقد ضمت وفقاً لدفتر ٤٢٧ عشر خانات دفعت خمس عشرة غرارة حنطة وخمس غرارات شعير ؛ بينما أصبحت تضم وفقاً لدفتر ٢٨٩ ثمان وعشرين خانة ، لكن مقدار القسم من الحنطة انخفض إلى خمس غرارات ، فيما ازداد مقدار القسم من الشعير إلى عشر غرائر .

أما الجدول رقم (١٤) ، فيبين مقدار ما تدفعه بعض قرى مرج بن عامر من قسم الحنطة والشعير بالغرارة مقروناً بعدد الخانات وفقاً لدفتري ناحية مرج بن عامر العائد لسنة ٩٤٥هـ / ١٥٣٨م ولواء اللجون العائد لسنة ١٠٠٥هـ / ١٥٩٦م .

جدول رقم (١٤)

دفتر لواء اللجون (١٠٠٥هـ / ١٥٩٦م)		دفتر ناحية مرج بن عامر (٩٤٥هـ / ١٥٣٨م)		القرية
القسم / غرارة	الخانات	القسم / غرارة	الخانات	
حنطة شعير		حنطة شعير		
١٠	٢٠	٧,٥	٥٥	نورس
٢	١٠	٦	٢٦	جنين
٧٠	١٠٠	٥٠	٦٥	طيرة اللوز
٣٠	٤٠	١٠	٢٠	أم الفحم
٢٢	٥٣	١٥	٢٥	اللجون
٢٥	٥٠	١٣	١٩	اجزم
١٥٩	٢٨٣	١٠١,٥	٢١٠	المجموع

ويتبين من مقارنة عدد الخانات في الجدول أعلاه أن عدد الخانات لم يكن مؤثراً على زيادة مقدار ما دفعته تلك القرى من قسم الحنطة والشعير؛ فقرية طيرة اللوز مثلاً ازداد مقدار القسمة فيها على الرغم من انخفاض عدد الخانات. ما يرجح أن العامل الرئيس في زيادة الإنتاج واختلافه من سنة إلى سنة أخرى إنما يعود إلى العامل المناخي؛ سيما أن الأمطار التي تزيد أو تنقص من سنة إلى سنة أخرى، لكن المعطيات حولها غير متوفرة في هذا الوقت، ما يجعل من الصعوبة التأكيد على هذا الاستنتاج.

خامساً: الخاتمة

إن المشاكل التي واجهها الفلاحون في القرى، لا سيما زيادة الضرائب والرسوم المفروضة عليهم مع ما ترافق من سلبيات لنظام التيمار دفعتهم أحياناً إلى ترك العمل بالزراعة أو رفض دفع ما عليهم من أموال؛ فقد ذكر الشيخ سراج الدين أبو حفص بن عمر بن الشيخ شمس الدين بن أبي اللطف أن أهالي قرية دير بزيع الجارية في وقف المدرسة الملكية واضعين أيديهم على أراضيها ومتصرفين في الزرع والزراعة وأكلين (مستولين على) غلالها ولا يدفعون شيئاً للوقف من مدة ثلاث سنوات^(١). كما ادعى الشيخ عامر بن الحاج فتوح الفاخوري، الناظر على قرية أبوديس الجارية في وقف صلاح الدين الأيوبي، على كل من زايد بن سعد وعلي بن رمضان من القرية المذكورة أنهما تصرفا في محصولات القرية مدة ثلاث سنوات آخرها سنة (٩٧٥هـ / ١٥٦٧م) بغير إذنه وبغير معرفته ولم يوصلاه شيئاً من استحقاق فلاحتهما^(٢).

كما كان الفلاحون يرفضون دفع ما عليهم معتذرين بتدني مستوى الإنتاج، وخاصة في أشجار الزيتون؛ فقد ادعى علي جاويش بن فرج، التيماري بالقدس

(١) س. ش.، ص ٣٧، ص ٣٩، ١٨ جمادي الأولى ٩٦٦هـ / ٢٦ شباط ١٥٥٩م.

(٢) س. ش. ق، ص ٥٣، ص ١٤٢، ٥ شعبان ٩٧٧هـ / ١٣ كانون الثاني ١٥٧٠م.

والجارية في تيماره خربة جلايه بالقرب من قرية بيت عور ، أن أهالي بيت عور الذين يزرعون الخربة امتنعوا عن أداء ما يتحصل من الزيتون من الخربة مدعين بأن عرب الواد طائفة الحرامية يتعدون عليهم في كل سنة ، وأن أشجار الزيتون غير حامله ، فأرسل الحاكم الشرعي من كشف على تلك الأشجار فوجدت حامله^(١) . كما ذكر أن أهالي قرية رمون ، تابع القدس الجارية في تيماره ، امتنعوا عن أداء محصول الغلال في سنة تاريخه (١٠٢٢هـ / ١٦١٣م) ويمتنعون عن أداء ما يتحصل من زيتون قريتهم ويدعون أن الأشجار غير حامله وطلب من الحاكم الشرعي أن يرسل أن يكشف على القرية^(٢) .

بل وصل الأمر في بعض الأحيان إلى درجة أن بعض سكان القرى أخذوا ما جبي من القرى لأنفسهم وهربوا إلى البدو ؛ ففي إحدى الحجج أن خليل بن شقفه وأولاده وأولاد أخيه ، مشايخ قرى بني زيد الجارية في وقف الصخرة والخليل ، استولوا على محصول الزيت من السنين السابقة ، ورفضوا طلب نظار الوقفين تسليمهم المحصول ، وأنهم تمردوا ونزلوا عند العرب العصاة^(٣) .

وفي حجة أخرى أن الأسمري بن صعب من قرية خربتا التابعة إلى غزة الجارية في وقف العمارة العامرة رفض طلب متولي الوقف تسليمه محصول القرية ورحل عن قريته ونزل عند العرب العصاة قطاع الطريق^(٤) .

وفي أحيان أخرى ، كان بعض سكان القرى يرحلون عن قراهم ثم يتسللون إليها ويأخذون المحاصيل منها ؛ فقد اشتكى حسين أغا ، الزعيم بالقدس الجاري في زعامته عشر قرية لفتا ، أن أهالي القرية امتنعوا عن دفع ما يخصهم من محصولات القرية ورحلوا عنها ، وأنهم يأتون إليها خفية ويستغلون غلالها

(١) س ش ق ، ص ٧٥ ، ص ٤٥٣ ، أوائل صفر ١٠٠٢هـ / ٢٧ تشرين الأول ١٥٩٤م .

(٢) س ش ق ، ص ٧٥ ، ص ٤٥٣ ، أوائل صفر ١٠٠٢هـ / ٢٧ تشرين الأول ١٥٩٤م .

(٣) س ش ق ، ص ٧٥ ، ص ٥٦ ، ٤ جمادي الثاني ١٠٠٠هـ / ١٨ آذار ١٥٩٢م .

(٤) س ش ق ، ص ٧٥ ، ص ٥٦ ، ٤ جمادي الأولى ١٠٠٠هـ / ١٧ شباط ١٥٩٢م .

ويختلسونه ويأكلون منها ومن وقف الصخرة ووقف أبي القاسم الهكاري ، فتوجه الحاكم الشرعي إلى القرية فوجد أهلها راحلين عنها وليس فيها أحد^(١) .

كما كان بعض فلاحي القرى الأخرى يتركون قراهم ويمارسون السرقة من قراهم ومن القرى الأخرى ؛ فقد حضر إلى المجلس الشرعي بالي صوباشي ، صوباشي مدينة القدس ، وأنهى أن صالح من أهالي قرية العيزرية رجل مفسد رحل عن قريته إلى قرية دير دبان وأنه سابقاً حضر إلى قريته وأخذ منها فدان بقر وهو يؤذي سكان قريته ليلاً ونهاراً^(٢) .

وفي محاولة لمنع الفلاحين من مغادرة قراهم لجأت الدولة إلى إلزامهم بالعودة إليها عند مغادرتهم لها وأن يحضروا من يكفلهم بالإقامة فيها ؛ فقد ادعى يونس بن عبد الله ، الجابي في وقف الحرمين والمندوب من قبل حمزة كاتب الأوقاف ، على حسن بن أبي حامد من قرية العيزرية أنه نازح عن قريته ، وطلب من الحاكم الشرعي إعادته إليها ، فأقر المدعى عليه بذلك ، وألزمه بإحضار كفيل يكفله إلى أن يعود إلى قريته^(٣) .

وفي حجة أخرى ، إن شرف بن بديور من قرية كفر عقب كفل سالم بن حماد وولده خليفة من القرية نفسها بحضور مصطفى بك بن عبدالله السباهي على القرية في الإقامة والعمارة في القرية وأداء ما عليهما للتيماري ، وأنهما متى رحلا من القرية وعطلا فلاحتهما كان عليهما في كل سنة خمسة سلطاني حسب القانون العثماني^(٤) .

كما كان يفرض على الفلاحين الذين يغادرون قراهم دفع ما يترتب عليهم

(١) س ش ق ، ص ٧٧ ، ص ٣٦٨ ، ١٤ شوال ١٠٠٤ هـ / ١٦ حزيران ١٥٩٦ م ؛ العسلي ، وثائق ، ج ٣ ، ص ١٤٥-١٤٦ .

(٢) س ش ق ، ص ٥٣ ، ص ٣٥٨ ، ٢٥ محرم ٩٧٨ هـ / ٢٩ حزيران ١٥٧٠ م .

(٣) س ش ق ، ص ٢٧ ، ص ٢٥٧ ، أوائل شهر محرم ٩٦١ هـ / ٧ كانون الأول ١٥٥٣ م .

(٤) س ش ق ، ص ٥٣ ، ص ٥٤٢ ، ٢٣ جمادي الأولى ٩٧٨ هـ / ٢٣ تشرين الأول ١٥٧٠ م .

عن الأراضي التي كانوا يزرعونها؛ فقد ادعى الشيخ عامر بن فتوح الفاخوري، الناظر على قرية أبوديس الجارية في وقف السلطان صلاح الدين الأوبي، أنه عطل فلاحته عن سنتي ٩٧٤هـ/ ١٥٥٤م و٩٧٥هـ/ ١٥٥٥م، ورحل عن قريته إلى جنين، وطالبه بما يترتب عليه لجهة الوقف على حسب القانون العثماني، وقدره في كل سنة خمسة سلطاني، فأقر المدعى عليه بذلك، وألزمه الحاكم الشرعي بدفع عشرة سلطاني إلزاماً شرعياً^(١). وادعى مصطفى بك، السباهي على قرية البيرة، على عبد الله بن عبيد منها أنه عطل فلاحته بالقرية عن سنتي ٩٧٥هـ/ ١٥٥٥م و٩٧٦هـ/ ١٥٥٦م وطالبه بما تجمد عليه عن السنتين المذكورتين وقدره عشرة سلطاني بموجب القانون العثماني؛ فاعترف المدعى عليه أنه عطل فلاحته مدة سنة واحدة فألزمه الحاكم الشرعي بدفع خمسة سلطاني عنها^(٢).

إن ترك الفلاحين لقراهم يساعد في تفسير الإشارات العديدة إلى وجود القرى والمزارع الخراب (العاطلة)؛ فوفقاً لدفتر ١٠١٥ العائد لسنة ٩٤٥هـ/ ١٥٣٨-١٥٣٩م بلغ عدد القرى الخربة سبع عشرة قرية وأربعاً وعشرون مزرعة من بين مجموع القرى والمزارع الخربة في ناحية القدس البالغ مائتا وثلاث وستين قرية ومزرعة. أما في ناحية الخليل فقد بلغ عدد المزارع الخربة مائة وثلاث وستين مزرعة من بين مائتين وأربعين مزرعة^(٣). كما أشارت السجلات الشرعية من مدينة نابلس في إحدى حججها إلى أن بعض سكان قرى اللواء تركوا قراهم؛ فقد أخبر علي أغا بن عبد الله، متسلم مدينة نابلس، ومعه جماعة من المسلمين الثقات، الحاكم الشرعي أن في جبل نابلس بعض القرى التي كانت عامرة وكان سكانها يضعون ما عليهم من العوارض وغير العوارض

(١) س ش ق، ص ٥٣، ص ١٤٢، ٥ شعبان ٩٧٧هـ/ ١٣ كانون الثاني ١٥٧٠م.

(٢) س ش ق، ص ٥٣، ص ١٥٧، ١٨ رمضان ٩٧٨هـ/ ١٣ شباط ١٥٧١م.

(٣) دفتر ١٠١٥، ص ٥٠-٧٣، ٩٠-١١٣.

المتعلقة بالعتبة العلية والآن لا يوجد بها أحد^(١) .

ويبدو أن ترك أمثال هؤلاء الفلاحين لقراهم وتعطل الزراعة فيها دفع بعض التيمارية والمشرفين على الوقف إلى محاولة إعادة الفلاحين إلى قراهم ؛ فقد توافق إبراهيم جلبي بن جمال الدين ، كاتب وقف سيدنا الخليل ، مع ثابت بن صالح ، شيخ قرية أرتاس الجارية في وقف السقاية والرباط في الخليل ، على أن يجمع الفلاحين النازلين في أطراف البلاد من أهالي القرية ويزرعوا أراضيها^(٢) .

وفي محاولة لتشجيع سكان القرى ، سيما شيوخها ورؤساؤها ، تلقى هؤلاء خلعاً من عائدات هذه القرى سواء المخصصة للوقف أو للتيمارية ؛ فوفقاً لدفتر محاسبات قريتي دير سد وبتير ، الجاريتين في وقف المدرسة المعظمية ، فإن أهالي قرية بتير كانوا يتلقون خمسة سلطانياً رسم خلعة ، والشيخ عبيد ، شيخ قرية دير سد ، خمسة سلطانياً أخرى^(٣) .

وفي أحيان أخرى ، كان الفلاحون يلجؤون إلى التمرد بسبب ارتفاع الضرائب عليهم ؛ فقد جاء في إعلام موجه إلى مشايخ قرى اللد والرملة : «إلى مشايخ قصبات اللد والرملة والذي نعلمكم به هو أنه طرق مسامعنا أنه بدا وظهر منكم قلة الطاعة والسلوك إلى غير طريق الاستقامة وشروعكم إلى الفتنة والفساد ؛ فهذا كله يدل على دماركم وخراب دياركم»^(٤) .

ويذكر دارفيو أن الزراعة في فلسطين تعرضت في سنة ١٠٧٤هـ / ١٦٦٤م إلى موجة جراد كاسحة حتى قضت تماماً على محصولي القطن والقمح في لواء نابلس ، فانتشرت المجاعة ولم يستطع الفلاحون دفع المترتب عليهم للملتزم ، ما أدى إلى اندلاع ثورة عنيفة في قرى نابلس ؛ لذا استعان أمير اللواء بباشا دمشق

(١) س ش ن ، س ١ ، ص ٢٣٩ ، أوائل محرم ١٠٦٨هـ / ٩ أكتوبر ١٦٥٧م .

(٢) س ش ق ، س ٧٥ ، ص ٤٢١ ، غرة ذي الحجة ١٠٠١هـ / ٢٩ آب ١٥٩٣م .

(٣) س ش ق ، س ٥٣ ، ص ٥٠٥ ، ربيع الثاني ٩٧٨هـ / ١٦ أيلول ١٥٧٠م .

(٤) العسلي ، وثائق ، ج ٣ ، ١٥٠ .

الذي أوعز إلى محمد بن أحمد طراباي ، أمير اللجون ، لإنجاد مير لواء نابلس . فتكبد الفلاحون الثائرون خسائر كبيرة في الأرواح ؛ فاضطروا للرضوخ وأداء ما ترتب عليهم من مال ، حتى استدان فقراؤهم من أغنيائهم لتسديد ما عليهم من ديون^(١) .

وهكذا يمكن فهم اضطرار الدولة أحياناً إلى تخفيض هذه الضرائب في محاولة منها لمنع الفلاحين من التمرد . فقد جاء في فرمان موجه إلى مشايخ واختيارية رعايا قصبه اللد وقراها : « . . إنه تقدم خط شريف خاقاني من لدن الدولة العلية أعزَّ الله أنصارها وقوى شوكة اقتدارها خطاباً إلى سعادة أفندينا والي الشام برفع ألف وسبعمائة قرش عنهم . . . »^(٢) .

(١) الصباغ ، فلسطين ، ص ١١٢ .

(٢) العسلي ، وثائق ، ج ٣ ، ص ١٥٠ .

عوائد رسوم قباطية، مصدر نزاع الأحكام الإداريين في القرن الحدادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي دراسة وتحليل حجج شرعية

إبراهيم ربابعة (*)

يناقش هذا البحث أهمية الرسوم التي كانت تُحصّلها الدولة العثمانية من قرية قباطية ، ودورها في إثارة النزاعات بين الحكام الإداريين ؛ لاسيما السناجق المحيطة بالقرية ، وقد اعتمد هذا البحث في رصد القضية البحثية على الحجج الشرعية المدونة في سجلات محكمة القدس الشرعية العثمانية وسجلات نابلس الشرعية ، التي كانت خير معين لإعداد هذا البحث ، إذ تكشف عن واقع قباطية الإداري خلال فترة الدراسة ، ثم تبين نظرة الحكام لها في ظل كثرة عوائدها المالية والعينية ، وتظهر - أيضاً - أهمية قباطية الاقتصادية في ظل سباق تنافسي بين حكام الألوية المجاورة للمدينة (نابلس واللجون) ، يمكن من خلال هذه الدراسة التعرف إلى حدود قباطية والمناطق التابعة لها ، وحجم الضرائب التي يدفعها فلاحو قرية قباطية ، بما يشير ذلك إلى دور القطاع الزراعي في الاقتصاد العام للقرية ، الأمر الذي أغرى الباشوات في السيطرة عليها ، وبما يؤكد أهمية قباطية الاقتصادية الزراعية تضارب الحجج الشرعية التي يتناولها البحث في إظهار التبعية الإدارية لها ، هذا التضارب كان السبب الجوهرية في إعداد هذا البحث ، حيث نجد فيها قرية قباطية تارة تنسب إلى لواء اللجون وأخرى لنابلس .

(*) جامعة القدس المفتوحة ، فلسطين .

الموقع والحدود:

تقع قرية قباطية جنوب مدينة جنين ، وتبعد عنها مسافة ١٠ كم ، على خط طول (٣١,١٥) ودائرة عرض (٣٤,١٥) ، وتبلغ مساحتها ٥٠٥٤٧ دونماً ، وهي مساحة كبيرة بالمقارنة مع غيرها من قرى المحافظة ، أما ارتفاعها عن سطح البحر فهو ٢٤٠ متراً ، ومن حيث الموقع فهي تقع على الحافة الجنوبية لسهل مرج بن عامر الذي يفصل سلسلة جبال الجليل الأدنى عن جبال نابلس الوسطى ، يُحيط بها أراضي مدن وقرى جنين وبرقين وعرابة ومركة وجربا ومسلية والزبابدة وتلفيت وأم التوت ودير أبو ضعيف .

أما الحياة الاقتصادية للقرية فهي قرية زراعية في لواء جنين ، تكثر فيها كروم العنب وأشجار الزيتون ، فضلاً عن السهول التي تزرع بمختلف المحاصيل الزراعية الشتوية منها والصفيفية ، ومن هذا المنطلق توجد فيها أكبر حبة خضار في لواء جنين ، بالإضافة للثروة النباتية يوجد أيضاً الثروة الحيوانية التي تتوفر بكثرة تبعاً لتوفر أراضي الرعي التي تحيط القرية من كل جانب (١) .

منهج الدراسة:

سارت منهجية البحث وفق الأسس الآتية :

١- جمع الوثائق التي تتعلق بموضوع الدراسة من سجلات محكمة القدس الشرعية .

٢- وضع عنوان لكل وثيقة حسب تاريخها ، فجاءت على النحو الآتي :

* حجة ١٠٥٣/١٢/٦هـ / ٢/١٥/١٦٤٤م ،

* حجة إلى ١١٠٠/٦/٢هـ / ٣/٢٤/١٦٨٩م ،

* حجة ١١٠٨/١٢/١هـ / ٦/٢١/١٦٩٧م .

(١) مصطفى مراد الدباغ ، بلادنا فلسطين ، ١٠ ج ، مطبوعات رابطة الجامعيين بجامعة الخليل ، ١٩٧٤م ،

- ٣- مقارنة معلومات السجلات بالمصادر والمراجع الأخرى .
- ٤- إعادة كتابة بعض الكلمات بشكلها الصحيح ، وتصويب بعضها إملائياً .
- ٥- إضافة بعض الكلمات التوضيحية في سياق النص وميزتها بأن وضعت بين قوسين .
- ٦- في المواضع التي تعذر معها قراءة بعض الكلمات ، وضعت في المتن كما وردت وأضيف اللفظ المناسب للسياق أو الترجيح بين قوسين .
- ٧- مقابلة التواريخ الهجرية بالميلادية حال ورودها في المتن كانت أم في الحواشي
- ٨- التعريف بالأعلام والمواقع والمصطلحات التي وردت في النص .
- ٩- إلحاق البحث بخريطة توضيحية تظهر الأماكن التي ذُكرت في البحث .

❖ محتوى الحجج:

* الحجة الأولى : تعود إلى ٦/ذي حجة/١٠٥٣هـ /١٥/شباط/ ١٦٤٤م ، وهي مراسلة جاء بها علاء الدين أفندي مندوب حاكم لواء اللجون (جنين) ، في حينه ، الأمير أحمد بن طراباي^(١) صاحب السمعة والجاه ، طلب فيها من قاضي القدس تسجيل براءة سلطانية في السجلات المحفوظة ، كان فحواها أن قباطية بأرضها ومزارعها وخربها ورسومها جارية في لواء اللجون ، ويطلب

(١) الأمير أحمد بن طراباي (٩٧٩-١٠٥٧هـ /١٥٧١-١٦٤٧م) الذي حكم لواء اللجون لمدة نصف قرن تقريباً (١٠١٠-١٠٥٧هـ /١٦٠١-١٦٤٧م) ، ينظر : المحبي ، محمد الأمين : (ت ١١١١هـ /١٦٩٩م) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر ، ٤ أجزاء ، ج ١ ، القاهرة ١٢٨٤هـ /١٨٦٩م ، ج ١ ، ص ٢٢١ ؛ ليلي الصباغ ، فلسطين في مذكرات الفارس دارفيو . ط ١ ، مؤسسة المصادر للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، بيروت ١٤١٦هـ /١٩٩٦م ، ص ١٧٢-١٧٣ ؛ البوريني ، الحسن بن محمد ، (ت ١٠٢٤هـ /١٦١٥م) ، تراجم الأعيان من أبناء الزمان ، تحقيق : صلاح الدين المنجد ، ج ٢ ، دمشق ١٩٥٩م ، ١٩٦٦م ، ج ٢ ، ص ٢٧٣ .

أيضا منع حاكم نابلس من معارضته في ذلك ، وأن ينبه على حكام نابلس بأن لا يمانعوا ابن طراباي في محصولات قباطية ورسومها ، إن توجه حاكم اللجون لتدوين حجة بهذا الموضوع في سجلات القدس تظهر الأهمية الزراعية التي انمازت بها قرية قباطية في ذلك الأوان كون أراضيها كانت تدرّ ضرائب سخية وعوائد كثيرة .

✽ الحجة الثانية : دونت في ٢/ جمادى الثانية / ١١٠٠هـ / ٢٤/ آذار/ ١٦٨٩م ، وقد أجملت هذه الحجة قضية الخلاف الذي وقع بين لواء نابلس واللجون حول تبعية قباطية اقتصاديا وإداريا ، فعند دراسة هذه الحجة على نحو دقيق يمكن تقسيمها إلى ثلاثة أقسام ، الأول : مقدمة تشمل التعريف بالقضية من خلال الرسالة التي وجهها والي دمشق الشام طالبا فيها من قاضي القدس الشريف فض النزاع الحاصل بين لواء نابلس ولواء اللجون في تبعية قرية قباطية ومزارعها ، ويطلب كذلك ، من القاضي الكشف على القرية وتحديد وضع وجمع الشهادات والبراهين والمستندات حول ذلك ؛ ولتبيان حقيقة وضع القرية ومرجعيتها ، عند ذلك أرسل قاضي القدس إلى نائبه في محكمة نابلس الشرعية أن يشكل لذلك لجنة ويكون رئيسا لها للكشف والتحرير على تبعية قرية قباطية ، والثاني : أفاد هذا القسم في الكشف عن آلية العمل التي اتبعتها لجنة التحقيق ، فوجد أن لجنة التحرير اعتمدت على مصدرين في جمع البيانات وتثبيتها ، للعمل بمقتضاها ، وهما : المصادر الشفوية المتمثلة بإفادات أصحاب الشأن من أهالي قباطية ، وشهادات مشايخ القرى المجاورة وكبار السن . والمصدر الثاني : المستندات المخطوطة التي يمتلكها كل من الطرفين المتنازعين والمتمثلة بالبراءات السلطانية والدفاتر العثمانية والتقارير الشرعية الصادرة عن القضاة ، أما القسم الثالث من الحجة فيتناول النتائج التي توصلت إليها لجنة التحقيق التي أشارت إلى أن القرية تابعة لواء نابلس من دون اللجون ، حيث دونت في سجل قاضي قضاة بيت المقدس للعمل بموجبها والسير على منهاجها ، ويُعد هذا القسم الأخير

السبب الجوهري في تدوين هذه الوثيقة في سجلات القدس ، فلولا حرص حاكم نابلس على تدوينها في سجلات القدس لما وصلت إلينا هذه المعلومات .

✽ الحجة الثالثة : دونت هذه الحجة في أوائل ذي الحجة ١١٠٨هـ/١٦٩٦م/٦/٢١، وقد تناولت في مضمونها موضوع الكشف على قباطية مرة أخرى ، فكانت على النحو الآتي : بدأت برسالة من متسلم نابلس -بناءً على توجيهات أرسلان باشا والي الشام- لقاضي القدس يطلب منه تشكيل لجنة للكشف والتحري على قرية قباطية المتنازع عليها بين حاكمي نابلس واللجون ، وبدوره شكل القاضي لجنة برئاسة أحد نوابه بالقدس الشيخ صادق أحمد أفندي وصحبة محمد الجوقدار^(١) ، أما الفصل الثاني من فصول هذه الحجة فيتمثل في وصف سير عملية التحرير ، والنظر في الدعوة على أرض قباطية ، فعندما وصل الأطراف إلى قباطية طلب متسلم نابلس حضور حاكم اللجون أو من ينوب عنه ؛ ليدعي عليه بخصوص تبعية القرية ونوع رسومها ، وقد تم ذلك وحضر مندوبا عن حاكم اللجون ، وقد جرت الدعوة التي حاول فيها متسلم نابلس الاستفادة من ما بيده من المراسيم والتقارير الشرعية والشهود ؛ لكسب الدعوة ، في حين أظهرت الحجة مندوب حاكم اللجون لا يمتلك الدلائل أو البيئات المادية التي تفند ما ذهب إليه حاكم نابلس ، وبقي متمرسا وراء ما جاء في الدفتر الخاقاني من أن نصف رسوم القرية جارية في خاص آل طراباي(أمراء اللجون) . أما الفصل

(١) جوقدار : كلمة مركبة من جوخة التركية بمعنى قطعة قماش ، ودار الفارسية بمعنى حافظ ، وتستخدم

للشيخ الذي يتنكر ليلا بتبديل ثيابه ، ولبحث عن الأخبار ، ثم أصبحت تطلق على رسول السلطان أو الوالي ، ينظر : هاملتون جب وهارولد بوين ، المجتمع الإسلامي والغرب واثر الحضارة الغربية على الفكر الإسلامي في الشرق الأدنى ، ج٢ ، ترجمة ، عبد المجيد القيسي ، دمشق ، ١٩٩٧م ، ج٢ ،

الأخير فيحتمل نتائج التحرير في الدعوة ، التي كانت متوقعة من مجريات التحقيق والتحرير من أنها تصب في مصلحة حاكم نابلس ، منهيمة مرحلة من الصراع والنزاع القانوني حول القرية ، وحرصا من حاكم نابلس -ممثل والي الشام -عجل في طلب تدوين القضية في سجلات القدس لمنع أية حالة من التلاعب في مصير قباطية تبعا لتبدل الظروف والمواقع .

❖ دراسة الحجج وتحليلها:

أشارت الدفاتر العثمانية^(١) في أول مسوحات لها(١٥٣٨/هـ-١٤٥٥م) أن قباطية تتبع لواء اللجون لكنها وضعتها بمعزل عن القرى والمزارع الموجودة في اللجون ، فكانت تجبي الرسوم عينا ، وهو ما يعادل ربع محصول القرية من الزراعة والثروة الحيوانية والرسوم المتفرقة ، حيث بلغت ٢١٥٤٠ آقجة^(٢) ، فبينما يذكر هذا الدفتر أنها تتبع لواء اللجون ، نجدها في دفتر آخر تتبع لواء نابلس ، فقد أشار دفتر مفصل لواء نابلس(D.T258) الذي يعود إلى سنة ١٥٤٨/هـ-١٥٤٨م أن قرية قباطية مُسحت مع لواء نابلس^(٣) . في حين يرجعها دفتر طابو(١٨١) الذي يعود إلى (١٥٩٦/هـ-١٠٠٥م) إلى لواء اللجون ، موردا بيانات حول محاصيل هذه

(١) دفتر مفصل ناحية مرج بن عامر وتوابعها ولواحقها التي كانت في تصرف الأمير طرا باي ١٥٣٨/هـ-١٤٥٥م ، دراسة وترجمة محمد عدنان البخيت ونوفان رجا لحمود ، الجامعة الأردنية ، عمان ، ٢٠١٠م ، ص ٦٧ ؛ محمد عدنان البخيت ، دراسات في تاريخ بلاد الشام(فلسطين) ، عمان ، ٢٠٠٧م ، ص ٥٩-٦٩ .

(٢) الأقبجة : كلمة تركية تعني السكة البيضاء ، واصلها مغولية ، معناها نقد أبيض ، وهي قطعة صغيرة من الفضة ضربت لأول مرة في عهد السلطان أورخان ، (٧٢٥-٧٦٤هـ/١٣٢٤-١٣٦٢م) ، سهيل صابان ، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية ، الرياض ، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م ، ص ٢٠ .

(٣) نوفان رجا السوارية ، الزراعة في لواء نابلس في القرن السادس عشر على ضوء دفتر مفصل لواء نابلس(D. T258) ، بحث غير منشور مقدم للمؤتمر الدولي التاسع لتاريخ بلاد الشام ، الجامعة الأردنية ، عمان ، ١-٥/٤/٢٠١٢م ، (نشر في المجلد الثالث من أعمال المؤتمر ٢٠١٤م)

القرية ومقدار الرسوم المستحقة عليها^(١) .

في ضوء ذلك ، لعله من المفيد التعرف إلى مقادير الرسوم المفروضة على قباطية الزراعية منها والمتفرقة في ضوء ما ورد في الدفاتر الخاقانية الثلاثة : (دفتري ١٥٣٨/هـ ٩٤٥م) ، ودفتري سنة ٩٥٥هـ/١٥٤٨م ، ودفتري طابو (١٨١) (١٠٠٥هـ/١٥٩٦م) ، بحيث يمكن الاستفادة منها في تبين بعض جوانب البحث المتعلقة في تأزم الصراع بين باشوات الألوية حول رسوم قباطية بناءً على ما ورد في الحجج موضوع الدراسة في هذا البحث ، ومن ثم مقارنتها مع ما ورد في حجم الرسوم ونوعها ، بحيث تساعدنا لاحقاً في فهم مكنون الحجج موضوع الدراسة ، وقد جاءت الرسوم على النحو الآتي :

رسوم قباطية

جدول (١)

دفتري نابلس ١٥٤٨/هـ ٩٥٥م (٢)		دفتري اللجون ١٥٩٦/هـ ١٠٠٥م		دفتري اللجون ١٥٣٨/هـ ٩٤٥م		المحصول
٤٩٠٠ أقبجة	٧ غرارة	١٤٠٠٠ أقبجة	١٠٠ غرارة	١٢٠٠٠ أقبجة	١٠٠ غرارة (٣)	حنطة

(١) دفتري مفصل لواء اللجون (طابو دفتري ١٨١) ، ١٥٩٦هـ/ ١٠٠٥هـ ، دراسة تحليلية للنص العثماني وترجمة إلى العربية مع الشروحات الإيضاحية ، محمد عدنان البخيت ، نوفان رجا السوارية ، ٢٠١٠م/ ١٤٣١هـ ، ص ١٦ ، ٢٠ ، ٣٤ ، ٤٨ ، ٥٢ .

(٢) هذه الرسوم الواردة في دفتري مفصل نابلس مستثنى منها رسوم الحرب والمزارع التابعة للقرية ، فقد أوردتها الدفتري مفصلة عن القرية ، لكنه أشار إلى أنها تتبع قرية قباطية .

(٣) غرارة : مكيال للغلال ، وهي تعني العدل من الصوف أو الشعر ، الخليلي ، الشيخ شمس الدين محمد بن محمد بن شرف الدين (ت ١١٤٧هـ/ ١٧٣٤م) تاريخ القدس والخليل ، حققه وكتب مقدمته وحواشيه ووضع فهرسه : محمد عدنان البخيت ونوفان رجا الحمود السورية ، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي ، لندن ، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م ، ص ٢٥٥ .

عوائد رسوم قباطية ، مصدر نزاع الحكام الإداريين . . .

شعير	٣٠ غرارة	٢١٦٠ أقبجة	٣٦ غرارة	٢٨٨٠ أقبجة	١٠ غرارة	٢٤٦٠ أقبجة
سمسم	١٢ غرارة	٢٨٨٠ أقبجة				
كروم وزيتون		٢٠٠٠ أقبجة		٣٠٠٠ أقبجة		
صيفي				٤٥٠٠ أقبجة		٣٠٠٠
ماغز /نحل		٢٥٠ أقبجة		٦٢٠ أقبجة		
بادهوا (١)				١٠٠٠ أقبجة		
ورسوم عروس						
معاديه		١٦٠٠ أقبجة				
قطن	٢٥٠ أقبجة	٥٠٠ أقبجة				
خراج توت		١٥٠ أقبجة				
خراج زيتون وأشجار وغيرها						١٥٠٠
المجموع		٢١٥٤٠ أقبجة + ٣٣٠ بادهوا		٢٦٠٠٠ أقبجة		١٠٣٦٠

(١) بادهوا : كلمة تتكون من مقطعين الأول فارسي معناها ربح ، وهواء العربية ، فتصبح ربح الهواء ، أو

الطيارة ، الرسوم المتفرقة ، البنخيت ، دراسات فلسطين ، ص ١٠٤ .

جدول (٢)

رسوم قرية قباطية مرتبة حسب التاريخ:

السنة	خاص شاهي	خاص (مير ميران) أمير الأمراء	المجموع
(١٥٣٨/هـ-١٥٤٥)		٢١٥٤٠	٢١٥٤٠
١٥٤٨/هـ-١٥٥٥			١٠٣٦٠
(١٥٩٦/هـ-١٦٠٥)		٢٦٠٠٠	٢٦٠٠٠
(١٦٤٤/هـ-١٦٥٣) (١)		٢٩٠٠٠	٢٩٠٠٠
(١٦٨٩/هـ-١٦٩٠) (٢)	٧٩٢٠+٧٠٠٠	٧٠٠٠	٢١٩٢٠
(١٦٩٧/هـ-١٦٩٨) (٣)	٧٩٢٠+٧٠٠٠	٧٠٠٠	٢١٩٢٠

لقد جاء اهتمام هذه الدراسة بضمون هذه الدفاتر الخاقانية التي تعود إلى القرن السادس عشر؛ كونها كانت مصدر معلومات الحجج- موضوع الدراسة- في التحرير على الرسوم وقيمتها المترتبة على قرية قباطية وصولاً إلى تحديد تبعيتها الإدارية، فمن خلال ما ورد في الجداول نجد أن تضاربا ما حصل في الدفاتر العثمانية حول تبعية بعض القرى والمزارع من بينها قباطية ومزارعها، والسؤال الذي يلقي بظلاله علينا: كيف تم هذا التداخل؟ وما دوافع ذلك؟ لعل ذلك يعود إلى أن الدولة العثمانية عندما استكملت فتوحاتها للبلاد واستتب

(١) سجل محكمة القدس الشرعية رقم ١٣٤، رقم الحجة ١، ص ٣٤٧، وسيشار لها عند ورودها لاحقاً (سجل القدس، ح، ص).

(٢) سجل القدس ١٩١، ح ١، ١١٠٠/هـ-١٦٨٩، ص ٧١-٧٣.

(٣) سجل القدس ١٩٨، ح ٢، ١١٠٨/هـ-١٦٩٧، ص ٢٥.

الأمن ويات الاستقرار سمة العصر ، أصدرت الأوامر لحكام الألوية كل في سنجه بإجراء المسوحات الشاملة التي تطل السكان والأراضي ؛ لتتمكن من وضع الآليات المناسبة في التعامل مع هذه البلاد ، فإذا كان من أجرى المسوحات في حينه حكام الألوية أو من ينوب عنهم جعلهم ذلك يمسخون مناطق قد لا تكون داخلة في حكمهم أو حكم اللواء قبل تاريخ المسوحات ، فالأمر منوط بمكانة الحاكم وأطماعه بالتوسع من خلال إدخال مناطق جديدة في حماه .

من هنا ، نجد أن الحجج- موضوع الدراسة- تعتمد كثيرا على ما ورد في هذه الدفاتر كحجة وبرهان ، ومنها ما جاء في حجة (١١٠٠هـ/١٦٨٩م) ما نصه : «... فلما عرضت الحجة على الكشف المذكور على الدولة العلية أمر بكشف الدفتر الخاقاني على قرية قباطية فوجد ما هو مسطر بالدفتر الخاقاني (١) ... ، وورد عليها بقلم المحرر فوجدت اثنا عشر قيراطا بسبع ألف عثماني في رسومات القرية القانونية السلطانية مع بادها السبع آلاف عثماني وتسعمائة عثماني وعشرون عثمانيا فيكون جملة ذلك أربعة عشر ألف

(١) المقصود بالدفتر الخاقاني : الدفتر السلطاني دفتر مفصل ناحية مرج بن عامر ، يذكر أن الدولة العثمانية عندما سيطرت على البلد ، قامت بعمل مسح كامل بما فيها من مزارع وخراب وعدد السكان ، لتضبط إيراداتها ، وقد أشارت الحجة ١١٠٠هـ/١٦٨٩م ، أن الدولة كانت تحصي السكان بأسمائهم ، وجاء فيها : «وطلب الكتبخدا المذكور من النائب الكشاف أن يسألوا (يسألوا) من رعايا قرية قباطية عن اسما (أسماء) أجدادهم المسطرة بالدفتر السلطاني فجابه (فأجابته) إلى ذلك ، وسأل من كل واحد من ... وهم مشايخ قرية قباطية عن اسما (أسماء) الرعايا المسطر اسما (أسماء) أجدادهم بالدفتر الخاقاني ، بعد قراته (قراءته) عليهم ، فأقروا واعترفوا جميعا أنهم من أولاد وأولاد الرعايا المسطرة أسماؤهم بالدفتر السلطاني» .

وتسعمائة وعشرون عثمانيا كلها خاص شاهي (١) ، وأن نصف القرية اثنا عشر قيراطا بسبعة آلاف عثمانيا اقطاع خاص مير (أمير) لواء اللجون» . يبدو أن الحجة اعتمدت على ما ورد في دفتر مفصل لواء نابلس بالإشارة إلى أن القرية تتبع سنجق نابلس .

إن هذه الدفاتر التي تناولتها في الجداول السالفة الذكر أفادتنا بأن القرية من الناحية الإدارية مسجلة في دفاتر لواء اللجون ولواء نابلس لكن المصادر لم تسعفنا في تحديد تبعيتها من ناحية عملية من حيث جمع المحاصيل والرسوم المفروضة عليها خلال القرن السادس عشر الميلادي ، وهذا ما نحاول الوصول إليه من خلال المصادر المتنوعة .

فقد أشارت بعض السجلات الشرعية أن قباطية كانت قبل النصف الأول من القرن السابع عشر تتبع لواء اللجون ، فجاء في حجة أن قباطية قرية تتبع ناحية جنين : « سبب تحرير الحروف في المجلس الشرعي المحرر المرعي لدى مولانا وسيدنا قدوة القضاة الإسلام . . . المولى عبد الكريم أفندي بن الشيخ مراد (٢) الموقع خطه الكريم أعلاه- دام فضائله وعلاه- ادعى علي بن محمد بن عامر بن يحيى من قرية قباطية على كل واحد من صالح بن مرعي وعلي بن

(١) الخاص الشاهي : الشاه كلمة فارسية معناها الملك ، والخاص الشاهي هي المنطقة التي تعود ضرائبها لخزينة السلطان العثماني ، ينظر : دفتر تحرير لواء القدس الشريف (D 131. T) (١٥٢٥/١٩٣٢م- ١٥٣٢/١٩٣٨م) ، دراسة تحليلية للنص العثماني وترجمته إلى العربية مع الشروحات الإيضاحية محمد عدنان البخيت ونوفان رجا السوارية ، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي ، لندن ، عمان ١٤٢٨/٢٠٠٧م ، ج١ ، ص١٥٩-١٦١ .

(٢) كان نائبا حنفيا في محكمة القدس والقاضي هو مصطفى أفندي بن عبد الله الشهير بمرطوس زاده ، ينظر : سجل القدس ١٢٠ ، ج٢ ، أواخر ربيع أول ١٠٤٢هـ/ ١٥ تشرين أول ١٦٣٢م ، ص ١٤٠ ؛ سجل القدس ١٢٢ ، ج١ ، ١٨ ربيع أول ١٠٤٢هـ/ ٢٢ أيلول ١٦٣٣م ، ص ١ .

ربيع وعامر بن محمد الجميع من أهالي قرية قباطية الكائنة بناحية جنين ... (١)»

وهذه إشارة واضحة أن القرية كانت مطلع العصر العثماني تتبع لواء اللجون ، والجدير ذكره أن هذا اللواء أحد أشهر ألوية الشام الجنوبية في هذا العصر ، فلواء اللجون يمتد من حيفا^(٢) في الشمال الغربي حتى غور الأردن في الشرق ، وقد شمل أراضي واسعة وغنية بالمصادر الاقتصادية متمثلة بمرج بن عامر الخصب ، كانت تعود على الدولة بمردود اقتصادي لا يستهان به ، ويذكر أنه كان لهذا اللواء دور سياسي وأمني أواخر العهد المملوكي ومطلع الحكم العثماني ، وقد كان ذلك بحكم الموقع الاستراتيجي المتمثل في سيطرته على الطريق الذي يربط بين بلاد الشام ومصر ، عُرف أمير هذه المنطقة بأمير الدربين^(٣)

(١) سجل القدس ١٢١ ، ح ٤ ، ١٦ ربيع أول ١٠٤٣هـ / ٢٠ / ٩ / ١٦٣٣م ، ص ٣٤٧ .

(٢) حيفا : تقع شمال فلسطين على ساحل البحر ، وهي ميناء له شهرة تغني عن الوصف ، حول المدينة ينظر : البخيت ، دراسات (فلسطين) ، ص ٩٥-١٢١ .

(٣) الدربان هما الطريقان الساحليان الذي يبدأ أولهما من اللجون باتجاه وادي عارة ومنها إلى غزة فمصر ، والثاني الداخلي الجبلي الذي يمتد من جنين وقباطية ونابلس والبيرة حتى القدس الشريف ، وما يشير إلى أن قباطية كانت على الطريق أنه في عام ١٩٩٩م تم العثور أثناء حفرة إنقاذية على حافة الطريق مدخل قباطية الغربي ، وقد وجد في المكان جرتان صغيرتان فيهما قطع نقدية مسكوكة ، وعند فحصها تبين أنها غروش ريال فضية هولندية تعود إلى سنة ١٦٥٠م ، وأيضا عبد الغني النابلسي الرحالة المعروف زار قباطية في طريق عودته إلى الشام مسجلا مشاهداته فيها ، ينظر : عبد الغني بن اسماعيل النابلسي (ت ١١٤٣هـ / ١٧٣٠م) الحضرة الأنسية في الرحلة المقدسية ، تحقيق : أكرم العلبي ، دار المصادر ، الرياض ، ط ١ ، ١٩٩٠م ، ص ٧٥ ؛ البخيت ، دراسات فلسطين ، ص ٥٤ .

كناية عن الدور الذي أنيط به (١) .

يلحظ أن قباطية كانت تتبع لواء اللجون ولا يوجد أية دلائل تظهر تبعيتها لسنجق غير اللجون قبل منتصف القرن الحادي عشر الهجري السابع عشر الميلادي ، لكن الأمر بعد هذا التاريخ بدا مختلفا ، فقد وافتنا حجج تشير إلى أن قباطية أصبحت تتبع لواء غير اللجون ، فذكرت حجة وردت في سجل محكمة نابلس الشرعية رقم (٣) أن قباطية كانت مفروزة على مال الميري خاص همايوني ، والحجة عبارة عن دفتر الحصر بواقى المال الهمايوني في سنة ١٠٩٨ و١٠٩٩هـ/١٦٨٧-١٦٨٨م في لواء نابلس ، ظهر أن ما على قباطية وحدها ٢٠٠٠ غرشا ، إي أن ما يقرب من نصف الديرين كان على قباطية وحدها (٢) . فهي من جهة تشير إلى أن القرية تتبع لواء نابلس ، ومن جهة أخرى تظهر حجم العوائد الزراعية التي تجبها الدولة العثمانية من قباطية .

باتت تلك المكانة الاقتصادية المالية لقرية قباطية في تلك الأونة ، مصدرا رئيسا في نشوب الصراعات بين الباشوات في مطلع القرن السابع عشر ، ومن

(١) ابن كنان ، محمد بن عيسى الدمشقي (ت ١١٥٣هـ/١٧٤٠م) ، المواكب الإسلامية في الممالك والمحاسن الشامية ، ج٢ ، تحقيق ، حكمت اسماعيل ، سوريا ، ١٩٩٢م ، ق٢ ، ص ١٣٤ ، ورد في سجلات القدس أن المسافرين من اسكالة (ميناء) حيفا إلى القدس يسلكون الطريق الداخلي (جنين-قباطية- نابلس - البيرة - القدس) ، ينظر : سجل القدس ١٩٢ ، ح٣ ، أوائل جمادى الثانية ١١٠٢هـ/٣/٢/١٦٩١م ، ص ٣٤٩ ؛ وورد أيضا في سجل محكمة نابلس ١ ، ازكلة (اسكالة) حيفا تابعة للأمير زين حاكم اللجون ، سجل محكمة نابلس ١ ، ح ١ ، أوأخر ربيع ثاني ١٠٦٧هـ/١٥/١٦٥٧م ، ص ١٣٣ ؛ وينظر أيضا : البخيت ، دراسات فلسطين ، ص ٥٤-٥٦ .

(٢) سجل محكمة نابلس ٣ ، ح ٢ ، أوائل جمادى الثانية ١١٠١هـ/٣/١٢/١٦٩٠م ، ص ٣٨ .

ذلك الخلاف بين أمير جبل لبنان الثائر فخر الدين المعني (١) والأmir أحمد بن طرا باي الحارثي أمير اللجون (٢) ، وجاء في بعض المصادر

(١) فخر الدين بن قرقاس بن معني الدرزي الشهابي (ت ١٠٤٣هـ / ١٦٣٣م) : قام بثورة على الدولة العثمانية ومركزه جبل الدروز في لبنان ، وكانت أكبر ثورة في بلاد الشام خلال هذا القرن ، حول هذه = الثورة ، ينظر : البوريني ، الحسن بن محمد (ت ١١١١ هـ / ١٦٩٩ م) ، تراجم الأعيان من أبناء الزمان ، ج ٢ ، دمشق ، ١٩٥٩ م ، ج ١ ، ص ٢٠٧-٢١٣ ؛ المحبي ، خلاصة ، ج ١ ، ص ٣٨٦ ؛ أحمد بن محمد الخالدي الصفدي (ت ١٠٣٤هـ / ١٦٢٥م) ، تاريخ الأمير فخر الدين المعني ، عني بضبطه ونشره وتعليق حواشيه : أسد رستم وفؤاد البستاني ، بيروت ، ١٩٨٥ م ؛ تاريخ الأمير حيدر أحمد الشهابي ، ص ٦٣٠ ؛ سجل القدس ١٢١ ، ج ١ ، ١٢ محرم ١٠٤٢هـ / ٣٠ تموز ١٦٣٢م ، ص ١٩٦ .

(٢) ومن أجل التعرف إلى مضمون مرسوم والي دمشق الذي أبرق فيه لحكام السناجق لقتال فخر الدين المعني نورد نص هذه الحججة الشرعية التي وردت في (سجل القدس ١٢١ ، صفحة ١٩٦) : «سبب تحرير الحروف هو أنه في المجلس الشرعي المحرر المرعي بين يدي سيدنا ومولانا . . المولى مصطفى أفندي بن عبد الله ، الموقع خطه الكريم أعلاه ، لما عين أمير الأمراء الكرام ، كبير الكبراء الفخام ، صاحب العز والمجد والدولة والاحترام حضرة أحمد باشا المحافظ بدمشق الشام - دام إجلاله - من قبله فخر أقرانه ميرزا بن محمد داود بن ذي القرمي الأصل ؛ للتثبيت في السفر على ابن معن ، بموجب الأمر الشريف السلطاني من الحكم المنيف الخاقاني ، وتوجه ابتداءً ميرزا بن محمد إلى مدينة غزة ؛ للتثبيت على أمير الأمراء الكرام حضرة حسن باشا المحافظ بغزة بالسفر على ابن معن ثم رجع ميرزا بن محمد من مدينة غزة إلى القدس الشريف وهو مريض الجسد ، وعلى يده أمر شريف سلطاني ، وحكم منيف خاقاني خطاباً لحضرة أمير الأمراء الكرام ، كبير الكبراء الفخام مولانا محمد باشا المحافظ بالقدس الشريف ، وعلى موجب الأمر الشريف مكتوب من قبل حضرة أحمد باشا من مضمون الأمر الشريف والمكتوب المنيف ، وأن الأمر الشريف السلطاني برز بالسفر على ابن معن ، وأن العساكر السلطانية والجيش الإسلامية قد عنيت للسفر على ابن معن ، وأن يكون حضرة محمد باشا مع جملة العساكر المنصورة المعينة من قبل السلطنة العلية ، فتلقى مولانا محمد باشا الأمر الشريف والمكتوب المنيف بمزيد السمع والطاعة والقبول ، بعد ما فهم ما هو من المدلول ، وأظهر =

أن صداما وقع بين ابن طراباي ومصطفى كتنخدا (وكيل) فخر الدين المعني بسبب بعض المزارع وعلى رأسها قرية قباطية^(١).

لكي يمكن التعرف إلى حقيقة الأمر الذي استدعى تدوين هذه الحجج موضوع الدراسة ، وكيف أن عامل قوة الباشوات هو عامل الحسم الرئيس في تبعية قباطية الإدارية للظفر برسومها لما تتمتع به من ملاءة مالية ، ولتوضيح مظاهر النزاعات الإدارية نحاول التعرف إلى أمراء اللجون في هذا العصر ، ذلك العصر الذي كانت فيه القرية تابعة لهم ، فنجد كما ذكرنا أنفا الأمير

= خيامه إلى ظاهر القدس الشريف وعزم على المسير بعون الملك اللطيف ، ثم أن ميرزا محمد من حين دخوله إلى القدس الشريف وهو مريض الجسد ، استمر صاحب فراش خمسة أيام وانتقل بالوفاة إلى رحمة الله ، فتعين عند ذلك ضبط مخلفاته الموجودة معه يومئذ بالقدس ، وعين مولانا الحاكم الشرعي من جانبه لضبط المخلفات نائبه فخر القضاة عبد الكرم أفندي بن الشيخ مراد ، الشهود : الشيخ عمر مفتي السادة الشافعية بالقدس الشريف ، السيد شمس الدين نقيب الأشراف بالقدس ، فخر الخطباء مولانا الشيخ يوسف بن أبي اللطف ، فخر الأعيان أحمد بك ناظر الصخرة المشرفة ، فخر الأقران محمد آغا دزدار قلعة القدس ، الشيخ عبد القادر شيخ الحرم ، الشيخ عبد الرزاق بن غضية ، فخر أقرانه أحمد كتنخدا القلعة ، الشيخ موسى الأدهمي ، الشيخ أحمد أبي الشامة ، أحمد العيون ، الحاج ياسين النحاس ، عبد القادر السباهي ، مصطفى بن عبد الله ، الشيخ مصطفى العلمي ، الشيخ زكريا الديري ، الشيخ صالح الدهان ، الشيخ شرف الدين الديري ، الشيخ عفيف الدين الديري ، كاتب أصله الشيخ سليمان الداودي ، كاتبه الشيخ عبد الرحمن غضية .

(١) المحبي ، خلاصة ، ج ١ ، ص ٢٢١ ، ص ٤٨١ ، ص ٣٨٦ ، ج ٣ ، ص ٢٦٦ ، ج ٤ ، ص ٢٩٥ ؛ الخالدي ، الصفدي ، ص ١٢٩-١٣ ؛ تاريخ الأمير حيدر الشهابي ، ص ٦٨٣ ، ص ٧٣١ ، ص ٧٣٢ ؛ البخيت ، دراسات فلسطين ، ص ٨٥ ؛ عيسى اسكندر معلوف ، تاريخ الأمير فخر الدين المعني الثاني ،

١٩٦٦م .

أحمد^(١) بن طرا باي أمير اللجون ، وهو من أسرة تُعد ألمع الأسر البدوية التي تناوبت حكم لواء اللجون ، بموازاة أسرة آل رضوان في غزة^(٢) ، وأسرة آل فروخ في نابلس^(٣) ، وبحسب ما هو متوفر لدينا من معلومات فقد جاء بعد الأمير

(١) يعتبر ما كتبه محمد عدنان البخيت في كتاب دراسات في تاريخ بلاد الشام - فلسطين - أفضل ما كتب عن الأسرة الحارثية ، ناهيك عن العمل العظيم الذي تناول فيه دراسة وترجمة دفتر مفصل لواء اللجون ، ينظر : البخيت ، دراسات فلسطين ، ص ٥١-٩٢ .

(٢) حول لواء غزة وأسرة آل رضوان في القرن السادس عشر والسابع عشر ، ينظر : عصام ناجي سيسالم وزكريا إبراهيم السنوار ، لواء غزة في العصر العثماني الأول ٩٢٢-١١٠١هـ/١٥١٧-١٦٩٠م ، دراسة في التاريخ السياسي والحضاري ، غزة ، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م ، وينظر أيضا : سجل القدس ٥٢ ، أواخر شوال ٩٧٧هـ/١٥٧٩م ، ص ٢١٥ ؛ سجل القدس ١٥٢ ، ح ١ ، أوائل ذي القعدة ١٠٦٧هـ/١١١١أب ١٦٥٧م ، ص ٣٣٤ ؛ سجل محكمة نابلس الشرعي ١ ، ح ٢ ، ١٠٦٦هـ/١٦٥٦م ، ص ٣٨ ؛ سجل القدس ١٥٢ ، ح ١ ، ٢٠ ذي القعدة ١٠٦٧هـ/٣٠أب ١٦٥٧م ، ص ٤٤٧ .

(٣) فروخ بن عبد الله باشا(ت ١٠٣٠هـ/١٦٢١م) ، أحد مماليك الأمير بهرام شقيق الأمير رضوان باشا حاكم غزة ، تدرج في المناصب إلى أن وصل حكم لواء نابلس واستمر حاكماً فيها وأميراً للحج الشامي وتولى إمارة الكرك وعجلون حتى توفي في الحج عام ١٠٣٠هـ/١٦٢٠م عندما كانت متوجهها مع قافلة الحج ، وجاء بعده ولده محمد الذي استلم أيضا لواء القدس الشريف ، ومن ثم ولده عساف بك الذي استلم لواء نابلس والقدس وغزة وإمارة الحج ؛ ينظر : سجل القدس ١٤٧ ، ٢٠ رجب ١٠٦٠هـ/١٩ تموز ، ص ٤١٠ ؛ سجل القدس ١٦٥ ، ح ١ ، ٢٩ ربيع أول ١٠٧٥هـ/٢١ تشرين أول ١٦٦٤م ، ص ٢٠٥ ؛ سجل القدس ١٦٦ ، ح ٣ ، ١٦ جمادى الثانية ١٠٧٧هـ/١٦ كانون أول ١٦٦٦م ، ص ٢٣ ؛ سجل محكمة نابلس ١ ، ح ١ ، ص ١٢ ، ١٢ ربيع أول ١٠٦٦هـ/١/٩١٠٦٦م ، ح ١ ، أواسط جمادى الثانية ١٠٦٦هـ/١٠/٤/١٦٥٦م ، ص ١٥ ؛ سجل محكمة نابلس ٣ ، ح ٢ ، ص ١٠ ؛ المحبي ، خلاصة ، ج ١ ، ص ٤٤٢ ؛ ج ٣ ، ص ٢٧١ ، ج ٤ ، ص ١٠٨ ؛ الخالدي الصفدي ، تاريخ الأمير فخر الدين المعني ، تعليق أسد رستم وفزاد البستاني ، المكتبة البوليسية ، (د ، ت) . ص ١٣٣-١٣٧ ؛ المرادي ، محمد بن خليل (ت ١٢٠٦هـ/١٧٩١م) ، سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر ، =

أحمد ولده زين^(١)، ثم أخوه الأمير محمد، والأمير زين وصالح ثم الأمير يوسف طراباي^(٢)، بعد ذلك خرجت الإمارة من يد آل طراباي وذلك في عام ١٠٨٨هـ/١٦٧٧م، حيث يورد المحبي أن من تولى الإمارة كان أحمد باشا التريزي^(٣)، وتسعفنا الحجج الشرعية في التعرف إلى أمراء اللجون بعد هذا التاريخ فيرد ذكر سليمان بك بن قراجا أمير لواء اللجون سنة ١٠٩٣هـ/١٦٨٢م، وهي الفترة التاريخية التي ترجع إليها بداية الإشارات إلى أن قباطية تابعة لواء نابلس، فقد وردت في سجل محكمة نابلس عدد من الوثائق التي أشارت إلى حصر إرث سليمان بك وممتلكاته في لواء اللجون^(٤)، لكن الحجج لم تذكر إن كان من الأسرة الحارثية أم لا، مما يتيح القول أنه من الأسرة الحارثية هو اسمه الثاني قراجا ومعروف أن الجد الأعلى لآل طراباي هو قراجا، ومن المحتمل أن يكون هذا الشخص من الأسرة الحارثية^(٥).

يلحظ من خلال الحجج أن نجم هذه الأسرة البدوية العريقة بدأ بالأفول، وقد أشار لذلك عبد الغني النابلسي وقتما زار مقابر أمرائها في جنين

= ٤ ج، مطبعة بولاق، ١٣٠١هـ/١٩٨٠م، ج٢، ص٤٠ (ترجمة حسين بن معن)؛ تاريخ الأمير حيدر الشهابي، ص٦٧٢؛ الموسوعة الفلسطينية، ٢م، ٢ق، ص٧٠٤؛

Amnon Cohen, *Palestine in the 18th Century*. Jerusalem, 1973, pp. 41-42.

(١) وردت معلومات قليلة عنه في الحجج الشرعية، ومنها: سجل محكمة نابلس ١، أواخر ربيع

ثاني ١٠٦٧هـ/١٤/٢/١٦٥٧م، ص١٣٣، ج٢، غرة جمادى الثاني ١٠٦٨هـ/٦/٣/١٦٥٨م،

ص٢٩٣؛ سجل القدس ١٥٦، ج١، ١٤ صفر ١٠٦٩هـ/١٠ تشرين ثاني ١٦٥٨م، ص١٣٩.

(٢) سجل القدس ١٧٨، ج١، ١٧ ذي القعدة ١٠٨٦هـ/٢٧/١/١٦٧٦م، ص٤٩٧.

(٣) المحبي، خلاصة الاثر، ج١، ص٢٢٢.

(٤) سجل محكمة نابلس ٢، ج١، ص١؛ ج٢، ص٦؛ ج١، ص٨؛ ج٣، ص١٠، سجل محكمة

نابلس ٣، ج١، ١ جمادى الثانية ١١٠٢هـ/٣/٣/١٦٩١م، ص١١٣.

(٥) البخيت، دراسات فلسطين، ص٥٦.

سنة ١١٠١هـ/١٦٩٠م ، ومجتمعاً مع بعض الأمراء بقوله : لقد أصبحوا مغارب للإمارة بعد ما كانوا مشارق لها^(١) ، ويبدو أنه خلال هذه الفترة انتهى دور هذه الأسرة .

أما المرحلة اللاحقة فقد أشارت المصادر إلى أن أحد الأشراف استلم إمارة اللجون وهو الشريف يحيى بن الشريف بركات الهاشمي المكّي المدني الحجازي ، تظهر وبحسب هذه المصادر المعاصرة له أنه استلم إمارة اللجون ما بين سنة ١١٠٢هـ/١٦٩١م وسنة ١١٠٣هـ/١٦٩٢م مع إمارة نابلس وإمارة الحج الشامي ، و النابلسي في الرحلة -الآنفة الذكر- أشار إلى أنه لم يقابل الشريف يحيى كونه كان خارج مدينة جنين^(٢) .

(١) عبد الغني النابلسي ، مختارات من الحضرة الأنسية ، شرح وتفسير إحسان النمر ، مطبعة النصر ، نابلس (د بت) ، ص ١٣ .

(٢) النابلسي ، مختارات من الحضرة الأنسية ، ص ١٣ ؛ المحبي ، خلاصة الأثر ، ج ١ ، ص ٤٤٨ ؛ كما وردت حجة في سجل محكمة نابلس ٣ ، أشارت إلى أن الشريف يحيى كان أمير الحج الشامي في سنة ١١٠٢هـ/١٦٩٠م ، وللتوضيح نذكر قسماً منها : «استاجر أمير الأمراء الكرام كبير الكبراء الفخام ، فرع الشجرة الزكية ، طراز العصاة الهاشمية مولانا الشريف يحيى باشا ... وأمير الحج الشريف الشامي ... من الشيخ يوسف بن الشيخ حماد ، وفخر الناسكين الشيخ سليمان بن الشيخ عبد الرحمن كلاهما من ذرية الشيخ سهيل فأجره ما هو جاري في أجارهما من عمدة الأمراء حضرة مرتضى باشا مير(أمير) مدينة نابلس سابقاً . . . جميع مزرعة كفرباسا الجارية المزرعة في خواص همايون الكائنة في جبل نابلس الشامي» . وورد أيضاً ذكر له في حجة بالصفحة ذاتها مضمونها أن قاضي القدس خليل أفندي بعث تنبيهاً لقاضي نابلس على أن يلتزم أمر الشرع ولا يلتفت إلى ما يطلبه أهل نابلس من الأعيان والوجهاء ، ولأهمية مضمونها نورد بعضها منها : «نعلمك أن القصد منك حين وصول هذه المراسلة إليك تتقبد في إجراء(إجراء) الشرع القويم وفي خدمة العباد ، وتكون ثابتاً على الحق المستقيم ، ولا تلتفت لكلام أحد من أهالي المدينة من الاسباهية (السباهية) والرعاية ، ولا تتبع هواهم ، ولا تكون إلا على الحق ، ولا تخرج عن =

وتفيد حجج شرعية بعلو شأن هذا الشريف واتساع ملكه خارج اللجون ، فقد اشترى متسلم نابلس حسين الجربجي بموجب وكالة من الشريف يحيى باشا وأمير الحج الشامي من يوسف أغا بن محمد الشامية (متسلم غزة سنة ١٠٩٧هـ/١٦٨٦م) دار في غزة ، ومن اللافت للانتباه أن ابتياعه هذه الدار لم يكن صدفة فهي تعود لأشهر أسرة حكمت غزة ما يربو على مائة عام وهي أسرة آل رضوان^(١) ، وفي السياق ذاته تظهر الحجج أن له ولاية على اسكلة (ميناء) يافا التي كان لها مردود مالي كبير بلغ ١٠٠٠٠ غرش سنوي^(٢) . ويبدو أن الشريف يحيى أصبحت له هذه المكانة الرفيعة بعدما وفر الأمن

= الشرع ، وإننا أخبرنا بدينك وديانتك وبإجراء الشرع القويم سابقا ، وأخبرنا بدينك وديانتك حضرة أمير الأمراء الكرام ، كبير الكبراء الفخام ، صاحب أذيال الوقار والاحتشام جناب حضرة الشريف يحيى باشا . . . وكذلك ورد علينا محضر من العلماء والمشايع الكرام وأخبرونا بديانتك ، وأنتك تنبه على أهالي المدينة لا يخرجون عن الشرع القويم ، وتردع من يخالف الشرع الشريف ومن لم يمثل لقولك تخبرنا به . سجل محكمة نابلس ٣ ، ح ٣+٢ ، أوائل رمضان ١١٠٢هـ/٢٩/٥/١٦٩١م ، ص ١٦٠ .

(١) سجل محكمة نابلس ٣ ، ح ١ ، أوائل رمضان ١١٠٢هـ/٢٩/٥/١٦٩١م ، ص ١٣٧ ، سجل محكمة نابلس ٣ ، ح ١ ، أوائل جمادى الثانية ١٠٩٨هـ/١٤/٤/١٦٨٧م ، ص ١٣٦ ، سجل محكمة نابلس ٣ ، ح ٣ ، أوائل رجب ١١٠٢هـ/٣١/٣/١٦٨١م ، ص ١٢٣ .

(٢) وقد ورد في الحجة نوع الرسوم التي تحصلها من يافا ، وهي : جزي وكمرك وخفارة وخراج ومعشرات وطالع ونازل ، وخضر زوار نصارى وباج بضائع وقبان ورسومات متوقعة ، وبادهوا ، وثلاث مراكب منكسرة للميري ، وبشكاش وكمك تن ، ومعلوم ترجمة ذمة ، وبشكاش تجار وضمايطة ، ومرما مرساه ، وقسمة فلاحين زراع وحماية فلاحين وسمن وخراج نصارى ورسوم من نفس يافا ، ينظر : سجل محكمة نابلس ٣ ، ح ١ ، أوائل جمادى الثانية ١١٠٢هـ/٣٠/٣/١٦٩١م ، ص ١١٩ .

والحماية في لواء اللجون^(١) ، وبموجب ذلك وفي ظل الفوضى العارمة التي اجتاحت جبل نابلس بعد أن دخل إليها بعض الجماعات البدوية بمساعدة الفلاحين والبدو ، حالت دون تمكن متسلم نابلس من الظفر بها ، مما دفع الدولة لتوسيع حكم الشريف - في ظل نجاحاته في لواء اللجون - بإعطائه إمارة نابلس مع إمارة الموكب الشريف الحجازي^(٢) .

وتكشف المصادر الأولية في مواطن أخرى عن أن إمارة اللجون تولاها أمراء من أصحاب الزعامات المحلية لاسيما التي تسكن نابلس ، فقد أشارت حجة شرعية إلى الخلاف الذي وقع في عام ١١٠٦هـ / ١٦٩٥م بنابلس بين الحاكم الجديد للواء اللجون حسين جوريجي^(٣) بن محمد بك

(١) ينظر مراسلة باللغة التركية العثمانية موجهة للشريف يحيى ، سجل محكمة نابلس ٣ ، ح ٣ ، ص ١١٢ ، كما ورد في نهاية الحجة أن المراسلة طبق الصورة التي وصلت نسخة منها لمحمد أبو الوفا بمحروسة جنين (نائب الشرع) .

(٢) وتورد سجلات محكمة نابلس الشرعية حجج تظهر فيها حالة الفوضى والعصيان التي كانت تعصف في لواء نابلس ، وللفائدة نورد في الملاحق صورة لمراسلة من والي دمشق إلى حكام نابلس يأمره بأن يتعامل مع حركة العصيان في جبل نابلس وقطع رأس الفتنة ، سجل محكمة نابلس ٣ ، ح ٢ ، ذي القعدة ١١٠٠هـ / ٨ / ١٦٨٩م ، ص ١٠ .

(٣) جوريجي : لقب وظيفي يتكون من جوريجي وهي كلمة فارسية معناها طاهي الطعام ، وهي وظيفة كان يشرف عليها ضابط من الانكشارية برتبة يوزباشي (نقيب) ، وكان يشرف على مراجل (غلايات) المرق . وهم عساكر الرديف بالجيش . وتنطق في العربية شوريجي ، الغزي ، نجم الدين محمد بن محمد (ت ١٠٦١هـ / ١٦٥١م) ، لطف السمر وقطف الثمر من تراجم أعيان الطبقة الأولى من القرن الحادي عشر ، ج ٢ ، تحقيق : محمود الشيخ ، دمشق ، ج ٢ ، (د ، ت) ، ج ١ ، ص ٣٩٣ ؛ جب وبوين ، المجتمع الإسلامي ، ج ١ ، ص ٩٠ ، ح ٢ ، ص ١٦٧ ؛ سجل القدس ١٤٩ ، ح ١ ، ١٠ رمضان ١٠٦٤هـ / ٧ // ٢٥ ، ص ٢٥٤ .

الشافعي^(١) (شافعي زادة) وبين الحاكم السابق للواء اللجون حسن بك بن محمد آغا^(٢)، وكان الأخير دخل إلى دار حسين الجوريجي في محلة الحبلية بنابلس ونهبها وخربها، مستغلا سفر الشافعي إلى الاستانة، وقد استدعى هذا الأمر حضور قاضي القدس شخصيا للنظر في هذه القضية الخطيرة، والمتمثلة في دموية الصراع في السيطرة على مقاليد الحكم^(٣)، وبحسب المصادر فقد كانت تربط كل من حسن وحسين علاقة جيدة قبل هذا التاريخ^(٤).

وأخر حاكم للواء اللجون - خلال فترة الدراسة - ورد في الحجة (١١٠٨هـ/١٦٩٧م)، هو الأمير الشبلي بن ناصر، لم تسعنا المصادر في إعداد ترجمة وافية له، وربما يكون هذا الحاكم من أسرة طراباي حيث درجت المصادر عند ذكر حاكم هذا اللواء أن تقرنه بالأمير كما أن الاسم شبلي من الأسماء البدوية المعروفة، وربما يكون سبب إثارة قضية اقطاع قباطية في هذا التاريخ بسبب عودتها مرة أخرى للواء نابلس، ومعروف كما ذكرنا أن الشريف يحيى

(١) فخر أقرانه حسين بك الجوريجي بن محمد بك الشافعي، كان اشترى اسطبلًا في محلة الحبلية في نابلس، وهي المحلة ذاتها التي اعتدي فيها على أملاكه وعقاراته من قبل حسن بك حاكم اللجون سابقا، ينظر: سجل محكمة نابلس ٢، ح ٣، أواسط رجب ١٠٩٩هـ/١٦/٥/١٦٨٨م، ص ٢٥٢؛ سجل محكمة نابلس، ٣، ح ١، ص ٧٠.

(٢) ما توفر من وثائق في سجلات نابلس يشير إلى شخص يحمل هذا الاسم حسن بك بن محمد الذي كان قبل هذا التاريخ مير آلي السباهية في نابلس، ينظر: سجل محكمة نابلس، ٣، ح ١، ٣٠ رمضان ١١٠١هـ/٧/٧/١٦٩٠م، ص ٦٦.

(٣) سجل القدس ١٩٦، ح ٣، أوائل شوال ١١٠٦هـ/١٥/٥/١٦٩٥م، ص ٤٣٦.

(٤) فقد ورد أن حسين بك بن محمد الشافعي كان فك رهن دار وأملاك حسن بك، سجل محكمة نابلس ٢، ح ٥، أوائل صفر ١٠٩٩هـ/٧/١٢/٧/١٦٩٧م، ص ٣٢٠، وفي حجة أخرى تذكر أنه كان بين حسن بك وحسين بك جوريجي الشافعي تجارة صابون، سجل محكمة نابلس ٢، ح ١، غرة رجب ١٠٩٨هـ/١٣/٥/١٦٨٧م، ص ١٢.

كان وحّد إمارتي نابلس واللجون ، وربما يكون تأجج النزاع بعد أن أصبح لواء نابلس يتبع ولاية دمشق مباشرة ، بينما بقي اللجون مستقلاً بيد الأمير الشبلي ، ونجد أن من أثار القضية في هذه السنة ١١٠٨هـ/١٦٩٧م هو والي الشام أرسلان^(١) باشا بوساطة وكيله ، ويظهر من خلال الحجة أن لواء اللجون كان مستقلاً تحت إمارة الأمير الشبلي بينما بقية الألوية - نابلس والقدس وغزة - كان فيها متسلم للوالي في دمشق ، ويبدو أن قوة والي دمشق هي التي كان لها يد الحسم بأن أثمرت بما تقرر في الحجة ١١٠٨هـ/١٦٩٧م ، والملفت بعد مراجعة المصادر أن نجد الألوية جميعها بما فيها اللجون أصبحت تحت قبضة والي الشام مباشرة ، وذلك سنة ١١٠٩هـ/١٦٩٨م ، وقد ورد ذلك في دفتر محاسبة بين أحمد باشا والي الشام الجديد وأرسلان باشا بوساطة مندوبيهما في القدس ونابلس ، وربما يكون ذلك سببا في لجم الصراع الحاصل بين الألوية على أمور كثيرة من بينها قضية قباطية ومزارعها^(٢) .

يستفاد مما ذكر أن جوهر المشكلة يكمن بالآلية التي اعتمدها الدولة العثمانية في التعامل مع هذه القرية من خلال جعل رسومها مستقلة عن غيرها من القرى والمزارع في لواء اللجون ، أن هذا الأمر شجّع حكام الألوية المجاورة لضمها والاستفادة من خيراتها سواء كانت تتصل معها جغرافيا أم لا ، فكل والٍ كان يرى في نفسه المكانة والقدرة

(١) ابن كنان ، ، المواكب الإسلامية ، ج٢ ، ص ١٨ .

(٢) سجل القدس ١٩٨ ، ح ١ ، ٣ جمادى الآخرة ١١٠٩هـ/١٢/١٧/١٦٩٧م ، ص ١١١ ؛ وكذلك وردت حجة تسليم يوسف آغا متسلم نابلس السابق لحسين آغا متسلم نابلس الجديد من طرف أحمد باشا محافظ الشام ، على ما قبضه من الضرائب ورسوم الفلاحين والرمايا ، سجل القدس ١٩٨ ، ٥ جمادى الثانية ١١٠٩هـ/١٢/١٩/١٦٩٧م ، ح ١ ، ص ١١٢ ، وعند مراجعة سجل محكمة نابلس ٤ وجد أن صالح باشا بن طوقان زاده كان محافظ لنابلس وغزة واللجون ، سجل محكمة نابلس ٤ ، ح ١+٢ ، ذي القعدة ١١٣٥هـ/١٧٢٢م ، ص ١١ .

على طلبها لا يتردد في ذلك سواء كان بالطرق القانونية من خلال الحصول على المراسيم السلطانية كما هو الحال في الحجة ١٠٥٣هـ/١٦٤٤م ، أو من خلال المراسيم السلطانية المقرونة بالتقارير الشرعية والشهادات الميدانية كما هو الحال في حجة (١١٠٠هـ/١٦٨٩م) ، وحجة (١١٠٨هـ/١٦٩٧م) .

فعندما كان الأمير فخر الدين المعني الثاني - المعروف بالكبير - يصل ويجول ويخضع الأمراء ويطاردهم^(١) طلب قرية قباطية - بشكل مباشر أو غير مباشر - من أمير اللجون ، وما أن استتب الأمر لأمير اللجون الحارثي^(٢) حتى شرع في الحصول على البراءات السلطانية والوثائق القانونية التي تشهد له بأن قباطية تتبع لواء اللجون من دون غيره ، مسارعاً في طلب تدوينها في السجل المحفوظ بمحكمة القدس الشرعية مركز قضاء ألوية جنوب الشام (القدس و نابلس

(١) على سبيل المثال ، احتفظت الحجج الواردة في سجلات القدس الشرعية بمعلومات عن بعض ما أصاب الديار جراء هذه الثورة أو من تبعاتها ، فالبلاد كانت تهوج وتوج بثورات وحركات عصيان ، أفنت معها البلاد والعباد ، وهلك الزرع والضرع ، فقد كانت حركة المعني أكبر حركة ثورة عصيان تواجهها الدولة العثمانية في بلاد الشام خلال القرن السابع عشر ، لذلك شحنت لها الجيوش وأعدت لها النفوس ، وأنفقت عليها الدراهم والفلوس ، فكان لها الظفر على ابن معن ، مبشرة بشمس جديدة على ديار الشام ، ينظر : سجل القدس ١٠٥ ، ح ١ ، غرة رجب ١٠٣١هـ/١٨ أيار ١٦٢٢م ، ص ٢١٦ ؛ سجل القدس ١٠٥ ، ح ٢ ، أواسط جمادى الثانية ١٠٣١هـ/٢ أيار نيسان ١٦٢٢م ، ص ٢٢١ ؛ سجل القدس ١١٢ ، ح ١ ، ٣ شعبان ١٠٣٦هـ/١٧ نيسان ١٦٢٧م ، ص ٢٨٦ ؛ سجل القدس ١١٢ ، ١٦ ربيع أول ١٠٣٦هـ/٥ كانون أول ١٦٢٦م ، ص ٥٥ ؛ وكان المحببي قال عن ابن معن : «فقد بلغ مبلغاً لم يبق وراءه إلا دعوى السلطنة» (ج ١ ، ص ٣٨٦) .

(٢) ومن الإشارات في رغبة أحمد الحارثي في تعزيز سيطرته على جميع مناحي الأمور ما ورد في سجل القدس ١٢٢ بأن حصل على مرسوم بوظيفة الكتابة على وقف الحرم الإبراهيمي في نابلس واللجون ، ٥ جمادى الثانية ١٠٤٣هـ/١٢/٧ ١٦٣٣م ، ص ١٥١ .

واللجون وغزة والمجدل^(١) ، ومطالبها بالعمل بمضمونها^(٢) .

وعند النظر في مضمون الحجج موضوع الدراسة وما جاء فيها يمكن تسجيل عدد من الملاحظات نذكر منها :

❖ حجم الإيرادات ونوعها:

فقد ورد في الحجة (١٠٥٣هـ/٢/١٦٤٤م) ، أن جميع عوائد القرية مقطوع خاص أمير لواء اللجون ولم تفصل ، مكتفية بالذكر أن مجموع هذه العوائد يبلغ ٢٩ ألف عثمانية (أقجة) ، وربما جاءت مطالبة لواء نابلس بقباطية لاحقاً من هذا الباب كونها مقطوع آل طراباي وبزوالهم من حكم لواء اللجون ينتهي ما كان مخصص لهم من عوائد ، ولو قارنا هذا الرقم مع ما جاء في الدفاتر الخاقانية لوجدنا أن دفتر مفصل لواء مرج بن عامر (٩٤٥هـ/١٥٣٨م) يذكر أن حجم الرسوم ٢١٥٤٠ أقجة^(٣) ، ودفتر طابو (١٨١) الذي يعود إلى سنة (١٠٠٥هـ/١٥٩٦م) أن العوائد بلغت ٢٦ ألف أقجة ، ومن خلال ذلك نجد أن هناك اختلافاً في المبلغ لكنه ليس جوهرياً^(٤) ، ربما جاءت هذه الزيادة في الرسوم ما بين المصادر الثلاثة : (٩٤٥هـ/١٥٣٨م) و(١٠٠٥هـ/١٥٩٦م)

(١) ينظر : سجل القدس ١٨٦ ، ح ١ ، أوائل رجب ١٠٩٤هـ/٢٦/٦/١٦٨٣م ، ص ٣ .

(٢) ينظر : الحجة /١٠٥٣هـ/ ١٦٤٤م .

(٣) دفتر مفصل ناحية مرج بن عامر وتوابعها ولواحقها التي كانت في تصرف الأمير طرا بيا ٩٤٥هـ/١٥٣٨م ، دراسة وترجمة محمد عدنان البخيت ونوفان رجا لحمود ، الجامعة الأردنية ، عمان ، ١٩٨٩م ؛ البخيت ، دراسات في تاريخ بلاد الشام (فلسطين) ، ص ٥٩-٦٩ .

(٤) دفتر طابو (١٨١) (١٠٠٥هـ/١٥٩٦م) ، ص ٥٢ .

و(١٠٥٣هـ/١٦٤٤م) بسبب زيادة المحاصيل والغلال رافقها ربما زيادة في عدد السكان^(١).

وعند مقارنة ما ورد في حجة (١١٠٠هـ/١٦٨٩م)، وحجة (١١٠٨هـ/١٦٩٧م)، حول ما جاء في الدفاتر الخاقانية عن إيرادات القرية من الرسوم يظهر ثمة توافق في حجم الرسوم ونوعها، ولم يظهر اختلافا في حجمها أو في توجيهها، فكان مجموع ما فرض على القرية من رسوم ١٤٠٠٠ ألف عثماني، منها ١٢ قيراطا من أصل النصف ٢٤ قيراط خاص أمير لواء اللجون مضاف إليها ثلث رسوم الماعز والنحل، والنصف الثاني يعود إلى الخواص السلطانية مضافة إليها ثلث الماعز والنحل والباد هوا والرجالية التي بلغت ٨٩٢٠ عثماني، فيكون مجموع رسومها حسب ما ورد في دفاتر التسجيل والتحرير العثمانية التي استقت منها هذه الحجج معلوماتها ٢١٩٢٠ عثماني، أما رسوم ثلث الماعز والنحل العائدة لخاص أمير اللجون فلم تحدها الحجتان، ويمكن معرفته من خلال ما ورد في حجة (١٠٥٣هـ/١٦٤٤م)، فقد ورد فيها أن القرية جارية فقط في خاص أمير اللجون بمبلغ قدره ٢٩ ألف عثماني دون تفصيل، وإذا ما نظرنا إلى هذا المبلغ وفق ما جاء في حجة (١١٠٠هـ/١٦٨٩م)، وحجة (١١٠٨هـ/١٦٩٧م)، نجد أن هذا المبلغ يشمل أيضا الخاص الشاهي، بواقع ١٤٩٢٠ خاص شاهي و٧٠٠٠ خاص أمير لواء اللجون مع ثلث الماعز الذي يمكن تقديره وفق ما جاء في الحجة (١٠٥٣هـ/١٦٤٤م) بسبعة آلاف وثمانين

(١) ذكر دفتر مفصل ناحية مرج بن عامر (٩٤٥هـ/١٥٣٨) أن عدد السكان محسوبة بالخانة فكانت ٤٢، أما دفتر طاو ١٨١، ٤٥ خانة، والخانة: كلمة فارسية تعني الأسرة، وهي وحدة تعداد السكان في الدولة العثمانية، متوسط عدد أفرادها خمسة أشخاص، ينظر: دفتر (٩٤٥هـ/١٥٣٨)، ص ٦٧؛ دفتر (١٨١)، ص ١٥.

عثماني ، وبذلك يكون المبلغ ٢٩ ألف عثماني وهو مطابق للبيانات التي وردت في الحجج الثالثة^(١) .

ولعل من المفيد الإشارة إلى ضرائب أخرى خارجة عن هذا الإحصاء تعرف بالعوارض السلطانية^(٢) والتكاليف العرفية^(٣) والصوباشية (رجل الأمن) وغيرها يمكن أن تضاف إلى ما ذكر من رسوم وضرائب .

❖ مصداقية المستندات

أما عن مصداقية المستندات والتقارير الشرعية التي وظفها حكام نابلس وأغواتها كما الحججة (١١٠٠هـ/١٦٨٩م) ، وحججة (١١٠٨هـ/١٦٩٧م) كوثائق إثبات أن القرية مفروزة مع جبل نابلس الشامي ، فنجد ما جاء في حججة (١١٠٠هـ/١٦٨٩م) ، وحججة (١١٠٨هـ/١٦٩٧م) أن أقدم المستندات التي يعتمدها حكام نابلس لتحصيل رسوم قباطية تعود إلى سنة (١٠٩٣هـ/١٦٨٢م) ، وهي الفترة التي ثبت فيها نهاية نفوذ الاسرة الحارثية ، ولم تبرز حجج قبل هذا التاريخ سوى الدفتر الحاقاني ، وقد اجتهدت في البحث في

(١) راجع جدول (٢) .

(٢) العوارض : هي ضريبة كانت تلجأ إليها الدولة عند الضيق وعندما تعجز عن سد خدمات مستجدة كالحرب أو الكوارث الطبيعية ، كان يكلف بها أناس دون غيرهم ، محمد ساحلي أوغلي ، من تاريخ الأقطار العربية في العهد العثماني ، اسطنبول ، ٢٠٠١م ، ص ٥٩٧ .

(٣) التكاليف العرفية : الاسم العام الذي أطلق على سائر الرسوم التي كانت تؤخذ من المواطنين ماعدا الرسوم الشرعية . وكانت الرسوم العرفية كثيرة ومتنوعة ، ولكنها تصنف تحت نوعين أساسيين هما : التكاليف والعوارض . فالتكاليف كانت محددة حسب قوانين كل ولاية . أما العوارض فهي الضرائب المفروضة على المواطنين في الحالات الطارئة . إلا أنها أصبحت مستمرة وتحولت إلى مبالغ نقدية ، ينظر : ترجمة كمال خوجة لقانون لواء القدس في الموقع الالكتروني التالي :

السجلات التي تعود لتلك الفترة فلم يعثر على أصل لها ، ومن محاسن الصدف أنني عثرت على حجة تشير إلى أنه من شبه المؤكد أن قباطية ألحقت بلواء نابلس بعد عام ١٠٩٣هـ/١٦٨٢م ، وهي الفترة التي تراجع فيها حكام إمارة اللجون آل طراباي ، ومع استلام عدد من الباكوات إدارتها غالبا ما كان مقرهم نابلس ، فقد جاء في حجة شرعية وردت في سجل محكمة نابلس (٣) حول تحصيل المال الميري في لواء نابلس كانت فيه قباطية رأس هذه المحاسبة^(١) ، يستفاد منها أن قباطية باتت مرجعيتها لواء نابلس ، وما جرى بعد هذه التاريخ من نزاع ومخاصمة على القرية بين لوائي نابلس واللجون كان محكوما بميزان القوة والضعف ، وهو الذي أفرز قضية عام (١١٠٠هـ/١٦٨٩م) بين حاكم نابلس حسين باشا وأمير اللجون الشريف يحيى ، ويليه قضية عام (١١٠٨هـ/١٦٩٧م) ، بين متسلم نابلس يوسف آغا وحاكم اللجون الأمير الشبلي بن ناصر .

وفي حجة (١١٠٨هـ/١٦٩٧م) ذكرت أن حاكم نابلس اعتمد على تقرير لقاضي القدس زفر أفندي يعود إلى ربيع الثاني (١٠٩٣هـ/٤/١٦٨٢م) ، يشهد بأن قباطية تابعة لنابلس ، وبعد مراجعة سجلات القدس التي تولى فيها زفر أفندي تعاطي الأحكام الشرعية نائبا للقاضي إبراهيم أفندي الشهير ببرهاني زادة لم أعثر على حجة تفيد بذلك ، ومن الغريب أن الحجة صادرة باسم نائب القاضي ، علما أن مثل هذه القضايا عندما تكون عامة ومهمة أو من لواء آخر ينظر فيها قاضي قضاء القدس شخصيا^(٢) ، وظهر أيضا أن زفر أفندي قد انتهى

(١) ينظر : سجل محكمة نابلس ٣ ، ح ٢ ، أوائل جمادى الثانية ١١٠١هـ/١٢/٣/١٦٩٠م ، ص ٣٨ .

(٢) ومن ذلك ما ورد في حجة من سجلات القدس قضية رفعت من لواء اللجون ، طلب فيها الشيخ حسن شيخ زاوية قرية السيلة بتسجيل براءة سلطانية في محكمة القدس موجهة لحكام اللجون ؛ للتنبه عليهم بعدم التعدي على أرض الزاوية ، وعدم المطالبة بالضرائب والتكاليف العرفية ، ينظر :

سجل القدس ١٨٦ ، ح ١ ، أوائل رجب ١٠٩٤هـ/٢٦/٦/١٦٨٣م ، ص ٣

حتى ٢٠ ربيع أول ١٠٩٣هـ / ٢٩ / ٣ / ١٦٨٢م^(١) ، وكان إمضاء الحجج في فترة ربيع ثاني بيد نائب القاضي نور الدين أفندي^(٢) .

وتشير الحجة (١١٠٠هـ / ١٦٨٩م) إلى أن أول تقرير شرعي يعود إلى جمادى الثانية ١٠٩٣هـ / ٦ / ١٦٨٢م زمن قاضي القدس إبراهيم أفندي المعروف ببرهاني زاده الذي ، يذكر أن القاضي طلب الكشف على القرية وتحريرها ، وتذكر الحجة تقريراً آخر في هذه السنة أيضاً لكن من يد أحمد أفندي القاضي بالقدس ، فقد تم مراجعة سجل القدس ١٨٤ و ١٨٥ - الذي خلد الحجج في هذه الفترة- كاملاً فوجد أن إبراهيم أفندي برهاني زاده كان مازال قاضياً في القدس ، حيث وجد ختمه على الحجج الشرعية مع نائبه زفر أفندي ويوسف أفندي الرضي اللطفي^(٣) ، وكان أول ظهور للقاضي الجديد أحمد أفندي في الحجج في ١٦ رجب ١٠٩٣هـ / ٢١ / ٧ / ١٦٨٢م^(٤) ، ويلحظ هنا تضارباً في التقارير الشرعية الصادرة سنة ١٠٩٣هـ / ١٦٨٢م التي ذكرتها حجة ١١٠٠هـ / ١٦٨٩م ، وحجة ١١٠٨هـ / ١٦٩٧م ، من حيث تاريخها وعن مَنْ صدرت ، فنجد واحدة ترجعه إلى ربيع ثاني وأخرى إلى جمادى الثاني من نفس العام ، كذلك وقع التناقض في اسم القاضي الذي اصدر الحجة فذكر إبراهيم أفندي وأحمد أفندي بينما ذكر في الأخرى زفر أفندي ، ربما يعود هذه التضارب إلى عدم تمكن حكام نابلس في كلا الحجتين من جمع المستمسكات القانونية التي تشهد بأن قباطية تتبع لواء نابلس ، وهذا يمكن أن يكون دليلاً آخر يظهر أن القوة والنفوذ هو سيد الأمر في مثل هذه الأمور .

ويستفاد أيضاً من الحجة ١١٠٨هـ / ١٦٩٧م حول التقرير الشرعي الصادر عن

(١) ينظر : سجل القدس ١٨٥ ، ح ١ ، ٢٠ ربيع أول ١٠٩٣هـ / ٢٩ / ٣ / ١٦٨٢م ، ص ١٦ .

(٢) المصدر نفسه ، ١٨٥ ، ص ٢٥-٣٠ .

(٣) المصدر نفسه ، ١٨٥ ، ص ٤٠-٩٠ .

(٤) المصدر نفسه ، ١٨٥ ، ح ٣ ، ١٦ رجب ١٠٩٣هـ / ٢١ / ٧ / ١٦٨٢م ، ص ١٦٢ .

ولي الدين أفندي الذي يعود تقريره إلى ٨ جمادى الثانية ١١٠٠هـ / ١٦٨٩م / ٣/٣٠، فقد روجعت جميع الحجج التي نظر فيها ولي الدين أفندي فلم أجد ما ورد في نص الحجة، وحسب تاريخ الحجة (١١٠٠هـ / ١٦٨٩م) الذي يعود إلى ٢ جمادى الثانية ١١٠٠هـ / ٣/٢٤ / ١٦٨٩م، نجد أن المراسلة التي أصدرها ولي الدين أفندي-بناءً على ما ورد في الحجة- كانت بعد ستة أيام من تاريخ الكشف على قباطية، كما راجعت سجلات نابلس الشرعية التي تعود إلى هذا التاريخ فلم أجد أي أصل لها، علماً أن سجل محكمة نابلس في هذا التاريخ متوفراً، والإشارة الوحيدة التي عُثر عليها تذكر قضية الكشف على قباطية وتتعلق بمحاسبة حاكم نابلس على مال الميري الذي أنفق منه على رسوم الكشف على قرية قباطية^(١)، والملاحظ أن تاريخ المحاسبة جاء بعد عشرة أيام

(١) ورد في سجلات محكمة نابلس الشرعية وثيقة تظهر محاسبة على ما صرفه محافظ نابلس حسين باشا على مصاريف ولوازم الكشف على قباطية من مال الميري، جاء فيها: «أقر واعترف حضرة أمير الأمراء الكرام كبير الكبراء الفخام صاحب العز والمجد والاحترام مؤتمن الدولة الباهرة مولانا حسين باشا أمير لواء نابلس أنه قبض وتسلم من مال الميري سنة تاريخه أدناه من يد كاتب الميري مفرج السامري مبلغاً قدره مائة غرش اسدي وتسعة وسبعون غرشاً أسدياً وثلاث غرش، من ضرائب اليهود ١٤٣ غرشاً، ومن غفرية فندقومية خمسة وثلاثون غرشاً وثلاث غرش، وما هو من قاقون تحت الحساب عشرة غروش، . . . وأنه صرف من المبلغ في لوازم الميري مبلغاً قدره مائة غرش وثلاثة غروش أسدية، ومن ذلك لفخر الأعيان خليل أغا المعين للكشف على قرية قباطية من قبل الدستور المكرم المشير المفخم كافل دمشق الشام خمسون غرشاً أسدياً، وما هو لقاضي القدس وللكشف وأتباعه سبعة وعشرون غرشاً أسدياً ونصف الغرش، وما هو لبدر الدين بك بموجب تذكرة ديوان الشام خمس وعشرون غرشاً ونصف غرش، والباقي باقي في ذمة حضرة حسين باشا ستة وسبعون غرشاً وثلاث غرش، وصدق على صحته مفرج (السامري) كاتب الميري تصديقاً شرعياً بتاريخ ثاني عشر جمادى الآخرة سنة مائة وألف». بشهادة: فخر الأعيان محمد أغا بن مصطفى، وفخر الأعيان حسن أغا بيك زاده مباشر الميري، خليل بن زين الغفار المحضر، محمد بن أحمد قيقان، كاتبه عبد الغفور. سجل محكمة نابلس ٢، حجة ١، ١٢-جمادى الثانية ١١٠٠هـ / ٣/٤ / ١٦٨٩م، ص ٣٨٦.

من تاريخ الحجة ١١٠٠هـ/١٦٨٩م .

ويمكن تسجيل ملحوظة أخرى على تقرير القاضي ولي الدين أفندي الذي كان بعث مراسلة لقاضي نابلس للكشف على القرية ، فقد ذكرت الحجة (١١٠٠هـ/١٦٨٩م) أن هذا التكاليف لقاضي نابلس كان في أواخر جمادى من السنة ذاتها ١٠٩٣هـ/١٦٨٢م ، ولم تذكر الحجة أي جمادى منها الأولى أم الثانية ، مع العلم أن حجة نابلس التي ذكرت والمتعلقة في الكشف تعود إلى ١٢ جمادى الثانية ١٠٩٣هـ/١٨/٦/١٦٨٢م ، وعلى ما يبدو أن المقصود هو جمادى الأولى .

وجملة القول ، يبدو أن والي الدين أفندي بعث المراسلة دون تقيدها في السجل المحفوظ بالقدس ، ومن المستغرب أن يوسف آغا لم يطلب تدوينها في السجل المحفوظ بالقدس أو في نيابة محكمة نابلس ، بينما نجد أحمد طراباي كان حريصا على تسجيل ما بيده من تمسكات قانونية لعلمه أن السلطة القضائية في القدس وما دونها نيابة (نابلس غزة الخليل اللجون الرملة المجدل) .

(نص حجة ١٠٥٣هـ/١٦٤٤م)

سبب تحرير الحروف بالمجلس الشرعي المرعي حضر لدى مولانا العالم الكبير . . . الحاكم الشرعي مولانا مصطفى أفندي بن محمد من قبل أمير الأمراء الكرام كبير الكبراء الفخام صاحب الدولة والاحترام ساحب أذبال الوقار والاحتشام الأمير أحمد مير (أمير) لواء اللجون هو فخر الأفاضل المتقين علاء الدين (١) أفندي وأبرز من يده أمرا شريفا سلطانيا (٢) مؤرخاً في أوائل ذي الحجة

(١) يبدو أن علاء الدين كان نائبا في محكمة جنين التي تتبع قضاء القدس ، حيث أن لقب الأفندي

كان يعطى للعلماء والقضاة ، سجل القدس ١٥٢ ، ح ٢ ، ٨ شعبان ١٠٦٧هـ/٢٢/٥/١٦٥٧م ،

ص ٣١٥ .

(٢) السلطان العثماني الذي كان في هذا العصر إبراهيم بن أحمد بن محمد بن مراد تسلطن ما بين

سنتي ١٠٤٩هـ/١٦٢٩م - ١٠٥٨هـ/١٦٤٨م ، ينظر: المحبي ، خلاصة ، ج ١ ، ص ١٣ ؛ تاريخ الأمير

حيدر الشهابي ، ص ٧٢٥ .

الحرام من شهور سنة ثلاث وخمسين وألف من مضمونه الشريف وفحوى مكنونه المنيف أنه رفع إلينا عرض حال من قبل قدوة الأمراء الكرام الأمير أحمد أمير لواء اللجون بأن قرية قباطية الكائنة في ناحية اللجون من قديم الزمان جارية في خاص أمير لواء اللجون ، مخمنة عليه في براءة بتسعة وعشرين ألف عثمانية ، وأنه الآن أمير لواء^(١) نابلس حالا يتعرض لضبط القرية المذكورة بزعم منه أنها داخلية في معاملته ، وقد نظر في البراءات القديمة والجديدة المخلاة بيد أمير لواء اللجون فظهر لنا أنها جارية في خاص أمير لواء اللجون ومخمنة عليه بالمبلغ المذكور ، وقد برز الأمر الشريف السلطاني بأن يُعمل في ذلك بموجب البراءات المذكورة وبضبط القرية المذكورة لأمر لواء اللجون ، وبمنع أمير لواء نابلس من التعرض للقرية بأي وجه من الوجوه ، فليعمل في ذلك بموجب الأمر الشريف ، وطلب علاء الدين أفندي من مولانا الحاكم الشرعي المشار إليه قيد الأمر الشريف المذكور بالسجل المحفوظ بمحكمة القدس الشريف ، والعمل بمقتضاه ، فبرز أمر مولانا الحاكم الشرعي بقيد الأمر الشريف بالسجل المحفوظ ، فقيد يوم تاريخه أدناه ، ومنع مولانا الحاكم الشرعي . . . أمير لواء نابلس كائنا من كان من ضبط قرية قباطية لكون أن القرية جارية في خاص أمير لواء اللجون ، وعملا في ذلك بالأمر الشريف السلطاني الوارد في ذلك ، والتمسكات السلطانية المخلاة بيد أمير لواء اللجون ، وأمر مولانا الأمير أحمد -المشار إليه- بضبط قرية قباطية الجارية في خاصه ، أمرا شرعيا مقبولا من علاء الدين أفندي المذكور مقبولا شرعيا ، تحريرا في سادس ذي الحجة الحرام ختام سنة ثلاث وخمسين وألف^(٢) .

(١) حسب ما هو متوفر من مصادر كانت نابلس بيد عساف بك بن فروخ ، ، ينظر : المحيي ، خلاصة ،

ج ٤ ، ص ١٠٨ .

(٢) سجل القدس ١٣٤ ، حجة ١ ، ص ٣٤٧ .

(نص حجة ١١٠٠هـ/١٦٨٩م)

«لما ورد البيوردي^(١) الشريف الواجب التوقير والتعظيم من الدستور المكرم والمشير ، ناظم منازم الأمم ، مدير أمور العالم ، حاوي الرياستين (الرئاستين) الحكم والحكم ، مستصحب السيف والعلم ، ناصر الحق وراذع من ظلم ، وراذع من عاج عن الطريق بسطوته التي لها في مجالس الحق بريق ، مؤتمن الدولة الباهرة أحمد باشا^(٢) (حاجي كيراي) كافل الديار الشامية-يسر الله له من الخيرات ما شا(شاء)- خطابا لسيدنا ومولانا جنابه^(٣) على يد فخر أقرانه خليل أغا مضمونه الشريف وفحوى مكنونه المنيف بأن يعين من طرفه كشافا على قرية قباطية ، ويحددها تحديدا وافيا ، ينظر في الدعوى بين كل واحد من أمير الأمراء الكرام الفخام ، ذي المجد والدولة والاحترام ، صاحب ذيل الوقار والاحتشام حسين^(٤) باشا محافظ مدينة نابلس حالا وبين قدوة أمير الأمراء الكرام ، عمدة الأشراف العظام سلالة آل هاشم الفخام الشريف يحيى المتصرف بلواء

(١) البيوردي : كلمة تركية معناها المرسوم أو الخطاب السامي ،

Uriel Hyde, *Ottoman Damascus on Palestine*. Oxford, 1960, p. 14.

(٢) ظهر اسم محافظ ولاية دمشق الشام في سجلات نابلس منذ ١٠٩٩هـ/١٦٨٩م ، حيث جاء في حجة كتاب موجه من محافظ الشام لحاكم نابلس يأمره بجمع الضرائب المفروضة على لواء نابلس ، ينظر : سجل نابلس ٢ ، ١٠٩٩هـ/١٦٨٨م ، ص ٤٠١ .

(٣) المولى جنابه : ورد في رأس الحجة : «اخبرت(اخبر) واصدر وتحرر فيه من يعتمد عليه ويوثق بما يشهد عند الفقير إليه- سبحانه وتعالى- ولي الدين بن جماعة المولى بمحكمة القدس الشريف خلافة ، عفا عنه البر اللطيف» .

(٤) حفظت لنا سجلات محكمة نابلس الشرعية بوثيقة استلام وتسلم حسين باشا لإمارة نابلس ، فقد تسلم حسين باشا إمارة نابلس في أواسط ذي الحجة من عام ١٠٩٩هـ/١١/١٠/١٦٨٨م ، وقد أضافت الوثيقة أن حسين باشا عين من طرفه الشريف عبد الوهاب أغا ليتسلم مدينة نابلس من حاكمها السابق سليمان باشا ، والملفت في ذلك أن متسلم حسين باشا من الأشراف وحاكم =

جنين^(١)، ففي الحال كتب مولانا وسيدنا الحاكم الشرعي مراسلة شرعية صورتها: فخر الأفاضل الكرام أحمد أفندي^(٢) (العوني) المتولي نعلمه بعد السلام أنا نعينك نائباً كشافاً على قرية قباطية المتنازع عليها بين أمير الأمراء الكرام حسين باشا محافظ مدينة نابلس وبين قدوة أمير الأمراء الكرام عمدة الأشراف العظام يحيى محافظ لواء جنين؛ ليتوجه وسطر في ذلك بموجب الدفتر السلطاني في البيورلدي ويكون بمعرفة وحضور وإخبار جماعة ممن ليس لهم غرض في ذلك، وينهي ذلك على الوجه المرعي وتعرض الأمر بعد ذلك، وعليك في ذلك تقوى الله، أعلم ذلك واعتمد، تحريراً في أواخر جمادى سنة تاريخه أدناه، فتوجه كاتبه أحمد العوني وصحبة خليل أغا المباشر في هذا الخصوص من طرف الوزير المشار إليه أعلاه وفخر الأكابر عمر أغا كتحداً

= اللجون غريم حسين باشا من الأشراف أيضاً، ينظر: سجل محكمة نابلس ٢، ح ٣، ذي القعدة ١٠٩٨هـ/١٢/١٦٨٦م، ص ١٥٧.

(١) الشريف يحيى بن الشريف بركات الهاشمي المكي المدني الحجازي، استلم في سنة ١١٠٣هـ/١٦٩٢م، ينظر: سجل محكمة نابلس ٣، ح ٣+٢، أوائل رمضان ١١٠٣هـ/١٧/١٦٩٢م، ص ١٦٠. سجل محكمة نابلس ٣، ح ١، أوائل رمضان ١١٠٢هـ/١٧/١٦٩٢م، ص ١٣٧، سجل محكمة نابلس ٣، ح ١، أوائل جمادى الثانية ١٠٩٨هـ/١٤/١٦٨٧م، ص ١٣٦؛ سجل محكمة نابلس ٣، ح ٣، أوائل رجب ١١٠٢هـ/٣/١٦٩١م، ص ١٢٣.

(٢) أحمد أفندي العوني:، وذكرت سجلات القدس أنه كان متولياً لوقف المسجد الأقصى والصخرة بموجب تقرير من قاضي القدس حسن أفندي وذلك في سنة ١٠٩٩هـ/١٦٨٨م، ينظر: سجل القدس ١٨٩، ح ٢، ربيع ثاني ١٠٩٩هـ/٩/٢/١٦٨٨م، ص ٣٢. وهو من أسرة أهل علم وديانة، ومنهم: فخر الأئمة الشيخ مصطفى العوني، وفخر الخطباء شمس الدين العوني، سجل محكمة نابلس ٢، ح ١، ص ٣٧٥، كما نصّب شهاب الدين العوني كاتب محكمة نابلس، ينظر: سجل محكمة نابلس ١، (د، ن)، ص ٩٦.

(وكيل) حضرة حسين باشا الوكيل الشرعي عن الباشا للكشف على قرية قباطية وجمع كثير من المسلمين الثقات الموحددين من الأشراف العظام ، والعلماء الفخام ، وجم غفير ممن ستكتب أسمائهم الجميع من أعيان مدينة نابلس للكشف والتحري على التحديد على قرية قباطية ، ونزلوا جميعا في قرية قباطية وأرسل خلف أمير الأمراء الكرام يحيى باشا محافظ لواء جنين للكشف على القرية خليل آغا المندوب من طرف الوزير -المومى إليه- وامتنع عن الحضور ، وأبى أن يحضر بصحبة خليل آغا ، فبعد ذلك سأل عمر آغا كتخدا حضرة حسين باشا النائب الشرعي الكشاف أن يكشف على قرية قباطية وعلى حدودها ومزارعها ، وسأل من المسلمين هل القرية ومزارعها من معامل^(١) نابلس في الجبل الشامي أو في معامل جنين؟ فأجابوا إلى سؤاله ، ومشى النائب الكشاف على حدود القرية ، فوجد حدها القبلي ينتهي إلى أرض تعرف بالملك وينتهي إلى هيش^(٢) هناك من معمل نابلس من الجبل وحدها الشرقي ينتهي إلى قرية عقابا من لواء نابلس والحد الشمالي ينتهي إلى حد قرية بلعمة^(٣) وتمام أراضي برفين^(٤) خاص مير (أمير) لسواء نابلس والحد الغربي ينتهي إلى أرض قرية عرابة^(٥) وتمام أراضي قرية كفر قود^(٦) في أعمال نابلس

(١) معامل : مصطلح إداري كان مستعمل في العصر المملوكي والعثماني ويعني اللواء أو المحافظة .
 (٢) هيش : كلمة تركية تعني المنطقة الجبلية مليئة الأشجار ، وهي أشبه بالغابة ، وما زالت مستعملة في تلك المنطقة .

(٣) بلعمة : خربة أثرية ، وهي تقع داخل مدينة جنين ، الدباغ ، بلادنا ، ج٣ ، ص١٤٩ .

(٤) برفين : تقع جنوب غرب جنين ، الدباغ ، بلادنا ، ج٣ ، ص١١١ .

(٥) عرابة : تقع جنوب جنين على الطريق نابلس جنين ، الدباغ ، بلادنا ، ج٣ ، ص٧١ .

(٦) كفر قود : تقع جنوب غرب جنين قرب برفين ، وهي قرية صغيرة ، الدباغ ، بلادنا ، ج٣ ، ص١١٣ .

ووجدت مزرعة مبرور^(١) وكفرات^(٢) أو المجفر^(٣) وخروب^(٤) وكفر ياروب^(٥) وجلقموس^(٦) وأم التوت^(٧) داخلة في حدود قرية قباطية ، وهي واقعة في الجبل الشامي من أعمال جبل نابلس ، وذلك بعد أن سأل النائب الكشاف كل من محمد بن قبرنس من قرية بيت امرين^(٨) ونصر الله بن محمد من قرية سبسطيا^(٩) (سبسطية) ، والحاج محمد بن محمد من قرية قصبين^(١٠) (قوصين) وحمود من قرية طلوزة^(١١) ودرويش بن محمد من قرية طلوزة والحاج اعليان من القرية ، ويونس بن خيال من قرية بيت ليد^(١٢) وحمد بن سلامة من القرية

(١) مبرور(مهورة) : ورد في دفتر مفصل لواء نابلس (D.T. 258) أسماء هذه الحرب والمزارع الأتي ذكرها تتبع قباطية ، لكن لم اعثر على خربة أو مزرعة بهذا الاسم بالمراجع الحديثة ، ينظر : السوارية ، دفتر (D.T. 258) ، ص ١٣ .

(٢) كفراتا : ربما المقصود قرية الكفير التي تقع على الطريق الواصل بين جنين وطوباس ، الدباغ ، بلادنا ، ج ٣ ، ص ١٤٣ .

(٣) المجفر : ربما المقصود قرية الحفيرة الواقعة غرب قباطية ، الدباغ ، بلادنا ، ج ٣ ، ص ٨١ ، ص ١٥٠ .
(٤) خروب : لم اعثر عليها .

(٥) كفر ياروب : يوج خربة شمال قرية جبع باسم بيت ياروب ، الدباغ ، بلادنا ، ج ٣ ، ص ١٣٧ .

(٦) جلقموس : تقع شرق جنين وهي قرية عامرة ، الدباغ ، بلادنا ، ج ٣ ، ص ٢١٧ .

(٧) أم التوت : قرية صغيرة تقع شرق جنين ، الدباغ ، بلادنا ، ج ٣ ، ص ١٥٤ .

(٨) بيت امرين : تقع شمال غرب نابلس قرب سبسطية ، الدباغ ، بلادنا ، ج ٣ ، ص ٤١١ .

(٩) سبسطية : المدينة الأثرية المشهورة ، واليوم قرية عامرة ، تقع شمال غرب نابلس على الطريق الواصل إلى جنين ، الدباغ ، بلادنا ، ج ٣ ، ص ٣٩٧ .

(١٠) قوصين : تقع غرب نابلس ، الدباغ ، بلادنا ، ج ٣ ، ص ٣٥٦ .

(١١) طلوزة : تقع شمال نابلس قرب عصيرة الشمالية ، الدباغ ، بلادنا ، ج ٣ ، ص ٤٣٠ .

(١٢) بيت ليد : تقع في منتصف الطريق نابلس طولكرم ، الدباغ ، بلادنا ، ج ٣ ، ص ٢٨٧ .

فأخبروا جميعا بأن قرية قباطية المتنازع عليها من أعمال جبل نابلس الشامي لجهة خاص الشاهي وأنا لا نعلم بأن هناك قرية تسمى قباطية غير هذه القرية ، بعد ذلك أخرجت صورة حجة من السجل المحفوظ مؤرخة لسنة ثلاث وتسعين وألف ، صورتها هو أنه بمحل الشريعة الغراء بمدينة نابلس المحمية لما ورد المكتوب الكريم الواجب التعظيم من الدستور المكرم حسين باشا^(١) كافل الديار الشامية سابقا خطابا لسيدنا ومولانا أعلم العلماء المتبحرين إبراهيم أفندي (برهاني زاده) القاضي بالقدس الشريف سابقا بأن يعين من جانبه كشافا لقرية قباطية المتنازع عليها بين الأمير علي^(٢) باشا محافظ لواء نابلس وبين قدوة الأمراء سليمان بك^(٣) المتصرف بلواء جنين سابقا ، ففي الحال كتب إبراهيم أفندي القاضي بالقدس عن أسئلة شرعية لنائب نابلس سابقا أبو السعود أفندي^(٤) خليفة

(١) حسين باشا المعروف بصاوي بمعنى الاصفر ، وهو أخ ساغوش باشا الوزير الأعظم ، تولى إمارة حلب

ثم دمشق مرتان ، المحبي ، خلاصة ، ج٢ ، ص ١٢٤ .

(٢) علي باشا أمير الحج الشامي ومحافظ القدس ونابلس وغزة ما بين سنة ١٠٩٢-١٠٩٣هـ/١٦٨٢-

١٦٨١م ، وكان ولده مصطفى متسلما في مدينة القدس ، سجل القدس ١٨٤ ، ص ٣٤٣ ، ح ١ ،

١٢ ذي القعدة ١٠٩٢هـ/٢٢/١٢/١٦٨١م ، ص ٣٧١ .

(٣) ورد في حجة أن سليمان بك أمير لواء اللجون كان متصرفا باللواء سنة ١٠٩٧هـ/١٦٨٦م ، وقد وردت

الخبر عنه في هذا المقام عندما طلب حسن أفندي دفتر دار دمشق دين في نابلس لإرث سليمان

بك ، سجل محكمة نابلس ٣ ، ح ٥ ، أوائل ذي القعدة ١١٠١هـ/١٥/١٠/١٦٩٠م ، ص ٧٣ .

(٤) ورد عنه خبر في سجل محكمة نابلس ٢ أنه كان قاضيا في نابلس سنة ١٠٩٣هـ/١٦٨٢م ، حيث

أفادت الحجة أنه كان عقد بيع مصبنة في نابلس بمحلة تل الكريم ، ينظر : سجل محكمة نابلس ٢ ،

ح ٣ ، وأواخر ذي القعدة ١٠٩٩هـ/١٦٨٨م ، ص ١٦٢ ؛ كما نصب نائبا مرة أخرى بمحكمة نابلس

الشرعية في صفر ١٠٩٨هـ/١٢/١٦٨٦م ، ينظر : سجل محكمة نابلس ٢ ، ح ٣ ، ص ٧٦ ، أما

سجلات محكمة القدس فقد وردت وثيقة تشير إلى خلاف وقع بين الشيخ ابو السعود والشيخ عبد

اللطيف بن محمد اللطفي حول الدار الجارية في فراءة ما يتيسر الكائنة في باب الحديد أحد =

الحكم العزيز بمدينة نابلس ، فتوجه النائب للكشف على قرية قباطية المتنازع عليها ، وكشف عليها كشفا شافيا ، وحرر عليها تحريرا وافيا ، وعلى مزارعها المذكورة ، فوجدت القرية واقعة في الجبل الشامي من أعمال جبل نابلس خاص شاهي وتوابعها المزارع ، وذلك بعد أن سأل أبو السعود النائب بمدينة نابلس سابقا من مراد بك السباهي بمدينة نابلس ، والحاج رجب بن محمد من نابلس ، وحمودة بن حمادة من قرية كفر قود ، وسالم بن الشيخ ياسين ، ونصر الله بن خير الدين ، وساعد بن ابداح فإنهم يعلمون ويعون أن هذه قرية قباطية بها ومن حولها والمزارع المشروحة أعلاه ، واقعة في الجبل الشامي من أعمال نابلس ، ثم بعد تمام ذلك وتدوينه كتب علي بشه حجة شرعية وأرسلها إلى القبة العلية والسدة الرضية فلما عرضت الحجة على الكشف المذكور على الدولة العلية أمر بكشف الدفتر الخاقاني على قرية قباطية ، فوجد ما هو مسطر بالدفتر الخاقاني بأنها من أعمال نابلس وواقعة بالجبل الشامي ، وحرر عليها بقلم المحرر ، فوجدت اثني (اثنا) عشر قيراطا بسبع آلاف عثماني في رسومات القرية القانونية السلطانية مع بادهو السبع آلاف عثماني وتسعمائة عثمانية عثمانية وعشرون عثمانيا فيكون جملة ذلك أربعة عشر ألف وتسعمائة وعشرون عثمانيا كلها خاص شاهي ، وأن نصف القرية اثني (اثنا) عشر قيراطا بسبع آلاف عثمانية خاص مير (أمير) لواء اللجون وتعلل بأن هذه القرية واقعة بناحية شفا لواء اللجون ، والحال أنها ليست بناحية اللجون بل بناحية جبل نابلس الشامي معاملة نابلس ، ثم أبرز الوكيل حجة ثانية على كشف قرية قباطية مؤرخة أوائل جمادي الآخرة لسنة ثلاث وتسعون وألف ، وطلب علي

= أبواب المسجد الأقصى ، أفادتنا الحجة في معرفة نسبه ، فهو أبو السعود بن محمد المتصل نسبه بالشيخ محمد أبو العون الغزي المتصل أيضا بسيدنا علي بن عليم (عليل) منتهيا بسيدنا أمير المؤمنين عمر بن خطاب ، ينظر : سجل القدس ١٨٦ ، ح ١ ، أواسط شوال ١٠٩٥هـ / ٢٧ / ٩ / ١٦٨٤م ،

بشه المذكور أعلاه محافظ لواء (لواء) نابلس سابقا من سيدنا أعلم العلماء المتبحرين ، منبع العلم والحلم مولانا أحمد أفندي زكي القاضي بالقدس الشريف سابقا الكشف على قرية المذكورة من أجل أن يحدد قرية قباطية ، هل هي واقعة بناحية الجبل الشامي من معامل نابلس أم واقعة في الشفا من معامل اللجون؟ وأي شيء الفاصل بين ناحية اللجون وناحية الجبل الشامي من معامل نابلس؟ فعند ذلك سأل النائب الكشاف سابقا كل واحد من مساعد بن فراج ، ونصر الله بن خير الدين ، وسالم بن ياسين ، سن كل واحد نحو ثمانين سنة ، ومراد بك بن محمد السباهي ، ورجب بن محمد من مدينة نابلس الطاعن بالسن ، ومرعي بن بداح ، وعبيد بن زيد ، وسالم بن سليمان ، ومحمد بن أحمد ، وملحم شيخ قرية عرابة أخبروا جميعهم بأن قرية قباطية من الجبل الشامي من معامل نابلس ، وأن ناحية الشفا التابعة للجون واقعة شرقي اللجون وأنهم يعلمون ويتحبون (يعون) ذلك علم اليقين ، وأن قرية قباطية المتنازع فيها (عليها) في معامل مدينة نابلس لا من أعمال اللجون ، ثم أبرز الوكيل خطابا سلطانيا مضمونه الشريف أن قرية قباطية واقعة في الجبل الشامي تابع لواء (لواء) نابلس التي قسمتها من الثلث من متحصلها أربعة عشر ألف ، منها حصة إقطاع طرباي اثني (اثنا) عشر قيراطا بسبعة آلاف عثماني ، وخاص همايوني اثني (اثنا) عشر قيراطا بسبع آلاف ورسم المعز والنحل والعروس والباد هوا والرجالية سبعة آلاف عثماني وتسعمائة عثماني وعشرون عثماني جميع ذلك خاص شاهي ، فجميع الرسوم السلطانية أربعة عشر ألف وتسعمائة وعشرون عثماني ، وأن المزارع المذكورة من توابع قرية قباطية ، وهي واقعة لمدينة نابلس من جهة الشمالية ، وحرر لذلك غاية التحرير ، ثم أبرز الوكيل أمرا شريفا سلطانيا على موجب (بموجب) حجة الكشف سابقا والأمر اسلطانيا (الأمر السلطاني) مسطر (مسطراً) فيه أسما (أسماء) رعايا قرية قباطية سابقا ، وطلب الكتخدا المذكور من النائب الكشاف أن يسألوا (يسألوا) من رعايا قرية قباطية عن اسما (أسماء) أجدادهم المسطرة بالدفتر السلطاني فجاباه (فأجاباه) إلى

ذلك ، وسأل من كل واحد من يونس بن يحيى ، وعبيد بن زيدان ، وصبح بن صباح ، ومحمد بن سبع ، وسالم بن سليمان ، وفراج بن مرعي ، ومعن بن سليمان ، وسلامة بن سليمان ، وسلامة بن إبراهيم وهم مشايخ قرية قباطية عن اسما (أسماء) الرعايا المسطر اسما (أسماء) أجدادهم بالدفترا الخاقاني ، بعد قراته (قراءته) عليهم ، فأقروا واعترفوا جميعا أنهم من أولاد وأولاد الرعايا المسطرة أسماؤهم بالدفترا السلطاني ، وأن قرية قباطية من الجبل الشامي من أعمال مدينة نابلس ، قرارا واعترافا صحيحا مقبولا شرعيا ، فعند ذلك طلب عمر آغا كتحدا حضرة حسين باشا تسيطر ما هو الواقع بصحة الحال ، ومصداق المنال ، غب الطلب والسؤال ، وكما وقع سطر ، وحرر بتاريخ ثاني جمادي الآخرة لسنة مائة وألف^(١) .

الشهود : السيد صلاح الدين نقيب الأشراف بنابلس^(٢) ، مولانا الشيخ حافظ مفتي نابلس^(٣) ، مراد بك مير ألابي^(٤) لواء نابلس ، مصطفى بك

(١) سجل القدس ١٩١ ، ح ١ ، ٢ جمادى الثانية ١١٠٠ هـ ٢٤/٣/١٦٨٩ م ، ص ٧١ .

(٢) كان في مدينة نابلس نقابة للأشراف ، وهي مؤسسة تهتم بشؤون أهل بيت النبي عليه السلام ، وقد جعلتهم الدولة العثمانية في أولى أولوياتها اهتماما وعناية ، حيث كان في اسطنبول نقيب الأشراف العام ، يمثل في كل مدينة نقيب يقوم مقامه ، وتنحصر مهام النقابة في متابعة أمور أهل البيت بما يحفظ حقوقهم ومكانتهم داخل الدولة العثمانية ، ينظر : أكمل الدين احسان أوغلي ، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة ، ج ٢ ، نقله إلى العربية ، صالح سعداوى ، استانبول ، ١٩٩٩ م ، ج ١ ، ص ٣٠٣ - ٣٠٤ ؛ سجل محكمة نابلس ٢ ، حجة ١ ، (د ، ن) ، ص ٤٠٤ .

(٣) ورد في سجل محكمة نابلس الشرعية ٢ ، الشيخ عبد الحافظ مفتي نابلس ، ص ٤٠٤ ، كما ذكره عبد الغني النابلسي في الحضرة الأنسية أنه كان من جملة من قابلهم في نابلس ، النابلسي ، مختارات من الحضرة الأنسية ، ص ٢١ .

(٤) مير (أمير) ألابي : كلمة تركية تعني قائد الفوج من العسكر في السنجق ، يتم اختياره من بين كبار ضباط السباهية ، يشترط به أن يكن على دراية عالية في النواحي الاقتصادية والعسكرية =

- الزعيم^(١) ، مراد^(٢) بك جاري باشي^(٣) ، أحمد بك بن علي بك^(٤) ، الشيخ زين بن الشيخ مصطفى العرابي^(٥) ، إبراهيم بك بن أحمد^(٦) ، الشيخ سلامة شيخ واد الشعير^(٧) ، حسن بك بن محمد^(٨) ، الشيخ حمدان = بالإضافة للسمعة الطيبة . ويتم تعيين الألاي من بين كبار الزعماء داخل السنجق ، ومنهم مصطفى الاي بك بن محمد باشا محافظ القدس الشريف ، ينظر : احسان أوغلي ، الدولة العثمانية ، ج ١ ، ص ٤٠٠ ؛ محمد سليم اليعقوب ، ناحية القدس الشريف في القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي ، ج ٢ ، ط ١ ، البنك الأهلي الأردني ، عمان ١٩٩٩م ، ج ٢ ، ص ٢١٢ .
- (١) كان له زعامت قرية كفر اللبد وتوابعها ، ينظر : سجل محكمة نابلس ٢ ، حجة ٣ ، أواخر جمادى الثانية ١١٠٠هـ / ٢١ / ٤ / ١٦٨٩م ، ص ٣٩٠ .
- (٢) مراد بك بن يوسف بك ، كان له تيمار قرية سجيل (نصف جبيل) وهي تقع شمال مدينة نابلس ، سجل محكمة نابلس ٣ ، ح ٢ ، ص ٥٥٣ / ١٠ / ٢٨ / ١١٠٣هـ ، ص ١٤٢ .
- (٣) وهو أحد قادة السباهية وأساس عمله جمع السباهية وترتيبهم وإرسالهم إلى قوادهم في أماكن الحرب ، ومعاقبة المتخلف ، وتوزيعهم في الأرياف حسب إقطاعهم ، ينظر : ساحلي أوغلي ، من تاريخ ، ص ٢٩٥ .
- (٤) لم اعثر على ترجمة له .
- (٥) الشيخ زين كانت له مشيخة جبل نابلس الشمالي من عرابية في الغرب حتى طوباس والبيضان والنصارية شرقا ، ينظر : دفتر محاسبة الغلال التي سلمها الشيخ زين لمال الميري الواردة في سجل محكمة نابلس الشرعية ٢ ، ٢٤ ذي القعدة ١٠٩٩هـ / ٢٠ / ٩ / ١٦٨٨م ، ص ٤٠٣ ، ح ٢ ، ص ٢٣٥ ، سجل محكمة نابلس ٣ ، ح ٢ ، أولسط رجب ١١٠٢هـ / ٤ / ٤ / ١٦٩١م ، ص ١٢٤ .
- (٦) فخر أقرانه إبراهيم بك بن أحمد آغا ، ينظر : سجل محكمة نابلس ٢ ، ح ٣ ، جمادى الأولى ١٠٩٩هـ / ١٦٨٨م ، ص ٢٢٧ .
- (٧) واد الشعير : هي القرى التي تقع غرب نابلس وتشمل عددا من القرى منها برق ودير شرف وبيت ليد ورامين ، الدباغ ، بلادنا ، ج ٣ ، ص ٢٩٤ .
- (٨) حسن بك بن محمد أحمد التيماري في لواء نابلس ، ينظر : سجل محكمة نابلس ٣ ، ح ٣ ، محرم ١١٠٣هـ / ٩ / ١٦٩١م ، ص ١٨٩ .

العرايبي (١)، يوسف بك بن محمد (٢)، علي آغا بن مصطفى (٣)، حسين بك بن حسن أرنوط (٤).

(نص حجة ١١٠٨هـ / ١٦٩٧م)

«لدى مولانا صدر الموالي العظام سيد الموالي الفخام محمد عطاء الله أفندي (٥) المشهور بتفسيره زاده، حضر لدى مولانا الحاكم الشرعي -المومى لجنايه أعلاه - المندوب من طرف قدوة الأكاير والأعيان يوسف آغا (٦) بن محمد أفندي المتسلم بمدينة نابلس من طرف أمير الأمراء الكرام، كبير الكبراء الفخام، حضرة مولانا أرسلان باشا (٧) أمير الحج الشريف الشامي، والمتصرف بمدينة

(١) الشيخ حمدان بن حمدان بن جرار العرايبي، ورد في سجل محكمة نابلس ٢ أنه اشترى دارا في نابلس بمحلة الياسمين، ينظر: سجل محكمة نابلس ٢، حجة ٢، ١٧ جمادى الثانية ١١٠٠هـ / ١٦٨٩م / ٤/٨، ص ٣٧٨، حجة ١، ص ٤٠٤.

(٢) فخر أمثلة يوسف بك بن محمد، من اصحاب التيمارات في لواء نابلس، سجل محكمة نابلس ٢، ح ٢، جمادى الثاني ١٠٩٩هـ / ١٦٨٨م، ص ٢٣٥.

(٣) علي آغا بن مصطفى الجوريجي التميمي، كان له تيمار في قرية برقين الواقعة جنوب نابلس، ينظر: سجل محكمة نابلس ٢، ح ٣، ربيع الثاني ١٠٩٩هـ / ١٦٨٨م، ص ٢٠٢؛ ح ٤، ص ٢٥٢؛ ح ٣، ص ٢، جمادى الثاني ١٠٩٩هـ / ١٦٨٨م، ص ٢٣٧.

(٤) في سنة ١١٠٣هـ / ١٦٩١م، كان له تيمار قرية بروقن الواقعة جنوب نابلس، ينظر: سجل محكمة نابلس ٣، ح ٢، أواخر محرم ١١٠٣هـ / ٢٢/١٠/١٦٩١م، ص ١٩٣.

(٥) قاضي القدس الشريف وتوابعها، وينظر: سجل القدس ١٩٨، ح ١، ١٨ ذي القعدة ١١٠٨هـ / ٨/حزيران ١٦٩٧م، ص ١.

(٦) ورد ذكر يوسف آغا في سجل القدس ١٨٩ في حجة تسليم أرسلان باشا ما عليه من مستحقات لتجار القدس قبيل تسليمه الإمارة، ح ٢، ٣ جمادى الثانية ١٠٩٩هـ / ٤/٤/١٦٨٨م، ص ١١٠.

(٧) تولى إمارة الحج سنة ١١٠٩هـ / ١٦٩٧م، في حين تولى إمارة طرابلس أخيه قبالان باشا، ينظر: تاريخ الأمير حيدر الشهابي، ص ٧٤٥،

القدس الشريف وغزة ونابلس هو فخر الأعيان أيوب أغا بن مصطفى أغا وذكر لمولانا الحاكم الشرعي -المشار إليه- أن يوسف أغا المتسلم من قبل جنبابه أرسلان باشا الثابت وكالته شرعا في منازعته هو وقدوة الأمراء الكرام الأمير الشبلي بن الأمير ناصر المتصرف حالا بلواء اللجون بسبب قرية قباطية ، وطلب المندوب المذكور من الحاكم الشرعي أن يعين من طرفه من يكشف ويحرر على ذلك ، وسمع (سماع) الدعوى بخصوص ذلك ، فعين من جانبه للكشف ولسماع الدعوى بخصوص قرية قباطية فخر المدرسين الكرام مولانا صادق أحمد أفندي ، فتوجه لذلك بصحبة فخر أمثاله محمد بشه الجوقدار لفصل الدعوى بين الأمير الشبلي ويوسف أغا^(١) المتسلم المذكور ، فحصل الوقوف على قرية قباطية المذكورة بحضور يوسف أغا المتسلم وجمع كبير ، وجم غفير من الأكابر والأعيان ممن ستذكر أسماؤهم (اسماؤهم) بذيل ، عند ذلك طلب يوسف أغا من مولانا أحمد أفندي المعين في ذلك إحضار الأمير الشبلي المتصرف بلواء اللجون ليدعي عليه بسبب قرية قباطية ، فحصل الوقوف عليه ، فأجابه إلى مطلوبه ، وعين لإحضاره من جانبه محمد بشه الجوقدار إلى عند الأمير الشبلي وطلبه لسماع الدعوة الشرعية بسبب القرية المذكورة ، أجاب بالسمع والطاعة ، وأقام وكيل عنه كتخداة فخر الأماثل والأعيان سليمان أغا

(١) يوسف أغا بن محمد الشامية ، كان متسلما في لواء غزة سنة ١٠٩٨هـ/١٩٨٨م ، وكان له تيمار (اقطاع) قرية مغارة من أعمال جبل نابلس الشامي ، وكان تعرض لمحنة على يد علي أغا بن يوسف أغا كيوان الذي كان حاكما لنابلس وأمير الحج الشامي ، والذي اتهمه بسرقة بلاط السراي في نابلس لتعمير منزله ، وكان أجبر وجهاء نابلس بالشهادة زورا مهددهم بالقتل ، وعندما زال حكمه توجه من شهد لإلغاء ما كان شهد به ، ينظر : سجل محكمة نابلس ٢ ، ح ١ ، أواسط رمضا ١٠٩٧هـ/٨/١٦٨٦م ، ص ٤٥ ؛ سجل محكمة نابلس ٣ ، ح ٣ ، أوائل رجب ١١٠٢هـ/٣/١٦٩١م ، ص ١٢٣ . سجل محكمة نابلس ٣ ، أوائل ذي الحجة ١١٠٢هـ/٨/٢٦٦٩١م ، ص ١٧٨ .

بن داود^(١) وأرسله صحبة محمد بشه ، أدعى يوسف آغا المتسلم على سليمان آغا الوكيل عن قبل الأمير الشبلي الثابت وكالته عنه في خصوص ما سيأتي ذكره ، بشهادة كل واحد من محمد عنتر بن مقبل ، ويوسف بن شحادة الحاضرين بالمجلس الشرعي ، فقال المدعي المذكور في تقرير دعواه عليه : إن من الجاري في الخاص الشاهي بمدينة نابلس وفي تصرفه جميع قرية قباطية ، وما هولها من المزارع الواقعة بجبل (بالجبل) الشامي من أعمال مدينة نابلس ، بمقتضى ما بيده من صورة الأمر الشريف السلطاني والدفتر المنيف الخاقاني المؤرخة صورة الأمر الشريف بأوائل جمادى الأولى سنة ١٠٩٣هـ/١٦٨٢م^(٢) ، والحجج الشرعية المقيدة بيده الصادرة إحداهما (إحداها) لدى مولانا والي الدين أفندي بن محمد^(٣) خليفة الحكم العزيزي بالقدس الشريف مؤرخ ثامن جمادى الآخر سنة مائة وألف . والثانية : صادرة لدى مولانا زفر أفندي بن محمد خليفة الحكم العزيزي بالقدس سابقا مؤرخة بسادس ربيع الثاني سنة ١٠٩٣هـ/١٤/٤/١٦٨٢م ، والثانية (الثالثة) صادرة لدى مولانا إسماعيل أفندي خليفة الحكم العزيزي بمدينة نابلس سابقا مؤرخ في ثامن عشر شعبان سنة ١٠٩٣هـ/٢٢/٨/١٦٨٢م ، وأن الأمير الشبلي معارضه (يعارضه) في القرية المذكورة وفي متحصلاتها وسائر (سائر) عوايدها (عوائدها) المعتادة بغير وجه شرعي ، ويدعي بأن قرية قباطية وما هولها والمزارع واقعة بناحية الشفا من أعمال اللجون ، ويطالب موكله بعدم معارضته في القرية المذكورة و(في)

(١) سليمان آغا كان أمير الای السباهية في لواء اللجون سنة ١١٠٢هـ/١٦٩١م ، سجل محكمة نابلس

٣ ، ح ١ ، رجب ١١٠٢هـ // ٣١ / ٣ / ١٦٩١م ، ص ١١٩ .

(٢) هذا المرسوم السلطاني لم أجده في سجلات القدس ، أما سجلات نابلس فهي مفقودة في هذه السنوات ، لذلك تعذر علينا الوقوف عليها وتبيان مضمونها .

(٣) كان والي الدين نائبا في محكمة القدس والقاضي في حينه عبد الله أفندي بن حامد ، ينظر : سجل

القدس ١٩١ ، أواسط ربيع ثاني ١١٠٠هـ/٥ شباط ١٦٨٩م ، الجلد .

متحصلاتها وسائر (سائر) عوايدها (عوائدها) ، وطلب من القاضي سؤاله عن ذلك ، سيل (سؤل فأجاب بأن قرية قباطية واقعة بالجبل القبلي بناحية الشفا من أعمال اللجون وواضع يده عليها وعائدة (عائدة) بيده من مدة تزيد على مائة سنة سابقة على تاريخه ، وأن المدعي المذكور يدعي هذه قرية قباطية من أعمال جبل نابلس الشامي ، والحال أنها بناحية الشفا اللجون ، قرية قباطية جارية بخاص مير (أمير) لواء اللجون المذكور ، فلم يصدقه الأمير الشبلي على أن هذه قرية قباطية من أعمال جبل نابلس ، فأبرز من يده يوسف آغا الثلاث حجج المذكورة وصورة الأمر الشريف السلطاني والمنيف الخاقاني والحجج الشرعية ، فوجد من مضمونهم (مضمونها) بأن قرية قباطية واقعة بالجبل الشامي من أعمال جبل نابلس خاص شاهي ، وما هو بالأمر الشريف أنها ليس واقعة بالجبل القبلي من خاص مير (أمير) لواء اللجون ، ووجد حدها القبلي ينتهي إلى أرض تعرف بالملك ينتهي إلى هيش من أعمال جبل نابلس ، ووجد حدها الشرقي ينتهي إلى أرض قرية هناك من اللواء المذكور ، والحد الشمالي ينتهي إلى أرض قرية عرابة ، وتما قرية كفر قود من أعمال جبل نابلس ، ووجدت قرية قباطية وبانت هذه الحدود التي جميعها من الجبل الشامي من لواء نابلس بما فيها عوايدها (عوائدها) ومتحصلها أربعة عشر ألفا عن حصة إقطاع طراباي باثنى (باثنا) عشر قيراطا سوى ثلث المعز (الماعز) والنحل ، ومنها حصة الخاص الشاهي فهي اثنى (اثنا) عشر قيراطا عنها ، سوى ثلث المعز والنحل والعروس والبادهوا والرجالية وقدرها سبعة آلاف وتسعمائة جميعها للخاص الشاهي ، يكون جملة حصة الخاص همايوني من محصول القرية أربعة عشر ألف وتسعمائة وعشرون ، وأن حد أراضي جبل نابلس الشامي أراضي قرية بقرين وكفر قود وكفريت^(١) (كفيرت) المتصلة بعضها ببعض الواصلة بأراضي جنين وليست واقعة بالجبل القبلي من لواء اللجون ، وأنه كشف عليها سابقا وتبين أنها

(١) كفيرت : تقع بين قرية عرابة ويعبد ، وتبعد عن جنين ١٠ كم ، الدباغ ، بلادنا ، ج٣ ، ص ٨٣ .

من لواء نابلس للخاص همايوني ، وأن قرية قباطية تسير حد جبل نابلس الشامي المتصل بأرض جنين ، مسيرة ثلاث ساعات تقريبا ، وأن ناحية الشفا بلواء اللجون واقعة شمالي أراضي جنين مسيرة ساعتين تقريبا ، تقرر بوجه وكيل الأمير الشبلي فلم يصدق على صحة مضمونها ، فطلب الكشف قبل أن يكشف الباشا مضمون الحجج ، فأحضر كل من الشيخ حمدان بن جرار العرابي ، وأحمد آغا بن بيرام^(١) ، وداود آغا بن سليمان^(٢) ودرويش بن هندي شيخ قرية طولوزة وشهدوا بالإشهاد الشرعي بصحة مضمون الحجج الشرعية أعلاه وصدورها لدى الحكام ، واحدة صادرة لدى ولي الدين أفندي ، والثانية لدى سليمان أفندي ، والثالثة لدى زفر أفندي بن محمد ، شهادة صحيحة بوجه المدعى عليه ، فطلب شهادة مولانا القسام . . . الكشاف بأن القرية (قرية) قباطية خاص شاهي لأمير لواء نابلس واقعة بجبل نابلس الشامي وليس واقعة بالجبل القبلي بناحية الشفا من أعمال اللجون وأن أمرا (أمراء) نابلس كانوا واضعون أيديهم على القرية ومتصرفون في مزارعها ومتحصلها من قسمة ورسم وساير (سائر) عوايدها (عوائدها) ، إخبارا شرعيا على طريق الشهادة ، بحضور المدعى عليه المذكور ، فلم يصدق على ذلك نفيا شرعيا ، فلما ظهر لمولانا الحاكم الشرعي الكشاف - المومى إليه- واتضح وتبين ما هناك ، منع المدعى عليه وكيل الأمير الشبلي من التعرض للمدعي يوسف آغا وكيل حضرة أرسلان باشا بسبب ذلك بغير وجه شرعي ، وعرفه أن هذه قرية قباطية جارية بخاص (بالخاص) الشاهي بلواء نابلس ، وكانوا الحكام السابقين بلواء نابلس متصرفين فيها ويتناولون متحصلها ، وقرية قباطية من أعمال جبل نابلس بما هو لها من المزارع بموجب الحجج الشرعية

(١) أحمد بشه بيرام ورد ذكره شاهد في حجة ، سجل محكمة نابلس ٣ ، ١٥ شوال ١١٠٢هـ / ١٢ / ٧ / ١٦٩١م ، ص ١٧٠ .

(٢) سجل محكمة نابلس ٣ ، ح ٤ ، ١٥ شوال ١١٠٢هـ / ١٢ / ٧ / ١٦٩١م ، ص ١٦٦ ، ح ١ ، ١٥ شوال ١١٠٢هـ / ١٢ / ٧ / ١٦٩١م ، ص ١٦٩ .

والأمر الشريف الخاقاني ، وطلب عدم معارضة يوسف آغا وكيل حضر الباشا - المومى إليه - بسبب القرية ، وأبقى يوسف آغا على القرية متصرفا بها . . . عملا بالتمسكات الشرعية . . . تحريراً في أوائل ذي الحجة سنة ألف ومائة وثمانية^(١) .

خلاصة:

يستفاد مما ذكر أن جوهر المشكلة يكمن بالآلية التي اعتمدها الدولة العثمانية في التعامل مع هذه القرية من خلال جعل رسومها مستقلة عن غيرها من القرى والمزارع ، فمن جهة سمحت لحاكم اللجون بان يتناول ما خصص له من اقطاع بأرض القرية ، ومن جهة أخرى جعلت أمر الخاص الشاهي عرضة للتنافس بين نابلس واللجون ، ودليل ذلك ما ورد في دفتر نابلس ودفتر اللجون . هذا الأمر شجّع حكام الأولوية المجاورة لضمها والاستفادة من خيراتها سواء كانت تتصل معها جغرافياً أم لا ، فكل وال كان يرى في نفسه المكانة والقدرة على طلبها لا يتردد في ذلك سواء كان بالطرق القانونية من خلال الحصول على المراسيم السلطانية كما هو الحال في الحجة ١٠٥٣هـ/١٦٤٤م ، أو من خلال المراسيم السلطانية المقرونة بالتقارير الشرعية والشهادات الميدانية كما هو الحال في حجة (١١٠٠هـ/١٦٨٩م) ، وحجة (١١٠٨هـ/١٦٩٧م) .

كان عامل قوة الحكام أو ضعفهم هو عامل الحسم الرئيس في تبعية قباطية الإدارية ؛ للظفر برسومها لما تتمتع به من ملاءة مالية . فعندما كان الأمير فخر الدين المعني قوياً ويخضع الأمراء ويطاردهم طلب قرية قباطية - بشكل مباشر أو غير مباشر - من أمير اللجون أحمد بن طراباي ، وما أن استتب الأمر لأمير اللجون الحارثي حتى شرع في الحصول على البراءات السلطانية والوثائق القانونية التي تشهد له بأن قباطية تتبع لواء اللجون من دون غيره ، وعندما بدأ

(١) سجل القدس ١٩٨، ج٢، ١٢/١٠٨/١١٠٨هـ/٢١/٦/١٦٩٧م، ص ٢٥ .

نجم آل طراباى بالأفول برز دور حكام نابلس وحكامها في طلب القرية ، وقد تراوح الأمر بين شد وجزر تبعا للظروف الإدارية التي كان معمولا بها آن ذاك .
الهدف من دراسة هذا الموضوع ليس قرية قباطية بعينها ، بل من أجل أن تكون بادرة في دراسة هذه الحجج بشكل متميز يجعل من توظيفها أمرا يستحق منا العناية والتمحيص من خلال تحليل الحجج وربطها للخروج بمعلومة جديدة .



الزراعة في بيت لحم وقراها في القرن التاسع عشر الميلادي

إبراهيم أبو ارميس (*)

مقدمة

بيت لحم من أشهر المدن وأعرقها في التاريخ ، إلا أنها كانت وما تزال مدينة صغيرة المساحة . فقد قامت أساساً على مغارة الميلاد للسيد المسيح عليه السلام ، ودون كنيستها فلا مقومات لها ، إذ استمدت شهرتها من الكنيسة ، وحول الكنيسة تجمع سكانها .

تفتقر بيت لحم إلى المياه ، فلا وجود لينايع مياه فيها ، ولا يمر عبر أراضيها نهر ، أو جدول حيث اعتمدت على مياه الأمطار ، وما يجمعه الأهالي في آبار حفروها لحزن المياه لاستخدامها في الصيف ، كذلك على قناة صغيرة تجلب المياه من برك سليمان القريبة ، وعليه فقد كانت الزراعة فيها بعلية تقوم على موسم الأمطار ، وكان محصولها الرئيس محصول بعلي تمثل في أشجار الزيتون ، والتين ، وكروم العنب ، التي انتشرت على تلالها ، وشاهدها الرحالة والمستكشفون في فترات التاريخ المختلفة .

في هذا البحث نتحدث عن الزراعة في بيت لحم ، وقراها في القرن التاسع عشر ، وفيه نتناول الموقع الجغرافي والفلكي للمدينة ، حيث أنها تقوم على هضبتين مرتفعتين جنوبي القدس ، ثم نتحدث عن المشهد التاريخي للمدينة

(*) جامعة القدس المفتوحة ، فرع بيت لحم ، فلسطين .

في القرن التاسع عشر ، في الوقت الذي ضعفت فيه الدولة العثمانية ، وما آلت إليه أحوال الناس ومعاشاتهم ، وتدخل الدول الأوروبية في مقدراتهم ، ثم التقسيم الإداري لبيت لحم في العهد العثماني ، وتبعيتها للقدس من الناحية الإدارية ، كما نفرد عجالة حول تصنيف الأراضي ، وتملك الأجنب لها في بيت لحم . ثم نتحدث عن الحياة الزراعية في وصف مقارن كما شاهدها الرحالة الأجنب الذين زاروا المنطقة في أواخر القرن الثامن عشر ومطلع القرن التاسع عشر ، وعن انطباعاتهم حول غنى ، أو بؤس المنطقة .

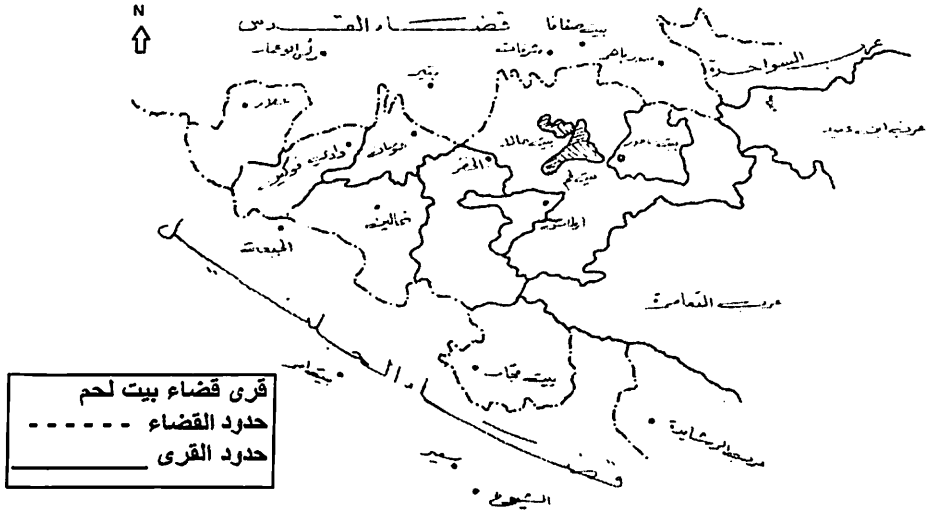
في جانب آخر نتحدث عن الزراعة من خلال القضايا ووثائق البيع التي قام عليها مجلس الشرع في القدس الشريف أواخر الدولة العثمانية ، حيث بينت نوعية الأراضي المزروعة المتداولة بين الناس ، ثم أوردنا قراءة حول الزراعة في قرى بيت لحم ، وهي ارطاس والخضر وبيت جالا وبيت ساحور ، والزراعات التي قامت فيها ، ونماذج على خراجها . كما تناولنا أهم المحاصيل التي أنتجتها القرى المذكورة وطرق تقسيم المياه وتوزيعها بين المزارعين ، ثم عرّجنا على مناظر الكروم في القرى والتلال المحيطة بالمدينة ، والحراسات على المنتج الزراعي في مواسم العنب ، حيث قضت العائلة موسم القطاف فيها ، وخارج منازلها ، وفي النهاية أوردنا نتائج هذه الدراسة وفق رؤية علمية موضوعية .

بيت لحم - الموقع الجغرافي والفلكي

تقع بيت لحم على هضبتين يصل ارتفاع أعلاها إلى ٧٥٠م فوق سطح البحر ، حيث تمتد الهضبة الأولى من الشرق إلى الغرب ، وتقع عليها كنيسة المهدي والبلدة القديمة ، أما الثانية فتمتد من الشمال إلى الجنوب حيث أقيمت بيت لحم الجديدة ، وهاتان الهضبتان جزء من سلسلة الجبال الفلسطينية الوسطى والجنوبية المحاذية للبحر الميت ونهر الأردن .

ومن الناحية الفلكية تقوم المنطقة على خط طول ٣٥،٢ ° وتقاطع مع دائرة عرض ٣١،٤٢ ° وتبعد عن القدس ١٠ كم إلى الجنوب ، وهي تتداخل مع

مدينة بيت جالا التي تبعد ٣ كم غرباً وبيت ساحور ٢ كم شرقاً ، أما حدود أراضي بيت لحم ، فمن الشرق تقع أراضي بيت ساحور ، ومن الغرب أراضي قرية بيت جالا ، ومن الشمال القدس ، وأراضي قرية صورباهر ، ومن الجنوب أراضي قرية ارطاس ، وقرى عرب التعمارة (١) .



مستوى سطح البحر ، ٤١

خريطة توضح قضاء بيت لحم وقراه ، كما أوردها الدباغ (٢)

تتكون أراضي المنطقة من تربة كلسية صخرية ، بجبال عريضة مدببة الرؤوس تفصلها وديان ، منها الواسع ، ومنها الضيق ، وهي منطقة فقيرة

(١) خليل شوكة ، تاريخ بيت لحم في العهد العثماني ١٥١٧-١٩١٧م ، بيت لحم ، ٢٠٠٠م ،

ص ١٤ ، وسيشار إليه عند وروده فيما بعد ، خليل شوكة ، تاريخ بيت لحم في العهد العثماني .

(٢) مصطفى مراد الدباغ ، بلادنا فلسطين ، عشرة أجزاء ، الجزء الثامن ، القسم الثاني في ديار بيت

القدس ، رابطة الجامعيين بمحافظة الخليل ، الطبعة الأولى ١٩٧٤م ، ص ٣٩١ . وسيشار إليه عند

وروده فيما بعد ، الدباغ ، بلادنا فلسطين .

باليونان ، وشتاؤها مبكر ، وأمطارها متأخرة تمتد حتى شهري شباط إلى نيسان^(١) مما جعل الزراعة فيها ممكنة ، ودون ذلك لا تشكل وحدة اقتصادية قائمة بذاتها ، فالمدينة عموماً اعتمدت على مياه الأمطار التي تجمع في آبار يستخدمها السكان لسد حاجاتهم ، حيث يذكر نعمان بن عبدة القساطلي (١٨٥٥-١٩٢٠م) في وصف أورده البخيت في دراسة حول المدينة ، أنه لا يوجد نبع ماء مطلقاً فيها ، والأهالي يشربون من ماء يصل إليهم بقناة من برك سليمان .^(٢)

إلا أن الزراعة في قرى بيت لحم - كما سيأتي لاحقاً- تشير إلى أن هناك مساحات ، وشعاب منبسطة بين الجبال أخذت شكل الأودية قامت فيها زراعات كالخضروات والحبوب في القرى الملحقة بالمدينة ، حيث اعتمدت على قنوات المياه والعيون التاريخية كقناة السبيل ، ومجمع برك سليمان ، وعين ارطاس ، وبتير ، وحيث مرت القنوات قام سكان القرى التي تمر منها باستغلالها في زراعاتهم .

التقسيم الإداري لبيت لحم أواخر العهد العثماني.

كانت بيت لحم تتبع لواء القدس ، وقد تذبذبت تبعية القدس للعاصمة استنبول حيث مرت الترتيبات الإدارية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر بعدة مراحل ، وفيها تم رفع لواء القدس إلى رتبة ولاية عام ١٨٥٤م وكانت بيت لحم تابعة لها ، فوضعت تحت إشراف الباب العالي مباشرة . حيث كان تقسيمها

(١) توما بنورة ، تاريخ بيت لحم ، بيت جالا ، بيت ساحور ، افراتا ، القدس مطبعة المعارف ١٩٨٢م ، ص

٣ . وسيشار إليه عند وروده فيما بعد ، توما بنوره ، تاريخ بيت لحم ، بيت جالا ، بيت ساحور .

(٢) محمد عدنان البخيت ، دراسات في تاريخ بلاد الشام (فلسطين) ، منشورات أمانة عمان الكبرى ،

عمان ، ٢٠٠٧م ، ص ٢٤١ . وسيشار إليه عند وروده فيما بعد ، محمد عدنان البخيت ، دراسات في

تاريخ بلاد الشام (فلسطين) .

الإداري هو جزء من التقسيم العام لبلاد الشام وفلسطين ، وهي لم تشكل وحدة إدارية قائمة بذاتها ، بل كانت وعبر التاريخ تابعة لوحدة أخرى وخاصة القدس ، وشملت قرى ارطاس ، والخضر ، وبيت جالا ، وبيت ساحور ، وبيت صفافا ، وصورباهر ، وفي ترتيب إداري آخر كانت قرى بيت صفافا وارطاس ، قد فصلت عن ناحية بيت لحم وضمت إلى ناحية أخرى سميت ناحية بني حسن ، التي شملت أيضا قرى الوجلة ، وبتير ، والمالحة ، وعين كارم (١) .

وعليه فقد كانت بيت لحم ناحية يديرها مدير يخضع لمسؤولية القائم مقام ، وكانت تتألف من عدة قرى في كل منها مختار أو أكثر يساعده وجهاء القرية ، وكانت تضم كل من قرى بيت جالا ، وبيت ساحور ، والخضر ، وارطاس ، وبتير (٢) ، ويعتبر المختار أعلى سلطة إدارية في القرية وهو منصب استحدثه قانون الولاية العثمانية الذي صدر عام ١٨٦٤م في عهد السلطان عبد العزيز الأول (١٨٣٠-١٨٧٦م) وما سبق نلاحظ ان التبعية الإدارية لقرى بيت لحم متغيرة ، وليست ثابتة ، وتماشى وفق معطيات ، ومتغيرات تحكمها الوقائع والمستجدات (٣) .

لقد خضعت بيت لحم للنظام الإداري العثماني مع قراها . واعتبرت من الأراضي الخراجية الميري ، وصنفت ضمن أراضي التيمار (٤) بالأراضي الخاصة

(١) زياد عبد العزيز المدني ، مدينة القدس وجوارها في أواخر العهد العثماني ١٢٤٦-١٣٣٦-١٨٣١-

١٩١٨م ، عمان ٢٠٠٤م ، ص ٣٣ . وسيشار إليه عند وروده فيما بعد ، المدني ، مدينة القدس .

(٢) توما بنوره ، تاريخ بيت لحم ، بيت جالا ، بيت ساحور ، ص ٧١ .

(٣) خليل شوكة ، تاريخ بيت لحم في العهد العثماني ، ص ٢٣٨ .

(٤) التيمار : ويعد أقل أو أصغر مستويات الإقطاع العثماني ، دخله السنوي يبلغ ما بين (٣٠٠٠-١٩,٩٩٩

أقجة) ، وقد يبلغ أو يصل إلى مستويات أدنى من ذلك ليصل دخل التيمار الواحد إلى (٢٠٠٠)

أقجة ، والتيمار يعني الأراضي التي تقتطع للجنود مقابل الخدمات التي يقدمونها للدولة . وتفيد

بعض المصادر التاريخية أن هذا النوع من الإقطاعات كان منتشراً في الدولة العثمانية بشكل =

الهمايونية (السلطانية) ، حيث خصصت عائداتها لخزينة الدولة^(١) أما بالنسبة لموقع أراضي بيت لحم ضمن التصنيف فكانت كالتالي :

الأراضي الأميرية : وهي جزء من أراضي قرية بيت جالا ، والجهة الشرقية من قرية الطور وقرية الخضر ، والجزء الغربي من قرية بيت لحم ، وكان للمالك حق التصرف فيها بيعاً وشراءً بعد صدور قانون الأراضي العثماني سنة ١٨٥٨م الخاص برعايا الدولة فقط ، ومثال ذلك حجة بيع تمثلت في قدوم المرأة هاتر بنت موسى العثماني من سكان القدس ، فقد حضرت إلى المجلس الشرعي ، وباعت ما هو جار بملكها وجار بمزارعتها جميع قطعة الأرض الأميرية الكائنة خارج سور القدس من أراضي بيت صفافا المسماة بحبايل صبحي^(٢) .

الأراضي المتروكة : وهي الأراضي المخصصة للمنفعة العامة وتقسم هذه الأراضي إلى قسمين ، القسم الأول ، الأراضي المتروكة لجميع الناس مثل الطرق ، والساحات العامة ، والقسم الثاني ، وهي الأراضي المخصصة لمنافع أهل القرى والمدن ، مثل المحتطبات والبيادر والمقابر ومنها بيادر الخضر في بيت لحم^(٣) .

الأراضي المحلولة : وهي الأراضي التي تعود رقبتهما إلى الدولة بعد وفاة

= كبير جداً ؛ كارل بروكلمان ، تاريخ الشعوب العربية ، ط ٥ ، نقله إلى العربية نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ١٩٦٨م ، ص ٤٥٨ ؛ أسد رستم ، الأصول العربية لتاريخ سوريا في عهد محمد علي ، منشورات كلية العلوم والآداب ، الجامعة الأمريكية بيروت ، لبنان ، ١٩٣٠م ، ص ٣٦ .

(١) زهير غنایم ، محمد المحافظة ، «الرسوم والضرائب على الأراضي الزراعية في فلسطين» ، المجلة الأردنية للتاريخ والآثار ، المجلد رقم ٣ ، العدد ٣ ، ٢٠٠٩م ، ص ٧٧ . وسيشار إليه عند وروده فيما بعد ، زهير غنایم ، محمد المحافظة ، «الرسوم والضرائب على الأراضي الزراعية في فلسطين» .

(٢) المدني ، مدينة القدس ، ص ١٠٥-١٠٦ .

(٣) المرجع نفسه ، ص ١٠٧ .

المتصرفين بها وتركها دون زراعة مدة ثلاثة سنوات مثل أراضي قبة راحيل قرب قرية بيت لحم ، وقد شملت أراضي الملك أشكالا أخرى مثل ، الحواكير ، كحاكورة الخضر في بيت لحم المزروعة بأشجار الزيتون والتين وحاكورة ميلوني أندريان اللاتيني في حارة الحريزات في بيت لحم^(١) والحاكورة الصغيرة التي تحتوي أشجاراً مختلفة الثمار الواقعة داخل دار يوحنا موشولايم Meshullam في اراطاس^(٢) كما شملت البساتين ، وهي الأراضي المزروعة بالأشجار المثمرة وتسقى من العيون بواسطة قنوات خاصة مثل بستان احمد بن إسماعيل أسعد في قرية اراطاس مع ستة بساتين أخرى في القرية تشمل أشجاراً متنوعة^(٣) ثم هناك الموارس ، ومثالها أشجار ستة موارس اشتراها أنطون جريس مرقص اللاتيني من جون يوحنا في قرية اراطاس.^(٤)

بناءً على ما سبق يرى الباحث أن التنظيم شمل احتياجات الناس العامة ، التي تقوم مصلحة التجمع السكاني عموماً عليها كترك أراضي الطرق والساحات العامة وأراضي المحتطبات والبيادر والمقابر ضمن ملكية الدولة ، وذلك لإيقاف الاحتكار ، أو الاقتتال ، أو الخلاف ، فالطريق والمقبرة للجميع وأراضي الغابة والمحتطب للجميع ، كذلك البيدر عند الحصاد فهو للعامة ، لا يتحكم فيه شخص بعينه ، ولا يقدم عند استخدامه اجراً أو ثمناً ، ومنها كانت بيادر قرية الخضر . ثم هناك الأراضي المحلولة كقبة راحيل ، فعند موت صاحبها ، وحتى لا

(١) المدني ، مدينة القدس ، ص ١٠٦-١١٢ .

(٢) سجلات محكمة القدس الشرعية ، سجل رقم ٣٥٦ ص ٦ ، ١٥ ذي القعدة ١٢٨٥-١٨ ذي الحجة ١٢٨٦ / الموافق ٢٦/فبراير ١٨٦٩-٢٠ مارس ١٨٧٠م مؤسسة إحياء التراث والبحوث الإسلامية ، القدس ، وسيشار إليه عند وروده فيما بعد ، س ، ش ، س .

(٣) المدني ، مدينة القدس ، ص ١١٣ .

(٤) س ، ش ، س رقم ٣٥٦ ص ٦ . ١٥ ذي القعدة ١٢٨٥-١٨ ذي الحجة ١٢٨٦ / الموافق ٢٦ فبراير

١٨٦٩-٢٠ مارس ١٨٧٠م

يقع الصراع عليها فان ملكيتها تعود للدولة .
إن هذا التنظيم الدقيق أسهم في معرفة الحقوق والواجبات ، وحدود الملكية مستقبلا لدى سكان المنطقة ، واسهم في وقف النزاعات على الأرض ، حيث استمر الأمر إلى أن صدر قانون الأراضي ، وسمح للمتفعين منها بالبيع ، والشراء ضمن عقود وتسجيلات خاصة في الدوائر الحكومية .

بيت لحم وقراها في أواخر القرن الثامن عشر والقرن التاسع عشر

لقد تراجعت مكانة الدولة العثمانية في أواخر القرن السابع عشر ، أمام الدول الأوروبية التي تطورت لديها وسائل إنتاج حديثة ، ومن ثم تحولت الى دول استعمارية تمتلك القوة والقدرة ، على مهاجمة ولايات وأقاليم الدولة المذكورة في محاولات متتابة لاستعمارها ، حيث عانى رعايا الدولة وخاصة الفلاح^(١) فقد انعكس الأمر عليه بالدرجة الأولى ، وانتقل من دور المساند للدولة ، والمحارب عنها إلى الهارب من الخدمة العسكرية والمعادي للنظام .

في المشهد التاريخي هاجمت الدول الاستعمارية الولايات العربية في الدولة العثمانية^(٢) ، وفصلت أجزاءها وهددت مركز الدولة نفسه ، كما ثارت القلاقل في الداخل ، واشتعلت الحروب الأهلية ، وكان لبيت لحم نصيب من هذه الحروب ، حيث اقتتل أهالي المنطقة في ظاهرة عرفت بحروب القيس واليمن ، وشملت تلك الخلافات والمعارك معظم أنحاء القدس^(٣) في صراع على

(١) فلاديمير لوتسكي ، تاريخ الأقطار العربية الحديث ، ترجمة ، عفيفة البستاني ، بيروت ١٩٨٠ م . ص ٢٧ . وسيشار إليه عند وروده فيما بعد ، فلاديمير لوتسكي ، تاريخ الأقطار العربية الحديث .

(٢) إميل توما ، تاريخ مسيرة الشعوب العربية الحديث ، منشورات صلاح الدين ، القدس ١٩٧٩ م ، ص ٣٠-٣٤ . وسيشار إليه عند وروده فيما بعد ، إميل توما ، تاريخ مسيرة الشعوب العربية الحديث .

(٣) خليل شوكة ، تاريخ بيت لحم في العهد العثماني ، ص ٢٤٥-٢٤٦ .

السلطة والمكانة لدى شيوخ النواحي والقبائل ، فقتل الكثير وهجرت بعض القرى كقرية فاغور جنوب بيت لحم^(١) ، وقرية ارطاس حيث قالت Hilma Granqvist أن الأهالي قد هجروا القرية مرتين ، نتيجة الصراع مع القرى الأخرى ، إحداها أواخر القرن الثامن عشر ، وتلاها هروب مؤقت ، حيث استقر السكان في مجموعات عشائرية في القرى المجاورة^(٢) ، وقال Baldensperger عن والده الذي زار القرية عام ١٨٤٨م أن إحدى صراعات أهالي القرية مع عرب التعمارة كانت قائمة ، وان عائلات ارطاس على خلاف ، إلا أنها عاشت معا في قلعة البرك ، حيث ينزلون إلى البلد فقط أثناء النهار للاعتناء ببساتينهم ، وينسحبون إلى قلعتهم عند غروب الشمس خوفاً من جيرانهم بدو التعمارة^(٣) . وتطلعنا وثائق دير اللاتين نقلاً عن الباحث خليل شوكة حول النزاعات بين أهالي بيت لحم أنفسهم وطرق حل المشاكل من قبل الشيوخ ومثالها «انه يوم تاريخه أدناه ٢٦ كانون ثاني ١٨٥٩م حصلت مشاجرة فيما بين ابراهيم الحريزي وولده موسى ، وبين عيلة الحزين في بيت لحم ، وذلك على دعوة تينات وتقطيع شجر الزيتون للمذكورين في وادي الحريزات واتهمت عيلة الحزين ، ولما كان هناك شروط وقوانين ما بين اهالي بيت لحم على جميع حوادث الخراب والفساد وتقطيع الشجر حضر المشايخ والعراف لعند الضابطان في بيت لحم وهما يوسف آغا وحمزة آغا ، وحضر النظار والمشايخ صبح شوكة وسالم شختور وحسن الرأي عند الضباط وان تجري القوانين المقررة بين اهالي بيت لحم حيث انتخبت لجنة

(١) خليل شوكة ، قرية فاغور وحرارة الفواغره ، في بيت لحم ، بيت لحم ، ٢٠٠٩م ، ص ١٤٢ . وسيشار إليه عند وروده فيما بعد ، خليل شوكة ، قرية فاغور .

(2) Karen Seger, *Portrait of a Palestinian Village. The Photographs of Hilma Granqvist*. London, 1981, p. 18.

(3) Phillip Baldensperger, *The Immovable East. Studies of the People and Customs of Palestine*. London, 1913, p. 111.

لذلك ، وهم صبح شوكة وسالم شختور وعيسى البندك وابراهيم حزبون وحننا سرية ومبارك أبو خليل ووكلوا في حظهم وفي مال عيالهم بأن يحكموا بموجب الشروط ، وعندما سئل ابراهيم الحريزي وولده عن ذلك فأقرا أنهما برضاهما ومن دون اكراه قابلين ما تقرر أعلاه ، وسئل عيسى الحزين عن المحرر أعلاه فأقروا برضاهم ومن دون اكراه انهم قابلين ما تقرر أعلاه . وثبت عرض النظار والضباط على الطرفين وبموجب ذلك ، قد تحرر هذا الصك اثبات لما جرى لوقت الحاجة واللزوم وصار الذي يثبت الحق له يتسلم السند . أما الشرط الذي وضعته اللجنة فكان ان الحكم الذي يجري العمل به والذي يختلف عن الحق الذي يحكمون به ان كان ابراهيم الحريزي وولده يكون شجره ضايح وحقه ساقط عن عيلة الحزين وان كان عيسى الحزين وقراييه يختلفون عن الحق الذي يحكمون به ، يكون شجر ابراهيم الحريزي وولده ثابت عند المذكور وقريبه»^(١) . وفي عام ١٩٠٧م كانت الأرض جافة وجرءاء من المزروعات . وحصل قتال بين التعمارة وعائلة البندك ودام أكثر من سنتين ثم امتد النزاع الى حارة العناترة ، وقطعت أشجار الزيتون ، والعنب والتين ، واستغرق ذلك وقتاً الى ان حل الصلح^(٢) . وقد استمر الوضع بتعقيداته حتى نهاية العقد الثاني من القرن العشرين ، ليفيق السكان بعدها على اصوات الجحافل البريطانية التي اجتاحت البلاد ، ثم لتبدأ مرحلة جديدة من الصراع ضد الاستعمار والاحتلال الذي استمر حتى يومنا هذا .

لقد كان لمشاكل الملكية والضرائب والآفات الزراعية والجفاف ، أثرها المدمر على الفلاح المحلي في القدس والقرى المجاورة . فقد ذكر المدني نقلاً عن السجل الشرعي عدة حجج يشكو أصحابها من قلة الإنتاج بسبب تفتيت الملكية الزراعية ، وكذلك ارتفاع ضريبة الويركو والعشر على الإنتاج الزراعي ، ثم

(١) خليل شوكة ، تاريخ بيت لحم في العهد العثماني ، ص ٢١٦ .

(٢) المرجع نفسه ، ص ٢٧٨ .

مشكلة الآفات الزراعية التي ألحقت أضراراً بالمرزوعات ، فقد ذكرت جريدة البشير الصادرة في بيروت أن أسراب الجراد قد هاجمت المرزوعات وألحقت أضراراً بها عام ١٨٧٨ م ، كما كان للجفاف أثر في الإنتاج الزراعي عام ١٨٧٧ م إذ شحت الأمطار مما أثر في الإنتاج ، وأدى إلى ارتفاع الأسعار^(١) .

«ففي ايار عام ١٩٠٦ م حدث هطول أمطار قوي ورياح شديدة وبرد وثلج عظيم جدا وكان حجم البرد مثل حبة الرصاص وخربت جميع الثمار الصيفية في بيت لحم»^(٢) .

عند مطلع القرن التاسع عشر عمت الفوضى المنطقة ، وانعكس ذلك على أداء الفلاح الفلسطيني عموماً ، ولما كانت بيت لحم جزء من النسيج العام فقد تأثرت المدينة وقرائها ، حيث تعرض الفلاح للابتزاز من قبل الملتزمين ومحصلي الضرائب ، وتعديات البدو والاعتداء على الزروع في الثارات الداخلية ، مما حمل الفلاح على إهمال أرضه والتهرب من واجباته العسكرية والمدنية ، إذ أوردت بعض الوثائق حال الفلاح في بيت لحم ، كالمراسلة بين سليمان سمور احد فلاحي القرية ، والسيد عبد اللطيف الحسيني نقيب الأشراف في القدس ، التي يقول فيها أنه زرع أرضه دخاناً ذلك العام ، كما طلب منه النقيب ، لكنه الآن يخاف سطوة أحد المتنفذين المحليين وكنيته (أبو أحبل) لذا فانه يبعث برسالة إلى النقيب ، ويرجوه فيها أن يطلب من السوباشي (قائد الشرطة) في القدس ومن شيخ الناحية علي شوكة أن يقوموا بحمايته وحماية زرعته من سطوة ابو أحبل المذكور^(٣) . وهذا المثال ليس للتعميم انما هو نموذج من كثير ، يعكس حالة

(١) المدني ، مدينة القدس ، ص ١٣٥ .

(٢) خليل شوكة ، تاريخ بيت لحم في العهد العثماني ، ص ٢٧٨ .

(٣) عادل مناع ، لواء القدس في أواسط العهد العثماني : الإدارة والمجتمع منذ أواسط القرن الثامن عشر

حتى حملة محمد علي باشا سنة ١٨٣١ م ، ط ١ ، بيروت ٢٠٠٨ م ، ص ٢٥٢ . وسيشار إليه عند

وروده فيما بعد ، عادل مناع ، لواء القدس في أواسط العهد العثماني .

الفوضى وقلة الأمن في المنطقة .

رافق الحالة السابقة حاجة الدولة الملحة للمال من أجل دعم المجهود الحربي في البلقان ، ومواجهة الدول الغربية ، وإسكات الثورات في الداخل ، مما حدا بها إلى فرض ضرائب جديدة واستبدال ما تجنيه من حبوب بالعملية نقداً^(١) فضلاً عن آثار حركة إبراهيم باشا واحتلال المنطقة وتهجير نصف القرى .

على وقع تلك الأحداث ظهرت بيت لحم وقراها في حالة يرثى لها من ناحية الإنتاج الزراعي ، وظهر الفلاح المحلي في أدنى درجات الفقر والعوز والجهل مما مهد الطريق لتسلل الملاكين الأجانب إلى المنطقة حيث استولوا على قطع أراض وبيوتات ومزارع في مركز المدينة وضواحيها ، بالإضافة إلى سيطرة العائلات الغنية على القسم الأعظم من أراضي صغار الفلاحين .

إلا أن هذا لم يمنع وجود زراعات محلية تسد رمق الفلاح والقروي حاله كحال بقية الفلاحين في مناطق فلسطين جميعها .

تملك الأجانب في بيت لحم وقراها

لقد سمح العثمانيون لغير رعايا الدولة بالتملك في حدودها بموجب قانون تملك الأجانب الصادر عن الباب العالي سنة ١٨٦٧م ، حيث اشترى عدد من الأجانب قطع أراض في منطقة بيت لحم ، منهم الفرنسي فيلاسكي أنطون الذي اشترى قطعة أرض في بيت لحم تسمى قناطر الدهيشة^(٢) ، واشترى الانجليزي توماس كوك قطعة أرض في بيت لحم ، وامتلك جون يوحنا لازاليان

(١) روز ماري صايغ ، الفلاحون الفلسطينيون من الاقتلاع إلى الثورة ، ترجمة خالد عايد ، منشورات

صلاح الدين القدس ١٩٨٣م ، ص ٣٣ . وسيشار إليه عند وروده فيما بعد ، روز ماري صايغ ،

الفلاحون الفلسطينيون .

(٢) المدني ، مدينة القدس ، ص ١٢٠ .

قطعة ارض في قرية ارتاس^(١) وفي عام ١٨٥٨م وقبل صدور القرار زار الأمير الفرد ابن ملكة بريطانيا فكتوريا ارتاس ، واشترى بضعة فدادين من الأرض إلى الجنوب من القرية على سفح جبل يدعى ابو زيد . زرعت بكروم العنب وأشجار اللوز ، وذلك بواسطة السيد موشولايم احد رعايا الدولة ، وهو يهودي اعتنق المسيحية ، حيث سجلت الأرض باسم الأخير ، وبقيت تحت إشرافه ولعدة سنوات ، وفي أشهر الصيف كان السيد فين Finn القنصل البريطاني في القدس يأتي إلى ارتاس مع عائلته لقضاء بضعة أيام هناك . حيث عمل على إضافة مسافة كيلومتر من البساتين التي بفضلها أصبحت شهرة ارتاس بالفواكه والخضروات واسعة الانتشار^(٢) كما اشترى الخواجا جون يوحنا موشولايم ، والسنيور صابات فين زوجة مستر جيمس فين كومسلوس من إبراهيم غانم شختور ، وغيرهم جميع الأراضي الواقعة بوادي ارتاس المعروفة بأرض المراعشه . وكان موشولايم قد زرع موارسه السبعة بالأشجار المختلفة الأثمار وحدد كل مارس . كما اشترى المذكور من محمد القرنة ، وحسن القرنة من عائلة المحاربة من عرب التعامرة القاطنين قرب بيت لحم جميع مارس الأرض بوعره جسر القرنة ، وأنشأ في الأرض أشجاراً مختلفة الثمار مستقلة ، وأحدث فيها داراً مشتملة على خمس غرف وبئر ماء^(٣) و يذكر ان موشولايم كان له متجر في القدس لبيع الفواكه والخضار حيث أضاف العديد من الفواكه والخضروات التي لم يتم زراعتها من قبل في الشرق والتي تنمو بشكل جيد وخصوصاً البذور الجديدة التي أحضرت من أمريكا^(٤) كما اشترى المستر فين القنصل الانجليزي

(١) المدني ، مدينة القدس ، ص ١٢٢ .

(2) Baldensperger, op. cit., p. 113.

(٣) خليل شوكة ، قرية فاغور ، ص ١٢٠-١٢١ .

(4) Mary Elisa Rogers, *Domestic Life in Palestine*. Cincinnati, 1865, p. 72.

في القدس أراضي قرية فاغور المهجرة عام ١٨٥٠م^(١) كما اشترى استر بادي من محمد أحمد صالح ريان من قرية لفتا ٦ قراريط أرض (قراح) خارج سور القدس مقابل القلعة الثانية (قلعة البرك أو قلعة مراد) بمبلغ ٦٠ ليرة ذهباً فرنسياً^(٢) حيث قام هؤلاء بإدخال زراعات جديدة وتحسين انماطها كما سيأتي لاحقاً في زراعة القرن التاسع عشر .

زراعة القرن التاسع عشر في بيت لحم في أقوال الرحالة

كانت القدس ومحيطها محط أنظار الرحالة على مر العصور ، فقد زارها العشرات من العرب والأجانب في جميع المراحل وعبر فترات التاريخ المختلفة ، وكتبوا ما شاهدوه سلباً وإيجاباً ، فمنهم من كان موضوعياً في تسجيله ومنهم من صدر عن خلفية مهتد لأحداث مستقبلية ، كان لها أثر مدمر على المنطقة ، ومنهم من جاء للعبادة أو النزهة .

نقلا عن الباحث خليل شوكة زار بيت لحم الرحالة الايطالي جيوفاني ماريتي Mariti خلال الفترة ما بين ١٧٦٠-١٧٦٧ في النصف الثاني من القرن الثامن عشر ، حيث سافر لوحده وشاهد الحقول المزروعة بالحنطة والشعير والجبال المحيطة ببيت لحم ، وقال أنها مزروعة بأشجار العنب وأشجار الزيتون والتين^(٣) كما ذكر شوكة الرحالة بكونت م فولني Volney في منتصف الثمانينات من القرن الثامن عشر ، الذي قال أن التربة فيها من الأجود في كل هذه المناطق ، فزراعة العنب والفواكه والزيتون وحتى السمسم تنجح بسهولة ، كذلك الرحالة براون Brown الانجليزي الذي تحدث عن أشجار الزيتون والعنب والتين ، وأن

(1) Rogers, op. cit., p. 72.

(٢) المدني ، مدينة القدس ، ص١٣٢ .

(٣) خليل شوكة ، تاريخ بيت لحم في العهد العثماني ، ص١١٢ .

اشجار الزيتون تقل في العدد بسبب استخدامات الفلاحين لها ، اما ثأراً أو انتقاماً من بعضهم بعضاً . (١)

ومن الرحالة الذين زاروا الأراضي المقدسة عام ١٨٠٦م الفرنسي شاتوبريان Chateaubriand ، ولم ير أثناء رحلته إلى بيت لحم خصب الأرض التي تحدث عنها الآخرون ، ويعتقد شاتوبريان انه في السنوات القادمة تحت الحكم التركي ستتحول الأراضي إلى أراض صحراوية ، ومن فوق سطح الدير استطاع أن يميز طبوغرافية القرية والتي تقع على تله تطل على واد طويل متجه من الشرق إلى الغرب ، وان التلة الجنوبية مزروعة ومغطاة بأشجار الزيتون وترتبتها حمراء وبها أحجار ، أما التلة الشمالية فترتبتها مشابهة وفيها أشجار تين (٢) . وزارها وليم تيرنر الانجليزي Turner وقال إن الوديان التي تحيط بها غير مزروعة نظراً للأوضاع في تلك الفترة (٣) وفي المقابل تحدث الرحالة الانجليزي باكنجهام Buckingham الذي زار فلسطين ١٨١٦م عن الوديان الخصبه المزروعة جيداً وأن زراعتها أفضل من التلال المحيطة بالقدس ، وأن بيت لحم تقع على سفح تلة من الجهة الشمالية الشرقية (٤) .

كذلك أورد الباحث خليل شوكة موجزاً حول زيارة كاثرين توبن Tobin التي قدمت إلى بيت لحم وارطاس ، ومكثت عند مستر موشولايم اليهودي الذي تنصر

(١) خليل شوكة ، تاريخ بيت لحم في العهد العثماني ، ص ١١٥-١١٤ .

(2) François-Réne de Chateaubriand, *Travels in Greece, Palestine, Egypt and Barbary during the years 1806 and 1807*. Translated from French by Frederic Shoberl, 2nd ed. London, 1812, vol. I, p. 385.

(3) William Turner, *Journal of a Tour in the Levant*. London, 1880, vol. 2, p. 246.

(4) James Buckingham, *Travels in Palestine Through the Countries Bashan and Gilead East of the River Jordan*. London, 1821, p. 222.

كما سبق ذكره وهو الإنجليزي الجنسية ، حيث نقلت على لسانه انه يدفع أجراً للعرب مقابل عملهم ويعمل على رفع مستوى معيشتهم ، ونظامه الزراعي جيد ، وذلك لتوفر المياه قرب حقوله ، حيث يزرع الفاصولياء والبازيلاء والقرنبيط^(١) . أما إدوارد ربنسون Robinson الذي زارا بيت لحم عام ١٨٣٨م ، وقال أن بيت لحم تكثر فيها أشجار العنب والتين التي تحيط بها ، وان ذلك يدل على اقتصادها الجيد ، وان بيوتها مبنية بمتانة وان حقولها المزروعة تنتج القمح رغم وعورة الأرض ويعمل السكان بالإضافة إلى الزراعة في صنع المسابح والصلبان ونماذج الكنائس وأشياء أخرى من خشب الزيتون ، ومن شجر النخيل ويشكلون من الصدف نماذج دينية بمهارة فائقة وصناعة مميزة^(٢) . أيضا يصف بيت جالا ويقول أن تلالها مغطاة بكروم العنب ، وبساتين الزيتون وأشجار التين^(٣) .

إلا أنه وفي المقابل يورد بنورة في كتابه وصفاً لسائحة نمساوية تدعى ايدا بفايفر Ida Pfeifer زارت بيت لحم في ٢ حزيران ١٨٤٢م تقول أنه أينما وقع بصرك ، وفي كل اتجاه ترى صخوراً جرداء وأرضاً قاحلة تتخللها أشجار الفواكه من كل نوع ، فالكرمة الممدودة فوق الأرض والحقول المزروعة بالحبوب ، ينمو زرعها ببطء بين الحجارة ، ولا يمكن للمرء أن يتصور أن هذه البقاع والجبال كانت يوماً مثمرة جميلة^(٤) .

أما الأب جوزيف اريزو Ariso فزارها عام ١٨٤٨م ، وكتب عن حادثة أثناء وجوده ، حيث تشاجرت بعض العائلات بسبب مياه القناة ، ووصلت الأمور إلى حد رفع السكاكين ، ولولا وصول الأب كلاودو الاسباني الذي هدأ الأمور ،

(١) خليل شوكة ، تاريخ بيت لحم في العهد العثماني ، ص ١٥٤ .

(2) Edward Robinson and Eli Smith, *Biblical Researches in Palestine, Mount Sinai and Arabia Petrae. A Journal of Travels in the Year 1838*. London, 1841, p. 161.

(3) Ibid., p. 325.

(٤) توما بنوره ، تاريخ بيت لحم ، بيت جالا ، بيت ساحور ، ص ٦٩-٧٠ .

حيث قال أن المسؤول العثماني صرخ بأعلى صوته ، انا المسؤول هنا عن الأمن فرد عليه الأب إذن أنت المسؤول عن كل ما حدث في هذا الموقع ، وسأشهد عليك وأهل البلد الحاضرين هنا ، فحين سمع العثماني هذا الكلام ، تراجع وانسحب من الموقع ، وحلت الأمور ، وأصلح الطرفان ، ويقول ان هذا هو الواقع في ظل الحكومة العثمانية ، اذ انه وبسبب الحروب والاقبتال بين الأهالي ورجال الحكومة والجيش ، دمرت العديد من الأراضي بسبب جشعهم وفرضهم الأتاوات ، والضرائب العالية بالرغم من أن السكان يعتاشون أساساً من الزراعة ومن المحاصيل كالعنب ، والتين ، والزيتون ، بالإضافة إلى صناعة المسابح ، والصلبان الخشبية ، والصدفية التي يبيعونها إلى الزوار ، والحجاج (١) .

كذلك زار سنيرسوهن Sneersohn الأراضي المقدسة بين عامي ١٨٦٤-١٨٧٣م وتحديث في كتابه عن هجوم الجراد على القدس ومناطق فلسطين ، حيث يقول انه مر أسبوعان على تكاثر الجراد بدءاً من الشمال ، حيث لم يبق لا رزق ولا عشب اخضر ، إذ أصبحت الأرض جرداء ، ويقول ، أن منظر الأرض والأشجار من جبل الزيتون ، كان محزناً ولمدة ثمانية ايام ، استمر هجوم الجراد ، وكان هناك عدة أنواع منه ، وخاصة نوع أطلق عليه اسمه (زومب) الذي دمر مناطق الشمال والجليل ، ومنظر الجراد مخيف وحجمه بحجم العصفور ، واختتم رسالته بتوقيعه وذلك في تموز عام ١٨٦٥م (٢) .

يضيف خليل شوكة ان القنصل الانجليزي Finn العامل في القدس بين الأعوام ١٨٤٥م إلى ١٨٦٣م يخبر عن زيارة قام بها إلى بيت لحم حيث التقى هناك في الساحة المربعة أمام الكنيسة والأديرة مجموعة من الناس ، وانه شاهد الشيخ صبح شوكة احد شيوخ بيت لحم المسلمين مع مجموعة من رجاله يحيطون به وهو متكئ إلى الحائط ، ويقول انه تربطه بالشيخ صبح علاقة جيدة

(١) خليل شوكة ، تاريخ بيت لحم في العهد العثماني ، ص ١٥٧ .

(٢) المرجع نفسه ، ص ١٦٥ .

ومعرفة تتعلق بأمور بيت لحم ، ويقول : كان هناك توتر في الموقع حيث قيل له أن جماعة صافي الزير من التعامرة بعد ان رفض أهالي بيت لحم وشيوخها دفع مبلغ من المال والهدايا السنوية التي كانت تعطى كابتزاز ، قام هو ورجاله بتحطيم أحد الكروم المزروعة وتخريبها بواسطة أحصنتهم ، حيث توجه إليه بعض الأهالي بخصوص صافي الزير ، ونصحهم بالتوجه إلى القنصل الفرنسي والنمساوي ، لان ذلك ضمن صلاحياتهما ، وذكر عن حادثة تعرضت فيها مزروعات واغراس كل من إبراهيم الأعمى وسليمان داود وجريس سلمان إلى الخراب والتدمير من قبل احمد ولد الشيخ سالم شختور ، ذو التصرفات المتهورة ، وان الشيخ سالم كثيراً ما كان يتعدى على أراضي ويمتلكات السكان والاديرة^(١) .

وتذكر ماري اليزا Mary Elisa Rogers أن أهل بيت لحم يفلحون حقولهم ويعتنون بحدائقهم ويرسلون كميات كبيرة من منتجات الخضار والفواكه إلى القدس كل يوم^(٢) .

كما سبق يمكننا استنتاج أربعة مشاهد لمدينة بيت لحم في تلك الفترة :
المشهد الأول : وهو مشهد اعتمد الزراعة البعلية ، حيث انتشرت فيه أشجار الزيتون والتين حول المدينة ، ثم كروم العنب ، ومسطحات القمح والشعير على المدرجات الجبلية ، وبعض أشجار الفاكهة التي تخللت الكروم . وهو مشهد عبر عنه رحالة القرن الثامن عشر ، وعلى الأغلب فإن حالة الهدوء واستتباب الأمن كان لها الدور الرئيس في ذلك .

المشهد الثاني : وفيه وصف للمدينة مع مطلع القرن التاسع عشر ، تتناقض فيه الروايات فبعضها يصف حالة من التصحر يصحبها شح في الزراعة ، وبعضها يشير إلى انتشار واسع لكروم الزيتون ، وربما عاد الأمر إلى عوامل تحول

(١) خليل شوكة ، تاريخ بيت لحم في العهد العثماني ، ص ١٦٧ .

(2) Rogers, op. cit., p. 60.

في المنطقة ، أثرت في رؤية الرحالة للواقع .

المشهد الثالث : يتحول المشهد إلى حالة من القتامة ، ويزداد الأمر سوءاً مع تقدم السنين ، حيث نشاهد الصراع على الماء ، وأنواع من الجراد تغزو القرى ، وكذلك تكثر تعدييات البدو على الأهالي بالإضافة الى ضعف السلطة الذي مثلته حالة الجندي الذي لم يستطع إيقاف مشاجرة . مما أدى بالناس إلى الاتجاه نحو قناصل الدول الاجنبية .

المشهد الرابع : وهو مشهد يتخلل المشاهد السابقة ، يشير الى حالة متفردة من الزراعة المتقدمة المعتمدة على الري في اوطاس ، حيث بساتين الأجنبية موشولاي ، التي تنتشر فيها زراعات الفاصولياء ، والبازيلاء ، والقرنبيط .

اعتماداً على ما سبق يتضح أن الزراعة في بيت لحم كانت متواضعة من الناحية التقنية فقد اعتمدت على الزراعة البعلية ، وانتظار موسم الأمطار لتنمو المزروعات السالفة في الصيف حيث شاهدها الرحالة ومن الممكن أن رواياتهم قد بنيت على توجهات سياسية معينة ولكن الأمر لا يغير الواقع كثيراً ، فهذا هو مشهد بيت لحم حتى اليوم وطبيعة المنطقة بجبالها ووديانها تفرض هذا النمط . اذ ما زالت أنواع معينة من الخضار كالقرنبيط ، والفاصولياء ، وغيرها تزرع في منطقة اوطاس اعتماداً على عيون وتجمعات المياه فيها ، بالإضافة الى كروم الزيتون المتناثرة على المدرجات في منطقة بيت لحم وبيت جالا ، ولم يحاول السكان تطوير أنماط زراعية حديثة أو استحداث زراعات جديدة ، نظراً لضيق المسطح العام للمنطقة وتطورها العمراني الذي قضى على المساحات الزراعية .

فالمدينة وقرها لا تملك سهولا واسعة ، أو أراض مترامية الأطراف يمكن استثمارها في زراعات واسعة ، سواء كانت أفقية أو عمودية . انما هي زراعات أقرب الى المنزلية منها الى شيء آخر . لهذا كان المشهد الزراعي القديم مشهد واقعي وحقيقي .

صورة الزراعة في أراضي بيت لحم

هناك عدد من الوثائق التي تحدثت عن قضايا بيع وشراء في منطقة بيت لحم ، كذلك عن تظلمات رفعها أصحابها لاستعادة حقوق . حيث بينت هذه الوثائق أنماط أراض زراعية تنازع عليها الأهلون ، حوت أشجار زيتون وغراس عنب وغيرها ، كأدلة على حجم حركة الزراعة في المنطقة ومنها ما ادعاه الياس نقولا فقوسة الرومي على احمد هرماس وسليمان شختور أنهم واضعو أيديهم على جميع أشجار الأرض ، وارض كرم هرماس ، من أراضي القصبية المحددة جنوبا بيد سمعان التلحمي وشمالا أرض ودوالي عنب وغرس زيتون وتين بيد هيلانه بنت ثلجية الرومي ، وغربا أرض بيد إبراهيم فريج بها اشجار زيتون وورمان ، وهي من املاك والده ويريد أن يفرسها عنبا وتينا^(١) .

ومن قضايا الادعاء ، تطلعنا السجلات نقلاً من الباحث خليل شوكة على ادعاء ميخائيل بن يوسف بن انطون الكمنداري اللاتيني على رجلين وهما حنا ، ومخائيل ، ولدي يوسف بن حنا الدبدوب اللاتيني انه في ٢٦ كانون الثاني ١٣٠٢ رهن هو وشقيقه فرنسيس الغائب عن الوطن وامهم ماريا بنت انطون بن عويس اللاتيني ما يملكون والآيل اليهم إرثاً عن والدهم يوسف الكمنداري ، وذلك جميع قطعة الارض الاميرية برأس فطيس المشتملة على اشجار زيتون والمحددة قبلة ارض بيد المدعى عليهما وتمامه أرض حنا بن نصار ، وشرقاً ارض حنا بن منصور وأرض بطرس بن مبارك ، وشمالاً ارض زيتون بيد رهبان اللاتين وغرباً ارض حنا نصار ببدل قدره ١٣٨ ذهباً ليرا فرنساوي قيمة الرهن وأعطى المدعي عليهما سنداً بذلك بمجلس ادارة لواء القدس من جانب قلم مأمورية الدفتر الخاقاني بالقدس الشريف حسب الأصول ولمدة سنة واحدة ووكيله شقيقه ان يستعيدها منهم ويدفع مبلغ الرهن وتسليمه لهما وبيع حصة شقيقه نظيرها في ارض الزاوية بالجهة المذكورة المشتملة على اشجار تين والمحددة

(١) خليل شوكة ، قرية فاعور ، ص ١١١ .

قبلة ارض تين بيد فرنسيس بن الياس الجبرية وشرقاً وغرباً ارض بيد خليل بن سمعان الزميرية واخوته ، ثبت لدى القاضي المدعي صحة الرهن وعرف المدعي عليهما اعادة تسليمه مقابل المبلغ الذي دفعاه وتم التسليم (١) .

ووثيقة أخرى فيها أن حنا الرومي اشترى من حمدان العصي جميع أشجار الزيتون ، القائم أصوله غرب بيت لحم والمحددة بقبلة الخراب بيد الفواغرة ، وشمالاً زيتون بيد عيس فقوسة وغرباً زيتون بيد الأخير بيعاً شرعياً (٢) .

ووثيقة تنص على أنه بعقد البيع الصحيح الشرعي كما اخبر عيسى اللاتيني وخليل القطان وغيرهم وذلك أن جميع أشجار الزيتون في ارض الوطا . على الطريق المار بقرية شرفات من حد قبة راحيل وشرقاً ارض زيتون بيد خليل عصفورة الرومي ، وشمالاً ارض زيتون بيد البائع وتماه ارض ، وزيتون بيد رهبان دير الروم وغرباً ارض زيتون بيد دير الأرمن ، وجميع أشجار الزيتون القائم أصوله بالأرض المذكورة قبلة ارض وزيتون بيد دير الروم وشرقاً ارض وزيتون بيد الياس دكرت (٣) .

ثم وثيقة اخرى تقول أن يعقوب بن الجعار اشترى من محمد شختور جميع كرم العنب من اراض القناطر وجميع كرم التين وجميع ٢٢ زيتونة في ارض الانجيلية وجميع الكرم المعروف بكرم الخربة والحديث عن صفقة كبيرة من اراضي شمال بيت لحم على طريق القدس تم شراؤها من مسلمي المدينة ووزعت على الطوائف المسيحية الروم ، والأرمن ، واللاتين (٤) .

كذلك وثيقة تنص على أن طعم الله بن سليمان الجعار اللاتيني التلحمي اشترى من عيسى محمد بن محمد الفاغوري جميع أشجار الزيتون القائم

(١) خليل شوكة ، تاريخ بيت لحم في العهد العثماني ، ص ٢٦٥

(٢) خليل شوكة قرية فاغور ، ص ١١٥ .

(٣) المرجع نفسه ، ص ١١٦ .

(٤) المرجع نفسه ، ص ١١٧-١١٩ .

أصولها في أرض الحاكورة والمعروفة بأرض الانجليز المحددة قبلة الطريق السالك الموصلة إلى قرية بيت جالا وتمامها دار وارض تين عيسى ، ويوسف اللاتيني ، وشرقاً أرض ، وتين بيد سليمان بن الياس ، وسلامه أولاد عيسى وشمالاً وغرباً أرض وزيتون أولاد عيسى البطاح بثمن وقدره ٤٠ ألف قرش^(١) ووثيقة اخرى تقول أنه حضر يوم تاريخه المجلس الشرعي الرجل العاقل موسى بن سالم بن جريس الأعرج من أهالي قرية بيت جالا من ناحية الوادية التابعة للقدس الشريف وحضر بحضوره نقولا صليباً أولاد أخيه . . . وكانوا على خلاف على ارض تعرف بأرض الصرارة المحتوية على أشجار زيتون والمحددة دار عيسى أبو سليمة وجمعة عمر وشرقاً دار يوسف فاتولة ويعقوب اعمير وشمالاً دار إسحاق ومسلم خمشتة وغرباً عيسى عوض وجميع قبلة ارض إبراهيم زعرب وشرقاً ارض جريس عودة وحنا الشقلة وتمامه الياس المتواسي وشمالاً ارض عودة نصرالله وغرباً الطريق الموصلة لبئر عونة وجميع الكرم المعروف بشعاب العين المغروس عنبا وفيه شجرة خروب ، المحددة قبلة دير اللاتين شرقاً سنة ١٣٠٧هـ^(٢)

كذلك أورد خليل شوكة وثائق أخرى منها أن «الخوري حنا بن يوسف بن انطون خوري من طائفة اللاتين بقصبة بيت لحم اشترى بماله من بائعيه وهم موسى بن الياس بن زبلح اللاتيني ومن حمد بن عياد بن حمد الهريمي بحضور وإخبار كل من سليمان بن سالم بن محمد شختور ومحمد بن علي شوكة وذلك جميع أشجار التين وغراس الزيتون الكائنة بأرض الميدان^(٣) ووثيقة تتحدث عن أن خليل بن بولص بن بطرس صابات اللاتيني اشترى من انطون

(١) خليل شوكة ، قرية فاغور ، ص ، ص ١١٩ .

(٢) س ، س ، س رقم ٣٧٩ ص ٤٧ . ٣ جمادي ثاني ١٣٠٧ - ٢٧ شوال ١٣٠٨ الموافق ٢٤ يناير ١٨٩٠ - ٤

يونيو ١٨٩١ م .

(٣) خليل شوكة ، تاريخ بيت لحم في العهد العثماني ، ص ٢٦٣ .

بن حنا الكمنداري اللاتيني التلحمي جميع أشجار التين وغراس الرمان الكائنة بالحاكورة بمحلة المحروق في بيت لحم»^(١). ووثيقة تتحدث عن أن «انطون بن حنا اللاتيني التلحمي اشترى بالوكالة الشرعية المسجلة عن عيسى بن خليل بن انطون الجعار اللاتيني وكلاهما من رعايا الدولة العلية العثمانية من بئعه خليل بن حنا بن خليل حنضل اللاتيني فباعه ما هو له وجار في ملكه وتحت تصرفه وذلك بموجب سند شرعي مؤرخ ١٢٧٦ ، حيث اخبر بذلك كل واحد من عيسى بن يوسف بن ابراهيم ابو العراج اللاتيني وداود بن منصور بن نصار حنضل و خليل بن داود بن يعقوب القطان اللاتيني و خليل بن داود بن خليل عصفورة وهم مختير واختيارية اللاتين»^(٢).

وفي وثيقة اخرى جاء فيها أن «الحرمة نجمة بنت المرحوم باني حنانيا أرملة المرحوم حنا بن سلمان الرومية العثمانية اشترت بمالها لنفسها من الرجل ابراهيم بن مخائيل ابو شعبان الرومي الوكيل الوكالة المطلقة الدورية عن الخواجة خليل بن المرحوم يوسف بن يعقوب متري القاطن حينها بمحروسة مصر القاهرة الثابت وكالته عنه بموجب وكالة شرعية مخلدة بيده مصدق عليها من جانب حكومة مصر البهية فبموجب الوكالة قد باع الوكيل للمشتري بيعا باتا ما هو لموكله ، وتحت طلق تصرفه النافذ المطلق ويده ويد موكله ومورث موكله واضعة على ذلك ثابتة مستمرة مستقرة دون المعارض والمنازع الى حين صدور عقد هذا البيع البات وذلك جميع قطعتي الأرض المشتملتين على أشجار زيتون وتين ودوالي الواقعتين بأرض القرقفة من أراضي القصبة الجاري ، قرار ذلك بوقف خاصكي سلطان طاب ثراها الذي يحدهما القطعة الغربية من قبلة ارض ودوالي بيد عيسى بن حنا الجدي ، وشرقا يعقوب بن بنايوت حنانيا ، وشمالا حنا بن ياني حنانيا ، وتمامه توما الدويري المذكور بجميع حقوق ذلك كله وطرقهما وجدرها

(١) خليل شوكة ، تاريخ بيت لحم في العهد العثماني ، ص ٢٦٣

(٢) المرجع نفسه ، ص ٢٦٣ .

وحقوقها واشتمالاتهما وتصرفاتهما وانتفاعاتهما الشرعية وما نسب لهما وعرف اليهما وبكل حق لذلك شرعا شراء صحيحا شرعيا وبيعا باتا قاطعا مانعا صريحا مرضيا صادرا بين المتعاقدين المذكورين بإيجاب وقبول ومعاينة ومعاقدة وتسليم تسليم صحيحان شرعيان بثمن معلوم (اثنى عشرة) ليرة ذهب فرنساوي ثمننا عينا حالا مقبوضا وذلك بيد البائع الوكيل المذكور من مال المشتري المسمى بذكرها حسب اقرار واعتراف البائع بمجلس البيع بموجب براءة ذمة المشتري من كافة الثمن المذكور برأة قبض واستيفاء شرعية حاوية لكل شيء ، وثيقة مضمانه لازم حيث يجب شرعا فبموجبه برأت ذمة المشتري والبائع البراءة العامة الشرعية وزاد البائع على ذلك باقراره معترفا ووفقا لوكالته اولا انه ابرأ ذمة المشتري من الدعوى ، وثانيا انه اطلق لها كافة التصرفات الشرعية في عمار وغرس أشجار دون معارض ومنازع بذلك مطلقا ، كونه بيعا باتا صحيحا شرعيا تحريراً في شباط ١٨٨٩م^(١) .

وبمساعدة الأستاذ محمد الصفدي عميد مؤسسة احياء التراث ، اطلعنا على نسخ مصورة لعدد من الوثائق التي تحدثت عن امور تعلقت بعمليات شراء لجرود نخيل وذلك نتيجة لافتقار القدس وبيت لحم لأشجار النخيل التي تستخدم جرودها في الأعياد المسيحية ، فقد أوردت بعض الوثائق في القرن التاسع عشر عددا من الاستفسارات والبرقيات التي تتحدث عن الأمر ، منها شراء ١٥٠٠ جريدة نخل مع أجرة النقل عام ١٨٧٠م من غزة^(٢) ، وأيضا وثيقة تتحدث عن إرسال ٩٠٠ جريده نخل بدل ١٠٠٠ بسبب هجمات الجراد وذلك

(١) خليل شوكة ، تاريخ بيت لحم في العهد العثماني ، ص ٢٦٨ .

(٢) دير الأرمن ، القدس وثيقة رقم ٣٣/٤٥ - ١٨٧٠م لقد تم الاطلاع على صور من هذه الوثائق لدى

الاستاذ محمد الصفدي عميد مؤسسة احياء التراث . وسيشار إليها عند ورودها فيما بعد ، دير

الأرمن ، القدس رقم الوثيقة تصوير الصفدي .

عام ١٨٧٩م^(١)، ووثيقة تتحدث عن عدد جرود النخيل اللازمة لاحتفالات أحد الشعانين في عام ١٨٨٢م^(٢).

والجدول التالي بين نماذجاً من وثائق البيع والشراء في بيت لحم

المشتري	البائع	السنة	النوع	الثمن
سرافيم بن داود الارمني الكاثوليكي	جريس بن نقولا بطو	١٢٧١هـ ١٨٤٥م	ارض الوطا مشتملة على اشجار زيتون وشجرة تين	٧ الاف قرش اسدي (٣)
رشيد أغا بن داود ترجمان دولة بروسيا	الخواجة داود الكردي	١٢٧٤هـ ١٨٥٧م /	ارض بصيلة ومشتملة على بئر كبير و ١٨ اشجار زيتون وشجرة تين	١٠ الف قرش اسدي (٤)
عمدة المسيحية سمعان افندي اللاتيني	قبلان بن الخواجة بطرس دحدح	١٢٨٢هـ ١٨٦٦م /	جميع اشجار الزيتون والتين والدوالي في ارض شرقي بيت جالا المعروفة بباب الزقاق	الف قرش اسدي (٥)

(١) دير الأرمن ، القدس وثيقة رقم ٥١ / ٣٣ . ١٨٧٩م تصوير الصفدي .

(٢) دير الأرمن ، القدس وثيقة رقم ٥٠ / ٣٣ . ١٨٨٢م تصوير الصفدي .

(٣) س ، ش ، س ، رقم ٣٣٨ ص ٤٣ ، ربيع الاول ١٢٧١ - صفر ١٢٧٢ / الموافق نوفمبر ١٨٥٤ -
اكتوبر ١٨٥٥م

(٤) س ، ش ، س ، رقم ٣٤٠ ص ١٧٦ ، صفر ١٢٧٣ - ٢٥ صفر ١٢٧٤ / الموافق اكتوبر ١٨٥٦ - ١٤ اكتوبر
١٨٥٧م

(٥) س ، ش ، س ، رقم ٣٥٢ ص ٣٤ ، جمادي الاول ١٢٨٢ - ٥ رمضان ١٢٩٢ / الموافق سبتمبر ١٨٦٥ -
اكتوبر ١٨٧٥م

الزراعة في بيت لحم وقراها في القرن التاسع عشر الميلادي

المعلم عبدالله جقمان بن يوسف	بالوكالة الشرعية عن ابنة اخيه حلوة بنت فرنسيس جقمان الرومي	١٢٨٢هـ - ١٨٦٦م / الهريه	جميع اشجار التين وشجرة الزيتون القائمة في ارض فرنساوي (١)	١٥ ليرة ذهب
يعقوب بن فرنسيس القطان	سليمان بن عوض الفاغوري	١٢٨٢هـ - ١٨٦٥م /	٣٣ عرق شجرة زيتون القائم شمال القصبه في خله المراعشة	١٢ ليرة
عودة ونخلة ولدي جريس بن القسيس بنايوت الرومي	حمد بن محمود بن حميد بن عليان من اهالي بيت صفافا التابعة لمديرية بيت لحم	١٢٩١هـ - ١٨٧٤م /	جميع اشجار الدوالي والعنب وأشجار التين القائم بأرض قصر عويس	٨ ليرات مجيدي ذهب (٣)
اشترى الخواجة الياس بن جبرائيل بن انطون دعيق بوكالته الشرعية عن فخر الله المسيحية القنصل دي كاسان بن رفائيل متولي اسبانيا	حنا وحنه ولدي حنا بن مسخائيل ابو جارور الرومي	١٢٩١هـ - ١٨٧٤م /	جميع اشجار الزيتون والتين القائم اصولها بأرض الحارصية مع البير الذي بداخلها	١٠٠ ليرة ذهب عثماني (٤)

(١) س ، ش ، س رقم ٣٥٢ ص ٣١ ، جمادي الاول ١٢٨٢ - ٥ رمضان ١٢٩٢ / الموافق سبتمبر ١٨٦٥ - ٤
اكتوبر ١٨٧٥

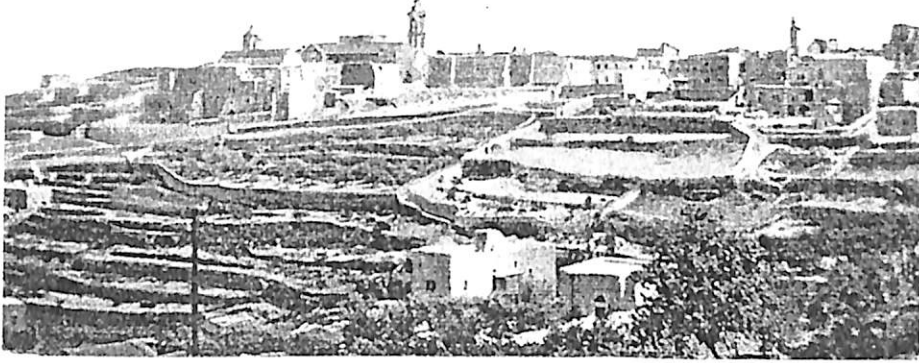
(٢) س ، ش ، س رقم ٣٥٢ ص ١٣ جمادي الاول ١٢٨٢ - ٥ رمضان ١٢٩٢ / الموافق سبتمبر ١٨٦٥ - ٤
اكتوبر ١٨٧٥ م .

(٣) خليل شوكة ، تاريخ بيت لحم في العهد العثماني ، ص ١٧٦

(٤) س ، ش ، س رقم ٣٦٦ ص ١٠٩ ، ٢٧ رمضان ١٢٩١ - شوال ١٢٩٣ / الموافق ٦ نوفمبر ١٨٧٤ - اكتوبر
١٨٧٦ م .

من الملاحظ أن المشتريين معظمهم مسيحيون ، بالإضافة الى كون الشارين من كبار الموظفين ، والمستثمرين الاجانب وغيرهم . كذلك نرى أن الأرض المشتراة تحوي أشجار زيتون وتين وعنب ، بالإضافة الى آبار جمع مياه داخل الأرض . كما نجد أن العملة كانت تدفع بالقرش الأسدي أو الليرة الذهب الفرنساوي ، أو الليرة الذهب العثماني ، دلالة على قوة الدول الاوربية التي أصبحت عملاتها سارية في الدولة العثمانية .

هذه بعض النماذج لوثائق القرن التاسع عشر ، حيث نلاحظ حجم وماهية الأرض المتداولة ، فجميعها تتحدث عن قطع تحوي عدداً من أشجار الزيتون أو الرمان أو العنب ، وهي قطع متفردة وليست حقولاً شاسعة ، أو سهولاً ممتدة فيها زراعات متعددة . بل هي المدرجات المعروفة على أطراف المدينة ، والتي شاهدها الرحالة سابقاً ، وهي تقوم على التلال التي تطل عليها القرية ، أو الحواكير المشجرة حول البيوت . كما نلاحظ ذلك في الصفقة الكبيرة التي اشتراها الجعار من محمد شختور التي تتحدث عن ٢٢ شجرة زيتون ، وكرم تين ، وكرم عنب ، والمقصود بصفقة كبيرة قياساً إلى حجم أراضي المدينة جميعها ، والتي تعتبر صغيرة نسبياً مقارنة بأراضٍ أخرى كأرض الساحل وغيرها . كما نلاحظ أيضاً نوعية الزراعات التي كانت في المدينة ، وما زالت تتناقص ، وهي الزيتون والرمان والتين ، أي المزروعات الشجرية البعلية ، حيث سيختفي التين والرمان في السنوات القادمة ، وتظل بعض كروم الزيتون تنتظر نهايتها . ثم هناك حركة الملاكين الجدد والمتمثلة في مسيحيي المدينة ، نتيجة اتصالهم بالدول الأوروبية التي شجعتهم من خلال الأديرة على الشراء في بيت لحم ، كما نلاحظ خلو المدينة وقراها من أشجار النخيل لهذا كان يتم استيرادها من غزة لاستخدامها في احتفالاتهم .



منظر لمدرجات الزيتون في بيت لحم ،
حيث تظهر كنيسة المهدي في أعلى الهضبة (١٨٩٠م)^(١) .

الزراعة في قرى بيت لحم في القرن ١٩

تبع بيت لحم عدد من القرى وفق التقسيم العثماني ، حيث قامت الأسرة عند استقرارها باستصلاح الأراضي الزراعية لتأمين حاجاتها اليومية من الغذاء ، فاشترك أفراد الأسرة رجالا ونساء على القيام بالامر جميعه ، ولم يكن في بال الفلاح أن يتعاطى تجارة المحصول الا ما ندر ، وذلك لقلته وشدة الحاجة إليه أيام الشتاء والقحط ، لهذا كان الاقتصاد اقتصاداً منزلياً بالدرجة الأولى ، فقصة بيت لحم لم تعرف الزراعة بمفهومها التقليدي ، حيث انتشرت حواكير الزيتون والتين المعتمد على الأمطار في جنباتها وعرصتها ، ثم النزر اليسير فيما بعد لبساتين حول البيوت ، والتي كانت تسقى بالقربة والدلو ، فكان لدى اغنياء

(١) فلسطين في الذاكرة :

المدينة بساتين صغيرة نمت فيها بعض الحمضيات والفواكه كالتفاح والأجاص والمشمش والزيتون . كما انتشرت في السهول والجبال المحيطة بالقصبة أشجار الزيتون والتين والعنب ، وأشجار حرجية كالصنوبر والبلوط والدوم والخروب كما ظهر في حجج البيع . إلا أن حركة بيع وشراء الأراضي ، ودخول الأجانب ، وتطوير بعض الزراعات قد أنعشت الحركة الاقتصادية ، وحركة البناء ، وزادت من الاستثمارات الزراعية ، مما لفت نظر الدولة ، حيث تشير مذكرة مرفوعة من وزارة المالية العثمانية بتاريخ ٢٣ ربيع الآخر ١٣٢٦ والمحولة الى مجلس شورى الدولة تحت رقم ٤٩٨ ان بناحية بيت لحم ٢٨٧٠ مسقفات و ١٩٤٨٠ بستان وحديقة واشجار زيتون وان ناحية بيت لحم تبلغ جزيتهما ٦٤٤٠٠٠ قرشا ، لذا يجب تعيين مكتب ويركو في الناحية بمعاش شهري ٣٠٠ قرش ، وبمبلغ سنوي ٧٢٠٠ قرش ، وان يتم رصد المادة السابقة في الموازنة في فصل المعاشات ويضاف الى معاشات كتبة الضرائب^(١) والملاحظ أن الوثيقة تشير الى الناحية جميعها والتي تشمل المدينة وقراها .

أما بالنسبة إلى قرية بيت جالا فنلاحظ من تحصيل الأعراس في ١٩٢٣م أنها كانت تزرع بمحاصيل صيفية وأهمها اللوبياء ، والبندورة والسفرجل ، والرمان ، والقطين ، والعنب ،^(٢) وان كان ذلك بعد العهد العثماني إلا أننا نفترض أن المحاصيل لم يحدث عليها تغيير يذكر .

في حالات معينة كحالة اثبات ان القرية لم تزرع فانها تعفى من تحصيل الاعشار وهذا ينطبق على قرية عليا (الخضر) في سنة ١٣٣٠مالي الموافق ١٣٣٣ / ؛ ١٩١٤م تبين ان أراضي قرية الخضر لم تزرع في هذا العام لذلك لم تدفع

(١) خليل شوكة ، تاريخ بيت لحم في العهد العثماني ، ص ٢٧١ .

(٢) سجلات مؤسسة إحياء التراث والبحوث الإسلامية ، ملف رقم ٤/٢ / ١٩٢٣ / ٢ تحصيل اعشار

بيت جالا الصيفي ١٩٢٣م ، وسيشار اليه عند وروده فيما بعد ، م ، م ، م ، ث .

الأعشار^(١) في حين نجد أن الملتزم عبد الفتاح دفع مبلغ ٤,٤٩٤ قرشاً وعشر بارات نظير تحصيل أعشار محاصيل شتوية في قرية فاغور^(٢).

إن أهم القرى الزراعية في بيت لحم هي قرية ارطاس وهي التي شكلت عماد الزراعة لوفرة المياه اذ اعتمدت الري المنظم عن طريق القنوات والبرك ومجمعات المياه كبرك سليمان وقناة السبيل ، وسميت ارطاس بالجنة المقفلة ، وقد بلغت مساحة الارض المزروعة فيها أواخر العصر العثماني ١١٤٢,٢٥ دونماً ، وقع جزء منها في وادي ارطاس والباقي في المنطقة الجبلية المحيطة ، في حين بلغت مساحة الأرض في الوادي نفسه ٢٠١ دونماً ، حيث تركزت زراعة الخضروات التي اعتمدت على الري الدائم ، وهي زراعة تنتج عدة دورات في السنة ، أما الأرض المحيطة فقد بلغت مساحتها حوالي ٩٤٢ دونماً ، حيث زرعت بالزيتون والعنب والأشجار المثمرة^(٣) وقد عمل الأوروبيون الشيء الكثير من اجل شهرة بساتين ارطاس ، فقد حسنوا أشجار الفاكهة إلى حد كبير ، وبالنسبة للخضار فإن أهالي فينسيا من الصليبيين حسب المصادر الايطالية ومنذ أوائل القرن السابع عشر ، ادخلوا عددا كبيرا من الخضراوات غير المعروفة لدى العرب مثل البندورة ، الباذنجان ، البازيلاء ، والفاصولياء ، وبالنسبة للفواكه فان ارطاس مشهورة بالأجاص والدراق والتين التي تجلب الناس إلى بساتينها خلال الأشهر تموز ، وأب ، وأيلول .^(٤) ويرد في إحدى الوثائق ان احد سكان قرية ارطاس

(١) م، م، ث ، ملف رقم ، ٣/٥/٩ ، ٢/٣٠٦/٢ ، ٣١ ، ٣١/٥/٩ ، ميس/١٣٣٠/مالي/١٣٣٣/هـ/١٩١٤

(٢) م، م، م ، ث ، ملف رقم ٢/٥/٩ ، ٢/٣٢٨/٥ ، ٢١ ، حزيران/١٣٣٠/مالي/١٣٣٣/ ١٩١٤

(٣) جمال برغوث ومحمد جرادات ، المشهد الحضاري في ارطاس برك سليمان وتزويد القدس بالمياه من الفترة الرومانية حتى الوقت الحاضر ، سلسلة رواق في تاريخ العمارة في فلسطين ٣ ، رواق ، مركز العمارة الشعبي رام الله ٢٠٠٢ م ، ص ٦٧-٦٨ . وسيشار إليه عند وروده فيما بعد ، جمال برغوث ومحمد جرادات ، المشهد الحضاري في ارطاس .

(4) Baldensperger, op. cit., p. 113.

ويدعى إبراهيم عايش قد وضع يده على أرض توجد بجانب برك سليمان وقام بزراعتها ، ويكشف كاتب أوقاف القدس الشريف عمر أفندي أن الأرض التي يزرعها إبراهيم عايش تضر بأحواض المياه ويطلب إيقافه عن التعدي صيانة لهذه البرك^(١) .

وكان لقرية ارطاس معاملة خاصة في بداية العهد العثماني ومن المتوقع أنها استمرت حتى نهايته إذ كانت تدفع ما يترتب عليها من «رسوم الأعشار» وكان ذلك بشروط أوردتها بعض الوثائق حيث ذكرت وثيقة أنه «بشرط أن لا يدخل زعماء التيمار ولا السباهية المذكورين ولا يكلفوهم درهم ولا من عليق ولا من خدمة ، ولا من عيادية ولا من ما اعتاد السباهي اخذه من الفلاحين كون القرية المذكورة جارية في وقف سيدنا الخليل عليه السلام وهي على الطريق السلطاني ودائما يحرسون البرك والقناة الواصل ماؤها إلى القدس الشريف ويحصل منهم نفع كلي ويوافقون على ذلك ويتراضوا عليه موافقة صريحة صدرت بينهم بالطريق المرضي تحريراً ثالث شعبان المكرم في شهر سنة ١٠٠٦»^(٢) ، وما لا شك فيه ان ذلك انعكس على الزراعة في القرية ايجابياً .

وتشير بعض الوثائق إلى محاولات بعض الأهالي الاستيلاء على أراض وقفية حيث حاول بعض أهالي ارطاس تسجيل الأراضي الواقعة على أطراف البرك بأسمائهم ، وأوقاف بيت لحم بعثت برقيات لهذا السبب ، وذكرت ان الأراضي هي وقف صحيح وطلبت من الدفتر الخاقاني (الطابو) عدم تسجيل هذه الأراضي إلا بعد الرجوع إلى الأوقاف^(٣) .

فرضت الأعشار الشتوية على الأراضي الموجودة فوق البركة العليا بناء على

(١) م ، م ، ث ، ملف رقم ٣ / ٤.٢ / ٣٢١ / ٢٥٠ ، ٢ / نيسان / ١٣٢١ م / ١٣٢٢ / ١٩٠٥ م .

(٢) س ، ش ، س ، رقم ٧٩ ، ص ٧٢ ، ٣ / شعبان ١٠٠٦ - ١٩ شوال ١٠٠٧ / الموافق مارس ١٥٩٨ - ١٤ مايو

١٥٩٩ م

(٣) م ، م ، م ، ث ، ملف رقم ٣ / ٥.٨ / ٣١٥ / ١١ ، تشرين ثاني / ١٣٢٠ م / ١٣٢٢ / ١٩٠٤ م .

قرار المجلس الشرعي لإدارة لواء القدس الذي ينص على تعشير الأراضي الواقعة غرب البركة الفوقا العائدة إلى وقف ماء السبيل حيث أصبحت حصة الأوقاف بحق الخمس ثمان طبات حنطة وثمانية وعشرون طبة كرسنة ولأجل تحصيل حصة الأوقاف حرر هذا الكتاب ورفع إلى التعشير^(١).

كما ان هناك رسالة تخبر أن اعشار أراضي البرك لسنة ١٢٩٩هـ مع القلعة المسجلة حكرها باسم جادالله وحنا حزبون بالإضافة الى خلايا النحل التي تربي هناك تبلغ ٢٠,٣٦٠ قرشا عن ٢٤٠ خلية نحل ، ووجب تحصيل المبلغ لطرف اللواء^(٢).

والى الشرق من بيت لحم وعلى بعد ٢ كم امتدت مساحات خصبة من التربة على أقدام قرية بيت ساحور فيما يسمى بمنطقة اسطيح ، حيث قامت فيها زراعة شتوية اعتمدت مياه الأمطار فزرعت بأنواع من الخضروات مثل القثاء ، والكوسا ، والقرع والكتان والحبوب بانواعها من قمح ، وشعير ، وذره ، ودخن ، وعدس وحمص وفول وكراوية وغيرها^(٣) ، ولكنها كانت زراعات بعلية لم تشكل اقتصاداً قائماً بذاته ، ثم قامت أشجار التين والزيتون في الأراضي المرتفعة . أما بالنسبة لقرية الخضر إلى الغرب من بيت لحم ، فقد انتشرت فيها زراعة الأشجار كالزيتون واللوزيات ، وفي جهتها الغربية زرع القمح ، والشعير ، وانتشرت كروم العنب إلى الجنوب^(٤).

وفي التقسيم العثماني كانت قرى أم طوبا الواقعة شمال شرق المدينة ، وصور باهر ، شمالها ، وبيت صفافا إلى الشمال الغربي ، على تلال مرتفعة باستثناء الأخيرة ، لم تكن للقرى المذكورة مقومات اقتصاد زراعي باستثناء كروم

(١) م، م، ث، ملف رقم ٩/٥/١/٢٩٢/٢، ٢٥/تموز/١٣٢١ مالي/١٣٢٣ / ١٩٠٥ م.

(٢) خليل شوكة ، تاريخ بيت لحم في العهد العثماني ، ص ٢٦٩ .

(٣) بنوره ، تاريخ بيت لحم ، وبيت جالا ، وبيت ساحور ، ص ١٧٠ .

(٤) المدني ، مدينة القدس ، ص ١٣٩ .

الزيتون والتين والعنب على تلالها ، ومع الحراك السكاني ، وتهجير بعض القرى كما سلف ازداد تجمع السكان إلى الجنوب من قرية الخضر الذي ضم قرى بتير وحوسان ونحالين ووادي فوكين ، وقامت فيها حركة زراعية على ينابيع المياه ، حيث تبعت فيما بعد منطقة بيت لحم ، بحكم أوامر القرى مع مسلمي المدينة ، فأنتجت في سهولها أنواعا عديدة من الخضروات ، وفي جبالها زرعت الكرمة والزيتون والتين ، وأنواع أخرى من الفواكه كالأجاص ، والمشمش ، والخوخ والكرز ، كما قامت فيها زراعات بسيطة نباتية كالبصل ، والخس ، وانتشرت البقوليات على أنواعها .

أنتجت المنطقة محاصيل زراعية اعتمدت مياه الأمطار كالقمح والشعير في بيت جالا والخضر كما أنتجت الخضروات ، كالباذنجان في بتير والبندورة في ارطاس ، ثم الزيتون والتين في بيت جالا وبيت ساحور والذي جفف لاستهلاكه في الشتاء ، كما زرع العنب الذي يدخل في صناعة الخمر في القرى المجاورة للقدس وتلالها كتلال الخضر وجبال ارطاس ، ومن الأشجار الأخرى زرع الرمان والسفرجل والخوخ في القرى المجاورة ، ثم نبتت الأشجار الحرجية ونباتات الزينة كالزنبق والبنفسج والرنجس^(١) .

أهم المحاصيل التي زرعت في بيت لحم

نلاحظ من خلال الوثائق انه كانت تزرع في منطقة بيت لحم محاصيل متنوعة شتوية ، وصيفية ، وأشجار مثمرة وحرجية وهي : القمح والشعير ويعتبران من المحاصيل الرئيسة التي انتشرت زراعتها في المدينة وقرائها واعتمدت على مياه الأمطار ، ويعتبر القمح مادة رئيسة في غذاء السكان . كان يزرع في بيت لحم ، وبيت جالا والخضر وارطاس^(٢) وأيضا زرعت الذرة وكذلك زرع

(١) المدني ، مدينة القدس ، ص ١٣٦ - ١٤١ .

(٢) المرجع نفسه ، ص ١٣٦ . ٨٤ .

العدس والدخن^(١) . وكان يوجد في اربطاس طاحونة تدار بالمياه لطحن الحبوب وتعود إلى العصر المملوكي وما زال النقش التذكاري الذي يدل على وجود تلك الطاحونة مثبت على حائط مسجد القرية من الجهة الشرقية .

أما بالنسبة إلى الخضروات فقد اعتمدت في زراعتها على مياه الآبار والعيون مثل عين اربطاس وعيون بتير ووادي فوكين وكانت هذه القرى تعنى بزراعة أراضيها وتنظيفها وتسميدها فنتج موسمين من الخضار ، وتبوعها في سوق القدس وكانت قرية بتير تشتهر بالباذنجان ، وارطاس بالبندورة ، والملفوف^(٢) وكان يزرع فيها الباذنجان ، والبازيلاء والفاصولياء^(٣) .

الزيتون : تكاد لا تخلو قرية في فلسطين من أشجار الزيتون ولكل قرية حقولها التي تغطيها ويذكر ارشيبالد فوردر في كتابه ، انه لعل أجود حقول الزيتون هي الواقعة في منطقة بيت لحم ، وتستوفى الضريبة عن كل شجرة فإذا جاء المحصول هزياً اضطر الفلاح إلى قطع الشجرة وبيع خشبها ليتجنب دفع الضرائب إذ لا يعني الحكومة سوى استيفاءها مهما ساءت الأحوال^(٤) وهذا السلوك لم يكن نمطاً متعارفاً عليه ، وإنما ظهر في فترات القحط والجذب ، حيث كان يختفي عند الوفرة . ووضع على الزيتون نوعان من الضرائب : الأول يتعلق بإنتاجه ، وكان هناك موظفون يخرجون لزيارة كروم الزيتون وتقدير إنتاجها ،

(1) Rogers, op. cit. p. 69.

(٢) عبد الكريم رافق ، «فلسطين في العهد العثماني» ، الموسوعة الفلسطينية ، القسم الثاني ، المجلد الثاني ، الدراسات التاريخية ، الطبعة الأولى بيروت ١٩٩٠م ، ص ٩٥١ . سيشار إليه عند وروده فيما بعد عبد الكريم رافق ، «فلسطين في العهد العثماني» ، الموسوعة الفلسطينية ، المجلد الثاني .

(3) Baldensperger, op. cit., p. 113.

(٤) ارشيبالد فوردر ، الحياة اليومية في فلسطين في ظل الحكم التركي ، ترجمة إبراهيم العلم ، مؤسسة دار الطفل العربي-القدس ، الطبعة الأولى القدس ١٩٩٢م ، ص ٥٨ . وسيشار إليه عند وروده فيما بعد ، ارشيبالد فوردر ، الحياة اليومية في فلسطين في ظل الحكم التركي .

وكثيراً ما يبالغون في التقدير للحصول على المال لأنفسهم . وإذا قدر مثلاً أن إنتاج عدد من الأشجار يبلغ ألف مقدار من الزيت ، في حين أنه في الواقع لا يتجاوز ثمانمائة مقدار ، فإن أصحاب الزيتون ، وعن طريق الرشوة ، يخفضون ذلك إلى خمسمائة مقدار . والنوع الثاني : هو ضريبة ثابتة على أرض الزيتون بقطع النظر عما إذا كانت أشجار زيتونها كبيرة أو صغيرة^(١) . ويلاحظ من خلال وثائق البيع والشراء ان معظم الأراضي مزروعة بالزيتون وخاصة قطع أراضي الوقف التابعة للجامع العمري حيث يوضح كشف تحرير ناحية بيت لحم المؤرخ بتاريخ ١٠ رجب ١٢٩٧ / ١٨٧٩م ان عدداً من قطع الأراضي المشجرة زيتوناً كثيرة منها :

«أرض مشجرة أرض ابو حبله منها أشجار زيتون . حدودها قبلة جريس المصري ، غربا خليل صابات ، شرقا أولاد داود مبارك ، شمالا زيتون عدد ٢ . أرض مشجرة (ابو حبله) حدودها شرقا : حنا صالح حزبون قبلة : اولاد داود مبارك وغربا كذلك . شمالا : زيتون سيدنا عمر (فيها ٩ زيتون) . مساحتها : ذراع (٧٥ طول و ٢٥ عرض) .

أرض مشجرة (ابوانحيلة) حدودها : قبلة : وقف الجامع . شرقا : اولاد داود مبارك شمالا : ميخائيل ابو منحيلة غربا : حنا بن صالح حزبون (٣ زيتون) مساحتها : ذراع (٣٠ طول و ٣١ عرض)

أرض مشجرة ابو فحيلة حدودها : شرقا : مخائيل حزبون . شمالا : يوسف قطان . القبلة والغرب : ابو محيلة بها ٦ زيتون كبار . مساحتها : ذراع ١٠٠ طول و ٢٠ عرض .

أرض ابو فحيلة حدودها غربا : حنا عيسى قطان ، وقبلة كذلك . شرقا : ابو محيلة وشمالا فيها زيتون عدد ١ ، مساحتها بالذراع ١٣ طول و ٦ عرض . أرض ابو فحيلة . حدودها : غربا : حنا جقمان . قبلة : مودي حنا جقمان .

(١) عبد الكريم رافق ، «فلسطين في العهد العثماني ، الموسوعة الفلسطينية ، المجلد الثاني ، ص ٩٥٢ .

شرقا : صالح جقمان . شمالا مخائيل اولاد حنانيا بها ١١ شجرة زيتون . مساحتها بالذراع ٩٥ طول و ٣٠ عرض .

أرض ابو حبله . حدودها : قبلة موسى زيادة . شرقا : الياس بابون . شمالا : ميخائيل اولاد حنانيا . غربا : صالح جقمان بها ٨ شجرة زيتون . مساحتها بالذراع : ٦٥ طول و ٣٠ عرض .

قطعة مشجرة (باسم بيار مراح) قبلة : الياس السمعان . شرقا : عيسى حنا الجدي . شمالا عيسى حنا الجدي غربا : مزرعة الفواغرة (فيها ٥٨ شجرة زيتون) مساحتها بالذراع ٢٠٠ و عرض ١٨٠»^(١) .

العنب : يقول ارشيبالد : «وتشاهد اليوم مساحات شاسعة من الأرض بدا فيها اهتمام الفلاحين الخاص باستنبات العنب كما في التلال المحيطة برام الله والخليل ، وربما امتدت هذه الأراضي أميالا عديدة ، وتكاد قرى فلسطين لا تخلو من حقول الكرم المزهرة»^(٢) كما تشتهر فلسطين بزراعة الكرم على أطراف التلال وفي السهول والأودية وعلى الساحل ، ولكن الكرم على أطراف التلال تنتج العنب الأكثر حلاوة وملاءمة لصناعة الخمر بسبب الطبيعة الكلسية للتربة التلية ، وكانت تفرض ضريبة العشر على الكرم وتقدر ، كما في الزيتون ، وتكون نقداً وليس عينا كما في الحبوب^(٣) ونلاحظ الاهتمام بتحسين نوعية اشتال العنب ونستدل على ذلك من إحدى رسائل دير الأرمن من خلال رسالة بعث بها احد الأشخاص واسمه محمد ، ويقطن في يافا إلى بطريرك الأرمن في المنطقة (بيت لحم) سنة ١٨٣٣م يخبره فيها عن إرساله لأشتال عنب من نوعية جيدة من أجل زراعتها في أراضيهم ، وتجربة نوعيتها لأنها تصلح لإنتاج

(١) خليل شوكة ، تاريخ بيت لحم في العهد العثماني ، ص ٢٨٤-٢٨٥ .

(٢) ارشيبالد فوردر ، الحياة اليومية في فلسطين في ظل الحكم التركي ، ص ٥٠ .

(٣) عبد الكرم رافق ، « فلسطين في العهد العثماني ، الموسوعة الفلسطينية ، المجلد الثاني ، ص ٩٥٣ .

الخمور^(١) وفي بيت لحم كان يزرع في قرى الوجلة ، والخضر ، وبتير ونستنتج ذلك من الوثيقة التي أوردها عادل مناع التي تتحدث عن النزاع بين أهالي قرية الوجلة مما اضطرهم إلى مغادرة القرية واللجوء إلى القرى المجاورة لها في بيت لحم^(٢) .

التين : تشير معظم عقود البيع والحجج الشرعية الخاصة بملكية الأرض إلى انتشار زراعته في اغلب قرى بيت لحم . كما زرعت أشجار الرمان ، والمشمش ، والدراق ، والأجاص ، والكمثري^(٣) وقد ذكر كوندر Conder انه يوجد في أدنى الوادي إلى الجنوب حدائق من البرتقال ، وايضا توجد حدائق البرتقال قرب نبع وادي فوكين^(٤) .

نلاحظ أن القرى المحيطة بالقرية الأم (بيت لحم) كان فيها زراعات ، والمقصود بالزراعات هنا هو قطع الأرض المتفرقة الصالحة لزراعة محصول معين كالقمح ، والشعير ، إلا أنها مساحات ضئيلة لا تزيد عن مارس أو اثنين في تلال قام السكان باستصلاحها ، ويقوم إلى جوارها بستان أو اثنين زرعت فيها أشجار متنوعة كالخوخ والأجاص ، يفصل بينها مساحات صخرية أو قطع وعره لا تصلح للزراعة . ثم أن هناك كروم عنب في المسطحات التي تقوم على مشارف القرى ، وهي أراض شبه جبلية تصلح لنمو هذا النوع حيث تكثر فيها الحجارة والحصى مع تربة حمراء ، تنهض في عروقها أشجار التين والرمان . ثم عدة بساتين جديدة من البرتقال فيما بعد لوجود الري الجيد ، والتي سرعان ما اندثرت لقلّة مردودها وحاجتها للجو الدافئ .

(١) دير الأرمن ، القدس ، رسالة رقم ٩ ، ١٨٣٣م ، تصوير الصفدي .

(٢) عادل مناع ، لواء القدس في أواسط العهد العثماني ، ص ٢٧٥ .

(3) Rogers, op. cit., p. 69.

(4) C. R. Conder and H. H. Kitchner, *The Survey of Western Palestine*, vol. 3. London, 1883.

هناك استثناء واحد هو قرية ارطاس حيث الزراعة المعتمدة على الري ، وتطوير الأ جانب لأنواع جديدة من المزروعات ولكنها بجملة لا تشكل اقتصاداً حقيقياً للمنطقة ، أما بالنسبة للخراج ، فقد كان ضئيلاً وتركز على منتج الزيتون الذي أنتجته المنطقة ، وشكل عماد العملية الزراعية ، لهذا كان جباة الضرائب حريصون على مردود هذه الشجرة .

طرق الري وتقسيم المياه بين المزارعين؛

لا بد من الإشارة باختصار إلى طرق الري في بيت لحم حيث لا توجد عيون مياه ، فقد كان يتم ري المزروعات اعتماداً على مياه الأمطار ومن آبار الجمع بالدلو أو القرب ويذكر الشيخ محمد اسعد الامام بأن لأهالي بيت لحم حصة معينة معلومة في مياه البرك منذ مائتين وخمسين عاماً أو تزيد ، ورد ذكر ذلك في فرمان عثماني مؤرخ في اوائل محرم سنة ١١٢٢ الموافق ١٧١٠م ، ويذكر أنه يوجد في إحدى سجلات محكمة القلدس الشرعية صورة قديمة على شكل دائرة هندسية- ليست فنية- فيها رسم ماسورة متجهة فوهتها إلى أعلى ، منها يتبين مقدار حصة أهالي بيت لحم من مياه برك سليمان^(١) . أما بالنسبة لطرق الري في القرى التي كان يتعامل فيها الفلاح في نهاية العصر العثماني حسب ما ذكره كبار السن فهي نفس الطرق التي بقيت متبعة حتى الوقت الحاضر وخاصة في القرى التي تحتوي على مصادر للمياه كارتاس وبتير ووادي فوكين . كانت الطرق المستخدمة في ري المزروعات متعددة منها طريقة الأحواض أو كما كانت تسمى المساكب أو المشاكب حيث تقسم الأرض إلى مجموعة من القنوات ترتبط مع القناة الرئيسة القادمة من العين أو البركة وبجانب كل قناة

(١) الشيخ محمد اسعد الامام الحسيني ، المنهل الصافي في الوقف وأحكامه والوثائق التاريخية للأراضي

والحقوق الوقفية الإسلامية في فلسطين ، القدس ١٩٨٢ م ، ص ١١٠ وسيشار إليه عند وروده فيما

بعد الشيخ محمد اسعد الامام الحسيني ، المنهل الصافي في الوقف وأحكامه .

تقسم الأرض طولياً مع القناة إلى أحواض يبلغ طول الحوض $1,5 \times 1,5$ متر حسب مساحة الأرض وقوة المياه حيث تروى الأرض من نهايتها وليس من أولها وبعد أن تمتلئ المسكبة الأولى يحول عنها إلى المسكبة الثانية إلى أن تصل إلى بداية القناة . وبعد ذلك تحول المياه إلى القناة الثانية والثالثة وهكذا . أما بالنسبة إلى الطريقة الثانية فهي طريقة الأتلام وتتم بتقسيم الأرض إلى مجموعة من القنوات الطولية ، تتم فيها الزراعة وتكون وفق ما تملكه العائلة من الأرض وحيث أن هناك الكثير من المزارعين يملكون أرضاً واسعة ومياه قليلة مما يؤدي إلى بقاء الأرض بوراً أي أنها صالحة للزراعة ولكن كمية المياه غير كافية لزراعتها . وهناك بعض العائلات لديها فائض من الماء تخزنه في البرك المخصصة ويتم عادة تعاون المزارعين فيما بينهم وتعويض نقص الماء عند المزارعين بإقراضهم المياه الزائدة أو إعطائهم إياها دون مقابل^(١) .

تقسم المياه بين المزارعين فيما يسمى دورة المياه حيث يجتمع أهل القرية وخاصة المزارعين الذين يمتلكون الأرض الزراعية والمشاركين في عين الماء ، في دار المختار ويتشاور الجميع في كيفية تقسيم المياه فيشير عليهم المختار ، حيث أن رأيه دائماً المقبول والنافذ عند أهل القرية ، ويتم ذلك بحصر عدد ساعات كل عائلة وإعطائها الفترة الزمنية التي تستحقها آخذين بمبدأ «مالك ما ظلمك» يطلب المختار من الأشخاص الملازمين له بان يسجل العائلات وعدد حصصها المائية ويبدأ في تقسيم المياه . وفق نظام يتم بجمع ماء النبع طوال الليل لمدة ١٢ ساعة في البركة الرئيسة ، ومنذ الصباح يجري قياس الكمية الكلية بواسطة عود من نبات (السكرون) الأجوف الذي يشبه عود القصب ، الذي يوضع في وسط البركة حيث غرست بلاطة صغيرة مربعة ، يوقف عليها عود (السكرون) عمودياً ويقيس الكمية الكلية المتوافرة ثم يضع علامة بعود كعود الثقاب يقيس الحد

(١) عليان عليان ، مقابلة شخصية ، وادي فوكين ٢٠١٢/٢/٢ م . وسيشار إليه عند وروده فيما بعد ، عليان

عليان ، مقابلة شخصية .

الأعلى للماء ، ثم يتولى تقسيم المسافة المبلولة على العود إلى حصص متساوية تسمى (معاديد) بعدد حصص العائلة طول النهار ؛ كما يقسم عملية الري على أصحابها إلى فترتين صباحاً وبعد الظهر ويعكسها في المرة الثانية ، فالذي يروي هذا الأسبوع قبل الظهر سيروي الأسبوع القادم بعد الظهر. وينطلق الأفراد كل يأخذ دوره بتتابع وترتيب دون نزاع ، فهذا له معدود واحد ، وآخر له اثنان أو ثلاثة حسب ملكية الأرض والماء معاً إلخ^(١) .

ويحرص الجميع على التعاون حيث يتناوبون المراقبة ، والضبط لبداية المعدود ونهايته وفتح البركة عند بداية المعدود وإغلاقها عند النهاية ، بينما يتولى آخر ، السير مع الماء الجاري حتى يضمن عدم وجود ما يعيق الجريان في القناة ، حتى تصل الموقع ، وهناك في أرض الجنائن من يقوم بعملية الري^(٢) .
والري عبارة عن توزيع الماء في الأحواض المزروعة حتى يروي كل حوض ، ويوجه الماء إلى الحوض التالي ، وهكذا حتى تتم عملية الري للأرض ضمن الحصة أو المعدود المقدر . وحال انتهاء المعدود تغلق المياه وتوجه لأرض أخرى وساق آخر . ويوزع الماء على المزارعين خلال ثمانية أيام كل يوم لعائلة أو حمولة ، وبذلك تتم عملية الري بشكل دوري معروف لديهم لا جدال ولا خلاف فيه .

أما بالنسبة لتوزيع الماء على الأراضي المرتفعة الموازية للنيح فيتم وفق نظام حركة الشمس والظل ، إذ لم تكن هناك ساعات تتحكم في الوقت ، حيث كانوا يضعون علامات بالحصى ، لموقع ضوء الشمس ، وامتداد ، وانحسار الظل

(١) عليان عليان ، مقابلة شخصية .

(٢) عليان عليان ، مقابلة شخصية ، ونادية البطمة ، أقدم نظام ري وتوزيع للمياه في فلسطيني يُنظر : في آفاق البيئة والتنمية مجلة الكترونية شهرية تصدر عن مركز العمل التنموي /معا نيسان ٢٠٠٨م العدد ٢ ، شهر ١ ، ٢٠١٢م . وسيشارليه عند ورود فيما بعد ، البطمة أقدم نظام ري وتوزيع للمياه في

فلسطين . <http://www.maan-ctr.org/magazine/Archive/Issue2/torath/torath1.htm> .

لصخرة في الموقع أو عمود ، وكل مسافة ما بين الحصوة والأخرى هي فترة زمنية لمعدود أو حصة الماء المخصصة للفرد ، وإذا ما قاربت على الانتهاء يعطي إشارة أن معدود سينتهي وسيغلق الماء ليوجه إلى غيره . أما اليوم فيعملون حسب الساعة فيكون لفلان ساعة من جريان الماء من الحوض أو نصف ساعة وهكذا^(١) .

وأحيانا كان يحدث خلاف بين المزارعين على توزيع المياه كما حدث في قرية ارطاس حيث أوردت إحدى سجلات المحكمة الشرعية خلافا بين سالم وعبد السلام ومحمد أولاد إبراهيم بن عايش . وبين أحمد ومحمد ولدي إسماعيل أحمد سعد وخضر وحسن ولدي حسين بن أسعد وخليل وسعد ولدي إبراهيم عوده وذلك بخصوص منعهم وتعديهم على الماء المخصص لري بساتين وأراضي الموكلين المذكورين الجاري أصله من عين بلدهم المذكورة قديما تحريرا في اليوم ٢٤ من محرم ١٣٠٧^(٢) .

المناطير وموسم التعزيب في قرى بيت لحم

المناطير مفردها منطار ، وهي أبنية حجرية بأشكال متعددة تستخدم لإيواء الناطور (الحارس) حيث ارتبطت النظارة بكروم العنب وحراستها ، كما شملت المساحات المغروسة بالزيتون والتين والرمان وغيرها .

وقد كانت المناطير مربعة أو دائرية الشكل تشبه البرج ، حيث بنيت بحجارة دون عناية لأن السكن فيها كان مؤقتاً لا يتجاوز موسم الإثمار ، وتألقت من قسمين أحدهما فوق الآخر ، فالسفلي للنوم ، والعلوي ينتهي بعريشة ، يجلس فيها المراقب ، لان مجال الرؤية واسع ويمكن من رفع الخطر عن المزروعات^(٣) .

(١) عليان عليان ، مقابلة شخصية . والبطمة ، أقدم نظام ري وتوزيع للمياه في فلسطين .

(٢) س ، ش ، س رقم ٣٧٨ ص ١٩١ . ٢٣ ربيع الاول ١٣٠٥ - ٢٥ ربيع الثاني ١٣٠٧ الموافق

١٠/١٨ - ١٨٨٧/١٠/١٨ م .

(٣) ارشيبالد فوردر ، الحياة اليومية في فلسطين في ظل الحكم التركي ، ص ٥٤ .

هذا وقد قام في بيت لحم عدد من أبنية المناطير تستخدم في مواسم العنب وذلك من أجل القطف والتجمع خلال أشهر (التعزيب) حيث يقضي معظم أفراد العائلة أشهر الصيف بين البساتين وأشجار الفاكهة .

انتشرت المناطير في جبل هندازه جنوب المدينة وفي الدهيشة غربها وجبل مار الياس إلى الشمال ، كما انتشرت في محيط بيت جالا على جبال الخرور ، والصدر ، ووادي الخضر باتجاه قريتي الخضر وحوسان وبمحاذاة البناء وفي حالات كثيرة تم حفر بئر ماء جمع ، وذلك لاستعمالات الفلاح خلال موسم القطف وقد استعمل سطح البئر كمكان للجلوس^(١) وفي كتاب جولة في تاريخ الأرض المقدسة ، يصف حنا جقمان موسم التعزيب بقوله : « بعد الاحتفال بعيد الفصح في اوائل شهر نيسان من كل عام ، ويكون فصل الأمطار قد قارب على الانتهاء ، ويبدأ فصل جني الفواكه والحبوب ، تمضي العائلات التلحمية أكثر من ستة اشهر من فصلي الربيع والصيف مقيمة في كرومها في الجبال المحيطة مثل : هندازه والصف والدهيشة والخرور ، وجبل مار الياس وغيرها»^(٢) هذا وقد قامت المواسم في بيت لحم على قطف العنب لصناعة النبيذ من العنب الأسمر الذي يتم قطافه في شهر آب ويعصر في المواقع التي تحوي معاصر صخرية قديمة حيث يعصر ، ويترك في جرار لمدة أسبوع أو أسبوعين ويصفى مرة بعد أخرى ثم يعبأ في زجاجات ليستخدم في الشتاء .^(٣) وقد ورد في تقرير القنصل الفرنسي أن المساحة الإجمالية للكروم المحيطة بالخليل بلغت ٨٠٠ هكتاراً ، ومساحة تلك

(١) سعاد العامري وفراس رحال ، مناطير قصور المزارع في ريف فلسطين ، رواق مركز العمار الشعبي ، سلسلة رواق في تاريخ العمارة في فلسطين ، رام الله ٢٠٠٣م ، ص ٢٩ . وسيشار إليه عند وروده فيما بعد ، سعاد العامري وفراس رحال ، مناطير قصور المزارع في ريف فلسطين .

(٢) حنا جقمان ، جولة في تاريخ الأراضي المقدسة ، بيت لحم ، مطبعة بيت لحم ١٩٩٤م ، ص ٤٤ . وسيشار إليه عند وروده فيما بعد ، حنا جقمان ، جولة في تاريخ الأراضي المقدسة .

(٣) سعاد العامري وفراس رحال ، مناطير قصور المزارع في ريف فلسطين ، ص ١٠٨ .

التي حول القدس وبيت لحم ٥٠٠ هكتاراً^(١)

استخدم العنب في صناعة الدبس ، وانتشرت صناعته في المنطقة ، حتى أن مركز المدينة الحالي سمي بالمدبسة ، وهناك إشارة إلى إحدى قضايا الوفاة في منتصف القرن التاسع عشر تتحدث عن صبي سقط في حلة الدبس وتوفي وذلك أثناء طبخه عندما كان مع والده يطبخون الدبس في الحلة المعروفة بخلة المدبسة^(٢) . كما انتشرت مواسم جمع التين وذلك لتجفيفه (قطين) واستخدامه في الشتاء في قرى بيت لحم ، هذا ومازالت بعض المناطير قائمة حتى يومنا هذا في المنطقة حيث توقف الناس عن استخدامها فانهارت حجارتها ، إلا أن بعضها قد رم واستخدم من جديد وخاصة في الأراضي التابعة للأديرة ، حيث يشاهد أحدها في بيت ساحور في أراضي دير اللاتين . وآخر في منطقة الكركفة وسط المدينة الحديثة ، وآخر في بيت جالا تم ترميمه واستخدامه في الصيف .

نتائج

تعتبر بيت لحم فقيرة من الناحية الزراعية لافتقارها إلى المقوم الأساسي وهو المياه إذ لا ينبع مياه ولا مجرى طبيعي يمر بأرضها وهي اعتمدت على مياه الأمطار ، عبر آبار حفرها السكان لاستخداماتهم اليومية ، ففي كل منزل نجد بئر ماء ، كما قام السكان بري محاصيلهم البسيطة حول البيوت ، وفي قصبته خاصة بالقربية أو الدلو . وتقوم المدينة على هضاب مرتفعة بتربة كلسية قابلة لنمو أنواع معينة من الثمار والأشجار ولا تشكل التربة خليطاً مناسباً لنمو زراعات دورية طويلة الأمد .

انتشرت أشجار الزيتون والكرمة في السهول والتلال التي تطل عليها القصبية ،

(١) الكزاندر شولس ، تحولات جذرية في فلسطين ١٨٥٦-١٨٨٢م ، نقله عن الألمانية كامل جميل

العسلي ، الطبعة الثانية ، دار الهدى ، ١٩٩٠م ، ص ١٩٧ .

(٢) خليل شوكة ، تاريخ بيت لحم في العهد العثماني ، ص ١٨٨ .

كما انتشرت الأشجار الحرجية كالبلوط ، والخروب بين صخور التلال ، وفي السفح ، إلا أن هذه الزراعة كانت قاصرة نتيجة لظروف سياسية واجتماعية . قامت زراعات بسيطة ولكنها متقدمة في القرى المجاورة للمدينة ، وخاصة قرية ارطاس لوجود المياه الدائم وهي برك سليمان ومرور قناة السبيل من أراضيها ولوجود عين ارطاس حيث أقيمت مدرجات زراعية في وادي ارطاس سقيت بقنوات المياه التي جُرت من التجمعات الصغيرة (البرك) التي أقامها الفلاح وأوصلها بالعين الأساس في القرية ، فزرعت أصناف عديدة من الثمار التي غذت السوق المحلية في المدينة . حيث تم توزيع المياه بطريقة التراضي التي لاءمت حاجة المزارع وحجم أرضه .

كما قامت زراعات أخرى في القرى الأخرى مثل بتير ، والخضر على مجاري المياه ، فاشتهرت أنواع منها الباذنجان البتيري ، والخس والقرنبيط في ارطاس ، حيث اعتمدت القرى الملحقة بالمدينة على الزروع الشجرية مثل الزيتون الذي اشتهرت به مدينة بيت جالا ، لكثافة زيتته وجودته ، حيث كان ثمنه يفوق ثمن زيت المناطق الأخرى ، كما قامت زراعات بعليه على سفوح وأودية القرى المحيطة عمادها القمح ، والشعير ، وبعض البقوليات كالعدس والكرسنة ، ولكنها كانت قاصرة عن كفاية السكان . لهذا لم يكن لها دور فعال في الاقتصاد المحلي للمدينة .

شاهد الرحالة الأجانب والعرب وعند زيارتهم للمنطقة أنواعاً من الزروع وخاصة على الطريق المؤدي إلى بيت لحم من القدس وأعجبوا بالساحات الخضراء في تلك المنطقة ، ولكنها قلت في النصف الأول من القرن التاسع عشر .

تملك الأوروبيون قطع أراض في منطقة بيت لحم ، وطوروا الزراعة فيها ، فقد حسنوا أشجار الفاكهة فيها ، وأدخلوا أنواعا من الخضراوات لم تكن معروفة لدى السكان المحليين .

تم التعرف على الزراعات من خلال وثائق البيع والشراء لقطع الأراضي

المزروعة تيناً وزيتوناً ، والتي وثقتها سجلات المحكمة الشرعية في القدس ، إلا انها قطع صغيرة على الرغم من وفرة الوثائق .

كذلك ونتيجة لتداول الأراضي ودخول الأجنب إلى المنطقة ، انتعشت الحركة الزراعية ، وحركة البناء مما نبه الحكومة الى ريع المنطقة ، فصدرت مذكرات تنص على وجوب ايجاد مكاتب ضريبية في الناحية (ويركو) .

تذبذب ريع المحصول الزراعي في القرى مما أدى إلى تذبذب قيمة الخراج ، نتيجة الجفاف ، حيث زرعت قرى ولم تزرع أخرى في المنطقة ، وفي سنوات متفاوتة . حيث وثق الأمر ورفع لمسؤولي الحكومة وتمت الاستجابة له ، كما أقام الناس حراسات على كرومهم فيما عرف بأشهر التعزيب ، وذلك في فصل الصيف وفي بيوت صخرية بسيطة أسموها المناطير .

في منتصف القرن التاسع عشر بدأت حركة شراء نشطة للأراضي وخاصة من العائلات المسلمة ، فسيطرت الطوائف المسيحية على الأرض الحيوية في مدخل بيت لحم الشمالي المعروف بالقبة حيث أقيمت بعض المراكز كمستشفى الكاريتاس وماراندريا ، كما اشترت المنطقة الممتدة بين بيت لحم ، وبيت جالا المعروفة بباب الزقاق حيث كروم الزيتون والتين ، ثم في قصبة بيت لحم نفسها وفي منطقة المدبسة معقل الفواغرة .

إن مشهد الأراضي الزراعية لبيت لحم وقرائها أيامنا هذه قد تغير ، والى الأبد ، وذلك بسوار المستوطنات المحكم حول المدينة ، والذي يظهر أينما التفت الإنسان ومن نوافذ بيته لينتهي حقة طويلة من الشد والجذب في المنطقة . في الوقت الحاضر قامت بعض الزراعات داخل القرى نتيجة الحاجة الملحة وضيق الأحوال الاقتصادية للسكان وافتقارهم للعمل بعد اتفاقية أوسلو ، حيث أقيمت البيوت البلاستيكية في قرى زعترة وتقوع وارطاس ونحالين والخضر وزرعت فيها أنواع من الخضروات كالبنندورة والملفوف ، والقرنبيط ، والباذنجان ، وأنواع أخرى من المحاصيل كالقول واللوبياء والفاصولياء ، ولكنها عاجزة عن سد احتياجات السوق المحلي .

أثر التنظيمات العثمانية على واقع النشاط الزراعي في بلاد الشام منذ منتصف القرن التاسع عشر وحتى بداية القرن العشرين

صلاح عربي عباس (*)

اشتهرت بلاد الشام منذ العصور القديمة بالزراعة ، بل انها كانت من اولى المستوطنات الحضارية التي عرفت الزراعة ، وقد مرت عليها عبر عهودها المختلفة تغييرات كثيرة ، واذا ما نظرنا الى العهد العثماني نجد ان الزراعة كانت تشكل الركن الأساس في اقتصادها ، ولكن واقعها لم يلحظ عليه أي تغيير الا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ؛ إذ قامت السلطات العثمانية بإصدار سلسلة من الإصلاحات عرفت باسم التنظيمات ، وعدت من خلالها بإجراء إصلاحات شاملة وأساسية في عدة مجالات ومنها مجال الزراعة ، وأصدرت في سياقها جملة من القوانين كان الهدف منها تنظيم ملكية الأراضي ، وتشجيع المزارعين على استغلال الأراضي المتروكة ، وتحسين الإنتاج الزراعي وإدخال محاصيل إنتاجية جديدة الى الأراضي الزراعية العثمانية ، واقامة المؤسسات الزراعية الحديثة مثل دوائر الزراعة وفروع للبنك الزراعي ، وغرف التجارة والزراعة ، وقد كان لهذه الإصلاحات آثارها الاقتصادية على واقع النشاط الزراعي في بلاد الشام .

(*) كلية التربية ، جامعة كركوك ، جمهورية العراق .

أولاً: الواقع الزراعي في بلاد الشام قبل مرحلة التنظيمات

دخلت بلاد الشام تحت السيطرة العثمانية بعد الانتصار على المماليك في معركة مرج دابق عام ١٥١٦ م وقد قسمت اداريا إلى ثلاث ولايات (دمشق ، وحلب ، وبيروت) ، ثم ألحقت بها ثلاث متصرفيات ربطت اداريا بولاية دمشق وهي متصرفيات (القدس ، ودير الزور ، وجبل لبنان)^(١) .

مع بداية العهد العثماني لم يتغير الوضع الاقتصادي في الولايات العثمانية كثيرا عما كان عليه في زمن المماليك ؛ إذ بقي اقتصادا ريفيا زراعيا يقوم على الرعي وتربية المواشي والزراعات التقليدية ، وانحصر التغيير في تبديل بعض المسؤولين والإقرار بشرعية البنى الاجتماعية - السياسية القائمة ، حيث ابقى العثمانيون على زعامة العائلات المنتفذة في الشام والتي كان عددها انذاك سبع عشرة عائلة اقطاعية^(٢) ، فعلى اثر انضمام زعماء هذه العائلات إلى السلطان سليم الأول (١٥١٢-١٥٢٠م) بعد معركة مرج دابق وإعلانهم خضوعهم التام

(١) محمود الجركس ، الدليل المصور للبلاد العربية ، ج١ ، مطبعة بابيل اخوانه ، دمشق ، ١٩٣٠ م ، ص ١٩ ؛ وتجدر الإشارة إلى إن التقسيم الإداري في أواخر العهد العثماني كان كالآتي : ولاية سوريا أربعة الوية هي (الشام وحما وهوران والكرك) ، ولاية حلب (حلب ، واورفة ، ومرعش) ، ولاية بيروت (بيروت ، عكا ، طرابلس ، لاذقية ونابلس) ، فضلا عن متصرفية القدس ودير الزور وجبل لبنان ، وقد تجزأت بلاد الشام نهاية الحرب العالمية الأولى الى عدة دول منها سورية الحالية ولبنان وفلسطين وشرق الاردن ، حسب اتفاقية سايكس بيكو عام ١٩١٦ م . ينظر : ساطع الحصري ، البلاد العربية والدولة العثمانية ، جامعة الدول العربية ، معهد الدراسات العربية العالية ، د . م ، ١٩٥٧ م ، ص ١٤١-١٤٤ ؛ يوسف الحكيم ، سورية والعهد العثماني ، دار النهار للنشر ، بيروت ، ١٩٨٠ م ، ص ١٦ .

(٢) عبد الكريم غرايبة ، سورية في القرن التاسع عشر ١٨٤٠-١٨٧٦ م ، معهد الدراسات العربية العالمية ، بيروت ، ١٩٦٢ م ، ص ٤١ ، وسيسار إلى هذا المرجع عند وروده فيما بعد : غرايبة ، سورية في القرن التاسع عشر .

له اقرهم السلطان على مكائتهم ، وأوكل اليهم مهمة الإشراف على الأراضي ،
والتصرف في الفلاحين التابعين لهم^(١) ، وبالمقابل استخدم العثمانيون هؤلاء
الزعماء ليحافظوا على الأمن والاستقرار وليحصلوا من خلالهم على اكبر قدر
ممكن من الضرائب التي كانت تفرض على الفلاحين والحرفيين والتجار^(٢) .
وهذا الأمر جعل الواقع الزراعي الذي يعد عماد الحياة الاقتصادية واقعا صعبا
وسيثا للغاية ، اذ استنزف النهب الإقطاعي الاقتصاد الزراعي بشكل واسع ،
وافقر الفلاح وافرغ القرى من سكانها واهمل مشاريع العمران وابقى الأرض من
غير زراعة كل ذلك كان من مظاهر ذلك الاستنزاف^(٣) ، فكانت أوضاع
الفلاحين مزرية للغاية ، فإلى جانب تعرضهم إلى استغلال واضطهاد الولاة
المحليين الذين كانوا يرسلون ما ينتزعونه من ضرائب وإتاوات إلى السلاطين
العثمانيين ، أو يستخدمونه في تصريف شؤونهم المحلية ، كانوا يتعرضون إلى
استغلال بشع من جانب الإقطاعيين وكبار ملاك الأراضي أيضا^(٤) ، ويمكن ان
نرى ذلك واضحا من خلال وصف المؤلفين رفيق حلمي ومحمد بهجت في
كتابهما (ولاية بيروت) لأوضاع الفلاحين في عكا ؛ إذ يقولان : ((إن الفقراء
المزارعين الموجودين تحت رحمة أولئك المتغلبين هم في حالة يرثى لها ، لأنهم

(١) يوسف دبس ، تاريخ سوريا ، ج ٧ ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٦٣ م ، ص ٥ .

(٢) هاملتون جب وهارولد بوون ، المجتمع الإسلامي والغرب ، جزءان ، ترجمة احمد عبد الرحيم
مصطفى ، ج ١-٢ ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧١ م ، ص ٥ .

(٣) عماد احمد الجواهري ، «حياة الأرض في فلسطين في العهد العثماني» ، مجلة مركز الدراسات
الفلسطينية ، بغداد ، العدد ٢٥ ، ١٩٧٧ م ، ص ٥٣ .

(٤) صلاح عربي العبيدي ، الدور الاقتصادي للبرجوازيين الوطنيين في المشرق العربي حتى ستينات
القرن العشرين ، دار غيداء للنشر والتوزيع ، عمان ، ٢٠١٠ م ، ص ٢٣-٢٤ . وسيشار إلى هذا المرجع
عند وروده فيما بعد : العبيدي ، الدور الاقتصادي للبرجوازيين ؛ فلاديمير مورسيوفيتش لوتسكي ،
تاريخ الأقطار العربية الحديث ، ترجمة عفيفة البستاني ، دار التقدم ، موسكو ، ١٩٧١ م ، ص ١٧ ،
وسيشار إلى هذا المرجع عند وروده فيما بعد : لوتسكي ، تاريخ الأقطار العربية الحديث .

يجهدون أنفسهم سنة كاملة ، ثم لا يكون نصيبهم من ذلك السعي المبرح الا الخسران والحرمان))^(١) .

كما إن العلاقة بين الريف والمدينة اتسمت بسيطرة الوجهاء والتجار والملاكين الكبار على مقدرات الطبقة الفلاحية في الأرياف ، بحيث أصبح العديد من القرى ملكا صرفا لهم^(٢) ، فعلى سبيل المثال كانت هناك (١٢٤) قرية في أطراف حماه^(٣) تعود ملكية (٨٠٪) منها إلى ملاكين لا يتجاوز عددهم أصابع اليد^(٤) ، وفي أطراف حمص^(٥) كان هناك (١٧٦) قرية حصة الوجهاء

(١) رفيق التميمي ومحمد بهجت ، ولاية بيروت ، دار لحد خاطر ، بيروت ، ١٩٧٩ م ، ج ٢ ، ص ١٢٨ ، وسيشار إلى هذا المرجع عند وروده فيما بعد : التميمي وبهجت ، ولاية بيروت ؛ وجيه كوثراني ، «الحياة الاقتصادية في ولاية بيروت عشية الحرب العالمية الأولى من خلال كتاب ((ولاية بيروت)) لرفيق التميمي ومحمد بهجت» ، في الحياة الاقتصادية للولايات العربية ومصادر وثائقها في العهد العثماني ، جمع وتقديم عبد الجليل التميمي ، منشورات مركز الدراسات والبحوث عن الولايات العربية في العهد العثماني الجزء ان ١-٢ ، جمع وتقديم عبد الجليل التميمي ، زغوان ، تونس ، ١٩٨٦ م ، ص ٣٨٧-٣٨٨ .

(٢) وجيه كوثراني ، بلاد الشام (السكان ، الاقتصاد والسياسة الفرنسية في مطلع القرن العشرين) قراءة في الوثائق ، معهد الإنماء العربي ، بيروت ، ١٩٨٠ م ، ص ٢٥ ، وسيشار إلى هذا المرجع عند وروده فيما بعد : كوثراني ، بلاد الشام السكان .

(٣) حماه : مدينة سورية على نهر العاصي وسط واحة خصبة على طريق حلب دمشق ، وهي مركز تجاري وصناعي وسوق زراعية ، ومن اقصيتها السلمية ، مصيف ، محردة . لويس معلوف ، المنجد في الاعلام ، دار المشرق ، بيروت ، ٢٠٠١ م ، ص ٢٢٤ ، وسيشار إلى هذا المرجع عند وروده فيما بعد : معلوف ، المنجد في الاعلام .

(٤) محمد كرد علي ، خطط الشام ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٧٢ م ، ج ١ ، ص ١٩٥ .

(٥) حمص : مدينة سورية على العاصي بين دمشق وحماه فيها العديد من البساتين ترويهما بحيرة حمص ، وهي قاعدة محافظة من اقصيتها تل كلخ ، تدمر ، الرستن ، القصير . معلوف ، المنجد في الإعلام ، ص ٢٢٥ .

منها (٨٠٪) و (٢٠٪) الباقية كانت موزعة بين الوجهاء والفلاحين ، عدى بعض القرى التي لم تمتد أيدي الوجهاء والملاكين إليها ، ويصف عيساوي هذه الحالة بقوله : ((ما من بيت من بيوت دمشقالكبيرة الا يملك مساحات واسعة في الغوطة ، بل نصف الأرض فيها بيد متوسطي الزراع والريع بيد صغارهم والريع الأخير يخص ارباب الوجاهة بدمشق)) ، لكن هذه الحالة لم تكن مطلقة فبعض المناطق كان واقعها مختلف ولا يوجد فيه هذا الاستغلال ومنها حوران حيث نجد ان (٩٥٪) من الأرض موزع بين سكانه بنسب عادلة ، وكذلك في جبل حوران وعجلون^(١) والبلقاء والكرك ووادي التيم واقليم البلان^(٢) .

من جانب اخر كانت تجري عملية انتزاع مستمرة للأراضي التي بحوزة الفلاحين وتمنح إلى الشيوخ وكبار القادة وموظفي الدولة ، ونتيجة لهذا الواقع أخليت العديد من القرى من سكانها ، وأهملت الأراضي الزراعية ، وهذا ما يؤكد الرحالة الفرنسي فولني Volney حيث يصف الواقع الزراعي في حلب عام ١٧٨٥م ويؤكد انه لم يبق في حلب من مجموع (٣٢٠٠) قرية كانت موجودة في القرن السادس عشر سوى (٤٠٠) قرية في نهاية القرن الثامن عشر ، وان «اغلب من تجاوزت أقامتهم بحلب عشرين سنة يرون ان اغلب جهات حلب قد تخلى عنها سكانها ، فالمسافر لا يجد في كل الجهات سوى منازل مهدمة ، فالمزارعون هربوا للمدن حيث يمكن ان ينجوا الإنسان من الاستبداد والتسلط

(١) عجلون : مدينة أردنية في محافظة اربد فيها اطلال قلعة ايوبية . معلوف ، المنجد في الاعلام ، ص

(٢) شارل عيساوي ، التاريخ الاقتصادي للهلل الخصب ١٨٠٠-١٩١٣م ، ترجمة رؤوف عباس حامد ،

مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ١٩٩٠م ، ص ٤٩٠-٤٩١ . وسيشار إلى هذا المرجع عند

وروده فيما بعد : عيساوي ، التاريخ الاقتصادي للهلل الخصب .

على الناس»^(١)، كما لم تعد الأراضي الزراعية تنتج ربع ما كانت تنتجه في العصور السابقة^(٢).

ونتيجة لهذا الوضع المزري أيضا أخذت فئات من السكان الذين كانوا قد استقروا في مناطق الأطراف المتاخمة للصحراء بالعودة إلى حياة التنقل وتربية الحيوانات^(٣)، وقد استمرت هاتان الظاهرتان على التوسع في النصف الأول من القرن التاسع عشر، فقد ذكر السائح الفرنسي بوزولات Bozzolat الذي زار سوريا عام ١٨٣٧م بأنه وجد أكثر الأراضي السورية الواقعة بين حلب وعينتاب^(٤) وإطراف معرة النعمان^(٥) وشرقي حمص متروكة و((ان كل ارض اراها هناك تنقصها الأيدي اللازمة لاستثمارها على خصبها وجودتها))^(٦).

والى جانب ذلك كله كانت الزراعة في بلاد الشام تجابه عقبات عدة في مقدمتها الأساليب التقليدية التي يتم فيها حراثة الأرض، حيث يكتفي الفلاحون بخمش وجه الأرض بمقدار شبر او شبرين دون الوصول الى العمق، باستخدام وسائل بدائية توارثوها عن الاباء والأجداد بدل من الوسائل الحديثة التي «يأنف ارباب الزراعة من اتخاذها لما تستلزم من النفقات والاختبار، الامر

(1) Constantin-François de Chasseboeuf, Comte de Volney, *Oeuvres completes*. Paris, 1838, p. 238.

(٢) لوتسكي، تاريخ الأقطار العربية الحديث، ص ١٧.

(٣) المرجع نفسه، ص ١٧.

(٤) عينتاب: مدينة تركية على ساجور رافد الفرات شمالي الحدود السورية، قلعة ومتحف اثري.

معلوف، المنجد في الاعلام، ص ٣٨٥.

(٥) معرة النعمان: مدينة سورية مركز قضاء في محافظة ادلب، معلوف، المنجد في الاعلام، ص ٥٣٧.

(٦) نقلا عن: علي الحسني، تاريخ سوريا الاقتصادي الاقتصادي الحرة والاستقلال، مطبعة بدائع

الفنون، دمشق، ١٩٢٣م، ص ١١٦، وسيشار إلى هذا المرجع عند وروده فيما بعد: الحسني، تاريخ

سوريا الاقتصادي.

الذي يترتب عليه عدم حفر التربة حفرا بليغا يغني أصول الإعشاب الباطلة ويحيي موات الأرض»^(١)، هذا فضلا عن عدم معرفة الإقطاعيين وكبار الملاك والمؤسسات الزراعية الرسمية باحدث الطرق التي تستثمر فيها الأراضي الزراعية، والأساليب التي تكافح به الآفات الزراعية، مثل اسراب الجراد، و اخطار الجفاف^(٢)، وتخلف وسائل الري الذي كان يشكل عقبة أساسية أمام توسع المساحة المزروعة، وزيادة إنتاجية الأرض في المناطق التي تروى بالواسطة^(٣).

ثانيا: التنظيمات العثمانية وأثرها على واقع النشاط الزراعي في بلاد الشام:

في النصف الثاني من القرن التاسع عشر شهدت الدولة العثمانية جملة متغيرات انعكست على أوضاعها السياسية والاقتصادية والاجتماعية^(٤)، وكانت السياسة العثمانية الجديدة والمتمثلة بإعادة السلطة المركزية المباشرة على

(١) توما كيال، «تجارة صيدا وزراعتها وصناعتها»، مجلة المشرق، المجلد ١١، العدد ٣، بيروت ١٩٠٨ م، ص ١٦٩، وسيشار إلى هذا المرجع عند وروده فيما بعد: كيال، تجارة صيدا؛ بدر الدين السباعي، أضواء على الرأسمال الأجنبي في سورية ١٨٥٠-١٩٥٨ م، دار الجماهير، دمشق، ١٩٦٧ م، ص ٤.

(٢) عبد الله حنا، القضية الزراعية والحركات الفلاحية في سوريا ولبنان ١٩٢٠-١٩٤٥ م، القسم الثاني، دار الفارابي، بيروت، ١٩٧٨، ص ٤٣. وسيشار إلى هذا المرجع عند وروده فيما بعد: حنا، القضية الزراعية.

(٣) عبد الزهرة مكطوف الجوراني، الفكر السياسي في المشرق العربي أواخر القرن التاسع عشر حتى عام ١٩١٤ م، أطروحة دكتوراه غير منشورة، معهد الدراسات القومية والاشتراكية، الجامعة المستنصرية، ١٩٩٠ م، ص ٢٧. وسيشار إلى هذا المرجع عند وروده فيما بعد: الجوراني، الفكر السياسي في المشرق العربي.

(4) Bernard Lewis, *The Emergence of Modern Turkey*. London, 1961, p. 103.

ولاياتها في مقدمة تلك المتغيرات ، وهذا ما نراه واضحا في بلاد الشام ومناطق أخرى ، وقد أسهمت هذه السياسة في توسيع نطاق الزراعة في بعض مناطق بلاد الشام واستقرار أكثر للبدو ، وانتعاش التجارة من خلال إشاعة الأمان على الطرق التجارية بين ديار بكر وسوريا وشمال العراق وأسيا الصغرى حتى أواخر عهد السيطرة العثمانية^(١) .

وكانت سلسلة الإصلاحات العثمانية التي عرفت باسم التنظيمات الخيرية من ابرز المتغيرات في السياسة العثمانية ، وتمثلت تلك التنظيمات في سلسلة طويلة من القوانين والنظم منذ خط شريف كوخانه ١٨٣٩م وحتى إعلان الدستور ١٨٧٦م وإعادة العمل به عام ١٩٠٨م ، وفي سياق التنظيمات أيضا أصدرت السلطات العثمانية العديد من القوانين ذات الصلة المباشرة بالواقع الزراعي ، وكان لذلك كله بعض الانعكاسات على واقع النشاط الزراعي في بلاد الشام ، وهذا ما سنتحدث عنه بالتفصيل .

١ . خط شريف كوخانه

وهو أول مرسوم إصلاحي صدر في ٣ تشرين الثاني ١٨٣٩م بجهود مصطفى رشيد باشا^(٢) ، وبعد فترة قصيرة من تولي السلطان عبد المجيد (١٨٣٩-١٨٦١م) السلطنة ، حيث تلي في قصر الكلخانه أي (قصر) الورد على

(١) احمد ، تاريخ الوطن العربي في العهد العثماني ، ص ١٨٨ ، ص ٢١٤ ، ص ٢١٧ ؛ العبيدي ، الدور

الاقتصادي للبرجوازيين ، ص ٢٨ .

(٢) مصطفى رشيد باشا : تولي منصب الصدر الأعظم ست مرات بين عامي (١٨٤٥-١٨٥٧م) ، وهو

الذي ادخل الإصلاحات العثمانية المعروفة بالتنظيمات إلى حيز الوجود عام ١٨٣٩ م ، وتوفي في

عام ١٨٥٨ م . لمزيد من التفاصيل عن حياته ينظر :

Enver Behnan Şapolyo, *Mustafa Reşit Paşa ve Tanzimat devri tarihi*, İstanbul 1945, pp. 7-15.

مشهد من الأعيان وسفراء الدول الأوربية وكبار رجال الدين والدولة وعلى مسمع من السلطان^(١) .

اقترح المرسوم علاجاً لوضع الدولة العثمانية ، بإيجاد قوانين جديدة كي تزود الحكومة العثمانية بالإدارة الجيدة ، التي ستعمل على تحقيق العدالة من حيث الأمان للجميع والحفاظ على حياتهم وشرفهم والاهتداء إلى نظام جديد في تقدير وجمع الضرائب^(٢) ، ووعد بإلغاء الالتزام^(٣) الذي أدى إلى إفقار وظلم الخزينة والفلاحين معا : ((لم تزل أصول الالتزامات التي هي من الات الخراب ولم يجن منها ثمر نافع في وقت من الأوقات ، جارية حتى اليوم ، وكأما هي عبارة عن تسليم مصالح البلاد السياسية وأمورها المالية لإدارة احد الناس وربما

(١) احمد عبد الرحيم مصطفى ، في أصول التاريخ العثماني ، المعرفة ، بيروت ، ١٩٨٢م ، ص ١٩٨ .

وسيشار إلى هذا المرجع عند وروده فيما بعد : مصطفى ، في أصول التاريخ العثماني .

(٢) عبد الوهاب القيسي ، «حركة الإصلاح في الدولة العثمانية وتأثيرها في العراق (١٨٣٩-١٨٧٧م) ،

مجلة كلية الآداب ، جامعة بغداد ، بغداد ، العدد ٣ ، ١٩٦١م ، ص ١١٣ ؛ جوستين مكارثي ،

«سياسات الإصلاح العثماني» ، ترجمة عبد اللطيف الحارس ، مجلة الاجتهاد ، بيروت ، العدد ٥-٦

/٢٠٠٠م ، ص ٧١-٧٢ .

(٣) الالتزام : يقصد به بيع ضرائب اقليم واسع لبعض الموظفين الكبار ، أي ان هؤلاء المتزمن يدفعون

للسلطان قبل وقت الجباية البالغ المترتبة على هذا الإقليم ، ومن ثم يقومون هم بجباية ضرائبه ، وقد

وجد السلاطين هذه الطريقة مناسبة للدولة لأنها تؤمن مورد ثابت وعاجل ، لاسيما وان بعض

الأقاليم كانت بعيدة نسبياً عن العاصمة كما هو الحال بالنسبة لبلاد الشام ، وبالتالي يكون مجال

تخلف جباية الضرائب (الامناء) عن دفع ما جمعه للخزينة كبير جداً ، ولم يكن الموظفون الكبار

المتزمنون يقومون بأنفسهم بجمع الضرائب ، انما كانوا يبيعونها بدورهم إلى أجزاء ، وقد تتكرر عملية

التجزئة مرات عديدة . ينظر : ليلي الصباغ ، المجتمع العربي السوري في مطلع العهد العثماني ، وزارة

الثقافة والإرشاد القومي ، دمشق ، ١٩٧٣م ، ص ٣٧ .

إلى مخالِب جبره وتغلبه))^(١)، وجعل جباية الأموال وتوزيعها بمقتضى احكام الشرع، ومنع المرسوم المصادرة، وتعهد بايجاد الظروف للتملك الخاص، ومنح هذا الضمان للرعايا كافة بغض النظر عن ديانتهم^(٢)، كما وعد المرسوم بتحديد مدة الخدمة العسكرية بأربع أو خمس سنوات واستخدام أسلوب المناوبة، لان طول الخدم العسكرية له انعكاسات سلبية على الأوضاع الاقتصادية، وأكد المرسوم على استمرار الإصلاح في الدولة العثمانية عن طريق إصدار التنظيمات والقوانين المتعلقة بالامن والتنظيمات المالية، فضلا عن العسكرية، ووعد بعدم مخالفة هذه القوانين جميعا واحترامها^(٣).

لاقى خط كوخانه رد فعل ايجابي مؤيد للوعود المعطاة حول الأمن والرفاه والإصلاح الضريبي والقوانين الجديدة، بينما لاقى تطبيقه معارضة الطبقة التي كان لها حقوق مكتسبة في النظام القديم. وبقدر تعلق الامر بولايات الشام وانعكاسات تطبيق هذا الخط على الواقع الزراعي فيها، فان سوريا وفلسطين عادت إلى سيطرة الدولة العثمانية بعد هزيمة إبراهيم باشا عام ١٨٤٠م، وأرادت ان تحل محله وترث ما كان يقوم به من إصلاحات^(٤)، لذا فقد كانت حريصة

(١) مجموعة القوانين والأنظمة العثمانية المنشورة باسم «الدستور»، مجلدان، تعريب نوفل نعمة الله نوفل، تدقيق خليل افندي الخوري، المجلد الأول، المطبعة الأدبية، بيروت، ١٣٠١هـ، ص ٣. وسيشار إلى هذا عند وروده فيما بعد : الدستور.

(٢) انكه لهارد، تاريخ الإصلاحات والتنظيمات في الدولة العثمانية، ترجمة محمود على عامر، دار الزمان، دمشق، ٢٠٠٨م، ص ٤١؛ حنا، القضية الزراعية، ص ٦٨.

(٣) عبد العزيز محمد عوض، الإدارة العثمانية في ولاية سورية (١٨٦٤-١٩١٤م)، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٩م، ص ٢١.

(٤) يذكر ان الزراعة في ولايات بلاد الشام شهدت نوعاً من الاهتمام خلال مدة الحكم المصري هناك (١٨٣١-١٨٤٠م)، إذ كانت تتأثر بحركة التطور الاقتصادي التي شهدتها ولاية مصر في عهد محمد علي باشا. ولقد اعترف المسؤولون البريطانيون بفضل الإدارة المصرية في تطوير =

على تطبيق المبادئ الإصلاحية التي وردت بهذا المرسوم^(١) ، وقامت الدولة العثمانية عن طريق واليها في الشام بإفهام الأهالي بمضمون التنظيمات ، وهذا يعني ان الدولة العثمانية كانت مهتمة بتحسين الظروف التي ظلت الرعية تترجح تحت وطأتها قرونا من الزمن^(٢) .

طبق نظام إلغاء الالتزام فعليا في سورية عام ١٨٤٠م ، وقد اضر تطبيقه بفئات معينة كالأعيان والاعاوات وقواد الجيش ، كما اثر على عدد من المزارعين والوكلاء والموظفين الذين كانوا يستفيدون من النظام القديم ، وعلى الرغم من ان القرار قد خفف من الأعباء على الفلاحين بيد انه سبب نقصا في عائدات الدولة لان نظام الجباية المباشر قد اختلط بفساد الموظفين^(٣) وقلة الخبرة وعدم امتلاك الدولة جهازا اداريا قادرا على التنفيذ^(٤) ، ومن ثم فإن هذا التطبيق جوبه بصعوبات جمّة فلم يكن من السهل تطبيقه في القرى السورية ، وذلك لان

= وتنمية اقتصاديات بلاد الشام . إذ أشار القنصل البريطاني برانت في دمشق (Brant) إلى سفير دولته في اسطنبول إلى التقدم الحضاري والإزدهار الاقتصادي ، وانتشار الأمن ، وتحديد الضرائب خلال مدة الحكم المصري . ينظر : عبد العزيز سليمان نوار ، وثائق أساسية من تاريخ لبنان الحديث ١٥١٧-١٩٢٠م ، جامعة بيروت ، بيروت ، ١٩٧٤م ، ص ٤٠٤-٤١١ .

(١) نايف عبد نايف نجم الجبوري ، موقف نصارى بلاد الشام من الإصلاحات في الدولة العثمانية (١٨٣٩-١٩١٤م) ، دار الحامد ، عمان ، ٢٠١١م ، ص ٨٩ . وسيشار إلى هذا المرجع عند وروده فيما بعد : الجبوري ، موقف نصارى بلاد الشام .

(٢) محمد انيس ، الدولة العثمانية والشرق العربي ١٥١٤-١٩١٤م ، دار الجيل للطباعة ، القاهرة ، ١٩٨٥م ، ص ٢١٢ .

(٣) امل ميخائيل بشور ، سوريا ولبنان في عصر الإصلاح العثماني حقبة التنظيمات من سنة ١٨٤٠م لـ ١٨٨٠ ، المؤسسة الحديثة للكتاب ، طرابلس ، ٢٠٠٦م ، ص ٢٧٨ . وسيشار إلى هذا المرجع عند وروده فيما بعد : بشور ، سوريا ولبنان في عصر الإصلاح .

(٤) مصطفى ، في أصول التاريخ العثماني ، ص ٢٠٤ .

الجيش النظامي الذي اعتمدت عليه الدولة لفرض هيبتها ، كانت قوته وعدده لا تسمحان بتنفيذ المرسوم خصوصا في المرحلة الأولى من عودة العثمانيين الى سورية ، لذلك أوقف العمل به بعد فترة قصيرة^(١) ، وأعيد العمل بنظام الالتزام في عام ١٨٤٢م واستمر هذا الأمر لغاية عام ١٨٥٦م حيث الغي بصدور خط شريف همايون^(٢) .

وعلى اثر خط كلخانه ايضا أدخلت السلطات العثمانية في عام ١٨٤١م تقسيمات جديدة في سوريا ، اذ أدمجت ولايتي صيدا وطرابلس في ايةالة^(٣) واحدة ونقل مركزها إلى بيروت ، وجزئت فلسطين إلى سنجق القدس الخاص ، الذي كان تحت اشراف والي بيروت ، غير ان خط كلخانه والتغيرات الإدارية لم تغير جوهر النظام الإقطاعي في سوريا ، لذلك شهدت البلاد جملة من

(١) ومن الجدير بالذكر ان العثمانيين تخلوا عن النظام الضريبي الجديد بعد خروج مصطفى رشيد باشا (الصدر الأعظم) من الوزارة عام ١٨٤١م ، وعادوا إلى النظام القديم وأبعد جباة الضرائب عن الأقاليم وأعيدت الجباية الى الحكام والمتعاقدين . ينظر : بشور ، سوريا ولبنان في عصر الاصلاح ، ص ٢٧٨ .
(٢) عبد العزيز الدوري ، مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٨٠ م ، ص ١٢٣ .

(٣) الايالة : يطلق هذا المصطلح على اكبر التقسيمات الادارية في الدولة العثمانية ، فقد كانت الدولة مقسمة اداريا الى عدة ايالات ، والايالات بدورها مقسمة الى سناجق ، والسناجق الى اقصية ، والاقصية مقسمة الى نواح والنواحي الى قرى ، وقد اشرف على الايالات امير الامراء ومن ثم الوزراء بعد القرن السادس عشر ، حيث كانوا يمثلون السلطان ويجمعون بين الحكم الاداري والعسكري للايالة ، وقد كان لفظ الايالة اكثر شمولا وتعميما من لفظ الولاية ولكنه استخدم في بعض الاحيان مترادفا معها ، وقد انتهى استخدام مصطلح الايالة بعد صدور قانون الولايات ١٨٦٤م . ينظر : سهيل صابان ، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض ، ٢٠٠٠ م ، ص ٤٥ .

الانتفاضات ضد الإقطاعية ، من أهمها انتفاضة حلب عام ١٨٥٠م ، وانتفاضة حوران عام ١٨٥٣م^(١) .

وبخصوص تطبيق خط كوخانه في لبنان فقد أرسل السلطان عبد المجيد الأول فرمانا إلى الأمير بشير الثاني^(٢) أمير لبنان يطلب منه فيه نشر مضمون الخط في ارجاء لبنان الذي كان ذا وضع خاص عن باقي انحاء الشام^(٣) .

من جانب آخر سعى العثمانيون بعد إصدار هذا المرسوم وفرض سيطرتهم على بلاد الشام إلى إخضاع القوى المحلية التي لازالت تشكل عائقا في طريقهم فكانت القبائل البدوية التي تعيش في الصحراء السورية أهم تلك القوى ، فقد بدأت هذه القبائل منذ القرن الثامن عشر بالتوسع على حساب الأراضي الزراعية دافعة امامها حدود الرعي باتجاه السهول السورية الغربية ، وقد تركزت في منطقة شرقي الأردن وصحراء النقب ، وأخذت تحكم المناطق التي تسيطر عليها حكما عشائريا ، وكانت الدولة تدفع لهذه القبائل الأموال لحماية قوافل الحج ، غير ان ذلك لم يمنع غزو هذه القبائل لقرى الفلاحين^(٤) ، لذلك حاولت

(١) لوتسكي ، تاريخ الأقطار العربية الحديث ، ص ١٥٣ .

(٢) بشير الثاني : اسمه بشير قاسم الشهابي ، تولى اماره لبنان بعد وفاة عمه يوسف عام ١٧٩٨م ، وعندما نازعه أبناء عمه على الإمارة ، التجأ إلى محمد علي باشا والي مصر لطلب الإسناد ، وقد افاد محمد علي من وجوده عندما شرع لغزو بلاد الشام عام ١٨٣٢م اذ قدم بشير الثاني الدعم للمصريين ، وبعد انسحابهم من بلاد الشام نفته بريطانيا إلى مالطا عام ١٨٤٠م من صيدا على ظهر سفينة بريطانية إلى مالطة ومكث هناك ما يقارب من عام ثم ذهب إلى استانبول وتوفي هناك عام ١٨٥١م . دائرة المعارف الإسلامية ، (مادة بشير الثاني) ، المجلد الثالث ، (الترجمة العربية) ، ص ٦٦٥-٦٦٧ .

(٣) اسد رستم ، الأصول العربية لتاريخ سورية في عهد محمد علي باشا ، المجلد ٥ ، المطبعة الأميركية ، بيروت ، ١٩٣٤م ، ص ١٨٨ .

(٤) بشور ، سوريا ولبنان في عصر الإصلاح ، ص ٣٤٧ .

الدولة العثمانية خلال الفترة (١٨٤٠-١٨٦١م) إخضاع هذه القبائل وحماية المناطق الريفية من تعسفها وقسوتها ، واستخدمت في سبيل ذلك مختلف الأساليب منها توطين بعض القبائل البدوية في بلاد الشام وتقديم التسهيلات الممكنة لها في امتهان الزراعة^(١) ، واستخدام القوة العسكرية ، وتحريض القبائل بعضها ضد البعض الآخر ، لكن هذا التحريض اضر كثيرا بالبلاد فقد ادى التنازع بين القبائل إلى تدهور التجارة والزراعة ، واقتصر الفلاح على زراعة احتياجاته الضرورية ، لذلك لجأت الدولة إلى بناء الحصون العسكرية ، وتقوية مناطق الحدود مع البدو وتوطين العشائر البدوية^(٢) ، ولكن مع ذلك استمرت هذه القبائل تطوف الأرياف السورية وتهاجم القوافل ، وبقي الفلاحون الهدف الرئيس لها حيث كانت تفرض على قراهم مبالغ من الأموال وكميات من الحبوب كبديل لحمايتهم ، وبين الحين والآخر تقوم بغزوهم مما يضطرهم إلى إخلاء قراهم^(٣) .

ويعوجب خط كوخانه أيضا تم استحداث العديد من الضرائب المباشرة (الوريكو) منها ضريبة البديل العسكري والتي يعفى دافعها من الخدمة العسكرية ، وقد طبقت على غير المسلمين منذ عام ١٨٥٥م ، فكان على الغني دفع ١٢٠ قرشا ، وعلى الفقير دفع ٦٠ قرشا ، وضريبة الأملاك العقارية التي استحدثت لها سجلات منذ عام ١٨٦٦ م ، وضريبة اعانة كسوة الملابس الشتوية للجنود ، ورسم الدمغة الذي ينخص الطوابع الرسمية والذي تم العمل به منذ عام ١٩٠٦ م ، ورسم الكودة او الاغنام والجمال ، على راس الغنم ١,٥ قرش

(١) الأرشيف العثماني (اسطنبول) ، وثيقة رقم ٦١٩٥ DH. C .

(٢) عبد العزيز محمد عوض ، «فلسطين في أواخر العهد العثماني ملامح اجتماعية واقتصادية» ، مجلة كلية الآداب ، جامعة الرياض ، م٤ ، العدد ٤ ، ١٩٧٥-١٩٧٦م ، ص ٤٠ . وسيسار إلى هذا المرجع

عند وروده فيما بعد : عوض ، فلسطين في أواخر العهد العثماني .

(٣) بشور ، سوريا ولبنان في عصر الإصلاح ، ص ٣٤٨ .

ثم رفع الى ٥ قروش وضعفها فرض على الجمال ، وغيرها من الضرائب الاخرى (١) .

لم يحقق مرسوم خط كوخانه الأهداف المرجوة منه ، فبدل ان ينهض بالواقع الزراعي ويرفع الظلم عن الفلاحين ، جلب أعباء جديدة عليهم ففرضت الدولة عليهم تموين فرقها العسكرية ومؤسساتها المتمركزة في مناطقهم ، كما فشل في حمايتهم من جشع الجنود غير النظاميين الذين أثقلوا على الأرياف ونهبوها كما فعل البدو ، وبعودة نظام الالتزام اضطر الفلاحون إلى الاستدانة كي يتمكنوا من دفع الضرائب او شراء البذار لمحاصيل السنة القادمة ، وقد أضاف المرابون إلى شقاء الفلاح شقاء مضاعفا ، حيث وصل سعر الفائدة إلى (٥٠٪) كل عام ، وفي محاولة من الدولة العثمانية لإنقاذ الفلاح من هذا الواقع أصدرت عام ١٨٥٢م اصدر السلطان «فرمانا» حددت فيه نسبة فائدة الديون — (٨٪) وأمر مجلس الایالة بالإشراف على ديون الفلاحين وحمايتهم من سلب المرابين ، الا ان ذلك لم يحقق النتائج المطلوبة بل على العكس فقد قام المرابون بزيادة فوائدهم خوفا من المخاطر التي كانت تتهددهم ، ونتيجة لذلك أصبح الفلاح مفلسا ومقيدا ، ولم يكن أمامه الا ان يهجر قريته وأرضه ، او ان يضع نفسه تحت تصرف المرابي او الملتزم او أي شخص له نفوذ في المدينة (٢) ، وهكذا فأن هذا المرسوم فشل في تغيير وضع الفلاح في بلاد الشام ، ولكن من جانب اخر أسهم في تخفيف حدة مصادرة الأموال الى حد ما ، وتمتع النصارى من خلاله بحرية اكثر من ذي قبل (٣) .

(١) فاضل بيات ، دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني ، رؤية جديدة في ضوء الوثائق والمصادر

العثمانية ، الدار الإسلامي ، بيروت ، ٢٠٠٣ م ، ص ١١٤ .

(٢) بشور ، سوريا ولبنان في عصر الاصلاح ، ص ٣٥٠ .

(٣) الجبوري ، موقف نصارى بلاد الشام ، ص ٩١ .

٢. خط شريف همايون وقانون الأراضي

في ١٨ شباط ١٨٥٦م وبعد انتصار الدولة العثمانية وحلفائها (بريطانيا وفرنسا ومملكة سردينيا) على روسيا في حرب القرم ١٨٥٣-١٨٥٦م، وقبل أسبوع من انعقاد مؤتمر الصلح في باريس، اصدر السلطان عبد المجيد خط شريف همايون^(١)، وقد جاء هذا المرسوم نتيجة لضغوط عدد من الدول الأوروبية التي مارستها أملا في قيام نظام حكم دستوري في الدولة العثمانية^(٢).

ركز خط شريف همايون على المساواة في الحقوق والواجبات بين المسلم وغير المسلم، واهتم بالتوزيع العادل للملكية الأرض واستثمارها، ومنع موظفي الدولة من التزام الضرائب بعد ان كان خط كولخانه قد أبطل العمل بنظام الالتزام، ووعد بتنظيم ميزانية الدولة عن طريق تسجيل دقيق جدا للإيرادات والنفقات، كما سمح للخط للأجانب بالتملك في الدولة^(٣)، وهذا بالطبع كان لصالح الدول الأجنبية التي كانت تطالب بتوسيع الحقوق والامتيازات لرعاياها ووكلائها^(٤)، ومن اجل النهوض بالواقع الاقتصادي وعد الخط بإجراء إصلاحات شاملة في مجالات المالية والمواصلات والزراعة والتجارة والتعليم^(٥).

علق شارل عيساوي على نتائج هذا المرسوم في بلاد الشام قائلا: ((بعث هذا المرسوم الأمل في نفوس الفلاحين في إلغاء الاقطاعات والقضاء على

(1) William Miller, *The Ottoman Empire and Its Successors 1801-1927*. London: 1966, p. 298.

(٢) للمزيد من التفاصيل حول هذه الضغوط الأوروبية ينظر: عباس عبد الوهاب علي فارس ال صالح، سياسة بريطانيا الخارجية تجاه الدولة العثمانية ١٨٣٩-١٨٥٦م، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الموصل، ٢٠٠٧م، ص ٩٨-١٠٥.

(٣) الدستور، ج١، ص ٥.

(٤) بطرس لبكي، «تكوين لبنان الاقتصادي ودوره العربي»، مجلة الثقافة العربية، بيروت، العدد ٩ / ١٩٧٢م، ص ٣٧.

(٥) الدستور، ج١، ص ٨.

الامتيازات الإقطاعية في تحديد مقدار الضرائب ، وعند نهاية الخمسينات تبددت تلك الأوهام ، مما أدى إلى زيادة السخط العام ، وزادت الأزمة الاقتصادية الأوضاع تعقيدا ، فبدأت الاحتكاكات تقع في مختلف أنحاء سوريا ولبنان ، وفي منطقة اللاذقية ثار الفلاحون على حكاهم الإقطاعيين ، ووقعت اضطرابات ضد الأتراك في نابلس ، وكان الفلاحون في الريف المحيط بدمشق في حالة غضب ، وادى تزايد سخط الفلاحين في لبنان الى قيام انتفاضة كسروان^(١) .

٣. قانوني الأراضي والطابو

من اجل تنظيم ملكية الأراضي ، وتشجيع المزارعين على استغلال الأراضي المتروكة ، وتحسين الإنتاج الزراعي وإدخال محاصيل إنتاجية جديدة إلى الأراضي الزراعية العثمانية أصدرت السلطات العثمانية قوانين مهمة ، فقد كان من نتائج خط همايون صدور قانون الأراضي في نيسان ١٨٥٨م الذي كان أول قوانين ضبط الأراضي وتحديد مساحتها ، وتنظيم ضرائبها^(٢) ، وقد تألف القانون من ١٣٢ مادة وخاتمة ١٢٧٤هـ^(٣) وكانت إحكامه مستمدة من الشريعة الإسلامية وبعض القوانين الأوروبية الحديثة ، وما جرى به العرف ، وبموجب هذا القانون صنفت الأراضي إلى خمسة أصناف هي :

- ١ . أراضي الملك : وهي المملوكة ملكية حرة وما يترتب عليها من حقوق النقل والبيع والرهن والوصية والهبة وتشمل الأراضي العشرية والخراجية .
- ٢ . أراضي الميري : وتعني ان ملكية الرقبة بيد الدولة في حين ان الأرض في حيازة الحائز حسب استعماله ، وهو يحتاج إلى موافقة الدولة في حال

(١) عيساوي ، التاريخ الاقتصادي للهِلال الخصيب ، ص ١٠١-١٠٢ .

(٢) حنا ، القضية الزراعية ، ص ٣٦ .

(٣) الدستور ، ج ١ ، ص ١٤-٤٣ .

نقلها ، وعليه زراعتها وإذا ما تركها من غير زراعة ثلاث سنوات انتزعت منه .

٣ . أراضي الوقف : وهي التي يخصص دخلها لإغراض دينية او خيرية ، وكانت هذه الأراضي تمثل أسوأ أنماط ملكية الغائبين .

٤ . الأراضي المتروكة : وهي مخصصة للمنفعة العامة ، وتقسم إلى قسمين : القسم الأول : الأراضي المتروكة لجميع الناس مثل الطرق والساحات العامة ، والقسم الثاني : الأراضي المخصصة لمنافع اهل القرى والمدن مثل المراعي (١) .

٥ . الأراضي الموات : ليست ملكا لأحد ومن يعمرها تصبح ملكا له (٢) . وكانت معظم مواد القانون وإحكامه تتعلق بالأراضي الأميرية وكيفية التصرف بها ، ويمكن تلخيص المبادئ المهمة التي احتواها القانون في النقاط الآتية :

١ . أكد القانون ضرورة التمسك بمبدأ ابقاء رقبة الأرض (أي ملكيتها القانونية) للدولة مع تحويل اجهزتها المختلفة بصلاحيه تأجيرها إلى الأفراد إيجارا دائما لقاء تعهدهم بدفع ضريبة العشر فقط سواء أكانوا مسلمين او غير مسلمين .

٢ . ألغى القانون الملكية المشاعة وأكد ضرورة تصفية اثارها كلية لصالح الحياة الفردية الصغيرة ، حيث أكدت المادة الثامنة منه على ((عدم جواز منح كامل ارض قرية الى كل ساكنيها منحا جماعيا)) ، وعلى وجوب منح كل

(١) الدستور ، ج١ ، ص١٦ .

(٢) ز. بي . هرشلاخ ، مدخل إلى التاريخ الاقتصادي الحديث للشرق الأوسط ، ترجمة مصطفى الحسيني ، دار الحقيقة ، بيروت ، ١٩٧٣ م ، ص ٥٧ . وسيشار إلى هذا المرجع عند وروده فيما بعد : هرشلاخ ، مدخل إلى التاريخ الاقتصادي ؛ خليل إبراهيم الخالد ومهدي محمد الازري ، تاريخ احكام الأراضي في العراق ، دار الرشيد للنشر ، بغداد ، ١٩٨٠ م ، ص ٤٩-٦٠ .

- ساكن على انفراد قطعة منفصلة وتزويده بسند يثبت حقه في حيازتها
حيازة دائمية .
- ٣ . اشترط القانون ان يكون المستأجر الدائمي فلاحا سبق له ان شغل ارضا
وقام باستغلالها لمدة عشر سنوات متتالية .
- ٤ . اكد القانون على وجوب الاعتراف بحق الفرد في استئجار دائمي في حالة
ثبوت أشغاله الفعلي لها مع تثبيت هذا الاعتراف مجانا في سجلات دوائر
الطابو^(١) التي تؤسس لهذا الغرض وتزويد المستفيد بسند رسمي يؤيد ذلك
صراحة .
- ٥ . خول القانون الحكومة صلاحية الامتناع عن تأجير الأراضي لاي شخص
إيجارا دائميا في حالة فشل ذلك الشخص في اثبات إشغاله واستغلاله
الفعلي لها للمدة القانونية المنصوص عليها الا بعد قيامه بدفع البديل المخمن
للأرض ، ويصار الى منح الارض بالمزاد العلني الى شخص اخر في حالة
إخفاق الشخص المعني في دفع البديل المطلوب .
- ٦ . أجاز القانون تسجيل اية قطعة من ارض الموات مجانا باسم الشخص الذي
استصلحها وطورها بعد اخذ موافقة الدولة^(٢) .
- ٧ . أجاز القانون تسجيل مساحات الأراضي بالذراع او بوصف حدودها^(٣) .

(١) الطابو : كلمة رومسية تعني الأرض ، والمعنى القانوني لها هو الثمن المعجل للأرض يؤخذ من
المتصرفين في الأراضي بدلا من الحرث والزراع . عماد احمد الجواهري ، تاريخ مشكلة الأراضي في
العراق ١٩١٤-١٩٣٢ ، دار الحرية للطباعة والنشر ، بغداد ، ١٩٧٨ م ، ص ٤٧٦ .

(٢) خليل علي مراد ، « حيازة الأرض الزراعية » ، موسوعة الموصل الحضارية ، ٥م ، دار الكتب للطباعة
والنشر ، الموصل ، ١٩٩١ م ، ص ١٣٨ . وسيشار إلى هذا المرجع عند وروده فيما بعد : مراد ، حيازة
الأرض الزراعية .

(٣) الدستور ، ج ١ ، ص ٣-٧ .

ومتابعة لسياسة الاصلاح في قطاع الأراضي أصدرت الدولة العثمانية في عام ١٨٥٩م قانون تسجيل الأراضي (الطابو) وفق مواد قانون الأراضي العثماني وجاء في ٣٣ مادة^(١)، وقد وضع هذا القانون امر تسوية الحقوق بالأراضي الأميرية وتحديددها على أسس اصح مما سبقه ، وانشأ نظاما قانونيا لتسجيل الحجج والعقود المختصة بأراض ، وقد عالج هذا القانون والنظام الصادر بعده عام ١٨٦٠ م مسألة منح سندات تمليك او تفويض لأصحاب الأراضي الأميرية^(٢) ، وقبل هذا القانون لم يكن هناك اهتمام بتسجيل الأراضي او إعطاء صكوك رسمية بها لان المهم أن ذلك كان وضع اليد على الأرض واستغلالها ، واذا ما حدث خلاف على الملكية تكون شهادة أهالي القرية أو المزرعة هي دليل الملكية ، وهذا ما كان يؤدي بطبيعة الحال إلى منازعات حادة حول حدود الأراضي^(٣) . ولكن وما يُعاب على هذا القانون إغفاله حقوق الملتزمين الثانويين وحقوق الفلاحين أصحاب الأراضي الحقيقيين وزارعيها^(٤) .

عرفت الدوائر التي خصصت من اجل القيام بمهمة تسجيل الأراضي باسم (الدفتر الخاقاني) وتعني المكتب السلطاني ، وقد بدأت عملها في عواصم الولايات أولا ، ثم أقيمت في المدن ، وعلى سبيل المثال بدأت دائرة طابو صيدا عملها في تسجيل الأراضي منذ عام ١٨٦١م ، وورد في سالنامة لعام ١٨٧٥م اسم الكاتب الذي يعمل في هذه الدائرة وهو حنا خطار^(٥) .

مع ان القانون العقاري خلق وضعية جديدة لم يعرفها الريف الشامي من

(١) الدستور، ج ١، ص ٤٤-٥١ .

(٢) مراد، حيازة الأرض الزراعية، ص ١٣٨ .

(٣) عوض ، فلسطين في أواخر العهد العثماني ، ص ٣٨ .

(٤) دورين وورنر ، الأرض والفقير في الشرق الأوسط ، ترجمة أحمد السلطان ، القاهرة ١٩٥٠م ، ص

ص ٣٠-٣٣ .

(٥) سالنامة دولت عليية عثمانية لسنة ١٢٩٢ هـ / ١٨٧٥م ، ص ٧١ .

قبل ووضع أسس اصلاح عقاري شامل ، وأنهى عمليا النمط الإقطاعي ، الا ان ضعف الإدارة العثمانية في ولايات الشام وتقايس الموظفين القائمين عليها ، وشيوع الرشوة والمحسوبية في المعاملات ، وعدم فهم الفلاحين لمضمون الإجراءات القانونية ، وغياب الوسائل التقنية الكافية لمراقبة وتحديد الملكية ورسم الخرائط الخاصة بها ، ادت إلى حرمان أعداد كبيرة من الفلاحين من ملكية الأراضي التي يعملون بها ويعيشون من محصولها ، بعد ان رفضوا الإعلان عن ملكياتهم او قدموا افادت مغلوطة عنها ^(١) ، من جانب اخر يتحمل الفلاحون الصغار أيضا مسؤولية حرمانهم من تسجيل أراضيهم بأسمائهم ذلك لخوفهم من ان يؤدي التسجيل إلى مطالبتهم بدفع ضرائب كبيرة ، أو يساقون من خلاله إلى الخدمة العسكرية ^(٢) ، او بسبب حاجتهم الدائمة للحماية من هجمات البدو التي كانت تؤمنها بعض العائلات العسكرية (الاغوات) ، وكذلك حاجتهم لوسائل الاتصال بالإدارة القائمة في المدينة ^(٣) .

على اثر الموقف السلبي المذكور للفلاحين تركزت الفائدة الكبرى للقانون على شيوخ القبائل والأعيان والموظفين وكبار الإقطاعيين وافراد العائلات الكبرى العارفين بفائدة التسجيل وبمتطلبات السوق التجارية وحاجتها إلى مزيد من الإنتاج الفلاحي ، وبخاصة بعد تطبيق قانون الأراضي في سوريا وفلسطين ، وعلى أساس هذا القانون قامت الحكومة العثمانية في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين بتجريد عدد من القبائل من الأراضي التي كانت تستغلها

(1) Jacques Weulersse, *Paysans de Syrie et du Proche-Orient*. Tours, 1946, p. 120.

(٢) الجوراني ، الفكر السياسي في المشرق العربي ، ص ٢٦ .

(٣) وجيه كوثراني ، السلطة والمجتمع والعمل السياسي من تاريخ الولاية العثمانية في بلاد الشام ، مركز

دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ١٩٨٨م ، ص ٩٥ . وسيشار إلى هذا المرجع عند وروده فيما بعد :

كوثراني ، السلطة والمجتمع .

بشكل جماعي وبيعها بالمزاد العلني ، فعلى سبيل المثال دخل الإخوة السراسقة^(١) في أول مزاد لشراء الأراضي في فلسطين عام ١٨٦٩م ، حيث رست عليهم المزايدة في العاصمة اسطنبول بشراء (٢,٣٠٠,٠٠٠) دوغم في صفقة واحدة تضمنت أراضي في سهل مرج ابن عامر واطراف السهل الساحلي ، وقد اشتملت على حوالي (٢٢) قرية ، وهناك من يقول انها حوالي (٢٨) قرية إلى جانب مدينة الناصرة ، ورغم تميز هذه الأراضي بالخصوبة وكثافة الإنتاج ووفرة المياه الا انها بيعت بأسعار زهيدة اذ لم تتجاوز (١٧٠٠) ليرة عثمانية ، اي ما يعادل ثمانية قروش للدوغم الواحد ، الا ان أهالي الناصرة تمكنوا من خلال احتجاجاتهم على الصفقة من اقناع الحكومة العثمانية بالعدول عن بيع أراضيهم الوعرة وردها اليهم ، ومن ثم اكتفى السراسقة بأرضي سهل مرج بن عامر بعد ان استردوا مبالغ الأراضي المعادة^(٢) ، وبرز في مجال الاستيلاء

(١) عائلة مسيحية لبنانية معروفة ترجع بنسبها إلى قرية البربارة احدى قرى جبل لبنان ، دخل ابناؤها في المجال الاقتصادي وعملوا في الزراعة والتجارة وبعض الصناعات الحرفية ، فضلا عن عملهم في مجال الصيرفة والبنوك ، كما تميزوا بمعرفتهم باللغات الأجنبية لذلك عملوا مترجمين في بعض القنصليات ، ونتيجة لاملاكهم الكثير من الأموال اخذوا يستثمرون أموالهم في شراء عقود الالتزام وتملك الأراضي ، وقد ارتبطوا بعلاقات طيبة مع الدولة العثمانية . ينظر : صبري جرجيس ، تاريخ الحركة الصهيونية ، مركز الأبحاث ، منظمة التحرير الفلسطينية ، بيروت ، ١٩٨٦م ، ص ٢٧٨ ؛ عبد الكريم رافق ، فلسطين في عهد العثمانيين (٢) من مطلع القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي إلى العام ١٣٣٦هـ / ١٩١٨م ، ج٢ ، المؤسسة الفلسطينية ، بيروت ، ١٩٩١م ، ص ٩٥١ .

(٢) ماري سركو السكيف ، الامتيازات الأجنبية وانعكاساتها الاقتصادية والاجتماعية على سورية (بلاد الشام) في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ، الهيئة العامة السورية للكتاب ، دمشق ، ٢٠١٠م ، ص ٨٤ . وسيسار إلى هذا المرجع عند وروده فيما بعد : السكيف ، الامتيازات الأجنبية .

على الأراضي أيضا السلطان عبد الحميد الثاني نفسه (١٨٧٦-١٩٠٩م) حيث بدأت مؤسسة (الأراضي السنية) في الربع الأخير من القرن التاسع عشر بالاستيلاء المنظم على الأرض الزراعية في جميع المناطق العربية التابعة للدولة العثمانية وقد عرفت تلك الأراضي باسم (الجفتلك السلطاني)^(١) ، ففي بلاد الشام مثلا اشترى السلطان أراضي في قضاء حمص بلغت مساحتها (١٠٢٠٠٠) دونم وبمبلغ ضئيل جداً بلغ (٢٢٨٠٠٠) قرش فقط ، كما اشترى الأراضي الواقعة إلى الشرق من البحر الميت والبالغة مساحتها (٤٥٥٠) دونماً بمبلغ عشرة آلاف قرش فقط ، وكذلك فعل في دمشق ، وكان للسلطان أيضاً مزارع خاصة في فلسطين يشرف عليها عسكريون^(٢) ، وبذلك نجد ان السلطان عبد الحميد الثاني قد تحول إلى اكبر مالك للأرض في الدولة ، وبتبعية الأرض تبع له العديد من الفلاحين الذين كانوا يسكنون القرى ويعملون في هذه الأراضي ، لذلك عمل السلطان وادراته على استقرارهم في الأرض كقوة عمل ثابتة ينتجون الغلال ويعملون ثم يأخذ السلطان ناتج المحصول ، ويفرض عليهم الضرائب بشكل منظم^(٣) .

الى جانب السلطان والحكومة العثمانية بدأ الشيوخ والأعيان والتجار والموظفون يستحوذون على أراضي المشاعيات الفلاحية ، فقد سجلت مساحات واسعة من الأراضي الزراعية بأسماء عدد من متنفذي المدن أمثال آل العظم ، والجزائري ، والأيوبي ، والقوتلي ، والعايد ، وظل آل الأطرش في جبل الدروز أصحاب جميع أراضي الجبل حتى قيام ثورة الفلاحين عام ١٨٨٧-١٨٨٨م التي

(١) جريدة المقتبس (سوريا) العدد (٥١٣) في تشرين الثاني ١٩١٠م ؛ وللمزيد من التفاصيل حول

الأراضي السنية ينظر : اداموف ، ولاية البصرة في ماضيها وحاضرها ، ترجمة هاشم صالح

التكريتي ، ج١ ، مركز دراسات الخليج العربي ، البصرة ، ١٩٨٢م ، ص ١٢٥-١٢٧ .

(٢) عوض ، الإدارة العثمانية في ولاية سورية ، ص ٢٣٨-٢٣٩ .

(٣) السكيف ، الامتيازات الأجنبية ، ص ٩٧ .

أصبح بعدها لكل رئيس محلي حصة من الأرض تتراوح بين ربع وثمان أراضى القرية ، ويوزع القسم الباقي على الفلاحين^(١) . وفي مثال اخر على ذلك قرية بوران التابعة لقضاء البقاع ، والبالغة مساحتها (٨٨١٥) دونماً نجد انها سجلت بأسماء خمسة أشخاص متنفذين^(٢) وهذا يعني حرمان فلاحى تلك القرية من ملكية أراضيهم . من جانب اخر كان بعض الفلاحين يرفضون استلام وثائق تملك الأراضى التى تخصهم ، ويعلق المحلل الاقتصادى فيلرس Fellers على هذه الأمور بقوله) : (لقد أصبح الحصول على سند الطابو عن طريق العلاقات الشخصية عملية سهلة فقد حول الوجهاء فى كثير من القرى الوثائق على أسمائهم استثنائياً وانتزعوا من الفلاحين أراضيهم بواسطة هذه السرقة القانونية ، كما نقل زعماء القبائل إلى أسمائهم فى أماكن أخرى ممتلكات القبيلة بكاملها))^(٣) ، وهكذا فقد الكثير من الفلاحين فى بلاد الشام حقوقهم وأصبحوا يعملون تحت رحمة الملاكين الجدد الذين سجلت الأراضى بأسمائهم . وبما يمكن ملاحظته على هذا الموضوع أيضاً ان الأعيان استطاعوا ان يتجنبوا الطابع الفردى للاستثمارات الزراعية التى يدعو اليها قانون الأراضى ، ويوضح كوثرانى هذه المسألة بقوله : ((ان الثلث الأخير من القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين ، شهد فى مدن سوريا الكبرى حركة تحويل الأراضى الميرى المسجلة بأسماء زعماء العائلات إلى «وقف ذرى»^(٤) او وقف اهلى ، وهى

(١) أ . بولياك ، الاقطاعية فى مصر وسوريا وفلسطين ولبنان ، ترجمة عاطف كرم ، بيروت ، ١٩٤٨م ، ص ٢١١-٢١٢ .

(٢) عوض ، الإدارة العثمانية فى ولاية سورية ، ص ٢٣٧ .

(٣) نقلا عن :السكيف ، الامتيازات الأجنبية ، ص ٨٤ .

(٤) الوقف الذرى : تقتصر المنفعة فى هذا النوع من الوقف على ذرية الواقف وحسب الوصية التى أوصى بها الواقف ضمن (وقفيته) ، ولا يجوز لأحد من الورثة التصرف فى ذلك الا بحدود ما اوصى به الواقف . ومن ثم هو عكس الوقف الخيرى التى تكون فيه المنفعة لجميع المسلمين للتفاصيل =

«حيله فقهية» لجأ إليها المتغلبون للاستحواذ على وقف الأرض التي تعود رقبتهما إلى الدولة من جهة ، ولتجنب تفتيت حق المتصرف بالأرض ، إلى حقوق جزئية للوارثين من جهة أخرى ، وهذه الوجهة سمحت بالتفاف العائلة حول مصلحة مشتركة ، ولكنها فسحت المجال لسوء استخدام الوقف الذري على حساب الوقف الخيري^(١) .

أما عن أثر هذه القوانين على الواقع الزراعي في لبنان ففي عام ١٨٨٠م وبمناسبة التعداد العام للملكيات ، ثبتت مبدئياً الأملاك المشاعة وقسمت الأراضي حسب قانون الأراضي ، وأعطيت سندات عقارية ، حددت فيها الملكيات بالفدان أو بأجزاء الفدان ، وكانت هذه العملية بمثابة تفكيك متسارع للمجتمعات القروية ، وأسهمت في تكوين ملكية فلاحية صغيرة ، وكما هو الحال في سوريا وفلسطين ، فقد استفاد من هذا الوضع في لبنان أيضاً شيوخ القبائل والوجهاء والأعيان وزعماء القرى الذين قاموا بتسجيل الأملاك المشتركة للجماعة بأسمائهم الشخصية ، كما حصلوا على العديد من الأملاك الجديدة العائدة لصغار الفلاحين الذين هجروا أرضهم لأنهم لم يتمكنوا من تسديد الضرائب المستوجبة عليهم ، وكان يكفي أن يدفع هؤلاء الوجهاء الضرائب المستحقة للدولة حتى تحول اليهم هذه الأراضي بسندات ملكية ، كما كانت للحماية التي يوفرها الأعيان للفلاحين الراغبين في التخلص من التجنيد الإلزامي وسيلة للحصول على الأراضي حيث يقوم الفلاحون بالتنازل عن أراضيهم للأعيان مقابل هذه الحماية^(٢) .

= أكثر ينظر : سليم هاني منصور ، الوقف ودوره في المجتمع الإسلامي المعاصر ، مطبعة الرسالة ، بيروت ، ٢٠٠٤م ، ص ٢٥ .

(١) كوثراني ، السلطة والمجتمع ، ص ٩٨ .

(٢) سليم نصر وكلود دوبار ، الطبقات الاجتماعية في لبنان مقارنة سوسولوجية تطبيقية ، ترجمة جورج أبي صالح ، مؤسسة الأبحاث ، بيروت ، ١٩٨٢م ، ص ٤٣ . وسيشار إليه عند وروده فيما بعد : نصر ودوبار ، الطبقات الاجتماعية .

وكان للدولة العثمانية أيضاً دورٌ في ترسيخ الملكيات الكبيرة بيد الوجهاء والأعيان ، وفي هذا الصدد يقول احد الباحثين : ((لقد منح السلطان أحيانا ، كمكافأة دائمة أو كراتب عمري ، ارض مأخوذة من أملاكه الشخصية أو في الأغلب من الأملاك المصادرة من احد الوجهاء الآخرين ، ذلك هو أصل الاقطاعيتين الواسعتين اللتين تقاسمتا وسط البقاع من جانبي الليطاني ، في نهاية القرن الماضي ، غير ان هبات السلطان هذه كانت بالأحرى امتيازات تشمل حق جباية ربع سنوي من الفلاحين المقيمين ، ومع مرور الزمن تم تثبيت هذه الهبات أملاكاً بالصفة الكاملة ، الأمر الذي كرسه التسجيل العقاري))^(١) .

وأخيراً يمكن القول ان نتيجة هذه القوانين على ولايات بلاد الشام انها أظهرت نوعاً من الملاكين الجدد من كبار الموظفين من الأتراك ، ومن أغنياء المدن ، بل وحتى السلطان العثماني نفسه . في حين فقد اصحاب الأرض من الفلاحين حقوقهم في زراعة الأرض فأضطروا إلى العمل مزارعين في أراضيهم بأجور يومية بعد أن سيطر عليها الملاكون الجدد واستغلوها بزراعة المحاصيل النقدية لزيادة الطلب الخارجي عليها وبذلك ارتبطت ولايات الشام بأسواق الرأسمال العالمي . وانعكس ذلك إيجابياً على اقتصاد تلك الولايات وعلى حركة التبادل التجاري وزيادة الإنتاج الزراعي .

٤.٤ الدستور العثماني؛

إزاء تردي الأوضاع السياسية والاقتصادية وكثرة المشاكل في الدولة العثمانية لم يجد السلطان عبد الحميد الثاني (١٨٧٦-١٩٠٩م) من سبيل لمواجهة تلك المشاكل إلا بالإصغاء لمشورة مدحت باشا^(٢) المتمثلة بإعلان دستور

(١) نصر ودوبار ، الطبقات الاجتماعية ، ص ٤٤ .

(٢) مدحت باشا : ولد في اسطنبول ، وعمل في بعض الدوائر العثمانية ، ثم اصبح وزيراً لقلم الصدارة ، وكان مخلص في عمله حتى اصبح رئيساً لقلم المضابط . زار مدن لندن وباريس وفيينا فعززت =

يضمن الحريات المدنية ، وينص على تشكيل حكومة برلمانية مبنية على التمثيل العام^(١) ، وفي ٢٣ كانون الأول ١٨٧٦ تليت مقدمة الدستور ومواده في حفل عام^(٢) .

احتوى الدستور على (١١٩) مادة موزعة على ابواب عديدة منها : في ممالك الدولة العثمانية وفي حقوق تبعية الدولة العثمانية العمومية وفي وكلاء الدولة والمأمورين وفي المجلس العمومي وفي هيئة الأعيان والمحاكم ، وفي الأمور الاقتصادية وفي الولايات وغيرها^(٣) .

لقد مثل إعلان الدستور امتدادا للتجارب الإصلاحية العثمانية التي سبقت الإشارة إليها ، على الرغم من تعطيل العمل به في ١٣ شباط ١٨٧٨ م ،

= تلك الزيارات من ايمانه المتزايد بالأساليب الأوربية للإصلاح الإداري والدستوري ، وفي العام ١٨٦٠ م نال رتبة الوزارة ، ثم أصبح والياً على «نيش» في بلغاريا ، وترأس مجلس شورى الدولة والياً على «الطونة» ثم والياً على العراق ١٨٦٩م ، وصدراً أعظم مرتين ، ثم وزيراً للعدلية ، ، واسهم على نحو واضح في إعداد دستور عام ١٨٧٦م ، وعين والياً في سورية (١٨٧٩-١٨٨٠م) ثم والياً لازمير عام ١٨٨٠م حتى اثبرت مسألة موت السلطان عبد العزيز (١٨٦١-١٨٧٦م) التي اتهم بها مدحت باشا فحكم عليه بالنفي إلى قلعة الطائف حتى مات في سجنه في آذار ١٨٨٤م . للتفاصيل عن حياة مدحت باشا يراجع :

Ali Haydar Midhat, *Midhat: The Life of Midhat Pasha*. London, 1903.

قدري قلعجي ، مدحت باشا ابو الدستور العثماني وخالع السلاطين ، دار الكتب ، بيروت ، ١٩٥١م .
(١) جورج لنيشوفسكي ، الشرق الأوسط في الشؤون العالمية ، الجزء ١ ، ترجمة جعفر خياط ، بغداد ، ١٩٦٤م ، ص ٤٨ .

(٢) سالنامه دولت عليه عثمانية للعام ١٣٢٢هـ ، مطبعة احمد احسان ، ص ٤٨-٦٩ ؛ سالنامه دولت عليه عثمانية لعام ١٣٢٣-١٣٢٦هـ ، مطبعة احمد احسان ، ص ٥٠-٦٢ .

(٣) للتفاصيل اكثر ينظر : الدستور ، ج ١ ؛ اسماعيل سرهنك ، حقائق الاخبار عن دول البحار ، الجزء ١ ، مصر ١٣١٢ هـ ، ص ٧٢٩ .

إلا أن إعادة العمل به في ٢٣ تموز ١٩٠٨ م ، كان لها ردود افعال في الولايات التابعة للإمبراطورية العثمانية غلب عليها فرح والابتهاج والتأييد الذي عم أرجاء الإمبراطورية ومنها بلاد الشام ، فقد أقيمت الاحتفالات ووضعت الزينة على المباني الرسمية في كافة أنحاء الدولة ، كما اخذ المسلمون والنصارى واليهود يتعانقون من الفرحة إزاء هذا الحدث^(١) .

كان للتشريعات الاقتصادية حضورها في الدستور العثماني فقد أكدت المادة الثالثة عشرة على السماح للمواطنين العثمانيين بتأسيس مختلف أنواع الشركات الزراعية والتجارية والصناعية ، وحرصت المادة (٢١) على ضمان الملكية الخاصة ، حيث اعتبرت كل مواطن أمين على ماله وملكه وفقا للأصول ، ومنعت اخذ ملكه إلا في حالة لزومه للنفع العام ، على أن يدفع ثمنه ووفقا للقانون ، وشددت المادة (٢٥) على عدم اخذ أي نوع من الضرائب إلا وفقا للقانون ، وخصصت المواد من (٩٦-١٠٧) للأمور المالية ، حيث حددت بموجبها ميزانية الدولة واليات صرف الأموال في الدولة ، أما المادة (١١٠) فاعتبرت ترقية التجارة والصناعة والزراعة من مهام المجالس العمومية والتي تجتمع كل عام في مراكز الولايات ، في حين أكدت المادة (١١٨) على استمرار العمل بكل القوانين السابقة ما لم يجر إلغاؤها أو إصلاحها بقوانين جديدة تسن في المستقبل^(٢) .

(١) وللتفاصيل أكثر حول مظاهر الابتهاج التي عمت الإمبراطورية العثمانية وخاصة الولايات العربية بمناسبة الانقلاب وإعادة العمل بالدستور ينظر : محمد عزة دروزة ، نشأة الحركة القومية الحديثة ، بيروت ، ١٩٤٩ م ، ص ٢٨٨-٢٧٦ .

(٢) للاطلاع على مواد الدستور يراجع : كنز الرغائب في منتخبات الجوائب ، جمع وتحقيق سليم فارس شدياق الجزء ٥-٦ ، مطبعة الجوائب ، الاستانة ١٢٩٤ هـ ، ١٢٩٥ هـ ، ص ٥-٢٧ ؛ سالنامه دولت عليية عثمانية للعام ١٣٢٢ هـ / ١٩٠٤ م ، ص ٤٨-٦٩ ؛ سالنامه دولت عليية عثمانية للعام ١٣٢٥ هـ / ١٩٠٧ م ، مطبعة احمد احسان ، ص ٥٠-٦٣ ؛

٣. واقع النشاط الزراعي في بلاد الشام في سياق التنظيمات العثمانية

على الرغم من ان الكثير من الباحثين يحدد التنظيمات العثمانية بالفترة ما بين ١٨٣٩-١٨٧٦م أي ما بين صدور خط كولخانه ولغاية صدور الدستور العثماني ، الا ان الفترة التي تلتها لا تخرج عن دائرة التنظيمات العثمانية حيث أصدرت الدولة في سياق التنظيمات والدستور العديد من القوانين التي كانت تبتغي من ورائها النهوض بواقعها السياسي والاقتصادي والاجتماعي ، كما عملت على تطبيق القوانين السابقة ، لذلك سنحاول فيما يأتي ان نسلط الضوء على القوانين الإصلاحية ذات الصلة المباشرة بالوضع الاقتصادي ، والتي كان للزراعة نصيب كبير منها حيث حظيت بالاهتمام والتنظيم من خلال هذه القوانين ، فموجب هذه القوانين تم تأسيس بعض المؤسسات المعنية بالنهوض بالواقع الزراعي ، وموجبها ايضا تم تطوير انتاج بعض المحاصيل الزراعية وحدث بعض التطور في الأساليب المستخدمة في الزراعة ، مما انعكس على نحو او باخر على واقع النشاط الزراعي في بلاد الشام .

١. المؤسسات الزراعية

بسبب ما كان يعانيه الواقع الزراعي من وضع مزري حاولت السلطات العثمانية ومن اجل النهوض بهذا الواقع انشاء مؤسسات تعنى مباشرة بالجانب الزراعي ، ففي عام ١٨٤٥م انشأت السلطات لجانا في الولايات المختلفة لدراسة الوسائل المؤدية لتحسين أوضاع الزراعة ، وفي عام ١٨٥٤م استحدثت قانون دوائر الزراعة في الولايات ، وبين القانون مهام هذه الدوائر في ارشاد الفلاحين ، واقامة مشاتل وحقول وتجارب زراعية ، ومد المزارعين بالبذار والغراس^(١) ، كما اكد على ترأس مأمور لكل دائرة زراعية على ان يعمل تحت سلطة الوالي على

(١) التميمي وبهجت ، ولاية بيروت ، ص ١٦١ .

نحو مباشر^(١)، ومن خلال قانون الولايات الصادر عام ١٨٦٤م والذي يعد المحاولة العملية لإصلاح حال الولايات من جميع النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية^(٢)، اهتمت الدولة العثمانية بالجانب الزراعي ايضاً، فقد نص القانون في المادة الثانية عشرة منه على انه يجب ان تعهد امور العناية بالجانب الزراعي والتجاري الى مأمور واحد يتم تعيينه من الدولة بموجب انتخاب من وزير الزراعة والتجارة^(٣)، وفي العام نفسه صدرت تعليمات تخص وظيفة مدير الزراعة وقد تضمنت ضرورة ان يكون مدير الزراعة من سكان المنطقة نفسها، وان يكون غير محتاج الى راتب من الدولة بل تكون هذه الوظيفة بالنسبة له وظيفة شرفية، واشترطت ان يكون مدير الزراعة غيوراً قلباً ولساناً على قضية اعمار البلاد، وان يعين له وكلاء في كل قضاء وناحية وقرية على ان يتم ترشيحهم من المجالس المحلية والسكان وبغض النظر عن كونهم مسلمين او مسيحيين، واشترطت على مدير الزراعة العمل على ترغيب الفلاحين بزراعة انواع اخرى من الحبوب غير الحنطة والشعير كالأرز وأشجار التوت والنيلة والحريز والقطن الذي تم التركيز عليه وطلب من مدراء الزراعة ضرورة الاهتمام بهذا المحصول بشكل جدي من خلال تشجيع المزارعين على زراعة أفضل أنواعه وتسليمهم التعليمات التي تتضمن طرق زراعته، كما تضمنت التعليمات أيضاً ضرورة عدم اخذ ابقار الفلاحين كبديل عن الدين ((اذا كان وجد دين على البعض من الزراع والعمله لجانب الميري وكان ايفأؤه منحصرًا ببيع زوج بقر يوجد في يده فقط مع ادواته وثبت ذلك صحيحاً ومتواتراً في المجلس المحلي فالخذر ثم

(1) *A Handbook of Syria, Including Palestine*. London 2nd ed. 1919, p. 248.

(2) توفيق علي برو، العرب والترك في العهد الدستوري العثماني ١٩٠٨-١٩١٤م، جامعة الدول العربية، معهد الدراسات العربية العالية، القاهرة، ١٩٦٠م، ص ١٠-١١.

(3) الدستور، ج ١، ص ٢٨٣.

الحذر من ان يبيع من كان من هذا القبيل الزوج البقر الذي له وأدواته التي هي سبب تعيشه لأجل تحصيل الويركو او وفاء الدين بل يمهل بدينه ويحصل الاهتمام بتقويته بمعرفة مديري الزراعة ووكلاهم ثم يؤخذ ذلك ويستوفى تدريجيا من محصولاته))^(١) ، وقد توسعت صلاحيات ومهام مدير الزراعة في القانون الصادر في عام ١٨٧١م وحددت بما يأتي :

- ١ . إدخال الإصلاحات الضرورية لتحسين الزراعة حسب الموقع الجغرافي للبلاد وقابليته الطبيعية .
- ٢ . تقديم التقارير التحريرية المتضمنة دراساته وأبحاثه والإجراءات الواجب اتخاذها إلى الوالي .
- ٣ . التدوين في مفكرته الشخصية كافة المعلومات التي تخص واردات وصادات الولاية والأمور الزراعية .
- ٤ . بذل كل الجهود الممكنة من اجل النهوض بالواقع الزراعي والتجاري .
- ٥ . تقديم تقرير سنوي بخلاصة أعماله الى الوالي ومن ثم يقوم الوالي بتقديمه الى الباب العالي^(٢) .

وفي عام ١٨٨٠م زاد اهتمام الدولة العثمانية بالجانب الزراعي ولأجل ذلك أصدرت قانون ينص على تشكيل هيئة زراعية في كل ولاية ولواء وقضاء^(٣) . عند متابعة اثر هذه القوانين على الواقع الزراعي في بلاد الشام نجد انه تم تشكيل المجلس الزراعي في دمشق في ١٥ آب ١٨٥٧ م^(٤) ، وفي ستينات القرن التاسع عشر اشارت بعض المصادر إلى وجود مجلس للزراعة واخر للتجارة في ايلة الشام ، ولكنهما كانا حسب قول احد المؤرخين : (تارة يعملان وتارة يبطل

(١) الدستور ، ج ٢ ، ص ٢٨١-٢٨٢ .

(٢) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٤٠٢-٤٠٣ .

(٣) طلال ماجد المجذوب ، تاريخ صيدا الاجتماعي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٣م ، ص ١٠٢ .

(٤) الأرشيف العثماني (اسطنبول) ، رقم الوثيقة ١١٥/٧٠ A.MKT.MHM .

عملها) ، وهناك من يشير الى ان من تولى منصب مدير الزراعة في سورية كانوا افراد من السكان المحليين ، وكان صاحب المنصب يتقاضى راتبا شهريا قدره ٢,٥٠٠ قرشا^(١) . وقد أشارت سالنات الى بعض هذه المجالس وأعضائها ، فقد ورد في سالنات ولاية بيروت لعام ١٨٩٤م الى ان هيئة الزراعة والتجارة في حيفا^(٢) كانت تتألف من الرئيس (حاجي اسعد محمود افندي) ، والأعضاء (رفعت صلاح بك) و(خليل محيشم افندي) و(عبد اللطيف خطيب افندي) و(إبراهيم جدوع افندي)^(٣) ، وفي عام ١٨٩٩م ورد اسم مفتش الزراعة في سورية وهو (اسحق لوي افندي)^(٤) ، وجاء ذكر مدير زراعة صيدا عام ١٩٠٠م وهو إسماعيل اغا البعاصيري^(٥) وذكرت سالنات أخرى ان مدير الزراعة في سوريا عام ١٩٠٧م كان (ملقون افندي)^(٦) .

وفي تقرير عن ولاية حلب عام ١٨٩٠م ورد وصف لدور مدير الزراعة جاء فيه : ((يقدم وصول مدير الزراعة من القسطنطينية مؤخرا حاملا تعليمات بإقامة مزرعة أنموذجية لتعليم الفلاحين وتشجيعهم ، مثالا للجهل السائد في القسطنطينية في ما يتعلق بالحاجات الأولى للفلاحين هذه الأيام ، فهم لا يحتاجون إلى التعليم ، وإنما يحتاجون إلى وسائل مواصلات رخيصة تربطهم بالساحل لفتح أسواق لمنتجاتهم . فلا تباع الان صفقات كبيرة من الغلال التي تمتلئ بها البلاد مع وفرة المحاصيل ، ولكن الانتاج يظل بالشون من دون بيع

(١) بشور ، سوريا ولبنان في عصر الإصلاح ، ص ٤٤٦-٤٤٧ .

(٢) حيفا : مرفا في فلسطين المحتلة بسفح جبل الكرمل . معارف ، المنجد في الاعلام ، ص ٢٢٧ .

(٣) سالنات ولاية بيروت ، ١٨٩٤م ، ص ١٧٩ .

(٤) سالنات دولة عليية عثمانية ١٣١٧هـ ، مطبعة عامرة ١٣١٥هـ ، ص ٤٢٨ .

(٥) جريدة ثمرات الفنون ، (بيروت) ، العدد (١٣٥١) ، في ٢ كانون الأول ١٩٠١م .

(٦) سالنات دولة عليية عثمانية ١٣٢٥ هـ ، مطبعة احمد احسان ١٣٢٢هـ ، ص ٧٣٧ .

عرضة للتلف ، ولا توجد أي آلة زراعية اورية من أي نوع بالبلاد^(١) ، ولكن على الرغم من هذا الانتقاد فأن دوائر الزراعة أشرفت على تحسين الزراعة وأقامت مستنبتات زراعية (مشاتل وحقول تجارب) ودورا للحليب ومكاتب للألبان^(٢) .

وبمحاولة من مدحت باشا ومن اجل توفير القروض للفلاحين وفوائد ميسرة عن طريق الكفالة والرهن ، وتخليصهم من جشع المرابحين تم تأسيس البنك الزراعي في عام ١٨٦٣م وقد انتشرت فروع هذا البنك في مختلف الولايات ومراكز السنجق^(٣) ، وقد اصدر المجلس السوري برئاسة رشيد باشا قرارا يسمح بفتح مصارف تقرض الفلاحين بفائدة (١٢٪)^(٤) ، كما تضمنت السلنامات العثمانية أسماء العاملين في البنوك الزراعية في بلاد الشام ، فعلى سبيل المثال تضمنت سلنامة ولاية بيروت عام ١٨٩٤م أسماء العاملين في البنك الزراعي ، وكما هو موضح في الجدول التالي :

(١) عيساوي ، التاريخ الاقتصادي للهِلال الحُصيب ، ص ١٣٥-١٣٦ .

(٢) غرايبة ، سورية في القرن التاسع عشر .

(٣) مباحث كوتك اوغلي ، المعادن الثمينة والسياسة النقدية وسياسة الاسعار بحث منشور ضمن كتاب الدولة العثمانية تاريخ وحضارة ، ج ١ ، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية ، تحرير اكمل الدين احسان اوغلي ، استانبول ، ١٩٩٩ م ، ص ٦٧١ تجدر الإشارة إلى ان التأسيس الرسمي للبنك الزراعي كان في ١٥ آب ١٨٨٨ م ، وقد ارسلت الحكومة التعليمات الخاصة بتأسيس فروع البنك في الولايات في عام ١٨٨٩ م . ينظر : سهيل صابان ، « البنك الزراعي ودوره في تنمية الحياة الزراعية ببلاد الشام » ، بحث غير منشور مقدم إلى المؤتمر الدولي التاسع لتاريخ بلاد الشام المنعقد في عمان للمدة ٥-١ نيسان ٢٠١٢م ، ص ١١ / نشر في المجلد الأول ، الزراعة في بلاد الشام من خلال المخطوطات والمصادر الاولية ، عمان ، ٢٠١٣ م .

(٤) عيساوي ، التاريخ الاقتصادي للهِلال الحُصيب ، ص ٤٧ .

ت	الموقع	العاملون في البنك
١ .	بيروت	الرئيس منح الصلح بك ، والمدير مصطفى عاصم افندي ، والكاتب فوزي افندي
٢ .	صيدا	الرئيس محمد بك ، والأعضاء : إبراهيم افندي ، عبد الحليم افندي ، محمد ابو ظهر افندي ، حبيب يعقوب افندي ، انطوان صاصي افندي ، والكاتب رشيد افندي ^(١)
٣ .	صور	الرئيس مصطفى الحاج حسن افندي ، والمحاسب يوسف غور افندي ، والاعضاء : سعيد بركات افندي ، اسماعيل بكاز افندي ، فارس نمر شديد سليم فرنسيس
٤ .	طرابلس	المدير عبد العزيز افندي ، والكاتب مصطفى افندي
٥ .	اللاذقية	المدير حاجي حامد علي أديب افندي ، والمحاسب احمد رفعت ، والكاتب علي جبلاوي افتجي ، والاعضاء : شاعر خياط افندي ، مصطفى نور الله ، وعباس اغا
٦ .	عكا	الرئيس عبد الفتاح افندي ، والمدير نجيب ادلبي ، والكاتب محمد كامل ميقاتي ، والاعضاء : حاجب مصطفى افندي ، مصطفى خيزران افندي ، نقولا حوري ، ابراهيم حوري
٧ .	حيفا	الرئيس حاجي اسعد افندي ، والمحاسب ضياء الدين افندي ، والاعضاء : علي خطيب افندي وعبد اللطيف خطيب افندي وناصر قطران افندي و ابراهيم جدع افندي
٨ .	الناصرية	الرئيس بولص قعووار افندي ، والمحاسب توفيق افندي ، والاعضاء : سليم موعد افندي ، يوسف اسكندر افندي ، علي ابو احمد افندي وانطوان حوري افندي

(١) سالنامه ولاية بيروت ، ١٨٩٤م ، ص ١٣٦ - ١٤٧ .

٩ .	صفد	الرئيس (مقال) ، وكيل الرئيس حسين عبد الرحيم افندي ، والمحاسب حبيب افندي ، والاعضاء : حاجي احمد اسدي ، عبد اللطيف الحاج سعيد افندي ، اسعد خوري افندي ،
١٠ .	طبريا	الرئيس ابراهيم عقول ، والمحاسب عبد الرحمن افندي ، والاعضاء : عبد الله افندي ، حسن بن حسن افندي ، الياس غريب حوا افندي ^(١)
١١ .	نابلس	الرئيس منيب افندي ، المدير مرجان افندي ، والاعضاء : حسن شويكة افندي ، حافظ توقانا فندي ، صالح عبود افندي ، عبد الرحمن كامل افندي
١٢ .	جنين	الرئيس (مقال) ، المحاسب الياس حلاج افندي ، والاعضاء : يوسف نفاع افندي ، عبد الرحمن ناصر افندي ^(٢)

وفي عام ١٨٩٩م كان مدير البنك في سورية (حبيب بحري) ، وفي حوران (موسى شهلوب افندي) ، وفي بيروت (حامد افندي) ، وفي عكا (صالح افندي) ، وفي طرابلس (عبد العزيز افندي) ، وفي الاذقية (خالد افندي)^(٣) ، اما في عام ١٩٠١ م فقد ورد اسم مدير شعبة البنك الزراعي في صيدا وهو الوجيه الحاج محمد بك ابو ظهر الذي منح رتبة البكوية تقديرا لخدماته^(٤) ، وفي عام ١٩٠٥م وردت إشارة تبين ان مدير البنك في حلب هو (محمد صبري

(١) سالنامه ولاية بيروت ، ١٨٩٤م ، ص ١٥٠-١٨٦ .

(٢) المصدر نفسه ، ١٨٩٤ م ، ص ١٩٣ .

(٣) سالنامه دولة عليية عثمانية لسنة ١٣١٧ هـ ، ١٣١٥ هـ ، ص ٤٢٨-٤٤٠ .

(٤) جريدة ثمرات الفنون ، (بيروت) ، العدد (١٣٥١) ، في ٢ كانون الأول ١٩٠١ م .

افندي)^(١) ، في حين كان العاملون في البنوك الزراعية في عام ١٩٠٨م في سوريا هم كل من المدير (بسيم بيك) والمعاون (حلمي افندي) ، وفي حماه ورد اسم امين الصندوق وهو (خالد افندي) ، اما في بيروت فقد كان مدير البنك (اناسطاش افندي) والمعاون (حلمي افندي) ، وفي عكا كان امين الصندوق (فرج اه سعيد افندي) ، وكان (علي فوزي) امينا للصندوق في طرابلس ، (وشكري افندي) امينا للصندوق في اللاذقية ، و(حسني افندي) امينا للصندوق في نابلس^(٢) .

اما في الاردن فقد كان هناك البنك الزراعي العثماني وله ثلاثة فروع في اربد والسلطوالكرك والتي أصبحت مستقلة بعد اعلان حكم الادارات المحلية عام ١٩٢٠م ، وقد اعيد تأسيس هذا المصرف في عام ١٩٢٢م باسم المصرف الزراعي الأردني وتبعة له نفس الفروع^(٣) .

ومما يمكن ملاحظته على العاملين في البنوك الزراعي هو انهم كانوا معرضين للاقالة والمحاسبة وهذا ما يتضح في اقالة بعض رؤساء ومدراء البنوك كما في صنف وجنين ، ومن جانب اخر نجد ان العاملين في هذه البنوك من المسلمين والنصارى وان بعض النصارى من تولى رئاسة البنك كما هو الحال في الناصرة ، وهذا ما اكدت عليه التنظيمات العثمانية .

غير أن ما يمكن ملاحظته على دور البنوك الزراعية هو أن الفلاحين كانوا يفضلون الاقتراض من المرابين بفائدة تتراوح من (٢٠٪) الى (٣٠٪) مع ضمان قانوني يبقي أراضيهم بحوزتهم في حالة العجز عن السداد على الاقتراض من البنوك الزراعية بفوائد ميسرة تصدر معها أراضيهم في حالة العجز عن

(١) سالنامه دولة علي عثمانية لسنة ١٣٢٣ هـ ، ص م ٦٦٧-٦٩٥ .

(٢) سالنامه دولة علي عثمانية لسنة ١٣٢٦ هـ ، مطبعة احمد حسان ١٣٢٣ هـ ، ص ٧٣٣-٧٦١ .

(٣) مؤسسة الإقراض الزراعي ، معلومات عن تاريخ الإقراض في الأردن منشور على شبكة المعلومات بر .

السداد^(١)، وهذا ما كانت تقوم به شعبة البنك العثماني في ريف دمشق، إذ كانت تقرض الفلاحين، وفي حالة عدم السداد تقوم بحجز محاصيلهم وأراضيهم وتوقف عملية البيع، ويمكن ان نرى ذلك واضحا من خلال إحدى الوثائق التي جاء فيها: (إن مدعي مدير شعبة البنك العثماني بالشام / مدعي عليه زراع من اهالي قرية البرج، طلب حجز ٧٥ قطعة ارض كائنة بقرية كفر حور (قضاء وادي العجم) خاصة المدعي عليهم وتوقيف بيعها)^(٢)، فضلا عن ذلك فان الإجراءات الروتينية والفساد الإداري كانا يعيقان عملية الحصول على القروض، فعلى سبيل المثال يحتاج الفلاح الذي يتقدم إلى البنك للحصول على قرض إلى قضاء نحو شهر في مدينة حلب لمتابعة طلبه في الأقسام المختلفة التي يمر بها دافعا رشوة لكل كاتب صغير عند كل مرحلة حتى يضمن تقدم الإجراءات، كما ان عليه ان يقدم شهادات من إدارة الأراضي تفيد أنه لا يدين للدولة بضرائب متأخرة، وهي شهادات يصعب الحصول عليها بسبب الاضطراب في سجلات الأراضي، ولان الفلاح دائما ما تترتب عليه ضرائب متأخرة^(٣).

ومن بين القوانين التي شرعت من اجل النهوض بالواقع الزراعي قانون وظائف مجلس التجارة والزراعة الذي صدر في عام ١٨٧٦م، وكان على ثلاثة أقسام (زراعة، صناعة، تجارة)، وكان من بين أهم وظائف قسم الزراعة العمل على ترقية الواقع الزراعي وحل المشاكل التي تواجه المزارعين، والعمل على تشكيل الجمعيات الزراعية^(٤)، ولعل الوالي مدحت باشا في ولايته على سورية

(١) عيساوي، التاريخ الاقتصادي للهِلال الخصيب، ص ١٣٥.

(٢) نقلا عن: السكيف، الامتيازات الأجنبية، ص ٩٠.

(٣) عيساوي، التاريخ الاقتصادي للهِلال الخصيب، ص ١٣٥.

(٤) تعريب نظامات الحجر التجارية، نقلت من التركية إلى العربية بقلم محمد توفيق أفندي المرعشلي،

بيروت، د.ت، ص ٣.

(١٨٧٨-١٨٨٠م) يعد من ابرز الولاة المهتمين بهذه القوانين ، فقد سعى لإقامة مشاريع واسعة النطاق للتنمية الاقتصادية ، ويعود له الفضل في تأسيس جمعية من الأعيان الدمشقيين لتنمية الزراعة ، إذ تولى إدارتها بنفسه ، وقامت الجمعية باستيراد ادوات زراعية من اوربا^(١) .

ومن اجل النهوض بالواقع التجاري والزراعي ايضا اهتمت الدولة العثمانية بتأسيسها غرف التجارة والزراعة ، فقد شهدت الفترة ما بين عامي ١٨٨٠-١٩١٠م صدور نظامين بهذا الشأن^(٢) ، وبموجب هذين النظامين أسست العديد من الغرف التجارية والزراعية في بلاد الشام كان من أقدمها غرفة تجارة وزراعة حلب حيث اسست في عام ١٨٨٥م وغرفة تجارة السلط التي اسست في عام ١٨٨٤م^(٣) ، وكانت هذه الغرف تعرف باسم (تجارت وزراعة اوطه سي) وقد وردت معلومات عن هذه الغرف وأعضائها في بلاد الشام في الاعوام ١٨٨٥ و١٨٩٤م وكما هو موضح في الجدول الآتي :

(١) بشور ، سوريا ولبنان في عصر الإصلاح ، ص ٤٤٦-٤٤٧ .

(٢) للتفاصيل اكثر حول هذين النظامين ينظر : عبد الرحيم ذو النون الحديشي ، غرفة تجارة بغداد ١٩٢٦-١٩٦٤ م دراسة تاريخية اقتصادية ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة الموصل ، ١٩٩٧ م ، ص ١٨-٢٠ ؛ قانون غرف التجارة في الدولة العثمانية المؤرخ في ٥ جمادى الآخر سنة ١٣٢٨هـ و ١٣ مايس سنة ١٣٢٩ رومي ، ترجم وطبع على نفقة المدرسة الشرقية واسعاف المدارس الاهلية ، حلب ، ١٩٢٥ م .

(٣) محمد عبد القادر خريسات وعيسى سليمان ابو سليم ، سجلات غرفة تجارة السلط ١٨٨٤-١٩٣٧م دراسة وتحقيق ، حماده للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع ، الأردن ، ٢٠١٠م ، ص ٥ . وسيشار إلى هذا المرجع عند وروده لاحقا ، خريسات وابو سليم ، سجلات غرفة ، ص ٨ .

ت	اسم الغرفة	اعضاء الغرفة
١ .	غرفة تجارة وزراعة حلب	الرئيس احمد افندي سباعي ، الاعضاء حلاج زاده علي افندي ، رزق الله افندي كبابه ، عزره لنبادو افندي ^(١)
٢ .	غرفة تجارة وزراعة بيروت	الرئيس امين بربير افندي ، والمشاور الاول سرسق افندي ، والمشاور الثاني انطوان طرازي افندي ، الاعضاء نجيب بيهم افندي ، سعيد موسى افندي ، جرجي فقاش افندي ، حبيب دوماني افندي ، عبد القادر نعماني افندي ، مصباح غندور افندي ، محمد حناوي افندي ، الياهو دانا افندي .
٣ .	غرفة تجارة وزراعة صور	الرئيس خطار ثابت افندي ، الاعضاء : داود دارا افندي ، عبد الله يحيى افندي ، اسكندر زيدان افندي
٤ .	غرفة تجارة وزراعة طرابلس	الرئيس مصطفى عز الدين افندي ، الاعضاء : عبد الحميد شنبور افندي ، عثمان علم الدين افندي ، عبد القادر ذوق افندي ، عبد الحميد كرمه افندي ، قيصر نوفل افندي ، ابراهيم ترك افندي ، فرنسيس شبطني افندي ، والكاتب امين صوفي

(١) محمد سعيد الزعيم ، « الغرف التجارية في البلاد العربية » ، دليل الكويت ، ، وزارة الثقافة ،

الكويت ، ١٩٦٥م ، ص ٤٩١ .

<p>الرئيس شاكر خياط افندي ، الاعضاء : حاجي سعيد سليم افندي ، عباس حسن درويش اغا ، حاجي مصطفى مسلماني افندي ، والكاتب شريف افندي</p>	<p>٥ . غرفة تجارة وزراعة اللاذقية</p>
<p>الرئيس عبد الغني بيضون افندي ، الاعضاء : حاجي مصطفى دلال ، مصطفى خيزران ، ابراهيم خوري ، جبران سعد افندي ، ميخائيل عيد ، ديكري منحل ، والكاتب عارف افندي .</p>	<p>٦ . غرفة تجارة وزراعة عكا</p>
<p>الرئيس بدوي عاشور افندي ، الاعضاء : عبد الرحمن كمال افندي ، محمد الطاهر افندي ، سليم كنعان افندي ، مرجان سامري افندي ، والكاتب حسن افندي^(١)</p>	<p>٧ . غرفة تجارة وزراعة نابلس</p>

ويتبين من الجدول اعلاه ان النصارى واليهود لهم حضور في واسع في
غرف التجارة والزراعة ، وهذا يؤكد ما اشارت له بعض الدراسات من ان لهم
تفوق كبير ولاسيما في الميدان التجاري ، اما الميدان الزراعي وعلى الرغم من ان
هذه المهنة كانت شبه محتكره من جانب المسلمين ، الا انه في الربع الثالث من
القرن التاسع عشر بدا ان غير المسلمين تفوقا في هذا المجال^(٢) ، خاصة وانهم

(١) سالنامه ولاية بيروت ، ١٨٩٤م ، ص ص ١٤٤ - ١٩١ .

(2) Roderic Davison, *The Milletts as Agent of Change in the Nineteenth-Century Ottoman Empire*. Pp. 319-337 in Benjamin Braude and Bernard Lewis, eds., *Christians and Jews in the Ottoman Empire*, vol. 1. New York, 1982, p. 324.

اهتموا بزراعة المحاصيل ذات المردود العالي ماليا التي تصدر الى الخارج كالقطن^(١) وهذا ما يفسر تواجدهم الكبير في غرف التجارة والزراعة .

٢. التشجيع على زيادة المحاصيل الزراعية

مما لاشك فيه ان المعاهدات التجارية التي عقدتها الدولة العثمانية وفقا لنظام الامتيازات^(٢) مع الدول الرأسمالية كانت سببا في زحف راس المال الغربي منذ النصف الثاني من القرن التاسع باتجاه السوق والمواد الخام في الولايات العربية ، وفي تحطيم نمط الإنتاج ما قبل الرأسمالي ، وفرض نمط الإنتاج الرأسمالي^(٣) ، وهذا ما نراه واضحا في الجانب الزراعي ، إذ عملت الدول الأوروبية على تكيف الإنتاج الزراعي في الولايات العربية ، ولاسيما في بلاد الشام لحاجات السوق الأوروبية من خلال توسيع مساحة الأرض الزراعية وزراعة الأنواع والمحاصيل التي تخدم الصناعة الأجنبية^(٤) ، ولكن هذا لا يعني ان السياسة العثمانية في المجال الزراعي كانت بعيدة عما يحصل في أراضيها ، وان تطور الإنتاج الزراعي مرده فقط لحاجات السوق الأوروبية ، بل أسهمت بعض القوانين العثمانية في توسيع الإنتاج وتنويعه ، فعلى سبيل المثال كان محصول القطن من المحاصيل الزراعية المهمة التي أولت السلطة العثمانية في ولايات

(1) Charles Issawi, The Transformation of the Economic Position of the *Millets* in the Nineteenth Century. Pp. 261-285 in Benjamin Braude and Bernard Lewis, eds., *Christians and Jews in the Ottoman Empire*, vol. I. New York, 1982, p. 264.

(٢) للتفاصيل اكثر عن الامتيازات ينظر : وليد العريض ، «تاريخ الامتيازات في الدولة العثمانية واثارها» ، مجلة دراسات في الآداب والعلوم الإنسانية ، الجامعة الأردنية ، عمان ، م ٢٤ ، العدد ١ / ١٩٩٧ م ، ص ١٤٥-١٧٥ .

(٣) العبيدي ، الدور الاقتصادي للبرجوازيين ، ص ٣٥ .

(٤) السكيف ، الامتيازات الأجنبية ، ص ٨٦ .

الشام اهتمامها بزراعته فأصدرت في العام ١٢٧٨هـ / ١٨٦١م تعليمات كانت تهدف إلى تشجيع زراعة القطن وذلك بأن أعفت الآلات والمعدات المستوردة والخاصة بزراعة القطن وحلجه من الرسوم الكمركية ، كما قدمت السلطة مكافأة لأصحاب الإنتاج الجيد^(١) ، ولاسيما بعد زيادة الطلب الخارجي عليه من المصانع الأوروبية خلال اندلاع الحرب الأهلية الأمريكية ، (١٨٦٠ - ١٨٦٥م) ولكن زراعة القطن وإنتاجه قد أنخفض في السنوات اللاحقة بسبب منافسة القطن المصري والقطن الأمريكي في الأسواق العالمية وجودة نوعيتهما على القطن السوري . فانخفضت قيمة صادرات القطن من مليون ونصف المليون فرنك فرنسي عام ١٨٦٤م الى مائة وخمسين الف فرنك فرنسي في العام ١٨٩٠م^(٢) .

واستمرت السلطة العثمانية في ولايات الشام تشجع الفلاحين على زراعة المحاصيل النقدية بهدف التصدير الى الخارج ولذلك صدرت في العام ١٢٧٨هـ / ١٨٦٢م تعليمات حصل فيها مزارعو أشجار الزيتون على امتيازات جيدة تمثلت بإعفاء الأشجار المزروعة حديثاً من ضريبة الإعشار لمدة ثلاث سنوات ، واعتباراً من بدء إنتاج الأشجار ، كما أعفت التعليمات الصادرة في العام المذكور اشجار الزيتون لمدة عشر سنوات من تاريخ غرسها^(٣) ، وكان الزيتون في بلاد الشام من الانواع الممتازة ولاسيما في متصرفية القدس الشريف^(٤) .

وأصدرت السلطة العثمانية في عام ١٢٨٩هـ / ١٨٧٣م تعليمات بإعفاء الفلاحين مدة ثلاث سنوات من ضريبة العشر ابتداء من تاريخ جني المحصول لمن يقوم بزراعة أشجار التوت لتكون مهياً لتربية دود القز وللحصول على إنتاج

(١) الدستور ، ج٢ ، ص ٣٨٤ .

(٢) غرابية ، سورية في القرن التاسع عشر ، ص ١٥٢ .

(٣) الدستور ، ج٢ ، ص ٢٨٧ .

(٤) عارف باشا العارف ، تاريخ القدس ، دار المعارف ، مصر ، د . ت ، ص ١٢٤ .

أفضل لخيوط الحرير^(١)، وقد بلغ عدد أشجار التوت في نهاية القرن التاسع عشر حوالي ثلاثة ملايين ونصف المليون شجرة^(٢)، وكانت بلاد الشام غنية بالأشجار لاسيما في الأقسام الجنوبية والغربية وعلى سفوح جبال الكرمل ولبنان واللاذقية، وكانت تشغل مساحة خمسمائة ألف هكتار، وهي تشكل أهمية كبيرة للبلاد في الحصول على مصادر الأخشاب^(٣).

وفي متصرفية جبل لبنان أصدر المتصرف فرنكو باشا (١٨٦٨-١٨٧٣م)^(٤) تعليمات بإعفاء الآلات الزراعية الحديثة المستوردة من الخارج من الرسوم الكمركية، كما شجع المزارعين على التوسع في زراعة الأشجار المثمرة بإعفائها من الضرائب مدة ثلاث سنوات من تاريخ الإنتاج^(٥). كما حاولت الدولة العثمانية تنشيط الزراعة والتجارة في جبل لبنان فأصدرت وزارة التجارة والزراعة في ٢٨ أيلول ١٨٧٦م أمرا عاما تحث فيه المسؤولين على تنشيط الزراعة والتجارة وتأسيس الجمعيات، لكن خوف أعضاء مجلس الإدارة من زيادة الأموال والنفقات المطلوبة لمثل هذه الأنشطة جعلت تدعي أن الجبل لا يستحق أن يتعين

(١) الدستور، ج ٢، ص ٢٨٥-٢٨٦.

(٢) كوثراني، بلاد الشام السكان، ص ١٠٧.

(٣) نادر العطار، تاريخ سورية في العصور الحديثة، مطبعة الانشاء، دمشق، ١٩٦٢م، ج ١، ص ١٥٥.

(٤) فرنكو باشا: ولد في العاصمة استانبول عام ١٨١٤ م من أبوين عربيين من اسرة كوسا الحلبية، تعلم في مدارس العاصمة، واتقن ست لغات، وتدرج في وظائف الدولة حتى عين متصرفا في لبنان عام ١٨٦٨م، وقد شهد لبنان في عهده تطورات عدة، وفي مختلف الأصعدة. للتفاصيل ينظر: لحد خاطر، عهد المتصرفين في لبنان، الجامعة اللبنانية، بيروت، ١٩٦٧م، ص ٣٦-٣٨، وسيشار له عند وروده فيما بعد: خاطر، عهد المتصرفين.

(٥) محمد عصفور سلمان الاموي، حركة الإصلاح في الدولة العثمانية وأثرها في المشرق العربي ١٨٣٩-١٩٠٨، اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الاداب، جامعة بغداد، ٢٠٠٥م، ص ١٠٩، سيشار عند وروده فيما بعد: الاموي، حركة الإصلاح في الدولة العثمانية.

به هكذا مجالس وجمعيات ، لكن الوزارة عادت في صيف عام ١٨٨٠م فأوجبت تشكيل قوميسيانات (لجان) لدرس المواسم الزراعية ، وتقديم إحصاءات عن أحوال الزراعة ، أما المتصرف رستم باشا (١٨٧٣-١٨٨٣م)^(١) فبدوره اصدر أمرا في منتصف تموز عام ١٨٨٠م يقضي بفتح أسواق اسبوعية في بعض القرى اللبنانية^(٢) . «لتسهيل احوال الرعايا ومعاونتهم على تصريف الاشياء التي يرغبون بيعها» ، فأقام مثل هذه الأسواق في بعض قرى جزين ودير القمر والشوف وزحلة والمتن وكسروان والبترون والكورة ، وشدد على القائممقاميين بضرورة دعم إنجاح هذه الأسواق^(٣) .

شجعت هذه الإجراءات التي أصدرتها السلطة العثمانية في ولايات الشام على التوسع في مساحة الأراضي الزراعية وعلى زيادة الإنتاج وتحسين نوعيته في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ، وقد ظهر نوع من التخصص السلعي يعتمد بشكل أساس على إنتاج سلعة معينة ، او عدد من السلع التي تخصص للتصدير ويمثل إنتاجها قطاعا فعالا في الاقتصاد الوطني المحلي ، فجرى التركيز في جبل لبنان على زراعة التبغ وإنتاج الحرير^(٤) الذي الذي بلغ إنتاجه في أواخر القرن التاسع عشر خمسة آلاف كيلوغرام ، بعد أن كان الإنتاج ألف

(١) رستم باشا : ولد في فلورنسا في ايطاليا عام ١٨١٠م ، وتلقى علومه في أشهر الجامعات الأوروبية ، وأجاد لغات عدة ، وتقلد وظائف عدة في الدولة العثمانية وتمكن من الحصول على جنسيتها ، ونتيجة لامتلاكه مواهب عدة عين متصرفا في لبنان عام ١٨٧٣م . للتفاصيل ينظر : خاطر ، عهد المتصرفين ، ص ٤٩ .

(٢) محمود صالح سعيد عبد الله ، السياسة العثمانية تجاه متصرفية جبل لبنان ١٨٦١-١٩١٨م ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة الموصل ، ٢٠٠٣م ، ص ١٢٩

(٣) اسد رستم ، لبنان في عهد المتصرفية ، دار النهار للنشر ، بيروت ، ١٩٧٣م ، ص ٢٠٨ .

(٤) مكسيم رودنسون ، الإسلام والرأسمالية ، ترجمة نزيه الحكيم ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٩٦٨م ،

كيلوغرام عام ١٨٦٠م^(١)، وانتشرت أشجار التوت والزيتون وأشجار الفواكه والحمضيات في طرابلس وصيدا وكسروان^(٢) وبعبك وحلب^(٣)، وتوسعت زراعة القطن في شمال سوريا، وزراعة التبغ في اللاذقية، وزراعة الحمضيات والشعير في فلسطين، فقد اشتهرت مدينة يافا بتصدير البرتقال، ومدينة غزة بتصدير الشعير^(٤). كما توسعت مساحة الأراضي الزراعية بشكل كبير، وهذا ما يؤكد القنصل الفرنسي في دمشق في عام ١٨٨٠م حيث يقول انه خلال سنوات العشرين أو الثلاثين السابقة، كانت الزراعة أخذت في التوسع وزاد الإنتاج في سوريا^(٥)، والحال نفسه في فلسطين، فقد زادت مساحة الأراضي الزراعية في الفترة ما بين نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين من (٤٠٠٠ دونم) إلى (٣٠٠٠٠ دونم)^(٦). كما بدأ استخدام التقنيات الحديثة في بلاد الشام، وكانت تقنيات أنظمة الري الحديثة من أولى التقنيات التي تم استخدامها في أوائل تسعينات القرن التاسع عشر، فعلى سبيل المثال جاء في تقرير رسمي في عام ١٨٩٠م بان ستين محركا بخاريا لسحب الماء عملوا بكل طاقتهم في بيارات يافا، ورغم كلفة المحركات العالية الا ان الطلب ازداد عليها

(١) غرايبة، سورية في القرن التاسع عشر، ص ١٥١.

(٢) كسروان: قضاء في محافظة جبل لبنان مركزه جونية، وقديما مقاطعة اشتهرت بحملة المماليك ضد الشيعة عام ١٣٠٥م. معلوف، المنجد في الاعلام، ص ٤٦٣.

(٣) فؤاد أفرام البستاني، لبنان مباحث علمية واجتماعية، بيروت ١٩٧٠م، ج ٢، ص ٤٣٩-٤٤٠؛ عيساوي، التاريخ الاقتصادي للهِلال الخصيب، ص ١٣٩.

(٤) عوض، فلسطين في أواخر العهد العثماني، ص ٣٢؛ Issawi, op. cit, p. 9.

(٥) عيساوي، التاريخ الاقتصادي للهِلال الخصيب، ص ٤٠٥.

(٦) السكيف، الامتيازات الأجنبية، ص ١١٦.

بمرور الوقت نتيجة لانفتاح اسواق جديدة على برتقال يافا^(١) .

استمرت السلطة العثمانية في ولايات الشام باهتمامها وتشجيعها لمهنة الزراعة وأصحاب الأراضي ، وبهدف الحصول على الخبرة الزراعية الحديثة من أوروبا أرسلت السلطة العثمانية في سورية عدداً من الطلبة إلى فرنسا لتعلم الطرائق الحديثة في الزراعة ، وكذلك لتربية دود القز لما يشكله إنتاج خيوط الحرير من أهمية في الحياة الاقتصادية في الولاية^(٢) ، وبسبب ذلك أسست السلطة في العام ١٩٠٨م ثلاثة دور لدراسة الطرائق الحديثة في تربية دود القز وإنتاج خيوط الحرير في كل من بيروت وحلب وأنطاكية ، وكانت مدة الدراسة فيها سنة واحدة ، يتعلم الدراسيين فيها الأساليب الحديثة في إنتاج خيوط الحرير وصناعة المنسوجات^(٣) ، وفي عام ١٩١٠م أسست السلطات العثمانية كذلك مدرسة زراعية عرفت باسم (مدرسة سليمية الزراعية) في سهول حمص وحماه^(٤) .

كما ساعد تحسن طرق المواصلات في بلاد الشام والذي عملت عليه السلطات العثمانية منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر من اجل تقوية الحكم المركزي ، وتوطيد الأمن والاستقرار ، وتنشيط التجارة ، على زيادة إنتاج المحاصيل الزراعية في بلاد الشام ، إذ ساعدت كثيراً على نقل المحاصيل الزراعية من الحقول إلى المستهلك طازجة وبسرعة ، ، مما اسهم في تحسين حالة الفلاحين

(١) محمود يربك ، «برتقال يافا واثره في التغيرات الاجتماعية والاقتصادية في مدينة يافا ومحيطها في

القرن التاسع عشر» ، بحث غير منشور مقدم إلى المؤتمر الدولي التاسع لتاريخ بلاد الشام والمنعقد في

عمان للمدة ١-٥ نيسان ٢٠١٢م ، ص ١١ ، (نُشر في المجلد الثالث من أعمال المؤتمر عام ٢٠١٤م) .

(٢) الاموي ، حركة الإصلاح في الدولة العثمانية ، ص ١١٢ .

(٣) سعيد حمادة ، النظام الاقتصادي في سوريا ولبنان ، المطبعة الأمريكية ، بيروت ، ١٩٣٦م ، ص

ص ٤٤-٤٦ ، هرشلاغ ، مدخل إلى التاريخ الاقتصادي ، ص ٩٣ .

(4) Frank Ross, Luther Fry and Elbridge Sibley, *The Near East and American Philanthropy*.

New York, 1929, p. 246.

بعد زيادة الإنتاج وتحسن أسعار المحاصيل الزراعية^(١)، وخير مثال على ذلك افتتاح الخط الحجازي لسكة الحديد بين دمشق والمدينة المنورة المار بمدينة عمان عام ١٩٠٨ والذي أحدث نقله نوعية في الحياة العامة في بلاد الشام^(٢). وأخيراً يمكن القول ان التنظيمات العثمانية، وما صدر في سياقها من قوانين وتعليمات وتوجيهات، فضلاً عن جهود بعض الولاة المصلحين، اسهمت في تقدم الزراعة، فازدهرت المواسم الزراعية وتحسن حال قطاعان الماشية، واسهم هذا الانتعاش بتقليص عدد الشباب المهاجرين إلى أمريكا وغيرها، وتفضيلهم البقاء في بلادهم للعمل في قطاع الزراعة^(٣)، وهذا ما جعل بلاد الشام تشكل مصدراً مهماً في الإنتاج الزراعي للدولة العثمانية.

(١) الحسنيني، تاريخ سورية الاقتصادي، ص ٢٤٦؛ عوض، فلسطين في أواخر العهد العثماني، ص

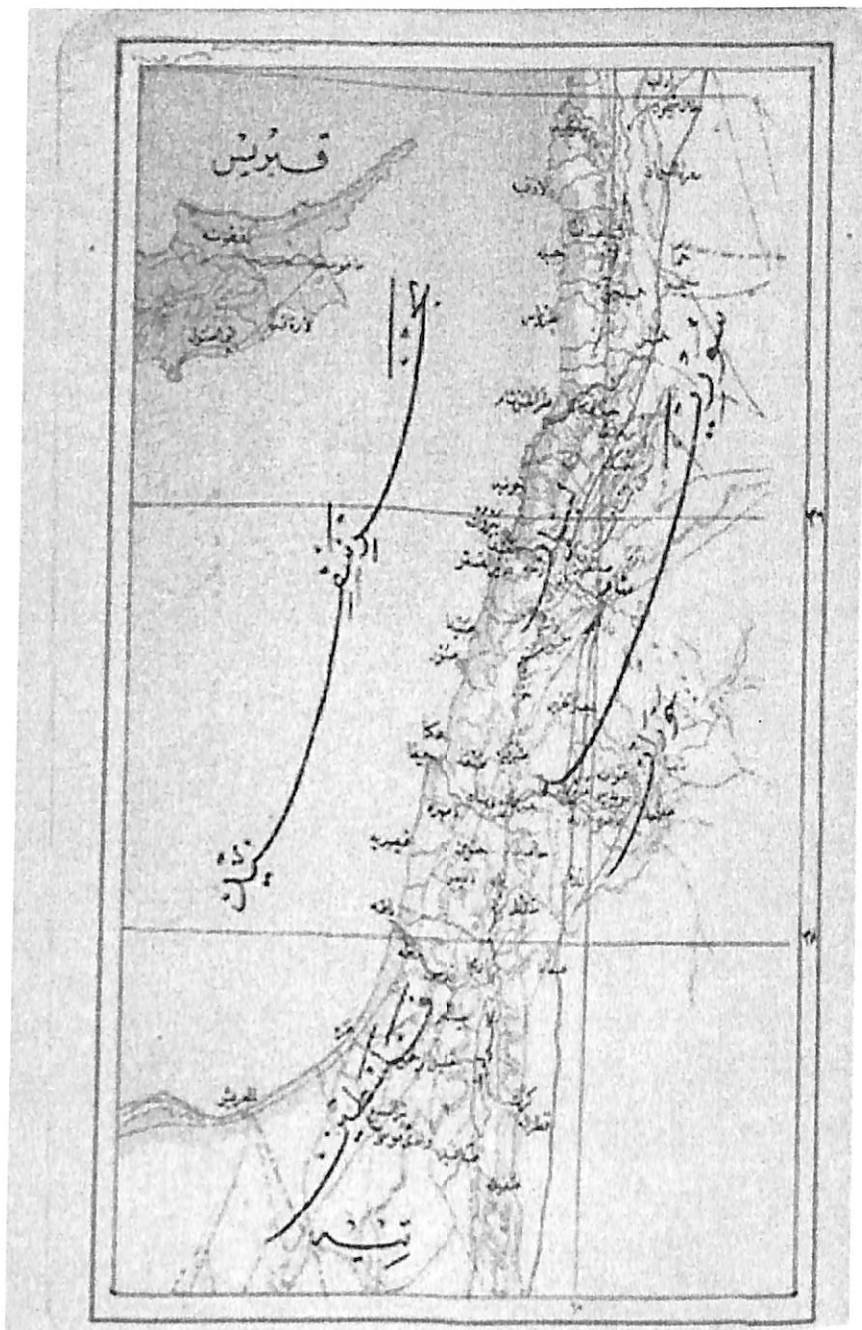
٣٥.

(٢) هند غسان ابو الشعر، «دور الصحافة في التوثيق لنشأة الخط الحديدي ١٣١٨-١٣٢٦ هـ / ١٩٠٠-

١٩٠٨م صحيفة البشير البيروتية مصدراً»، المجلة الأردنية للتاريخ والآثار، المجلد الثالث، العدد ٣،

عمان، ٢٠٠٩م، ص ١٧٣.

(٣) كيال، تجارة صيدا، ص ١٧٤.



خريطة بلاد الشام في العهد العثماني

العقبات التي واجهت قطاع الزراعة في فلسطين خلال الحرب العالمية الأولى ١٩١٤-١٩١٨ م

أمين أبو بكر (*)

تعالج هذه الدراسة العقبات التي واجهت قطاع الزراعة في الالوية الفلسطينية الثلاثة عكا ، و نابلس ، والقدس ، خلال فترة الحرب العالمية الأولى ١٩١٤-١٩١٨ م ، نظرا لما شهدته تلك الحقبة من تحولات ، وتطورات اقتصادية ، واجتماعية ، وسياسية حتمتها مجموعة من العوامل الطبيعية ، والبشرية التي أثرت في مسيرة تاريخها وفي مقدمتها حالة الاستنفار العامة ، وسوق الشبان القادرين على الخدمة العسكرية إلى ميادين القتال وما واكبها من تجميد للقوانين المدنية ، وإعلان الاحكام العسكرية أو العرفية وكثافة الحشود العسكرية التي رابطت على أراضيها واتخاذها نقطة انطلاق لشن هجماتها على قناة السويس لقطع خطوط الاتصال بين بريطانيا ومستعمراتها في الشرق ، ومآزرة الشعب المصري والسوداني في الثورة على الاستعمار البريطاني ، ومشاغلة جيوش الحلفاء في جبهة جديدة للتخفيف عن جبهات القتال الأخرى ، واعتمادها كخط دفاعي متقدم للدفاع عن الولايات الشامية في مواجهة الجيش البريطاني المتمركز في مصر ، والمتحصن على الضفة الغربية لقناة السويس وما شهدته من عمليات عسكرية في مواجهة الجيش البريطاني الزاحف على أراضيها من مصر ، وشارك فيها سلاح الطيران بفعالية لأول مرة في تاريخ فلسطين

(*) جامعة النجاح الوطنية ، نابلس ، فلسطين .

العسكري ، إلى جانب بقية التشكيلات الأخرى البرية والبحرية التي انتهت بهزيمة الجيش العثماني ورحيل الحكم العثماني عنها وبداية الاحتلال البريطاني إيذانا بدخول مرحلة جديدة التي رافقتها انتشار الأوبئة والأمراض ، والآفات وغزوات أسراب الجراد وانحباس الأمطار عام ١٩١٦م ، وتفشي المجاعة .

وجاء اختيار العقبات التي واجهت قطاع الزراعة عنواناً للدراسة والبحث بهدف تسليط الضوء على الخسائر التي مني بها ذلك القطاع ، مما أدى إلى انهياره بالكامل خلال فترة الحرب ، وما ترتب عليها من نتائج وخيمة على صعيد ملكية الأراضي ، وتغلغل حركة الاستيطان في ظل الحكم العسكري ، البريطاني وحكومة الانتداب ، وذلك بعد حركة النمو الواعدة التي مر بها ابتداء منذ نهاية الحرب الأهلية القيسية اليمنية عام ١٨٦٠م ، التي اجتاحت الألوية الفلسطينية الثلاثة عكا ، ونابلس ، والقدس بعد رحيل الحكم المصري عنها عام ١٨٤٠م واستدعت فيه النجدات البدوية من شرق الأردن وصحراء سيناء تحت شعار ساعدني بساعدك ودفعت به إلى الحضيض ، وألقت بظلالها على مسيرة المجتمع الفلسطيني ، بتحولاتها الاقتصادية ، والاجتماعية ، والسياسية كيف لا وهو بشقيه النباتي والحيواني يشكل العمود الفقري للاقتصاد المحلي ، وإحدى الركائز المهمة في تعزيز المجهود الحربي العثماني ودعمه في جبهة قناة السويس ، التي تحصن فيها الجيش البريطاني ، وتحقيق الأمن الغذائي ، والاجتماعي ، للسكان من خلال ما يوفره من محاصيل ومنتجات ومواد تموينية ، وصناعية ، وحرفية ، وخدمات في مجالات الحمل والنقل والجر وتشغيل الطواحين والمعاصر وروافع مياه الري بعد احكام الحصار القاري على السواحل ومنع دخول الكاز اللازم لتشغيل الآلات .

وقد تم الاعتماد في عرضها على مجموعة متنوعة من المصادر ، الأولية المحلية ، وغير المحلية ، وفي مقدمتها سجلات المحاكم الشرعية الخاصة بكل من القدس ، ونابلس ، ويافا ، وجنين ، وحيفا ، وعكا والصحف المعاصرة الصادرة في الألوية الثلاثة ، والولايات العربية الأخرى ، والمقابلات الشخصية ، والجولات

الميدانية ، والمذكرات ، والخرائط ، والصور الجوية ، إضافة إلى مجموعة من المراجع ، والدراسات المتخصصة ، وغير المتخصصة التي عاجلت تاريخ فلسطين الاقتصادي ، والاجتماعي أواخر العهد العثماني ، والحكم العسكري البريطاني ١٩١٧-١٩٢٠ م ، وسلطات انتدابه ١٩٢٠-١٩٤٨ م .

وفي سبيل تتبع العقبات التي واجهت قطاع الزراعة ، بشقيه النباتي والحيواني ، والتعرف إلى مدى تأثيرها ودرجة فعاليتها ، على بنيته الأساسية ، وانعكاس ذلك على الحياة العامة ، للمجتمع الفلسطيني يمكن تقسيمها حسب مستوياتها ، ودرجة فعاليتها ، والعوامل الفاعلة فيها إلى مجموعتين :-

أ. مجموعة العوامل البشرية:

١. التفسير العام:

يعد التفسير العام ، والتعبئة العامة الصادر في ٢١/٧/١٩١٤ م ،^(١) أو ما درج على السنة العامة باسم «سفر برلك» ،^(٢) أهم عامل بشري اثر في بنية قطاع

(١) سجلات المحاكم الشرعية (سجلات محكمة القدس ، نابلس ، جنين ، يافا ، حيفا) مركز الوثائق والمخطوطات ودراسات بلاد الشام ، الجامعة الأردنية ، عمان ، الأردن ؛ وسيشار إليه عند وروده فيما بعد : (سجلات ويرمز لها س ، والشرعية ويرمز لها ش) ثم اسم المدينة والى جانبها رقم السجل ، مثل س ش ، القدس ٤١٢ ، ص ١٣ ؛ س ش ، نابلس ٤٧ ، ص ١١٦-١١٧ ؛ بهجت صبري ، فلسطين خلال الحرب العالمية الأولى وما بعدها ١٩١٤-١٩٢٠ م ، جمعية الدراسات العربية ، القدس ، فلسطين ، ١٩٨٢ م ، ص ٦٥ ؛ وسيشار إليه عند وروده فيما بعد : صبري ، فلسطين .

(٢) ترددت عبارة سفر برلك بكثافة في السجلات الشرعية المدونة خلال سنوات الحرب وما بعدها كما ترددت على السنة المعمرين من أهالي فلسطين س ش جنين ١٩ ، ص ٤٤-٤٥ ؛ جوهري ، واصف ، القدس العثمانية في المذكرات الجوهري ، مؤسسة الدراسات المقدسية ، القدس ، فلسطين ، ٢٠٠٣ م ، ج ١ ، ص ١٦١ . وسيشار إليه عند وروده فيما بعد : جوهري ، القدس ؛ البرغوثي ، عمر الصالح ؛ وطوطح ، خليل ، تاريخ فلسطين ، مكتبة فلسطين العلمية ، القدس ، فلسطين ، ١٩٢٣ م ، ص ٢٧٤ وسيشار إليه عند وروده فيما بعد : البرغوثي ، وطوطح ، تاريخ .

الزراعة الفلسطينية خلال « الحرب العامة » الأولى^(١) وكانت فعالياته قد بدأت مع دخول الدولة العثمانية احد محاورها إلى جانب دول الوسط الممثلة بألمانيا ، والنمسا والمجر ، وبلغاريا في مواجهة دول الحلفاء ممثلة ببريطانية ، وفرنسا ، وروسيا ، وإيطاليا ، ورومانيا واستمرت حالة الاستنفار إلى أن رحلت الدولة العثمانية عن الالوية الفلسطينية الثلاثة عكا ، ونابلس ، والقدس عام ١٩١٨م ، قبيل أن تضع الحرب أوزارها لصالح دول الحلفاء^(٢) وكانت الدعوة للتعبئة العامة قد تمت في نسيان من عام ١٩١٤م عبر دعوات سلمت في ظروف مغلقة بالشمع الأحمر^(٣) إلى المختير والزعامات المحلية بوساطة متصرفي الألوية ، وحذرتهم من فتحها إلا عندما تفرغ الطبول وتنبئ الإعلانات بالعرض الذي وزعت المكاتيب لأجله^(٤) مما أثار الرعب في نفوس الرعية حول مضامينها ومحتوياتها وعملا بالأوامر ظلت المغلفات مغلقة نحو شهرين ، ولم يستطع احد من معرفة مغزاها ، وما تضمنته من نصوص إلى أن قرعت الطبول ، فبعد انقضاء صلاة الجمعة في المسجد الأقصى ، قرعت الطبول في المدينة ، وأذنت بفتح المغلفات ، وإذا بداخلها صحيفة أبعادها نحو (٥٥×٧٠) سم ذات لون احمر فاتح عليها بألوان بارزة العلم الأخضر ، ومقابله العلم الأحمر ، وبين هذه الأعلام رسم مدفع لونه اسود ومكتوب تحته عبارة «سفر برك بركجي كوني تموز سنة ١٩١٤»^(٥) .

(١) س . ش جنين ٢٢ ، ص ٣٠٨-٣٠٩ ؛ س ش ، يافا ، ١٦٦ ، ص ١-٤٠٠ ؛ س ش ، يافا ، ١٨٦ ، ص ١٨ ؛ س ش يافا ، ١٩٢ ، ص ٣٥٢ .

(٢) س . ش ، نابلس ٤٧ ، ص ١١٦-١١٧ ؛ س ش ، يافا ١٩٢ ، ص ٢٧١-٢٧٢ ؛ س ش ، يافا ١٩٧ ، ص ١٤-١٦٣ ؛ س . ش ، جنين ٢٢ ، ص ٣٣٧-٣٣٨ ؛ جوهري ، القدس ، ج ١ ، ص ١٦٠ .

(٣) جوهري ، القدس ، ج ١ ، ص ١٦١ ؛ صبري ، فلسطين ، ص ٦٥ .

(٤) جوهري ، القدس ، ج ١ ، ص ١٦١ .

(٥) برنجي كوني : الحرب العالمية الأولى :- الجوهري ، ج ١ ، ص ١٦١-١٦٣ ؛ البرغوثي ، وطوح ، تاريخ ، ص ٢٧٣-٢٧٤ .

وفي سبيل توجيه كل الإمكانيات المادية والمعنوية ، لخدمة المجهود الحربي ، لإحراز النصر والذود عن حدود الدولة ، واستعادة الأراضي التي فقدتها في جنوب روسيا ، والبلقان ، والمغرب العربي ، ومصر وعدن أصدر السلطان محمد رشاد (١٩٠٩-١٩١٨م) مرسوماً يدعو فيه جميع المسلمين بعامه في مشارق الأرض ومغاربها ورعاياه بخاصة ، إلى الاستنفار العام وشحذ هممهم في مجاهدة دول الحلفاء بكل ما لديهم من إمكانيات ، وتأكيداً على ذلك استشهد بآيات النفير والجهاد واتخذت الإجراءات المناسبة لقراءته في المهرجانات الحاشدة في مدينتي مكة المكرمة والقدس^(١) .

وبموجب أحكام النفير عمدت الدولة إلى تجميد العمل بقانون اخذ العسكر الصادر عام ١٢٨٣هـ / ١٨٦٦م ، والقاضي بأخذ الرجال المتمتعين بالجنسية العثمانية القادرين على الخدمة العسكرية ، وتتراوح أعمارهم ما بين (٢٠-٤٥) سنة إلى الخدمة الإجبارية ممن تصيبه القرعة العسكرية ، وإعفاء كل من لم تصيبه القرعة أو يعاني من عاهة أو نقص أو يعمل مدرساً ، أو إماماً ، أو مؤذناً ، ونحوها من الوظائف الدينية أو مازال على مقاعد الدراسة ، علاوة على وحيد الوالدين ، ومن أصابته القرعة ، ودفع بدلا عسكريا تراوحت قيمته ما بين (٥٠-١٠٠) ليرة عثمانية حسب تطورات أحكام البديل^(٢) ففي عام

(١) س. ش. ، القدس ٤١٣ ، ص ٣؛ س. ش. ، نابلس ٤٧ ، ص ١١٦-١١٧؛ البرغوثي ، وطوطح ، تاريخ ، ص ٢٧٩ .

(٢) قانون اخذ العسكر الجديد ، المادة (١-٢٧) في جريدة سورية عدد ١٠٩٧ ، ٢ جمادى الأولى ١٣٠٤هـ ، ص ١-عدد ١١١٢ ، ٤ شوال ١٣٠٤هـ ، ص ١؛ شولش ، الكزاندر ، تحولاتجزرية في فلسطين ١٨٥٦-١٨٨٢ ، ترجمة كامل جميل العسلي ، ط ٢ ، منشورات الجامعة الاردنية ، عمان ، الأردن ، ١٩٩٣م ، ص ٣٠٤-٣٠٧ ؛ وسيشار إليه عند وروده فيما بعد : شولش ، تحولات ؛ غنم ، زهير عبد اللطيف ، لواء عكا خلال عهد التنظيمات العثمانية ١٢٨١-١٣٣٧هـ / ١٨٦٤-١٩١٨م ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٩م ، ص ٤٩٧ ؛ وسيشار إليه عند وروده فيما بعد : غنم ، لواء .

١٣٣٤هـ/١٩١٦م ، أفاد إمام مسجد جنين الكبير الذي لم يلتحق بركب العسكرية ونفيها العام بسبب كبر سنه أن المسجد بحاجة إلى خادِم يقوم عليه خلفا لخادمه الذي انخرط في سلكها ، ونظرا لعدم وجود شخص محلي يطلع بالمهمة ، تم تعيين احد أبناء السبيل الوافدين من المغرب العربي مقابل (٦٠) قرشا شهريا^(١) .

واتبعت الدولة الدعوة للنفي بإعلان الأحكام العرفية في جميع ولاياتها ، وبوجب ذلك تم تجميد جميع القوانين والأحكام المدنية ، وجعلت تطبيق القوانين والتعليمات منوطة بالديوان العرفي ، ويتألف من دائرتين ، الأولى هيئة تحقيق أو «اتهام» ، والثانية محكمة عسكرية ، واتخذت لها مقرات مستقلة في مراكز الولايات والالوية ، وأناطت العمل بها بضباط عسكريين وإزاء ذلك غالبا ما تميزت أحكامها بالصرامة والقسوة وهو ما أوقع الرعب في قلوب الناس ، فعلى صعيد القدس اتخذ الديوان العرفي من بيت القسيس سايكس القائم قبالة كنيسة العربية مقر له^(٢) .

وإزاء ذلك ، وجب على جميع الرجال القادرين على الخدمة العسكرية ، من سن (٢٠-٤٥) سنة للالتحاق بمراكز التعبئة والتجنيد ، تمهيدا لتوزيعهم على مراكز التدريب والخدمة ، وجبهات القتال بما فيهم وحيد الوالدين وعلى من يخالف الأوامر العسكرية عليه أن يتدبر أمره ويختار بين اللحاق بسلك الخدمة والتسليم بما ينتظره من قدر محتوم ، أو الفرار والاختباء عن عيون الدولة ودورياتها العسكرية في بطون الأودية ، ورؤوس الجبال ، ومضارب البوادي ، ودهاليز المدن والقرى وازقتها التي لم تتوان عن إلقاء القبض عليه ، أو إعادته إلى

(١) س . ش جنين ١٦ ، ص ١٤٥ .

(٢) س . ش ، القدس ٤١١ ، ص ٢٣٢ ؛ ألسكاكيني ، خليل ، كذا ، أنا يا دنيا ، المطبعة التجارية ، القدس ،

فلسطين ، ١٩٥٥م ، ص ٨٥-٨٦ ؛ وسيشار إليه عند وروده فيما بعد : السكاكيني ، كذا ؛ ألبرغوثي ،

وطوطح ، تاريخ ، ص ٢٨٥-٢٨٦ .

مكان خدمته أو زجه في السجن ، أو رميه بالرصاص إذا ما حاول الهرب معها أو تقديمه للمحكمة العسكرية ليلاقي عقوبة الإعدام^(١) أو الزج العسكري القسري ، ولا أمل لديه في النجاة معها بأي حال من الأحوال^(٢) مما أدى إلى تراجع تعداد السكان من (٦٨٩٢٧٥) نسمة عام ١٩١٤م إلى (٦٧٣٠٠٠) نسمة في أول إحصاء رسمي لحكومة الانتداب عام ١٩٢٠م^(٣) .

وبوجب ذلك سدد النفير العام ضربة قاصمة لقطاع الزراعة ، في المواقع المأهولة الثلاثة ، عندما عمد إلى سوق الرجال القادرين على الخدمة العسكرية من سن (٢٠-٤٥) إلى ميادين القتال ، مما أدى إلى تراجع نمو السكان ، وحرمان المجتمع من العناصر الشابة القادرة على تجديد المجتمع ، وتزويده بالعناصر الفتية من خلال الولادات المتتالية التي غالبا ما كانت تفوق في محصلتها الوفيات

(١) شهدت فلسطين بعض الإعدامات على خلفية سياسية وأخرى غير معروفة الأسباب :- س ش القدس ٣٩٩ ، ص ١٠٢-١٠٣ ؛ جريدة المقتبس عدد ١٨٩٩ ، ٩ ايار ١٩١٦م ، دمشق ؛ جوهريه ، القدس ، ج ١ ، ١٦٣ .

(٢) زج المجدد مصطفى ألعطاري من أهالي عرابة في الخدمة العسكرية خلال الحرب العالمية الأولى قسرا بعد أن القي القبض عليه من قبل العيون والدوريات العسكرية وبقي فيها إلى دخول الاحتلال البريطاني :- س ش جنين ١٢ ، ص ٥٠ ؛ جريدة فلسطين عدد ٣٤٣ ، ٢٦/٧/١٩١٤م ، ص ٢ ؛ جريدة الكوكب عدد ٦٠ ، ٧/١٠/١٩١٩م ، ص ٧-٨ ؛ الغصين ، فايز ، مذكراتي عن الثورة العربية ، مطبعة ابن زيدون ، دمشق ، سوريا ، ١٩٣٩م ، ص ٤٣-٥٠ ؛ وسيشار إليه عند وروده فيما بعد :الغصين ، مذكراتي .

(3) Harry Luke and Edward Keith-Roach, *The Handbook of Palestine and Transjordan*. 2nd ed. London, 1930, p. 38. وسيشار اليه عند وروده فيما بعد .

الطبيعية^(١) وجعله رهن الجرحى العائدين من ميادين القتال ، ومن أعفي من العسكرية بسبب عدم لياقته ، أو كبر سنه ، إضافة إلى ما تتيحه الأنظمة العسكرية من إجازات للمجندين الذين التحقوا بالخدمة في المقاطعات الفلسطينية والعربية المجاورة ، وكان بمقدورهم زيارة أسرهم .^(٢) ففي عام ١٩٣٤هـ/١٩١٦م ، كانت خدمة إبراهيم حسن مصطفى من أهالي قرية خربة المصباح التابعة للقدس في أراضي لواء القدس ، وعلى ما يبدو أصيب في العمليات العسكرية أو المرض الذي انتشر في اللواء ، مما استدعى نقله إلى مستشفى البطمة العسكري في القدس^(٣) .

ومن الجدير بالذكر أن حملات التجنيد الأولى والاستنفار عام ١٩١٤م ، قد تزامنت مع نفوح المحاصيل ، ومواعيد حصادها وقطفها وتجهيزها في فصل الصيف ، الأمر الذي جعل نطاقات واسعة منها قائمة في حقولها ومزارعها وبساتينها رهن اشتعال الحرائق ، ومرتعا للحيوانات والطيور البرية والقوارض

(١) أشارت السجلات إلى أن هناك العديد من المجندين قد التحقوا بالخدمة العسكرية ولم يمض على زواجهم أكثر من سنة ورزقوا بمواليد بعد سفرهم كما ترك بعضهم أطفال قاصرين وبالتالي فان انخراطهم بالخدمة قد حال دون قدوم ولادات جديدة طوال سنوات الغياب ومن ثم انقطاعها في حالات الوفاة وعدم العودة :- س . ش ، جنين ٢٢ ، ص ٤١ ، ٢٣٦-٢٣٧ ؛ س ش ، جنين ٢٤ ، ص ٣٢٤ ؛ صلاح ، حنا ، فلسطين وتجديد حياتها ، الجمعية الفلسطينية لمقاومة الصهيونية في نيويورك ، المطبعة التجارية السورية الأمريكية ، نيويورك ، الولايات المتحدة الأمريكية ، ١٩١٩م ، ص ١٢٢ ؛ وسيشار إليه عند وروده فيما بعد :صلاح ، فلسطين .

(٢) س . ش ، القدس ، ٤١٢ ، ص ١٨٠ ؛ س . ش ، القدس ، ٤١٤ ، ص ١٨٤ ؛ عقل ، محمد ، وثائق محلية من فلسطين العثمانية ودراسات توثيقية ، دار الهدى ، كفر قرع ، ١٢٢٦هـ/٢٠٠٥م ، ص ٣٠٨ ؛ وسيشار إليه عند وروده فيما بعد : عقل ، وثائق الغصين ، مذكراتي ، ص ٤٣-٥٠ ؛ صبري ، فلسطين ، ص ٦١ .

(٣) س . ش ، القدس ، ٤١٤ ، ص ٧٢ .

والحشرات الضارة ، بعد سوق الأيدي العاملة القائمة عليها إلى ميادين القتال ، مما أدى إلى اضطراب أسعار منتجاتها في الأسواق المحلية فمع قلة الطلب في بداية الحرب وسيادة موجة عارمة من الكساد انخفضت اثمانها بصورة لافتة وسرعان ما عادت إلى الارتفاع بوتيرة متسارعة نتيجة لتوجهات الدولة الحثيثة نحو تخزين كميات ضخمة من المواد التموينية واقدام السكان المحليين على تخزينها خوفاً من انقطاعها في المستقبل واستمرار الحرب لفترة طويلة^(١) .

بيد أن حالة الاستنفار العام ، وما ترتب عليها من وفيات ، وأسرى ، وجرحى قد أسدلت الستار على ما عاناه الشبان في الخدمة العسكرية منذ عام ١٨٦٢م ، حيث أشار كوندر «Conder» ، المدير التنفيذي لصندوق استكشاف فلسطين ، أن الجندية والتكليف العسكري قد حال دون ازدهار الزراعة^(٢) .

أما على الصعيد الثاني ، فقد عمل النفير العام على شل حركة الاقتصاد وإغلاق البنوك^(٣) ، وضرب طاقة العمل الفتية القادرة على العمل الزراعي في الأرياف ، والبوادي المستقرة ، وقطاع التجارة والصناعة والحرف والخدمات العامة في المدن في آن واحد ، عندما زجت بها في ميادين القتال وحصرت العمل في قطاعات الإنتاج المختلفة التي تكمل بعضها بعضاً بالرجال ، ممن هم فوق الـ (٤٥) سنة من أعمارهم والأطفال والنساء وغير اللاتقنين للعمل ممن أعفوا من الخدمة العسكرية^(٤) .

(١) صلاح ، فلسطين ، ص ٥٥ .

(٢) حول التكليف الإجباري انظر :- وسيشار إليه عند وروده فيما بعد :

Claude Conder, *Tent Work in Palestine*. London, 1878, p. 266.

(٢) السكاكيني ، كذا ، ص ٧٩ صلاح ، فلسطين ، ص ٥٥ .

(٤) س . ش ، القدس ، ٤١٩ ، ص ٣٠٩-٣١٠ ؛ س . ش ، جنين ٢٤ ، ص ٣٢٤ ؛ أبو رجيلي ، خليل ،

الزراعة في فلسطين قبل قيام دولة إسرائيل ، مجلة شؤون فلسطينية ، عدد ١١ ، بيروت ، لبنان ،

١٩٧٦م ، ص ١٣٥ ؛ وسيشار إليه عند وروده فيما بعد : أبو رجيلة ، الزراعة ؛ صبري ، =

ونتيجة لحاجة الدولة للعناصر الشابة ، فإن الدوائر العسكرية كانت تحيل الشبان غير القادرين على العمل الميداني إلى شعبة خدمات الجيش ، كالتموين ، وقطع الأخشاب ، كما وجهت وحدات الرديف والمستحفظ إلى قطع الأشجار ، وإعداد الحطب للقطار في المناطق القريبة من مناطق سكناهم^(١) كما عمدت إلى سوق الرجال غير المكلفين والسجناء تحت إمرة الضباط المتقاعدین للعمل في شق الطرق وتعبيدها ، وبناء السكك الحديدية ،^(٢) وذهبت إلى أبعد من هذا في شتاء عام ١٩١٧م ، عندما سعت لتنشيط قطاع الزراعة من خلال تشكيل لجان من النساء لزراعة الاراضي في ولايات أضنة ، ودمشق وفلسطين^(٣) .

وتتجلى آثار النفي العام على قطاع الزراعة ، في كثافة أعداد المجندين الواردة أسماؤهم في السجلات الشرعية منذ إعلان النفي العام ، وحتى ثلاثينيات القرن العشرين ، وكانت قد بينت الوثائق الشرعية الأسلوب الذي تم فيه أخذهم للعسكرية ، والجبهات التي رابطوا فيها ، والمصير الذي آلت إليه حياتهم ، وغالبا ما كانت بين قتل ، ومفقود ، وجريح ، ومأسور ، ولم يتمكن الأسرى والمساجين والمشدودون في الولايات العثمانية من العودة إلى ديارهم ، إلا بعد إعلان العفو العام الذي أصدرته سلطات الانتداب البريطاني بحقهم^(٤) ومن الشواهد الدالة على ذلك الروايات التي أفضى بها المجندون العائدون حول ما واجهوه من مشقة وعناء أثناء فترة التجنيد ، والمرابطة في جبهات القتال في مواجهة جيوش الحلفاء والمعتقلات في أسرهم والمشافي التي تمت فيها معالجتهم^(٥) والبيانات

= فلسطين ، ص ٦١ ؛ النمر ، احسان ، تاريخ جبل نابلس والبلقاء ، ط ٢ ، مطبعة جمعية عمال المطابع التعاونية ، عمان ، الأردن ، ١٩٧٥م ، ج ٣ ، ص ١٣٣ ؛ وسيشار إليه عند وروده فيما بعد : النمر ، تاريخ .

(١) عقل ، وثائق ، ص ٣٠٨-٣١٠ .

(٢) ألبرغوثي ، وطوطح ، ص ٢٧٩ .

(٣) جريدة البيان عدد ٥٦٨ ، ٢٣ تشرين الثاني ١٩١٧م .

(٤) س . ش . جنين ، ٢٢ ، ص ١٧٣- ؛ س . ش . جنين ، ٣٢ ، ص ٦٤ .

(٥) س . ش . حيفا ، ٩ ، ص ٢٠٨ .

الشرعية المثبتة التي تحفل بها سجلات المحاكم الشرعية حول الوفيات والعائدين ، وما يترتب لهم من حقوق في مسائل الإرث والزواج والطلاق وغيرها ، وهو ما تظهره بيانات الجدول رقم (١)

اوضاع المكلفين بالخدمة العسكرية (١)

اوضاع المجندين	جبهات القتال التي حاربوا فيها	مكان الاقامة
عائد اسير متوفي مفقود سجين تحت ومبعد السلاح		
٥ - ٤ ٧ ١ ٢	سد القدس ، نابلس ، البحر ، دمشق ، عوجا الحفير ، قناة السويس ،	ست (٦) مدن وهي القدس ، ونابلس ، ويافا ، وجنين ، وعكا ، رام الله
٢٦ ٣ ٣٥ ٩ ٣ ٥	غزة ، درعا ، طبرية ، محطة رباق في دمشق ،	(٣٣) قـرية وهي الظاهرية ، وعتيل ،

(١) س . ش . القدس ، ٣٩٩ ، ص ١٤٢ ؛ س . ش . القدس ، ٤١١ ، ١٩ ؛ س . ش . القدس ، ٤١٢ ، ١٨٠ ، ١٨٤ ، ٣٣٥ ؛ س . ش . القدس ، ٤١٣ ، ص ٢٠ ، ٧٥ ؛ س . ش . القدس ، ٤١٤ ، ص ١٣ ، ٧٢ ؛ س . ش . القدس ، ٣١٧ ، ص ١٧٣ ، ٣٦٦ ؛ س . ش . القدس ، ٤١٩ ، ص ١٠١ ، ٣٠٩ - ٣١٠ ؛ س . ش . القدس ، ٣٢٢ ، ص ١٣٥ - ١٣٦ ؛ س . ش . نابلس ، ٤٧ ، ص ٣٣٥ - ٣٣٦ ؛ س . ش . نابلس ، ٥٠ ، ص ١٥٤ ؛ س . ش . جنين ، ٥ ، ص ١٥٣ ؛ س . ش . جنين ، ١٦ ، ص ١٣٣ ؛ س . ش . جنين ، ١٨ ، ص ١٢٢ ؛ س . ش . جنين ، ١٩ ، ص ١٣٥ - ١٣٦ ؛ س . ش . جنين ، ٢١ ، ص ٤٧ ، ٧٣ ، ٨٥ ، ١٠٤ ، ٢٨٥ ، ٣٠١ ؛ س . ش . جنين ، ٢٢ ، ص ٧ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٣٨ - ٣٩ ، ٤١ ، ٨٥ - ٨٦ ، ٩١ ، ١٣٥ ، ١٧٣ ، ٢٣٦ - ٢٣٧ ، ٢٨٥ ، ٢٠٢ - ٢٠٥ ، ٢٢٣ - ٢٢٤ ، ٢٥٦ - ٢٥٩ ، ٢٧٧ ، ٣٠٨ - ٣١٠ ، ٣٢٦ ، ٣٣٧ - ٣٣٨ ، ٣٦١ ؛ س . ش . جنين ، ٢٣ ، ص ١٦٨ ؛ س . ش . جنين ، ٢٤ ، ص ٧٢ ؛ س . ش . جنين ، ٢٨ ، ص ٣٥ ؛ س . ش . جنين ، ٣٢ ، ص ٦٤ ؛ س . ش . جنين ، ٢٤ ، ص ٣٢٤ ؛ س . ش . جنين ، ٢٨ ، ص ٣٥ ؛ س . ش . يافا ، ١٩٢ ، ص ٢٢٣ - ٢٢٦ ؛ س . ش . حيفا ، ٩ ، ص ٢٠٨ .

القباب ، وكفر قود ، وجبع	الاناضول ، طرسوس في
جنين ، وعـرـرابه ،	الاناضول ، اورفه ، جزيرة
والفندقومية ، وعجا ،	كريت ، الناصرة ، اسكي
وكفيرت ، وقباطية ، شهر ،	باكورومانيا ،
السييلة الحارثية ، سييلة	الحجاز ، نهر الطونة في
الظهر ، ام الفحم ، يعبد ،	خط ابرائيل ، غالي
ميثلون ، قفين ، دير	بولي ، اليمن ، اسطنبول ،
غزاله ، المظلة ، فحمه ،	مدائن صالح ، سجن
كـفـرـاعـي ، قونية ،	المدينة المنورة ،
جلبون ، اليامون ، عانين ،	تبوك ، الجبل الاسود ،
النزلة الشرقية ، كفر دان ،	حيفا ، محطة عرابية ،
بيت لقيا ، علار ، طلوزة ،	محطة ابي نعيم في
قرية المصباح ، الجيب ،	الحجاز ، حلب ، سجن
بيت نتيف ، بيت رما .	القدس ، تل الشريعة .
المجموع	٣١ ٣ ٣٩ ١٦ ٤ ٧

وتمثل بيانات الجدول اوضاع (١٠٠) رجل ممن انطبقت عليهم قوانين التكيلف واحكام النفير العسكري خلال الحرب العالمية الاولى ١٩١٤-١٩١٨م ، وقد تم سوق (٩٦) منهم الى ميادين القتال بينما زج(٤) منهم في السجون وحملوا على الابعاد إلى اماكن نائية في الاناضول بعد ان غدت فلسطين احدى جبهات القتال المهمة في مواجهة البريطانيين في جبهة قناة السويس خلال فترة الحرب للحيلولة دون التأثير على صلابة الجبهة الداخلية من خلال اثاره الاشاعات والاتصال بالعدو وقد تم جمع ما الت اليه ظروفهم بصورة عشوائية من بين العديد من القضايا التي تحفل بها سجلات المحاكم الشرعية وعايش اصحابها نفس الظروف وهي في مجملها شواهد حية على مدى حجم

العناصر الشابة التي اسهمت بها فلسطين في جبهات القتال واثرت في مجملها على بنيتها السكانية نتيجة لابتعاد المتزوجين عن اسرهم ومنع غير المتزوجين من ابرام عقود للزوجية ومن ثمّ تقليل فرص الانجاب وتزويد المجتمع بولادات جديدة تعمل على تعزيره بقوى انتاجية واستهلاكية فتية اضافة الى ما حل في صفوفها من وفيات وجراح واسر وتهجير انعكس سلبا على البنى الانتاجية المختلفة وفي مقدمتها قطاع الزراعة الذي شكل العمود الفقري للانشطة الحرفية والصناعية والتجارية وما واكبها من خدمات .

وقد تقاسم البيانات المثبة المواقع الريفية والمدنية بنسب متفاوتة فاستحوذت المدن الست على (١٩) رجلا وهي مساهمة مرتفعة اذا ما قورنت بما اسهمت به القرى الـ(٣٣) والبالغ (٨١) رجلا ومن اصل الـ(١٩) رجلا عاد منهم (٥) رجال ومن المرجح ان يرتفع عدد العائدين مع اطلاق سراح الاسرى والسجناء وعودة من هم قيد الخدمة العسكرية ونعتوا بالسجلات الشرعية بعبارة «تحت السلاح» ولا ننسى ان هناك العديد من المدنيين والريفيين قد قضوا في المشافي بسبب الجراح التي اصيبوا بها خلال العمليات العسكرية والامراض الوبائية التي تفشت في صفوفهم ولم يسلم منها نزلاء السجون والمعتقلات فعلي سبيل المثال توفي مصطفى محمد الرعب ، وسعد محمود المسعود من اهالي جبع جنين واحمد عبد الرحمن سلامة ، وداود محمد احمد سلامة من قرية دير غزالة في مستشفى التل الكبير في مصر بعد اسرهم جبهة قناة السويس من قبل الجيش البريطاني^(١) بينما توفي حسين حسن علي اليعقوب من اهالي يعبد بالمرض في مستشفى طرسوس بالاناضول وراغب حسين الحاج عواد في مستشفى الحميدية بدمشق^(٢) .

(١) س . ش ، جنين ، ٢١ ، ص ١٠٤ ؛ س . ش ، جنين ، ٢٢ ، ص ٩١ .

(٢) س . ش ، جنين ، ٢١ ، ص ١٠٤ ؛ س . ش ، جنين ، ٢٢ ، ص ٢٥٨-٢٥٩ .

١. المصادرة والاحتكار:

ترتب على إعلان النفير العام، واتخاذ فلسطين نقطة انطلاق للجيش العثماني لحمالاته، على قناة السويس لتحريرها من قبضة الاستعمار البريطاني، وقطع مواصلاته الحيوية، مع أهم مستعمراته في الشرق احتكار السلع الأساسية، عمد أحمد جمال باشا إلى شراء محصول القمح من المزارعين وتخزينها في «عنابر الارد»؛ أي مستودعات الجيش،^(١) ومن بينها المؤسسات الأجنبية التي تم إغلاقها مثل مدرسة السان جورج في القدس،^(٢) وتكليف تجار الحبوب المحليين، ومن أبرزهم إسما عيل الحسيني من القدس، وأحمد الشكعة، وعمر زعيتر، وتوفيق حماد، من نابلس، واسكندر كساب، من حيفا، وتوفيق العبد الله من عكا، بتوريدها بموجب عقود تجارية أبرمها معهم وتخزينها في مستودعات الجيش،^(٣) كما صادرت بعض الغلال ك«تكاليف حربية»،^(٤) الأمر الذي كرس ظاهرة المجاعة جراء انعدام الأقوات وارتفاع أسعارها^(٥).

إلا أن حاجة الجيش لطاقة الجر والحمل، دفع جمال باشا إلى تصدير أوامره العسكرية القاضية بمصادرة الحيوانات العاملة من أصحابها وما تشتمل عليه من الثيران، والحمير، والجمال، والخيول والبغال وتسجيلها في سجلات خاصة بعد وسمها بالنار بأرقام معينة في مناطق يصعب معه إزالتها عن الحيوان على أمل إعادتها إلى أصحابها مع نهاية الحرب، وكلفت دائرة البيطرة العسكرية

(١) س. ش. جنين، ١٨، ص ٦٨؛ البرغوثي، وطوطح، تاريخ، ص ٢٧٧.

(٢) جوهري، القدس، ١٦٤.

(٣) س. ش. القدس، ٤١١، ص ٢١٣-٢١٤؛ س. ش. جنين، ١٨، ص ٥٧؛ البرغوثي، وطوطح،

ص ٢٧٣-٢٧٤.

(٤) جوهري، القدس، ص ١٦٤.

(٥) س. ش. يافا، ١٨، ص ٣٨٣.

بالإشراف عليها^(١) وبموجب ذلك جمعت نحو (٤٠) ألف جمل؛ أي ما يوازي نصف الجمال التي امتلكها السكان البالغة نحو (٨٠) ألف جمل علاوة على الحمير والبغال التي قدرت بـ (٧٠) ألف رأس ومن المرجح أن الثيران التي خصصت لجر المدافع قد فاقت هذه الأعداد^(٢). إلا أن الحملات العسكرية المتتالية على قناة السويس، أدت إلى نفوق أعداد كبيرة منها بسبب بعد المسافة، وصعوبة الطرق بين خط الجبهة ومراكز التزويد في صحراء بئر السبع، علاوة على ما أصابها من أمراض، وتفشى بين قطعانها وقوافلها من أوبئة، إضافة إلى موجات القحط وقلة الأعلاف^(٣)، وكان العابر لصحراء سيناء بين فلسطين وقناة السويس يشاهد أشلاء الحيوانات وجيفها التي نفقت على جانبي الطرق بصورة لافتة، وهو ما حمل الدولة على الاستعاضة عن طاقتها بالخطوط الحديدية والسيارات، أو ما كان يعرف بـ«الآوتومبيل»^(٤).

وبرحيل الحكم العثماني، وتطلع السكان للعودة لممارسة أنشطتهم الزراعية، ارتفعت أثمان الحيوانات العاملة ارتفاعاً ملحوظاً، بالرغم من هزالتها بسبب ظروف الحرب، وقلة الأعلاف والمراعي والعناية البيطرية القائمة عليها، وهو ما دفع الحكومة العسكرية البريطانية إلى طرح الحيوانات التي غنمتها من الجيش العثماني أثناء الحرب في أسواق المزاد العلني، فبلغ ثمن البغل على سبيل المثال (٧٦) جنيتها، وهو مبلغ كبير إذا ما قورن بارتفاع القيمة الشرائية للجنية في ذلك الوقت^(٥).

(١) س. ش.، نابلس، ٤٧، ص ٣٣٥؛ س. ش.، نابلس، ٤٥، ص ٤٧، ٣٣٥؛ س. ش.، نابلس، ٥٠،

ص ٥٠؛ س. ش.، القدس، ٤١٣، ص ٦٣-٦٤؛ س. ش.، الخليل، ٢٦، ص ٦، ٧٩؛

(٢) صلاح، فلسطين، ص ٩٥.

(٣) س. ش.، القدس، ٤١٣، ص ٦٣؛ صلاح، فلسطين، ص ٩٥؛ جريدة الكوكب عدد ١٢٢،

١٠ ديسمبر ١٩١٨ م.

(٤) البرغوثي، وطوطح، تاريخ، ص ٢٧٨.

(٥) جريدة الكوكب عدد ١٢٢، ١٠ ديسمبر ١٩١٨ م.

٢. الحصار القاري:

فرضت أساطيل الحلفاء حصارا قاريا محكما على سواحل البحر المتوسط ، لمنع وصول المواد الإستراتيجية التي تعمل على قوة الجيش العثماني ، وتماسك الجبهة الداخلية المساندة له ، وفي مقدمتها الوقود من المشتقات النفطية والفحم الحجري والأدوية ، وبعض المواد الغذائية ، والمبيدات الحشرية ، ناهيك عن منع حركة التصدير ، وما يعنيه ذلك من تلف للمحاصيل ، والبضائع المصنعة ، وغير المصنعة وسيادة الكساد وارتفاع أسعار بعض السلع وانخفاض في القوة الشرائية للعملة وكان ذلك بهدف التأثير على تماسك الجبهة الداخلية ، وسير العمليات العسكرية في جبهات القتال التي أخذت الدولة العثمانية تستعد لفتحها في كل من العراق ، ومصر في مواجهة القوات البريطانية في قناة السويس والخليج العربي وكانت بريطانية قد حذرت الدولة العثمانية قبل من انضمامها للحرب بفرض الحصار على السواحل الشامية ، وتخريب موانئها إذا ما دخلت الحرب^(١) وهو ما حمل الدولة العثمانية على إعلان سياسة الحياد ابتداء ، وأنها لن تسمح لأي سفينة بدخول الموانئ الشامية إلا لأغراض الصيانة^(٢) .

ونلاحظ أن أساطيل الحلفاء قد نفذت تهديداتها ، فعملت على إغراق السفينة المسماة « توفيق الباري» بين قريتي الطنطورة ، وعثليت الساحليتين والقائمتين إلى الجنوب من مدينة حيفا المملوكة إلى محمود مصطفى من أهالي الإسكندرية لقيامها بخرق نظام الحصار^(٣) .

ونتيجة لشل حركة الاستيراد والتصدير^(٤) ، انخفضت صادرات ميناء يافا من (٣٦٠٧٧٢٠) ريالاً أمريكياً عام ١٩١٣م إلى (٢٢٧٨٤٧٦) ريالاً في نوفمبر

(١) جريدة المؤيد عدد ٧٤٠١٦، ١٦/٩/١٩١٤م ، ص ٢-١ .

(٢) صبري ، فلسطين ، ص ٦٢ .

(٣) س . ش ، حيفا ، ٨ ، ص ٢٠٨ .

(٤) البرغوثي ، وطوطح ، تاريخ ، ص ٢٨٢-٢٨٣ .

عام ١٩١٤م أي ما يوازي ٣٧٪^(١) . وبموجب ذلك صدر ميناء يافا من البرتقال عام ١٩١٣م (١,٣٤٨,١٣٩) صندوقا لينخفض إلى (٧١٧٧٦) أي ما يوازي ٥,٣٪ من إجمال الصادرات مع قيام الحرب،^(٢) كما انخفضت واردات الميناء إلى ٣٧٪. فانخفضت عام ١٩١٣م من (٦٢٨٨٠٤١) ريالاً لتصل إلى (٣٦٤٠٧٧٢) ريالاً ، ومن المواد التي تأثرت بذلك انخفاض كميات الفحم الحجري والبتروال المتوافرة واللازمة لتشغيل الآلات الزراعية كمضخات المياه ، والمطاحن ، والمعاصر ، ومولدات الطاقة الكهربائية ونحوها ، وتسيير القطارات والسيارات^(٣) مما أدى إلى ارتفاع أسعار الفحم الحجري ارتفاعاً ملحوظاً ، فوصل سعر الكيلوغرام (٦) قروش خلال سنوات الحرب^(٤) .

لقد اعتمدت حركة القطارات على الفحم الحجري المستورد من الخارج ، وإزاء ذلك شكلت الحكومة العثمانية منذ عام ١٩٠٨م إدارة خاصة للإشراف على تأمين الوقود بقيادة المتصرفين والحكام الإداريين وفي عام ١٩١٤م تفاهمت دائرة المحروقات مع قادة الشعب العسكرية على تزويدها بالوقود ، ومع فرض الحصار عمدت دائرة المحروقات للتعويض عن الوقود المستورد من مادتي الفحم الحجري والبتروال على اجتثاث مساحات واسعة من الغابات ، وأشجار الزيتون المعمرة الرومي أو الكافري القريبة من محطات القطر ، وخطوط السكك الحديدية ، واستخدمت في قطع الأشجار ونقلها في ذلك المجندين المحليين على سلك الرديف ، والمستحفظ ، مما أدى إلى اختفاء أشجار الزيتون المعمرة على جانبي خط سكة الحديد وانحسار غابة الروحة القائمة بالقرب من أم الفحم ،

(١) صلاح ، فلسطين ، ص ٤٢-٥٦

(٢) نقلاً عن المقتطف ، ج ٤ ، ١٩١٤م ، ص ٤٩ .

(٣) صبري ، فلسطين ، ص ٢٤ ، ١٢٥ .

(٤) جريدة الكوكب عدد ٤٢٥ ، ١٥/٥/١٩١٧م ، ص ١ ؛ صبري ، فلسطين ، ص ١٢٥ .

وتل الأساور القريبة من قرية وادي عارة^(١) .

وفي ضوء النفير العام ، وتراجع الإنتاج المحلي ، وانعدام الاستيراد ، وحرص الدولة على توفير المواد الغذائية الرئيسة بشتى الطرق ، ورصدها لدعم الجهود الحربي دفعها إلى تحديد المونة لكل فرد من الأهالي من ناحية وكمية البذار الواجب عليه زراعته من ناحية أخرى ، مما أدى إلى نفاد العديد من السلع والبضائع من المتاجر ، والدكاكين ، والبقالات ، والأسواق وارتفاع أسعار المتوافر منها ارتفاعاً فاحشاً وهو ما دفع قطاعاً كبيراً من السكان إلى أكل قشور البرتقال والبطيخ ونخالة القمح والذرة وبيع مقتنيات بيته ليؤمن لعائلته ما يقتاتون به وجاء انخفاض سعر صرف الليرة العثمانية الورقية ليزيد الطين بلّة فهبطت من (١٠٠) قرش ؛ أي ما يوازي العملة الذهبية إلى (١٨) قرشا^(٢) .

وفي سبيل التخفيف من حدة المجاعة التي انتابت بلاد الشام بفعل الحصار ، والعوامل الطبيعية والبشرية الأخرى ، أجرت الحكومة العثمانية اتصالات مع دول الحلفاء ، وقداسة البابا في الفاتيكان بغية التخفيف من حدة الحصار ، والسماح لسفن الدول المحايدة ، وفي مقدمتها الأمريكية المحملة بالمواد الأساسية اللازمة للسكان ، بالدخول إلى المواني الشامية ، إلا أن جميع محاولاتها قد باءت بالفشل^(٣) .

٣. التهجير القسري؛

باشتعال الحرب ، عمدت الدولة إلى تحصين المواقع الساحلية ، وإغراق

(١) عقل ، وناقق ، ص ٣٠٩-٣١٠ .

(٢) البرغوثي ، وطوطح ، تاريخ ، ص ٢٨٢-٢٨٣ ؛ النمر ، تاريخ ، ج ٣ ، ص ١٣٧-١٣٨ .

(٣) معطي ، علي ، تاريخ لبنان السياسي والاجتماعي «دراسة في العلاقات العربية - التركية ١٩٠٨-

١٩١٨ ، مؤسسة عزالدين ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٢م ، ص ١٩٢ ؛ وسيشار إليه عند وروده فيما بعد :

معطي ، تاريخ .

جميع السفن الشراعية للحيلولة دون استخدامها في اقتحام الموانئ ، والسواحل من جانب الحلفاء ، كما طلبت من الأهالي المقيمين في المنطقة الممتدة من بيروت شمالا ، إلى غزة جنوبا ، الرحيل نحو المناطق الداخلية حرصا على سلامة الجبهة الداخلية ، وما يؤيد ذلك ما أفاد محمد علي الدجاني من أهالي يافا «انه من مدة نحو سنتين كانت حكومة يافا قد أبعدت أهالي يافا عن وطننا يافا ، وهاجرت إلى غير بلاد ، وبالجمله موكلي هاجر إلى غير بلاد بأمر الحكومة»^(١) وتتضح معالم هذه الإجراءات بصورة كبيرة مع التطورات الميدانية الحرجة التي واكبت فشل الجيش العثماني في اقتحام قناة السويس ، وتراجعهم إلى الخلف أمام تقدم الجيش البريطاني ، وهو ما حتم عليه بناء تحصيناته الدفاعية في مدينة غزة ، حيث قضت الأوامر العسكرية الصادرة في آذار من عام ١٩١٦م بشأن غزة ، وعممها متصرف لواء القدس على جناح السرعة بترحيل جميع سكان المدينة والقرى المحيطة بها خلال (٢٤) ساعة إلى المناطق الداخلية وإسكانهم في كل من القدس ، والخليل ، والكرك ، ونابلس ، وطبرية لحين انتهاء العمليات العسكرية ،^(٢) واستمرت بترحيل سكان المدن والقرى القريبة من خطوط التماس مع الجيش البريطاني خشية أن تطالهم نيران القصف من ناحية ، وقيام بعض المعارضين من إجراء اتصالات سرية مع الجيش البريطاني مما أسهم في خراب العديد من القرى والمدن أثناء العمليات

(١) س. ش. ، يافا ، ١٨٦ ، ص ١٨ ؛ جريدة الكوكب عدد ١٥٢ ، ١٧ أكتوبر ١٩١٩ ؛ النمر ، تاريخ ، ج ٣ ، ص ١٣٤-١٣٥ .

(٢) س. ش. ، نابلس ، ٥٠ ، ص ١٧٧ ؛ يافا ١٩٧ ، ص ٦٤-٦٥ ؛ طوطح ، وخوري ، تاريخ ، ص ٢٨٠ ؛ العارف ، عارف ، الفصل في تاريخ القدس ، مكتبة الأندلس ، القدس ، فلسطين ، ١٩٦١م ، ص ٣٩٢ ؛ النمر ، تاريخ ، ج ٣ ، ص ١٣٤ .

العسكرية^(١). ففي عام ١٩١٨م، هجر سكان قرى سكاكا، والساوية، واللبن، وفرخة، وعمورية، وخربة قيس، والزاوية نتيجة لزحف الجيش البريطاني نحوها وقربها من خط الدفاع العثماني^(٢) كما عمدت إلى إبعاد العناصر المعارضة التي لا بد أن تعمل على زعزعة الجبهة الداخلية، أثناء انشغال الدولة بالحرب، ومن ثم انضمام المجندين إلى الثورة العربية الكبرى التي اشتعل فتيلها في الحجاز ومن الشخصيات التي تم إبعادها ميخائيل عيسى العيسى، الذي أبعده إلى الأناضول مما أدى إلى جفاف المحاصيل الخاصة بالوقف الذي كان يتولى الإشراف عليه، وبعد هزيمة الدولة العثمانية، عاد من الأناضول لينخرط في صفوف الحكومة العربية في دمشق،^(٣) في حين انشقت وحدات غير معروفة العدد على وجه الدقة من المجندين العرب بالثورة العربية الكبرى بقيادة الشريف حسين بن علي، ومن الإشارات الصريحة التي زدتنا بها سجلات المحاكم الشرعية حول انشاقات المجندين العرب انشقاق خليل حمدان من أهالي قباطية عن الجيش العثماني المرابط في مدائن صالح، والتحاقه بجيش «سمو الأمير فيصل» بن الحسين^(٤). في حين لم تسمح بريطانيا بعودة المهجرين إلى

(١) جريدة الكوكب عدد ١٦٠، ١٧ أكتوبر ١٩١٩، القدس؛ طوطح، وخوري، تاريخ، ص ٢٩٠؛ النمر،

تاريخ، ج ٣، ص ١٣٧-١٣٨.

(٢) لا يزال السكان في قرية الزاوية يتحدثون بالتواتر عن عمليات القصف المتبادل التي دارت بين

الجيشين العثماني والبريطاني ويدلون على ذلك بشظايا القذائف المتناثرة في حقولهم وبساتينهم

وكرومهم إضافة إلى بعض قبور الجيش العثماني القائمة حتى اليوم :- النمر، تاريخ، ج ٣،

ص ١٣٧-١٣٨.

(٣) س. ش، يافا، ١٩٢، ص ٢٢٣-٢٢٨؛ س. ش، القدس، ٤١٤، ص ٢٢٣-٢٣٤؛ س. ش،

القدس، ٤١٩، ص ٣٩٧-٤٠٠؛ س. ش، جنين، ٢٢، ص ٢٧٧، ٢٢٣-٢٢٤.

(٤) س. ش، جنين، ١٩، ص ١٣٥-١٣٦.

ديارهم إلا بعد أن أحكمت قواتها على جميع أنحاء فلسطين في مطلع تشرين
الاول ١٩١٨م^(١).

أما على صعيد الرعايا الأجانب ، فبعد دخول الدولة العثمانية الحرب ،
إلى جانب دول الوسط ، سحبت كل من فرنسا ، وبريطانيا ، وروسيا سفيرها من
اسطنبول إيذانا بقطع علاقاتها الدبلوماسية ، وهو ما حمل الدولة العثمانية على
إلغاء جميع الامتيازات الممنوحة لرعاياها في بلاد الشام ، بما فيها فلسطين ،
فأغلقت المكاتب القنصلية ، والمدارس ، والبريد ، والبنوك ، واستولت على جميع
المؤسسات الأجنبية الخاصة بالدول المعادية ، كما طلبت الأوامر العسكرية من
المستوطنين الأجانب أن يختاروا بين التجنس بالجنسية العثمانية ، أو الرحيل
عن الأراضي العثمانية^(٢).

وبوجب ذلك رحلت مجموعات غير قليلة من رعايا الدول الأجنبية
والمستوطنين اليهود عن الأراضي الفلسطينية نحو أوروبا ، ومصر ، حيث
الاستعمار البريطاني في حين التزمت مجموعات قليلة من المستوطنين
بالتعليمات العثمانية فتنازلت عن جنسياتها الأجنبية ، ورحلت عن مستوطناتها
الساحلية نحو الداخل^(٣).

(١) س . ش . نابلس ، ٥٠ ، ص ١٧٧ ؛ س . ش . يافا ، ١٩٧ ، ص ٦٤-٦٥ .

(٢) س . ش . القدس ، ٤٠٨ ، ص ٩٠ ؛ س . ش . القدس ، ٤١٣ ، ص ٦٢-٦٣ ؛ الجهورية ، مذكرات ، ص
١٦٧-١٦٣ ؛ طوطح ، وخوري ، تاريخ ، ص ٢٩٠ ، س ش يافا ٢٠٠ ، ص ١٨٦ ؛ جريدة البيان عدد
٢٨٧ ، ١ ايلول ١٩١٥م ؛ عدد ٤٧٥ ، ٨ آذار ١٩١٧م .

(٣) س . ش . يافا ، ١٨٦ ، ص ١٨ ؛ س . ش . يافا ، ١٩٢ ، ص ٢٢٣-٢٢٨ ؛ س . ش . يافا ، ١٩٧ ،
ص ٣٨ ، ٦٤-٦٥ ، ٨١ ؛ س . ش . يافا ، ٢٠٠ ، ص ١٨٦ ؛ س . ش . القدس ، ٤١١ ، ص ٢٠٥ ؛
س . ش . القدس ، ٤١٩ ، ص ١٠١ ؛ س . ش . نابلس ، ٥٠ ، ص ١٧٧ ؛ س . ش . الخليل ، ٢٦ ،
ص ٤٨ ؛ جريدة البيان عدد ٢٧٨ ، ١/٩/١٩١٥م ، ص ٢ ؛ جريدة الكوكب عدد ١٥٢ ،
١٥/٨/١٩١٩م ، ص ٩-١٠ ؛ الصور الجوية التي التقطها الطيران الألماني خلال فعاليات الحرب
العالمية الاولى ١٩١٧/١٩١٨م ، المكتبة الوطنية ، ودائرة الأراضي والمساحة ، عمان ، الأردن .

٤. العمليات العسكرية:

باشتعال فتيل الحرب العالمية الأولى ، غدت فلسطين مركزا متقدما لحشد التشكيلات العسكرية للجيش الرابع العثماني بقيادة احمد جمال باشا ، والوحدات الألمانية المساعدة لها ، بسبب قربها من قناة السويس ، وسعي القيادة العثمانية والألمانية لفتح جبهة على خط القناة مع الجيش البريطاني بهدف قطع خطوط الإمداد الواصلة بين بريطانيا ومستعمراتها في الشرق ، ومأزرة الشعب المصري والسوداني في الثورة ضد الاستعمار البريطاني ، وحجز أكبر قدر من الجيوش البريطانية على جبهة القناة للتخفيف من ضغط الحلفاء في جبهة الدردنيل^(١) . ففي عام ١٣٤١هـ/١٩٢٣م ، ادعت زينب حمدان عودة من قرية كفر راعي أن زوجها محمود حمدان حمد من قرية فحمة «قد سافر للخدمة العسكرية في ابتداء الحرب العامة ، ولم يرجع ، وبلغني أخيرا انه قد توفي في حرب السويس من أعمال مصر وذلك قبل ست سنوات في المعركة الحربية التي وقعت بجوار السويس»^(٢) .

إزاء ذلك شن الجيش العثماني في مطلع عام ١٩١٥م ، حملته الأولى على القناة إلا أنها باءت بالفشل فعاد أدراجه إلى الوراء بعد أن تكبد خسائر فادحة في الأرواح والمعدات وفي نسيان من عام ١٩١٦م ، شن حملته الثانية التي لاقت نفس المصير وهو ما حتم عليه التراجع إلى فلسطين وبناء تحصيناته الدفاعية فيها على مقربة من مراكز التموين والإمداد بينما تشجع الجيش البريطاني المتحصن على الضفة الغربية للقناة للزحف عبر سيناء باتجاه فلسطين مستفيدا من الأخطاء التي وقع فيها الجيش العثماني على صعيد عبور سيناء

(١) أشارت سجلات حيفا الشرعية أن المهندس كوردليب يعقوب شوماخر قد عمل قائدا ل سلاح الهندسة

في الجيش الرابع العثماني خلال الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤-١٩١٨م :- س .ش ، حيفا ، ٨ ،

ص ١٣٤-١٣٩ ؛ جريدة البيان عدد ٥٦٢ ، ٦ تشرين الأول ١٩١٧م ، نيويورك ، س .ش .

(٢) س .ش ، جنين ، ٢٢ ، ص ٢٣٦-٢٣٧ .

وتوفير وسائل النقل والتموين والمياه عبر خط للسكك الحديدية والمياه موازية للزحف العسكري في جوف الصحراء ، وهو ما حتم على الجيش العثماني الانسحاب من العريش ، وتحصين مدينة غزة البوابة الجنوبية لبلاد الشام ١٩١٦/١٢/٢م وبموجب ذلك تحولت إلى ثكنة عسكرية بكل معنى الكلمة بعد إخلائها من السكان^(١) .

وبالرغم من تحصينها المحكم ، إلا أن الجيش العثماني فشل في الحفاظ عليها ، فحاض ما بين ١٩١٧/٤/١٩-٣/٢٧م معركتين شرستين في مواجهة الجيش البريطاني ، وفي نهاية المطاف أُجبر على الانسحاب منها ، والتراجع لبناء خط دفاعي جديد في السهل الساحلي كان بمثابة نقطة انطلاق لبناء سلسلة متتالية من الخطوط الدفاعية في أقاليم السهول والتلال والجبال ، كلما عجزت خطوطه الأمامية عن وقف الزحف البريطاني ، ففي ١٩١٧/١٢/٩م انهارت خطوطه المتمركزة إلى الغرب من مدينة القدس مما سهل احتلالها على الوحدات البريطانية المهاجمة قبيل انطلاق احتفالات عيد الميلاد ، وما إن شارف عام ١٩١٨م على النهاية ، حتى أسدل الستار على الوجود العثماني في فلسطين ، والانطلاق منها لمطاردة فلول الجيش العثماني المنسحبة شمالاً^(٢) .

وفي ضوء ذلك ، كانت الأنشطة في قطاع الزراعة قد توقفت ، أو كادت في المزارع والحقول والبساتين بفعل ما طال أصحابها من تكليف عسكري ، وتهجير

(١) حول العمليات العسكرية في جبهة فلسطين انظر :-علي فؤاد ، كيف غزونا مصر ، ترجمة نجيب الارمنازي ، منشورات دار الكتاب الجديد ، ١٩٦٢م ؛ وسيشار إليه عند وروده فيما بعد :علي فؤاد ، كيف Edmund Allenby, A Brief Record of the Advance of the Egyptian Expeditionary Force. London, 1919. كرد علي ، محمد ، الرحلة الانورية الى الاصقاع الحجازية والشامية ، المطبعة العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٩٣٤هـ/١٩١٦م ؛ وسيشار إليه عند وروده فيما بعد :كرد علي ، الرحلة . العارف ، الفصل ، ص ٣٨٦ .

(٢) النمر ، تاريخ ، ج ٣ ، ص ١٣٤ .

قسري ، إضافة إلى الدمار والخراب الذي حل بينها التحتية وما تشتمل عليه من مدن وقرى وأبار وعيون وقنوات وموانئ التصدير والاستيراد ، ومضخات المياه ، ومراعي وغابات ، وحيوانات عاملة جراء عمليات العسكرية^(١) .

ومما لا شك فيه أن دخول سلاح الطيران ، لأول مرة ، في العمليات العسكرية ، بين القوى المتحاربة ، قد وسع من دائرة الخراب والدمار التي حلت في قطاع الزراعة الفلسطيني خلال فترة الحرب العالمية الأولى ، بفعل سعة نطاق عملياته على خط الجبهة من ناحية ، ومناورته خلف الخطوط العسكرية المعادية وقدرته على كشف القوات البرية التي غالبا ما اتخذت من الغطاء النباتي وسيلة لإخفاء وحداتها ، من ناحية أخرى^(٢) .

ومن الشواهد الدالة على ذلك نطاقات الأراضي الواسعة التي دارت فيها العمليات ، وخيمت فيها تشكيلات الجيشين العثماني والبريطاني المختلفة والممرات التي عبرتها أثناء العمليات العسكرية المختلفة ، وهي في طريق الهجوم والانسحاب ، وذلك منذ حصار مدينة غزة في عام ١٩١٧م وحتى انسحاب الجيش العثماني انسحابا لا رجعة فيه ، من جميع المقاطعات الفلسطينية في عام ١٩١٨م وسأيرت تلك الفترة في امتدادها فصلي الشتاء والصيف ، وما تعنيه العمليات من تخريب للكروم والبساتين والمزارع والمحاصيل الشتوية والصيفية والتحويلات والتقلبات المناخية ، وما يصاحبها من أحوال وحرائق وغيرها^(٣) .

(١) جريدة الكوكب عدد ١٥٢٢ ، ١٥ آب ١٩١٩م ؛ النمر ، تاريخ ، ج٣ ، ص ١٣٤ .

(٢) لا يزال يرتفع في مركز مدينة جنين على طريق حيفا نصب التذكاري الذي أقامه سكان المدينة للطيارين الألمان الذي قضاوا في معارك سهل جنين خلال الحرب العالمية الأولى تخليدا لبطولاتهم في مواجهة الجيش البريطاني .

(٣) عقل ، وثائق ، ص ٣١٦ .

١٠٥. الاحتلال البريطاني^(١)؛

اجتاز الجيش البريطاني قناة السويس وواصل زحفه عبر صحراء سيناء باتجاه بلاد الشام ، وهو ما حتم على الجيش العثماني تحصين مدينة غزة تحصينا محكما ، والتعويل عليها في صد الهجوم البريطاني بصفتها البوابة الجنوبية الغربية لبلاد الشام ، إلا أن انهيار دفاعاته في غزة ، دفعه الى بنائها وتحريكها من موضع إلى آخر تبعا للتطورات الميدانية السيئة فبعد انهيار دفاعات غزة أصبحت الطريق مفتوحة ، في وجهه ، نحو مدينة القدس التي تمت السيطرة عليها في ١٩١٧/١٢/٩م وذلك قبل نهاية العام واحتفال العالم الغربي بأعياد الميلاد^(٢) .

ازدادت حالة قطاع الزراعة سوءا بالرغم من توقف العمليات العسكرية في المناطق المحتلة ، ويرجع ذلك إلى سياسة الاحتلال وإجراءاته ، وتوجهاته المستقبلية الهادفة لإضعافه أو إبقائه على حاله على أدنى تقدير ، بغية فرض سياسة الأمر الواقع ، وخدمة المشروع الصهيوني الذي رعته ، منذ عام ١٨٣١م ، وتوجهه بوعده بلفور بذريعة انشغالها في الحرب ، فعمدت إلى إغلاق دوائر الطابو ، ولم تسمح للمهجرين بالعودة إلى مدنهم وقراهم ومخيماتهم البدوية ، إلا بعد فترة طويلة ، كما استمرت بالتحفظ على الأسرى ، وهو ما كرس ظاهرة المجاعة التي تفاقمت مع نهاية الحرب^(٣) . ففي ١٩١٨/٢/١٢م سعى الخواجة مايروفيتش ، ممثل المستوطنات الإسرائيلية ، لاستئجار (٥٠٠-٢٠٠٠) دوغم من

(١) س . ش ، جنين ، ٢٢ ، ص ٢١٧-٢١٨ ؛ س . ش ، يافا ، ١٨٨ ، ص ٥ ، ٢٦ ، ٢١٢ .

(٢) حول العمليات العسكرية بين الجيشين المتحاربين في جبهة القناة- فلسطين انظر :-جوهريه ،

القدس ، ١٤ ، ؛ والعارف ، الفصل ؛ جريدة الكوكب عدد ١٦٠ ، ١٧/١٠/١٩١٩م ، ص ٧-٨ .

(٣) س . ش ، القدس ، ٤١١ ، ص ٢٣٢ ؛ س . ش ، القدس ، ٤١٩ ، ص ٨٩ ، ١٠١ ، ٢٣٢ ؛ س . ش ،

جنين ، ٢٢ ، ٩١-٩٢ ، ٢٣٦-٢٣٧ ، س . ش ، جنين ، ٢١ ، ص ١٠٤ ؛ س . ش ، يافا ، ١٨٥ ،

ص ٣٨٣ ؛ جريدة الكوكب عدد ١٦٠ ، ١٧/١٠/١٩١٩م ، ص ٧-٨ ؛ س . ش ، يافا ، ١٨٨ ، ص ٥ ،

أراضي وقف النبي روبين لاستخدامها في الزراعة^(١) وفي عام ١٩١٩/١/١٣م عمد حاكم يافا العسكري إلى تأجير (١٠٠٠) دوغ من أراضي عرب أبو الفضل إلى مستوطنة بير يعقوب بحجة استثمارها في الزراعة^(٢). وفي نفس الوقت دعا المندوب السامي البريطاني الناس للخلود للسكينة، وعدم إراقة الدماء؛ لأن الحكومة البريطانية تضع مصالح الشعب في مقدمة أولوياتها^(٣)، وكان جل هم الحكم العسكري البريطاني، ومن بعده سلطات انتدابه، ترك الأمور على ما هي عليه من خراب ودمار لخدمة الحركة الصهيونية^(٤)، وهو ما تجسد في كلمة النصر التي ألقاها قائد الجيش البريطاني الجنرال اللنبي بعد أيام من احتلال مدينة القدس عند باب الخليل، عندما اعتبر احتلال مدينة القدس نهاية للحروب الصليبية^(٥).

وإزاء ذلك، فإن الإجراءات، التي اتخذتها سلطات الحكم العسكري لإنعاش قطاع الزراعة المتهالك بفعل الحرب، كانت مجرد إجراءات شكلية، فبلغت قيمة مخصصاته في الميزانية العامة لعام ١٩٢٠/١٩١٩م (١٦٥٠٠) جنيهاً أي ما يوازي ٢,٢٪ من إجمالي الميزانية، الأمر الذي انعكس سلباً على معدلات الإنتاج مقارنة بما كان عليه قبل الحرب حيث وصل إنتاج البرتقال على سبيل المثال (١٣٣٠٠) طن أي ما يوازي ٢٤٪ من إجمالي إنتاجه عام ١٩١٠/١٩٠٩م البالغ (٥٥٣٨٥) طناً بينما بلغ إنتاج زيت الزيتون (٣٦٧) طناً^(٦).

(١) س. ش.، يافا، ١٨٨، ص ٥١؛ س. ش.، يافا، ٢٠٢، ص ١٥٢-١٥٣.

(٢) س. ش.، يافا، ١٨٨، ص ٩١.

(٣) س. ش.، القدس، ٤١٩، ص ٨٩.

(٤) جريدة البشير عدد ٢٤٩٣، ٥ تشرين الثاني ١٩١٩م، بيروت؛ س. ش. يافا، ١٨٥، ص ٣٨٣.

(٥) جريدة الجامعة الإسلامية عدد ٧٠٩، ١٠ كانون الأول ١٩٣٤م.

(٦) صبري، فلسطين، ص ١٨٦-١٩٢.

ب- مجموعة العوامل الطبيعية:

١. الجفاف:

كانت معدلات الأمطار ، في الموسم المطري الذي سبق قيام الحرب-أي عام ١٩١٣/١٩١٤م-مناسبا بما وفر للجيش العثماني والأهالي كميات وفيرة من الغلال تم تخزينها في مستودعات الجيش والأهالي في حين جاء الموسم لعام ١٩١٤/١٩١٥م متذبذبا مما أثر في نتائج المحاصيل ففي بداية الموسم كان هطول المطر مناسبا ، إلا أن موجة الجفاف التي ضربت المنطقة ، في أواخر شهر شباط من عام ١٩١٥م ، قد أدت إلى تدمير الإنتاج السنوي بشكل كامل ، وجاء ذلك جراء هبوب عواصف قوية من الرياح الجافة القادمة من جوف الصحراء العربية التي لم تجلب معها الجفاف للمحاصيل فحسب ، بل جلبت معها أسراباً كثيفة من الجراد لم تألفها المنطقة من قبل ، واستمرت في تأثيرها على المنطقة خلال فصلي الربيع والصيف مما أدى إلى ارتفاع درجات الحرارة في المناطق الساحلية والغور وبلغت في حالات الذروة بين (٤٠-٥٠)م^(١) .

ويبدو أن الجفاف الذي ضرب المناطق الفلسطينية عام ١٩١٥م ، قد امتد ليطبق على عام ١٩١٦م ، وسيادة موجة عاتية من الجفاف لم تألفها خلال القرن التاسع عشر ، إلا في بعض المواسم ، حيث أطبق الجفاف على معظم أيام السنة باستثناء بعض الزخات المتفرقة التي تلقتها ف«جفت كل خضراء في البلاد»^(٢) الأمر الذي انعكس سلبي على قطاع الزراعة ببعديه الحيواني والنباتي ، لكون الأمطار المصدر الأساسي للمياه في فلسطين وتلعب دروا حيويها في نمو المحاصيل الشجرية والحقلية والمروية والبعلية والمراعي ويعتمد عليها الأهالي في تخزين

(١) الجوهري ، مذكرات ، ج ١ ، ص ١٩٠-١٩١ ؛ ٢٤٥ ؛ صلاح ، تاريخ ، ص ٥٦ ؛ الغزي ، كامل ، نهر

الذهب في تاريخ حلب ، ج ٣ ، المطبعة المارونية ، حلب ، سوريا ، ١٣٩٥هـ/١٩٢٦م ، ج ٣ ، ص ٥٢٣-

٥٣١ ، وسيشار إليه عند وروده فيما بعد : الغزي ، نهر .

(٢) س .ش ، جنين ، ٢٢ ، ص ٢٣٦-٢٣٧ ؛ س .ش ، يافا ، ١٩٢ ، ص ٢٢٣-٢٢٨ .

حاجاتهم من المياه في البرك والآبار والصحاريج وتتوقف عليها درجة غزارة المياه السطحية الجارية في الأودية النهرية والمتدفقة من العيون والينابيع والآبار والمتجمعة في بحيرة طبرية نتيجة لهطول الأمطار وتساقط الثلوج على حوضها المتمثلة بقمم تلال جبل الشيخ ، وهضبة الجولان ، وجبال الجليل .

وفي ظل موجة الجفاف ، توقفت حركة النشاط الزراعي أو كادت ، فلم يشد المزارعون محاربتهم لزراعة حقولهم وفلاحة بساتينهم وكرومهم وبياراتهم وحسب ، بل انخفض تدفق العيون والآبار وجف العديد منها وتأثرت خصوبة المراعي ، إلى حد كبير ، وتقزيم نشاط الغابات الخضري ، مما أدى إلى زيادة قابليتها للاشتعال في معظم فصول السنة ، في الوقت الذي بات فيه احتمال اشتعال الحرائق أمرا واردا في كل لحظة مع تبادل القصف بين القوى المتحاربة على خطوط القتال من غزة جنوبا ، إلى رأس الناقورة شمالا ، إضافة إلى هزالة الحيوانات ، والطيور ، والنحل ، وضمور إنتاجها من اللحوم والأصواف والفراء ، والبيض ، والعسل ، وهو ما عبر عنه عيسى العيسى : ابن مدينة يافا ، في أروقة محكمة يافا الشرعية بقوله : -«جفت كل خضراء في البلاد»^(١) .

٢. الجراد :

تعرضت بلاد الشام بما فيها فلسطين ، خلال الحرب العالمية الأولى ، لأعنف موجة جراد أملت بها خلال الحكم العثماني ، وقد بدأت طلائعها بالوصول في أواخر شهر شباط من عام ١٩١٤م مصاحبة للرياح الجافة التي هبت على المنطقة من الصحراء العربية ، إلا أن فعاليتها انحسرت قليلا باتجاه البوادي الشرقية بسبب هبوب الرياح الباردة القادمة من البحر المتوسط ، إلا أنها سرعان ما هاجمت المنطقة من جديد بسبب ارتفاع درجات الحرارة غير المألوفة ، وكانت أسرابها من الكثافة إلى حد حجبت أشعة الشمس ، وانتشرت في جميع أقاليم

(١) س . ش ، يافا ، ١٩٢ ، ص ٢٢٣-٢٢٥ .

بلاد الشام السهلية والجبلية والغورية لتجثم حملا ثقيلًا على أنفاس الدولة والمجتمع إضافة إلى ما يحملانه من أعباء الحرب والنفير والحصار والجفاف^(١) .

وقد سعت الحكومة العثمانية بكل قواها لمقاومته والتخفيف من آثاره المدمرة على الثروة الزراعية ، فطلبت من الرعية مقاومته ورصدت مكافأة مالية لكل من قدم وزنا معينًا من الجراد وبيوضه وعملا بذلك قدر ما جمعه وأتلفه أهالي متصرفية القدس من الجراد وبيوضه ما يقرب من (٤٠٠٠٠٠) كغم^(٢) وأزرهم في ذلك الطيور المهاجرة التي تعبر بلاد الشام في فصل الربيع ومطلع الصيف ، وتعرف بـ«أبو سعد» ، وبالرغم من ذلك باءت جميع الجهود بالفشل في ظل غياب المبيدات الحشرية ، وكثافة أسرابه وسلالات النجدية-نسبة إلى هضبة نجد- المنتمي إليها المتسمة بكثافة بيوضها حيث تضع بيوضها كل شهرين مرة ، وتقدر بـ«٦٥-٧٥» ألف بيضة في المتر المربع ، وما يفقس عنها من فرخ زحافة تأكل كل خضراء وبابسة ، في طريقها قبل أن تقوى على الطيران ، وكانت من الكثافة إلى حد زلقت بها حوافر الخيل وغدا سيرها في الأرض على هيئة موج البحر^(٣) ، ولم تسلم منها أبواب البيوت الخشبية ، وإذا ما سلمت منه بعض المحاصيل بسبب حصادها فإنها لم تسلم منه الكروم والبساتين والمراعي والغابات ، الأمر الذي ألحق الضرر بجميع الأنشطة الحيوية ، ومما زاد في فعالية هجمته الشرسة انحباس الأمطار في العام الماضي^(٤) ، وعلى ما يبدو تجددت هجماته عام ١٩١٦م إلا أن جهود الدولة سرعان ما تغلبت عليها^(٥) .

ومما لا شك فيه ، أن غزوات أسراب الجراد قد اشتدت فعاليتها على قطاع

(١) صلاح ، تاريخ ، ص ٣١-٣٢ ؛ النمر ، تاريخ ، ج ٣ ، ص ١٣٧-١٣٨ .

(٢) جريدة المقتبس عدد ١٥٨٧ ، ١٩ أيار ١٩١٥م ؛ جوهري ، القدس ، ج ١ ، ص ١٩٠-١٩١ .

(٣) صلاح ، تاريخ ، ص ٣١-٣٢ ؛ البرغوثي وطوطح ، تاريخ ، ص ٢٨٢ .

(٤) جوهري ، القدس ، ج ١ ، ص ١٩٠-١٩١ .

(٥) صلاح ، فلسطين ، ص ٣٧ .

الزراعة ، فقدرت خسائرها بـ(٤) مليون جنينه بسبب غياب نطاق واسع من القوى العاملة في ميادين القتال ، وانشغال الدولة في الحرب ، ناهيك عن الحصار القاري الذي فرضته أساطيل الحلفاء على سواحل الشام ، وحال دون وصول المبيدات الحشرية التي يمكن أن تخفف من مخاطر الجراد وأثره على المزروعات^(١) .

٣. الأمراض والأوبئة:

تفشيت الأمراض السارية بين سكان بلاد الشام ، خلال سنوات الحرب ، بما فيها اللوية الفلسطينية واتسع نطاقها لتشمل تشكيلات الجيش بالرغم من العناية التي تمتع بها المجندون من جانب الدولة العثمانية على الصعيدين الطبي والغذائي ، نظرا لسوء التغذية ، وتلوث الجو ، وانتشار الميكروبات ، وضعف جهاز المناعة لدى السكان ، وقلة النظافة بسبب الجفاف وقلة الأمطار ، ونضوب العيون والآبار ، وهو ما حمل الدولة على تشكيل وحدات خاصة للإشراف على النظافة كما عززت الوحدات الصحية بكوادر إضافية من الأطباء والمرضين والصيدلة^(٢) ، وبما يؤيد ذلك الإشارات الصريحة التي زدتنا بها سجلات المحاكم حول إدخال عدد من المجندين إلى المشافي أثناء الخدمة بفعل الأوبئة التي تفشيت بين صفوفهم وأودت بحياة العديد منهم^(٣) ففي عام ١٩١٦م انتشرت في فلسطين مجموعة من الأوبئة السارية ، وفي مقدمتها الكوليرا ، والتفثويد ، والتيفوس ، والملاريا ، والجدري «فكانت هذه الامراض تحصد الناس

(١) جوهريه ، القدس ، ج١ ، ص١٩٠-١٩١ ؛ صلاح ، فلسطين ، ص٣٢-٣٧ ؛ البرغوثي ، وطوطح ، تاريخ ، ص٢٨٢ .

(٢) البرغوثي ، وطوطح ، ص٢٨٤ .

(٣) س . ش جنين ، ١٨ ، ص١٢٢ ؛ س . ش جنين ، ٢٢ ، ص١٢٥-٢٠٤ ؛ ٢٠٥-٢٥٩ .

حصدا»^(١) نتيجة لقلّة الأوقات وغزوات الجراد وانحباس الأمطار^(٢) وغيرها وعملت على إبادة اسر بكاملها ، مما أدى إلى تراجع حركة النمو السكاني ، وحرمان قطاع الزراعة من القوى المستهلكة والعاملة التي أبقاها النفير العام وقصرها على الشيوخ والنساء والأطفال وغير اللائقين للخدمة العسكرية^(٣) .

وعلى الصعيد نفسه ، عملت موجة الجفاف ، وما اكبتها من جراد وقلّة في الأعلاف ، إلى هزلة القطعان ، وتفشي الأوبئة ، والأمراض بين حيواناتها وطيورها ، الأمر الذي انعكس سلبا على قطاع الزراعة ، وبناء العامة فقل إنتاجها من اللحوم والحليب والبيض والأصواف والشعر والوبر والجلود والقرون والأنصال إضافة إلى نفوق العاملة منها والتي أبقته الدوائر العسكرية بيد أصحابها لتنشيط حركة الزراعة والحرف والتجارة وتزيدها بطاقة الحمل والجر والمشملة على الثيران والحميمير والجمال والبغال والخيول الأمر الذي انعكس سلبا على الإنتاج الحيواني وطاقة الجر والحمل لعدة سنوات قادمة إلى أن تمكنت البقية الباقية منها من تجديد نفسها بولادات وأفراخ ناشئة^(٤) .

٤. الآفات:

تعرضت المحاصيل في فلسطين ، خلال الحرب العالمية الأولى ، للإصابة بعدد من الآفات ، وكانت حدة إصابتها تتوقف على طبيعة المحصول ، ومراحل نموه المختلفة ، ومدى مقاومته للآفات التي عصفت به ، ودرجة استعداد السكان وخبراتهم الزراعية للمكافحة والتخفيف منها .

(١) النمر ، تاريخ ، ج٣ ، ص١٣٨ .

(٢) جوهري ، القدس ، ج١ ، ص١٩٠-١٩١ ؛ البرغوثي ، وطوطح ، تاريخ ، ص٢٨٤ ؛ جريدة الكوكب عدد ١٢٢ ، ١٠ ديسمبر ، ١٩١٨ م .

(٣) س .ش. ، جنين ، ٢٢ ، ص٨٣ ، ٨٩ ، ١٠٦ ، ١٣٥ .

(٤) س .ش. ، القدس ، ٤١٣ ، ص٦٣ .

وبما لا شك فيه أن ظروف الحرب ، وما سادها من جفاف وجراد وأوبئة عصفت بالأهالي وحيواناتهم العاملة وغير العاملة ، قد عزز من إصابة المحاصيل بالآفات ، ناهيك عن انشغال الدولة بالعمليات العسكرية وعدم قدرتها على تزويد المزارعين بالأدوية والمبيدات ، ومن الشواهد الدالة على ذلك ما تعرضت له بيارات يافا من آفات ومن أبرزها مرض الجرب الذي زاد من حدته موجة الجفاف المطبقة ، وغزوات الجراد ، والحصار القاري الذي منع دخول البترول لتشغيل مضخات الري مما الحق الضرر بالاقتصاد الوطني لسنوات قادمة بسبب جفاف العديد من البيارات واجتثاثها من أصولها واستبدالها بغراس جديدة وتقليم الأخرى تقيماً جائراً لتنشيطها وهو ما يتطلب عدة سنوات لإثمارها^(١) .

النتائج

تمخضت هذه الدراسة عن مجموعة من النتائج ومن أهمها :

- ١ . انهيار قطاع الزراعة الفلسطيني خلال سنوات الحرب العالمية الأولى ١٩١٤-١٩١٨م نتيجة للعقبات التي اعترضت سبيله ، سواء أكانت طبيعية أم بشرية ، وتمثلت بالنفیر العام والمصادرة والاحتكار والحصار القاري والتهجير القسري ، والعمليات العسكرية ، والاحتلال البريطاني ، وموجات الجفاف ، وغزوات أسراب الجراد ، والأمراض والأوبئة الجارفة والآفات المدمرة .
- ٢ . أدى انهيار قطاع الزراعة إلى ضرب بنية الاقتصاد الوطني ، لما له من دور في القطاعات الإنتاجية الأخرى الصناعية ، والحرفية ، والتجارية ، إضافة إلى قطاع الخدمات .

(١) س . ش . يافا ، ١٤٤ ، ص ١٨٠ ؛ س . ش . يافا ، ١٦٦ ، ص ٢٧٥ ، ٢٩٩ ؛ س . ش . يافا ، ١٨٨ ،

ص ٢ ، ٢٠-٢١ ؛ س . ش . يافا ، ١٩٦ ، ص ١٧٠ ؛ جريدة البشير عدد ٢٥٠٨ ، ١٣ كانون

الاول ١٩١٩م .

٣ . أعاد المجتمع الفلسطيني بناء قطاع الزراعة بجهوده الخاصة ، بالرغم من سعي الاستعمار البريطاني الدءوب إلى إبقائه رهن قوانينه الجائرة ، وإجراءاته الاستعمارية ، بغية تسهيل تغلغل الحركة الصهيونية في مجالات الأراضي والاستيطان .

أسماء المشاركين بحسب حروف الهجاء

- ١ . إبراهيم أبو ارميس جامعة القدس المفتوحة ، فرع بيت لحم ، فلسطين .
- ٢ . إبراهيم ربابعة جامعة القدس المفتوحة ، فلسطين .
- ٣ . إسماعيل أحمد ملحم دائرة الآثار العامة ، إربد ، المملكة الأردنية الهاشمية .
- ٤ . الياس جريج حلبا ، عكار ، الجمهورية اللبنانية .
- ٥ . أمين أبو بكر جامعة النجاح الوطنية ، نابلس ، فلسطين .
- ٦ . خضر سلامة مكتبة المسجد الأقصى ، القدس ، فلسطين
- ٧ . زهير غنaim عبداللطيف غنaim جامعة القدس ، كلية الآداب ، فلسطين
- ٨ . شكران خربوطلي جامعة دمشق ، كلية الآداب ، قسم التاريخ ، الجمهورية العربية السورية .
- ٩ . صلاح عربي عباس جامعة كركوك ، كلية التربية ، الجمهورية العراقية .
- ١٠ . عادل محمد زيادة المجلس الأعلى للآثار ، جمهورية مصر العربية .
- ١١ . فوزي الطواهي جامعة الأردنية ، قسم التاريخ ، كلية الآداب ، المملكة الأردنية الهاشمية .
- ١٢ . محمد ضيف الله بطاينه جامعة اليرموك ، قسم التاريخ ، المملكة الأردنية الهاشمية .
- ١٣ . محمود سعيد أشقر مؤسسة إحياء التراث والبحوث الإسلامية ، القدس - فلسطين
- ١٤ . ممدوح عبد الحلیم الخرابشة كلية الأمير الحسين بن عبدالله الفنية العسكرية ، المملكة الأردنية الهاشمية

- ١٥ . المهدي عيد الرواضية
١٦ . نافذ إبراهيم الأحمر
١٧ . يوسف إبراهيم الزاملي
- مؤسسة آل البيت ، المملكة الأردنية الهاشمية
الجامعة اللبنانية ، الفرع الثالث ، طرابلس ،
الجمهورية اللبنانية
جامعة الأقصى ، كلية الآداب ، قسم التاريخ ،
فلسطين .

الفهارس (*)

- الأعلام
- الجماعات والأسر والطوائف
- الأماكن والمواقع
- أنواع المحاصيل الزراعية

(*) قام بإعداد الفهارس كل من السيد أحمد عبدالقادر خريسات والأنسة منال عيد حداد وقامت بطباعتها الأنسة ريمما التميمي ، فالشكر موصول للجميع .

الأعلام

- أ -

١٨٢	إبان بن حرب
١٨٢	إبان بن مروان بن الحكم
٣٢٢	إبراهيم - السلطان
١٧٦	إبراهيم الأبياري
٥٥٦	إبراهيم بن أحمد بن محمد بن مراد
٥٧٥، ٦	إبراهيم أبو ارميس
٥٩٢	إبراهيم الأعمى
٦٥٤، ٥٦٢	إبراهيم افندي
٦٣٠، ٥٨٦، ٣٤٧	إبراهيم باشا
٥٥٤، ٥٥٣	إبراهيم برهاني زادة
٦٥٩	إبراهيم ترك
٤٩٧	إبراهيم التيماري
٦٥٤	إبراهيم جدع
٦٥٢	إبراهيم جدوع افندي
٥٢٥، ٥١٣، ٥١٢، ٤٩٧	إبراهيم جلبي بن جمال الدين (العجمي زاده)
٥٨٤، ٥٨٣	إبراهيم الحريري
٥٨٤	إبراهيم حزبون
٦٧٦	إبراهيم حسن مصطفى
٤٦٨	إبراهيم الحلبي
٤٧٤	إبراهيم بن حميدان
٦٥٤	إبراهيم حوري

٢٩٦	إبراهيم الخليل - عليه السلام
٤٧٠ ، ٤٦٠	إبراهيم بن خليل الشخيص
٦٦٠	إبراهيم خوري
٥٢٧ ، ٦	إبراهيم ربابعة
٥٩٦	إبراهيم زعرب
١٥٣	إبراهيم زعرور
٤٥٢	إبراهيم زكي خورشيد
١٠٠	إبراهيم شبوح
٢٨٦	إبراهيم شمس الدين
٦٠٥	إبراهيم عايش
٦٥٥	إبراهيم عقول
٦٠٨	إبراهيم العلم
٤٥٢	إبراهيم بن علي الحلبي
٥٨٧	إبراهيم غانم شختور
٥٩٤	إبراهيم فريج
، ٢٦٣ ، ٢٦٠ ، ٢٥٧ ، ٢٥٦ ، ٢٥٥	إبراهيم مغلطاي
٢٦٦	
٤٤٩	إبراهيم بن المفيد
٥٩٧	إبراهيم بن ميخائيل ابو شعبان
٣٠	أبولو
١٤٤ ، ١٢٠	الآبي ؛ منصور بن الحسين
	إبن الأثير ؛ علي بن محمد الجزري الشيباني
، ١٥٣ ، ١٥٠ ، ١٤٩ ، ١٤٨ ، ١١١	
، ١٩٢ ، ١٨٩ ، ١٨١ ، ١٥٥ ، ١٥٤	
٢٠٥	

٥٨٥	أبو أحبل
٥٠٣، ٤٧٨	إحسان أوغلي
٢٧٨	إحسان صدقي العمدة
١٧١، ١٢٣، ١١٥، ٦١	إحسان عباس
، ٦٨٧، ٦٨٦، ٦٧٨، ٥٤٤، ٢٣٤	إحسان النمر
٦٩٩، ٦٩٧، ٦٩٢، ٦٩١، ٦٨٨	
، ٤٠٤، ٤٠٣، ٣٩٩، ٣٩٧، ٣٧٩، ٦	الأحمر ؛ نافذ إبراهيم
، ٤١٨، ٤١٧، ٤١٦، ٤١٥، ٤٠٦	
٤٣٤، ٤٢٨، ٤١٩	
٥٤١	أحمد بك
٥١٢	أحمد أغا
٥٥٤	أحمد أفندي
٦٥٦، ٦٥٢، ٦٤٨، ٦٤٧	أحمد إحسان
٦١٥	أحمد بن إسماعيل أحمد سعد
٥٨١	أحمد بن إسماعيل أسعد
٥٠٣، ٤٨١، ٤٨٠، ٤٤٦	أحمد آق كوندوز
٢٢٠	أحمد الأبيش
٥٤٨، ٥٤٣	أحمد باشا الترزي
٤٧٢	أحمد بن بدر الدين بن زريق
٥٧١	أحمد بن بيرام
٥١٢	أحمد الثوري
٥٠٩	أحمد جلبي
٦٩٠، ٦٨٢	أحمد جمال باشا
٣٢٩	أحمد جودت
٥٤٩	أحمد الحارثي

٤٥٣ ، ٤٦٠ ، ٤٧٠ ، ٤٧١	أحمد بن حسن بن بحر الدهن
٣٢٩	أحمد حلمي
٣٢٩	أحمد خلوصي
٥٠١ ، ٥٠٠	أحمد الدجاني
٦٥٤ ، ١٣٥	أحمد رفعت البدرراوي
٥٦٤ ، ٢٩٣	أحمد زكي - افندي
٥٩٢	أحمد سالم شختور
٦٥٩	أحمد سباعي
١٤٩	أحمد بن سعيد بن سلم بن قتيبة الباهلي
٦٤٠	أحمد السلطان
٥٤١	أحمد ابي شامة
٦٨٢	أحمد الشكعة
٤٧٢ ، ٤٦٤ ، ٤٦٣ ، ٤٦٠	أحمد بن شهاب الدين الحلبي
٤٧١ ، ٤٦٣ ، ٤٦٠	أحمد شهاب الدين بن زريق
٥١٥ ، ٥١٣ ، ٥١٢ ، ٥١٠	أحمد صوباشي
٥٢٩ ، ٥٣٠ ، ٥٣٢ ، ٥٤٠ ، ٥٤١	أحمد بن طراباي - الأمير
٥٤٢ ، ٥٤٣ ، ٥٥٠ ، ٥٥٦ ، ٥٥٧	
٥٧٢	
٤٣٨	أحمد بن عبدالله بن عبدالرؤوف
٤٤١	أحمد عبدالرزاق أحمد
٦٨١	أحمد عبدالرحمن سلامة
٦٣١ ، ٦٢٩ ، ٦٢٣ ، ٣٨٠	أحمد عبدالرحيم مصطفى
٤٦٢	أحمد عبدالسلام
٢٠٠	أحمد عبيد
٣٨٠ ، ٣٢٨ ، ٣٢٥	أحمد عزت عبدالكريم

٥٦٦	أحمد بن علي
٥٥٩	أحمد العوني
٥٤١	أحمد العيون
٢٠٦	أحمد غسان سبانو
٤٧٥	أحمد بن فيري
٣٨٧	أحمد بن قانصوه بن حمادة
٥٤١	أحمد كتحدا
٥٠٩	أحمد بن محمد
٢٤٩	أحمد أبو ملحم
٥٩٤	أحمد هرماس
١٣ ، ١٤ ، ١٦ ، ٩٠ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٧ ،	أحمد وصفي زكريا
١٠٢ ، ١٠٥ ، ١٠٨ ، ١١٩ ، ١٢٨ ،	
١٣٦ ، ١٧٣	
٤٩٩	أحمد بن يحيى بن محمد
١٥٤	الإخشيذ أبو بكر محمد بن طفعج
٤٣٩	ابن الأخوة ، محمد بن محمد بن أحمد القرشي
١٦٤	ابن أخي حزام ، محمد بن يعقوب بن إسحاق الحنظلي
٦٤٣	اداموف
٨٥	أدريان فان ليوفن
٣٨٤	ابن ادريس البديسي
٨٨ ، ٨٩ ، ٩١ ،	الإدريس ، أبو عبدالله محمد بن محمد بن عبدالله بن إدريس
٩٥ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢ ،	
١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٧ ، ١١٦ ، ١١٨ ،	
١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٩ ،	
١٣١ ، ١٣٥ ، ١٣٧ ، ١٤١ ، ١٤٦ ،	

٤١٢، ٢٨٦، ٢٨٥، ٢٨٤، ٢٨١	
٤١٩، ٤١١، ٣٩٤	ادوار روبنصن
٣٠	أرتيمس
٥٧١، ٥٦٧، ٥٤٨، ٥٣١	أرسلان باشا
٦١٥، ٦١٠، ٦٠٨	ارشيبالد فوردر
٤٩٦	أرطوغدي بن يوسف
	الأزدي ؛ أبو اسماعيل محمد بن عبدالله البصري ١٧٥
١٤٩، ١١٣، ٨٧	الأزدي ، يزيد بن محمد بن إياس بن القاسم أبو زكرياء
	١٥٠
٥٨٨	استر بادي
٥٩٦	إسحاق
١١٤	إسحق أرملة - أب
٥١٢، ٤٩٧	إسحاق بن سراج الدين عمر بن أبي اللفظ
٦٥٢	اسحق لوي أفندي
٦٣٣، ٥٨٠، ٥٤٢، ٥٤٠، ١٧٢	أسد رستم
٦٦٤	
٦٥٥	أسعد خوري
٣٩٤	أسعد شيخاني
٣٣٨	م . اسكا لدي
٦٥٩	اسكندر زيدان
٦٨٢	اسكندر كساب
١٢٠، ١٠١، ٩٥، ٩٠	الإسكندري ، نصر بن عبدالرحمن
٦١، ٣٤، ٣٢، ٣١، ٢٧، ٢٣، ٥	إسماعيل أحمد ملحم
٨١، ٧١، ٦٦، ٦٥، ٦٣	
٦٥٢	إسماعيل آغا البعاصيري

٦٥٤	إسماعيل بكاز
٦٨٢	إسماعيل الحسيني
٦٤٧	إسماعيل سرهنك
٤١١	إسماعيل ؛ منير عادل
١٩٢	أبو الأشبال أحمد محمد شاكر
٢٧٨، ٦٣	الأشبلي ، أحمد بن محمد بن حجاج
٤٣٨	الأشبلي ؛ محمد بن أحمد بن عبدون
٨٨، ٨٦	الإصطخري ؛ إبراهيم بن إسحاق بن محمد الفارسي الكرخيت
١١٩، ١١٧، ١١٦، ١٠٦، ٩٥، ٩١	
١٣٥، ١٣٠، ١٢٢، ١٢١، ١٢٠	
٢٨١، ١٧٤، ١٤١، ١٣٧	
١٤٨	ابن الأعمش
٢٩٩، ٢٩٨	أقبردي الداودار - أمير
١٥٠	افتيشيوس (سعيد) - البطريك
٥٣٨، ٢٣١، ٢٣٠	أكرم حسن العلبي
١٨٨، ٨٤	أكرم ضياء العمري
٦٥٣، ٥٦٥، ٥١٢	اكمل الدين احسان أوغلي
٣٤٥	ألبرت حوراني
٥٨٧	ألفرد - الأمير
٥١٦	الياس - بك
٦١٠	الياس بابون
٦٠٠	الياس بن جبرائيل بن انطون دعيق
٣٦٦، ٣٥٩، ٣٥٨، ٣٥١، ٣٠٣، ٦	الياس جريج
٦٥٥	الياس حلاج
٥٩٥	الياس دكرت

٦١٠	الياس السمعان
٣٥٧، ٣٢٢	الياس صالح اللاذقاني
٦٥٥	الياس غريب حوا
٥٩٦	الياس المتواسي
٥٩٤	الياس نقولا فقوسة
٦٣١، ٦٣٢، ٦٣٣، ٦٣٤، ٦٣٥،	امل ميخائيل بشور
٦٥٢، ٦٥٨	
٥٨٢	إميل توما
٦٥٩	أمين بربير
٦، ٦٦٩	أمين أبو بكر
٦٥٩	أمين صوفي
١٦٧	أمين نظيف
٦٥٦	اناسطاش أفندي
٤٠٢، ٤١٤	اندرية لاترون
٢٢١، ٢٢٢	أندريو واتسون
٢٨٠	ابن أنس ؛ مالك بن أنس بن مالك
٢٧٠	الأنصاري ؛ زكريا بن محمد
١٥٤، ١٥٥	الأنطاكي ؛ يحيى بن سعيد
٦٥٤	انطوان خوري
٦٥٤	انطوان صاصي أفندي
٦٥٩	انطوان طرازي
٤١٤	انطوان عبدالنور
٥٨١	انطون جريس مرقص
٥٩٦، ٥٩٧	انطون بن حنا الكمنداري
٦٣٠	انكه لهارد

٢٨٣	أنور عرفات
٢٨٣	أنور محمود زنا
١٧٠	أنيس فريحة
٢٠	أنيس المعشر
٣٣٨	م . أوتري
٥٣٢ ، ٤٩٢	أورخان - السلطان
٢٤٩	أولرخ هارمن
٤٩٨	أويس - بك
٢٧٤ ، ٢٧٢ ، ٢٦٨ ، ٢٥٩ ، ٢٥٣	ابن إياس ، محمد بن أحمد
٤٩٩	إيدين بن حبيب
٤٩٩	إينالچك
٥٦٨	أيوب بن مصطفى

- ب -

٤٣٩ ، ٢٥٣ ، ٢٤٨	الباز العربي العريني
٩٠	بافيه دي كرتاي
٥٨٩	باكنجهام
٥١٥	بالي صوباشي
١٤٥	البحتري
٢٧٨ ، ٣٨	البدري ، تقي الدين أبو البقاء عبدالله بن محمد المصري
٦٦٠	بدوي عاشور
٦٣١	برانت
٥٨٨	براون
٩٠	بربيه دي مينار
٦٧٨ ، ٦٧٤ ، ٦٧٣ ، ٦٧٢ ، ٦٧١	البرغوثي ؛ عمر الصالح
٦٨٧ ، ٦٨٦ ، ٦٨٤ ، ٦٨٣ ، ٦٨٢	

٦٩٩ ، ٦٩٨ ، ٦٩٧ ، ٦٨٩ ، ٦٨٨	
٥١٦	بركات بن عودة
٦٧٢	برنجي كوني
٤٦٣ ، ٤٣٨	ابن بسام المحتسب ؛ محمد بن أحمد
٦٥٦	بسيم بك
٢٥٨ ، ٢٥٧ ، ٩٢	بشار عواد معروف
٤٨٨ ، ٢٢٥	بشارة دوماني
١٨٢	بشر بن مروان بن الحكم
٦٣٣ ، ٣٤٣	بشير الثاني ؛ بشير قاسم الشهابي
٨٨	بشير فرنسيس
٣٨٦ ، ٣٠٠ ، ٢٥٠	بطرس فهد
٦٣٦	بطرس لبكي
٥٩٤	بطرس بن مبارك
١٢٤ ، ١١٧ ، ١١٦ ، ١٠٤ ، ١٠٢	ابن بطلان
١٥٢ ، ١٤٢ ، ١٤١ ، ١٤٠ ، ١٣٣	
٢٩٦ ، ٢٨٤	ابن بطوطة ؛ أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن محمد اللواتي
٣١٧	أبو بكر الصديق
١٣٣ ، ٩٨ ، ٩٠ ، ٨٥	البكري ؛ أبو عبيد عبدالله بن عبدالعزيز الأندلسي
٢٠٤ ، ١٩٨ ، ١٩٧ ، ١٩٦ ، ١٩٥	
٥٨٨	بكونت فولني
١٠٤ ، ١٠٠ ، ٩٨ ، ٨٩ ، ٨٦	البلاذري ؛ أحمد بن يحيى بن جابر البغدادي
١٤٨ ، ١٤٦ ، ١٣٧ ، ١١٤ ، ١١٣	
١٨١ ، ١٨٠ ، ١٧٨ ، ١٧٦ ، ١٥٠	
٢١٧ ، ٢٠٨ ، ٢٠٤ ، ١٩٨ ، ١٨٨	
٢٨٠	

١٧٦	بلال بن الحارث
١٧٥	بلاّب بن رباح
١٧٢، ١٧١، ١٧٠	بلياييف، ي، أ
٦٨٥، ٦٨٤، ٦٧٧، ٦٧٢، ٦٧١	بهجت صبري
٦٩٤	
٢٨١	بوروبية، رشيد
٥٤٠	البوريني؛ الحسن بن محمد
٤١٠	بولس - خوري
٦٥٤	بولص قعوار
٦٤٤	أ. بولياك
٢٥٤، ٢٥١	بيبرس المنصوري
٥٠٧	بيرام جاويش بن مصطفى
٢٩٤، ٢٨٣	بيركهارت؛ يوهان ديودنغ
١٩٨	البيروني؛ أبو الريحان محمد بن أحمد
٢٧٩	البيشاوي، سعيد
١٤٣، ١٣٤	ابن البيطار، عبدالله بن أحمد الأندلسي
١٧٢، ١٧١، ١٧٠	بينز، نورمان

- ت، ث -

٤٦٠، ٤٥٩، ٤٥٧، ٤٥٢، ٤٤٩	تاج الدين بن أحمد السكري
٤٧١، ٤٧٠، ٤٦٩، ٤٦٨، ٤٦٥	
٤٧٥، ٤٧٤، ٤٧٢	
٢٧١، ٢٧٠، ٢١٦، ١٦٠	ابن تغري بردي؛ جمال الدين أبو المحاسن يوسف
٢٧٥، ٢٧٤، ٢٧٣، ٢٧٢	
١٤٧	تفنان، رولاند

٢٧٩	التوحيدي ، ابن حيان
٦٥٤	توفيق أفندي
٦٨٤	توفيق الباري
٦٨٢	توفيق حماد
٦٨٢	توفيق العبدالله
٦٥٠	توفيق علي برو
٦٢	توفيق فهد
٥٩٠ ، ٥٧٨	توما بنورة
٥٩٧	توما الدويري
٦٦٧ ، ٦٢٧	توما كيال
٥٨٩	تيرنر
٢٧٩	تيسير خلف
٤٣٨	ابن تيمية ؛ تقي الدين احمد
٥٢٥	ثابت بن صالح

- ج -

٦٠٦	جاد الله
٢٧٨ ، ٦٣	جاسر صفية
٣٢٧ ، ٣٢٦	جان بردي الغزالي
٢٩٧	جان بلاط - الأمير
١١٤	جان موريس فييه - أب
٦٦٠ ، ٥١٥	جبران بن سعد
١١٠ ، ١٠٥ ، ١٠١	ابن جبير ؛ محمد بن أحمد الكناني الأندلسي البنسي
١٢٥ ، ١٢٠ ، ١١٩ ، ١١٦ ، ١١٥	
٢٢٧ ، ٢٢١ ، ١٤١ ، ١٣١	

٦٥٩	جرجي فقاش
٣٨٥	جرجي يني
٥٩٢	جريس سلمان
٥٩٦	جريس عودة
٥٩٩	جريس بن نقولا بطو
٢٥١ ، ٢٥٠ ، ٢٤٩ ، ٢٥١ ، ٢٥٥ ، ٢٦٢ ، ٢٦١ ، ٢٦٠ ، ٢٥٧ ، ٢٦٤ ، ٢٦٦ ، ٢٦٩ ، ٢٧٥	ابن الجزري ؛ شمس الدين محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٥ ، ٢٦٢ ، ٢٦١ ، ٢٦٠ ، ٢٥٧ ، ٢٦٤ ، ٢٦٦ ، ٢٦٩ ، ٢٧٥
٤٥٧	جعفر - أمير
٦٤٧	جعفر خياط
٣	جعفر بن أبي طالب
٢٠٨ ، ٢٠٧ ، ١٣٧ ، ١١٣	أبو جعفر المنصور
٢٩٣	جقمق - السلطان
٣١١ ، ٣١٤ ، ٣١٦ ، ٣١٧ ، ٣١٨ ، ٣٢٠ ، ٣٢٤ ، ٣٢٧ ، ٣٢٩ ، ٣٣٨ ، ٣٤٧ ، ٣٤٩ ، ٣٥١ ، ٣٥٤ ، ٣٥٦ ، ٣٥٧ ، ٣٦٣ ، ٣٦٩ ، ٣٧١	جلال باقي
٦٠٤	جمال برغوث
٤٥٣	جمال الدين بن ربيع
٢٨٣ ، ٢٤٨	جمال الدين الشيال
٥٩٦	جمعة عمر
٧٠	جمعة كريم
٤٣٨	جميل عبدالقادر أكبر
٢٠٤ ، ٢٠٢ ، ٢٠١ ، ٢٠٠ ، ١٨٤	الجهشياري ، أبو عبدالله محمد بن عبدوس ١٨٤ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٤
٢١٠	

١٧، ١٥، ١٢، ١١، ١٠	جواد علي
٦٤١	الجوراني
٦٤٥	جورج أبي صالح
٦٤٧	جورج لنيشوفسكي
٥٩٠	جوزيف أريزو
٦٢٩	جوستين مكارثي
٦٨٩، ٦٨٢، ٦٧٥، ٦٧٢، ٦٧١	جوهريّة ؛ واصف
٦٩٩، ٦٩٨، ٦٩٧، ٦٩٥، ٦٩٣	
٥٩٣، ٥٨٩، ٥٨٧، ٥٨٦، ٥٨١	جون يوحنا موشولايم
٥٨٧	جيمس فين كومسلوس
٥٨٨	جيوفاني ماريتي

- ح -

٦٥٤	حاجب مصطفى
٦٥٥	حاجي أحمد اسدي
٦٥٤، ٦٥٢	حاجي أسعد محمود أفندي
٤٤٢	حاجي خليفة ، مصطفى بن عبدالله
٦٦٠	حاجي سعيد سليم
٦٦٠	حاجي مصطفى دلال
٦٦٠	حاجي مصطفى مسلماني
٥٦٥	حافظ - الشيخ
٦٥٥	حافظ توقانا
٦٥٥	حامد أفندي
٦٥٤	حامد علي أديب
٦٥٥	حبيب أفندي

٦٥٥	حبيب بحري
٢٥٨ ، ٢٥٧ ، ٢٥٦ ، ٢٥٥ ، ٢٥٣	ابن حبيب ؛ الحسن بن عمر
٢٦٤ ، ٢٦٣ ، ٢٦١ ، ٢٦٠ ، ٢٥٩	
٢٧١ ، ٢٧٠ ، ٢٦٧ ، ٢٦٦ ، ٢٦٥	
٢٧٣	
٦٥٩	حبيب دومانى
٦٥٤	حبيب يعقوب أفندي
٢٠٥ ، ١٩٦	الحجاج بن يوسف الثقفي
١٩٨ ،	ابن حجر العسقلاني ؛ الإمام الحافظ شهاب الدين أحمد بن علي
٢٧٤ ، ٢٦٤ ، ٢٥٩ ، ٢٥٨ ، ٢٠٣	
٢٩٥	
٢٠١ ، ١٩٥	حذيفة بن اليمان
٤٥٦	حسان قيسي
٤٣٨	حسام الدين السامرائي
٢٨٢	حسام محمد القطان
٦١٥	حسن بن أسعد
٢٥٣	حسن إسماعيل مروة
٥١٤	حسن أغا
٦٦٠	حسن أفندي
٤٤٤	حسن الباشا
٢٣١	حسن باشا الشوريزي
٤٦٩ ، ٤٦٨	حسن بن بزوز
٥٢٣	حسن بن أبي حامد
٦٥٥	حسن بن حسن
٥٥٥	حسن زادة

٢١٣	حسن زكي الصواف
٦٥٥	حسن شويكة
٢٥٢، ٢٤٨	الحسن بن عمر بن الحسن بن حبيب
٥٨٧	حسن القرنة
٥٦٦، ٥٤٧	حسن بن محمد
٥٦٦	حسن بن محمد أحمد
٤٤٨	حسن المشحم
٤٣٩	حسن مصطفى طبيرة
٤٧٥	حسن المظفري
٦٥٦	حسني أفندي
٦٦٧، ١٧٠	الحسني ، علي
٥٢٢	حسين أغا
٥٦٢، ٥٦٠، ٥٥٩، ٥٥٨، ٥٥٥	حسين باشا
٤٩٧	حسين بن بوطه
٥٤٧، ٥٤٦، ٥٤٥	حسين جوربجي بن محمد
٥٦٧	حسين بن حسن أرنوط
٦٨١	حسين حسن علي اليعقوب
٥٠١	حسين بن عبدالرحمن
٦٥٥	حسين عبدالرحيم
٥٠٦	حسين بن محمد
٢	حسين محمد القهواتي
٤٩٨	حسين بن مراد الزعيم
٥١٠	حسين بن مصطفى جونكل
٥٤٣	حسين بن معن
١٧٠	حسين مؤنس

٢٥١	الحسيني ؛ أبو المحاسن محمد بن علي
٤٤٩	ابن الخطيم
٥٣٩	حكمت إسماعيل
٤٤٩، ٤٤٨	ابن الحكمة
٦٥٩	حلاج زادة
٦٥٦	حلمي أفندي
٦٠٠	حلوة بنت فرنسيس جقمان الرومي
٩٠	حمد الجاسر
٥٦١	حمد بن سلامة
٥٩٦	حمد بن عياد بن حمد الهريمي
٦٠٠	حمد بن محمود بن حميد بن عليان
٥٧١	حمدان بن جرار العرابي
٥٦٧	حمدان بن حمدان بن جرار العربي
٥٩٥	حمدان العصي
٥٢٣	حمزة - كاتب الأوقاف
٥٨٣	حمزة أغا
٥٦٣	حمودة بن حمادة
٤٧٤	حميدان
٨٨، ٩٢، ٩٥، ٩٨، ١٠١، ١٠٢،	الحميدي ؛ أبو عبدالله محمد بن عبدالله
١٠٤، ١٠٧، ١٠٩، ١١٢، ١١٥،	
١١٦، ١١٧، ١٢٠، ١٢١، ١٢٥،	
١٢٦، ١٣٠، ١٣١، ١٣٦، ١٤٦،	
١٥٩	
٢٩١	حنا أيوب
٦٠٩، ٦١٦	حنا جقمان

٦٠٦	حنا حزبون
٦٠٠، ٥٩٥	حنا بن حنا بن مخائيل ابو جارور الرومي
٥٨٤	حنا سرية
٥٩٧	حنا بن سليمان
٥٩٦	حنا الشقلة
٦٠٩	حنا بن صالح حزبون
٦٠٩	حنا عيسى قطان
٥٩٤	حنا بن منصور
٥٩٤	حنا بن نصار
٥٩٧	حنا بن ياني حنانيا
٥٩٦	حنا بن يوسف بن انطون خوري
٥٩٤	حنا بن يوسف بن حنا الدبدوب اللاتيني
٦٠٠	حنة بنت حنا بن مخائيل أبو جارور الرومي
١٣٧، ١٣٣	أبو حنيفة الدينوري ، أحمد بن داود
٩١، ٨٨	ابن حوقل ، أبو القاسم محمد بن علي بن حوقل الموصلبي البغدادي
١١٨، ١٠٧، ١٠٦، ١٠٢، ٩٨، ٩٥	
١٣٠، ١٢٦، ١٢٢، ١٢١، ١٢٠	
١٥٠، ١٤٦، ١٤٠، ١٣٥، ١٣١	
٢٨٢، ١٧٤	
٥٥٦، ٥٤٣، ٥٤١، ٥٤٠، ٤٣٠	حيدر أحمد الشهابي - الأمير
٥٦٧	

-خ-

٢٨٣	خاصكي سلطان
٦٥٦، ٦٥٥	خالد أفندي

٤٤١ ، ٤٣٩	خالد خليل الظاهر
٥٨٦	خالد عايد
١٨٢	خالد بن عباد بن زياد
٨٨	خالد علي
٣١٢	خالد بن الوليد
٥٤٢ ، ٥٤١ ، ٥٤٠ ، ٣٨٧	الخالدي الصفدي ؛ أحمد بن محمد (الشيخ)
١٠٢ ، ١٠١ ، ٩٨ ، ٩٥ ، ٨٨ ، ٨٦	ابن خرداذبة ، عبيدالله بن عبدالله
١٦٨ ، ١٠٨	
٦١٥	خضر بن أسعد
٤٧٥ ، ٤٥٣	خضر بن درس الرومي
٤٣٧ ، ٦	خضر سلامة
٦٥٩	خطار ثابت
٢٧١ ، ٢٧٠ ، ١٠٠	ابن خلدون ، عبدالرحمن بن محمد
٨٨	خلدون الكتاني
١١٥	ابن خلكان ، أحمد بن محمد بن أبي بكر
٥٢٣	خليفة سالم بن حماد
٤١٦ ، ٤٠٤ ، ٤٠٣ ، ٣٩٩ ، ٣٩٧	خليفة ، عصام
٤١٩ ، ٤١٨	
٨٤	خليفة العصفري ابن خياط
٤٦٠	خليفة بن المعلم ابن الدهينة
٦٠٥	الخليل - عليه السلام
٦٣٨	خليل إبراهيم الخالد
٦١٥	خليل بن إبراهيم عودة
٥٦٠ ، ٥٥٩ ، ٥٥٥ ، ٥١١	خليل أغا
٥٩٦	خليل بن بولص بن بطرس صابات

٦٨٨	خليل حمدان
٥٩٧	خليل بن حنا بن خليل حنضل
٤٤٨	خليل الحنفي
٦٣٠ ، ٤٧٧	خليل خوري
٥٩٧	خليل بن داود بن خليل عصفورة
٥٩٧	خليل بن داود بن يعقوب القطان
٥٥٥	خليل بن زين الغفار المخضر
٥١٣ ، ٣٣٧	خليل ساحلي أوغلي
٥٩٥	خليل بن سمعان
٣٢٩	خليل سيف الدين
٥٢٢	خليل بن شقفه
، ٥٨٤ ، ٥٨٣ ، ٥٨٢ ، ٥٧٩ ، ٥٧٧	خليل شوكة
، ٥٩١ ، ٥٩٠ ، ٥٨٩ ، ٥٨٨ ، ٥٨٥	
، ٥٩٧ ، ٥٩٦ ، ٥٩٥ ، ٥٩٤ ، ٥٩٢	
، ٦١٠ ، ٦٠٦ ، ٦٠٣ ، ٦٠٠ ، ٥٩٨	
٦١٧	
٥١٠	خليل بن طاهر
٥٠٦	خليل الطباخ
٥٩٥	خليل عصفورة الرومي
٦٤٠ ، ٦٣٩	خليل علي مراد
١٧٥	خليل محمد هراس
٦٥٢	خليل محيشم أفندي
٢٨٩ ، ٢٤٨ ، ٨٥	خليل المنصور
٥٩٧	خليل بن يوسف بن يعقوب متري
٥٣٣ ، ٥١١ ، ٥١٠	الخليلي ، شمس الدين محمد بن محمد بن شرف الدين

الخوارزمي ، محمد بن أحمد بن يوسف البلخي ١٧٦ ، ١٧٧ ،
 ٩٥ خوان فرنيط خينيس
 ابن خياط ؛ أبو عمرو خليفة بن خياط بن أبي هبيرة العصفري ١١١ ، ١٥٠ ،
 ١٥٩ ، ١٧٦ ، ١٨٨ ، ٢٠٠ ، ٢٠٤
 الخير ، صفوح ١٦٧

- د ، ذ -

دارفيو ٤٩٥ ، ٥٢٩
 دافيو ٥٢٩
 ابن الداكور ٤٤٩
 داود - النبي عليه السلام ٥١٨
 داود دارا ٦٥٩
 داود بن أبي ريان ٥٠٠
 داود بن سليمان ٥٧١
 داود الكردي ٥٩٩
 داود مبارك ٦٠٩
 داود محمد أحمد سلامة ٦٨١
 داود بن منصور بن نصار حنضل ٥٩٧
 الدباغ ؛ مصطفى مراد ١٦٩ ، ٢٩١ ، ٥٢٨ ، ٥٦٠ ، ٥٦١ ،
 ٥٦٦ ، ٥٧٠ ، ٥٧٧
 الدبس ، يوسف المطران ٣٨٣ ، ٣٨٥ ، ٣٨٦ ، ٣٨٨
 درويش أغا ٥١٢
 درويش باشا ٢٢٣
 درويش جلبي ٥١٠
 درويش بن محمد ٥٦١

٥٧١	درويش بن هندي
٢٩٤	درية الخطيب
٣٠٠، ٢٤٩، ٢٤٨	ابن دقماق ؛ إبراهيم بن محمد المصري
٢٦٨، ٢٥٦، ٢٤٩	الدواداري ؛ أبو بكر بن عبدالله بن أبيك
٦٤٠	دورين
٢٨١	دوسلان
٢٥١	دونالد س . ريتشاردز
١٠٨، ١٠٢، ٩٧، ٩٦، ٩٣، ٩١، ٨٩	دويدري ، رجاء وحيد
، ٢٥٧، ٢٥٦، ٢٥٥، ٢٥٤، ٢٥٠	الدويهي ، أسطفان (البطريرك)
، ٢٧٠، ٢٦٥، ٢٦٤، ٢٦٢، ٢٦٠	
٣٩٥، ٣٨٦، ٣٠٠، ٢٧٥	
٩٥	م . ج دي غويه
٦٠٠	دي كاسان بن رفائيل
١٧٢	ديسو ، رينيه
٦٦٠	ديكري منحل
٢٧٩	الدينوري ؛ عبدالله بن مسلم
١٧١	دينيت ، دانيال
، ١٥٧، ١٥٢، ١٤١، ١٤٠، ١٣٢	ديونيسيوس التلمحري
١٦٣، ١٦١، ١٦٠، ١٥٩، ١٥٨	
، ١٢٢، ٩٢	الذهبي ؛ شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان
، ٢٥٢، ٢٥١، ١٤٩، ١٣٧، ١٢٧	
، ٢٦٤، ٢٦٣، ٢٦١، ٢٥٦، ٢٥٤	
٢٧٥، ٢٧٠، ٢٦٥	
٦٩	أبو ذؤيب الهدلي

-ر-

٢٢١	راضي عقدة
٦٨١	راغب حسين عواد
٧٠، ٤١، ٤٠	ربي أبو دلو
٥١٠	رجب باشا
ابن رجب الحنبلي ؛ الإمام الحافظ أبو الفرج عبدالرحمن بن أحمد بن رجب	
١٨٣، ١٨٦، ١٨٩، ١٩١، ١٩٢،	
١٩٣، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٧،	
١٩٩، ٢٠٢،	
٥٦٣	رجب بن محمد
٦٧٧	أبو رجيلي ، خليل
١٧٢، ١٧١	رحال ، عاطف
٦٥٩	رزق الله كباية
٦٦٤	رستم باشا
١٠٨، ١٠١، ٩٧، ٩٥، ٨٥	ابن رسته ، أحمد بن عمر
٥٩٩	رشيد آغا بن داود
٦٥٤	رشيد أفندي
٦٥٣	رشيد باشا
٥٤٢	رضوان باشا
٣١٩	رضوان دعبول
٨٦	رضوان محمد رضوان
٣١٨	رعد محمود البرهاوي
٦٥٢	رفعت صلاح بك
٢١٧	رفعت موسى أحمد
٢٢٧، ٢١٨	رفعت موسى محمد

٤١١، ٤١٠، ٤٠٣، ٤٠٢، ٣٥٠	رفيق حلمي التميمي
٦٤٩، ٦٢٤، ٦٢٣، ٤٣١، ٤٢٠	
١٧٦	أبورقية تميم الداري
٥١٤، ٥١٢	رمضان بن أحمد
٢٧٠	رندا نبيل مخامرة
٣٥	روبير كريسويل
٦٩٤	روين - النبي
٤٠٥	روحي جميل
٥٨٦	روز ماري صايغ
٦٢٥	رؤوف عباس حامد
٢٨٠	رياض زركلي
٢٨٥	رياض عبدالحמיד
٢١٧، ٢١٦	الريحاوي ، عبدالقادر
٨٤	الريس رياض
١٨١	الريس ، عمر رضا الدين
٢٠٣	الريس ، محمد ضياء الدين

-ز-

٥٢١	زايد بن سعد
٣١٥	الزبير بن العوام
٥٧١، ٥٥٤	زفر أفندي بن محمد
٥٤٢	زكريا إبراهيم السنوار
٥٤١	زكريا الديري
٦٤	زكي اسكندر
٢٨٠	الزمنخشري ؛ محمود بن عمر

٢٩٢	زهرة بنت طالب
٦٧٣، ٥٨٠، ٤٧٧، ٦	زهير غنایم عبداللطیف غنایم
، ١٤٠، ١٣٢، ١٢٩، ١٢٨، ١١٣	الزوقینینی، الراهب السریانینی
، ١٦١، ١٦٠، ١٥٧، ١٤٨، ١٤٢	
١٦٤، ١٦٣	
، ٥٨٦، ٥٨٥، ٥٨١، ٥٨٠، ٥٧٩	زیاد عبدالعزیز المدنی
٦٠٧، ٦٠٦، ٥٨٨، ٥٨٧	
٣	زید بن حارثة
٢٣	زیدون الحیسن
٥٤٣، ٥٣٩	زین - الأمير حاکم اللجون
٥٤٣	زین أحمد
٥١٣	زین بن عمر صوباشی
٥٦٦	زین بن مصطفی العرابی
٦٩٠	زینب حمدان
٢٧٧	زیود، محمد

- س -

، ٣٣٧، ٣٢٨، ٣٢٦، ٣٢٤، ٣٢٠	ساطع الحصری
، ٣٤٩، ٣٤٦، ٣٤٥، ٣٤٤، ٣٤٢	
٦٢٢، ٣٦١	
٥٦٣	ساعد بن ابداح
٥٦٢	ساغوش باشا
٢٧٩	سالم الکرنکوی
٦١٥	سالم بن ابراهیم عایش
٥٠٧	سالم بن رشید

٥٦٥	سالم بن سليمان
٥٨٤ ، ٥٨٣	سالم شختور
٥٦٣	سالم بن ياسين
٢٩٣ ، ٢٩٠ ، ١٣٨	سبط ابن العجمي ، أحمد بن إبراهيم بن محمد بن خليل موفق الدين أبو ذر
١٧	ستيسيبيوس الإسكندري
٢٦١ ، ٢٥٩ ، ٢٥٨ ، ٢٥٧ ، ٢٥٣	السخاوي ؛ شمس الدين أبو الخير محمد بن عبدالرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد
٢٦٤ ، ٢٧٣ ، ٢٧٢ ، ٢٦٧ ، ٢٦٤	
٢٩٣ ، ٢٨٢	
٥٢١ ، ٥١٥	سراج الدين أبو حفص عمر بن شمس الدين بن أبي اللطف
٥٩٩	سرافيم بن داود الارمني الكاثوليكي
٦٦	سرجس بن هلبا الرومي
٦٥٩	سرسق أفندي
٦١٦	سعاد العامري
٢١٧	سعاد ماهر
٣٦٧	سعادة علي باشا
٦١٥	سعد بن إبراهيم عودة
٣٣ ، ٣٢ ، ٣١	سعد الحديدي
١٧٦	سعد حسن محمد
٤٠٩	سعد رحمي
٦٨١	سعد محمود المسعود
٥٦٢	أبو السعود أفندي
٤٥٨	أبو سعيد برقوق - السلطان
٦٥٤	سعيد بركات

٦٦٦	سعيد حمادة
١٨٢	سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان بن عفان
١٩٧	سعيد بن عامر بن حذيم الجمحي
٢١٨	سعيد عبدالفتاح عاشور
٩٥، ١٠١، ١٠٢، ١١٨،	ابن سعيد ؛ علي بن موسى بن محمد المغربي
١٢٥، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٩، ١٣١،	
١٣٩، ١٣٤	
٦٥٩	سعيد موسى
٦٧٧، ٦٧٤	السكاكيني ؛ خليل
١٧٥	ابن سلام ، القاسم بن عبدالله الهروي البغدادي
٥٦٥	سلامة بن إبراهيم
٥٦٥	سلامة بن سليمان
٥٩٦	سلامة بن عيسى
٢٩٤	سلمى محجوب
٣٩٥، ٣٩٦، ٤٠٦، ٤١٤، ٤٢٢،	سلوم ، فؤاد
٤٣٢، ٤٢٩	
٦٢٢، ٣٨٤، ٣٢٦	سليم الأول - السلطان
٣٤٢	سليم الثالث - السلطان
٣٢٩	سليم بن رستم باز
٦٤٨	سليم فارس شدياق
٦٦٠	سليم كنعان
٦٥٤	سليم موعد
٦٤٥، ٦٤٦	سليم نصر
٣١٩، ٦٤٥	سليم هاني منصور
٥١٧	سليمان - بك

٣٢٨	سليمان الأول (القانوني) - السلطان
٥٩٦	سليمان بن الياس
٥٥٨	سليمان باشا
٣٢٨	سليمان الثاني - السلطان
٤٩٦	سليمان جاويش
٥٩٢، ٥٦٩	سليمان بن داود
٥٤١	سليمان الداودي
٥٩٦، ٥٩٤	سليمان بن سالم بن محمد شختور
٥٨٥	سليمان سمور
٥٤٤	سليمان بن عبدالرحمن
٦٠٠	سليمان بن عوض الفاغوري
٤٦١، ٣٣٨، ٣٢٩، ٣٢٨، ٣٢٧	سليمان القانوني - السلطان
٥٤٣	سليمان بن قراجا
٥١٥	سليمان بن مسلم
٥١٠	ابو سمرا ذياب
١٧٦	السمرقندي ؛ نصر بن محمد
٥٩٩	سمعان أفندي اللاتيني
٥٩٤	سمعان التلحمي
١٣٤	السمعاني ، عبدالكريم بن محمد
٥١٨	سنان أغا
٥٩١	سنيرسوهن
١٠٩، ١٠٢، ١٠١، ١٠٠، ٩٨	سهراب بن ساربيان
٢٨٠، ٢٧٩، ١٧٦، ٨٨، ٨٥	سهيل زكار
٦٣٢، ٥٣٢، ٥٠٩، ٤٩٧، ٤٩٥	سهيل صابان
٦٥٣	

٤٦٩	سويدان بن مراد
٤٧٥ ، ٤٦٢	سويدان بن ميران
٢٣١	سياغوش باشا
٤٣٨	سيد بن محمد بن أبي سعدة
٤٩٢	سيد محمد محمود
١٥٤ ، ١٤٥	سيف الدولة بن حمدان
٣٩١	سيفي أغا
٢٩٨	السيفي قانصوة
السيوطي ؛ الإمام الحافظ جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر ٢٠١	

- ش -

٥٨٩	شاتويريان
٤٠٩ ، ٤١٠ ، ٦٢٥ ، ٦٣٧ ، ٦٥٣ ،	شارل عيساوي
٦٦٥ ، ٦٥٧	
٦٦٠ ، ٦٥٤	شاكر خياط
٢٧٣ ، ٢٦٨ ، ٢٦٧ ، ٢٥٨ ، ٢٥٢	ابن شاهين ؛ زين الدين عبدالباسط خليل
٢٧٥	
٥٦٩ ، ٥٦٨ ، ٥٥٣ ، ٥٤٨ ، ٥٤٧	الشبلي بن ناصر
١١٨ ، ١١٥ ، ١٠٤ ، ١٠٢ ، ٨٧ ، ٨٦	ابن الشحنة ؛ محمد بن محمد الحلبي
١٥٤	
١٠٢ ، ١٠١ ، ١٠٠ ، ٩٠ ، ٨٦ ، ٨٥	ابن شداد ؛ محمد بن علي بن إبراهيم
١٤١ ، ١٢١ ، ١١٧ ، ١٠٨ ، ١٠٦	
١٤٨ ، ١٤٦ ، ١٤٤	
٤٠٥ ، ٣٨٦ ، ٣٨٥	الشدياق ، طنوس
٥٢٣	شرف بن بديور

٥٤١	شرف الدين الديري
٥٠٠	شرف الدين عرفة
٤٩٧	شرف الدين بن موسى الديري الحنفي
٤٩٨	شرف الدين بن نور الدين صاحب - أغا
٥٠٠	شرف الدين يونس
٦٦٠	شريف أفندي
٦٨٨	الشريف حسين بن علي
٤٣١ ، ٤٢٠ ، ٤١١	شريف ، حكمت
٤٤٨	ابن الشفيح
٤٧٤	الشقطي بن حميدان
١٦٧ ، ٥	شكران خربوطلي
٦٥٦	شكري أفندي
٢٧٨	أبو شمالة ، شريف
٥٥٩ ، ٥٤١	شمس الدين العوني
٤٩٩	شمس الدين محمد بن أرغون
٣٩٦	شهاب ؛ موريس (الأمير)
٤٦٨	شهاب الدين أحمد بن تاج الملة
٤٧٣	شهاب الدين أحمد بن الفاقوسي
٤٦٨	شهاب الدين الحسباني
٥١٥	الشهابي أحمد بن محمد التلحمي
١٣٨	شوقي شعث
٦٩	شوقي ضيف
٤٩٩ ، ٤٩٢	شوكت باموك
٩١	الشيخ ، محمد إسماعيل
٤١١	شيخاني

شيخ الربوة ؛ شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أبي طالب الأنصاري
الدمشقي

١٢٤، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٨،

١٣١، ١٧٤، ٢٥١، ٢٦٣، ٢٨٣،

٢٨٤

٤١١، ٤١٢، ٤٢٤، ٤٣٠،

٢٥٣، ٤٣٩،

شيخو ،لويس

الشييزري ، عبدالرحمن بن نصر

- ص ، ض -

٥٨٧

صابات فين

٥٣١

صادق احمد أفندي

٥٤٣

صالح - الأمير

٦٥٥

صالح أفندي

٥١٠

صالح بن جابر

٦١٠

صالح جقمان

٣٩

صالح الحمارنة

٥٤١

صالح الدهان

صالح زين الدين بن عمر سراج الدين ابن العلمي ٤٩٧

٤٧٥

صالح بن الزيني

٧١ ، ٤١

صالح ساري

٥٦٥ ، ٤٧٨ ، ٤٤٢

صالح سعداوي

٦٩ ، ٦٢

صالح سعيد

٥٤٨

صالح بن طوقان زادة

٦٢

صالح عبدول

٦٥٥

صالح عبود

٢١٦

صالح لمعي

٥٣٧	صالح بن مرعي
٥٩١ ، ٥٨٤ ، ٥٨٣	صبح شوكة
٥٦٥	صبح بن صباح
٦٤٢	صبري جرجيس
٤٣٩	صديق أحمد عيسى المطيعي
٣١٢	صفرونيوس - بطريك
٤٥٣	صفي الدين الحنبلي - قاضي
٢٨٢	صفي الدين عبدالمؤمن بن عبدالحق
١٦٩	صقلي ، مي إبراهيم
٢٧٨ ، ٦٣	صلاح جرار
٦٩٥ ، ٦٨٥ ، ٦٨٣ ، ٦٧٧ ، ٦٧٦ ،	صلاح ، حنا
٦٩٨ ، ٦٩٧	
٥٢٤ ، ٥٢١ ، ٢٢٧	صلاح الدين الأيوبي - السلطان
	صلاح الدين الغرسي غرس الدين خليل بن شمس الدين محمد الشهير نسبه
٥٠٠	باسم عسيلة الغراس
١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٨ ، ٢٣١ ، ٥٢٩ ،	صلاح الدين المنجد
٦٦٥	
١٧٦	صلاح الدين الناهي
٦ ، ٦٢١ ، ٦٢٣ ، ٦٢٨ ، ٦٦١ ،	صلاح عربي عباس العبيدي
٢٨ ، ٢٣	صلاح الهودلية
١٢٨ ، ١٢٣	الصنوبري ؛ أبو بكر احمد بن محمد بن الحسن الضبي الحلبي
١٢٩ ، ١٣٣ ، ١٣٥ ، ١٣٨ ، ١٤١ ،	
١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٥١ ، ٢٨٦ ،	
١٧٧ ، ١٨٣ ، ١٨٦ ،	الصولي ؛ أبو بكر محمد بن يحيى
٦٥٤	ضياء الدين

- ط، ظ -

- الطبري ؛ أبو جعفر محمد بن يحيى بن جرير ٨٤، ٨٥، ٩٢، ١١١، ١٤٨،
١٤٩، ١٥٠، ١٥٣، ١٥٥، ١٥٦،
٢٨٠، ١٨٨، ١٨٦، ١٥٩
- الطرسوسي ؛ أبو عمرو عثمان بن عبدالله الكرجي ١٢٥، ١٣٠، ١٤٠، ١٤٢،
١٤٣، ١٥١،
٤٧٩ طره باي - الأمير
٥٩٥ طعم الله بن سليمان الجعار
٨٩، ٩٠، ٩١، ٩٢، ٩٤، ٩٦، ٩٧،
٩٨، ١٠٠، ١٠١، ١٠٢، ١٠٣،
١٠٤، ١٠٥، ١٠٨، ١١٩،
٦٥١ طلال ماجد المجذوب
١٩٠، ١٩١،
٢٨٤ طه ثلجي الطرونة
١٧٦ طه عبدالرؤوف سعد
- ابن طولون ؛ شمس الدين محمد بن علي بن خمارويه الدمشقي الصالحي
٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٤، ٢٥٦،
٢٥٩، ٢٦١، ٢٨٩، ٣٠١،
٦٧١، ٦٧٢، ٦٧٣، ٦٧٤، ٦٧٨،
٦٨٢، ٦٨٣، ٦٨٤، ٦٨٦، ٦٨٧،
٦٨٨، ٦٨٩، ٦٩٧، ٦٩٨، ٦٩٩،
١٠٣، ١١٦،
٤٥٦ ابن الطيب السرخسي
ظاهر القاسمي

-ع-

١٣٦، ١٠٨، ٩٧، ٩١، ٩٠، ٨٩، ٨٨	عادل عبدالسلام
١٦٩، ١٦٨،	
٢١٣، ٥	عادل محمد زيادة
٦١١، ٥٨٥	عادل مناع
٦٦٠	عارف أفندي
٦٩٣، ٦٩١، ٦٨٧، ٦٦٢	عارف العارف
٧٠	عاطف جودة نصر
٦٤٤	عاطف كرم
٥٢٤، ٥٢١	عامر بن فتوح الفاخوري
٥٣٨	عامر بن محمد
٦٥٤	عباس آغا
٦٦٠	عباس حسن درويش
١٤٥	أبو العباس الصفري
٦٣٦	عباس عبدالوهاب علي فارس الصالح
١٣٧	العباس بن محمد
١١٢	العباس بن الوليد بن عبدالملك
٦٥٥	عبدالله أفندي
٢٤٨	عبدالله بن أسعد بن سلمان اليافعي
٦٠٠	عبدالله جقمان بن يوسف
٥٦٩	عبدالله بن حامد
٦٣٧، ٦٢٧	عبدالله حنا
٣	عبدالله بن رواحة
١١٤	عبدالله بن صالح بن علي الهاشمي
١٨٦	عبدالله الصديق

١١٤	عبدالله بن طاهر
١٩٩، ١٨٦	عبدالله بن عباس
٥٢٤	عبدالله بن عبيد
٤٤٣	عبدالله بن محمد عبدالمحسن المطوع
٢٠	عبدالله النسور
٦٥٩	عبدالله يحيى
٢٤٧	عبدالله يوسف الغنيم
٣١١، ٣١٤، ٣١٦، ٣١٧، ٣١٨،	عبدالباقي الأيوبي
٣٢٠، ٣٢٤، ٣٢٧، ٣٢٩، ٣٣٨،	
٣٤٧، ٣٤٩، ٣٥١، ٣٥٤، ٣٥٦،	
٣٥٧، ٣٦٣، ٣٦٩، ٣٧١،	
٢٥٢	عبدالجبار زكار
٦٢٤	عبدالجليل التميمي
١٧٧	ابن عبدالحديد ، عبدالحמיד بن هبة الله
١٦٨	ابن عبدالحق ، صفى الدين البغدادي
٢٠٠	ابن عبدالحكم ؛ أبو محمد بن عبدالله بن عبدالحكم
٦٥٤	عبدالحليم أفندي
٣٦٧، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧١،	عبدالحמיד الثاني - السلطان
٦٤٣، ٦٤٦،	
١٧٢	عبدالحמיד الدواخلي
٦٥٩	عبدالحמיד شنبور
٢٥٤	عبدالحמיד صالح حمدان
٦٥٩	عبدالحמיד كريمة
٤٤٣	عبدالحמיד هنداوي أبو الشوارب
٢٧٧	عبدالحنان الحلوة

٦٥٥	عبدالرحمن أفندي
٥١٥	عبدالرحمن بن حسن
٤٤٥	عبدالرحمن بن شهاب الدين
٥٤١	عبدالرحمن غضية
٦٥٥	عبدالرحمن كامل
٦٦٠	عبدالرحمن كمال
٦٥٥	عبدالرحمن ناصر
٢٧٩	عبدالرحمن بن يحيى بن علي اليماني
١٣٤	عبدالرحمن بن يحيى المعلمي
٤٥٣	عبدالرحيم بن إبراهيم
٦٥٨	عبدالرحيم ذو النون الحديشي
٥٤١	عبدالرزاق بن غضية
٦٢٧	عبدالزهرة مكطوف الجوراني
٦١٥	عبدالسلام إبراهيم عايش
٦٥٥ ، ٦٥٤	عبدالعزيز أفندي
٦٤٧ ، ٥٧٩	عبدالعزيز الأول - السلطان
٦٣٢ ، ٢٧٨ ، ١٧٢ ، ٦٣	عبدالعزيز الدوري
٦٣١	عبدالعزيز سليمان نوار
١٩٨	عبدالعزيز بن عبدالله بن باز
٣٤٣ ، ٣٣١ ، ٣٢٧ ، ٣٢٦ ، ٣٢٤	عبدالعزيز محمد عوض
٣٥٩ ، ٣٥٨ ، ٣٥٥ ، ٣٤٩ ، ٣٤٨	
٦٣٤ ، ٦٣٠ ، ٤٠٢ ، ٣٧٢ ، ٣٦٩	
٦٦٧ ، ٦٦٥ ، ٦٤٤ ، ٦٤٣ ، ٦٤٠	
٦٦٠	عبدالغني بيضون
٦٥٤	عبدالفتاح أفندي

٥٤١	عبدالقادر
١٧٨	عبدالقادر أحمد بدران
٢٩٥	عبدالقادر الأرناؤوط
٣٩٢	عبدالقادر بركة زادة أفندي
٦٥٩	عبدالقادر ذوق
٢٣٠	عبدالقادر الريحاوي
٥١٤	عبدالقادر بن سالم
٥٤١	عبدالقادر السباهي
٤٩٩	عبدالقادر بن فتح الدين الصائغ
٦٥٩	عبدالقادر نعماني
٣٨٠، ٣٤٠، ٣٣٩، ٣٢٥، ٣٢٤	عبدالكريم رافق
٦٤٢، ٦١٠، ٦٠٩، ٦٠٨، ٣٨٧	
٤٤٢	عبدالكريم زيدان
٤٩٦	عبدالكريم بن شرف الدين بن جمال الدين بن الصامت القادري
٦٦٥، ٦٦٢، ٦٥٣، ٦٢٢	عبدالكريم غرايبة
٥٤١	عبدالكريم بن مراد
٥١٥، ٥١٣	عبداللطيف البرغوثي
٢٩٢	عبداللطيف التاجي
٦٢٩، ٤٩٢	عبداللطيف الحارس
٥٨٥	عبداللطيف الحسيني
٦٥٤، ٦٥٢	عبداللطيف خطيب أفندي
٦٥٥	عبداللطيف سعيد
٥٦٢	عبداللطيف بن محمد اللطفي
٦٣٦، ٦٣٣، ٦٢٨، ٣٥٠، ٣٤٥	عبدالمجيد الأول - السلطان
٥٣١	عبدالمجيد القيسي

٢٩٢	عبدالمجيد أبو الهدى
١٢٠	عبدالمملك بن صالح
١٥٢، ١٧٧، ١٧٩، ١٨٢، ١٩٣،	عبدالمملك بن مروان - الخليفة
١٩٦، ٢٠٠، ٢٠٥، ٢٠٦	
١٧٥	عبدالمنعم عبدالله عامر
٥١٦	عبدالنبي بن والي السباهي
١٨٣	عبدالهادي أبو ريذة
٦٢٩	عبدالوهاب القيسي
١٣٥، ١١٤، ٩٢،	ابن العبري ؛ غريغوريوس بن الشماس
١٦٢، ١٥٥، ١٥٤، ١٤٩، ١٤١	هارون بن توما اللطي ٩٢، ١١٤، ١٣٥،
٢٠٥	عبيدالله بن زياد
٥١٦، ٥١٥	عبيد بن حسين
٥٦٥	عبيد بن زيدان
١٧٧، ١٨٧، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٠،	أبو عبيد ؛ القاسم بن سلام
١٩١، ١٩٢	
٣١٢، ١٤٧، ١١٠	أبو عبيدة
١٩٥، ١٩٣	عثمان بن حنيف
٨٦، ١٨١، ١٨٢، ١٩٠، ١٩١،	عثمان بن عفان - الخليفة
٢٠٦، ٣١٥، ٣١٦	
٦٥٩	عثمان علم الدين
١٧٠	عثمان ، فتحي
٥١٦	عثمان بن موسى
٣٠١	عدنان درويش
٨٨، ٨٥،	ابن العديم ؛ كمال الدين عمر بن هبة الله بن أحمد بن أبي جرادة
٩٠، ٩٤، ٩٥، ٩٦، ٩٨، ١٠٠،	جرادة ٨٥، ٨٨،

، ١٠٥، ١٠٤، ١٠٣، ١٠٢، ١٠١
، ١١٥، ١١٣، ١١٢، ١٠٨، ١٠٧
، ١٢٠، ١١٩، ١١٨، ١١٧، ١١٦
، ١٢٥، ١٢٤، ١٢٣، ١٢٢، ١٢١
، ١٣١، ١٢٩، ١٢٨، ١٢٧، ١٢٦
، ١٣٨، ١٣٦، ١٣٥، ١٣٣، ١٣٢
، ١٤٧، ١٤٣، ١٤٢، ١٤١، ١٤٠
، ١٥٥، ١٥٤، ١٥٣، ١٥٢، ١٥١
٢٩٥، ٢٩٤، ٢٨٥، ٢٧٩، ١٥٦

٢٢٩

عرفان سامي

٤٥٩

عزالدين الديري الحنفي

٦٥٩

عزرة لنبادو

٥٤٢، ٥٠٦

عساف بك

٥٥٧

عساف بن فروخ - بك

٤٩٨

عساف بن محمد - بك

، ١١٢، ٨٥ ابن عساكر ؛ أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي
، ١٧٦، ١٥٦، ١٣٩، ١٢٧، ١٢٢
، ١٨٩، ١٨٨، ١٨٢، ١٨١، ١٧٨
، ٢١٦، ٢٠٧، ٢٠٦، ٢٠٢، ١٩٢

٢٩١

٨٩

عصام الشحادات

٥٤٢

عصام ناجي

العطار ، محمد حسين العطار الدمشقي ٢٠٦

١٥٩، ١٥٣

العظيمي ؛ محمد بن علي الحلبي

٢١٣

عفيف بهنسي

٣١٣، ٣٠٧، ٣٠٦	عفيف الترك
٥٤١	عفيف الدين الديري
٦٢٣، ٥٨٢، ٣٤٣	عفيفة البستاني
٦٩٢، ٦٨٦، ٦٧٨، ٦٧٦	عقل ، محمد
٥٥٧، ٥٥٦	علاء الدين أفندي
٣٢٩	علاء الدين ابن عابدين
٤٥٩	علاء الدين بن فتح الدين الصائغ
٤٦١	علاء الدين بن محمد الخماس الرملاوي
٨	أبو العلاء المعري
٦٥٤	علي أبو أحمد
٥١٥	علي بن أحمد الدنف
٤٩٩	علي أغا
٣٣٧	علي أفندي
٥٦٢	علي باشا - الأمير
٥٠٧	علي بالي السباهي
٥١٢	علي الثوري
٥١٣، ٥١٢	علي جاويش الصوافيري
٥٢١	علي جاويش بن فرج
٦٥٤	علي جبلاوي افتجي
٨٧	علي حبيبة
٦٢٦	علي الحسني
٦٥٤	علي خطيب
٥٣٨، ٥٣٧	علي بن ربيع
٥٢١	علي بن رمضان
٢٩٤	علي السيد علي

٥٨٥	علي شوكة
١٧٥، ١٨٩، ١٩٠، ١٩١، ١٩٥،	علي بن أبي طالب
٣١٤، ١٩٧	
٥٢٤	علي بن عبدالله - أغا
٥١٥	علي بن عبدالكريم القرعي
٥٦٣	علي بن عليم
٥٠٠	علي بن علي المشهور بأبي هريرة
٦٩١	علي فؤاد
٦٥٦	علي فوزي
١٦٨	علي محمد البجاوي
٥٣٧	علي بن محمد بن عامر بن يحيى
٥٦٧	علي بن مصطفى الجوريجي
٤٢	علي أبو ملحم
٢٨٤	علي المنتصر الكتاني
٥٠٦	علي الهكاري
١٤٩	علي بن يحيى الأرمني
٥٦٨	علي بن يوسف كيوان
٦١٣، ٦١٤، ٦١٥	عليان عليان
٢٨١، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٩٣، ٢٩٤،	العلمي ؛ مجير الدين الحنبلي
٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٨، ٢٩٩،	
٣٠٠، ٣٠١	
٦٢٣، ٦٣٩	عماد أحمد الجواهري
٢٥٤، ٢٥٢	ابن العماد الحنبلي ، عبدالحى بن أحمد بن محمد العكري
٢٥٦، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٧٣، ٢٧٤،	
٢٩٥	

، ١٧٨ ، ١٧٦ ، ١٧٥ ، ١١١ ، ٨٦	عمر بن الخطاب - الخليفة
، ١٨٨ ، ١٨٧ ، ١٨٦ ، ١٨١ ، ١٨٠	
، ١٩٣ ، ١٩٢ ، ١٩١ ، ١٩٠ ، ١٨٩	
، ٢٠١ ، ٢٠٠ ، ١٩٩ ، ١٩٧ ، ١٩٥	
، ٣١٢ ، ٣١١ ، ٣٠٧ ، ٣٠٦ ، ٢٠٥	
، ٣٢١ ، ٣١٧ ، ٣١٦ ، ٣١٥ ، ٣١٣	
٥٦٣	
٦٨٢	عمر زعيتر
٢٩٥	عمر بن سعيد التلمساني
، ٢٥٢ ، ٢٤٩ ، ٢٢٤ ، ١٨١ ، ١١٣	عمر عبدالسلام تدمري
٢٦٠ ، ٢٥٤	
٢٠٦ ، ٢٠٥ ، ٢٠٢ ، ٢٠٠ ، ١٧٨	عمر عبدالعزيز - الخليفة
٤٣٨	عمر بن عثمان الجرسقي
٥٦٠ ، ٥٥٩	عمر كتحدا - أغا
٥٤١	عمر المفتي
٢٠٥	عمر بن هبيرة الفزاري
١٢٦	أبو عمرو قاسم بن أبي داود الطرسوسي
١٣٢	عمرو بن كلثوم
١٧٦	عمرو بن مخرمة العمروي
، ٢٨٠	العمرى ؛ شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العدوي
٢٨٧	
٦٠٠	عودة بن جريس بن القسيس بنايوت الرومي
٥٩٦	عودة نصرالله
٤٦٣	أبو العون الديري
٤٩٧	عون بن يعقوب

٥٤١	عيسى إسكندر معلوف
٢٩١	عيسى بن الياس الحسين
٥٩٦	عيسى البطاح
٥٨٤	عيسى البندك
٥٨٤	عيسى الحزين
٦١٠ ، ٥٩٧	عيسى بن حنا الجدي
٥٩٧	عيسى بن خليل بن انطون الجعار
٦٥٨	عيسى سليمان أبو سليم
٥٩٦	عيسى أبو سلمية
١٥٣	أبو عيسى صالح بن محمد الهاشمي
٥٩٦	عيسى عوض
٦٩٦	عيسى العيسى
٤٧٤	عيسى بن فضل النصراني
٥٩٥	عيسى بن محمد بن محمد الفاغوري
٥٩٧	عيسى بن يوسف بن إبراهيم أبو العراج
٢٥٥ ، ٢٥١ ، ٢٥٠ ، ٢٤٩ ، ٢٤٨	العيني ؛ بدر الدين محمود
٢٧٥ ، ٢٦٨ ، ٢٦٦ ، ٢٦٥ ، ٢٦٣	
٤٤١	

- غ -

٤٦٣ ، ٤٣٩	الغزالي ؛ أبو حامد محمد بن محمد
٢٢٨ ، ٢٢٧	غزوان ياغي
٢٨٧ ، ٢٨٦	الغزي ؛ كامل بن حسين بن محمد بن مصطفى البالي الحلبي
٦٩٥ ، ٢٩٦ ، ٢٩٤ ، ٢٨٨	
٥٤٦	الغزي ؛ نجم الدين محمد بن محمد
٢٨٣	غسان محيبش

- ف -

- ٦٥٤ فارس نمر شديد سليم فرنسيس
 ٢٧٨ فاروق سعد
 ٦٣٥ ، ٥٠٣ ، ٤٨٠ ، ٤٤٦ فاضل بيات
 ، ٤٨٢ ، ٤٤٧ ، ٢٦٠ ، ٢٥٣ ، ٢٤٩ فالتر هنتس
 ٥١٠ ، ٥٠٩ ، ٤٩٧
 ١٣٨ ، ١٢٠ فالح البكور
 ، ١٢٨ ، ٩٢ ، ٨٣ ، ١٦ ، ١٥ ، ١٤ فالح حسين
 ١٩٩ ، ١٩٧
 ، ٣٨٧ ، ٣٨٦ ، ٢١٦ الأمير - الشهابي - الدرزي
 ، ٥٤١ ، ٥٤٠ ، ٤٣٠ ، ٤٠١ ، ٣٩٥
 ٥٤٩ ، ٥٤٢
 ، ١٠٣ ، ١٠٢ ، ١٠١ ، ٩٧ ، ٩٥ ، ٩٠ أبو الفداء ؛ عماد الدين إسماعيل بن علي
 ، ١١٨ ، ١١٦ ، ١٠٦ ، ١٠٥ ، ١٠٤
 ، ١٢٤ ، ١٢٢ ، ١٢١ ، ١٢٠ ، ١١٩
 ، ١٣١ ، ١٣٠ ، ١٢٩ ، ١٢٦ ، ١٢٥
 ، ١٥٢ ، ١٥١ ، ١٤٨ ، ١٤٦ ، ١٣٦
 ، ٢٥٧ ، ٢٥٥ ، ٢٥٢ ، ٢٥١ ، ١٥٣
 ٢٦٧ ، ٢٦٤ ، ٢٦١ ، ٢٦٠
 ٤٢١ الفراء ؛ محمد علي
 ٢٥٥ ، ٢٤٩ ، ٢٤٨ ابن الفرات ؛ ناصر الدين محمد بن عبدالرحيم
 ٥٦٥ فراج بن مرعي
 ١٤٦ أبو فراس الحمداني ؛ الحارث بن سعيد

٦١٦	فراس رحال
٦٥٦	فرج سعيد
٣٠	أبو الفرج العش
١٧٣	فرحات ، أديب
٥١٤	فرحات بن إسماعيل
٥٩٥	فرنسيس بن الياس
٦٥٩	فرنسيس شبطني
٦٦٣	فرنكو باشا
٥١٣	فرهاد بن عبدالله
٤٦١	فروخ شهاب الدين
٥٤٢	فروخ بن عبدالله باشا
٤٧٤	ابو الفضل الكاربي
٩٦ ، ٩٥ ، ٨٨ ، ٨٦ ، ١٩	ابن الفقيه الهمذاني ؛ أبو بكر أحمد بن محمد
٢٧٩ ، ١٢٦ ، ١٢٣ ، ١٠٠ ، ٩٨	
٥٨٧	فكتوريا ارطاس
٦٢٣ ، ٥٨٢ ، ٣٤٣	فلاديمير مورسيوفيتش لوتسكي
١٨٣	فلهاوزن ، يوليوس
٥٦٣	فهد أبو السعود بن محمد
٢٥٥	فهيم عليوي شلتوت
٦٦٥	فؤاد افرام البستاني
٥٤٢ ، ٥٤٠	فؤاد البستاني
٨٤	فؤاد سزكين
٢٢٦ ، ٢٢٤ ، ٢١٩	فؤاد يحيى
٦٥٤	فوزي أفندي
٢٤٧ ، ٥	فوزي الطواهيّة

١٧١	فوزي فهيم جادالله
٣٤، ٢٠	فوزي محمد عبيدات
٦٨٨	فيصل بن الحسين - الأمير
٢٤٩	فيصل بني حمد
٥٨٦	فيلاسكي أنطون
٦٤٤	فيلرس
١٧٠، ٣٠، ١٥، ١٤، ١٣	فيليب حتي
٥٨٧	فين - القنصل البريطاني

- ق -

٤٧١، ٤٦٥، ٤٦٠، ٤٥٩	قاسم بن أحمد الصعبي
٢٢٣	قاسم طوير
٥٢٣	أبو القاسم الهكاري
٤٠٥	القاضي انطون
٢٦٤، ٢٦١، ٢٥٨، ٢٥٧	ابن قاضي شهبة ، تقي الدين أبو بكر بن أحمد
٣٠١، ٢٧٣، ٢٧٢، ٢٦٨	
٢١٧	قانسوه الغوري
٥٦٧	قبلان باشا
٥٩٩	قبلان بن بطرس دحدح
١٩٧، ١٩٦	ابن قتيبة الدينوري ؛ أبو محمد عبدالله بن مسلم
٢٢٠	قتيبة الشهابي
١١١، ٩٨، ٩٥، ٨٦، ٨٥	ابن قدامة ؛ أبو الفرج قدامة بن جعفر البغدادي
١٨٧، ١٨٠، ١٧٦، ١٧٥، ١٧٤	
٢١٠	
٦٤٧	قدري قلعي

٤٤٣، ٤٤٢، ٤٤١، ٤٤٠	القرني ؛ علي بن حسن بن علي
٢٧٨، ١٦٩، ٣١، ١٠	القزويني ؛ زكريا بن محمد بن محمود
٢٤٨	قسطنطين زريق
٦٩، ٦٨، ٦٧، ٦٦	قسطوس بن لوقا البعلبيكي
٥٠١	قلقز سنان
٤٣٩، ٤١٤، ٢٨٧	القلشندي ؛ أحمد بن علي
١٤٣	القلي
٦٥٩	قيصر نوفل

- ك -

٥٨٩	كاثرين توبن
٥٨٠	كارل بروكلمان
٢٢٣	كارل ولتسينجر
٤٨٢، ٤٥٨، ٤٤٧، ٤٤٥، ٢٤٩	كامل جميل العسلي
٥٢٣، ٥١٨، ٥١٢، ٥١٠، ٥٠٣	
٦٧٣، ٦١٧، ٥٢٦، ٥٢٥	
٢٠٩، ٢٠٣	الكبيسي ، حمدان عبد الحميد
٢٢٠، ٢١٩	ابن كثير ؛ عماد الدين أبو الفداء الحافظ إسماعيل بن عمر
٢٥٨، ٢٥٦، ٢٥٢، ٢٥٠، ٢٤٩	
٢٦٥، ٢٦٤، ٢٦٣، ٢٦١، ٢٦٠	
٢٨٠، ٢٧٣، ٢٧٢، ٢٦٨، ٢٦٧	
٤٤٣، ٣٠٠، ٢٩٠	
٤٤٥	كريم الدين بن هبة الله
٢٤٥	كريم عسقول
٦٧٣، ٦١٧	الكزاندر شولش

٦٤٦، ٦٤٥	كلود دوبار
٥٩٠	كلاودو الأسباني - أب
٥٥٢	كمال خوجة
٥٤٨، ٥٣٩	ابن كنان ، محمد بن عيسى الدمشقي
٦٩٠	كوردليب يعقوب شوماخر
٨٨	كوركيس عواد
١٣، ١٢	ج . كونتنو
٦٧٧	كوندر
٢٩٢	كورنيلوس بن يعقوب - خواجه
١٦٧	كين

- ل -

٦٦٤، ٦٦٣	لحد خاطر
١٠١، ١٠٠، ٩٨، ٩٦، ٩٥، ٨٨	لسترنج ، كي
١١٣، ١١٢	
٦٩٤	اللنبي - الجنرال
٣٥٠، ٣٤٩، ٣٤٨، ٣٤٧، ٣٤٥	لوتسكي
٦٣٣، ٦٢٦، ٣٥١	
٦٤	لوكاس
١٨٦	أبو لؤلؤة المجوسي
٦٦٥، ٦٢٦، ٦٢٥، ٦٢٤	لويس معلوف
٤٣٨	ليفي بروفنسال
٥٠٢، ٤٩٥، ٤٩٠، ٤٨٨، ٤٨٦	ليلى الصباغ
٦٢٩، ٥٢٩، ٥٢٦	

- م -

١١٤	مار غريغوريوس صليبا شمعون
١١٤	مار غريغوريوس يوحنا إبراهيم
١١٤، ١٣٢، ١٤١، ١٥٢، ١٥٣،	مار ميخائيل السرياني
١٥٧، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٠، ١٦١،	
١٦٢	
٥٩٢	ماري اليزا
٥٩٤	ماريا بنت انطون بن عويس اللاتيني
٤٢٠	مارون عيسى الخوري
٦٤٢، ٦٤٣، ٦٤٤، ٦٥٧، ٦٦١،	ماري سركو السكيف
٦٦٥	
٤٣٨	المالقي ؛ محمد بن أبي محمد السقطي
٢١٠، ٢١١	المأمون بن هارون الرشيد
١٧٩، ١٨٠، ١٨٦، ١٩٢،	الماوردي ؛ أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب
١٩٣، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٧،	
١٩٨، ١٩٩، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٥،	
٢٠٨، ٤٣٨، ٤٦٣،	
٦٩٣	مايروفيتش
٥٨٤	مبارك أبو خليل
٢٦٩	مبارك محمد الطراونة
٤٤٢، ٤٧٨، ٤٨٠، ٤٨١، ٦٥٣،	مباهات كوتك أوغلي
٣٨١، ٣٨٣، ٣٩١، ٣٩٥،	المحاسني ؛ يحيى بن أبي الصفا احمد بن محاسن
١٨٨	محب الدين أبي سعيد عمر العمروي
٤٥٧	محب الدين السكري
٨٥	محب الدين عمر بن غرامة العمروي
٣٥، ٣٦	محب نادر

٢١٦، ٢٣١، ٥٢٩، ٥٤٠، ٥٤١،	الحبيبي ؛ محمد أمين بن فضل الله
٥٤٣، ٥٤٩، ٥٥٦، ٥٥٧، ٥٦٢،	
٥٤٣	محمد - الأمير
٦٥٤	محمد بك
٣٨٨	محمد بن إبراهيم آغا
٦١٥	محمد إبراهيم عايش
٤٧٨	محمد أبشرلي
٢٥٠، ٢٥٩، ٤٤٤،	محمد أحمد دهمان
٥٠٤، ٥٠٧، ٥١٤، ٥١٨، ٥٦٦،	محمد أحمد سليم اليعقوب
٥٨٨	محمد أحمد صالح ريان
٥٢٦	محمد بن احمد طراباي
٤٦١	محمد بن أحمد القواس الغزي
٥٥٥	محمد بن أحمد قيقان
٦١٢	محمد أسعد الحسيني
٢٥٠	محمد أسعد طلس
٦١٥	محمد بن اسماعيل أحمد سعد
٦٢	محمد الأشرم
٣٨٤	محمد آغا شعيب
٤٥٢، ٤٦٩،	محمد بن الأقرع
٣٢٩	محمد أمين الجندي
٦٣١	محمد أنيس
٥٤٠	محمد باشا
٣٠٦	محمد بدران
٤٦٠، ٤٦٣، ٤٧٠، ٤٧٢، ٤٧٤،	محمد بن بدر الدين بن زريق
٣٥٠، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤١٠، ٤١١،	محمد بهجت

٦٤٩، ٦٢٤، ٦٢٣، ٤٣١، ٤٢٠

١٨٦، ١٨٣، ١٧٧

٤٤٩

٤٧٨

٦٥٧

٣٢٠

٢٨١

١٧٤

٦٠٤

٥٦٩، ٥٦٨، ٥٣١

٥١٥

٤٦٨

٥١٦

١٨٧، ١٧٤، ٨٥

٢٨٧، ٢٧٠

٤٦٨

٢٨٣

٥١٦

٦٥٩

٤٧٣

١٨٧

٥٤١

٦٧٣

٣٢٩، ٣٢٨، ٣١٩

٣٦٧

محمد بهجة الأثري

محمد البهلول

محمد التميمي

محمد توفيق المرعشلي

محمد الثاني (الفاتح) - سلطان

محمد جابر الحسيني

محمد جابر عبدالعالي الحسيني

محمد جرادات

محمد الجوقدار

محمد بن ابي حامد

محمد بن الحسيني

محمد بن حسن

محمد حسين الزبيدي

محمد حسين شمس الدين

محمد الحلبي

محمد حلمي محمد أحمد

محمد بن حميدة

محمد حناوي

محمد بن خليل بن عليان

محمد خليل هراس

محمد دزدار - أغا

محمد رشاد - السلطان

محمد أبو زهرة

محمد أبو زيد

٥٥٢	محمد ساحلي أوغلي
٥١٥	محمد بن سالم
٥٦٥	محمد بن سبع
٤٤٨	محمد بن سعيرين
٦٥٩	محمد سعيد الزعيم
٤٥٦	محمد سعيد القاسمي
٥٩٥	محمد شختور
٢٨١	محمد شفيق غربال
٦٥٥	محمد صبري
٥٩٩، ٥٩٨	محمد الصفدي
١٩٠، ١٨٥، ٥	محمد ضيف الله بطاينة
٦٦٠	محمد الطاهر
٢٩٢	محمد الطراونة
٦٥٥، ٦٥٤	محمد ابو ظهر أفندي
٥١٤	محمد بن عبد الجواد
٦٥٨	محمد عبد القادر خريسات
١١٥	محمد بن عبد الملك
٢٥٤، ١٢	محمد عبد الهادي شعيرة
٣٩٧، ٣٨١، ٣١٩، ٨، ٥، ٣، ٢	محمد عدنان البخيت
٥١١، ٤٨٠، ٤٧٩، ٤٧٨، ٤٥٤	
٥٣٨، ٥٣٧، ٥٣٤، ٥٣٣، ٥٣٢	
٥٥٠، ٥٤٣، ٥٤٢، ٥٤١، ٥٣٩	
٥٧٨	
٦٤٨، ٢٢٥	محمد عزة دروزة
٦٦٣	محمد عصفور سلمان الاموي

٥٦٧	محمد عطا الله تفسيري زادة
٢٧٠	محمد عطية أبو هويشل
٢٢٨	محمد علام فوزي
٥٨٥ ، ٥٨٠ ، ٤٠٢ ، ٣٤٤ ، ٣٤٠	محمد علي باشا
٦٣٣ ، ٦٣٠	
٦٨٧	محمد علي الدجاني
٥٩٦	محمد بن علي شوكة
٤٦٨	محمد بن عمران
٥٦٩	محمد بن عنتر بن مقبل
٥١٣	محمد بن عون
٥٦٣	محمد أبو العون الغزي
٤٧٨ ، ٢٧٨	محمد عيسى صالحية
٦٤	محمد غنيم
٢٨٠ ، ١٨٦ ، ١٧٧ ، ٨٤	محمد أبو الفضل إبراهيم
٥٦١	محمد بن قبرنس
٥٨٧	محمد القرنة
٤٦٩	محمد قزوع
٦٥٤	محمد كامل ميقاتي
٢٨٨ ، ٢٨٧ ، ٢٨٦ ، ٢٠٨ ، ١٧٣	محمد كرد علي بن عبدالرزاق
٦٩١ ، ٦٢٤ ، ٢٩١	
٢٤٩ ، ٢٤٨ ، ١٢٠	محمد كمال
٤٧٠ ، ٤٦٩	محمد بن المجرد
٥٨٠	محمد المحافظة
٥٦١	محمد بن محمد
٢٤٨	محمد محمد أمين

٤٣٩	محمد محمود شعبان
٥٠٠	محمد بن محمود بن نجم الدين الغزي
٢٠١، ١٨٦	محمد محيي الدين عبدالحميد
٢٨٢	محمد مخزوم
٢٠٢	محمد بن مسلم
٥٥٥، ٥٠٦، ٢٥٣	محمد بن مصطفى الينكجري
٢٠٧	محمد المهدي
٤٦٩	محمد الهريري
٥٤٦	محمد أبو الوفا
٤٧٣	محمد يازجي
٢٩٥	محمد الأرنأؤوط
٣٤٢	محمود الثاني - السلطان
٦٢٢	محمود الجركس
٤٦٢	محمود حداد
٦٩٠	محمود حمدان
٢٥١	محمود ديوب
٤٧٧، ٦	محمود سعيد أشقر
١٨٦	محمود شكري الألوسي
٥٤٦	محمود الشيخ
٦٦٤	محمود صالح سعيد عبدالله
٥٠٦	محمود بن عبدالرزاق القناعي
٣٦٧	محمود عبدالكريم
٦٣٠	محمود علي عامر
٦٨٤	محمود مصطفى
٦٦٦	محمود يزيك

١٧٠	محمود يوسف زايد
٤٦٣	محيي الدين بن ربيع
٢٥٤	محيي الدين بن عبدالظاهر
٦٥٣، ٦٤٧، ٦٤٦	مدحت باشا
٣٨١	مراد أفندي
٥٦٥	مراد بك
٢٥٤	مراد كامل
٥٦٤	مراد بن محمد السباهي
٥٦٦	مراد بن يوسف
٥٤٢	المرادي ، محمد بن خليل
٥٤٤	مرتضى باشا
٦٥٥	مرجان أفندي
٦٦٠	مرجان سامر
٥٦٤	مرعي بن بداح
٢٧٠	مرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي
١١٢	مروان الثاني - الخليفة
٢٢٥	مروان أبو خلف
٥٠١	مريم بنت عبدالقادر جلبي الخلوتي
٥٦٤	مساعد بن فراج
٢١٩	المستنصر بالله العباسي - خليفة
٩٠، ٩٥، ٩٦، ٩٧، ٩٨، ١١٠،	المسعودي ، علي بن الحسين بن علي
١١٤، ١٢٠، ١٢٧، ١٢٨،	
١٤٤، ١٥٠، ١٥١، ١٨٦،	
١٥٥	أبو مسلم الخراساني
٥٩٦	مسلم خمشته

٦٥٩	مصباح غندور
٥٠٦	مصطفى أغا
٦٥٤	مصطفى أفندي
٢٥٢	مصطفى حجازي
٦٥٤	مصطفى حسن أفندي
٦٣٨	مصطفى الحسيني
٦٦٠ ، ٦٥٤	مصطفى خيزران
٦٣٢ ، ٦٢٨	مصطفى رشيد باشا
٢٥٠	مصطفى زيادة
٢٠٠ ، ٩٠	مصطفى السقا
٤٩٨	مصطفى بن سليمان الشهير بطوقلي زادة - أغا
٦٥٤	مصطفى عاصم أفندي
٥٤١ ، ٥٤٠ ، ٥٢٣	مصطفى بن عبدالله السباهي
٥٣٧	مصطفى بن عبدالله الشهير بمرطوس زادة
٢٩٢	مصطفى بن عبدالرحمن قادق
٢٥٢	مصطفى عبدالقادر عطا
٦٥٩	مصطفى عزالدين
٦٧٥	مصطفى العطارى
٥٤١	مصطفى العلمي
٥٥٩	مصطفى العوني
٥٦٦	مصطفى بن محمد
٦٨١	مصطفى محمد الرعب
٦٥٤	مصطفى نورالله
٤٧٤	مظفر بن أرغون
١٩١ ، ١٨٩	معاذ بن جبل

٥١٠	معالي بن علي
١٧٩ ، ١٧٦ ، ١٧٣ ، ١١٢ ، ٨٥	معاوية بن أبي سفيان - الخليفة
٢٠٥ ، ١٩٦ ، ١٨٤ ، ١٨٢ ، ١٨١	
٢١١ ، ٢٠٦	
٢٢٠ ، ١٩٨	المعتضد العباسي - خليفة
٦٨٦	معطي ؛ علي
٢٧٧	معلا ؛ جميل
٥٦٥	معن بن سليمان
١٨٦	مغيرة بن شعبة
٥٥٥	مفرج السامري
	المقدسي ؛ شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر البيشاري
١٠٩ ، ١٠٢ ، ٩٦ ، ٩٥ ، ٩٤ ، ٨٨	
١٤٣ ، ١٣٩ ، ١٢٣ ، ١٢٢ ، ١١٧	
٢٨٩ ، ٢٨٥ ، ٢٨٤ ، ٢٨٢ ، ١٦٧	
٢٩٦ ، ٢٩٥	
	المقرئزي ؛ أبو العباس تقي الدين أحمد بن علي بن عبدالقادر الحسيني
٢٤٨ ، ٢٢٦ ، ٢١٨ ، ٢٠٤ ، ١٩٨	العبيدي
٢٥٦ ، ٢٥٥ ، ٢٥١ ، ٢٥٠ ، ٢٤٩	
٢٦٣ ، ٢٦٠ ، ٢٥٩ ، ٢٥٨ ، ٢٥٧	
٢٦٨ ، ٢٦٧ ، ٢٦٦ ، ٢٦٥ ، ٢٦٤	
٢٨٩ ، ٢٨٣ ، ٢٧٥ ، ٢٧١ ، ٢٧٠	
٤٤١ ، ٣٠٠	
٢٠٨	ابن المقفع
٦٦٤	مكسيم رودنسون
٩ ، ٥	ممدوح عبدالخليم الخرابشة

١٦٢، ١١٣	المنبجي ، أغابوس بن قسطنطين
٢٨١	المنجم ؛ إسحاق بن الحسين
٦٥٤	منح الصلح بك
٣٨٤	منصور - أمير
١١٢	منصور بن جعونة العامري
٣٨٦	منصور عساف
ابن منظور ؛ أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأفرقي المصري	
١٣٤، ١٣٨، ٣١١، ٣١٢، ٣١٤،	
٣٤٨، ٣٢١، ٣١٥	
٤٢٠	منى حداد
٦٥٥	منيب أفندي
٥٨٠	منير البعلبكي
٨٣، ٥	المهدي عيد الرواضية
٦٣٨	مهدي محمد الأزري
١١٣	المهدي بن المنصور
٢٤١	مهدي اليوسف المرعبي
٥١٤	مهردادار بن حامد
٢٨٣	مهران
١٠٢، ١٠٤، ١١٦، ١٢٤، ١٢٦،	المهلبى العزيزي
١٣٠، ١٣١، ١٣٢، ١٣٣، ١٤٢،	
١٤٤، ١٥١، ١٥٥، ٢٧٩،	
٥٨٣	موسى إبراهيم الحرزي
٥٤١	موسى الأدهمي
٥٩٦	موسى بن الياس بن زبلح
٢٩٢	موسى باشا آل رضوان

٥١٥	موسى بن داود
٦١٠	موسى زيادة
٥٩٦	موسى بن سالم بن جريس الأعرج
٥١٥	موسى بن سعد
٤٩٩	موسى بن شرف الدين محمد بن زيد الدين عمر بن هارون
٦٥٥	موسى شلهوب
٣٤ ، ٣٢	موسى الصمادي
٤٧٣ ، ٤٦٠ ، ٤٤٨	موسى بن المعلم أبي اللطف بن داوود
١٨٩ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٧ ،	موستراس
٩٨ ، ١٠١ ، ١٠٨ ، ١٣٦	
٢٧	ميتمان
٦١٠	مخائيل حنانيا
٦٦٠	ميخائيل عيد
٦٨٨	ميخائيل عيسى العيسى
٦٠٩	ميخائيل أبو مخيلة
٥٩٤	ميخائيل بن يوسف بن انطون الكمنداري
٥٩٤	ميخائيل بن يوسف بن حنا الدبدوب اللاتيني
٥٤٠	ميرزا بن محمد
١١٠	ميسرة بن مسروق العبسي
٥٨١	ميلوني أندريان
- ن -	
١٣٦	النابعة الذيباني ، زياد بن معاوية
٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٨٥ ، ٥٣٨ ، ٥٤٣ ،	النايلسي ، عبد الغني بن إسماعيل
٥٤٤ ، ٥٦٥	
٣٢٤ ، ٣٨٧	نابليون بونابرت

٦٦٣	نادر العطار
٦١٤	نادية البطمة
١٠٧، ١٢٤، ١٢٦، ١٢٨، ١٣١،	ناصر خسرو
٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٦،	
٢٩٦	
٦٣	ناصر خصاونة
٦٥٤	ناصر قطران
٤٦٠، ٤٥٢،	الناصرى ، محمد بن علاء الدين بن المجرى المعروف بالشيخ باكير
٤٦٩	
٦٣١، ٦٣٥	نايف عبد نايف الجبوري
٣٥	نايل أبو شقرا
٢٨٧	نبيل خالد الخطيب
٥٨٠	نبيه أمين فارس
٥٩٧	نجمة بنت باني حنانيا
٦٥٤	نجيب ادلبي
٦٩١	نجيب الارمنازي
٦٥٩	نجيب بيهم
٦٠٠	نخلة بن جريس بن القسيس بنايوت الرومي
٥٦٣	نصرالله بن خير الدين
٥٦١	نصرالله بن محمد
١٧١	نصرالله ، محمد علي
١١٤، ١٥٢	نصر بن شيبث
٨٨، ٨٩، ٩١، ٩٢، ٩٣، ٩٤، ٩٦،	نصري ؛ كامل
٩٧، ٩٨، ١٠٢، ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩،	
١١٠، ١٣٦	

٢٢٥	نظمي الجعبة
٥٧٨	نعمان بن عبده القساطلي
١٩٩	النعمان بن مقرن
١٧٦	نعيم بن أوس
٦١	نعيم فرح
٢٩١ ، ٢٨٦	النعيمي ؛ عبدالقادر بن محمد
٦٥٤	نقولا حوري
١٧٤ ، ٨٤	نقولا زيادة
٥٩٦	نقولا صليبا
٢٦٧	نهى محمد مكاحلة
٦٢	أبو نواس
٤٥٤	نوح جلبي - أمير
٢١٩	نور الدين محمود - سلطان
، ٤٨٠ ، ٤٧٩ ، ٤٧٨ ، ٤٥٤ ، ٣٩٧	نوفان رجا الحمود السوارية
، ٥٣٧ ، ٥٣٣ ، ٥٣٢ ، ٥١١ ، ٤٩٣	
٥٦١ ، ٥٥٠	
٦٣٠ ، ٤٧٧ ، ٣٨٥ ، ٣٨٤	نوفل ، نعمة الله نوفل
، ٢٤٨ ، ٦٠ ، ٤٢	النويري ؛ شهاب الدين أحمد بن عبدالله بن عبد الوهاب
، ٢٥٧ ، ٢٥٦ ، ٢٥٥ ، ٢٥٤ ، ٢٥٢	
٢٦٨ ، ٢٦٤ ، ٢٦٣ ، ٢٦٠	
٣٢٧ ، ٣١٠	نيقولاي ايفانوف

- ه -

٥٨٠	هاتر بنت موسى العثماني
٢٥١	أبو هاجر محمد السعيد
٤٤١	الهادي - الخليفة
٦٢٣، ٥٣١، ٣٨٠	هارولد بوين
٢١١، ٢١٠، ٢٠٨، ١٣٧	هارون الرشيد
٦٤٣	هاشم صالح التكريتي
٦٢٣، ٥٣١، ٣٨٠	هاملتون جب
٢٥٦	هانس روبرت روير
٩٨	هانس فون مزيك
٦٦٦، ٦٣٨	ز . ي . هرشلاغ
، ٢١٤، ٢٠٦، ٢٠٥، ١١٣، ١١٢	هشام بن عبدالمالك - الخليفة
٢٢٦، ٢٢١	
٦٦٧	هند غسان أبو الشعر
٥٩٤	هيلانة بنت ثلجية الرومي

- و -

١٢٥، ١٢٣، ١١٠	الواقدي ؛ أبو عبدالله محمد بن عمر السلمى
٥٦٩	والي الدين بن محمد
٦٦٣، ٦٤٥، ٦٤٤، ٦٤١، ٦٢٤	وجيه كوثراني
٦٢	ابن وحشية ، أبو بكر أحمد بن علي بن قيس الكسداني
	ابن الوردى ؛ أبو حفص زين الدين عمر بن مظفر بن عمر بن محمد بن أبي
، ١٣٥، ١٣٤، ١٣٢، ١٢٩، ١٢٨	الفوارس الكندي
، ٢٦٠، ٢٥٨، ٢٥٧، ٢٥٥، ٢٥٢	
، ٢٨٣، ٢٦٧، ٢٦٤، ٢٦٣، ٢٦٢	

٢٨٩

٦٤٠

٢٩٢

ورنر

وسيلة بن طالب

الوطواط ، جمال الدين محمد بن إبراهيم بن يحيى الكتبي ٨٤، ٨٦، ٨٧ ،
٩٥، ٩٨، ١٠٠، ١٠١، ١٠٢، ١١٥ ،

١١٦، ١٢٨، ١٣٢

٣٠٦، ٣١٣

٥٥٥، ٥٧١

١٥٠، ٢٠٥، ٢٠٦

٦٦١

ول ديورانت

ولي الدين أفندي

الوليد بن عبد الملك

وليد العريض

- ي -

٥٤١

ياسين النحاس

اليافعي ، عفيف الدين أبو السعادات عبدالله بن أسعد ٢٥٢، ٢٥٤، ٢٥٥ ،

٢٥٦، ٢٦٥

٨٦، ٨٩، ٩٠، ٩١، ٩٣، ٩٤، ٩٥ ،

٩٦، ١٠٠، ١٠١، ١٠٢، ١٠٣ ،

١٠٤، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨ ،

١٠٩، ١١٢، ١١٤، ١١٧، ١١٨ ،

١١٩، ١٢٠، ١٢١، ١٢٢، ١٢٤ ،

١٢٥، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٨، ١٣١ ،

١٣٢، ١٣٣، ١٣٨، ١٣٩، ١٤١ ،

١٤٢، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٦ ،

١٤٨، ١٥٢، ١٥٦، ١٦٩، ٢٥٧ ،

٢٦٦، ٢٦٧، ٢٨٢، ٢٨٥، ٢٨٦ ،

٢٨٨

٦٥٩	اليهود دانا
٥١٨	يحيى بن أحمد الدجاني
١٩٢	يحيى بن آدم ؛ أبو زكريا بن سليمان
٥٦٠ ، ٥٤٥	يحيى باشا
٤٥٣	يحيى الحلبي
٢٨١ ، ١٠٧	يحيى الخشاب
٥٥٩ ، ٥٤٤	يحيى بن الشريف بركات الهاشمي
٨٥	يحيى عبارة
٢٠٥	يزيد بن عبد الملك
٢٢١ ، ٢٠٦ ، ٨٥	يزيد بن معاوية
٥٩٦	يعقوب اعمير
٥٩٧	يعقوب بن بنايوت حنانيا
٥٩٥	يعقوب بن الجعار
٦٠٠	يعقوب بن فرنسيس القطان
١٠٦ ، ٩٦ ، ٨٥	اليعقوبي ؛ أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح
١١٣ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١٢١ ، ١٣٦ ،	
١٧٨ ، ١٧٩ ، ٢١٥ ، ٢٢٦	
٣٩٥	يوحنا الزريبي
٥٨١	يوحنا موشولايم
٢٧٧ ، ٦	يوسف إبراهيم الزاملي
٦٥٤	يوسف اسكندر
٨٦	يوسف بن اليان سر كيس الدمشقي
٦٢٢	يوسف الحكيم
٥٤٤	يوسف بن حماد
٦٢٣	يوسف دبس

٥٥٤	يوسف الرضي اللطفي
٣٦٧	يوسف بن أبو زيد
٣٨٧، ٣٨٦، ٢٣٢	يوسف باشا سيفا
٦٣٣	يوسف الشهابي
٤٧٥	يوسف بن شوعا
٥٤٣	يوسف طراباي - الأمير
٥١٢	يوسف بن عبدالله
٥١٦	يوسف بن عبدالدايم
٣٢٧، ٣١٠	يوسف عطا الله
٢٠٥	يوسف بن عمر الثقفي
٢٩٣، ٢٤٧	يوسف غوانمة
٥٩٦	يوسف فاتولة
١٨٩، ١٨٣، ١٨٠، ١٧٦، ١٩١، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٥، ١٩٦،	أبو يوسف ؛ القاضي يعقوب بن إبراهيم بن حبيب
١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٨،	
٢٠٩	
٦٠٩	يوسف قطان
٥٩٦	يوسف اللاتيني
٥٤١	يوسف بن أبي اللطف
٥٤٥، ٥٤٨، ٥٦٧، ٥٦٨، ٥٧١،	يوسف بن محمد الشامية - أغا
٥٨٣، ٥٧٢	
٥٠١	يوسف بن محمد بن مرعي
٤٧٢، ٤٦٠	يوسف بن ميران المعروف بسويدان
٦٥٥	يوسف نفاع
٦٥٤	يوسف ثور أفندي

١٠٦، ٨٦	يوسف الهادي
٥١٢	يونس بن أحمد الصوباشي
٥٦١	يونس بن خيال
٥١٣	يونس السباهي
٥٢٣	يونس بن عبد الله
٥٦٥	يونس بن يحيى
٢٧٠، ٢٦٩، ٢٦٨، ٢٦١، ٢٦٠،	اليونيني ؛ قطب الدين موسى بن محمد
٢٧٤	

Personal Names

- A , B , C -

Abdul Qader Rihawi	223, 228
Adel Ismail	314, 315, 316, 320, 321, 323, 324, 325, 326, 328, 331, 338, 339, 341, 342, 345, 350, 358, 419, 422
Adnan Afteinan	433
Ali Haydar Midhat	647
Amnon Cohen	458, 459, 464, 543
Andre Latron	402
Andrew Dalby	12
Angeliki Laiou	11
Anthony Bryer	11, 13, 14, 15, 16
Antony Spawforth	29
Ariso	590
Bella Bordman	21
Bellarmino Bagatti	15, 70
Benjamin Braude	660
Benjamin Isaac	19
Bergheim , Samuel	392 , 398
Bernard Lewis	464, 627, 660
R . Birger - Calderon	77
Bozzolat	626
Brown	588

J . B . Bury	19
CL .Cahen	185
Cecile Morrisson	35
Charles Issawi	661
Charles Wilson	458
Christopher Lightfoot	21
Claude Conder	20, 22, 611, 677

- D ,E, F ,G -

Dorothea Bedigian	34
Edelson	25, 27
Edmund Allenby	691
Edmund Bouchier	30, 31, 34, 35
Edward Keith - Roach	675
Edward Robinson	590
D.Eitam	82
Elbridge Sibley	666
Eliseeff	84, 102, 111, 113
Elizabeth Jeffreys	13, 16, 18, 26, 29, 37, 38
Enver Behnan Sapolyo	628
Eric Meyers	39
M . Escaldi	338
Fawzi Zayadine	71
Felers	644
Finn	591

Francois - Rene de Chateaubriand	589
Franks Ross	666
George	14
George Michell	218
Glenn Considine	64
Graham Shipley	28

- H , I , J -

Hamdan Taha	39 , 42
Harry Luke	675
M . Heltzer	82
Hilma Granqvist	583
Ibrahim Abu A'mar	23
Ida Pfeifer	590
Isaac	30
Jacques Weuleresse	641
James Buckingham	589
Jean - Claude Cheynet	35
Jean Philippe	39
Jean Sauvaget	223
John Haldon	13
John Humphrey	37
John Salmon	28, 29, 42
Jolanta Mlynarczyk	21
Joshua Praver	279

-K , L , M, N -

Kamal Abdulfattah	492, 494
Karen Seger	583
Khader Salameh	443
H . H. Kitchner	611
A . Laiou	21
Larry Mays	17
Lutfi Khalil	71
Luther Fry	666
Mariti	588
Mariusz Burdajewicz	21
Mark Schuler	21
Marwan Abu Khalaf	23, 24, 25, 26, 27
Mary Elisa Rogers	587, 588, 592, 608, 611
Mauro Van Aken	39
Meron Benvenisti	279
Michael Eisenberg	21
Michael Niaounakis	33
Michael Maas	21
Mittmann	27
Mohammad Adnan Bakhit	464
Nina Heiska	20
Nurit Feig.	65

- P , R , S -

Patricia Crone	19
Paul Magdalion	21, 43
Peter Gransey	29
Petit Robert	309, 314
Phillip Baldensperger	583, 587, 604
Pliny	26
M . Outrey	338
Rafael frankel	82
Remy Courcier	39
Richard Bulliet	12
Robert Curtis	43
Robert Forbes	63, 64, 65
Robert Garland	43
Robert Hoyland	23
Robert Ibach	70
Robin Cormack	13
Roderic Davison	660
Ruti Erez Edelson	21
Salah AL - Houdalileh	23
Salam - Liebich	233
Sean Freyne	43
Shipley	29, 42
Shaykh Zayn al - Din Abd al -Rahman AL - Ayni	720
Shoshan Boaz	270, 271

D . Simon	21
Simon Hornblower	29
Sneersohn	591
Stesi Bius	17
Sylvester Saller	15, 70

- T , U , V , W , Y -

Timothy Gregory	22
Tobin	589
H . B . Tristram	22
Uriel Hyde	558
D .M .Varisco	278
Volney	588, 625
Wael Rashdan	71
William Miller	636
William Turner	589
Wolf - Dieter Hutteroth	492, 494
Yizhar Hirschfeld	19, 23, 24, 77

الجماعات والأسر والطوائف

- أ -

٦٣٧، ٣٧٠، ٣٠٥، ٢٥٢	الأتراك
٦١٠، ٥٩٥	الأرمن
٥٤٢	أسرة آل رضوان
٥٤٢	أسرة آل فروخ
٥٥٢، ٥٤٣، ٥٤٢	الأسرة الحارثية
٥٤٥	أسرة حكمت
٦٦٣	أسرة كوسا الحلبية
٣٤٣	أسرة مرعب بك
٦٥	الإغريق
٤٠٥	الأفرنج
٤٢٨، ٣٨١	الأكراد
٦٤٣	آل الأطرش
٦٤٣	آل الأيوبي
٦٤٣، ٣٧٢	آل الجزائري
٣٩٢، ٣٨٨، ٣٨٧	آل حمادة
٣٨٨	آل دندش
٤٣٠	آل الرشيد
٤٣٠، ٣٩٥، ٣٩١، ٣٨٧، ٣٨٥	آل سيفا
٣٨٥	آل شعيب
٥٧٣، ٥٥٣، ٥٥٠، ٥٤٣	آل طراباي
٢٢٥	آل طوقان
٦٤٣، ٣٧٢	آل العابد

٥١٣ ، ٣٧٣ ، ٣٦٨	آل عثمان
٦٤٣ ، ٣٧٢	آل العظم
٦٤٣ ، ٣٧٢	آل القوتلي
٤٣٣ ، ٤٣٠ ، ٣٨٨	آل مرعب
٢٢٥	آل النمر
٥٥٨	آل هاشم
٤٣٠	آل الياسين
٣٠٦ ، ١٨٤	الأمويون
٥٨٣	أهالي بيت لحم
٤٨٨	أهالي جبل نابلس
٦٧٥	أهالي عرابة
٣٨٤	أهالي عرقة
٦٠٤	أهالي فنيسيا
٦٨٧	أهالي يافا
٢٠١	أهل جوخي
١١٦	أهل حلب
٢٩٧ ، ٢٩٦ ، ٢٨٤	أهل الخليل
٢٩٨	أهل الرملة
٢٩٦ ، ٢٧٩ ، ٢٧٧ ، ٢١٦	أهل الشام
٢٩٨	أهل غزة
٢٠٢	أهل فارس
٢٩٩ ، ٢٩٨ ، ٢٩٧ ،	أهل القدس
٦٠٤ ، ٤١٠ ، ٢٤٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٣	الأوروبيون
٦١٨	

- ب -

٦٨٠ ، ٦٣٠ ، ٤١٤	البريطانيون
١٢٤	بنو أسد
٢٠٧ ، ١٨٣ ، ١٨٢ ، ١١٣ ، ١١٢ ، ٨٥	بنو أمية
٤٠٤ ، ٤٠٠	بنو رحال
٥٢٢ ، ٥١١ ، ٥٠٠	بنو زيد
٤٩٩	بنو سليم
٣٨٦	بنو سيفا
٣٨٦ ، ٣٨٥	بنو شعيب
١٥٣	بنو طولون
٢٠٧ ، ١٦٤ ، ١٥٤ ، ١١٣ ، ٨٦	بنو العباس
٣٨٦ ، ٣٨٥ ، ٣٨٤	بنو عساف
١٥٠	بنو المهلب
٣١٠ ، ٣٠٦ ، ٢٧ ، ١٦ ، ١٣	البيزنطيون

- ت -

٣٨٤	الترکمان
-----	----------

- ج -

٢٦٩	الجراسة
٣٠	الجيش الروماني

- د ، ر ، ز -

٦٤٣	الدروز
٦٥٨ ، ٢٩١	الدمشقيون

، ١١٢، ٩٦، ٨٧، ٨٦، ٤٣، ١٣
، ١٥٠، ١٤٩، ١٤٨، ١٣٧، ١٢٢
، ١٨١، ١٧٠، ١٦٥، ١٥٥، ١٥٤
، ٣٠٥، ٢٩٤، ٢١٦، ١٩٢، ١٨٧

الروم

٥٩٥

٥٩٤

رهبان اللاتين

١٥٠

الزط

- س، ش -

٦٤٢

السراسقة

٢١٨

الشاميون

٤٣٠

الشهابيون

- ص، ط -

٦٠٤

الصلبيون

٥٢٢

طائفة الحرامية

٥٩٦

طائفة اللاتين

٤٥٠

طائفة اليهود

- ع -

٥٨٣

عائلة الحزين

٥٨٧

عائلة المحاربة

٢١١، ٢٠٩، ٢٠٨، ٢٠٧

العباسيون

، ٣٤١، ٣٢٨، ٣٢٢، ٣٢٠، ٣٠٥

العثمانيون

، ٣٩٠، ٣٨٧، ٣٨٠، ٣٧٩، ٣٦٩

، ٤٨٠ ، ٤٧٧ ، ٤٤٦ ، ٤٤٤ ، ٤٤٣

، ٥٨٦ ، ٥١٩ ، ٥١١ ، ٥٠٢ ، ٤٩٩

٦٤٨ ، ٦٣٢ ، ٦٢٣ ، ٦٢٢

٣٨١

٥٩٢ ، ٥٨٧ ، ٥٨٣ ، ٥٧٧

٥٢٢

٤١٠

عرب آل موسى

عرب التعامرة

عرب الواد

العلويون

- ف ، ق -

٣١٥ ، ٣١٠ ، ٢٠٥ ، ١٩٢ ، ١٨٧

٢٩٠

١٣ ، ١٢

٣٦١

٣٦١

٣٦١

٣٦١

٣٦١

٣١٣

الفرس

الفرنج

الفينيقيون

قبيلة بناها

قبيلة ترايين

قبيلة جبارات

قبيلة حناجرة

قبيلة عزازمة

قريش

- ك ، ل -

٤٠٦

٥٩٥

الكرمليون

اللاتين

- م، ن -

٢١١

، ١١٠ ، ٩٦ ، ٨٨ ، ٨٦ ، ٨٤ ، ٨٣ ، ٣٩
، ١٧٣ ، ١٤٩ ، ١٤٧ ، ١٢٢ ، ١١٤
، ١٧٩ ، ١٧٧ ، ١٧٦ ، ١٧٥ ، ١٧٤
، ١٨٧ ، ١٨٤ ، ١٨٢ ، ١٨١ ، ١٨٠
، ٢٠٢ ، ١٩٩ ، ١٩٢ ، ١٩١ ، ١٩٠
، ٢٩٢ ، ٢٢٧ ، ٢٢٦ ، ٢١٨ ، ٢١٤
، ٣١١ ، ٣١٠ ، ٣٠٧ ، ٣٠٦ ، ٢٩٨
، ٤٧٢ ، ٣١٥ ، ٣١٤ ، ٣١٣ ، ٣١٢
، ٦٤٤ ، ٦٣٨ ، ٦٣٤ ، ٥٩١ ، ٥٦٠
٦٧٣ ، ٦٥٦ ، ٦٤٨

٦٠١ ، ٣٤٤ ، ٣٠

٦٣٣ ، ٥١٢ ، ٣٩٠ ، ٢١٦ ، ٦٤

٣٩١

، ٢٩٦ ، ٢٩٣ ، ٢٨٤ ، ٢٦٩ ، ٢٥٤
، ٣١٩ ، ٣١٠ ، ٣٠٥ ، ٣٠٢ ، ٢٩٩
، ٣٣٦ ، ٣٣٠ ، ٣٢٩ ، ٣٢٨ ، ٣٢٥
٦٦٥ ، ٦٢٢ ، ٥١٢ ، ٣٩٠ ، ٣٧٩
، ٢٩٢ ، ٢٢٧ ، ١٥١ ، ١٤٩ ، ٦٩
، ٤٧٤ ، ٤٧١ ، ٤٦٨ ، ٣٠٧ ، ٢٩٩
، ٦٥٦ ، ٦٤٨ ، ٦٣٥ ، ٦٣١ ، ٤٨٥
٦٦٠

المروانيون
المسلمون

المسيحيون
المصريون
المعنيون
المماليك

النصارى

- ي -

، ٣٥٨، ٢٩٨، ٢٩٢، ١١٦، ٦٩، ٣٠

، ٦٤٨، ٥٥٥، ٤٧٤، ٤٧٢، ٤٥٠

٦٨٩، ٦٦٠

٣٠٧

٢٨٠، ٦٥، ٣٧

اليهود

يهود خيبر

اليونان

الأماكن والمواقع

- أ -

٤١٦، ٤٠٣	ابزال
٥١٦، ٤٩٩، ٤٩٤	أبو ثور - قرية
٧١	أبو الخس / كفر ركب
، ٤٩٤، ٤٨٧، ٤٨٦، ٤٦٤، ٤٦١	أبو ديس - قرية
٥٢٤، ، ٥٢١، ٥١٥	
٧١	أبو سربوط
٢٨٠	أبو ظبي
١٢٤	الآثارب - بلدة
٥٢٠، ٤٩١، ٤٨٨، ٤٨٤، ٤٨٢	اجزم
٤١٧، ٣٩٩	أحرار (حرار)
٢٩٣	الأحص
٣٢٨	أدرنوبل
٦٢٦، ٢٨٨، ٢٨٧، ٢٣١، ٩٣	إدلب
١٢٢، ٩٢	أذنة
٦٩٤	أراضي عرب أبو الفضل
٦٥٦، ٦٢٥، ٧٥، ٦١، ٤١، ٢٧	إربد
١١٧	أرتاح
، ٦١، ٥٣، ٥٠، ٣١، ٢٧، ٢٠، ٥	الأردن
، ٧٧، ٧٥، ٧٤، ٧٢، ٧١، ٧٠، ٦٦	
، ٢٦٩، ٢١٠، ١٧٩، ٨٤، ٨١، ٨٠	
، ٦٢٢، ٣١٢، ٣٠٦، ٣٠٥، ٢٩٢	
، ٦٧٨، ٦٧٣، ٦٧٠، ٦٥٨، ٦٥٦	
٦٨٩	

٢٨٤، ٢٨١	أرسوف
٦٠٩	ارض أبو انحيلة
٦١٠، ٦٠٩	ارض أبو حبله
٦٠٩	ارض أبو فحيلة
٥٩٦	ارض الإنجليز
٥٩٩	ارض بصيلة
١٨٤	ارض البطنان
٥٠٠، ٤٩٨	ارض البقعة
٤٩٩	ارض بني سليم
٤٩٨	ارض بيت حميرا
٥٠٠	ارض البيرة
٥٩٦	ارض تين عيسى
١٩٦، ٩٨، ٨٧	ارض الجزيرة
٦١٤	ارض الجنائن
٥٠٠	ارض الجيزة
٦٠٠	ارض الحارضية
٥٩٦	ارض الحاكرة
٤٩٩، ٤٩٨	ارض الخانقاه الصلاحية
٤٩٨	ارض دير ياسين
٥٩٦، ٤٩٤	ارض الصرارة
٥٠٠، ٤٩٤	ارض الصلاحية
٥٠٠	ارض الطوال
٦٠٠	ارض قصر عويس
٤٩٩	ارض القمر
٥٩٥	ارض القناطر

٤٩٩ ، ٤٩٨	ارض منجك
٥٩٦	ارض الميدان
٦٠٠	ارض الهريه
٤٩٤	ارض واد التفاح
٥٩٩ ، ٥٩٥	ارض الوطا
، ٥٧٩ ، ٥٧٧ ، ٥٧٦ ، ٥٢٥ ، ٤٥٨	أرطاس
، ٥٩٣ ، ٥٨٩ ، ٥٨٧ ، ٥٨٣ ، ٥٨١	
، ٦١٢ ، ٦٠٨ ، ٦٠٧ ، ٦٠٥ ، ٦٠٤	
٦١٨	
١٣٧	أرمينيا
١٤٠ ، ٨٧	أرمينية
، ٤٨٧ ، ٤٨٦ ، ٤٨٥ ، ٢٩٥ ، ١٠٤	أريحا
٥١٤ ، ٥٠٢	
٣٩٥ ، ٣٩ ، ٢٩	اسبانيا
، ٤١٦ ، ٣٩٧ ، ٣٨١ ، ٣٣٧ ، ٨٤	إستانبول ، اسطنبول
، ٥٦٥ ، ٥٥٢ ، ٥١٣ ، ٥١٠ ، ٤٧٨	
، ٦٤٢ ، ٦٣٤ ، ٦٣٣ ، ٦٣١ ، ٥٧٨	
، ٦٨٠ ، ٦٦٣ ، ٦٥٣ ، ٦٥١ ، ٦٤٦	
٦٨٩	
٤٠٥	استراليا
٦٧٧	اسرائيل
٦٠٦	اسطيح
٢٨٧ ، ٢٢٠ ، ١٢٨ ، ١١٨ ، ١١٠ ، ٩٢	إسكندرونة
٦٨٠	اسكي شهر
٦٢٨	آسيا الصغرى

٧١	الأشرفية
١٠٤	إصطمك - قرية
٣٩٩	اصلان
٦٧٨ ، ٣٣٦	أضنة
٢٦٦ ، ٢٦٠	إعزاز
٣٩٨	اعمار
٤١٥	أعمار البيكات
٥٧٨	افراتا
٤٠٩ ، ٢١٦ ، ٢٨١	إفريقيا
٢٨٧	الأقرع
٦٢٥	إقليم البلان
٧٠	إقليم حسابان
٩٢	إقليم قليقية (كليكة)
٤٢٩	اكروم
١٠٣	إبل - قرية
٦٧٢	ألمانيا
٥٦١ ، ٥٢٨	أم التوت - قرية
٢٠	أم زويتينة
٦٠٦	أم طوبا - قرية
٦٨٥ ، ٦٨٠ ، ٥٢٠ ، ٤٩٥	أم الفحم
٣٩٥	الإمارات الإيطالية
٥٨٧	أمريكا
٦٨٠ ، ٣٢٨ ، ٢٢٦ ، ٢١٥ ، ٩٨	الأناضول
٦٨٨ ، ٦٨١	
١٣٥	الأندرين - قرية

٢١٦	الأندلس
، ١٠٥، ١٠٤، ٩٤، ٩٢، ٨٧، ٨٦	أنطاكية
، ١١٨، ١١٧، ١١٦، ١١٤، ١١٠، ١٠٨	
، ١٤١، ١٤٠، ١٣٦، ١٢٦، ١٢٤، ١٢٣	
، ٢٨٧، ٢٨٥، ١٨١، ١٥٢، ١٥١، ١٥٠	
٦٦٦، ٣٣٨، ٣٠٦	
١٧٣	أنطرسوس
٤١٨، ٤٠٤، ٤٠٠، ٣٨١	انفه
٣٢٨	أنقره
٣٥٧، ٣٤٦	انكلترا
٢٧٩	الأهواز
٦٨٠، ٦٢٢	اورفه
، ٤٠١، ٣٤٤، ٣٠٢، ٢٣٢، ٢٨، ١٤	أوروبا
٦٨٩، ٦٥٨، ٤٨٨، ٤١٩	
١٦٤	ايرلندا
، ٦٦٤، ٤٣٠، ٤٠٦، ٣٤، ٢٩، ٢١	إيطاليا
٦٧٢	
٤٠٨، ٣٨٩	إيلات

- ب -

٢٨٧، ٢٦٧، ١١٩، ١٠١	الباب - مدينة
١٨٢	باب الجابية
٥٦٢	باب الحديد
٦٩٤	باب الخليل
٦١٩، ٥٩٩	باب الرقاق
٤٥٨	باب السلسلة

٥٧٨، ٤٥٤، ٣٨١	الباب العالي
٢٩٣، ٢٨٦	بابلي - قرية
٥٠٧	باتع علما - قرية
٢١٧، ٢١٤	بادية الشام
٣٩٠	الباردة
١١٩	البارة (زاوية الباراة)
٦٤٦، ٦٣٦، ٤٣٨، ٣٧٠، ٣٥٠	باريس
٤٩٥، ٤٨٤، ٤٨٣	باقة الشرقية
٦٨٠	باكو رومانيا
١٢٠، ٨٧، ٨٦	بالس
٣٧٤، ٣٣٥	باليس
٢٨٦، ٩١	الباير
٤٠٣، ٤٠١، ٣٩٢، ٣٨٩	ببنين
٣٠٦	البتراء
، ٤٠٠، ٣٨٧، ٣٨٤، ٣٨١، ٣٦١	البترون
٦٦٤، ٤١٨، ٤٠٤	
، ٥٧٩، ٥٧٨، ٥٢٥، ٥١٣، ٥٠١، ٤٥٨	بتير
٦١٨، ٦١٢، ٦١١، ٦٠٨، ٦٠٧	
٤١٠	البحر الأسود
، ٩٥، ٨٧، ٥٤، ٣٠، ٢٩، ٢٨، ٢١	البحر الأبيض المتوسط
، ٣٣٠، ١٦٨، ١٤٦، ١٣٠، ١١٠	
٦٩٦، ٦٨٤، ٣٨٤، ٣٨٢	
٢١	بحر إيجه
١٦٩، ١٦٨	بحر الشام
٩٧، ٩٦، ٩٥	البحر الشامي

٣٣٤ ، ٣٣٣ ، ٣٣٠	بحر الشرق
٣٤٥	بحر مرمرية
٦٤٣ ، ٥٧٦ ، ٣٦٩ ، ٣٩	البحر الميت
١٠٧	بحيرة أنطاكية
٩٧	بحيرة جنندارس
١٠٩	بحيرة الحدث
٦٢٤	بحيرة حمص
١٠٨ ، ١٠٢	بحيرة سبخة
١٥٢	بحيرة السلور
٢١	بحيرة طبريا
١٠٧ ، ٩٧ ، ٩٦ ، ٩٣	بحيرة العمق
١٠٨ ، ١٠٢	بحيرة المطخ
٩٨	بحيرة وان
١٥٢ ، ١٠٨ ، ١٠٧	بحيرة يغرا
٥٠١	بديا - قرية
٦٤٢	البربارة - قرية
٣٩٥	البرتغال
٦٥٧	البرج - قرية
٤٩٦ ، ٤٩٣ ، ٤٩٠	برج العرب
٣٨٥	برج عكار
٥٦٦ ، ٤٨٥	برقا
٤٠١ ، ٣٩٨ ، ٣٨٩	برقايل
٥٦٧ ، ٥٦٠ ، ٥٢٨	برقين
٦١٢ ، ٦٠٥ ، ٦٠٤ ، ٥٧٨ ، ٥٧٥	برك سليمان
٦١٨	

٧٢، ٧١	بركة الدير
١٠٥	بركة عم
٤٠٣	برنيط
٣٥٨، ٣٤٦	بروسيا
، ٦٧٢، ٦٦٩، ٦٣٦، ٦٣٣، ٣٥٨	بريطانيا
٦٩٠، ٦٨٩، ٦٨٨، ٦٨٤	
٥١٩، ٤٩٦، ٤٨٧، ٤٨٥	بريكوت
١١٩، ١٠٢	بزاعة
٣٩٢، ٣٨٩	بزال
٤١٧، ٤٠٧، ٣٩٩، ٣٩٢، ٣٨٩	بزيينا
٢٥٧	بساتين شيزر
٥٨١	بستان احمد بن اسماعيل أسعد
٤٩٥	بستان الباشا
٩١، ٩٠	البسيط
٤١٨، ٤٠٤، ٤٠٠	بشراي
٦٤٣، ٣١٢، ٢٧٩	البصرة
٦٩	بصرى
٢٨٦، ١٢٣	بطياس - قرية
١٤٥	بعاذين - قرية
، ٢٥٨، ٢٥٧، ٢٥٦، ٢٥٥، ٩٦	بعلبك
٦٦٥، ٣٧٥، ٢٦٢، ٢٦٠، ٢٥٩	
، ١٧٢، ١٣٦، ١٢٨، ١٢٤، ٨٥	بغداد
، ١٨٦، ١٨٣، ١٧٧، ١٧٦، ١٧٤	
، ٢٨١، ٢٧٨، ٢٠٣، ١٩٨، ١٨٧	
، ٦٣٨، ٦٢٩، ٦٢٣، ٤٣٨، ٢١٨	

٦٦٣، ٦٥٨، ٦٤٧، ٦٣٩	
٦٤٦، ٦٤٤، ٣٧٣، ٣٣٨، ٣٣٢	البقاع
٣٧٥	البقاع العزيز
٤٢٩، ٤٠٨، ٤٠١، ٣٨٩	بقرزلا
٢٦٩	بقرصونيا - قرية
٥٠١، ٤٩٩، ٤٩٧، ٤٩٤، ٤٩٠	البقعة
٤٢٢	البقيعة
٥١٩	بقيع الضان
١١٨، ١٠٥	بَكَاس
٢١	بلاد البلقان
١٨٢	بلاد الجزيرة
٣٠٢	بلاد الحجاز
، ١٥١، ١١١، ١٠١، ٩٩، ٩٥، ٨٧	بلاد الروم
٢٧٠، ١٦٨، ١٥٤	
، ١٢، ١١، ١٠، ٩، ٨، ٧، ٦، ٥، ٢	بلاد الشام
، ٢٩، ٢٧، ١٩، ١٨، ١٧، ١٤، ١٣	
، ٤٥، ٤٤، ٤٣، ٣٧، ٣٥، ٣٤، ٣١	
، ٨٦، ٨٥، ٨٤، ٨٣، ٦٩، ٦٥، ٦١	
، ١٧٠، ١٦٩، ١٦٧، ١٥٣، ١٤٧	
، ١٧٦، ١٧٥، ١٧٤، ١٧٣، ١٧١	
، ١٨١، ١٨٠، ١٧٩، ١٧٨، ١٧٧	
، ١٨٧، ١٨٥، ١٨٤، ١٨٣، ١٨٢	
، ١٩٧، ١٩٦، ١٩٣، ١٩٢، ١٩٠	
، ٢١٤، ٢١١، ٢١٠، ٢٠٩، ٢٠٨	
، ٢٢٦، ٢٢٢، ٢٢١، ٢١٦، ٢١٥	

، ٢٤٩ ، ٢٤٨ ، ٢٤٧ ، ٢٣١ ، ٢٢٧
، ٢٦١ ، ٢٥٩ ، ٢٥٨ ، ٢٥٣ ، ٢٥٢
، ٢٦٦ ، ٢٦٥ ، ٢٦٤ ، ٢٦٣ ، ٢٦٢
، ٢٧١ ، ٢٧٠ ، ٢٦٩ ، ٢٦٨ ، ٢٦٧
، ٢٧٧ ، ٢٧٦ ، ٢٧٥ ، ٢٧٤ ، ٢٧٢
، ٢٩١ ، ٢٨٩ ، ٢٨٧ ، ٢٧٩ ، ٢٧٨
، ٣٠٥ ، ٣٠٣ ، ٣٠٢ ، ٢٩٦ ، ٢٩٣
، ٣١٢ ، ٣١١ ، ٣١٠ ، ٣٠٧ ، ٣٠٦
، ٣٢٨ ، ٣٢٥ ، ٣٢٤ ، ٣١٩ ، ٣١٨
، ٣٤٠ ، ٣٣٧ ، ٣٣٦ ، ٣٣٣ ، ٣٣٠
، ٣٤٨ ، ٣٤٦ ، ٣٤٤ ، ٣٤٣ ، ٣٤٢
، ٣٦٧ ، ٣٥٩ ، ٣٥٨ ، ٣٥٧ ، ٣٥٦
، ٣٨٧ ، ٣٨٠ ، ٣٧٩ ، ٣٧٣ ، ٣٧٠
، ٤٢٣ ، ٤١٢ ، ٣٩٣ ، ٣٩١ ، ٣٩٠
، ٥١٦ ، ٥٠٧ ، ٥٠٣ ، ٤٦٤ ، ٤٣٧
، ٥٤٠ ، ٥٣٨ ، ٥٣٢ ، ٥١٨ ، ٥١٧
، ٦٢١ ، ٥٧٩ ، ٥٧٨ ، ٥٤٩ ، ٥٤٢
، ٦٢٩ ، ٦٢٨ ، ٦٢٦ ، ٦٢٤ ، ٦٢٢
، ٦٣٥ ، ٦٣٤ ، ٦٣٣ ، ٦٣١ ، ٦٣٠
، ٦٤٤ ، ٦٤٣ ، ٦٤٢ ، ٦٤١ ، ٦٣٦
، ٦٥٣ ، ٦٥١ ، ٦٤٩ ، ٦٤٨ ، ٦٤٦
، ٦٦٦ ، ٦٦٣ ، ٦٦٢ ، ٦٦١ ، ٦٥٨
، ٦٩١ ، ٦٨٩ ، ٦٨٦ ، ٦٦٨ ، ٦٦٧
٦٩٨ ، ٦٩٧ ، ٦٩٦ ، ٦٩٣

١٨٧ ، ٦٩

بلاد العراق

٢١	بلاد الغال
٢٤٨، ٢٧٤	بلاد القدس
١٣	بلاد ما بين النهرين
١٣٩	بلاد المغرب
٤٩٨	بلاطة - قرية
٣٥٨	بلجيكا
١٠٢	بلدة الباب
٩٩	بلدة البصيرة
١٠١	بلدة تل باشر
٩٠	بلدة جرابلس (كركميش)
٩٧	بلدة عفرين
٥٦٠	بلعمة - قرية
٦٧٢، ٦٤٧	بلغاريا
٦٧٣، ٥٨٦، ٢٩	البلقان
٢٦٧، ٢٦٦، ٢٣٤، ١٨٢، ٣١	البلقاء
٦٧٨، ٦٢٥، ٣٧٦، ٣٦٠، ٣٥٩	
١٧٣، ١٦٨	بلنياس
٥٧٩	بني حسن - ناحية
٥٠٩	بني زيد - قرية
٦٤٤	بوران
١٩	بورديو
٨٦	بوقا
٣٦١، ١٩	البوكمال
٥٨٠	بيادر الخضر
١٣٧، ١٢٨	بياس

٤٩١، ٤٩٠، ٤٨٥	بيت إرزة
٥٠٨	بيت أمر - قرية
٥٦١	بيت امرين
٧١	بيت أيدس
٤٨٥	بيت تعمر
، ٤٩٩، ٤٩٣، ٤٩٢، ٤٩٠، ٤٨٥	بيت جالا
، ٥٧٩، ٥٧٨، ٥٧٧، ٥٧٦، ٥٠٥	
، ٥٩٩، ٥٩٦، ٥٩٣، ٥٩٠، ٥٨٠	
٦١٩، ٦١٧، ٦١٦، ٦٠٧، ٦٠٣	
٨٥	بيت الحكمة
٥١٩، ٥١٨، ٥١٢، ٥١٠	بيت حنينا
٤٩١	بيت دجن
٧٢، ٧١، ١٩	بيت راس
٦٨٠، ٥٠٩	بيت رما
، ٥٧٧، ٥٧٦، ٤٩٩، ٤٩٦، ٤٩٣	بيت ساحور
٦١٧، ٦٠٦، ٥٩٠، ٥٧٩، ٥٧٨	
٤٨٥	بيت ساحور الوادي
٤٩٩، ٤٨٧	بيت صفا
، ٥١٢، ٤٩٩، ٤٩٤، ٢٨٣، ٧٦، ٦٤	بيت صفافا
٦٠٦، ٦٠٠، ٥٨٠، ٥٧٩، ٥١٧	
٥١٢، ٥٠٠، ٤٩٩، ٤٩٣	بيت صميرا
٢٨٣	بيت طلما
٥٢٢	بيت عور
١٧٦	بيت عينون - قرية
٥١٧، ٤٩٤، ٤٩٠	بيت فحوس

، ٤٨٧، ٤٨٥، ٢٨٦، ١٧٦، ٧، ٦
، ٤٩٩، ٤٩٤، ٤٩٣، ٤٩٢، ٤٩٠
، ٥٦٦، ٥٦١، ٥١٩، ٥٠٥، ٥٠٠
، ٥٧٩، ٥٧٨، ٥٧٧، ٥٧٦، ٥٧٥
، ٥٨٥، ٥٨٣، ٥٨٢، ٥٨١، ٥٨٠
، ٥٩١، ٥٩٠، ٥٨٩، ٥٨٨، ٥٨٦
، ٥٩٧، ٥٩٥، ٥٩٤، ٥٩٣، ٥٩٢
، ٦٠٢، ٦٠١، ٦٠٠، ٥٩٩، ٥٩٨
، ٦٠٧، ٦٠٦، ٦٠٥، ٦٠٤، ٦٠٣
، ٦١٥، ٦١٢، ٦١١، ٦١٠، ٦٠٨
٦١٩، ٦١٨، ٦١٧، ٦١٦

بيت لحم

٦٨٠
، ٢٩٥، ٢٨٣، ٢٨٠، ٢٥٥، ٢٥٠
، ٤٧٥، ٤٥٨، ٤٤٥، ٢٩٩، ٢٩٨
٥٣٠

بيت لقيا
بيت المقدس

٤٢٩، ٤٠٧، ٣٩٩، ٣٩٢، ٣٨٩
٦٨٠

بيت ملات
بيت نتيف

٥٠٩، ٤٨٩

بيتونيا

٥٦٦

البيضان

٣٦١

بئر السبع

٦٩٤

بئر يعقوب

، ٣٩٠، ٣٣٧، ٣٣٦، ١١٩، ١٠١

البيرة - قرية

٥٣٩، ٥٣٨، ٥٢٤، ٥٠٥

٤١٥، ٣٩٨

بيرة الجون

، ٨٥، ٨٤، ٦٥، ٤٢، ٣٥، ١٣، ١٠

بيروت

с 110, с 92, с 90, с 89, с 88, с 87
с 133, с 128, с 110, с 113, с 111
с 170, с 179, с 178, с 103, с 100
с 176, с 173, с 173, с 172, с 171
с 182, с 181, с 179, с 178, с 177
с 198, с 192, с 189, с 187, с 183
с 238, с 231, с 219, с 217, с 200
с 203, с 202, с 201, с 200, с 239
с 278, с 270, с 270, с 208, с 200
с 283, с 282, с 281, с 280, с 279
с 300, с 291, с 289, с 287, с 287
с 320, с 319, с 311, с 310, с 307
с 330, с 323, с 338, с 332, с 327
с 309, с 308, с 307, с 301, с 300
с 370, с 373, с 378, с 377, с 370
с 390, с 393, с 387, с 380, с 381
с 309, с 300, с 303, с 397, с 397
с 330, с 328, с 320, с 312, с 311
с 307, с 333, с 333, с 332, с 338
с 029, с 392, с 388, с 387, с 372
с 708, с 080, с 082, с 080, с 030
с 727, с 720, с 723, с 723, с 722
с 733, с 732, с 731, с 730, с 729
с 733, с 731, с 738, с 737, с 730
с 701, с 739, с 738, с 737, с 730

٦٥٦ ، ٦٥٥ ، ٦٥٤ ، ٦٥٣ ، ٦٥٢
٦٦٤ ، ٦٦٣ ، ٦٦٠ ، ٦٥٩ ، ٦٥٧
٦٩١ ، ٦٨٧ ، ٦٨٦ ، ٦٧٧ ، ٦٧٣
٦٩٤
٣٦٩ ، ٣٠٦ ، ٢٩٥ ، ٢٧٥ ، ١٩
٢٩٢
٤١٧ ، ٤٠٧ ، ٣٩٩ ، ٣٨٩

بيسان
البيشاوية - محلة
بينو

- ت -

١١٩	تاذف
٣٩٩	تاشح
٤٠٤	تاشع
٦٨٠	تبوك
٦٢٤ ، ٣٧٣ ، ٣٣٢ ، ٣٠٦ ، ١٠٥	تدمر
٤١٠ ، ٩٩	تركيا
٤٩١	تفوقتا
٧٣ ، ٧٢ ، ٧١	تقبل
٤١٧ ، ٣٩٢ ، ٣٨٩	تكريت
٩٩	تل أبيض
٦٨٦	تل الأساور
١١٩	تل أعرن
١٠٩ ، ١٠٣	تل أعزاز
٢٦٦ ، ١٢٩ ، ١١٨ ، ١٠٦	تل باشر - بلدة
٤٠	تل السكر
٩٣	تل سلحب

٦٨٠	تل الشريعة
٤١٣	تل عباس
٦٢٤	تل كلخ
٩٣	تل ماسح - قرية
٣٩	تل وادي السكر
٥٢٨	تلفيت - قرية
٩٦، ٩٣، ٩١	تنوخ (النصيرية)
٥٧٩	توما بنورة
٦٢٤، ٣٠٣	تونس

- ج -

٢٢٤	جامع الخسروية
٢٩١	جامع الزيتونة
٦٠٩	الجامع العمري
٢٤٩، ٢٤٧، ٨٣، ٧١، ٦١، ٨، ٧	الجامعة الأردنية
٣٩٧، ٣١٩، ٢٧٧، ٢٧٠، ٢٥٥	
٤٨٠، ٤٧٩، ٤٥٨، ٤٤٧، ٤٤٥	
٦٦١، ٥٥٠، ٥٣٢، ٥٠٣، ٤٨٢	
٦٧٣، ٦٧١	
٢٧٨	الجامعة الإسلامية - غزة
٢٧٧	جامعة الأقصى
٥٨٠	الجامعة الأمريكية بيروت
٢٢١	جامعة حلب
٦١	جامعة دمشق
٦٢	جامعة صلاح الدين
٢٨٣	جامعة عين شمس - القاهرة

٨٤	جامعة فرانكفورت - ألمانيا
٥٧٥، ٥٢٧، ٤٧٧	جامعة القدس
٢٢٥	جامعة كاليفورنيا
٦٢١	جامعة كركوك
٣٨٧، ٣٨٥، ٣٧٩، ٩٠، ٦٥	الجامعة اللبنانية
٦٢٧	الجامعة المستنصرية
٦٦٤، ٦٥٨، ٦٣٦	جامعة الموصل
٦٦٩، ٢٣	جامعة النجاح الوطنية
٢٦٧، ١٨٥، ٤١، ٤٠، ٨	جامعة اليرموك
٢٩	جبال الابينين
١٢١، ١١١، ١٠٩، ٩١، ٨٩، ٨٨	جبال الأمانوس (اللكام)
١٦٨، ١٣٧،	
٩١	جبال البايير
٩١	جبال البسيط
٩٦	جبال بهراء
١٢١	جبال دلوك
٦١٦	جبال الدهيشة
٦١٦	جبال الصف
١٣٥، ١٠٠، ٩٩، ٩٨، ٨٩، ٨٨، ٨٧	جبال طوروس
٦٦٣	جبال الكرمل
٩	جبال لبنان
٦١٦	جبال المخرور
٤٩٣	جباليا
٤٠٧، ٤٠٣، ٣٩٢، ٣٨٩	جبرائيل - قرية
٦٨١، ٥٦١، ٤٩٠	جبع

٤٩٦	جبل البطيخ
٥٨٧	جبل أبو زيد
٢٨٥، ١٣٥، ١٣٢، ١٢٤	جبل الأحص
٩٧، ٩٦، ٩٣، ٨٩	جبل الأحمر
٦٨٠، ١٣٦	الجبل الأسود
١٢٧، ١٢٦	الجبل الأعلى
٩٦، ٩٢	جبل الأقرع
٤١٣	جبل أكروم
٩٠	جبل البشري
٩١	جبل بني عليم
٩٣، ٩١	جبل بهراء
٩٦	جبل بولقار داغ
٩٠	جبل الحص
٦٤٢، ٥٤٠، ٣٧٥	جبل الدرور
١٢٤، ٩٦، ٩٣، ٩١	جبل الزاوية
٥٩١، ٢٨٢	جبل الزيتون
، ١٢٤، ١١٨، ١١٧، ١٠٣، ٩١	جبل السمّاق
، ١٣٦، ١٣١، ١٢٩، ١٢٨، ١٢٦	
١٤٢، ١٣٨	
١٢٩، ١٢٦، ١٢٤، ١٠٩، ٩٠، ٨٩	جبل سمعان
٩٠	جبل شبيث
٢٨٧	جبل الشيخ
٩١	جبل العلويين
٣٨	جبل قاسيون
٩٣، ٨٩	جبل الكافر

١٠٩، ٩٧، ٩٣، ٨٩	جبل الكرد
٦٥٢	جبل الكرمل
٦١٦	جبل مار الياس
٨٩	جبل موسى
٢٠	جبل نبو (صياغة)
٨٩	جبل النور (نور داغ)
٨٩	جبل هاوار
٦١٦	جبل هندازة
٩٦	جبل الوسطاني
٣٧٦، ٣٧٤، ٣٣٤، ٣٢٢، ٢٨٦	جبله - قضاء
٣٨٧، ٣٨٤، ٣٨١	جبله بشري
٣٨٧، ٣٨٦، ٣٨٥، ٣٨٤، ٣٨١	جبليل
٤١٨، ٤٠٤، ٤٠٠	
٤١٦، ٤٠٣	جديدة برقائل
٣٩٢، ٣٨٩	جديدة القيطع
١٠١، ٩٩	جرابلس
٥٢٨	جربا - قرية
٤٠٨	الجرد
٧١، ٣٣، ٣٢، ٣١	جرش
٣٨٣	جرود
٣٠٣، ٢٨١	الجزائر
٨٥	الجزيرة
٣٩	جزيرة صقلية
٢٨١	الجزيرة العربية
٣٣٤	جزيرة قبرص

٦٨٠	جزيرة كريت
٣٦	جزيرة كورسيكا
٦٦٤، ٣٦١	جزين - قرية
٩٦	جسر الحديد
١٢٠، ٨٧	جسر منبج
١١٣	جسر الوليد
٦٨٠	جلبون
٥٦١	جلقموس
٤٩٥	جلمة - قرية
٦٩٦، ٥٩١	الجليل
٤٩٦	جمالا - قرية
٦٢١	جمهورية العراق
١٦٧	الجمهورية العربية السورية
٢٨١	الجمهورية العربية المتحدة
٣٧٩، ٣٠٣	الجمهورية اللبنانية
٢١٣	جمهورية مصر العربية
٨٧	جند حمص
، ٩٤، ٩١، ٨٧، ٨٦، ٨٣، ٧، ٥	جند قنسرين
، ١٠٧، ١٠٦، ١٠٤، ١٠١، ١٠٠	
، ١٢٣، ١١٥، ١١٢، ١١١، ١٠٩	
، ١٣٦، ١٣٥، ١٣٤، ١٣٣، ١٣٢	
، ١٤٧، ١٤٥، ١٤٤، ١٤٠، ١٣٩	
، ١٦١، ١٥٨، ١٥٣، ١٥٢، ١٥٠	
١٦٦، ١٦٤	

، ٤٨٣، ٤١٥، ٣٩٨، ٣٧٦، ٢٧٤
، ٥٢٩، ٥٢٨، ٥٢٤، ٥٢٠، ٤٨٤
، ٥٤٤، ٥٤٣، ٥٣٩، ٥٣٨، ٥٣٧
، ٥٦١، ٥٦٠، ٥٥٩، ٥٥٦، ٥٤٦
، ٦٧٠، ٦٥٦، ٦٥٥، ٥٧١، ٥٧٠
، ٦٧٨، ٦٧٦، ٦٧٥، ٦٧٢، ٦٧١
، ٦٨٨، ٦٨٢، ٦٨١، ٦٨٠، ٦٧٩
، ٦٩٥، ٦٩٣، ٦٩٢، ٦٩٠، ٦٨٩
٦٩٩، ٦٩٨

جنين

٤١٦

جنينة أقدس

٤١٦، ٣٩٨

جنينة توما

٦٩٦، ٢٦٨

الجولان

، ٤١٣، ٤٠٨، ٤٠٢، ٣٨٩، ٣٨٣
٤٢٠

الجومة - ناحية

٣٩٥، ٣٨٢

جون

٣٩٣، ٣٨٦، ٣٨١

جونيه

٦٨٠، ٥١٤

الجيب - قرية

٤٩١

جيب الفخار

٣٩٨

جيبا

-ح-

٥٨١

حارة الحريزات

٥٨٣

حارة الفواغرة

٤٦٨

حارة المغاربة

١٤٨، ١٢٧، ١١٧، ١٠٨، ١٠٤

حارم - قرية

٣٧٥	حاصبيا
٥٨١	حاكورة الخضري
٥٨١	حاكورة ميلوني أندريان
١٧٦	حبرى - قرية
٢٩٣	الحبشة
٣٩٢	حبشيت
٥٤٧	الحبلة - محلة
٦٨٨، ٦٨٠، ٣٥٨، ٣٠٣، ٢٨٥	الحجاز
٥١٢	الحجرة النبوية
١٨٢	حجيرا
١٥٤، ١٢٢، ١٠٩، ١٠٦	الحدث - مدينة
٤٠٥	حدشيت
٣٩٩، ٣٩٢	حدودا - قرية
٤٩٥	حديقة السراي
٣٧٦	حذور
٣٨٩	حرار
٢٥٠	حرسا الزيتون
٥٤٩	الحرم الإبراهيمي
٤٨٠	الحرمين الشريفين
٤١٧	حرونا
٤٨٥	حزما
٢٥٠	حسربا - قرية
٩٩	الحسكة
٤١٥	حسنية
٧٥، ٧٢، ٧١	الحصن

٣٧٦
١٣٧
١٥١، ١٤٣، ١٣٠
١١٤
١٢١، ١١٤، ١١٢، ١٠١، ١٠٠
٩
٥٦١
، ١٠١، ٩٣، ٩١، ٩٠، ٨٨، ٨٦، ٨٥
، ١٠٦، ١٠٥، ١٠٤، ١٠٣، ١٠٢
، ١١٦، ١١٥، ١١٤، ١٠٩، ١٠٨
، ١٢٤، ١٢٣، ١٢٠، ١١٨، ١١٧
، ١٣٣، ١٣٢، ١٣٠، ١٢٨، ١٢٧
، ١٤١، ١٤٠، ١٣٩، ١٣٨، ١٣٥
، ١٥١، ١٤٧، ١٤٥، ١٤٣، ١٤٢
، ٢٢٣، ١٥٥، ١٥٤، ١٥٣، ١٥٢
، ٢٥٥، ٢٥٣، ٢٥١، ٢٤٨، ٢٣١
، ٢٦٦، ٢٦٣، ٢٥٩، ٢٥٨، ٢٥٦
، ٢٨٧، ٢٧٩، ٢٧٥، ٢٧٤، ٢٦٧
، ٣٢٥، ٣٠٣، ٢٩٣، ٢٩٠، ٢٨٨
، ٣٣٦، ٣٣٥، ٣٣٤، ٣٣٣، ٣٢٧
، ٣٥٩، ٣٥٨، ٣٤٣، ٣٣٨، ٣٣٧
، ٣٨١، ٣٧٩، ٣٧٤، ٣٦١، ٣٦٠
، ٦٢٦، ٦٢٥، ٦٢٤، ٦٢٢، ٥٦٢
، ٦٥٩، ٦٥٨، ٦٥٥، ٦٥٢، ٦٣٣
٦٩٥، ٦٨٠، ٦٦٦، ٦٦٥

حصن الأكراد - قضاء
حصن التينات
حصن الجوازت
حصن كيسوم
حصن منصور
حفرة الانهدام
الحفيرة - قرية
حلب

، ٣٩٨، ٣٩٢، ٣٨٩، ٣٠٣، ٢٨٦	حلبا
٤١٥، ٤٠٤	
٤٩٣، ٤٩٢	حاحول
٣٧٥، ٣٧٤، ٣٣٣	حما
، ٢٨٩، ٢٥٩، ٢٥٨، ٢٢١، ٩٤، ٤٤	حماة
، ٦٢٢، ٣٦٠، ٣٥٩، ٣٣٨، ٣٢٥	
٦٦٦، ٦٥٦، ٦٢٤	
، ١٨٢، ١١٤، ١١٣، ٩٤، ٨٥، ٨٤	حمص
، ٢٨٥، ٢٦٠، ٢٢٠، ٢١٠، ١٩٧	
، ٣٦٩، ٣٣٨، ٣٣٣، ٣١٢، ٣٠٦	
٦٦٦، ٦٢٦، ٦٤٣، ٣٧٥، ٣٧٤	
٣٦٨	الحميدية - قرية
٤٠١	الحميرة
٤١٦، ٤٠٣، ٣٩٨	حميرة برقابيل
٣٨٩	حميرة علوش
٤١٧	حنينة
، ٣٣٨، ٢٦٨، ٢٥٧، ٢٥٢، ١٣٩، ٩	حوران
٦٥٥، ٦٣٣، ٦٢٥، ٦٢٢	
٦١٦، ٦٠٧	حوسان
٤١٧، ٣٩٩	حوشب
٢١، ١٢، ٩	حوض البحر المتوسط
٩٣	حوض قويق
٩	حوض نهر العاصي
٧٠	حوفا
٣٧٥	حولا

٣٩٢	الحويش
٣٩٢	حيذوق
٦٩	الحيرة
، ٤٩٠ ، ٣٧٦ ، ١٧٣ ، ١٦٩ ، ١٦٨	حيفا
، ٦٧٨ ، ٦٧١ ، ٦٧٠ ، ٦٥٢ ، ٥٣٨	
، ٦٩٠ ، ٦٨٤ ، ٦٨٢ ، ٦٨٠ ، ٦٧٩	
٦٩٢	
١١٦ ، ١٠٣	حيلان - قرية

-خ-

٢٢٩ ، ٢٢٠	خان أسعد باشا العظم
٥٠٠ ، ٤٩٦	خان الإفرنج
٢٢٤	خان البرغل
٢٢٤ ، ٢٢٣	خان البطيخ
٢٢٤ ، ٢٢٣	خان التتن
٢٣١	خان جقمق
٢٢٤	خان الحبال
٢٢٣	خان الحرير
٢٢٠	خان الحسين
٢٢٠	خان الحماصنة
٢٢٤	خان الخشب
٢٢٤	خان الخياطين
٢٣١	خان الدكة
، ٢٣٦ ، ٢٣٠ ، ٢٢٩ ، ٢٢٤ ، ٢٢٣	خان الرز
٢٣٩ ، ٢٣٨ ، ٢٣٧	

٢٢٣ ، ٢٣١ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٣٩ ،	خان الزيت
٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٢	
٢٢٧	خان السلطان
٢٢٣	خان السلق
٢٢٤	خان السيدة
٢٢٤	خان الشونة
٢٢٤ ، ٢٣٢ ، ٢٣٦ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ،	خان الصابون
٢٤٥	
٢٢٣	خان الصنوبر
٢٢٤	خان العدس
٢٢٤	خان العسكر
٢٢٤	خان العسل
٤٥٨	خان الغادرية
٢٢٣	خان القطب
٢٢٤	خان الكتان
٢٢٠	خان اللاوند
٢٢٤	خان النحاسين
٢٢٤	خان الوزير
٢٣٤ ، ٢٤٥	خان الوكالة
٢٢٥	خان الوكالة الغربية
٢٢٥	خان اليسر عرفات
٥١٥	الخانقاه الصلاحية
١٣٩ ، ١٤٠	خراسان
٥٠٧ ، ٥٠٨	الخراب - قرية
٦٣	خرابة الجدة

٣١	خربة جلعاد
٣٩٨	خربة حلبا
٧٩	خربة زحر الغربية
٣٣	خربة زقريط
٣١	خربة السوق
٤١٦، ٣٩٨	خربة شار
٢٠	خربة صير الغنم
٦٨٨	خربة قيس
٤١٦، ٣٩٨	خربة اللوز
٧٧، ٧٤، ٧٠، ٦٦، ١٥	خربة المخيط (نيبو)
٦٧٦	خربة المصباح - قرية
٤١٦	خربة النورا
٥٢٢	خربتا - قرية
٥٠٢	خرجا
٥٦١	خروب
٤٢٩، ٣٩٢	خريبة الجرد
٦٠٧، ٦٠٣، ٥٨٠، ٥٧٩، ٥٧٦	الخضر - قرية
٦١٨، ٦١٦، ٦١١	
٦٨٠	خط ابرائيل
٦١٧	خلة المدبسة
٦٠٠	خلة المراعشة
٨٨	خليج الإسكندرونة
٦٨٤	الخليج العربي
٢٨٢، ٢٨١، ٢٧٩، ٢٥٠، ٢٤٩	الخليل
٤٧٣، ٢٩٦، ٢٩٣، ٢٨٤، ٢٨٣	

، ٤٩٤ ، ٤٩٣ ، ٤٩٢ ، ٤٨١ ، ٤٧٥
، ٥١٢ ، ٥١١ ، ٥١٠ ، ٥٠٩ ، ٤٩٩
، ٥٧٧ ، ٥٣٣ ، ٥٢٨ ، ٥٢٤ ، ٥٢٢
٦٨٩ ، ٦٨٧ ، ٦١٦

٣٦١

خليل الرحمن

- د -

٤١٦

دارين

٥٨١

دار يوحنا موشولام

٦٣ ، ٣٩ ، ٢٠

دائرة الآثار - الاردن

٦١

دائرة الآثار - إربد

١٨

دائرة الآثار السورية

٦٨٩

دائرة الأراضي والمساحة

٢

دائرة المكتبة الوطنية - الأردن

٤١٥ ، ٣٩٨

دبابية الشرقية

٥١٤

دجانيا - قرية

١٤٦ ، ١٠٤

دريسال

٦٧٩

درعا

٤٢٣ ، ٤١٣ ، ٤٠٨ ، ٣٩٠ ، ٣٤١

الدريب

٣٨٣

الدريب - ناحية

٣٩٠

الدغلة

١٠٦

دلوك

، ٨٥ ، ٨٤ ، ٧٠ ، ٦٢ ، ٣٨ ، ٣٤ ، ١٣

دمشق

، ١١٦ ، ١١٢ ، ٩١ ، ٩٠ ، ٨٩ ، ٨٨

، ١٥٥ ، ١٥٣ ، ١٤٥ ، ١٣٨ ، ١٢٥

، ١٧٦ ، ١٧٣ ، ١٦٩ ، ١٦٨ ، ١٦٧

، ١٩٢ ، ١٨٩ ، ١٨٨ ، ١٨٢ ، ١٧٩
، ٢١٣ ، ٢١٠ ، ٢٠٧ ، ٢٠٦ ، ٢٠٢
، ٢٢٢ ، ٢٢١ ، ٢٢٠ ، ٢١٦ ، ٢١٥
، ٢٣٠ ، ٢٢٩ ، ٢٢٧ ، ٢٢٥ ، ٢٢٣
، ٢٣٩ ، ٢٣٨ ، ٢٣٧ ، ٢٣٦ ، ٢٣١
، ٢٥٠ ، ٢٤٩ ، ٢٤٢ ، ٢٤١ ، ٢٤٠
، ٢٥٦ ، ٢٥٥ ، ٢٥٣ ، ٢٥٢ ، ٢٥١
، ٢٦٢ ، ٢٦١ ، ٢٦٠ ، ٢٥٩ ، ٢٥٧
، ٢٦٧ ، ٢٦٦ ، ٢٦٥ ، ٢٦٤ ، ٢٦٣
، ٢٧٥ ، ٢٧٤ ، ٢٧٢ ، ٢٦٩ ، ٢٦٨
، ٢٨٦ ، ٢٨٥ ، ٢٨٤ ، ٢٧٧ ، ٢٧٦
، ٣٠٠ ، ٢٩٥ ، ٢٩١ ، ٢٨٩ ، ٢٨٧
، ٣٢٢ ، ٣١٢ ، ٣١١ ، ٣٠٦ ، ٣٠١
، ٣٥٧ ، ٣٤٣ ، ٣٣٠ ، ٣٢٧ ، ٣٢٦
، ٣٨٠ ، ٣٧٣ ، ٣٧٠ ، ٣٦٩ ، ٣٦٠
، ٤٣٣ ، ٣٩٩ ، ٣٨٧ ، ٣٨٤ ، ٣٨١
، ٥٢٩ ، ٥٢٥ ، ٥٠٦ ، ٤٨٢ ، ٤٥٦
، ٥٤٨ ، ٥٤٦ ، ٥٤٠ ، ٥٣١ ، ٥٣٠
، ٦٢٤ ، ٦٢٢ ، ٥٦٢ ، ٥٥٨ ، ٥٥٥
، ٦٣٠ ، ٦٢٩ ، ٦٢٧ ، ٦٢٦ ، ٦٢٥
، ٦٥١ ، ٦٤٣ ، ٦٤٢ ، ٦٣٧ ، ٦٣١
، ٦٧٥ ، ٦٦٧ ، ٦٦٥ ، ٦٦٣ ، ٦٥٧
٦٨٨ ، ٦٨١ ، ٦٧٩ ، ٦٧٨
٤٢٩ ، ٤١٦ ، ٣٩٨ ، ٣٨٩ ، ٣٩٢

١١٣	دولة بني العباس
٥٧٦، ٣٨٠، ٣٥٢	الدولة العثمانية
٥٣٦، ٣١٠	الدولة العلوية العثمانية
٣١٩	دولة المماليك
٣٧٥	دوما
٢٥٠	دومة
٣٣٤، ٢٩٤	ديار بكر
٥٧٧	ديار بيت المقدس
١٨٢	دير إبان
٨٠، ٧٩، ٧٨، ٧٣، ٧٢، ٧١	دير أبي سعيد
٦١١، ٦١٠، ٥٩٩، ٥٩٥	دير الأرمن
٢٨٣	دير أبو ثور
٥٢٨	دير أبو ضعيف
٥٢١	دير بزيع - قرية
١٨٢	دير بشر
١١٧	دير بلاض
١٤٣، ١١٧	دير البيعتين
٤١٥، ٣٩٨، ٣٩٠	دير جنين
٥٢٣	دير دبوان
٥٩٥	دير الروم
٦٢٢	دير الزور
٥٢٥، ٤٩٦	دير السد
١٢١	دير سليمان
٥٦٦	دير شرف
٦٨١، ٦٨٠	دير غزالة

٥٠٩، ٥٠٠	دير غسانة
٦٦٤، ٣٦١	دير القمر
٤٠٣	دير كفرة
١٤٣، ١١٧	دير مارت مروثا
٤٩١	دير ياسين
٤٩٩	دير يزيد
- ر، ز -	
٥١٥	رأس أبو زيتون
٤٩٤	رأس الأحمر
٩٢، ٨٩	رأس الخنزير
٧٠	رأس الطويلة
٣٦٨، ٣٦١، ٩٩	رأس العين
٦٩٦	رأس الناقورة
٣٧٥	راشيا
٦٧٩، ٦١٦	رام الله
٢٨٧	الرامة
٥٦٦	رامين
٢٣	ربة شويكة
٨١، ٨٠، ٧١	رجم الكرسي
٤٠٧، ٣٩٢، ٣٨٩، ٣٨٣، ٢٥٧	رحبة - بلدة
٤١٧	
٦٢٤	الرستن
١٤٨، ١١٠، ٨٦	الرصافة
١٥٦، ٨٧	رصافة هشام - مدينة
١٧٤	رفح

، ١٤٥ ، ١١٤ ، ١١٣ ، ١١٢ ، ٩٩ ، ٩٨	الرقعة
٢٢١	
٣٩٨ ، ٣٩٠	رمّاح
١٩	الرمادي
، ٢٨٦ ، ٢٨٣ ، ٢٥٥ ، ٢٥٣ ، ١٥٥	الرملة
، ٢٩٤ ، ٢٩٣ ، ٢٩٢ ، ٢٩١ ، ٢٨٧	
، ٣٠١ ، ٢٩٩ ، ٢٩٨ ، ٢٩٧ ، ٢٩٥	
٥٥٦ ، ٥٢٥ ، ٤٩٥ ، ٤٧٨	
٥٢٢	رمون - قرية
٣٣٦ ، ٣٣٤ ، ٣٣٣	الرها
٦٨٩ ، ٦٧٣ ، ٦٣٦ ، ٣٤٦	روسيا
٢٩٢	الروم - محلة
٦٧٢	رومانيا
، ٤٩٥ ، ٤٤٣ ، ٤٤٠ ، ١٨٨ ، ٩٠	الرياض
٦٣٤ ، ٦٣٢ ، ٥٣٨	
٣٩٨	ريحانية
٦٨٨ ، ٤١٨ ، ٤٠٤ ، ٤٠٠ ، ٣٨١ ، ٢١	الزاوية - قرية
٥٢٨	الزبادة - قرية
٢٦٢ ، ٣٨	الزبداني
١٣٦	زبطرة
٤١٧ ، ٣٩٩	زبوت
٢٨٥ ، ١٤٧ ، ١٢٤	زبيدة - قرية
٦٦٤ ، ٣٦١	زحلة
٢٠	زرقاء ماعين
٢٠	زغر

- س -

٢٢٥	ساحة المنارة
٣٢٢، ٩٠	الساحل السوري
١٣٦، ١١٥	سامراء
٧٠	السامك
٦٨٨	الساوية - قرية
١٠٥	سبخة الجبّول
٥٦١	سبسطية
٦٨٠	سجن القدس
٦٨٠	سجن قونيه
٦٧٩	سد البحر
٢٩٦، ٢٨٤، ١٢٦، ١٢٤، ١١٨	سرمين
٣٩٨	سعدين
٢٨٢	السعودية
٣٩٨	سغينة السفلى
٤٠٣	سفينة
٣٩٠	سفينة الدرب
٤١٦	سفينة السفلى
٣٩٢	سفينة القيطع
٦٨٨	سكاكا - قرية
٦٥٨، ٦٥٦، ٢٨٧، ٣١، ٢٠	السلط ، الصلت
٢٨٧، ٢٣١	سلقين
٣٧٤، ٣٣٣، ١١٤، ١٠٥	سلمية
٥٠١، ٤٩٩، ٤٩٧، ٤٩٠، ٤٥٨	سلوان
٥١٥، ٥١٢	

٧٠	سليخات
٤١٥، ٤١٣، ٣٩٨	السمونية
، ١٣٠، ١٢١، ١٠٦، ١٠٠، ٨٧	سميساط
١٤٦، ١٣١	
٢٨٣	سنجل
١٢١، ١٠٠	سنجة - قرية
١٠٢	سُنْيَاب - قرية
٩٣	سهل أدلب
١٧٣	سهل إسكندرونة
١٧٣	سهل إنطاكية
٣٨٣	سهل البقيعة
٩٤	سهل حلب
٣٤٣	سهل حوران
٩٦، ٩٤، ٩٣	سهل العمق
٩٦، ٩٣، ٩١	سهل الغاب
١٧٣	سهل اللاذقية
٩٨	سهل ملطية
٩	سهول فلسطين
، ٩١، ٨٨، ٨٤، ٣٥، ٣٠، ١٩، ١٣	سوريا
، ١٦٨، ١٦٢، ١٦١، ١٤٧، ١٣٢	
، ٢٧٧، ٢٢٠، ١٧٣، ١٧٢، ١٧٠	
، ٣٢٦، ٣٢٤، ٣٠٦، ٣٠٥، ٢٨٣	
، ٣٦٠، ٣٥٩، ٣٥٨، ٣٥٧، ٣٢٧	
، ٣٨٢، ٣٨١، ٣٧٦، ٣٧٠، ٣٦١	
، ٤٠٢، ٣٩٢، ٣٨٦، ٣٨٥، ٣٨٣	

، ٦٢٢ ، ٥٨٠ ، ٥٢٩ ، ٤٣٥ ، ٤٢٤
، ٦٣٠ ، ٦٢٧ ، ٦٢٦ ، ٦٢٤ ، ٦٢٣
، ٦٣٧ ، ٦٣٥ ، ٦٣٤ ، ٦٣٣ ، ٦٣١
، ٦٤٧ ، ٦٤٥ ، ٦٤٤ ، ٦٤٣ ، ٦٤٢
، ٦٥٧ ، ٦٥٦ ، ٦٥٥ ، ٦٥٣ ، ٦٥٢
، ٦٧٣ ، ٦٦٦ ، ٦٦٥ ، ٦٦٢ ، ٦٥٨
٦٩٥ ، ٦٧٥

٢١	سوسيا (هيوس)
٢١	سوسيتا
٢٣٠ ، ٢١٦	سوق البزورية
٢٢٤	سوق الحبال
٢٢٥	سوق الحدادين
٤٤٦	سوق الخطابين
٢١٦	سوق الحميدية
٤٥٨	سوق الخضر
٢١٦	سوق الخياطين
٤٧٠	سوق الدلالة
٢٣٢	سوق الذهب
٢٨٣	سوق الزيت
٢٢٩	سوق الصقالين
٢٢٣	سوق العتيق
، ٤٧٢ ، ٤٧١ ، ٤٧٠ ، ٤٥٥ ، ٤٤٦	سوق العطارين
٤٧٣	
٤٧٢ ، ٤٥٦ ، ٤٤٦	سوق القطنين
٢٣١ ، ٢٢٩ ، ٢٢٣	سوق مدحت باشا

٢٢٣	سوق الورق
٤٨٤ ، ٤٨٣	سولم - قرية
٣٥٨	السويد
٢٨٧ ، ٩٧	السويدية
٤١٥	سويسة
٥٥٣	السيلة - قرية
٦٨٠	السيلة الحارثية
٦٩٠	سيناء

- ش -

٤٤٠ ، ١٨٥	الشارقة
٩٤	شاطئ الفرات
٢٨٤	الشاغور - ولاية
، ١٠٨ ، ١٠٧ ، ٩٨ ، ٨٧ ، ٨٥ ، ٦٩	الشام
، ١٢٢ ، ١١٥ ، ١١٢ ، ١١١ ، ١٠٩	
، ١٣٤ ، ١٣٢ ، ١٢٨ ، ١٢٧ ، ١٢٣	
، ١٥٣ ، ١٥١ ، ١٥٠ ، ١٣٧ ، ١٣٦	
، ١٧٣ ، ١٦٨ ، ١٦٧ ، ١٥٩ ، ١٥٦	
، ٢٠٠ ، ١٩٤ ، ١٩٣ ، ١٨٨ ، ١٨٤	
، ٢١٣ ، ٢١٠ ، ٢٠٧ ، ٢٠٦ ، ٢٠٥	
، ٢٢٣ ، ٢١٧ ، ٢١٦ ، ٢١٥ ، ٢١٤	
، ٢٣٤ ، ٢٣٣ ، ٢٢٨ ، ٢٢٧ ، ٢٢٦	
، ٢٥٢ ، ٢٥٠ ، ٢٤٩ ، ٢٤٨ ، ٢٣٦	
، ٢٨٣ ، ٢٨٠ ، ٢٧٥ ، ٢٥٦ ، ٢٥٥	
، ٢٨٨ ، ٢٨٧ ، ٢٨٦ ، ٢٨٥ ، ٢٨٤	

، ٢٩٣، ٢٩٢، ٢٩١، ٢٩٠، ٢٨٩
، ٣٠٥، ٣٠٣، ٢٩٦، ٢٩٥، ٢٩٤
، ٣٣٠، ٣٢٠، ٣١٩، ٣١٢، ٣٠٦
، ٣٤٣، ٣٤١، ٣٣٦، ٣٣٤، ٣٣٣
، ٣٧٤، ٣٧٣، ٣٦٧، ٣٥٩، ٣٥٦
، ٤٢٠، ٣٩٠، ٣٨٤، ٣٨١، ٣٧٥
، ٥٣٠، ٥٢٦، ٤٦٤، ٤٥٦، ٤٤٥
، ٥٤٨، ٥٤٠، ٥٣٨، ٥٣٢، ٥٣١
، ٦٣١، ٦٣٠، ٦٢٢، ٥٥٨، ٥٥٥
، ٦٦٦، ٦٦٢، ٦٥٧، ٦٥١، ٦٣٣
٦٩٨

٤١٥، ٣٩٨

٣١٢، ٣٠٧، ٢٦٨

٤٢٣، ٣٩٠

٥٠٠، ٤٩٣، ٤٩٠

٦٤٧، ٦٤٠

٣٨٨، ٣٨١

٤٨٩

١١٨

٥٧٠، ٥٦٩، ٥٦٤

٣٤١

٤٨٥

٤١٥، ٣٩٨

١٣٠، ١٢١

٤١٣

شان
شبه الجزيرة العربية
شدرا
شرفات
الشرق الأوسط
الشعرا - إقليم
شعفاط
الشعرا
الشفاء - ناحية
الشفة
شقران
شمرا
شمشاط
الشنوق

٣٧٣ ، ٣٣٢ ، ٢٨٦
٦٦٤ ، ٣٦١ ، ٣٨٦ ، ٣٨٥
٤٨٨
٤٠٢ ، ٣٨٩
٣٨٩
٣٩٠

الشوبك
الشوف
الشيخ بريك - قرية
الشيخ طابا - قرية
الشيخ محمد - قرية
شيخلار

- ص ، ض -

٣٨٧ ، ٣٨١ ، ٣٧٦ ، ٢٨٦
٢٨٦ ، ٢٥٠
٦٨٣
٦٩٣ ، ٦٨٣ ، ٦٧٠ ، ٣٣٠
٤٩٧ ، ٥٠٩ ، ٥١٠ ، ٥١٢ ، ٥٤١ ،
٥٢٢
٤٨٨ ، ٤٨٤ ، ٤٨٢
٥٠٦
٨١ ، ٧١
٣٣١ ، ٣٢٥ ، ٢٨٤ ، ٢٨٣ ، ٢٧٤
٤٧٩ ، ٤٧٨ ، ٤٥٤ ، ٣٧٦ ، ٣٧٣
٤٩٢ ، ٤٩١ ، ٤٩٠ ، ٤٨٩ ، ٤٨١
٥٠٨ ، ٥٠٧ ، ٥٠٤ ، ٥٠٣ ، ٤٩٤
٦٥٦ ، ٦٥٥ ، ٥١٩ ، ٥١٦ ، ٥١١
٥١٤
٣٧٦
٥١٦ ، ٥١٠

صافيتا
الصالحية
صحراء بئر السبع
صحراء سيناء
الصخرة المشرفة
صرفند
صطاف - قرية
صعد
صغد
صموئيل - قرية
صهيون - قضاء
صوبا - قرية

٦٥٩ ، ٦٥٤ ، ٣٧٥ ، ١٧٣ ، ١٦٨ ، ٦٦	صور
، ٤٩٩ ، ٤٩٣ ، ٤٩٠ ، ٤٨٧ ، ٤٨٥	صور باهر
٦٠٦ ، ٥٧٩ ، ٥٧٧ ، ٥١٣	
٧١	الصويفية
، ٣٣٢ ، ٢٥٢ ، ٢٤٩ ، ١٧٣ ، ١٦٨	صيدا
، ٦٢٧ ، ٣٩٠ ، ٣٧٥ ، ٣٧٣ ، ٣٥٦	
، ٦٥٤ ، ٦٥٢ ، ٦٥١ ، ٦٣٣ ، ٦٣٢	
٦٦٧ ، ٦٦٥ ، ٦٥٥	
٢٧٠	الصين
٣٩٩	ضبعة
، ٣٨٤ ، ٣٨٣ ، ٣٨٢ ، ٣٨١ ، ٢٦٩	الضنية
٤١٨ ، ٤٠٤ ، ٤٠٠	

- ط ، ظ -

٢٩٥	طاحون أشنان
٣١٤	الطائف
٦٨٧ ، ٦٧٩ ، ٦٥٥ ، ٣٧٦	طبريا ، طبرية
٤٠	طبقة فحل
٤٩٩ ، ٢٨٣	طبلية - قرية
٤١٦ ، ٣٩٨	طبو
، ٢٢٤ ، ١٦٨ ، ١٧٣ ، ١٢٨ ، ١١٣	طرابلس
، ٢٤٥ ، ٢٤٤ ، ٢٤٣ ، ٢٣٢ ، ٢٢٩	
، ٢٦٥ ، ٢٦٤ ، ٢٦٣ ، ٢٦٠ ، ٢٥٧	
، ٣٢٥ ، ٣٠٣ ، ٢٨٩ ، ٢٨٦ ، ٢٨٥	
، ٣٣٦ ، ٣٣٤ ، ٣٣٣ ، ٣٣٠ ، ٣٢٧	

، ٣٧٠ ، ٣٦٧ ، ٣٦٠ ، ٣٥٩ ، ٣٤١	
، ٣٨٢ ، ٣٨١ ، ٣٧٩ ، ٣٧٦ ، ٣٧٤	
، ٣٨٨ ، ٣٨٧ ، ٣٨٦ ، ٣٨٥ ، ٣٨٤	
، ٣٩٣ ، ٣٩٢ ، ٣٩١ ، ٣٩٠ ، ٣٨٩	
، ٤٠١ ، ٤٠٠ ، ٣٩٦ ، ٣٩٥ ، ٣٩٤	
، ٤٢٢ ، ٤٢٠ ، ٤١٩ ، ٤١٣ ، ٤٠٨	
، ٤٢٨ ، ٤٢٧ ، ٤٢٦ ، ٤٢٥ ، ٤٢٤	
، ٦٣٢ ، ٦٣١ ، ٦٢٢ ، ٤٣٢ ، ٤٣١	
٦٦٥ ، ٦٥٩ ، ٦٥٦ ، ٦٥٥ ، ٦٥٤	
، ١٢٦ ، ١٢٥ ، ١٢١ ، ١٨١ ، ٩٦ ، ٩٢	طرسوس
، ١٤٠ ، ١٣٩ ، ١٣٥ ، ١٣٢ ، ١٣٠	
، ٣٨١ ، ٢٨٦ ، ١٥١ ، ١٤٩ ، ١٤٢	
٦٨٠	
١١٩	طرطر (طلطل)
٣٠	طرطوس
٢٨٦	الطفيلة
٦٨٠ ، ٥٧١ ، ٥٦١	طلوزة - قرية
٦٨٤	الطنطورة - قرية
٥٦٦ ، ٥٦١	طوباس
٥٨٠ ، ٥١٥ ، ٤٩٩ ، ٤٩٢	الطور
٢٨١	طور زيتا
٥٦١	طولكرم
٦٤٧	الطونة
٤٩٠ ، ٤٨٥	طيبة الأسم النصارى
٤٨٨	طيرة القبليّة - قرية

٤٨٢، ٤٨٤، ٤٨٨، ٤٩٥، ٥٢٠،	طيرة اللوز - قرية
٥٢١	
٦٧٩	الظاهرية - قرية
٤٩٤	الظاهرية الفوقا
٦٨٠	الظهر
٧١	ظهر السرو

-ع-

٤٩٦	عارورا
٢٨٣، ٢٨١	العازرية - قرية
١٩	عانة
٦٨٠	عانين
٣٩٩	عباد النصارى - قرية
٣٨٢	العبدية - قرية
٦٨٤	عتليث - قرية
٦٧٩	عتيل - قرية
٦٨٠	عيجا
٣٣٢، ٢٨٧، ٢٦٨، ٢٥٧، ٧١	عجلون
٥٤٠، ٥١٦، ٤٧٨، ٣٩٧، ٣٧٣	
٦٢٥	
٤٠٢، ٣٨٩	عدبل
٦٧٣	عدن
٦٨٠، ٥٧٠، ٥٦٦، ٥٦٠، ٥٢٨	عرابة
١٢٦، ١٢٤، ١١٢، ٩٩، ٩٨، ١٩	العراق
١٨٢، ١٧٢، ١٩٣، ١٣١، ١٢٧	

١٩٠ ، ١٩٢ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٧ ،
١٩٨ ، ٢٠١ ، ٢٠٥ ، ٢٠٧ ، ٢١٥ ،
٢٢٠ ، ٢٢٦ ، ٢٧٠ ، ٢٩٤ ، ٣٠٧ ،
٦٢٨ ، ٦٢٩ ، ٦٣٨ ، ٦٣٩ ، ٦٤٧ ،

٦٨٤

٣٦١

٢٥٠

٢٣١

٤٩٥

٣٩٨ ، ٤٠٠ ، ٤٠٣

٣٨٥ ، ٣٩٦ ، ٣٩٧ ، ٤٠٤ ، ٤٠٦ ،

٤١٣ ، ٤١٥ ، ٤١٧ ، ٤١٨

٣٨٤

٥٠٩

٢٥٠ ، ٦٩١

٣٣٥ ، ٣٧٤

٣٣٥ ، ٣٧٤

١٩ ، ٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٢٨٤

٢٨٤ ، ٢٨٥

٣٦١

٥٦١

٢٣١

٥٦٠

١٦٨ ، ١٧٣ ، ٢٦٤ ، ٢٧٤ ، ٢٨٢ ،

٢٨٥ ، ٣٢٢ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٣٧٣ ،

عربان

عربيل - قرية

عرطوز

عرعرا

عرقا

عركة

عروبة

عرورا

العريش

عزاز

عزير

عسقلان

عسكر - قرية

عشاره

عصيرة

عفرين

عقابا - قرية

عكا

، ٦٢٣ ، ٦٢٢ ، ٣٨٢ ، ٣٨١ ، ٣٧٦
، ٦٦٩ ، ٦٦٠ ، ٦٥٤ ، ٦٥٥ ، ٦٥٦
٦٨٢ ، ٦٧٣ ، ٦٧٩ ، ٦٧٢ ، ٦٧٠
، ٣٦٧ ، ٣٤١ ، ٣٣٨ ، ٣٠٣ ، ٧ ، ٦
، ٣٨٦ ، ٣٨٥ ، ٣٨٤ ، ٣٨٣ ، ٣٧٩
، ٣٩١ ، ٣٩٠ ، ٣٨٩ ، ٣٨٨ ، ٣٨٧
، ٣٩٦ ، ٣٩٥ ، ٣٩٤ ، ٣٩٣ ، ٣٩٢
، ٤٠٢ ، ٤٠١ ، ٤٠٠ ، ٣٩٩ ، ٣٩٧
، ٤٠٧ ، ٤٠٦ ، ٤٠٥ ، ٤٠٤ ، ٤٠٣
، ٤١٢ ، ٤١١ ، ٤١٠ ، ٤٠٩ ، ٤٠٨
، ٤٢٠ ، ٤١٩ ، ٤١٨ ، ٤١٦ ، ٤١٤
، ٤٢٦ ، ٤٢٤ ، ٤٢٣ ، ٤٢٢ ، ٤٢١
، ٤٣١ ، ٤٣٠ ، ٤٢٩ ، ٤٢٨ ، ٤٢٧
٤٣٥ ، ٤٣٣ ، ٤٣٢

٦٨٠

٥٠٢

٦٠٣

١٥٢ ، ١٥١ ، ١٢٤ ، ١٠٥

٥١٤ ، ٥٠٧ ، ٤٩٦

، ٧٠ ، ٣٩ ، ٣٢ ، ٣١ ، ٢٠ ، ١٤ ، ٢

، ١٩٠ ، ٨٣ ، ٨١ ، ٨٠ ، ٧١ ، ٦٣ ، ٦١

، ٢٨٣ ، ٢٦٩ ، ٢٤٩ ، ٢٤٧ ، ١٩٧

، ٤٣٨ ، ٣٩٧ ، ٣١٩ ، ٢٩٣ ، ٢٩٢

، ٤٥٨ ، ٤٤٧ ، ٤٤٦ ، ٤٤٥ ، ٤٣٩

، ٥٣٢ ، ٥٠٣ ، ٤٨٢ ، ٤٨٠ ، ٤٧٨

عكار

علا

علا الفوقا

عليا - قرية

عمّ - قرية

العمارة العامرة

عمان

، ٦٣١ ، ٦٢٣ ، ٥٧٩ ، ٥٦٦ ، ٥٥٠

، ٦٧١ ، ٦٦٧ ، ٦٦٦ ، ٦٦١ ، ٦٥٣

٦٨٩ ، ٦٧٨ ، ٦٧٣

١٠٨

٦٨٨ ، ١٠٠

٤٩٩

٥٠٧ ، ٤٩١

٩٩

٤٢٩ ، ٣٩٠

١٩

٦٧٩

٣٨٤

٤١٧ ، ٣٩٠

٣٩٢ ، ٣٨٩ ، ٣٨٥

٤١٧ ، ٣٩٩ ، ٣٩٠

٥٢٣ ، ٥٠٨ ، ٤٩٤ ، ٤٩٣

٤٩٩

٥٧٨

١٠٣

٤١٧ ، ٣٩٩

٥١٩

٤٠

١٥٤ ، ١٥٠ ، ١٢٢

١٠٩

٢٤٨

العمق - ناحية

عمورية

عناتا

العنب - قرية

عنتاب

عندقت

العوجا

عوجا الحفير

عودين

عوينات

عيّات - قرية

عيدمون

العيزرية - قرية

العيساوية

عين أرتاس

عين أشمونيت

عين باقون

عين توت

عين الديوك

عين زربة

عين زنيثا

عين سلوان

١٠٨	عين السلور
١٠٣	عين سليم
٣٢٥	عين شمس
٢٥٠	عين ثرما
٣٨٣	عين صفا
٩٩	عين عروس
٣٨٣	عين الغارة
٥٧٩	عين كارم
١٠٣	عين المباركة
١٠٥	عين معينة
٤٠	عين نعيمة
٥٠٩، ٥٠٨، ٤٨٥	عين يبرود - قرية
٣٩٢، ٣٨٩	عين يعقوب
، ١٢١، ١٠٦، ١٠٢، ١٠٠، ٩٧، ٨٩	عينتاب
٦٢٦	

-غ-

٦٨٥	غابة الروحة
٦٨٠	غالي بولي
١٩	غاليا (فرنسا حالياً)
، ٢٤٥، ٢٢٥، ١٧٤، ١٧٣، ٦٩، ١٩	غزة
، ٢٩٧، ٢٩٤، ٢٧٨، ٢٧٥، ٢٦٦	
، ٣٧٣، ٣٦١، ٣٣١، ٣٠١، ٢٩٨	
، ٤٧٨، ٤٧٥، ٤٦٦، ٤٦٤، ٤٥٤	
، ٤٩٠، ٤٨٩، ٤٨١، ٤٨٠، ٤٧٩	

، ٤٩٥، ٤٩٤، ٤٩٣، ٤٩٢، ٤٩١
، ٥١١، ٥٠٨، ٥٠٧، ٥٠٤، ٥٠٣
، ٥٤٨، ٥٤٥، ٥٤٢، ٥٤٠، ٥١٩
، ٦٠١، ٥٦٨، ٦٦٥، ٥٦٢، ٥٥٠
، ٦٩٣، ٦٩٢، ٦٩١، ٦٨٧، ٦٧٩
٦٩٦

٥٣٨، ٧٠، ٤١، ٣٩، ٣٤، ٢٠
٢٩

غور الأردن
غور الصافي

- ف -

٦٨٦
٦٠٤، ٥٩٥، ٥٨٨، ٥٨٣
٦٩٠، ٦٨٠
، ٢٦٧، ١٦٠، ١١٩، ١١٣، ١١٠
٦٢٦، ٢٨٩
٦٨٨، ٥٠٥
، ٤٠٥، ٣٩٥، ٣٥٨، ٣٥٧، ٢١، ١٩
٦٨٩، ٦٧٢، ٦٦٦، ٦٣٦
٣٩٨
، ٢٢، ٢١، ٢٠، ١٩، ١٣، ٨، ٦
، ٧٧، ٥٣، ٥٠، ٣٨، ٣٧، ٣٤، ٢٤
، ١٦٢، ١٣٤، ١٢٤، ١٢٣، ٨٤
، ٢٣١، ٢١٠، ١٧٩، ١٦٩، ١٦٨
، ٢٨١، ٢٧٩، ٢٧٨، ٢٧٧، ٢٤٨
٢٩٣، ٢٩٢، ٢٩١، ٢٨٤، ٢٨٢

الفاتيكان
فاغور - قرية
فحمة - قرية
الفرات
فرخة - قرية
فرنسا
فسيقين الفوقا
فلسطين

، ٣٣٨ ، ٣١٢ ، ٣٠٦ ، ٣٠٥ ، ٢٩٥ ،
، ٤١٢ ، ٣٩٧ ، ٣٩٤ ، ٣٦٩ ، ٣٥٨
، ٤٨١ ، ٤٧٧ ، ٤٥١ ، ٤٣٧ ، ٤١٩
، ٤٩٥ ، ٤٩١ ، ٤٨٩ ، ٤٨٨ ، ٤٨٢
، ٥١٧ ، ٥١١ ، ٥٠٢ ، ٥٠١ ، ٤٩٨
، ٥٣٤ ، ٥٣٢ ، ٥٢٩ ، ٥٢٧ ، ٥٢٥
، ٥٧٨ ، ٥٧٧ ، ٥٧٥ ، ٥٤٢ ، ٥٣٨
، ٦٠٤ ، ٥٨٩ ، ٥٨٦ ، ٥٨٠ ، ٥٧٩
، ٦١٥ ، ٦١٤ ، ٦١٢ ، ٦١٠ ، ٦٠٨
، ٦٣٠ ، ٦٢٣ ، ٦٢٢ ، ٦١٧ ، ٦١٦
، ٦٤٥ ، ٦٤٣ ، ٦٤٢ ، ٦٣٤ ، ٦٣٢
، ٦٧١ ، ٦٦٩ ، ٦٦٧ ، ٦٦٥ ، ٦٥٢
، ٦٧٨ ، ٦٧٧ ، ٦٧٥ ، ٦٧٤ ، ٦٧٣
، ٦٨٧ ، ٦٨٣ ، ٦٨٢ ، ٦٨١ ، ٦٨٠
، ٦٩٥ ، ٦٩٣ ، ٦٩١ ، ٦٩٠ ، ٦٨٩
٦٩٩ ، ٦٩٨ ، ٦٩٦

٦٦٤	فلورنسا
٢١٨	فندق الجنويين
٢١٨	فندق طرنطاي
٢١٨	فندق الكتيلانيين
٢١٨	فندق الموزة
٢١٨	فندق الموسليين
٦٨٠	الفندقومية
٤٢٩ ، ٣٨٩ ، ٣٨٥	فنيديق - قرية
٢١	فيق

-ق-

القارة - قرية

٢٢٧

قالونيا

٤٩٠

القاهرة

، ١٠٦، ٩٨، ٨٥، ٦٤، ٦٢، ١٢
 ، ١٧٢، ١٧٠، ١٦٨، ١٣٦، ١٠٧
 ، ١٨٣، ١٨١، ١٧٦، ١٧٥، ١٧٤
 ، ٢٠٠، ١٩٦، ١٨٨، ١٨٧، ١٨٦
 ، ٢١٨، ٢١٧، ٢١٥، ٢٠٣، ٢٠١
 ، ٢٥٢، ٢٥٠، ٢٤٩، ٢٤٨، ٢٢٩
 ، ٢٧٠، ٢٥٦، ٢٥٥، ٢٥٤، ٢٥٣
 ، ٣٢٧، ٣١٩، ٢٩٩، ٢٩٢، ٢٧٨
 ، ٤٤٤، ٤٤١، ٤٣٩، ٤٣٨، ٣٨٠
 ، ٦٢٣، ٥٩٧، ٥٢٩، ٤٩٢، ٤٥٢
 ٦٥٠، ٦٤٠، ٦٣١، ٦٣٠

٦٨٠

القباب

، ٤٩٥، ٤٩١، ٤٨٨، ٤٨٤، ٤٨٣، ٧
 ، ٥٣١، ٥٣٠، ٥٢٩، ٥٢٨، ٥٢٧
 ، ٥٣٧، ٥٣٦، ٥٣٥، ٥٣٣، ٥٣٢
 ، ٥٤٩، ٥٤٣، ٥٤١، ٥٣٩، ٥٣٨
 ، ٥٦٠، ٥٥٩، ٥٥٥، ٥٥٣، ٥٥١
 ، ٥٦٥، ٥٦٤، ٥٦٣، ٥٦٢، ٥٦١
 ، ٥٧٢، ٥٧١، ٥٧٠، ٥٦٩، ٥٦٨
 ٦٨٨، ٦٨٠، ٥٧٣

قباطية

٤٢٩ ، ٣٨٩	قبعيت
٤١٣	القبة
٥٩٥ ، ٥٨١	قبة راحيل
٤٨٠	قبة الصخرة
٤٠٧ ، ٣٩٢ ، ٣٨٩	قبولا
٣٧٥	قبولي الأولى - ناحية
، ٤١٧ ، ٤١٣ ، ٤٠٤ ، ٣٩٩ ، ٣٩٠	القببات
٤٢٩ ، ٤٢٠	
٤١٥	قتا
، ٢٤٨ ، ٢٢٩ ، ٢٢٥ ، ٦٥ ، ٢٢ ، ٧ ، ٦	القدس
، ٢٨٢ ، ٢٨١ ، ٢٧٩ ، ٢٦٦ ، ٢٤٩	
، ٢٩٤ ، ٢٩٣ ، ٢٩٢ ، ٢٨٧ ، ٢٨٣	
، ٣٠١ ، ٢٩٩ ، ٢٩٨ ، ٢٩٧ ، ٢٩٥	
، ٣٧٣ ، ٣٦١ ، ٣٥٩ ، ٣٣١ ، ٣١٢	
، ٤٤٨ ، ٤٤٥ ، ٤٤٤ ، ٤٤٢ ، ٤٣٧	
، ٤٥٨ ، ٤٥٧ ، ٤٥٦ ، ٤٥٥ ، ٤٥٤	
، ٤٦٦ ، ٤٦٣ ، ٤٦٢ ، ٤٦٠ ، ٤٥٩	
، ٤٧٥ ، ٤٧٤ ، ٤٧٣ ، ٤٧٠ ، ٤٦٩	
، ٤٨١ ، ٤٨٠ ، ٤٧٩ ، ٤٧٨ ، ٤٧٧	
، ٤٨٧ ، ٤٨٦ ، ٤٨٥ ، ٤٨٤ ، ٤٨٢	
، ٤٩٣ ، ٤٩٢ ، ٤٩١ ، ٤٩٠ ، ٤٨٩	
، ٤٩٩ ، ٤٩٨ ، ٤٩٧ ، ٤٩٦ ، ٤٩٤	
، ٥٠٥ ، ٥٠٤ ، ٥٠٣ ، ٥٠١ ، ٥٠٠	
، ٥١١ ، ٥٠٩ ، ٥٠٨ ، ٥٠٧ ، ٥٠٦	
، ٥١٦ ، ٥١٥ ، ٥١٤ ، ٥١٣ ، ٥١٢	

، ٥٢٧، ٥٢٤، ٥٢٢، ٥٢١، ٥١٩
، ٥٣٢، ٥٣١، ٥٣٠، ٥٢٩، ٥٢٨
، ٥٣٩، ٥٣٨، ٥٣٧، ٥٣٥، ٥٣٣
، ٥٤٧، ٥٤٦، ٥٤٢، ٥٤١، ٥٤٠
، ٥٥٣، ٥٥٢، ٥٥٠، ٥٤٩، ٥٤٨
، ٥٥٩، ٥٥٧، ٥٥٦، ٥٥٥، ٥٥٤
، ٥٦٦، ٥٦٥، ٥٦٤، ٥٦٣، ٥٦٢
، ٥٧٢، ٥٧٠، ٥٦٩، ٥٦٨، ٥٦٧
، ٥٨٠، ٥٧٩، ٥٧٨، ٥٧٧، ٥٧٦
، ٥٨٦، ٥٨٥، ٥٨٤، ٥٨٢، ٥٨١
، ٥٩٥، ٥٩٤، ٥٩١، ٥٨٨، ٥٨٧
، ٦٠٥، ٦٠٤، ٥٩٩، ٥٩٨، ٥٩٦
، ٦١٢، ٦١١، ٦٠٨، ٦٠٧، ٦٠٦
، ٦٦٢، ٦٣٢، ٦٢٢، ٦١٩، ٦١٧
، ٦٧٣، ٦٧٢، ٦٧١، ٦٧٠، ٦٦٩
، ٦٧٩، ٦٧٧، ٦٧٦، ٦٧٥، ٦٧٤
، ٦٨٩، ٦٨٨، ٦٨٧، ٦٨٣، ٦٨٢
، ٦٩٨، ٦٩٧، ٦٩٤، ٦٩٣، ٦٩١

٦٩٩

٤٩٤

٥٠٩

١٨٢

٩٣

٤١٥، ٤٠٣، ٤٠١، ٣٩٨

٤١٧، ٣٩٩، ٣٨٩

قديتا

قراوا

قرحتا

قرقور

قرنة مشمش

القريات

٤٩٩	القربوت
٦٥٢، ٣٧٠، ٣٣٠، ١٤٨	القسطنطينية
٢٢٦، ٢١٤	قصر الحير
٣٤٥	قصر الزهور
١٨٢	قصر القسطل
١٠٦	قصر مسلمة بن عبد الملك
٦٢٤، ٢٨٧	القصير
٥٦١	قصين
٦٨٠، ٤٨٨	قفين - قرية
٧٨	قلاعة
١٣١، ١٢٥	قلز (كلس)
٥٨٨، ٥٨٣	قلعة البرك
٤٩٩	قلعة الخليل
١٠١، ٨٧	قلعة الروم
٦٤٧	قلعة الطائف
٥٨٨	قلعة مراد
١٢٠، ٨٧	قلعة نجم
٣٨	قلعة الورد
٢٨٧	قلمون
٤٩٦	قلنديا
٤٨٦	قلندية
٤٢٩	قلود الباقية
٢٨٣	قلونيا - قرية
٤١٣، ٣٨٤	القموعة
٢٥١	قناة زمكا

٦١٨، ٦٠٤، ٥٧٨	قناة السبيل
، ٦٨١، ٦٨٠، ٦٧٩، ٦٧٠، ٦٦	قناة السويس
، ٦٩٠، ٦٨٧، ٦٨٤، ٦٨٣، ٦٨٢	
٦٩٣	
، ١١٣، ١٠٨، ١٠٧، ١٠٢، ٨٥، ٨٤	قنسرين
، ١٢٥، ١٢٠، ١١٨، ١١٦، ١١٤	
٣١٢، ٣٠٧، ٢١٠، ١٧٩، ١٢٨	
٨٦	قورس
٢٩١	قولة - قرية
٤٩١	قيالا
١٠٠	القيروان
١٧٤، ٧٧، ٣٨، ٣٧	قيسارية
٣٠٦	قيسرية
، ٤٠٨، ٤٠٢، ٤٠١، ٣٨٩، ٣٤١	القيطع
٤٢٩، ٤٢٠، ٤١٣	
٣٨٣	القيطع - ناحية
- ك -	
٩٠	كتلة الباير
٢٨٧	كردطاغ
، ٣٧٣، ٣٣٢، ٣٢٥، ٢٨٧، ٢٧٤	الكرك
٦٨٧، ٦٥٦، ٦٢٥، ٦٢٢، ٥٤٢	
٦١٧	الكركفة
٥٩٥	كرم الخربة
٤١٣، ٣٨٤	كرم شباط

٥٩٤	كرم هرماس
٥٠٢، ٤٩٠	الكرمل
٦٦٤، ٣٨٦، ٣٨٥، ٣٦١، ٢٨٩	كسروان
٦٦٥	
٥٦١	كفرات
٥٦١	كفراتا
٧٩، ٧٢، ٧١	كفر أسد
٤٩٦	كفر اشوع
٦٨٠	كفراعي
١٤٦، ١٢٢	كفر بيا
٢١	كفر حارب
٣٩٨	كفر حره
٦٥٧	كفر حور
٦٨٠	كفر دان
٦٩٠	كفر راعي - قرية
٧١	كفر راكب
٥٢٣	كفر سالم بن حماد
٣٩٨	كفر سبعل
٢٨٦	كفر سوسية
٢٨٩	كفر طاب
٤٨٩	كفر عانا
٥٢٣، ٥١٩، ٤٩١، ٤٨٩	كفر عقب
٤٩١	كفر عين
٥٠٩	كفر عين الجاريات
٤١٦، ٤٠٣	كفر الفتوح

٦٧٦، ١٦٩	كفر قرع
٦٨٠، ٥٧٠، ٥٦٣، ٥٦٠	كفر قود
٢٨٣	كفر كنا - قرية
١١٧، ١٠٤	كفر لاثا
٥٦٦	كفر اللبد
٧٢، ٧١	كفر الماء
٤١٥، ٣٩٨	كفر ملكا
١١٨	كفر نجد - قرية
٣٩٠	كفر نون
٤٨٩	كفر هر
٥٦١	كفر ياروب
٥٧٠	كفريت
٦٨٠، ٥٧٠	كفيرت
٣٧٥	كلبية
٣٧٤، ٣٣٥	كليس
٢٤٧	كلية الآداب - الجامعة الأردنية
١٦٧	كلية الآداب - جامعة دمشق
٢٧٧	كلية الآداب - فلسطين
٩	كلية الأمير الحسين بن عبدالله الفنية العسكرية
٢٣١	الكناية
٦٣	كنيسة الحصن
٧٥	كنيسة خربة الجدة
١٤	كنيسة سانت جورج
٧٧، ٧٤	كنيسة القديس بروكوبيوس
٦٦	كنيسة القديس كريستوفر

٧٧، ٧٤، ٢٠	كنيسة القديس لوط
٦٠٢، ٥٧٦	كنيسة المهدي
٣٢٨	كوتاهية
٤١٨، ٤٠٤، ٤٠٠	كورا
٦٦٤، ٣٨٧، ٣٨٤، ٣٨١، ٣٦١	الكورة
١٠٤	كورة الجومة
١٨٤	كورة عسقلان
١٢٠	كورة فايا
٤٠٣، ٣٩٨	كوشة
٣١٢	الكوفة
، ٤٣٨، ٤٢١، ٢٧٨، ٢٤٧، ٢٥٣	الكويت
٦٥٩	
١٢١	كيسوم
-ل-	
، ١٦٨، ١١٠، ٩٦، ٩٢، ٩١، ٨٧	اللاذقية
، ٣٧٦، ٣٦٠، ٣٥٩، ٢٨٧، ٢٨٦	
، ٦٥٤، ٦٣٧، ٦٢٢، ٣٩٣، ٣٨١	
٦٦٥، ٦٦٣، ٦٦٠، ٦٥٦، ٦٥٥	
، ١٧٣، ١٧٠، ١١٣، ٦٦، ٣٥، ١٣	لبنان
، ٢٥٠، ٢٤٩، ٢٤٨، ٢٤٠، ٢١٩	
٢٥٨، ٢٥٥، ٢٥٣، ٢٥٢، ٢٥١	
، ٢٨٧، ٢٨١، ٢٧٠، ٢٦٩، ٢٦٥،	
، ٣٤٣، ٣١٩، ٣٠٥، ٣٠٠، ٢٨٩	
، ٣٨١، ٣٧٠، ٣٦١، ٣٥٨، ٣٤٥	
، ٣٨٦، ٣٨٥، ٣٨٤، ٣٨٣، ٣٨٢	

، ٤٠٥ ، ٣٩٥ ، ٣٩٤ ، ٣٩٣ ، ٣٨٧
، ٤١٧ ، ٤١٤ ، ٤١٢ ، ٤١١ ، ٤٠٧
، ٥٨٠ ، ٤٣٤ ، ٤٣٠ ، ٤٢٠ ، ٤١٨
، ٦٣٣ ، ٦٣٢ ، ٦٣١ ، ٦٢٧ ، ٦٢٢
، ٦٤٤ ، ٦٤٢ ، ٦٣٧ ، ٦٣٥ ، ٦٣٤
، ٦٦٤ ، ٦٦٣ ، ٦٥٨ ، ٦٥٢ ، ٦٤٥
، ٦٨٦ ، ٦٧٧ ، ٦٧٣ ، ٦٦٦ ، ٦٦٥
٦٩١ ، ٦٨٨

٤٨٠ ، ٤٤٦ ، ٣١٩

، ٤٨٨ ، ٤٨١ ، ٤٧٩ ، ٣٧٣ ، ٣٣٢
، ٤٩٥ ، ٤٩٠ ، ٤٨٤ ، ٤٨٣ ، ٤٨٢
، ٥٢٦ ، ٥٢٠ ، ٥١٦ ، ٥٠٤ ، ٥٠٣
، ٥٣٢ ، ٥٣١ ، ٥٣٠ ، ٥٢٩ ، ٥٢٧
، ٥٤٠ ، ٥٣٩ ، ٥٣٨ ، ٥٣٧ ، ٥٣٣
، ٥٤٥ ، ٥٤٤ ، ٥٤٣ ، ٥٤٢ ، ٥٤١
، ٥٥٠ ، ٥٤٩ ، ٥٤٨ ، ٥٤٧ ، ٥٤٦
، ٥٥٩ ، ٥٥٧ ، ٥٥٦ ، ٥٥٣ ، ٥٥١
، ٥٧٠ ، ٥٦٩ ، ٥٦٨ ، ٥٦٤ ، ٥٦٣
، ٥٧٢ ، ٥٧١

٥٢٥ ، ٢٨٧

، ٥٢٢ ، ٤٩٠ ، ٤٨٥ ، ٤٥٨ ، ٢٨٣
٥٨٨

، ٥١١ ، ٤٨٠ ، ٤٧٨ ، ٤٥٤ ، ٨٤

٦٤٦ ، ٥٣٧ ، ٥٣٣

٢٧٩ ، ١٦٧ ، ٩٥ ، ٨٦ ، ٨٥

لجنة تاريخ بلاد الشام
اللجون

اللد

لفتا - قرية

لندن

ليدن

- م -

٢٠	مأب
٦٦	مادبا
٣٨٩	مارتوما
٥٧٩، ٤٩٠	المالحة
٦٣٣	مالطا
٦٦٤، ٣٦١	المتن
٤٢٩، ٤١٧	مجلد
٤٠٣، ٤٠١، ٣٨٩	مجدلا
٦٧٢، ٣٥٨	المجر
٥٦١	المجفر
٢٧٨، ٦٣	مجمع اللغة العربية الأردني
٥٩٧	المحروق - محلة
٦٨٠	محطة أبي نعيم
٦٧٩	محطة رياق
٦٨٠	محطة عرابة
٦٨٠	مدائن صالح
٦١٩	المدبسة
٦٨٢	مدرسة سان جورج
٦٦٦	مدرسة سليمان الزراعية
٥١٢، ٤٩٧	المدرسة الصلاحية
٥٢٥	المدرسة المعظمية
٥٢١	المدرسة الملكية
٦٨٠، ٦٦٧، ٤٨٠، ٣١٤، ٣١٣	المدينة المنورة
٢٩٣	مرتين - قرية

١٠٢	مرج الأحمر (تل السلطان)
١٤٦	مرج الأطراخون
، ٤٨٢، ٤٨٠، ٤٧٩، ٣٩٧، ٣٤	مرج بني عامر
، ٤٩٥، ٤٨٩، ٤٨٨، ٤٨٦، ٤٨٣	
، ٥٣٨، ٥٣٦، ٥٣٢، ٥٢٠، ٥٠٧	
٦٤٢، ٥٥١، ٥٥٠	
٦٢٢، ٥٢٨، ٣٧٩، ٣٠٥، ١٤٥	مرج دابق
١٤٦	مرج الديباج
١٤٦، ١١٤	مرج عبدالواحد
١٤٦	مرج قلز (كلس)
١٤٦	مرج المصيصة
٢٥١	مرج وادي شعبان
٣٧٥	مرجعيون
٤٩١، ٤٩٠	مزارع بني زيد
٤٩٦	مزرعة حاراش
٤٠٣	مزرعة حاصورة
٥٠٢	مزرعة خطاف
٤٠٣	مزرعة رمضانة
٤٠٣	مزرعة شريتح
٤٩٦	مزرعة الشيخ جراح
٤٠٣	مزرعة عودين
٤١٥	مزرعة عوينات
٤٠٣	مزرعة فاروق
٦١٠	مزرعة الفواغرة
٥٤٤	مزرعة كفرباسا

٥٦١	مزرعة مبرور
٤٠٣	مزرعة مريودا
١٩	مرسيليا
٩٢	مرسين
١٠٦، ١٠٩، ١١٢، ١٢٢، ١٥٤،	مرعش
٣٣٤، ٣٦١، ٦٢٢	
٣٧٦	المرقب
٢، ٥، ٧، ٨، ٢٧٠، ٢٧٧،	مركز الوثائق والمخطوطات ودراسات بلاد الشام
٢٥٥، ٦٧١	
٥٢٨	مركة - قرية
٤١٥	مرليا
٦٧٦	مستشفى البطمة العسكري
٦٨١	مستشفى التل الكبير
٦٨١	مستشفى الحميدية
٦٨١	مستشفى طرسوس
٥١١	المسجد الإبراهيمي
٢٩٠، ٤٣٧، ٥٠٩، ٥١١، ٥٥٩،	المسجد الأقصى
٥٦٣، ٦٧٢	
٦٧٤	مسجد جنين الكبير
٨٧	مسكنة
٥٢٨	مسلية - قرية
٤٠٣	مشتى - مزرعة
٣٩٨، ٤١٦	مشحا
١١٨	مشحلا - قرية
٣٦٧، ٣٨٥، ٣٨٩، ٣٩٩، ٤٢٩	مشمش - قرية

٤١٥	مشيرفة - مزرعة
٤٠٨	مشيلحة الحاكور
٦٨٠	المصباح - قرية
١١٤، ٨٤، ٦٩، ٦٦، ٤٣، ١٩، ١٣	مصر
١٣٨، ١٣٧، ١٣١، ١٢٧، ١٢٦	
٢١٦، ١٩٢، ١٩٠، ١٨٧، ١٥٤	
٢٧٨، ٢٧٠، ٢٥٥، ٢٥٢، ٢١٧	
٢٩٣، ٢٨٥، ٢٨٤، ٢٨١، ٢٧٩	
٣٢٤، ٣١٩، ٣١٢، ٣٠٢، ٢٩٤	
٤٠٢، ٣٨٤، ٣٤٦، ٣٤٣، ٣٤٠	
٦٤٤، ٦٣٣، ٥٩٧، ٥٣٨، ٤٢٣	
٦٨١، ٦٧٣، ٦٦٩، ٦٦٢، ٦٤٧	
٦٩٠، ٦٨٩، ٦٨٤	
١٥٠، ١٣٧، ١٢٢، ١١٢	المصيصة
٣٧٤، ٣٣٥	مضيق
٦٨٠	المطلة
٣٧٤، ٣٣٥، ٢٨٩	المعرة
١٣٣، ١٣٢، ١٢٦، ١٢٤، ١١٨	معرة مصرين
١٤٢	
١٢٦، ١٢٥، ١١٩، ١٠٧، ٨٧	معرة النعمان
٢٨٥، ١٣١، ١٢٩، ١٢٨، ١٢٧	
٦٢٦	
٢٩٢	معصرة أبيطط
٢٩٢	معصرة أبي الهدى
٣٣، ٣١	معصرة جلعاد

٢٩١	معصرة حنا أيوب
٧٣	معصرة رجم الكرسي
٣٤، ٣٢، ٣١	معصرة زقريط
٧٣	معصرة الصويفية
٧٦	معصرة العارضة
٢٩٢	معصرة كرم البير
٢٣١	المعظمية
	معهد الآثار والأنثروبولوجيا - جامعة اليرموك ٢٣
	معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية ٨٤
	المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية - دمشق ٦٢
٢٨١، ٩٥	المغرب
٦٧٤، ٦٧٣	المغرب العربي
٢٩٢	المفتي - محلة
٨١، ٧١	المفرق
٥٠٠	مقام علي بن عليل
٥١٨	مقام النبي داود
٢٩	مقدونيا
٨٤	مكتبة السليمانية
٦٧٣، ٤٨٠، ٣١٣، ١٥٩	مكة المكرمة
٩٩	ملاطية
١٣٠، ١٢٧، ١٢٢، ١٠٩، ١٠٠	ملطية
١٥٤، ١٣٦، ١٣١	
٢٤٧، ١٨٥، ٨٣، ٦١، ٩، ٢	المملكة الأردنية الهاشمية
٣٠٦	مملكة الأنباط
٢٧٩	مملكة بيت المقدس

٦٣٦	مملكة سردينيا
٣٠٣	مملكة فاس
٤٦٩ ، ٤٤٤	مملكة القدس
٤٢٩ ، ٤١٦	منع
١٥٥ ، ١٤٤ ، ١١٩ ، ١١٠ ، ٨٦	منيج
٣٧٤ ، ٣٣٥ ، ٢٦٧	
٣٩٠	منجز - قرية
٤١٨ ، ٤٠٠	منيطرة
٣٨٣ ، ٣٨٢	المنية
٣	مؤته
٥٩٨	مؤسسة احياء التراث
٢٠	مؤسسة إعمار السلط
٨٣	مؤسسة آل البيت
٦٢٣	موسكو
٦٣٩ ، ١٩٧ ، ٨٧	الموصل
٦٨٠	ميثلون
٢١	ميناء عسقلان
٤٨٨	ميناء عكا
٢١	ميناء غزة

- ن -

٢٧٤ ، ٢٣٤ ، ٢٢٩ ، ٢٢٥ ، ١٦٨ ، ٢٥	نابلس
٢٩٢ ، ٢٨٧ ، ٢٨٥ ، ٢٨٤ ، ٢٧٩ ،	
٣٣١ ، ٢٩٩ ، ٢٩٨ ، ٢٩٧ ، ٢٩٤	
٤٩٠ ، ٤٨٨ ، ٤٧٨ ، ٣٧٦ ، ٣٧٣	
٥٠٤ ، ٤٩٩ ، ٤٩٨ ، ٤٩٥ ، ٤٩١	

، ٥٢٧، ٥٢٥، ٥٢٤، ٥١٦، ٥٠٦
، ٥٣٣، ٥٣٢، ٥٣١، ٥٣٠، ٥٢٨
، ٥٤٣، ٥٤٢، ٥٣٩، ٥٣٨، ٥٣٧
، ٥٤٨، ٥٤٧، ٥٤٦، ٥٤٥، ٥٤٤
، ٥٥٤، ٥٥٣، ٥٥١، ٥٥٠، ٥٤٩
، ٥٥٩، ٥٥٨، ٥٥٧، ٥٥٦، ٥٥٥
، ٥٦٤، ٥٦٣، ٥٦٢، ٥٦١، ٥٦٠
، ٥٦٩، ٥٦٨، ٥٦٧، ٥٦٦، ٥٦٥
، ٦٢٢، ٥٧٣، ٥٧٢، ٥٧١، ٥٧٠
، ٦٦٩، ٦٦٠، ٦٥٦، ٦٥٥، ٦٣٧
، ٦٧٨، ٦٧٣، ٦٧٢، ٦٧١، ٦٧٠
٦٨٩، ٦٨٧، ٦٨٣، ٦٨٢، ٦٧٩
٦٨٠، ٦٥٦، ٦٥٤، ٦٤٢، ٣٧٦

	الناصره
٤٨٨	ناعوره
١٠٦	نبع البيضة
١٠٦	نبع الجباه
١٠٥	نبع عوير
١٠٣	نبع قطمة
٩٦	نبع اللبوة
١٠٥	نبع ماء البدية
٩٦	نبع مغارة الراهب
٣٧٥، ٣٦٩، ٢٢٧	النبك - قرية
٦٩٧	نجد
٦٠٧، ٥١٦	نحالين - قرية
٣٥٨	النرويج

٦٨٠	النزلة الشرقية
٥٦٦	النصارية
٢٨٧، ٩١	النصيرية
١٠١	النفاخ - قرية
٣٣٠، ٢٥، ١٩	النقب
٢٨٥، ، ١٢٤ ١٠٥	نقرة بني أسد - قرية
٢٨٥	نقرة بني أسعد - قرية
٦٧٢، ٣٥٨، ٣٤٦	النمسا
١٦٨	نهر إبراهيم
١٦٨	نهر أبي فطرس (العوجا)
٩٧	نهر الأبيض
٩٥	نهر أذنة
٥٧٦، ٥٠٢	نهر الأردن
١٠٠، ٩٨، ٨٧	نهر أرسناس (شمشاط)
١٠١	النهر الأزرق
٣٨٣	نهر اسطوان (أسطفان)
١٤٦، ١١٨، ١٠٨، ١٠٧، ٩٧، ٩٣	النهر الأسود
٣٩٨	نهر افليس
١٦٨	نهر إنطلياس
١٦٨	نهر الأولي
٣٩٢، ٣٨٣، ٣٨٢، ١٦٨	نهر البارد
١٠٣	نبح الباسوطة
٩٧	نهر البراك
٩٥	نهر البردان
٢٥٦، ٢٥٠، ٢٢١	نهر بردى

١٠٠	نهر بلم صو
٩٩	نهر البليخ
١٠١	نهر بهنس
٩٩	نهر توخمة صو
٢٥٠	نهر ثورا
٢٥٠	نهر جسر البط
١٦٨، ١١٩، ١٠١	نهر الجوز
١٢٢، ١١١، ١٠٩، ٩٥، ٩٢، ٨٨	نهر جيحان
١٦٨، ١٥٠، ١٤٦	
٢٥٨، ١٠١	نهر حلب
٢٥٧	نهر حماة
١٠٩، ٩٥	نهر حوريث
١٦٨	نهر حيفا
٩٩	نهر الخابور
٣٨٣	نهر الخريبة
١٦٨	نهر الدامور
٩٨	نهر دجلة
١٣٩، ١٣٨، ١٠٨، ١٠٥، ١٠٢	نهر الذهب
٢٨٦، ١٤٧، ١٤٢	
٩٨	نهر الذئب
١٠١	نهر رعبان
٩٧	نهر الرقيا (الرقية)
١٦٨	نهر الزهراني
١٠٦، ١٠٠، ٩٩	نهر الساجور
١٦٨	نهر السن

١٠٠	نهر سنجة
١٦٨، ٩٥، ٩٢، ٨٨	نهر سيحان
٢٥٠	نهر طاحون الوز
٩٥	نهر طرسوس
١٠٠	نهر طوخمة صو
٦٨٠	نهر الطونة
١٠٨، ١٠٧، ٩٦، ٩٤، ٩٣، ٩١	نهر العاصي
١١٧	
٩٧	نهر العاصي الصغير
٣٨٣	نهر عرقة
١٠٨، ١٠٧، ١٠٣، ٩٧، ٨٩	نهر عفرين
٩٦	نهر العمق
٩٥	نهر الغضبان
٩٦	نهر الفاتر
١٠٠، ٩٩، ٩٨، ٩٤، ٩٠، ٨٦، ١٩	نهر الفرات
١٤٧، ١٣٢، ١٢٤، ١٢١، ١٠١	
٢٥٧، ١٥٩، ١٥٨، ١٥٦، ١٥٥	
١٦٨	نهر قاديشا
١٦٨	نهر القاسمية
٩٩	نهر القباقب
١٣٨، ١٠٨، ١٠٦، ١٠٣، ١٠١	نهر قويق
١٤١	
٩٧	نهر الكافات
٣٨٣	النهر الكبير
١٦٨	النهر الكبير الجنوبي

١٦٨، ٩٦، ٩٢	النهر الكبير الشمالي
٣٨٦، ١٦٨	نهر الكلب
١٠٠	نهر كيسوم
٩٦، ٩٢، ٨٧	نهر اللامس
١٦٨	نهر الليطاني
٩٨	نهر مراد صو
١٠١	نهر المرزبان
٩٥	نهر المصيصة
١٦٩، ١٦٨	نهر المقطع
٩٦	النهر المقلوب
١٠٠	نهر ملاس
٩٧	نهر الميداني
٢٠٦، ١١٢	نهر يزيد
٩٧	نهر يغرا
١٢٨	نواز - قرية
٣٩٨	نورا
٥٢٠، ٤٩٥	نورس - قرية
٢٨٦	النيرب
٦٤٧	نيش
٦٩٠، ٦٧٦	نيويورك

- ه -

٤٩٣	هربية - قرية
٣٨٢، ٣٨١، ٩٦	الهرمل
٩٨	الهضبة الأرمينية

هضبة حلب
الهند
٩٠، ٨٩
٢٧٩، ٢٧٠، ٢٦٠، ١٣٤، ١٢٨

-٩-

٥٦٦	واد الشعير
٢٩	وادي إبرو
٤٨٦، ٤٠، ٣٨	وادي الأردن (الأغوار)
٦١٨	وادي اراطاس
١٥٣، ١٢٠، ١١٩، ١٠٨، ١٠٥	وادي بطنان
٦٢٥	وادي التيم
٤٠	وادي الجرم
٣٨٣	وادي جهنم
٥٨٣	وادي الحريزات
٣٨٣	وادي خالد
٦١٦	وادي الخضر
٩٣	وادي الروج
٢٨٥	وادي الزيتون
٣١	وادي شعيب
٦٨٦، ٥٣٨	وادي عارة - قرية
٦٥٧، ٣٧٥	وادي العجم
٦١٣، ٦١٢، ٦١١، ٦٠٨، ٦٠٧	وادي فوكين
٤٩٠	وادي اللجون
٢٨٢	وادي موسى
٨٨	وادي نهر جيحان
٩١	وادي نهر العاصي

٨	وزارة التعليم العالي
٨٥	وزارة الثقافة - دمشق
٢١٧	وكالة الغوري
٦٧٦	الولايات المتحدة الأمريكية
٦١١ ، ٥٧٩ ، ٤٨٧ ، ٤٨٦	الولجة

- ي -

٧١	ياجوز
٥٦٧	الياسمين - محلة
٢٩٢ ، ٢٩١ ، ٢٨١ ، ١٧٣ ، ١٦٨	يافا
٦٦٦ ، ٦٦٥ ، ٦١٠ ، ٥٤٥ ، ٣٦١	
٦٨٢ ، ٦٧٩ ، ٦٧٢ ، ٦٧١ ، ٦٧٠	
٦٨٩ ، ٦٨٨ ، ٦٨٧ ، ٦٨٥ ، ٦٨٤	
٧٠٠ ، ٦٩٦ ، ٦٩٥ ، ٦٩٤ ، ٦٩٣	
٦٨٠ ، ٤٩٥ ، ٤٨٨ ، ٤٨٤ ، ٤٨٣	اليامون
٦٨١ ، ٦٨٠ ، ٥٧٠	يعبد
٦٨٠ ، ٥٨٢ ، ٣٠٢ ، ٢٨٧	اليمن

Places

- A , B -

Amman	39
Amsterdam	33
Anatolia	21
Ankara	433
Apennines	29
Beirut	314,402

- C , D , E -

Caesarea	77
Cambridge	458
Center for Documents & Manuscripts and Bilad al - sham Studies	2
Damascus	223, 228 , 464 , 558
Dordrecht	17
Ebro Valley	29
Egypt	589
Erlangen	492

- G , H -

Galilee	82
Gaza	21
Haifa	21 , 82

- I, J, K -

Israel	19 , 22 , 77
Istanbul	628
Jerusalem	15, 65, 70 , 443, 458
Jordan	71, 492, 589, 675
Jordan River	39
Jordan Valley	39
Judaea	82
Khirbat Shuwayka	23
Khirbat Yajuz	71
Kinnasrin	84, 102, 111

- L, M, N -

Leiden	43, 63
London	12, 19, 20 , 26, 279, 443, 458, 583, 589, 590, 626, 636, 647, 650, 675, 677, 691
Moab	22
Nebo	15, 70
New York	12, 15, 19, 22, 28, 29, 64, 70, 218, 279, 660, 661, 666

- O, P -

Oxford	13, 29, 30, 39, 558
Palestine	20, 65, 423, 492, 558, 583, 587, 589, 590, 650, 675, 677

Paris	309, 423, 626
Princeton	270, 271, 464

- S, T -

Sussita	21
Syria	20, 30, 228, 492, 650
Turkey	627
Tokyo	739

- U, W -

Umm Es - Summaq	71
University of Jordan	464
Washington	11, 21

أنواع المحاصيل الزراعية

- أ -

٤٩٩، ١٢٨، ١٢٧	الأترنج
٦٠٣، ٤٩٥، ٤٥٦، ١٢٩، ١٨	الإجاص
٦١١، ٦٠٧، ٦٠٤	
٤٣٣، ٤٢٢، ٢٧٩، ٢٣٠، ١٤٢	الأرز
٦٥٠، ٤٥٥، ٤٤٨	
٢٨٦، ١٤٥	الأس
١٤٣	الأشنان
١٤١	الأنيسون

- ب -

٤٦٦، ٤٥٦، ٤٢٤، ٢٦٣، ٢٦٢	الباذنجان
٦١٩، ٦١٨، ٦٠٨، ٦٠٤	
٦٠٨، ٦٠٤، ٥٩٣، ٥٩٠	البازيلاء
١٤٣	الباقلاء
٤٢٢	الباقية
١٩٣	البر
٦٦٥، ٦١١، ٤٩٥، ١٢٨، ١٨	البرتقال
٦٩٤، ٦٨٦، ٦٨٥، ٦٦٦،	
٢٣٠	البرغل
١٤١	بزر البقلة
٤٢٥	البزيرة
٦٠٧، ٤٥٤، ٤٢٥، ٤٢٤، ٤٢٣	البصل

٤٢٣٨٥٨	البطاطا
، ٤٥٥ ، ٤٢٤ ، ٢٢٣ ، ١٤٢ ، ١١٥	البطيخ
٦٨٦ ، ٤٩٠ ، ٤٦٦ ، ٤٥٦	
٤٢٤	البقدونس
، ٢٦٣ ، ١٥١ ، ١٣٧ ، ١٣٦ ، ١١٧	البلوط
٦١٨ ، ٦٠٣	
١٨	البندق
٦١٩ ، ٦٠٨ ، ٦٠٤ ، ٦٠٣ ، ٤٢٤	البندورة
٦٠٧ ، ١٤٥	البنفسج
١٤٥	البهار
١٢٨	بوملي

- ت ، ث -

، ٤١٢ ، ٤١١ ، ٤١٠ ، ٤٠٩ ، ٣٩٤	التبغ
٦٦٥ ، ٦٦٤	
١٤٢	الترمس
، ٢٦٩ ، ٢٦١ ، ١٢٩ ، ١٢٨ ، ١٨	التفاح
، ٤٨٩ ، ٤٨١ ، ٤٥٦ ، ٤٠٧ ، ٢٩٥	
٦٠٣ ، ٤٩٦ ، ٤٩٥ ، ٤٩٤	
٤٥٥ ، ٢٩٥ ، ٢٧٩ ، ١٢٣ ، ٧٠ ، ٤٣	التمر
، ٣٩٧ ، ٣٩٦ ، ٣٩٥ ، ٣٩٤ ، ٢٦٢	التوت
، ٤٨١ ، ٤١٠ ، ٤٠٩ ، ٤٠٨ ، ٤٠٥	
٦٦٥ ، ٦٦٣ ، ٦٥٠ ، ٥٣٤	
، ١٦١ ، ١٢٧ ، ١٢٦ ، ١١٩ ، ٤٣ ، ١٨	التين
، ٢٩٣ ، ٢٨٩ ، ٢٨٧ ، ٢٨٥ ، ٢٨٠	

، ٤٨١، ٤٥٦، ٤٢٥، ٤٠٧، ٤٠٦
، ٤٩٧، ٤٩٦، ٤٩٥، ٤٩٤، ٤٨٩
، ٥٧٥، ٥٠١، ٥٠٠، ٤٩٩، ٤٩٨
، ٥٨٩، ٥٨٨، ٥٨٤، ٥٨٣، ٥٨١
، ٥٩٦، ٥٩٥، ٥٩٤، ٥٩١، ٥٩٠
، ٦٠٢، ٦٠١، ٦٠٠، ٥٩٩، ٥٩٧
٦١١، ٦٠٧، ٦٠٦، ٦٠٤، ٦٠٣
٦١٩، ٦١٧،
٤٥٦، ٤٥٤، ٤٢٤

الثوم

-ج-

١٤٥
٢٦٤، ٢٥٤، ١٣٧، ١٣٠، ١٢٩
٥٠٦، ٤٩٤، ٤٠٨، ٤٠٧، ٢٨٥،

الجلنار

الجوز

-ح-

١٤٥
١٤١
١٤١
١٤٥
، ٥١٣، ٥١٠، ٤٨٣، ٤٢٢، ١٤٢
٦٠٦
، ٢٦٨، ١٥٨، ١٥٣، ١٤٠، ٧٠
، ٤٨٢، ٤١٨، ٤١٧، ٤١٦، ٤١٣
، ٤٨٧، ٤٨٦، ٤٨٥، ٤٨٤، ٤٨٣

الحبق

الحبة الخضراء

الحبة السوداء

الحماحم

الحمص

الحنطة

٤٨٨ ، ٥٠١ ، ٥٠٣ ، ٥٠٥ ، ٥٠٩ ،

٥٢٠ ، ٥٢١ ، ٥٣٣ ، ٥٨٨ ، ٦٠٦ ،

٦٥٠

١٤٥

الحوذان

- خ -

١٤٥

٢٩٥ ، ٤٠٨ ، ٤٩٥ ، ٥٩٦ ، ٦٠٣ ،

٦١٨

٤٢٤ ، ٦٠٧ ، ٦١٨ ،

١٤١

١٢٨ ، ١٢٩ ، ٤٠٨ ، ٦٠٧ ، ٦١١ ،

١٤٢ ، ٢٦١ ، ٤٢٤ ،

الخرم

الخروب

الخص

الخشخاش

الخوخ

الخيار

- د ، ذ -

٤٤٨ ، ٤٥٥ ، ٦١٧ ،

١٤٢ ، ٤٢٠ ، ٦٠٦ ، ٦٠٨ ،

١٨ ، ٤٩٩ ، ٦٠٤ ، ٦١١ ،

١٣٨

٦٠٣

١٤٢ ، ٤٢٠ ، ٤٢١ ، ٤٨١ ، ٤٨٢ ،

٤٨٣ ، ٤٨٥ ، ٤٨٦ ، ٥٠٣ ، ٦٠٦ ،

٦٠٧ ، ٦٨٦ ،

الدبس

الدخن

الدراق

الذلب

الدوم

الذرة

-ر،ز-

١٩٣، ١٢٣	الرتب
، ٤٥٦، ٤٠٨، ٢٩٠، ١٢٧، ١٨	الرتان
٦١١، ٦٠٧، ٦٠٣، ٥٩٤، ٤٩٩	
١٤٥	الرتد
١٤٥	الرتحان
٤٦٨، ٤٠٥، ٢٩٥، ١٣٢	الرتيب
٤٣	الرتعتر
١٣٧	الرتعورور
١٤٣، ١١٤	الرتعفران
٦٠٧، ١٤٥	الرتنبق
٤٢٥	الرتوبع
، ٢٢، ٢١، ٢٠، ١٨، ١٠، ٧، ٦	الرتيتون
، ٣٤، ٣٣، ٣٢، ٣١، ٣٠، ٢٩، ٢٨	
، ٥٦، ٥٥، ٥٤، ٤٥، ٤٤، ٣٦، ٣٥	
، ١٢٤، ١٢٣، ١١٩، ٨٣، ٦٥، ٦١	
، ١٥٦، ١٤٧، ١٤٠، ١٣٣، ١٢٥	
، ٢٣١، ٢٢١، ١٦٢، ١٦١، ١٥٧	
٢٧٨، ٢٧٧، ٢٦٩، ٢٦٣، ٢٥٠	
، ٢٨٣، ٢٨٢، ٢٨١، ٢٨٠، ٢٧٩،	
، ٢٨٨، ٢٨٧، ٢٨٦، ٢٨٥، ٢٨٤	
، ٢٩٤، ٢٩٣، ٢٩١، ٢٩٠، ٢٨٩	
، ٣٠٢، ٣٠١، ٣٠٠، ٢٩٧، ٢٩٦	
، ٤٠٢، ٤٠١، ٤٠٠، ٣٩٥، ٣٩٤	

، ٤٨١ ، ٤٢٥ ، ٤٠٩ ، ٤٠٥ ، ٤٠٣
 ، ٤٩٩ ، ٤٩٨ ، ٤٩٦ ، ٤٩١ ، ٤٨٩
 ، ٥٢١ ، ٥١٧ ، ٥١٥ ، ٥٠١ ، ٥٠٠
 ، ٥٨١ ، ٥٧٥ ، ٥٣٤ ، ٥٢٨ ، ٥٢٢
 ٥٩٠ ، ٥٨٩ ، ٥٨٨ ، ٥٨٤ ، ٥٨٣
 ، ٥٩٦ ، ٥٩٥ ، ٥٩٤ ، ٥٩٣ ، ٥٩١ ،
 ، ٦٠٣ ، ٦٠٢ ، ٦٠١ ، ٦٠٠ ، ٥٩٩
 ، ٦١٠ ، ٦٠٩ ، ٦٠٨ ، ٦٠٧ ، ٦٠٦
 ، ٦٦٥ ، ٦٦٢ ، ٦١٩ ، ٦١٨ ، ٦١٧
 ٦٩٤ ، ٦٨٥

- س ، ش -

٤٢٤
 ٢٨٧ ، ١٥٥ ، ١٤٣ ، ١٣٦
 ، ٢٦٣ ، ٢٥٩ ، ٢٥٦ ، ٢٥٤ ، ١٢٩
 ، ٤٩٧ ، ٤٩٦ ، ٤٩٤ ، ٤٨٩ ، ٤٨١
 ٦٠٧ ، ٦٠٣ ، ٥٠١ ، ٤٩٩ ، ٤٩٨
 ١٣٤
 ٤٢٤ ، ٢٢٣
 ٤٥٦ ، ١٣٤ ، ١٣٣
 ، ٤٨٦ ، ٤٨٣ ، ٤٨٢ ، ٤٨١ ، ١٤٢
 ٥٨٨ ، ٥٣٤
 ١٣٦
 ١٤٥
 ١٣٦

السبانخ
 السرو (الشربين)
 السفرجل

السقمونيا
 السلق
 السماق
 السمسم

السنديان
 السوسن
 الشربين

١٥٣، ١٤٠، ١٣٩، ٧٠، ١٨، ١٤
، ٢٦٦، ٢٥٧، ٢٤٩، ١٩٣، ١٦٣،
، ٤٨١، ٤٧٤، ٤٢٠، ٣٩٤، ٢٦٨
، ٤٨٦، ٤٨٥، ٤٨٤، ٤٨٣، ٤٨٢
، ٥٠٩، ٥٠٣، ٥٠١، ٤٨٨، ٤٨٧
، ٥٢١، ٥٢٠، ٥١٤، ٥١٣، ٥١٠
، ٦٠٧، ٦٠٦، ٥٩٢، ٥٨٨، ٥٣٤
٦٦٥، ٦٥٠، ٦١٨، ٦١١

الشعير

١٤٥
٤٥٦
٤٠٧
٤٢٥
١٤٤، ١٢٠
١٨

شقائى النعمان

الشمام

الشومر

الشويكة

الشيح

الشيلم

- ص، ض -

٤٢٥، ١٤٣
١٣٨
٦٠٣، ٢٨٧، ٢٢٣، ١٣٧، ١٣٦، ٤٣
١٤٥

الصعتر

الصنار

الصنوبر

الضيمران

- ع -

١٤٥
، ٦٠٦، ٤٢٢، ٤٢١، ٢٩٦، ١٤٢
٦١٨، ٦٠٨

العرار

العدس

٢٦١
 ، ١٩ ، ١٨ ، ١٧ ، ١٤ ، ١٠ ، ٧ ، ٥
 ، ٢٧ ، ٢٦ ، ٢٥ ، ٢٤ ، ٢٣ ، ٢٢ ، ٢٠
 ، ٥٢ ، ٥١ ، ٤٥ ، ٤٤ ، ٣٢ ، ٣١ ، ٢٨
 ، ٦٨ ، ٦٧ ، ٦٦ ، ٦٥ ، ٦٣ ، ٦٢ ، ٦١
 ، ٧٦ ، ٧٥ ، ٧٤ ، ٧٣ ، ٧٢ ، ٧١ ، ٧٠
 ، ١٣١ ، ٨٢ ، ٨١ ، ٨٠ ، ٧٩ ، ٧٨ ، ٧٧
 ، ٢٦٢ ، ٢٥٩ ، ٢٥٨ ، ٢٥٦ ، ١٣٢
 ، ٤٦٦ ، ٤٠٨ ، ٤٠٥ ، ٢٦٥ ، ٢٦٣
 ، ٤٩٥ ، ٤٩٢ ، ٤٩١ ، ٤٨٩ ، ٤٨١
 ، ٥٠٠ ، ٤٩٩ ، ٤٩٨ ، ٤٩٧ ، ٤٩٦
 ، ٥٧٦ ، ٥٧٥ ، ٥٢٨ ، ٥١٣ ، ٥٠١
 ، ٥٩١ ، ٥٩٠ ، ٥٨٨ ، ٥٨٧ ، ٥٨٤
 ، ٦٠٦ ، ٦٠٣ ، ٦٠١ ، ٦٠٠ ، ٥٩٤
 ٦١٧ ، ٦١٦ ، ٦١٠ ، ٦٠٧
 ١٤٥

العناب
 العنب

العنقز

- ف، ق -

، ٦٠٤ ، ٥٩٣ ، ٥٩٠ ، ٤٢٢ ، ٤٢١
 ٦١٩ ، ٦٠٨
 ٤٢٤ ، ١٤٢
 ، ٢٨٧ ، ٢٨٥ ، ١٣١ ، ١٣٠ ، ١١٩
 ٤٩٤ ، ٤٢٥ ، ٤٠٧
 ٤٦٦
 ١٤٥

الفاصولياء

الفجل

الفتق

الفقوس

الفودنج

، ٤٨٢، ٤٨١، ٤٢٤، ٢٩٦، ١٤٢	الفول
٦١٩، ٦٠٦، ٤٨٣	
٦٠٦	القرع
٦١٩، ٦١٨، ٥٩٣، ٥٩٠	القرنبيط
١٣٢	القشمش
، ٤٥، ٤٢، ٤١، ٤٠، ٣٩، ٣٨، ١٠	قصب السكر
٤٣٣، ٤١٢، ١٩٣، ٦٠	
٤٢٢، ١٤٢	القطاني
، ١٨٠، ١٧٨، ١٣٩، ١٣٨، ١٨	القطن
، ٤١٢، ٤١١، ٣٩٤، ٢٩٥، ٢٢٣	
، ٤٨١، ٤٧٥، ٤٧٣، ٤٧١، ٤٦٥	
، ٦٦١، ٦٥٠، ٥٣٤، ٤٨٩، ٤٨٨	
٦٦٥، ٦٦٢	
٦١٧، ٦٠٣، ٢٩٥	القطين
، ١٣٩، ١٣٣، ٦٥، ٦١، ١٨، ١٤	القمح
، ١٦٢، ١٦١، ١٥٨، ١٤١، ١٤٠	
، ٢٥٧، ٢٥٣، ٢٥٢، ٢٤٩، ١٦٣	
، ٢٦٨، ٢٦٧، ٢٦٦، ٢٦١، ٢٦٠	
، ٤٢٠، ٤١٩، ٤١٤، ٤١٣، ٣٩٤	
، ٤٨٦، ٤٨١، ٤٧٤، ٤٥٦، ٤٥٤	
، ٥٩٢، ٥٩٠، ٥١٣، ٥١٠، ٥٠٩	
، ٦٨٢، ٦١٨، ٦١١، ٦٠٧، ٦٠٦	
٦٨٦	
١٨	القنب
١٤٤، ١٢٠	القيصوم

- ك، ل -

٦٠٦، ٣٩٤، ١٧٨، ١٤٢، ٢٩، ١٨	الكتان
٦٠٦، ٤٥٦، ١٤١	الكرأويا
٦٠٧	الكرز
٦١٨، ٤٢٢	الكرسنة
٦١١، ١٢٩	الكمثرى
١٤٢	الكمون
٦٠٦، ٤٢٤	الكوسا
٦١٩، ٦٠٣	اللويياء
، ٤٠٧، ٢٨٧، ٢٦٣، ٢٦٢، ١٣١	اللوز
، ٤٩٤، ٤٨٩، ٤٨١، ٤٠٩، ٤٠٨	
٥٨٧، ٥٠٠، ٤٩٦، ٤٩٥	
٤٩٩، ٤٩٥، ١٢٨، ١٨	الليمون

- م -

٤٢٢	الماش
١٤٥	المردقوش
١٤٥	المرزجوش
، ٢٦٢، ٢٦٠، ٢٥٩، ٢٥٤، ١٢٧	المشمش
، ٤٥٦، ٤٠٨، ٣٨٥، ٣٦٧، ٢٦٣	
، ٤٩٨، ٤٩٦، ٤٩٤، ٤٨٩، ٤٨١	
٦١١، ٦٠٧، ٦٠٣	
٦١٩، ٦٠٨	الملفوف
١٤٥	المرماحوز

- ن -

٤٩٩، ٢٩٠، ١٢٨، ١٢٧	النارنج
، ٤٨١، ١٩٣، ١٣٥، ١٢٣، ٧٠	النخيل
٥٩٩، ٥٩٨، ٥٩٠	
٦٠٧	الترجس
١٤٥	النسرين
٤٢٤	النعناع
٤٢٥	الهندباء

- ي -

١٤٥	الياسمين
٤٦٦	اليقطين



**Agriculture in Bilād al-Shām From Late
Byzantine Times to the End of the Ottoman Period**



صندوق دعم البحث العلمي
Scientific Research Support Fund

The 9th International Conference on the History of Bilād al-Shām

10 - 14 Jumada I 1433 A.H / 1-5 April 2012

Vol. 4

**Problems of Agriculture, the Importance of Agricultural
Technologies and the Role of Commercial Inns**

Edited by

Muhammad Adnan Bakhit

Husain Muhammad al-Kahwati

Publications of the Center For Documents, Manuscripts and
Bilād al-Shām Studies - University of Jordan
Amman 1435 A.H / 2014